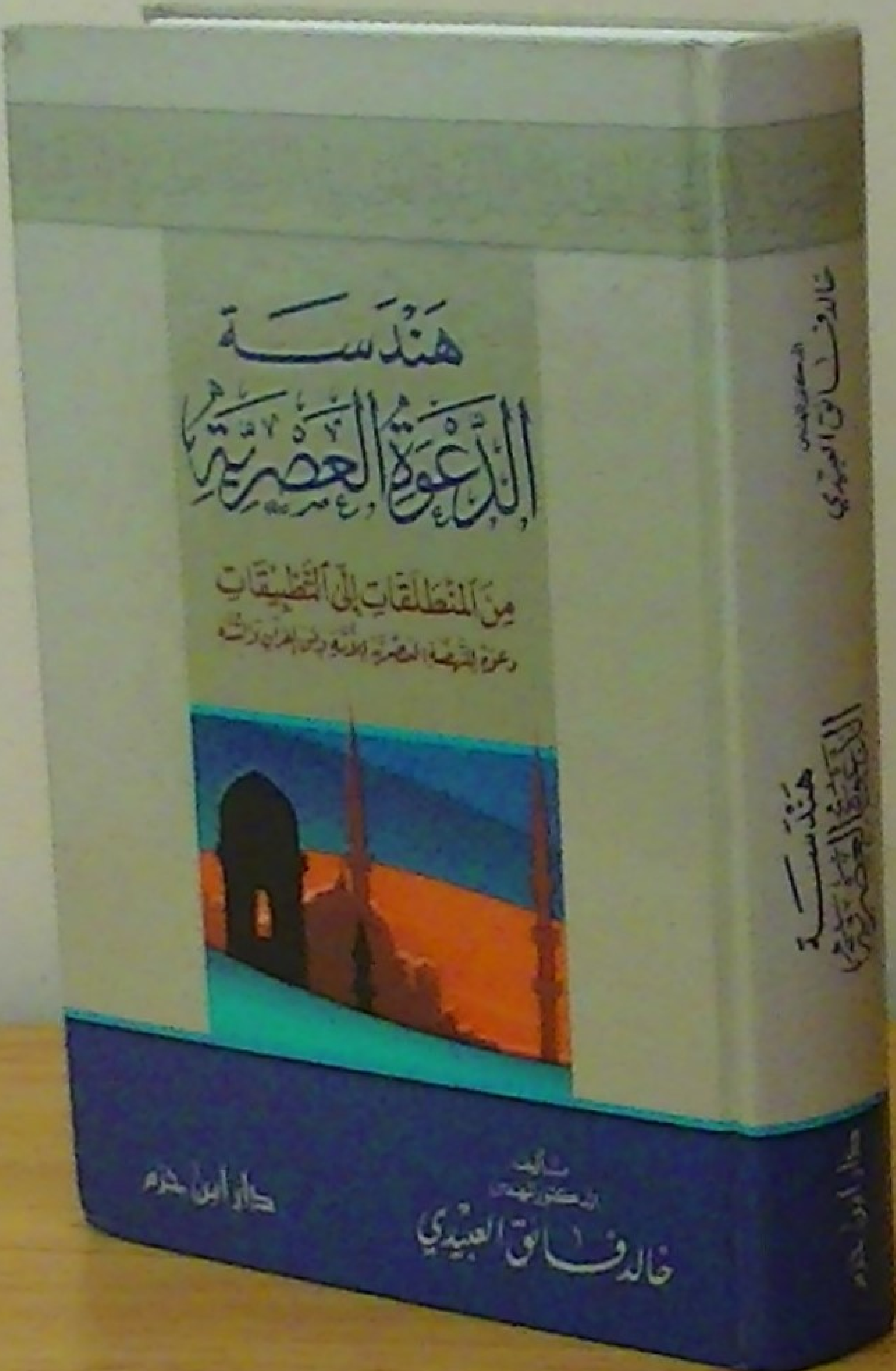

هندسة
الدعوة العصرية
من المنطلقات إلى التطبيقات
تأليف
الدكتور المهندس
خالد فائق العبيدي
دار ابن حزم

هندسة
الدعوة العصرية
من المنطلقات إلى التطبيقات

دعوة للنهضة العصرية للأمة وفق القرآن والسنة

تأليف

الدكتور المهندس

خالد فائق العبيدي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ
بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً
وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)
(النحل:102)

الإهداء

إلى الدعاة والعلماء والمفكرين والمنظرين..

إلى الأطباء والتقنيين والمعمرين..

إلى الفنانين والإعلاميين المشمرين..

إلى التجار والمالكين والمستثمرين..

ألم يأن لهذا العملاق أن يفك القيود
ألم يحن وقت الانطلاق لكسر الجمود
هل نبقى أسارى فقر الأيدي وتواضع الجهود
نعم هناك أمل كبير رغم تشابك الخيوط وتداخل الحدود
إن أردنا خيري الدنيا والآخرة بنيل الفوز وإدراك الخلود
إذن فلنحث الخطى نحو سلم الرقي ونبتدأ الصعود

أهدي هذا الجهد المتواضع لأضعه بين يديكم أحبتي الأكارم لنتعاضد نحو غد مشرق لأمتنا العظيمة التي تستحق منا كل عطاء وجهد وعناء

المؤلف

المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه ملئ السماوات والأرض كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على خير من وطئت قدماه هذه الأرض من بعث رحمة للعالمين – صلى الله عليه وسلم– وآله وصحبه والتابعين، وبعد:

فهذا الكتاب تأصيل وتعريف و تطبيق لمنهجية دعوية عصرية جديدة مبتكرة غير مبتدعة لها أصول في الكتاب والسنة تركتها الأمة في غالب هيكليتها واكتفت بأنماط تقليدية قد تصلح لزمن وتكون مؤثرة فيه لكنها اليوم أقل تأثيراً ما لم تفعل وتدعم ببقية الجوانب الأخرى المكملة.

إن المتأمل لواقع انتشار الدعوة الإسلامية اليوم يجد حقيقة إحصائية مفادها أن الإسلام اليوم هو أكثر الأديان انتشاراً في العالم حسب إحصاءات دقيقة ورصينة من مراكز عالمية متخصصة، فلا يكاد يمر يوم على أي دولة من دول الكوكب إلا وأعلن فيها عن إسلام فرد أو أكثر حتى وصل الأمر لإسلام حاخامات وقس اوسة ورهبان وسياسيين ورياضيين وفنانين وعلماء ومفكرين وباحثين ومؤثرين من كبار الشخصيات في مختلف بلدان الأرض، وحتى بلغت نسبة المسلمين في العالم إلى 20%، وهناك إحصاءات ودراسات تؤكد أن انتشار الإسلام في جميع بقاع الأرض لن يتعدى بضع عشرات من قابل السنوات . وهذا لعمري بفضل الله تعالى ومنته على أمة الحبيب عليه الصلاة والسلام ومن ثم بفضل الصحوة الرائعة التي حصلت وتحصل جراء جهود حثيثة ومتواصلة لعلماء عاملين ودعاة ومفكرين جزاهم الله كل خير.

لكن الأمر مع كل تلك المنجزات لا يزال بطيئاً مقارنة بإمكانات الأمة البشرية والفكرية والروحية والمالية والعلمية من جهة وما وفرته التقنية الحديثة وأساليب

الاتصالات وثورات العلوم والتقنيات من جهة أخرى . فالأمر إذن يحتاج لوقفات وتأمل، خصوصاً مع ازدياد التهجم والتهكم على مقدساتنا وأمتنا بشكل عام . لماذا لم نستطع من وقف تهكمات بحجم ما حصل لمقدساتنا؟ ولماذا لا يكون خط الدفاع الأول لمثل تلك الهجمات المجتمعات الغربية نفسها حتى وإن لم تسلم جميعها؟ !.. علينا وضع منهجية عصرية قوية ومؤثرة تغير هذا الواقع وتعجل مندخول الناس في دين الله أفواجاً ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

على إن التطرق للدعوة العصرية وتأسيس منطلقاتها ومنهجية عملها في عالم متصارع ليس بالأمر الهين في داخل الأمة فما بالك بتوجيهه للآخر ، فهو فضلاً عن استلزام العامل فيه بالتبحر في علوم كثيرة، شرعية ولغوية ودنيوية فإنه يتطلب قراءة سليمة لواقع الأمة وأسباب تخلفها في إيصال الإسلام للآخر رغم تطور الزمن وآلياته من جهة وما تحمله هذه الأمة من إرث عظيم وإمكانات كبيرة من جهة أخرى . كذلك فهو يتطلب حشد هائل لجهود جبارة تكاد تكون مجرد أحلام عند الكثير من المعتدلين فما بالك بالمتشائمين.

ولئن كان موضوع الدعوة قد تطرق له الكثير من العلماء والمفكرين وال دعاة على مستوى التنظير والتأصيل والتشريع أو على مستوى النقد والتحليل فإن المؤلف هنا لا يزعم أن يؤسس لمفهوم جديد في المنهج الدعوي بقدر ما أنه يحاول إعادة صياغة المفاهيم الدعوية بشكل عصري سريع وقوي التأثير، فيطرح إشكاليات تواجه المسيرة الدعوية وتقصيرها في ال وصول للآخر ويقصد به غير المسلمين على وجه الخصوص. وهو بذلك يضع كل جهود الأمة السابقة والموجودة تحت المجهر لا للنقد بل لتشخيص الخلل وتلافي النقص وسد الثغرات، وكذلك فهو يطرح تجاربه الشخصية ليجعلها في خدمة الدعوة، لتكون الحصيلة النهائية وضع مخطط متكامل للنهضة الدعوية الشاملة كي تكون حاملة راية النهضة العامة للأمة تطبيقاً وتنفيذاً على أرض الواقع.

إن ما يشهده العالم من إيقاع سريع للأحداث من جهة وتكالب على الإسلام والمسلمين من جهة ثانية، تارة بحجة تغيير الخطاب الدعوي وهي كلمة حق يراد بها باطل، وتارة بحجة تجفيف منا بع الإرهاب، وتارة أخرى بحجة النظام العالمي الجديد أو النظام العولمي وغير ذلك يحتم علينا نحن أهل الهم الدعوي أن نغوص في بحر الإسلام العظيم لنستخرج الدرر الثمينة والكنوز الدفينة التي بين أيدينا وبين ظهرانينا فنعرض ديننا بالشكل الذي يلجم المتقولين ويخرس المتهجمين ويفحم المتشككين.

إننا اليوم على أعتاب مفصل تأريخي حاسم فإما أن نصعد بالأمة نحو مجدها الذي تستحق ونرفع عنها قيود الضيم والظلم والقهر والذل والهوان والتبعية والخنوع والإحباط واليأس والاستسلام أو فإننا داخلون في ظلمات ثقب تأريخي أسود لا مجال للفكاك من تبعيات هوته السحيقة إلا أن يتغمدنا الله برحمته . إن هذا المفصل يتمثل بانحسار واضح لدور القطب الواحد وصعود قوى أخرى اقتصادية وسياسية وعسكرية وبشرية في عالم يتوقع له أن يكون متعدد الأقطاب، وفي دورة الصعود والنزول التأريخي للأمم تعد الفرص بمثابة القشة التي يتمسك بها الغريق كي ينقذ نفسه كي من ظلمات بحر لجي لا يعلم قراره ومنتهاه.

ولأجل استغلال هذه الفرصة التأريخية والتمسك بزمام هذا المفصل التاريخي الحاسم في عالم التدافع الحضاري وتحويل مسار طريقه نحو القمة التي نرجوها لهذه الأمة، وكي نتمكن من الصعود وحجز مكاننا في ع الم الغد يجب أن نتوجه بالعمل الخلاق المبدع غير التقليدي باتجاه أنفسنا أولاً وأمتنا ثانياً والعالم من حولنا ثالثاً . ولكلٍ نصيبٌ من الجهد والاجتهاد والمنهجية والتخطيط والتنفيذ بطرق أكثر نفعاً وأقوى وقعاً وآمن دفعاً من تلك المتبعة اليوم من أغلب الدعاة والمفكر ين والمنظرين والمحللين لأنها طرق تخاطب لغة مشتركة في عالم اليوم إلا وهي لسان العصر المتمثلة بالعلم والإعلام كي ننهض بالدعوة ونجعلها حياة حقيقية نعيش في كنفها ونحيا من أجلها ومن خلالها.

علينا فقط أن نغير من طريقة تفكيرنا وتحليلنا للأمور وأن نكون كما كان الن بي عليه الصلاة والسلام وأصحابه جعلوا من الدعوة حياة عاشوا لها وأعطوها كل ما يملكون بعمل وجهد جمعي وتخطيط منهجي وتحليل استراتيجي لا كما هو حالنا اليوم

محاضرة هنا ومؤتمر هناك وفضائية هنا أو هناك لا يجمعها إلا العنوان أنها إسلامية مع محاولات خجولة لا ترقى للوصول للهدف بالوقت والدقة المطلوبتين.

لا نريد من هذا الكتاب الاكتفاء بالنظرة النقدية للساحة الدعوية اليوم من عين المراقب الحريص ولكن الكتاب يحاول وضع الحلول من واقع تجارب عاشها العديد من أهل الدعوة ومنهم مؤلف الكتاب، ويضع التطبيقات والمشاريع بعد أن يبين ويأص ل المنطلقات والمفاهيم والتعريفات.

فمن يعمل جرد ومسح على وسائل الإعلام الإسلامية اليوم يصل لقناعة مؤلمة مفادها (أن العالم كله بواد وقنواتنا وإعلامنا ووسائل دعوتنا الإسلامية بواد آخر بل في كوكب آخر تماماً). وكأن الغرب ودول العالم المتقدم تقول لنا : " نحن علينا العمل وأنتم يكفيكم المحاضرات والمهاترات والمناظرات، نحن نتقدم في كل شيء ونخطو نحو التمكين بأسرع الخطى وأنتم تقدموا فقط في الكلام والإنشاء والشجب والاستنكار، نحن علينا المبادرة والتغيير والفعل وتسيير العالم وفق ما نشتهي وأنتم اكتفوا فقط بالتقليد والنسخ والمحاكاة وتتبع سننا وخطواتنا وفي أحسن الأحوال لا يسمح لكم إلا أن تكونوا أهل ردات فعل".

هل تعتقدون أننا اليوم نقوم بما فيه الكفاية من الدعوة إلى الله تعالى، لو قمنا بدراسة إحصائية لما نحن عليه اليوم مما بإمكاننا استغلاله في الدعوة لديننا لا نجده يتعدى 10% في أحسن الأحوال.

إن الأمة تحتاج للنموذج أيها السادة الأكارم، لا نحتاج لسرد قصصي ودغدغة للعواطف دون تقديم نموذج يفرض نفسه ليتشبث الناس به فيربطونه مع تاريخ الأمة ليحصل الاعتزاز المتسلسل والمتراكم مع تاريخ الأمة تماماً كما حصل مع كل نهضة للأمة أعقبت الكبوة التي سبقتها، فبروز نموذج مثل صلاح الدين الذي أعقب الكبوة

في القرن الرابع والخامس الهجريين كان بعد صحوة للأمة ولكن لو لم يستغل صلاح الدين ذلك بمعونة من معه ويحول الحالة بل ويستغلها كسلم للصعود وتحقيق الإنجاز لما تحدث عنه أحد ولكان ذكره شبه معدوم ولاستمرت الأمة بالانحطاط رغم فورة الصحوة فيها، فتحويله الصحوة إلى إنجاز كان سبباً في انتشالها من التدهور . وهكذا تقرن الصحوات بالنموذج النهضوي فإن لم تقرن هذه بتلك لن يؤدي الأمر إلى نتيجة ترتجى ولظل الأمر حبيس الأمنيات وأحبار الصفحات.

هذا ما يعرف بسايكولوجية الأبطال أو سايكولوجية الإنجاز وهو باختصار فطرة الإنسان وحبه الأزلي للفوز والإنجاز ونيل مراتب العز والشرف.

فما فائدة التحليلات والتنظيرات مع وجود الهمم والإرادات إن لم تستغل تلك الطاقات لتحويل ذلك لجهد جمعي يحول المسألة برمتها لإنجازات؟. وكما يقول الأستاذ الدكتور محمد جاسم السلطان : (رافعتا الدين والتأريخ لا تكفيان لانتشال الأمة ونهضتها بل تحتاج لإنجاز جديد نابع من داخلها ينقلها من طور الصحوة إلى طور النهضة).

المسألة إذن تماماً كحال سمك السلمون الذي يسبح عكس الشلال ليصل إلى مبتغاه فلدي الهمة والإرادة لتجاوز العقبات لكن قسماً منه ينجح فيحقق الإنجاز بوضع البيض واستمرار الحياة فيربط ماضيه بمستقبله في دورة حياة جديدة، لكن قسماً آخر لا ينجح رغم قوة إرادته فتخور قواه لتتحول طاقة الأمل عنده بحياة جديدة إلى انحسار وموت.

وهكذا حال الأمم إن لم تحسن تحويل الصحوة وهمة التغيير إلى إنجاز نهضوي لا يمكن أن تفرض حقيقة التغيير وتترجمه إلى واقع ينجح بربط ماضي الأمة بحاضرها ويصنع مستقبلها، وهذا هو بالضبط مفهوم التغيير في كتاب الله تعالى : (..... إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) (الرعد: من الآية11). فلو تدبرنا الآية الكريمة وكيف أن إرادة السوء بالأمة لا تأتي من الله تعالى – حاشا له ذلك سبحانه– كما يفهم البعض من النص، لكن السوء يأتي بالأمة بعد أن لا يأخذوا بسنن التغيير ويحولوها لطاقة تفعيلية

حقيقية وحركة إبداعية تنقذ حالهم من الفشل والتشرذم والضياع إلى النجاح والتوحد والرقي والفلاح.

نحتاج لأن يكون الدعوة هم نعيش فيه وأمل وحلم نحيا به لا مجرد محاضرة تستمطر الدمعات لتعود بعدها الآهات والحسرات على حال أمة القرآن أمة الحبيب عليه أفضل السلام والصلوات . فالمحاضرة الزهدية والأخلاقية والرقائقية تفعل فعلها في شحذ الهمم فإن لم تجد متصرفاً لطاقتها انطفأت وانكفأت وكأن شيئاً لم يكن . وعليه نحتاج لكفتي الميزان الروحانيات وفعلها الشاحذ للهمم الموقد للطاقات تتبعها الأفعال والممارسات لتصريف طاقة الشحذ تلك نحو فعل خلاق مبدع يصعد بالأمة في سلم الترقي الحضاري.

فلماذا لا تنطلق الدعوة لكل مناحي الحياة بشكل يعطيها منزلتها ليعيش الجميع في كنفها ويدفع بها نحو النهوض للوصول إلى بر الأمان؟ فصرنا كذاك الذي عنده وليمة فيها من الطعام اللذيذ والأوان الفاخرة الجميلة فيتركها مركزاً على مجلة بقربه تتكلم عن تحضير الأكلات والوجبات فيستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

نحن يا سادة في سوق عالمية كبيرة للأفكار ولدينا بضاعة عظيمة بل وكنز من أغلى الأحجار الكريمة لكننا مع شديد الأسف لا نعرف كيف نعرض بضاعتنا بل نعرضها بشكل غير لائق وأحياناً غير مقبول وأحياناً أكثر منفر ثم نأتي ونقول هنالك تقصير.

نحتاج لعمل دعوي يبنى على الجهد الجمعي والجماعي في الدعوة وليس الفردي، نحتاج لتوزيع الأدوار والمهام والتخصصات بقلوب وعقول تنزع الأنا والفردية وتبعد العقد الشخصية فتلهث وراء التكافل والتكاتف والتظافر والعمل الجماعي المؤسسي ليتحقق النصر والوعد الإلهي الخالد في كل زمان ومكان كما نجد ذلك في القرآن الكريم شاخصاً بصيغة التخاطب الجمعي العظيم (يا أيها الذين آمنوا ...)، وهو ما كان عليه النبي ع ليه الصلاة والسلام وأصحابه معه ومن بعده طيلة فترة الصعود الحضاري للأمة ومن ثم استنهاض تلك الهمم وتربية تلك القمم في كل صعود لاحق وعكسه تماماً حصل النكوص والنكوس.

نحتاج لزلزال إعلامي وعلمي بصرخات مدوية تبين للعالم كم هو أعمى إذا لم يتخذ من الإسلام منهجاً ي‌نقذه من الهاوية والانجراف، ومن القرآن قبساً يستنير به من ظلمات الضلال والانحراف.

نحتاج لأن نكون أهل أفعال لا أصحاب ردود أفعال نظهر رؤوسنا على مسرح الأحداث فقط عندما تتعرض مقدساتنا للاستهزاء والتهكم فنستجيب بحماسة فورية غير مبرمجة ثم نفتر كذاك الذي يغفو ولا يصحو إلا عندما تلدغه الأفعى فلا يملك إلا أن يغير مكانه فقط وسط الأحراش المليئة بالكواسر والضواري.

نحتاج لتقديم الإسلام بصناعة متقنة جميلة تجلب لنا الناس ليدخلوا في دين الله أفواجاً.. نحتاج لمراكز بحثية ومراكز دراسات استراتيجية ومراكز استطلاعات للرأي.. نحتاج لكتاب وأدباء وعلماء وفنانين ورياضيين وإعلاميين ونقاد على أعلى مستوى بعقلية متفتحة مستنيرة ورؤيا إسلامية سليمة.

وهكذا فإن هذا الكتاب يعرض عملية هندسية عكسية بإعادة تفكيك المسألة ومعرفة الخلل ومن ثم إعادة تركيب وصياغة جديدة لمنهجية دعوية عصرية وهندسة العمليات المفضية إلى ذلك بدءً من المنطلقات والتنظيرات الفكرية ومن ثم الأدلة والتأصيلات الشرعية تليها التقسيمات والفريعات التفصيلية ثم التطبيقات والمشاريع التنفيذية وأخيراً بعض الاستشهادات الواقعية.

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

جاء الفصل الأول من هذا الكتاب ليعرض تعريفاً لموضوع هندسة الدعوة العصرية وبدايات التفكير والتنظير لها وفكرتها بشكل عام ومناقشة المسألة من عدة جوانب منها فرق مفهوم الدعوة العصرية النابعة من القرآن والسنة عما يطالب به الغرب بما عرف بـــ (تغيير الخطاب الديني) بعد موجة العنف التي اجتاحت العالم بعد احداث 11- سبتمبر المعروفة، وكذلك توضيح بعض الإشكالات الأخرى المتعلقة وفك الارتباط بين مفاهيم قد تختلط فيها الألوان فتشوش الرؤيا عن الرائي من دون تفحص.

أما الفصل الثاني فقد دخل في تفاصيل التأصيل الشرعي للموضوع ودراسته من النواحي اللغوية والاصطلاحية وعلوم القرآن من الم ثل والقصص القرآني وعلوم التفسير والمناسبة وأسباب النزول وعلوم الحديث والسير وغير ذلك.

في الفصل الثالث بينا أمثلة حية من تاريخ الأمة وتراثها على كيفية استنباط العلوم والتقنيات الجديدة من القرآن والسنة سواء أكان ذلك استحداثاً لعلم جديد أو تطويراً لعلوم موجودة لكنها كانت على الطريق الخطأ ليأتي العلم القرآني ويصلح مسارها ويطلق لها العنان نحو النور للبشرية جمعاء.

أما الفصل الرابع فشمل الدخول في الوكيزة الأولى للدعوة العصرية ألا وهي العلم ، لنبين كيف يمكننا أن نتبنى نفس الأسلوب الذي اتبعته الأمة في جميع مراحل نهضتها التي تلت مراحل النكوص والنزول ولكن بلغة العصر الراهن.

وفي الفصل الخامس تكلمنا عن الركيزة الأخرى وهي ركيزة الإعلام وأهميته في المرحلة المعاصرة لنهضة الأمة.

تطرقنا في الفصل السادس لتطبيقات ومشاريع عملية في عصرية الدعوة وقسمناها إلى مشاريع صناعية وقتية ومشاريع استراتيجية.

ثم عرجنا في الفصل السابع إلى ذكر نماذج وتجارب مفيدة لأشخاص ومؤسسات تدخل ضمن مفهوم أركان الدعوة العصرية وهندستها في العلم والإعلام لنستفيد منها ونجمع أواصرها في جهدي جمعي مؤسسي يستجلب النفع والخير للأمة.

ثم جاءت الخاتمة والاستنتاجات في نهاية المطاف لتعلن البدء بالعمل الدعوي العصري إن توفرت شروط إقامته التي أسأل الله تعالى أن ييسرها لأمة حبيبه عليه الصلاة والسلام.

ولا يخفى أن وضع ملاحق تعضد فصول الكتاب لتبيان بعض الحقائق والعلوم المهمة الساندة لمحاور الكتاب يعتبر من المسائل المهمة، فوضعنا بعض الملاحق نعتقد أهميتها ضمن الإطار البحثي واستكمالاً له، فجاء الملحق الأول مجملاً لقوانين النهضة والإبداع والنجاح في الأفراد والأمم والحضارات . ثم الملحق الثاني جاء ليبين مثال

للدعوة العصرية بالعلم في تحليل الأزمة المالية العالمية وتبيان روعة النظام الاقتصادي الإسلامي كبديل ناجح للنظام الرأسمالي الجشع المتطرف أو على أقل تقدير محاولة المزاوجة بينهما كمرحلة أولى أخذاً بمبدأ مرحلية وتدرج التغيير . ثم الملحق الثالث قدم مثالاً آخر للدعوة العصرية بالعلم في تحليل المشكلة البيئية العالمية وتبيان عظمة النظام الإسلامي المتوازن في البيئة وعدم الهدر للطاقات والعدالة في توزيع الثروات واستخدام الطاقات النظيفة الصديقة للبيئة والتكافل الاجتماعي وغير ذلك، بل وتقديم النموذج في ذلك.

لعل أهم رسائل يسعى لتقديمها هذا الكتاب رسائل عامة وأخرى خاصة . فأما الرسائل العامة فهي:

1 -رسالة للعالم لتعرف حقيقة شمولية وعالمية هذا الدين وصلاحيته لكل عصر ومصر وسبقه لكل العلوم الطبيعية والإنسانية واستخدامه لكل التقنيات المتاحة لتحقيق الهدف الأسمى وهو دخول الناس فيه أفواجاً دون تفريط أو إفراط، فضلاً عن روحينته وتشريعاته العظيمة، فهو نور الله لعباده ومن نقله لنا هو رحمة الله لخلقه – عليه الصلاة والسلام–.

2 -رسالة للمسلمين عموماً كي يتّحدوا على الاعتزاز بهذا القرآن وبتراث الأمة ويفتخروا بانتماءهم له ولها فينبذوا خلافاتهم وتشتتهم وتعصبهم المذهبي.

وأما الرسائل الخاصة فهي:

1 -رسالة إلى الحكومات والمؤسسات: بأن يدعموا الدعوة وفق المنهج الذي يتطلبه العصر وسرعة تقلباته، وعدم الاقتصار على بناء المساجد إن كان فيها الخير والبركة ومحط رضا الله ومحبته . لكن المطلوب أيضاً هو دفع الدعوة للعالم شرقه وغربه بأسلوب ومنهج ثقافي يفهمه . وأظن أن المؤشرات اليوم تبشر بأن العديد من الدول الإسلامية قد انتبهت لتلك

النقطة وبدأت تدعم بعض جوانبها والحمد لله رب العالمين، ويبقى الأمل في المزيد لنشر الخير في العالم.

2 -رسالة للمسلمين من أهل التخصصات العلمية مؤمنهم وجاحدهم كي يعتزوا بدينهم وينهلوا من علومه وتخصصاته العلمية والهندسية وينطلقوا في مباحثهم من الدرر والكنوز التي بين يديهم . بل ويؤسس من خلال حلقاته لتحفيز الاكتشاف والاختراع وتصنيع التقنيات من القرآن والسنة وتراث الأمة العظيم، وكذلك وضع لغة العصر وتقنياته وآلياته في خدمة الدعوة.

3 -رسالة إلى المختصين من الباحثين والصناعيين والحر فيين والتقنيين والفنيين في شتى صنوف العلوم والتقنيات والصناعات في ضرورة الانتباه لدعم الصناعات والتقنيات التي تدر عليهم ربح الدنيا وفوز الآخرة فيعيشون ويرتزقون ويتطورون وهم في كنف الدعوة.

4 -رسالة للمستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال ورجال الأعمال : أن دينكم محتاج لدعمكم وأن أهل التجارة كانوا دائماً العون والسند لنهضة الدين في جميع الأوقات، فلتجعلوا بعض مالكم يبارك فيه لا في زكاة أو صدقة أو حج أو عمرة حسب بل في استثمارها خير الاستثمار وهي دعوة الله لكم لتنجيكم من عذاب أليم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) (الصف). فهلموا للفوز بأن تكونوا ضمن صفوف أهل الدعوة باستثمار أموالكم فيها.

5 -رسالة للإعلاميين والفنانين والأدباء بأن يزكوا اعمالهم لخدمة قضايا أمتهم، فيعيشون في كنف الدعوة.

6 -رسالة لمشايخنا وعلماءنا الأكارم من علماء أشرف العلوم وأقدسها علماء الدين، بأننا نكمل بعضنا البعض وأننا لسنا أعداء لهم، وحيث أن الدين

ينظم كل شؤون الحياة في كل عصر ومصر فإن عليهم أن يكونوا مع أخوتهم من المتخصصين في بقية العلوم الطبيعية والإنسانية والإعلامية فهم أعلم بشؤون دنياهم وليكن الجميع في خدمة الدعوة وفي كنفها، فمفهوم العبادة الحقة هو كل نشاط يطبق معنى الاستخلاف في الأرض الذي من أجله خلقنا فيها.

إن من أهم أهداف هذا الكتاب هو شحذ الهمم وإطلاق العنان لرسم أحلام نيل الأسباب والتخطيط لتحقيقها بما حبا الله تعالى شباب هذه الأمة وعلماءها من خير وخلق وعلم وصدق وهمة، وذلك ضمن مشروع دعوي رسالي نهضوي عصري أسميناه عصرية الدعوة لتعريف العالم بعظمة وحركية وشمولية هذا الدين العظيم[1].

ولعل من أهم ما يحاول هذا الكتاب ترسيخه مبدأ (أسلمة الحياة) أو (أسلمة العصر) لنشر الفضيلة والعدل والخير والتكافل والمحبة تحقيقاً لمبدأ الاستخلاف الذي نحن مأمرون به والوقوف أمام هذا الغول المرعب الذي يدمر كل فضيلة وخير المسمى العولمة البغيضة وما تبثه من ظلم وموت ودمار وبهرجة فارغة لا محتوى فيها . وهو نفس المبدأ الذي انطلقنا منه في جميع كتبنا وبحوثنا استجابة لما ينادي به مفكرو الأمة وعلماؤها ودعاتها. وقد حاولنا من تمكين القارئ الكريم مهما كان تخصصه علمياً تطبيقياً أم علمياً شرعياً بل حتى أصحاب الثقافات المحدودة من أن يزاوج في نظرته لكل تلك التفاصيل لنخرج بحصيلتين مهمتين تقرب أساليب نظرتنا وتفكيرنا مفادهما :

1. تثقيف أصحاب العلوم الشرعية والدعاة بمفاهيم الدعوة العصرية وفق لسان العصر.
2. تنوير أصحاب العلوم الطبيعية والتطبيقية والإنسانية بعظمة دينهم وسبقه لكل ما درسوه وفهموه وإن اختلفت المصطلحات والتسميات بين العصرين، عصر التنزيل وعصر العلوم التطبيقية.

---

(1) موقع الدكتور المهندس خالد العبيدي على شبكة الانترنت (www.khalid-alubaidy.com).

من هنا يمكننا أن ننطلق لنكسر القيود المانعة لنهضة ونصر هذه الأمة التي ظلت قاصرة عن استنباط أسباب النصر والنهضة من داخلها مع أن الخير كله يجري بين يديها.

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

وأخيراً نقول إن البدء بمشروع الدعوة العصرية هو البدء الحقيقي لوضع أقدام الأمة على سلم النهوض الحضاري الحقيقي، فالبحث العلمي والتقني والاستثمار الفكري والبشري والتخطيط الاقتصادي هي منطلقات النهضة لكل حضارة والاستغناء عنه ا يعني القبول بحال الاتكالية والاستهلاكية التي يراد لها ان تكون ثوباً لنا نحن أمة العلم والحضارة كي نبقى تحت سيطرة الآخرين وكي تظل التهمة الموجهة لنا بأننا أمة عاجزة كسولة خاملة غير منتجة، أمة كلام لا أمة عمل، وكي نظل سوقاً للآخرين دون أن نجد لنا مكاناً تحت الشمس بين الأمم فنظل نتكلم ونغرد خارج السرب العالمي ودون أن نعرض بضاعتنا الإسلامية القرآنية الرائعة في سوق الأفكار العالمي بشكل يليق بها.

نسأل الله تعالى أن يتقبل منّا هذا العمل فإن كان فيه خير وبركة فمنه وحده سبحانه ولا فضل لنا في ذلك بل الفضل منه أن مكننا من الرشد للوصول إلى بعض من علوم كتابه الجليل، وإن كان في عملنا هذا تقصير أو تجاوز فمن أنفسنا والشيطان ونسأله تعالى أن يغفر لنا ويرحمنا فما أردنا إلا الإصلاح ما استطعنا وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير.

ولا بد هنا من أن نسجل شكرنا وتقديرنا العاليين للأخوة القائمين على تقييم وتدقيق وطباعة ونشر الكتاب على جميع ما قاموا به من جهود لأجل طباعة هذا الكتاب وإيصاله بأبهى صورة للعالم كافة كي يعلموا قدر هذا الدين العظيم ويقدروا مدى الخير الذي جاءهم من ربهم فيدخلوا فيه أفواجاً.

وأخيراً نبتهل إلى الله العلي القدير من خالص قلوبنا وأعماق عقولنا وأغوار أنفسنا وأرواحنا أن يتغمدنا جميعاً برحمة من عنده ومغفرة وعفو وعافية في الدين والدنيا

والآخرة. وصلى الله وسلم وبارك على من بعث رحمة للعالمين وآله وصحبه والتابعين

الدكتور المهندس
خالد فائق العبيدي
(1429 هـ/2008م)

الفصل الأول

المنطلقات
فكرة الدعوة العصرية

الفصل الأول: المنطلقات، فكرة الدعوة العصرية

مقدمة لا بد منها

قبل حوالي 15 عاماً خلت بـدأت بمحاولات لتفهم أجوبة لأسئلة حيرى تدور في مخيلتي مفادها: ما هو أثر القرآن الكريم على صعود الأمة الحضاري في زمن البعثة الأول وما تلاه؟ ولماذا عدنا القهقري بعد ذلك؟ وهل لأثر ابتعادنا عن اللمسات القرآنية وتدبرها التي أثرت في الأجيال الأولى أثر في تراجعنا ا لحضاري والتقني والصناعي والهندسي والعلمي والبحثي والإعلامي والاقتصادي وفي مجالات أخرى؟ ولطالما أثقلتني وحيرتني أسئلة مهمة مثل:

1. لماذا انطلق المسلمون في علومهم وبحوثهم وصناعتهم وهندستهم واختراعاتهم ليغزو العالم فتشد إلى معاهدهم ومؤسساتهم العلمية الرحال من ك ل الأصقاع بعد عصر التنزيل وانطلاق الفتوحات، ومن ثم خبت تلك الشعلة لنعود القهقري نتحسر على تقدم الغرب وثوراته الصناعية والعلمية والتقنية المتتابعة فننظر لها نظرة التعجب والإعجاب ونغدو مستهلكين متواكلين فنركن عقولنا على الرفوف؟
2. هل كان للقرآن الكريم وفهمه على الوجه الصحيح الأثر البالغ في تغير نفوس وعقول الأجيال بعد عصر التنزيل فكانت لهم تدبرات وتأملات ولمسات قرآنية دفعتهم للتطور والرقي في النواحي العلمية والبحثية والهندسية والصناعية استمرت حتى عصر الهبوط الحضاري للأمة فتركوا لنا كل ذلك الإرث الصناعي والهندسي والتقني والعمراني والعلمي وغير ذلك ثم عندما ركنّا كتاب الله جانباً أو فقدنا تلك اللمسات والتأملات والتدبرات كان منا كل ذلك التقهقر الفكري والعلمي والبحثي والصناعي والهندسي؟!!

فهممت للبحث وأنا سائر منذ ذلك الحين في طريق البحث والتنقيب في آبار ومناجم وحقول العلم والمعرفة علّني أجد الماء الزلال والكنز المفقود واللؤلؤة النادرة الثمينة، ولئن كنت قد عثرت في طريق بحثي الطويل على بعض مما يطفئ الظمأ ويعين على تكملة المسير لكني لم أزل سائراً وباحثاً ووراء المنجز المبطئ لضياع أجيالنا لاهثاً

كي يهزهم معنفاً ومعزراً وناقداً، فوددت أن تشاركوني تلك المكتشفات وأن تعاودوني تلك التبعيضات وتشاوروني تلك الأمنيات علنّا نصل لنور في نهاية النفق فكان هذا الجهد وهذا المؤلف كرأي وصوت وتبيان لبعض الحلول الواقعية نحو مسيرة دعوية فعالة مؤثرة تجعل من الدعوة حياة كاملة ونشاط مستمر في جميع الاتجاهات كي نعجل من نهوض الأمة ومسيرة صعودها.

نحاول في بداية هذا الفصل أن نعرض لبعض هموم واقع الدعوة اليوم على صعيدي مخاطبة الذات ومخاطبة الآخر، وقد كنت ولا زلت أحمل هذا الهم الكبير شأني شأن الكثيرين لكن مشكلتي أنني أبحث عن المتاعب دائماً، وما أحلاها وهي في سبيل رفعة أمة الحبيب عليه أفضل الصلاة والتسليم . ولعلني أتلمس مشاعر الكثيرين ممن يشاركونني ويتفقون معي في تشخيص العديد من نقاط التقصير والإشكالات تواجه عمل الدعوة ومسيرة نهضة الأمة ورفعتها في واقع عالمي غاية في التعقيد والتشابك قد نحتاج لتحليله وتفكيكه بشكل مفصل قدر الإمكان كي نقف على النقاط العقدية والمفصلة المشكلة في هذا الفصل، ومن ثم نحاول وضع الحلول لها في الفصول القادمة بتوفيق الله وفضله.

فعقدت العزم وشددت الهمة على البحث منطلقاً من محاولة فهم تلك اللمسات القرآنية واللمحات النورانية والكنوز السماوية واستنباط ما أمكنني من قبساتها واصطياد ما أمكنني من دررها كي نعود للفهم الصحيح لدور الدعوة و تحويله لحياة كاملة تلائم عصرنا ومتغيراته العجيبة كما فهمه أولئك الأماجد من علماء الأمة الأعلام من السابقين كل وفق متغيرات حاضره ومتطلبات جيله وطور حياته عبر القرون الأربعة عشر الماضية، وكذلك استنباط واستشعار طرق تعاملهم مع كنز هذه الأمة وهدية ربها لها كتاب الله تعالى الذي لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء، ذلك الخير الوفير والصراط المنير الذي يثبت لنا كل يوم نقرأه فيه بتدبر نشعر وكأنه نزل الساعة لكننا لا نسقطه على أرض الواقع.

فعمدت إلى استثمار جهودي السابقة في مجال البحوث والدراسات المتعلقة بالإعجاز العلمي والعددي وعلوم القرآن التي جاوزت في فترتها ما يقرب من 15 عاماً من البحث والتأليف والتحقيق والتدقيق في تكوين منطلقات الدعوة العصرية . وبعد توفيق الله تعالى لعبده الفقير في أن يسّر له ما كان من مؤلفات ربت على 46 مؤلفاً بدءً من الكتاب الأول (المنظار الهندسي للقرآن الكريم) بطبعاته المتعددة مروراً بكتب أخرى عديدة وعشرات البحوث والمقالات وما يربو على الـ 100 حلقة مرئية في مواضيع السبق والإعجاز القرآنيين . فقد بينت في كتابي (المنظار الهندسي للقرآن الكريم) أن كتاب الله تعالى ليس يحوي سبقاً قرآنياً في علوم عديدة فحسب، بل يؤسس لعلوم جديدة لم تكتشف بعد وأنه لو يتاح لعلمائنا أن يعملوا بشكل مؤسسي بحثي رصين لاستخرجوا حقائق وثوابت لم يصل إليها الغربيون مستخرجة من كتاب الله تعالى، وقد أثبت ذلك في أكثر من موضع في ذلك الكتاب وكذلك كتاب (تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد) وسلسلة كتب (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) وهي 20 كتاب صادرة عن جائزة دبي للقرآن الكريم . ولو جمعت حصيلة ما ذكرته في تلك الكتب مع ما بينته في كتب أخرى تتعلق بالاستقراءات التأريخية والعلمية لما في الكتاب والسنة من كنوز هائلة تجعلنا نمتلك إمكانات ضخمة تمكننا من ولوج مفاتيح قلوب أهل الغرب بكل تصنيفاتهم ومكونات مجتمعاتهم وتدرجات ثقافاتهم المختلفة، ومن تلك الكتب : (لسنا بمأمن)، (القرآن منهل العلوم)، (القوانين القرآنية للحضارات)، (رياضيات التوحيد)، وسلسلة (ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية –15 كتاباً في نواحي علمية عديدة في الإعجاز العلمي). فقد استجمعت ما تفضل الله به عليّ من تراكم خبرة لأسخرها في عرض نمط الدعوة العصرية بركنيها العلم والإعلام وفق أسلوب منهجي وبحث ي أحسبه دقيقاً من جهة، ويسيراً ومتقبلاً وسلساً للقارئ من جهة أخرى، كي يكون معيناً مضافاً للباحثين عن الحق والساعين نحو الصدق.

وبعد أن أصبحت الإجابات عندي واضحة وضوح الشمس أن كل صعود حضاري لأمتنا كان بعيد عودتها للمنبع الصافي كتاب ربها وسنة حبيبها عليه الصلا ة والسلام وأن التقوى هي أصل كل فتح علمي وحضاري متزن عادل وحكيم بعد أن أيقنوا مفهوم الآية الكريمة: (.... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ) [البقرة: من الآية 282]، أصبحت فكرة صياغة الدعوة وفق لغة العصر وآلياته ووضع المنهجية الكاملة لها بل وعرض تطبيقاتها ومشاريعها على الناس كي ينهض الجميع بالدعوة إلى دينهم وكتاب ربهم دون أن يتعارض ذلك مع متطلبات الحياة الكثيرة في جلب الرزق والدراسة والوظيفة والأسرة وغير ذلك.

وبعد التوكل على العلي القدير بدأت العمل بهذا الموضوع في تبني موقع على الشبكة العالمية لنشر فكرة الدعوة العصرية من جهة [1]، وليكن منطلقاً لما يلي ذلك من مشاريع وجهود لمخاطبة العالم وبالذات العالم الغربي الذي يهيمن على مجريات العالم اليوم بسبب تراجع أثر المسلمين الحضاري مع شديد الأسف، ولنتوكل على الله في فتح قلوب غلفى وآذان صمى بفضل ورحمة العزيز المنان الحكيم الوهاب خدمة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم- ، ودفاعاً ومنافحة عن قيمنا وتراثنا العزيز الذي سطره السلف الصالح من علماء هذه الأمة بأحرف من نور على جبين التاريخ. وذلك في وقت تتعرض فيه الأمة إلى شتى صنو ف الأذى من حروب وتقتيل وتشويه للحقائق وتلويث للسمعة بدءً من أعز ما تملك وأشرف ما تحمل مما تهون دونه الرقاب وترخص أمامه الأموال والأعمار والأحباب كتاب ربها العظيم الوهاب وشخص نبيها الكريم المنيب الأواب - صلى الله عليه وسلم- وبارك وتاب، ومروراً بكل القيم والسمات والأشخاص من الآل والأصحاب، ومن علم وعمل وعلّم وبحث واستجاب. تلكم القيم والسمات والأشخاص التي تشكل بمجموعها ذلك التراث الأغر والعلوم البهية والأفكار الغنية الذي تشرفت بحمله الأمة الأبية وفاضت أنهار

(1) موقع الدكتور المهندس خالد العبيدي على شبكة الانترنت (www.khalid-alubaidy.com).

الدماء الزكية من أجيالها وأبطالها وبحور العرق من علمائها ومفكريها لترسم للعالم طريق الخلاص وترسي مركب النجاة حاملة كل متعطش للحق لتزيل عنه غبار العبودية، فيستنشق هواء الحرية، ويجتاز بعد رحلة العناء الطرق الوعرة العصية ليجد نفسه في رحمة الله وجنانه وطيب وعبق نسيم كرمه ولطفه ومحبته وحنانه.

وهكذا بدأت مع مشاريع عصرية الدعوة والتي أسأل الله تعالى أن يمكنني من إيصال مفهومها إلى الناس ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، لأنني وجدت أن الدعوة لا تتحقق من خلال السرد التقليدي لآيات كتاب الله وسنة وسيرة الحبيب صلى الله عليه وسلام، أو من خلال استثارة المشاعر لتنزل الدموع وتتحسر على ذلك الماضي التليد ثم يخرج المرء من المسجد أو المحاضرة فتأخذه الحياة العولمية ليعود كما كان، أو من خلال استنهاض الهمم دون تقديم النموذج، بل من خلال جعل هم الدعوة حياة نحيا بها.

ولما كانت نمط الحياة التي نعيشها تختلف عن تلك في عصر التنزيل فإن من مفهوم (الإسلام دين لكل زمان ومكان) يقتضي أن نشمر اليد عن عمل دعوي عصري لأننا ببساطة لا نستطيع العودة لتلك الحياة من جهة ولا يمكننا أن نلغي النمط المعاشي الجديد من جهة ثانية إلا من خلال قولبته في إطار إسلامي ، وهذا ما نحاول وضعه في هذا المؤلف.

تحليل وتفكيك

لو أردنا أن نقسم الدعوة من حيث نوع المخاطب لقلنا أنها قسمين للذات أي للمسلمين وللآخر أي لغير المسلمين، فإذا كان الخطاب الدعوي الموجه للمسلمين تعتريه الكثير من النواقص رغم ما طرأ عليه من تقدم ملحوظ في النوع والكم في السنوات الآخيرة، فإن الخطاب الموجه للآخر يكاد يكون معدوماً تنظيراً وتطبيقاً عدا بعض المحاولات الخجولة التي لا ترتقي أن توضع في كفة ميزان التعادل والتكافؤ مع ما تتعرض له الأمة من هجمات وانتهاكات صارخة على جميع الأصعدة.

ولو أردنا تقسيم الدعوة من حيث التطبيق لقلنا أنها دعوة قولية أي محاضرات وكتب ومنشورات وبرامج مرئية ومسموعة، ودعوة عملية أي منهجية عمل وبرامج تنفيذية وتطبيقات ومشاريع على الأرض وفي صلب الواقع المعاش . ومرة أخرى إذا كان النوع الأول فيه من المنجزات الطيبة الكثير رغم ما يعتريه من النقص، فإن النوع الثاني يكاد يكون معدوماً عدا بعض الحالات المضيئة القليلة هنا أو هناك وهي بالتأكيد ليست جهداً جمعياً بل محاولات فردية لا يمكنها إيصال فعلها إلا لنطاق ضيق محدود.

ولو أردنا تقسيم الدعوة القولية لقلنا أنها تنقسم إلى مؤلفات ومحاضرات في ركائز الإسلام وعقائده والأخلاق والعبادت والمعاملات والسلوك والرقائق وعلوم القر آن والسيرة والحديث وغير ذلك لا تلبث أن تجمع في عقل المتلقي وتتفاعل مع روحه بعد أن تخرج من جعبة المحاضر السردية ومن ثم لا تفعل فعلها في الحياة إلا بالنزر اليسير بسبب هول الضغوط الحياتية العولمية المعاصرة التي تلقي بظلالها المحبطة والمظلمة على حياة الناس وتز يل أي بركة للوقت حتى وإن حرص الناس على الاستفادة منه في مرضاة الله ودعم نهضة الأمة ، وأخرى تتعلق بتطبيقات ومعايشات واقعية ببرامج سلوكية تحول السرد إلى واقع وتسقطه على الواقع المعاش وتنزله في حياة الناس ليتلاقح القصص التاريخي والنصح الإرشادي والحكمة الرقائقية مع طاقة الناس فيحولها لفعل داخل المجتمع.

وهنا نعود لنفس الحسرات السابقة لنقول إذا كان النوع الأول فيه من المنجزات الكثير ولدينا العمالقة والمنظرين والناصحين والبلغاء في ساحة الدعوة، لكننا في النوع الثاني نفتقر لدعاة مربين منفذين محللين مبرمجين مطبقين . وفي القديم قال أسلافنا العظام : (الناس هلكى إلا العالمون والعالمون هلكى إلا العاملون والعاملون هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم).

فمن يعمل جرد ومسح على وسائل الإعلام الإسلامية اليوم يصل لقناعة مؤلمة مفادها (أن العالم كله بواد وقنواتنا وإعلامنا ووسائل دعوتنا الإسلامية بواد آخر بل في كوكب آخر تماماً).

ويا ليت ذلك يعكس حال الأمة كما يزعم البعض لكنه بعيد كل البعد عن حال الأمة فنبض الأمة بخير وأمل الأمة كبير والمبشرات بقرب النصر عظيمة وواقع العالم ينبئ بإرهاصاته عن مولد فجر جديد للعالم، لكن هناك تقصير كبي ر وعظيم من عدة جهات لا تستغل تلك الطاقات والمبشرات والإرهاصات لتعمل على تحويلها لأثر فعل ملموس في حياة الأمة. فهكذا حال إعلامنا مثلاً مهينٌ لا يكاد يبين إلا في مساحات قليلة في مسرح الإعلام العالمي ومحاولاته لا تكاد ترى إلا في مجهر التمحيص بل لا يكاد أثر صوتها يسمع وسط كل تلك الجلبة المدوية الصاخبة.

العجيب، أن كل ذلك يحصل ونحن نصر بشكل محير ومثير للاستغراب على الأسلوب التقليدي نفسه وكأن مرآة النقد الذاتي لدينا قد قلبت او انكسرت أو ربما هي غير موجودة أصلاً، ثم نأتي ونقول ما الذي يحصل ولماذا نحن متخلفون؟!

علينا أن نخلع هذا الجلباب التقسيمي الت جزيئي والتخبطي العشوائي في إعلامنا ودعوتنا، وأن ننهض بالوحدة الدعوية والخطابية للآخر وللذات على مستوى الإعلام بأساليب مبدعة مبتكرة غير مبتدعة ولو على سبيل توزيع الأدوار وترتيب الأفكار ومنهجة المسار. وحتماً فإن ذلك لا يتأتى إلا بتخطيط وعمل وجهد ومال ودعم وفق أنماط غير تقليدية لأنك لو أردت التغيير عليك أن تمزج بين السرعة والدقة وهو أمر لا يتأتى حله بأسلوب تقليدي في التفكير بل بأسلوب عبقري غير نمطي وكما يقول آينشتاين: (إن المشكلات الكبيرة التي تواجهنا لا يمكن حلها بنفس مستوى التفكير الذي أدى إلى إيجاد تلك المشكلات نفسها)، ونحن نمتلك الأدوات لكن نفتقر لما يحولها لواقع ملموس.

هل تعتقدون أننا اليوم نقوم بما فيه الكفاية من الدعوة إلى الله تعالى، لو قمنا بدراسة إحصائية لما نحن عليه اليوم مما بإمكاننا استغلاله في الدعوة لديننا لا نج ده يتعدى 10% في أحسن الأحوال.

فهل الدعوة سرد قصصي فقط دون إسقاطٍ على أرض الواقع يتبعه استنباطٌ للحلول من فقه أسباب النزول وتقدير المواقف وفق كل ذلك؟ ! فهل كانت تتنزل الآيات على

النبي عليه الصلاة والسلام في قصص الأنبياء السابقين لمجرد أنها تسلية له عليه الصلاة والسلام فقط دون أن تكون تثبيتاً وتدبراً ومنهاج عمل وتطبيق يتبع ذلك؟!: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) [الأنعام: 90]، (وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) [هود: 120]، (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً) [طـــه: 99].

وهل الدعوة انحسرت على بضعة أشخاص من هذه الدولة أو تلك يعرضون بضاعتهم في هذه الفضائية أو تلك ولا يسمح لغيرهم بحجة أنهم من دول مركزية وهم قائمون على العلم دون غيرهم، أليست هذه جاهلية وعصبية وعنصرية بلباس إسلامي وبنمط عصري!!

ثم هل الدعوة فقط عرض مشاكل اجتماعية وأخلاقية لدول غنية وترك مشاكل الغالبية العظمى للمسلمين ممن هم في ضيق وعوز وظلم وفقر ومعاناة لا يعلمها إلا الله تعالى؟!. ثم أين نحن من المشاكل الكبيرة التي تواجه الأمة في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والفكر والتحليل والاستشراف والبحث العلمي والتربية والتعليم وحدث ولا حرج.. أليس هذا تنويم وتعويم وتذويب وتسطيح لما نحن عليه ولكن بأسلوب عصري!!

ثم لماذا حبست الدعوة في نطاق ضيق لا يتعدى كرسي ومنضدة وخطيب مفوه بلحية أو بغيرها في مسجد أو أمام كاميرا وأهمل العمل الدعوي الميداني التطبيقي في مسرح الحياة الكبير؟

وبعد، أين مفهوم توزيع الأدوار وترتيب الأطوار ومنهجة التغيير المنشود كي يعرف كل فرد في الأمة دوره وواجبه وأولوياته في الحياة كما كان حال السلف الصالح وأجيال الأمة الأولى العظيمة؟

فبالله عليكم، ماذا فعل الدعاة الأجلاء في عالمنا العولمي اليوم غير استنساخ الفضائيات الإسلامية وبرامجها حتى غدت بلا طعم ولا لون يميزها عن صويحباتها

ولا هدف واضح غير كلام إنشائي وخطب عصماء لا تسمن ولا تغني من جوع؟.. إذ هل يستطيع أحد أن يقول لنا ماذا نريد تحديداً؟

فهل نريد مثلاً أن نخلق أمة كلها حافظة للقرآن مطبقة للحروف ومضيعة للحدود ليصدق فينا حديث الن بي عليه الصلاة والسلام (سيخرج أقوام من أمتي يشربون القرآن كشربهم اللبن) [1]، فهل نريد أجيالاً تحفظ القرآن الكريم وتقيم الصلوات في المساجد وقلوب أهلها قلوب االذئاب مشبعة بالأنانية والتعالي والتكبر لا تعرف للإيثار طريقاً ولا للتضحية سبيلاً ولا للتواضع مكاناً ؟! فلقد انتشر الإسلام وانتصر بتضحيات النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله عنهم جميعاً رغم أن جلّ الصحابة لم يكن معه غير السورة والسورتان لكنهم كانوا جبالاً في التضحية وأنهاراً في العطاء وأسوداً في الإقدام. إذ ليست العبرة بكثرة عدد الحفاظ أو أن نجعل م ن التنافس في الحفظ هدفاً مركزياً بحد ذاته رغم أهمية ذلك في إرجاع الناس للقرآن واللغة القرآنية العربية الفصحى الجزلة الجميلة الأخاذة بما يسهم في منظومة الحفظ الألهي لكتابه الكريم، لكن الهدف المركزي هو الإحساس بكتاب الله تعالى وتحويله لمفردات حياة مثلما كان النبي عليه الصلاة والسلام قرآناً يمشي على الأرض كما تصفه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها.

ولعلك أخي القارئ الكريم تجد أن السنة النبوية العطرة تبين لنا كيف ربّ النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه على التنافس في القراءة والاستشعار والخشوع والتدبر لكتاب الله تعالى بما يشيع التطبيق الفعلي لتنفيذ الأوامر واجتناب النواهي سواء على مستوى

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [جزء 17، ص 297، رقم 821] عن عقبة بن عامر، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (1887) وفي صحيح الجامع رقم (3653). والحديث يعطي معنى كثرة الحفاظ والقراء دون استحصال الفائدة المرجوة من وراء ذلك، أي دون أن يؤتى ثمار أولئك الحفظة على الوجه ا لذي يتمناه النبي عليه الصلاة والسلام لأمته من مكانة ورفعة ونصرة وعز. ولعلنا نجد هذه المعجزة النبوية متحققة اليوم أمامنا متمثلة في حفظة كتاب الله تعالى في مسابقات القرآن الكريم، فيسأل الحافظ مئة سؤال في حفظ كتاب الله تعالى فيجيب وبامتياز، وهذا بلا شك أمر عظ يم، لكنه يسأل سؤالاً واحداً في المعنى فلا يعرف، فكان الأجدر أن نؤسس لحفظة فاهمين مدركين مطبقين متدبرين .. انظر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم للدكتور مصطفى مراد، ص (467–468).

الفرد أو الأسرة أو المجتمع بل وفي العلاقات الخارجية مع المجتمعات الأخرى . فكان التنافس في التضحية والإيثار والتواضع والتذلل للأخ مع الأنفة والشموخ للعدو فكان كل فرد في المجتمع يعرف دوره وواجبه وما هو مكلف به لخدمة الدعوة وتبليغ الرسالة وعملية التغيير المحلية والإقليمية والعالمية وليس الأمر هكذا خبط عشواء .

وقد أُثِرَ عن الصحابة الجلاء أنهم كانوا يقرأون الآيات العشر من السورة ولا ينتقلون للتي بعدها حتى يجعلونها منهجاً معاشاً في ح ياتهم، أي أنه عليه الصلاة والسلام ربطّ فيهم العقل وأعماله وإشغاله بآيات الله المكتوبة في كتابه وآياته المنظورة في كونه.

إذن ليست العبرة في الإكثار من الحفظة وأهل التجويد – رغم أهميته في منظومة الحفظ الإلهي لكتابه جل وعلا كما أسلفنا – دون تطوير ذلك إلى ما يس تفاد منه في الحياة العملية، بل العبرة في الإكثار من القراء والحفظة المتدبرين والمطبقين والمعتبرين كي تتحول الأمة بمجموعها من طور الصلاح إلى طور الإصلاح والتغيير نحو مرضاة الله تعالى . إذ لو اكتفينا بالحفظ دون التدبر والتطبيق نكون قد أقمنا سنة مندوبة في الحفـظ وتركنا فرضاً واجباً في التدبر كما يبين لنا كتاب الله تعالى في التعريف عن نفسه : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) [صّ: 29]، (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَ يْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) [النساء:82]، (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمد: 24]، وغير ذلك من آيات.. أليس ذلك كله مدعاة لتنويم العقول ولكن بنمط عصري؟!

وهكذا تجد أخي القارئ الكريم أننا عصرنّا [1] كل ما من شأنه تثبيط للهمم وتسطيح للمشاكل واستنهاض لقيم جاهلية وتعطيل للنهضة المرجوة منا شرعاً، دون أن نعصرن همّ الدعوة الحقيقية ونفقه سلم تدرجها ومراحل نموها فنجعلها حياة بكاملها كما كانت في عصور النهوض الحضاري للأمة.

---

1 من المصدر عصرنة أو عصرية.

إن الأمة تحتاج للنموذج أيها السادة الأ كارم، لا نحتاج لسرد قصصي ودغدغة للعواطف دون إسقاط على الواقع وفقه لما يجري حولنا إذ ليس الأمر كهنوتية إسلامية ليأتي لنا هذا الداعية أو ذاك فيحفظ لنا كتاباً أو مخطوطة ويسردها لنا مع دمعات تنهمر أمام الناس ويقول أني قمت بواجبي الدعوي.

إننا بحاجة لتقديم نموذج يفرض نفسه ليتشبث الناس به فيربطونه مع تاريخ الأمة ليحصل الاعتزاز المتسلسل والمتراكم مع تاريخ الأمة تماماً كما حصل مع كل نهضة للأمة أعقبت الكبوة التي سبقتها، فبروز نموذج مثل صلاح الدين الذي أعقب الكبوة في القرن الرابع والخامس الهجريين كان بعد صحوة للأمة و لكن لو لم يستغل صلاح الدين ذلك بمعونة من معه ويحول الحالة بل ويستغلها كسلم للصعود وتحقيق الإنجاز لما تحدث عنه أحد ولكان ذكره شبه معدوم ولاستمرت الأمة بالانحطاط رغم فورة الصحوة فيها، فتحويله الصحوة إلى إنجاز كان سبباً في انتشالها من التدهور . وكذا كان حال الأمة وقت انتشال بني عثمان لها من نزولها واستغلالهم لحال صعود فئوي مؤقت ربطوه بفقه واقعهم بشكل سليم وناضج ليحولوه إلى نهضة شاملة للأمة وفعل عظيم كانت ثماره تأسيس دولة إسلامية عظيمة فجاء فتح القسطنطينية كرد على نزول الأمة بعد سقوط الأندلس.

وهكذا تقرن الصحوات بالنموذج النهضوي فإن لم تقرن هذه بتلك لن يؤدي الأمر إلى نتيجة ترتجى ولظل الأمر حبيس الأمنيات وأحبار الصفحات. وهذا ما يعرف بسايكولوجية الأبطال أو سايكولوجية الإنجاز وهو باختصار فطرة الإنسان وحبه الأزلي للفوز والإنجاز ونيل مراتب العز والشرف في ميادين تصنع ال حضارة الإسلامية الشاملة المؤثرة المنافسة كالتجارة والصناعة والزراعة والتقنيات والعلوم والثقافة والمخترعات والإبداعات.

فما فائدة مئات وآلاف التحليلات والتنظيرات والطتب والمؤلفات مع نوم لهمم وإرادات التغيير عند أغلب الأمة، أو في أحسن الأحوال وجود الهمم والإرادات عند البعض مع عدم استغلال تلك الطاقات لتحويل ذلك لجهد جمعي يحول المسألة برمتها

لإنجازات؟، فهل نظل نقص القصص ونذكر فعل السلف دون برمجة لفعل واقعي حاضر استراتيجي مؤثر . فوالله الذي لا إله إلا هو لو بقينا مليون عام على حالنا هذا نعظ ونُذكِّر ونخطب ونستنكر أو نقدم برامج وعظية ونزمجر أو نغرد بروحانيات رائعة وواحات للشعر لما تغير حالنا إلا لمزيد من الضربات والنكسات وخسران الجولات وضياع الحقوق والمدن والبلدات وتمزيق للجهود وتبديد للثروات . فكما يقول الأستاذ الدكتور محمد جاسم السلطان: (رافعتا الدين والتأريخ لا تكفيان لانتشال الأمة ونهضتها بل تحتاج لإنجاز جديد نابع من داخلها ينقلها من طور الصحوة إلى طور النهضة).

المسألة إذن تماماً كحال سمك السلمون الذي يسبح عكس الشلال ليصل إلى مبتغاه فلديه الهمة والإرادة لتجاوز العقبات لكن قسماً منه ينجح فيحقق الإنجاز بوضع البيض واستمرار الحياة فيربط ماضيه بمستقبله في دورة حياة جديدة، لكن قسماً آخر لا ينجح رغم قوة إرادته فتخور قواه لتتحول طاقة الأمل عنده بحياة جديدة إلى انحسار وموت.

وهكذا حال الأمم إن لم تحسن تحويل الصحوة وهمة التغيير إلى إنجاز نهضوي لا يمكن أن تفرض حقيقة التغيير وتتوجمه إلى واقع ينجح بربط ماضي الأمة بحاضرها ويصنع مستقبلها، وهذا هو بالضبط مفهوم التغيير في كتاب الله تعالى : (..... إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) [الرعد: من الآية 11]. فلو تدبرنا الآية الكريمة وكيف أن إرادة السوء بالأمة لا تأتي من الله تعالى – حاشا له ذلك سبحانه- كما يفهم البعض من النص، لكن السوء يأتي بالأمة بعد أن لا يأخذوا بسنن التغيير ويحولوها لطاقة تفعيلية حقيقية وحركة إبداعية تنقذ حالهم من الفشل والتشرذم والضياع إلى النجاح والتوحد والرقي والفلاح.

نحتاج لأن يكون الدعوة هم نعيش فيه وأمل وحلم نحيا به لا مجرد محاضرة تستمطر الدمعات لتعود بعدها الآهات والحسرات على حال أمة القرآن أمة الحبيب عليه أفضل السلام والصلوات. فللمحاضرة الزهدية والأخلاقية والرقائقية تفعل فعلها في شحذ

الهمم فإن لم تجد متصرفاً لطاقتها انطفأت وانكفأت وكأن شيئاً لم يكن . وعليه نحتاج لكفتي الميزان الروحانيات وفعلها الشاحذ للهمم الموقد للطاقات تتبعها الأفعال والممارسات لتصريف طاقة الشحذ تلك نحو فعل خلاق مبدع يصعد بالأمة في سلم الترقي الحضاري.

فلماذا لا تنطلق الدعوة لكل مناحي الحياة بشكل يعطيها منزلتها ليعيش الجميع في كنفها ويدفع بها نحو النهوض للوصول إلى بر الأمان؟ فصرنا كذاك الذي عنده وليمة فيها من الطعام اللذيذ والأوان الفاخرة الجميلة فيتركها مركزاً على مجلة بقربه تتكلم عن تحضير الأكلات والوجبات فيستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

نحن يا سادة في سوق عالمية كبيرة للأفكار ولدينا بضاعة عظيمة بل وكنز من أغلى الأحجار الكريمة لكننا مع شديد الأسف لا نعرف كيف نعرض بضاعتنا بل نعرضها بشكل غير لائق وأحياناً غير مقبول وأحياناً أكثر منفر ثم نأتي ونقول هنالك تقصير.

نحتاج لعمل دعوي يبنى على الجهد الجمعي والجماعي في الدعوة وليس الفردي، نحتاج لتوزيع الأدوار والمهام والتخصصات بقلوب وعقول تنزع الأنا والفردية وتبعد العقد الشخصية فتلهث وراء التكافل والتكاتف والتظافر والعمل ال جماعي المؤسسي ليتحقق النصر والوعد الإلهي الخالد في كل زمان ومكان كما نجد ذلك في القرآن الكريم شاخصاً بصيغة التخاطب الجمعي العظيم (يا أيها الذين آمنوا ...)، وهو ما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه معه ومن بعده طيلة فترة الصعود الحضاري للأمة ومن ثم استنهاض تلك الهمم وتربية تلك القمم في كل صعود لاحق وعكسه تماماً حصل النكوص والنكوس.

نحتاج لزلزال إعلامي وعلمي بصرخات مدوية تبين للعالم كم هو أعمى إذا لم يتخذ من الإسلام منهجاً ينقذه من الهاوية والانجراف، ومن القرآن قبساً يستنير به من ظلمات الضلال والانحراف.

نحن لا نحتاج لدعاة ساردي قصص بل نحتاج إلى دعاة محللين استراتيجيين، اقتصاديين وسياسيين..

نحتاج إلى دعاة ذي عقلية موسوعية ونظرة شمولية تستقرئ وتستشرف وتحلل بمنظور عالمي لا منظور محلي أو إقليمي لا يتعدى نظرته إلى النقد دون إعطاء الحلول أو توضيح المنهج أو تفصيل التطبيقات أو تبيان مشكلة لدول هنا أو هناك دون النظر لقضايا الأمة الحقيقية.

نحتاج لتقديم الإسلام بصناعة متقنة جميلة تجلب لنا الناس ليدخلوا في دين الله أفواجاً..

نحتاج لمراكز بحثية ومراكز دراسات استراتيجية ومراكز استطلاعات للرأي..

نحتاج لكتاب وأدباء وعلماء وفنانين ورياضيين وإعلاميين ونقاد على أعلى مستوى بعقلية متفتحة مستنيرة ورؤيا إسلامية سليمة..

نحتاج لمؤسسات عمل إعلامية ضخمة تحوي كل الاختصاصات وتستقطب العقول المتمكنة والتخصصات العلمية والإعلامية الرشيدة..

نحتاج لمعارض ومهرجانات إسلامية..

نحتاج لاستثمارات ضخمة للدعوة، لِمَ لا؟ فذاك والله من ربح بيعه ونما ماله وفاز سعيه..

نحتاج لأن نكون أهل أفعال لا أصحاب ردود أفعال نظهر رؤوسنا على مسرح الأحداث فقط عندما تتعرض مقدساتنا للاستهزاء والتهكم فنستجيب بحماسة فورية غير مبرمجة ثم نفتر كذاك الذي يغفو ولا يصحو إلا عندما تلدغه الأفعى فلا يملك إلا أن يغير مكانه فقط وسط الأحراش المليئة بالكواسر والضواري..

نحتاج ونحتاج ونحتاج...

من أين نبدأ؟

لقد بنى الإسلام ترابطًا عضويًا بين علاقة الإنسان بربه وخالقه وبين علاقته بالآخرين من جهة أخرى في ثلاثية جميلة مختصرها : الخالق جل وعلا- الإنسان – البيئة. فحيث كانت العبادة بمفهومها الشامل كانت المعاملة بتطبيقها العادل وكانت الأخلاق

بشكلها الكامل وهكذا في منظومة رائعة أعطت لكل ذي حق حقه، فالخالق تعالى ومن يشاركنا على هذه الأرض من مخلوقات خيرها وشرها كلها تشكل منظومة الحياة وعليها تبنى النتائج والمآل لكل واحد منا.

والعلاقة بين الإنسان وربه تختصر في أمرين وهي قوله تعالى في أعظم سورة من سور كتاب الله تعالى وهي فاتحة الكتاب: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة : 5]، أي أن الإنسان مطالب بأمرين مترابطين لا ينفصمان فإن أوتيها ابن آدم فقد أوتي خيري الدنيا والآخرة واستمطرت له الرحمات والخيرات والنصرة استمطاراً وإن أوتي أحدهما فقد اختلت لديها المعادلة وإن حرمهما فقد حرم خيري الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، هذين الأمرين هما:

1) العبادة بمفهومها الشامل : وهي كل أمر أمر به الله تعالى من الخيرات والباقيات الصالحات وتطبيق شعائر الله من عبادات كالصلاة والزكاة والذكر والدعاء والصدقات والصيام والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير ذلك مما هو معروف من فرائض ونوافل بل هي كل نشاط يحقق مفهوم الاستخلاف في الأرض والتطبيق الكامل لمفوداته اليومية. إذ من الملاحظ أن كل تلك العبادات تأخذ مأخذ تنفيذ أوامر الله ولكنها في جوهرها وفلسفتها تطبيق لمنهج عملي تعاملي حياتي يومي اقتصادي واجتماعي وصحي وروحي وذهني وسياسي وفي كل مجالات الحياة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع بل والأسرة الدولية ، فهي فـي جوهرها أعمال تفاعلية إصلاحية تشمل طاعات وتطبيقات وشعائر تعبدية وسلوك وأخلاق ومعاملات . فمفموم الزكاة والصدقات شرعت لتطبيق التكافل والعدالة في توزيع الثروات واخراج النفس من شحها وبخلها وتزكية الأموال، والصوم شرع لنواحٍ صحية من جهة واجتماعية واقتصادية من جه ة أخرى تتعلق بإحساس المسلم بالجوع فيرق قلبه لجوع الفقراء فيتحنن عليهم لتزداد الرابطة بينه وبينهم ليبنى مجتمع متراحم متآصر، والصلاة صلة بين المرء وربه من جهة وفي حال الفارئض

فهي كذلك تجمع للناس في المساجد فتزيد ترابطهم وتآصرهم ليكونوا كالبنيان المرصوص، والدعاء للنفس والآخرين من القريب والبعيد رابطة أخرى تجمع الإنسان مع ربه من جهة ومع من حوله من جهة ثالثة، وهكذا . ويدخل ضمن مفهوم العبادات أيضاً تطبيق أمر الله تعالى في عمارة الأرض وفق منهج الله تعالى في مفهوم الاستخلاف وفيه مواصفات كاملة للتعامل مع البيئة والمخلوقات وفق صيغ غاية في الروعة والتناغم .. فالمسلم عبد في أجمل صيغ العبودية لربه وهو في نفس الوقت حر في أعلى صيغ الحرية المنضبطة مع غيره .. فالعبادة إذن هي كل نشاط يؤدي لتطبيق مفهوم الاستخلاف وما اؤتمن عليه ابن آدم في رحلته في هذه الحياة . لذلك فإن الدعوى القائلة بضرورة الاتباع دون التفكير ببواطن تلك التشريعات لعدم حاجتنا لها إنما هي دعوى لغلق وتعليق عمل جهاز كرم به ابن آدم على جميع خلق الله بل حتى على ملائكته فجعل مناط العلم والتعلم والتفكر والتدبر، ألا وهو العقل زينة بني آدم وعلة تكريمهم . بينما الدعوة للتأمل والتدبر والتفكر بعلة وسبب وروعة فكرة تلك التشريعات تعطي ثماراً أكبر فهي تقوي حجة الناس المؤمنية بربهم وتزيد تعلق كيان المتلقي و أحاسيسه بربه ودينه وتشريعاته من جهة، وتحرك مكامن العقل لاستحصال العلم فيزيد الإيمان ويقوى الحس المرهف المستجلب لتقوى الله فيحصل الإ خبات ومن ثم يزداد العمل مصداقاً لقوله تعالى : (.... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة: من الآية 282] وقوله تعالى : (وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ

قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾) [الحج: 54]..

والمتأمل لعبادة خير البرية عليه الصلاة و السلام ومن ثم عبادة خير القرون من بعده يجد أن تلك العبادات هي جزء من منظومة حركية تفاعلية مع ا لبيئة والأحداث وكل ما حولهم وليست صيغ حركية أو نشاطات معزولة عن واقع الحياة، فالصلاة والزكاة والحج والصيام والدعاء والتضرع وجميع أعمال الخير كلها إنما هي حصيلة تفاعل مع الآخر وإحساس بالآخرين من المحرومين والمظلومين ومواقف مع الناس وحشد لفعل الأمة في سبيل ع زها ورضا ربها وفق منظومة عمل جمعي يستمطر رحمات الله ويستجمع جهد الأمة ليصب باتجاه واحد وهو نصر الله والفتح.

لذلك كان كل من أوذي في الله تعالى وإن شيك بشوكة فله أجر وكفارة ولذلك كان فعل الصوم لمعرفة أخوة لنا حرموا نعمة الطعام ولذلك كانت أعمال الحج جهاد ولذلك كان خير الشهداء شهيد عند سلطان جائر لأنه وقف موقفاً عملياً، وللسبب نفسه فإننا نجد أن أضعف الإيمان هو من كان رفضه للباطل في قلبه وليس بفعله أو قوله وهو نفس السبب المعروف بأن هذه الأمة إنما هي أمة أمر بمعروف ونهي عن منكر ورفض للظلم والتبعية والهيمنة والآيات والأحاديث في ذلك أكثر من أن تذكر.

2) الاستعانة والتوكل : وهو العمل القلبي المكمل لمفهوم العبادة الشامل، وهو لعمري ما يفرق المسلم به عن غيره، فالمسلم يعمل في دنياه وهو يعلم أن الأمر بيد الله تعالى إن شاء وفقه له وإن شاء صرفه عنه، وهذا ما كان من عمل الأنبياء عليهم السلام الذين فهموا هذه الحقيقة ولم يلتفتوا لجمع الأعداء والمتربصين رغم أنهم أخذوا بالأسباب الدنيوية لكنهم اوكلوا نجاحهم لربهم وتبرءوا من حولهم وقوتهم لحول الله وقوته، والآيات في كتاب الله تعالى

وأحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام أكثر من ان تذكر، فمن يتوكل على الله فهو حسبه وكفايته من غيره وعلى الله فليتوكل المؤمنون المتوكلون، ومالهم ألا يتوكلون على ربهم وقد هداهم سبلهم وبين لهم طريق الحق فاتبعوه. والاستعانة ضد الاستكانة، فهي تقتضي العمل الجاد بالأسباب والنواميس وفق منهج واضح وتخطيط مسبق مع اليقين ال كامل مدعوماً بالدعاء بالتوفيق من عند الله مسبب الأسباب وخالق النواميس . وهكذا هي عقيدة المسلم الحق ومنهجيته في الحياة.

ولنا وقفات هنا أيها الأخوة الأكارم في تفاصيل مهمة تتعلق بهاتين النقطيتين ترتبط بحقيقة العبادة ومفهومها الشمولي ، وهي كما أسلفنا جميع الأعما ل التفاعلية الإصلاحية الشاملة والمحتوية على كل فعل أو قول أو نشاط أو حركة أو تفاعل يعمل خالصاً لوجه الله تعالى يراد به تنفيذ أمر الله تعالى في إعمار الأرض واستخلافه فيها بما يحب ويرضى ووجوب طاعته وتحكيم شرعه وإنفاذ أوامره ونقل عباده من الظلمات إلى النور في جميع المجالات بما في ذلك تجنب جميع المعاصي والمفاسد والمهالك والموبقات والنواهي وكل ما لا يرضاه جل وعلا.

وبطبيعة الحال تدخل الشعائر والأعمال التعبدية كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها ضمن المفهوم الشامل الأوسع للعبادة هذا. لكن رغم أن تلك الأعمال التعبدية وما يصاحبها من مفاهيم المعاملات ومكارم الأخلاق هي الأساس والركن الركين في تطبيق مفهوم الإيمان على الأرض بشكل واقع معاش تماماً كما عرفته سورة المؤمنين وآيات أخرى في كتاب الله تعالى ، تجد أن قوانين القرآن ونواميس الله تعالى في نهوض الأمم ورفعتها لا يقتصر عل ى تلك الأفعال مجردة بل تدخل تلك الأعمال التعبدية ضمن مفهوم العبادة الأشمل وهو الأخذ بأسباب النصرة والعزة والرفعة والتمكين. بمعنى أن تلك الأعمال التعبدية لو انعزلت عن المفهوم الأشمل للعبادة المقتضي للفهم والإدراك الكامل لحركة الواقع فإنها تنتج لنا نتاجات عل ى المستوى الشخصي وليس على مستوى النهضة الشاملة لمجموع الأمة . فيكون

الوصف أن الأشخاص يؤدون ما عليهم من طاعات وأعمال تعبدية دون أن يكون لهم أثر في التفاعل الشامل مع الأحداث وما يحصل لمجموع الأمة من تداعيات .

فالحصيلة هي بكل تأكيد ما نراه أمام أعيننا اليوم ألا وهي " فساد العلاقة أو الحالقة" و"التخبط والغثائية" و" العجز والكسل والتواكل" و"العصبية القطرية المنتنة " التي طالما حذرنا منها النبي عليه الصلاة والسلام [1] لتكون النتيجة ضياع الدين والفساد في الأرض والتدابر وضياع الحقوق وتكالب الأمم علينا تكالب الأكلة على قصعتها.

لذلك تجد أنه رغم أن الآيات القرآنية دائماً ما تحث على الأعمال والشعائر التعبدية والطاعات وتعظيم حرمات الله تعالى والخشوع والذكر والتذلل لله تعالى، فإن القصص والمثل القرآني ينحو منحىً آخر . فللمتأمل للقصص القرآني والأمثلة القرآنية يجدها دائماً ما تركز على أصحاب الأفعال الساندة والمواقف الدافعة لحركة التغيير والنهوض ونقل الناس من الظلمات إلى النور و الدعوة وتطبيق الشرع جنباً إلى جنب مع الاجتهاد في الأعمال التعبدية التي لا غنى عنها، ولم يذكر لنا كتاب الله تعالى ولا قصة واحدة عن أناس أو أقوام قاموا بالأع مال التعبدية مجردة ومعزولة عن فعل مؤثر أو داعم للنهوض والتغيير الإيجابي الفعال والدعوة والرسالة.

نعم أخوتي الأكارم، رغم أن تلك الأعمال التعبدية هي أساس التشريع والتكليف وأعمدة الدين وتجسيد للإيمان بالعمل لكن القسط الأكبر من قصص وأمثلة القرآن كانت لأصحاب المواقف العبادية التفاعلية الشاملة ولم تكن لأصحاب الأعمال التعبدية المجردة. فالقرآن الكريم والسنة المطهرة يركزان في قصصهما على أصحاب المواقف سواء أكانت إيجابية ناصرة للدعوة أم سلبية من الضد منها، لا على أصحاب العبادات المجردة، ودعونا نسوق لكم بعض الأدلة:

---

1 فأما الحالقة فحديث (الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) وهو حديث نذكر متنه وسنده لاحقاً، وأما الغثائية فمن حديث (لكنكم غثاء كغثاء السيل)، وأما العجز والكسل فاستعاذته عليه الصلاة والسلام منه ما في أدعيته المأثورة، وأما العصبية المنتنة فمن حديثه عليه الصلاة والسلام (دعوها فإنها منتنة).. وكلها أحاديث صحيحة موجودة في الصحيحين وبقية أهل السنن.

i. قصص الأنبياء جميعاً عليهم السلام كانت الدليل الأنصع على أن القصص القرآني يسرد قصصهم للاعتبار وهم كانوا أصحاب مواقف دعوية قمة في التفاني والعمل الجاد المفضي لنقل العباد من الظلمات إلى النور وكانت عباداتهم ضمن منظومة العمل الدعوي وليس معزولة عنه . فكانت أعمالهم التفاعلية التي هي العبادة الحقيقية تتضمن في داخلها أعمالهم التعبدية عملاً بمفهوم (إعقل وتوكل). ولو كانت العبادة تعني فقط تلك الأعمال التعبدية لكن الأنبياء عليهم السلام أول من قام بذلك فجلسوا يعبدون الله تعالى دون حراك وتفاعل مع الواقع ولداوموا على الدعاء دون العمل وهم مستجابوا الدعوة من ربهم جل وعلا، لكن حاشاهم أن يكونوا كذلك عليهم الصلاة والسلام جميعاً وحاشا لله أن يكون شرعه ونواميس كونه هكذا . بل أنهم كانت سننهم ومناهجهم ورسالاتهم دروساً نتعلم منها جميعاً أن العبادة هي العمل التفاعلي مع الواقع والأحداث جنباً إلى جنب مع العمل التعبدي الخالص لله وإيكال الحول والقوة إليه جل وعلا لا الجلوس للتعبد والتبتل فقط دون حراك واقعي وعمل دؤوب مدروس ممنهج، وأنها منهجية للتغيير والنهوض لا تخبط وعشوائية، وأنها توكل لا تواكل.

ii. كذلك كان سرد القصص القرآني لأقوام الأنبياء ممن كذ بوا الرسل فحق وعيد ومن ذلك قصص بني إسرائيل مع أنبياءهم ومواقفهم السلبية المنكرة الجاحدة ، إنما ضرب مثلهم لموقفهم المكذب للرسل، وكذلك حال المثبطين والمنافقين إنما ضرب مثلهم لموقفهم السلبي من الدعوة ونصرة الأنبياء أو موقفهم المساند لأصحاب المواقف المكذبة أو المداهن لهم.

iii. قصة مؤمن آل فرعون وهو صاحب الموقف المعروف من دعوة سيدنا موسى عليه السلام وكان يكتم إيمانه . قال تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ

يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) [غافر:28]، وقال جل وعلا : (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) [القصص:20]، وقال تعالى : (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد (38) يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار (39) من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب (40) ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار (41) تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار (42) لا جرم أنم ا تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار (43) فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد (44) فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب (45) النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب (46)].. [غافر: 38–46]. فالآيات تحدث عن نفسها [1].

iv. قصة رسل عيسى عليه السلام إلى قرية أنطاكيا في سورة يس وكيف كان موقف حبيب النجار وهو رجل سقيم مريض كما تقول التفاسير كان له موقف صدق به الرسل ودافع عنهم فعذبه القوم وقتلوه فسجل موقفه القرآن الكريم [2].

---

(1) انظر تفاسير تلك الآيات الكريمة في تفسير ابن كثير [جزء 3 – صفحة 199] وكذلك في تفسير القرطبي [جزء 15 – صفحة 278].

(2) انظر القصة في تفسير سورة يس كتفسير القرطبي [جزء 15 – صفحة 18] وكذلك تفسير ابن كثير [جزء 3 – صفحة 749].

v. قصة موقف أصحاب الأخدود وقاتليهم في سورة البروج.

vi. قصة موقف أصحاب الكهف في سورة الكهف وهربهم بدينهم فكانت حركتهم تلك وإخلاصهم فيها بداية إنقاذ أهل قريتهم من الوثنية إلى التوحيد ولو بعد حين.

vii. قصة أصحاب الجنة في سورة نون، وقصة صاحب الجنة الكافر ومحاوره المؤمن في سورة الكهف.

viii. قصة الثلاثة الذين خلفوا عن اللحاق بمعركة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهم كما قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد : الثلاثة الذين خلفوا أي عن التوبة وهم مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد كسلا وميلا إلى الدعة والحفظ وطيب الثمار والظلال لا شكا ونفاقا فكانت منهم طائفة ربطوا أنفسهم بالسواري كما فعل أبو لبابة وأصحابه وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون فنزلت توبة أولئك قبل هؤلاء وأرجي هؤلا ء عن التوبة حتى نزلت الاية الاتية وهي قوله : { لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار }، الآية، وقوله تعالى: { وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت }، الآية. وقوله تعالى: { إما يعذبهم وإما يتوب عليهم }، أي هم تحت عفو الله إن شاء فع ل بهم هذا وإن شاء فعل بهم ذاك ولكن رحمته تغلب غضبه ، { والله عليم حكيم } أي عليم بمن يستحق العقوبة ممن يستحق العفو حكيم في أفعاله وأقواله لا إله إلا هو ولا رب سواه [1]. وهؤلاء رغم أنهم من أهل العبادات لكن موقف سلبي واحد منهم جعل قصة تخلفهم ومن بعدها قصة توبة الله عليهم تتلى إلى يوم القيامة.

---

(1) تفسير ابن كثير [جزء 2 – صفحة 510].

ix. ولدينا قصة صحابي شهد بدراً وهو حاطب بن أبي بلتعة قام يوم فتح مكة بإرسال رسالة لأهله يستجلب بها عطف قريش عليهم مخافة أن يفتكوا بهم ولم يقصد خيانة الإسلام ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، ولكن فعلته كانت بمثابة خيانة عظمى بمفهوم اليوم بل بمفهوم جميع العصور لكن الرحمة المهداة والنعمة المسداة قال لعمر رضي الله عنه الذي أراد ان يقطع رأسه دعه يا عمر فلعل الله قد اطلع على أهل بدر وقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم . فعن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها). فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب فأجرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا حاطب ما هذا). قال يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت أمرأ ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد صدقكم). قال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق قال (إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) [1].. ولعل في

---

(1) صحيح البخاري [جزء 3 – صفحة 1095 ، 2845]، وجاء بأرقام [2915، 3762، 4025، 4608،

قصة هذا الصحابي البدري وما كان من أمره قبيل فتح مكة عبرة عظيمة ، فلقد أتى بجرم كبير و فعل فعلة كبيرة شائنة عظيمة لعلها في مفهوم عصرنا الراهن تندرج تحت طائلة الخيانة العظمى الموجبة للإعدام، لكن الله تعالى حفظ له موقفه يوم بدر فكانت الجائزة أن ذلك الموقف جوزي بأن يمحو كل فعلة بعده حتى وإن كانت تبدو كأنها خيانة عظمى. وكيف لا، وموقف يوم بدر موقف يشهد للصحابة لأنهم خرجوا أصلاً للسيطرة على قوافل قريش القادمة من الشام بقيادة أبو سفيان بعدما منعت قريش عن المهاجرين كل ممتلكاتهم في مكة واستولت على أموالهم المنقولة وغير المنقولة وفق مصطلحات العصر الحديث وفرضت عليهم حصاراً ومقاطعةً جائرين، لكن الله تعالى أراد أن تكون ذات الشوكة لهم أي الحرب رغم أنهم لم يكونوا قد استعدوا نفسياً ومادياً لها ولكنه الاختبار الإلهي ونجح فيه أهل بدر أيما نجاح وقالوا للمصطفى عليه الصلاة والسلام قولتهم الشهيرة بالإجماع: " والله لو خضت بنا البحر لخضناه معك ولا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى إذهب أنت وربك فقاتلا أنا ها هنا قاعدون بل نقول لك إذهب أنت وربك فقاتلا وإنا معكما مقاتلون" [1]، فكانت النتيجة نصر وفتح وتثبيت وعز في الدنيا ومغفرة من الله ورضوان وجنات النعيم في الآخرة، ومهما فعلوا بعد ها من ذنوب فإن الله غافرها لهم كما يبين لنا الحديث الصحيح .. فياله من موقف عظيم وياله من أجر جزيل كريم من رب غفور رحيم.

5904، 6540]. وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم رقم 2494. قال سفيان وأي إسناد هذا، أراد تعظيم هذا الإسناد وبيان صحته وقوته لأن رجاله هم العدول الثقات الحفاظ .. يقول أهل الشروح في معاني الحديث : (روضة خاخ) هو موضع بين مكة والمدينة ، (ظعينة) المرأة في الهودج وقيل المرأة عامة واسمها سارة وقيل كنود ، (تعادى بنا) تباعد وتجاري، (عقاصها) هو الشعر المضفور، (ملصقاً) مضافاً إليهم ولست منهم وقيل معناه حليفاً ولم يكن من نفس قريش وأقربائهم ، (يداً) نعمة ومنة عليهم، (اطلع) نظر إليهم وعلم حالهم وما سيكون منهم .

1 أنظر القصة كاملة في كتب السير كسيرة ابن هشام والروض الأنف والبداية والنهاية وغيرها.

x. قصة الراعي الأسود وموقفه في دعم المسلمين يوم خيبر أدخله الجنة وهو لم يصل قط ورغم أن نيته الأصلية لم تكن حباً في المسلمين وإنما بغضاً في اليهود وفعالهم إلا أنه أصلح نيته بدعاء النبي عليه الصلاة والسلام فدخل المعركة وقاتل واستشهد فكان من أهل الجنة كما أخبر النبلي عليه الصلاة والاسلام [(1)]. هذا الأجر جاء من موقف حازم دعم فيه هذا الرجل دين الله وقضية الدعوة والرسالة فكان أن نال جزاء الجنة لأنه ضحى بحياته في سبيل الله ولم يُصلِّ في حياته ولا ركعة لكن قلبه عمر بإيمان عظيم جسده في موقف تضحية عظيم.

xi. قصص ومواقف روتها لنا االسنة الصحيحة تبين لنا مواقف متضادة متعاكسة إيجابية مصلحة وسلبية مفسدة، فأما المفسدة منها مثل ما كان من قصة الموقف السلبي أو المفسد لتلك المرأة التي دخلت النار في هرة فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، الحديث [(2)]، ذلك لأن الله تعالى لا يحب الفساد.

---

1 القصة تقول كما في زاد المعاد [جزء 3 – صفحة 283]، وانظر السيرة النبوية للندوي (ص 315): جاء عبد أسود حبشي من أهل خيبر كان في غنم لسيده فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الذي يزعم أنه نبي فوقع في نفسه ذكر ا لنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل بغنمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماذا تقول وما تدعو إليه ؟ قال : [أدعو الى الإسلام وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن لا تعبد إلا الله] قال العبد : فما لي إن شهدت وآمنت بالله عز وجل ؟ قال : [لك الجنة إن مت على ذلك] فأسلم ثم قال : يا نبي الله ! إن هذه الغنم عندي أمانة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : [أخرجها من عندك وارمها بالحصباء فإن الله سيؤدي عنك أمانتك] ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها فعلم اليهودي أن غلامه قد أسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فوعظهم وحضهم على الجهاد فلما التقى المسلمون واليهود قتل فيمن قتل العبد الأسود فاحتمله المسلمون إلى معسكرهم فأدخل في الفسطاط فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع في الفسطاط ثم أقبل على أصحابه وقال : [لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير ولقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين ولم يصل لله سجدة قط].. قال حماد بن سلمة : عن ثابت عن أنس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله ! إني رجل أسود اللون قبيح الوجه منتن الريح لا مال لي فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أأدخل الجنة ؟ قال : نعم فتقدم فقاتل حتى قتل فأتى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقتول فقال : [لقد أحسن الله وجهك وطيب ريحك وكثر مالك] ثم قال : [لقد رأيت زوجتيه من الحور العين ينزعان جبته عنه يدخلان فيما بين جلده وجبته].

2 أخرجه الشيخان ولفظ صحيح مسلم [جزء 2 – صفحة 622 ، رقم 904] عن عطاء عن جابر بينما في لفظ صحيح البخاري [جزء 1 – صفحة 260 ، رقم 712 وانظر الأحاديث: 86 و 2235] جاء عن أسماء بنت

وعلى العكس منها قصة الموقف الإيجابي المصلح لذلك المؤمن الذي رآه النبي عليه الصلاة والسلام يتقلب في نعيم الجنة لأنه أماط شجرة كانت تقف حجر عثرة في طريق المسلمين ، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس) [1]، ومعنى (يتقلب في الجنة) كما يقول الشراح أي يتنعم في الجنة بملاذها بسبب قطعه الشجرة ... ولعل الآثار والقصص التي جاءت في السنة الصحيحة في هذا الباب كثيرة كلها تشير أما لأجر كبير من الله تعالى ورضا وفوز لأناس عملوا قليلاً في مواقف معدودة لكن موقفهم كان عظيماً في دعم الرسالة والدعوة وترسيخ أسس الفضيلة والرحمة والخلق الكريم وتطبيق منهج الله تعالى في أرضه وعباده وتحقيق الخلافة التي أرادها الله تعالى لعباده في أرضه، أو لأناس دخلوا النار وحازوا غضب الجبار جراء عمل رأوه مقبولاً لكنه كان عند الله عملاً عظيماً في الإثم وموقفاً خطيراً في الأثر المفسد على عباده وخلقه حتى وإن كان على حيوان مستحقر . يقول تعالى مبيناً تلك المعاني الجليلة السامية: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ

أبي بكر: أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الكسوف فقام فأطال القيام ثم ركع فأطال الركوع ثم قام فأطال القيام ثم ركع فأطال الركوع ثم رفع ثم سجد فأطال السجود ثم رفع ثم سجد فأطال السجود ثم قام فأطال القيام ثم ركع فأطال الركوع ثم رفع فأطال القيام ثم ركع فأطال الركوع ثم رفع فسجد فأطال السجود ثم رفع ثم سجد فأطال السجود ثم انصرف فقال (قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقط اف من قطافها ودنت مني النار حتى قلت أي رب وأنا معهم ؟ فإذا إمرأة – حسبت أنه قال – تخدشها هرة قلت ماشأن هذه ؟ قالوا حبستها حتى ماتت جوعاً لاأطعمتها ولا أرسلتها تأكل – قال نافع حسبت أنه قال – من خشيش أو خشاش الأرض.. قال الشراح: (دنت) قربت. (اجترأت) من الجراءة وهي الجسارة. (بقطاف) عنقود. (تخدشها) تقشر جلدها. (خشاش) حشرات وهوام الأرض.

1 صحيح مسلم [جزء 4 – صفحة 2020 ، رقم 1914].

عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾) [البقرة: 204–207].

xii. بل أن الدعاء المأثور عن النبي عليه الصلاة والسلام جاء أغلبه بصيغة الجماعة ليعلمنا مفهوم التفاعل مع الغير وإشراك الآخرين في خير الدعاء كموقف يسجل لذوي الإحساس المرهف والإيثار العظيم ، ومعلوم أن الدعاء لعامة المسلمين مندوب ويؤمن على الداعي من الملائكة فيقولون ولك بمثله [1]. وفي نفس الوقت لا ينسى الدعاء والتوكل على الله تعالى في جميع الأحوال وبالذات في حال الرخاء فهو من مفاتيح الإجابة وتفريج الكربات عند الشدائد ، ف عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء) [2].

---

1 جاء في سنن ابن ماجه [جزء 2 – صفحة 966 – 2895] عن صفوان بن عبد الله بن صفوان قال وكانت تحته ابنة أبي الدرداء، فأتاها فوجد أم الدرداء ولم يجد أبا الدرداء، فقالت له تريد الحج العام ؟ قال نعم ، قالت فادع الله لنا بخير ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول (دعوة المرء مستجابة لإخيه بظهر الغيب ، عند رأسه ملك يؤمن على دعائه كلما دعا له بخير قال آمين ولك بمثله). قال: ثم خرجت إلى السوق فلقيت أبا الدرداء، فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك .. ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام (دعوة المرء مستجابة) أي بغير حج فكيف إذا كان حاجاً.. قال الشيخ الألباني : صحيح.

2 مسند الشاميين [جزء 3 – صفحة 166 ، 2004].. قال المحقق حمدي بن عبد ال مجيد السلفي : ورواه المصنف في الدعاء والحاكم (1 / 544) من طريق عبد الله بن صالح به وصححه ووافقه الذهبي وله طريق أخرى عند الترمذي والمصنف في الدعاء ومن طريق الحاكم رواه ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد (2 / 131

xiii. بل جعلت مواقف التفاعل مع الآخرين والإحساس بمعاناتهم والتفريج عنهم باباً من أبواب مرضاة الله تعالى والجنة، فعن عبدالله بن أبي قتادة: أن أبا قتادة طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال إني معسر فقال آلله ؟ قال ألله قال فإ ني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه) [1].. قال شراح الحديث: (فقال آلله قال ألله) الأول قسم سؤال أي أبالله ؟ وباء القسم تضمر كثيراً مع الله قال الرضى وإذا حذف القسم الأصلي أعني ال باء فالمختار النصب بفعل القسم ويختص لفظة الله بجواز الجر مع حذف الجار بلا عوض وقد يعوض عن الجار فيها همزة الاستفهام أو قطع همزة الله في الدرج .. (كرب) جمع كربة وهي الغم الذي يأخذ بالنفس.. (فلينفس) أي يمد ويؤخر المطالبة وقيل معناه يفرج عنه.

xiv. لذلك تجد أن مواقف الصحابة في دعم ومساندة الدين كانت دليل إيمانهم ومحط أنظارهم وأخذت جل اهتمامهم ربما أكثر من الشعائر والأعمال التعبدية المجردة، وقد تجلى ذلك من خلال تضحياتهم وتبرعاتهم المالية والعينية والنفسية وجهادهم في المواقف والأقوال والأفعال والمعارك الحاسمة في تار يخ المسلمين كيوم بدر وأحد وتبوك ويوم حنين ويوم خيبر والأحزاب وغيرها مما كان في الفتوحات الإسلامية وحروب الردة فكانوا كما وصفهم ربهم جل وعلا سابقين في الخيرات والصالحات: (أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١) [المؤمنون: 61]. ولعلك أخي القارئ الكريم تجد ذلك واضحاً في الخطاب

) ورواه من طريق شهر الذي رواه به الترمذي ابن ع دي (5 / 1990) وعبد الغني المقدسي في الدعاء (144 – 145) وابن عساكر (3 / 183 / 1) والحديث بالطريقين حسن.. في العنوان في المخطوطتين عن ابن عمر الألهاني وفي الإسناد فيهما عن أبي عمران الألهاني وكلاهما خطأ إنما هو أبو عامر الألهاني.

1 صحيح مسلم [جزء 3 – صفحة 1196 ، رقم 1563].

القرآني ليبين لنا حقيقة أن العمل إنما هو فعل جماعي تفاعلي إيجابي عنوانه إيماني إسلامي جامع لا فردي انعزالي أو طائفي أو فئوي أو إقليمي أو عشائري قبلي أو وطني أو قومي . وهنا نطرح تساؤل : ترى بم كان ذاك الثناء القرآني والنبوي لجيل الصحابة هل كان بكثرة عبادتهم ؟! فكم كان من الصحابة حافظاً للقرآن نسبة لعدد الصحابة؟ وكم كان منهم يؤدي النوافل على وجهها الأكمل نسبة للآخرين؟ الجواب قلة منهم لكنهم كانوا جبالاً في مواقفهم في مساندة المصطفى عليه الصلاة والسلام حتى دعى ل لأنصار منهم يوم فتح مكة بأن يرحمهم الله تعالى وأجيالهم حتى قيام الساعة .. وإذن الجواب هو وببساطة: بل كان ذلك بمواقف وقفوه ا مع الحبيب عليه الصلاة والسلام كان له ا الأثر الأكبر في دعم الدعوة ونصرة الدين وتطبيق الشريعة وتحكيمها مع أعمال تعبدية على قدر استطاعتهم وحالهم. يقول تعالى في تبيان موقف المهاجرين والأنصار وتعريفهم بأنهم المؤمنون حقاً لأن فعلهم كان موقفاً داعماً ناصراً ولم يكن خطباً وشعارات ومحاضرات أو لم يكتف بالعبادات والدعوات بل كان تضحيات ومعاناة حتى جاء الفتوح من الله والانتصارات : (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾) [الأنفال: 74]. بل إنك تجد أن بعض الصحابة لم يكن صاحب نوافل إنما اكتفى بالفرائض لوحدها ولم يزد عليها [(1)]، فكان النبي عليه

---

1 جاء في صحيح البخاري [جزء 2 – صفحة 506 ، 1333] عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة . قال (تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان) . قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا .

الصلاة والسلام يطلب من أصحابه أن ينظروا لوجهه لأنه من أهل الجنة. والآخر كان ينام ولم يكُ في قلبه مثقال ذرة من كره لخلق الله فنال منلة عظيمة غبطه عليها العديد من الصحابة . وتجد أن النبي عليه الصلاة والسلام يطلب من أبي بكر وعمر أن يبحثوا عن رجل عاش في زمن النبي عليه الصلاة والسلام ولم يره لأنه من أهل اليمن حبسه حابس عن القدوم للنبي عليه الصلاة والسلام، وهو أويس القرني، فإن وجدوه فليطلبوا منه أن يدعي لهم، ترى بم كان ذاك ؟ ألكثرة أعمال تعبدية مجردة؟! بل لأنه كان مؤمناً بالنبي عليه الصلاة والسلام وكان باراً بأمه حق البر فاستحق تلك المنزلة العظيمة (1).

xv. والأكثر من ذلك تجد أن الشارع الحكيم يبين لنا أن لا صلاة ولا أي عمل تعبدي آخر يوازي فساد العلاقة بين المسلمين وافتراقهم والعداوة بينهم. فعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ " قالوا بلى يارسول الله قال " إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحالقة . " (2). وعن أبي هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إياكم

فلما ولي قال النبي صلى الله عليه وسلم (من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا .. قال الشراح: الأعرابي قيل هو سعد بن الأخرم، (المكتوبة) المفروضة وهي الصلوات الخمس، (نفسي بيده) أي أقسم بالله الذي حياتي بأمره. (سره) أحب.. وقال البخاري: حدثنا مسدد عن يحيى عن أبي حيان قال أخبرني أبو زرعة عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا .. والحديث أخرجه مسلم في الإيمان باب بيان الذي يدخل به الجنة رقم 14.

1 جاء في صحيح مسلم [جزء 4 – صفحة 1968، رقم 2542] عن أسير بن جابر : أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر هل ههنا أحد من القرنيين ؟ فجاء ذلك الرجل فقال عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم.

(2) سنن أبي داود [جزء 2 – صفحة 697 ، 4919].. قال الشيخ الألباني : صحيح.

وسوء ذات البين فإنها الحالقة [1]. وفي لفظ آخر عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة [2]. وعن يحيى بن أبي كثير عن يعيش بن الوليد أن مولى الزبير حدثه أن الزبير بن العوام حدثه أن النبي صلى الله عليه وسل م قال : دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم ؟ أفشوا السلام بينكم [3].. وجاء في موطأ الإمام مالك قال [4]: أخبرنا مالك أخبرنا يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول (1) : ألا (2) أخبركم أو أحدثكم أو (3) أحدثكم بخير من كثير (4) من الصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى (5) قال : إصلاح ذات البين (6) وإياكم والبغضة (7) فإنما هي الحالقة (8) [5]. وأي فساد في العلاقة أكثر مما نجده اليوم من تدابر وتباغض وتحاسد وتعصب وفي أقل تقدير قلة تعاطف دب بين المسلمين مع شديد الأسف.

---

(1) سنن الترمذي [جزء 4 – صفحة 663].. قال أبو عيسى هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه ومعنى قوله وسوء ذات البين إنما يعني العداوة والبغضاء وقوله الحالقة يقول إنها تحلق الدين .. قال الشيخ الألباني : حسن.

(2) سنن الترمذي [جزء 4 – صفحة 663 ، 2509].. قال أبو عيسى هذا حديث صحيح ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين .. قال الشيخ الألباني : صحيح.

(3) سنن الترمذي [جزء 4 – صفحة 664 ، 2510].. قال أبو عيسى هذا حديث قد اختلفوا في روايته عن يحيى بن أبي كثير فروى بعضهم عن يحيى بن أبي كثير عن يعيش بن الوليد عن مولى الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكروا فيه عن الزبير .. قال أبو عيسى هذا حديث صحيح .. قال الشيخ الألباني : حسن.

(4) الموطأ – رواية محمد بن الحسن [جزء 3 – صفحة 321، 866].

5 قال الشراح لمعاني الحديث: (1) قوله: يقول ألا أخبركم هذا موقوف على سعيد عند جميع رواة "الموطأ " إلا إسحاق بن بشر وهو ضعيف فإنه رواه عن مالك عن يحيى عن سعيد عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم. رواه الدارقطني عن يحيى عن سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسلا . وأخرجه

بل إن المتأمل لأصل البناء الشرعي للمجتمع المسلم أفراداً ومجموعة سواء في بداية الدعوة الشريفة أو في كل وقت نزول مر على الأمة يجده كان تدريجياً يبدء من تغيير الاعتقاد الباطل نحو الاعتقاد السليم، ثم ترسيخ الاعتقاد الحق في النفوس، ثم بناء الشخصية المسلمة الصابرة المحتسبة القوية المتوكلة العاملة عن طريق الأعمال التعبدية والطاعات والمعاملات والسلوك والأخلاق . فمغزى الصلاة مثلاً هو أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي والظلم بين الناس لأنها تعلق الناس بربها فتخافه وتتقه وتتنافس لمرضاته، وهكذا لبقية الشعائر التعبدية، لينتهي المطاف بمجتمع صالح مصلح يسعى للتغيير والنهوض في حركة دؤوبة دائمة تشبه حركة خلية النحل لا تكل ولا تمل ولا تضيع الوقت ليكون قمة ذلك البناء ما يعرف بـــ (الجهاد) الذي هو سنام الأمر كما عرفه المصطفى عليه الصلاة والسلام . والجهاد يقصد به (جهاد التغيير والإصلاح) بكل أشكاله التي فصل فيها أهل العلم سواء العامة منها (المالية والنفسية والمعنوية والمادية) أو التفصيلية (بالدعاء والدعم والقول والقلم والفكر والعلم والأدب والفن والمال والإعلام والسلاح وغير ذلك).

فالمقصود إذن من كل ذلك البناء الفردي والمجتمعي المتدرج عقدياً وتعبدياً وتعاملياً وسلوكياً وأخلاقياً كي نحصل في النهاية على نتيجة فاعلة في حركة التاريخ وصناعة الحضارة لتكون الحصيلة جبالاً بشريةً شماء تسعى للإصلاح والتغيير والنهضة لكل ما حولها وتبني حضارة الحق والإيمان والفضيلة والخير . وليس المقصود من البناء

البزار من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعا . وأخرجه البخاري في " الأدب المفرد " وأحمد وأبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي الدرداء مرفوعا كذا ذكره ابن عبد البر وغيره .. (2) حرف تنبيه.. (3) شك من الراوي .. (4) أي بأكثر ثوابا من كثير من العبادات النافلة .. (5) أي أخبرنا.. (6) قوله: إصلاح ذات البين أي إصلاح الحال التي بين الناس وأنها خير من نوافل الصلاة وما ذكر معها قاله الباجي. وقال غيره : أي إصلاح أحوال البين حتى تكون أحوالكم أحوال صحة وألفة أو هو إصلاح الفساد والفتنة التي بين الناس لما فيه من عموم المنافع الدينية والدنيوية . وفي " المغرب " قولهم : إصلاح ذات البين أي الأحوال التي بينهم وإصلاحها بالتعهد والتفقد ولما كانت ملابسة للبين وصفت به فقيل ذات البين .. (7) بكسر الباء وسكون الغين تأنيث: شدة البغض.. (8) قوله: فإنما هي الحالقة في رواية يحيى: فإنها هي الحالقة أي الخصلة التي شأنها أن تحلق أي تهلك وتستأصل الدين كما يحلق الموسى الشعر. قال الباجي : أي أنها لا تبقي شيئا من الحسنات حتى تذهب بها.

الشرعي للشخصية المسلمة هو الوقوف عند نقطة العمل التعبدي لذاته وأدائه المجرد مع بقاء المجتمع ساكناً جامداً غير متفاعل لا يهمه إلا زيادة الجمع والتملك واستحصال الأموال بأي ثمن وصرفها في غير مرضاة الله تعالى فيكون دولة بين الأغنياء منا ويحصل التنافس على الشهوات والملذات ، وتجميع الملايين والمليارات لتصرف جلها على إقامة الحفلات والسهرات ، وإشاعة السفرات والسمرات ، والتطاول في العمارات والناطحات، وزيادة واليخوت وال خيول والسيارات والطائرات، والتبارز في عدد الخادمين والخادمات والسائقين والسائقات، وتشجيع المرابين والمرابيات!، فصدق الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام حين قال: (إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال) (1)، وقوله الآخر عليه الصلاة والسلام : (إن هذا الدرهم والدينار أهلكا من قبلكم وهما مهلكاكم) (2).

أي ليس المعنى والمراد والمقصود من ذلك البناء الإسلامي للفرد والمجتمع هو خلق مجتمع مؤدي للفرائض والطاعات مع قلوب خاوية قاسية وسلوك م نحرف أو غير منضبط، أو البقاء دون فعل التغيير والنهوض والإصلاح، إذ: (۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾) [النساء: 114].. فإن رضي القوم ب بقاء البناء ناقصاً هكذا دون إكمال ب قية أدوار البناء

1 أخرجه الترمذي [ج4، ص 569، رقم 2336] عن كعب بن عياض، وقال أبو عيسى هذا حديث صحيح غريب. وأخرجه الحاكم في المستدرك [ج4، ص 354، رقم 7896] وقال عنه الذهبي في التلخيص : صحيح. وأخرجه ابن حبان في صحيحه [ج8، ص 17، رقم 3223] وقال عنه شعيب الأرناؤوط : إسناده قوي. وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (2148).. وانظر كذلك معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم للدكتور مصطفى مراد، ص (469).

2 أخرجه ابن حبان في صحيحه [ج 2، ص 469، رقم 694] عن أبي موسى الأشعري ، وقال عنه شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه البيهقي في الشعب والطبراني في الكبير . الحديث كذلك في مسند البزار ومصنف ابن أبي شيبة وحلية الأولياء . وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (2245).. وانظر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم للدكتور مصطفى مراد، ص (469).

لاستحصال نتائجه المجربة سابقاً كما كان حال بناء الصحابة والتابعين وفرسان الأمة وعلماءها في الأجيال الأولى وما لحقهم، وبالتالي الاكتفاء بجال الوقوف هذا عند فعل الأعمال التعبدية المجردة، فإن النتيجة الحتمية هو ما نراه اليوم من جهود تعبدية هي عند الله تعالى محمودة مرضية بإذنه جل وعلا على مستوى الأفراد، ولكن غثائية وذل وهوان وانتكاس على مستوى الأمة وحقوقها وهيبتها ومكانتها بين الأمم. وربما سنكون نحن المسؤولون عن كل ذلك أمام الملك الديان، فنحاسب على ما حصل في الآخرة حساباً يحبط أعمالنا التعبدية أو يزيل عنا الحسنات المكتسبة من كل فعل تعبدي فردي أو جماعي. ذلك لأن الأمة جميعها محاسبة إذا قصر بعضها خصوصاً في أمر جلل ألا وهو نصرة المستضعفين وإرجاع حق المظلومين والمنكوبين وتنفيس هم المهمومين ودفع نوايا الظالمين وكبت أفعال الحاقدين ورفعة الدين ووحدة كلمة المسلمين.. والله المستعان.

وكملخص مما سبق تجد أنه يمكن تقسيم الأمر إلى ثلاثة أقسام:

1) إن كان العمل التعبدي مجرداً دون أن يكون هناك عمل تفاعلي مع الأحداث والبيئة والناس وهموم الأمة ومعرفة كل فرد من الأمة أو من يقوم بدور النهضة فيها لدوره وفق منهجية واضحة و عمل دؤوب فإن الأجر الأخروي مضمون للفاعلين كأفراد ومجموعات كما يبين لنا الشرع الحكيم، لكن النتيجة على مستوى الأمة لن تكون مرضية فلن تكون هناك نهضة ولا عز ولا تمكين وربما تحاسب يوم القيامة على تقصير بعضها في نصرة البعض أو تمكين عدوها من النيل من أخوة لهم في الدين والعقيدة أو المساهمة في تأخر نهضتها وتقطيع أواصرها والنكوص والتقاعس والتقصير في تمكينها.

2) إن كان العمل التفاعلي حاضراً بضمنه العمل التعبدي ووضع منهجية لتوزيع الأدوار وترتيب الأطوار، فأن النتيجة هي عز في الدنيا ونصر وتمكين وصعود حضاري مع فلاح في الآخرة ورضوان من الله أكبر.

3) إن كان العمل التفاعلي موجوداً دون العمل التعبدي ولم يبتغ به وجه الله تعالى ولم يكن وفق منهجه المشروع في كتابه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فإن النتيجة قد تفضي لنجاح دنيوي مؤقت وهش يفضي في نهاية الأمر لتفسخ وضياع وانحطاط ومن ثم تكون النتيجة الأخروية وبالاً وويلاً وثبور مصحوباً بسخط من الجبار القهار لأن العمل لم يكن خالصاً لله فأحبط وانتكس.

لذلك تجد أن الحقيقة القرآنية الدامغة بل القانون القرآني يبين لنا أن الناس في ذلك ثلاث، الأول ظالم لنفسه مقصر في طاعة ربه والتفاعل مع الأمة فهو سلبي مفسد قاصد للإفساد حتى وإن لم يعمله بيده فهو مشترك فيه في نية وقصد ومساعدة، وثان مقتصد متوسط لا أثر له أكل شره خيره وتعادل فعله الحسن بفعله السيء فهو صفري الأثر إن صح التعبير، وثالث فاعل سابق بالخيرات إيجابي مصلح قائم بكل ما أمره الله تعالى به من طاعات وعبادات ومعاملات وتفاعل مع الأحداث ومؤثر فيها على قدر الاستطاعة. يقول تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾) [فاطر: 32]، وما كان الله تعالى ليهلك أمة أو حضارة وأهلها مصلحون : (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾) [هود: 117].

لذلك عندما فهمت الأمة كل تلك الحقائق انطلقت في ملك الله تعالى وكونه فبحثت وأبدعت وفكرت واخترعت وطورت واكتشفت واستفادت من الحضارات السابقة وأعادت صياغة منتجاتها الفكرية والحضارية وفق منهج الإسلام القويم فكان ما كان من فعل النهوض الحضاري للأمة من علوم وتقنيات وصناعات وتأسيس لجامعات وبيوت حكمة ودور علم وغير ذلك وفق منظ ومة قانونية اقتصادية وسياسية

وعسكرية وأمنية واجتماعية وسلوكية تضبطها الشريعة الغراء رغم الاختلافات الفقهية والسياسية المحمودة والمذمومة هنا أو هناك وهو شأن لا بد منه في حضارات البشر جميعاً ، لكن المهم هو أن الفعل التعبدي لم يكن لذاتية الشخص المسلم بل لجمعية الأمة المسلمة في خضم تفاعل مع الأحداث وصناعة لها وليس تأدية للعبادات وسط حال إسلامي غاية في التناقض طرفاه نقيضان عجيبان، قعود ونكوص ودعة وراحة ورفاهية لفئة مسلمة وفقر وعوز وظلم وحرمان لفئة أخرى.

إشكال وتوضيح

قبل الإسترسال علينا أن نحل بعض الإشكال..

إذ نسمع من البعض ومنهم علماء أجلاء قولاً عجيباً يشكل على الكثيرين ويجعل العديد من المتلقين يفتنون ويتساءلون ويتعجبون من تناقض قول العلماء المعاصرين في تحليلهم لقضية العقل ودوره في الإيمان، فتراهم يقولون لك مرة أن ديننا دين عقل ومنطق وحجة وتارة أخرى يقولون لك ع ليك أن تسلم دون تفكير لأن العقل ليس له دخل في التشريع!!.. وهكذا نسمع كثيراً مقولة " العقل لا دور له في التشريع "، وهو لعمري قول عجب.

وقد يقول البعض الآخر أن كتاب الله تعالى هو كتاب تشريعي يعنى بقضايا العبادات وتنظيم حياة الناس بما يحب الله تعالى ويرضى لعباد ه. وأن العلوم والتقنيات إنما جاءت لتطوير حياة الناس دنيوياً، وأن تصنيفاتها المختلفة إنما هي علوم دنيوية لا علاقة لها بالدين والتشريع، وهذا لعمري هو النظر القاصر.

إذ نسمع ونقرأ ونرى بعض العلماء خصوصاً أولئك الذين يدعون أن ليس لتحكيم العقل مكاناً في فهم التشريع وأنه يجب إلغاء دور العقل واتهموا أصحابه دون استثناء بأنهم منافقون وأتباع اليهود أو مبتدعون فسقة خرجوا عن الملة الصحيحة، وكأن الملة الصحيحة في وجهة نظرهم هي عدم تحكيم العقل وإلغاء دوره المهم في استيعاب الناس وزيادة الإيمان.

والأعجب من ذلك ترى بعضهم يقو ل كلمة حق في موضع ثم يتنازل عن نفس الحق في موضع آخر، فتراه يدعو لأن نقرأ كتب التفسير المعتبرة – خصوصاً فيما يتعلق بقصص الأنبياء – لا قراءة تسليم بل قراءة تمعن وتبصر وتدبر وتحكيم العقول بسبب ما بها من خزعبلات وإسرئيليات لم تثبت لا بصحيح نقل ولا بصريح عقل، و يدعو لأن لا نصدق ولا نسلم بكل ما نقل حتى وإن كان من بعض الصحابة مما لا يصح رفعه للمقام الشريف بل نحكم مقدمات العقول ومؤخراتها بذلك، وهذا لعمري كلام سليم بل هو من روح الشريعة وسلامة العقيدة وفطرة الله التي فطر الناس عليها . لكن عندما يتعلق الأمر بما جاء في ن فس تلك الكتب من أمور لا تقبلها نفس مقدمات ومؤخرات العقول ولم تثبت كذلك بصحيح النقول تجد نفس الشخص يدافع عنها ويقول هذه منقولة من الصحابة ممن عرف عنهم العلم والصدق ولا يقبل بأي رد يخالفها أو يعترض عليها ويتهم أصحاب ذلك الرأي بالخروج من الملة أو النفاق وما شاكل من كلمات امتلأت بها محدثات الكتب والمجلات مع شديد الأسف .. فأي تناقض هذا بالله عليكم!!

هنا نقول لهؤلاء : إذا كنتم تقولون للناس أن لا مجال لتحكيم العقل مع التشريع فإنكم إنما تؤسسون لكهنوتية وكنسية إسلامية، إذ أن الكنسيون والكهنوتيون كانوا ولا يزالون يقولون لأتباعهم أنه اتبع ولا تناقش ولا تحكم عقلك، فهذا أمر الرب، وعندما وجد العديد من أتباعهم أن أولئك القوم يمنعون عنهم تفكيرهم ويغلقون عقولهم انقلبوا عليهم وتركوا دينهم واتبعوا أفكار ومعتقدات وضعية ، بل وأنكروا الدين بالكلية وألحدوا فكانت كل تلك المدارس اللادينية والوجودية والداروينية والشيوعية وغيرها من رايات العلمانية الأخرى . صحيح أن الأديان الأخرى حرفت ووضع فيها من أقوال البشر الكثير من الأساطير ومما لا يعقل لكنكم بقولكم هذا إنما تسوقون الناس من حيث لا تعلمون إلى اتباع المعقولات والمحسوسات وترك الدين بالكلية، أو على أقل تقدير فإنكم تقودوهم لريبة وشك وتناقض حينما تقولون لهم أن الدين الإسلامي

دين عقل من جهة ثم تطلبون منهم عدم تحكيم ذلك العقل بل التسليم المطلق دون تفكير.

صحيح أننا أمة تسليم وإيمان غيبي، لكن ما المانع من البحث وراء السبب لتقوية الحجة وزيادة الإيمان! فإن لم نجد سبباً فنحن مسلمون أصلاً ، لكن هذا لا يعني أننا نقول للناس لا تحكموا عقولكم وألغوها تماماً لأن ذلك يؤسس لفتنة تشكك الناس في دينهم وعقيدتهم الصافية العظيمة وفي أقل الأحوال تقلل حجتهم في مناقشة الناس ووساوس النفس ومكائد شياطين الإنس والجن.

ثم سؤال آخر لأصحاب هذا الرأي الغريب العجيب (عدم تحكيم العقل بالشريعة)، أليس من مقاصد الشريعة العامة والخاصة والجزئية وغيرها من تقسيمات هذا العلم المهم أن الإسلام وتشريعاته كلها إنما جاءت أما لجلب منفعة أو لدفع مضرة؟ وأن كل الطاعات والأعمال التعبدية والتشريعات و الأوامر والنواهي إنما كانت لحكمة تتعلق باستحصال فوائد للبشر أو بمنع مضار ومفاسد عنهم؟ . فكيف إذن تطالبون الناس أن لا يحكموا عقلهم بحكمة تلك التشريعات العظيمة والغرض منها ومعرفة فوائدها والسعي لفهم وإدراك الحجج والعلل والأسباب من وراء ذلك؟.. إنه التناقض بعينه.

لقد امتدح القرآن الكريم المؤمنين بالغيب وجعلهم في أعلى مراتب الإيمان وأعد الله لهم أفضل الجزاء لأنهم أهل تسليم، لكن القرآن الكريم من جهة ثانية بين نوعاً آخر من طرق فتح القلوب والعقول ألا وهي المناقشة والبرهان والدليل والرؤيا العينية لا الغيبية وسماع الدليل القاطع كما كان في قصة محاججة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع القوم الذين يعبدون الكواكب، أو حتى مناقشة الملائكة عليهم السلام لرب العزة عند خلقه لآدم عليه السلام عندما أعلمهم جل وعلا بأنه يعلم ما يبدون وما يكتمون ، بل إنه جل وعلا ناقش إبليس اللعين عندما تكبـر عن السجود لآدم كما أُمر وعندما سأله أن ينظره إلى يوم يبعثوم أجابه لطلبه لحكمته جل وعلا.

وأحب أن أذكر هؤلاء العلماء – هداهم الله– من أصحاب مقولة أن العقل لا علاقة له بالتشريع أنهم بذلك إنما ينكرون على سيدنا موسى عليه السلام المشهور بجرأته في

طرح الأسئلة على ربه تبارك وتعالى في أن يريه ينظر إليه جل وعلا، أو على سيدنا إبراهيم أبي الإنبياء عليهم السلام جميعاً الذي سأل ربه تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى، رغم أن الله تعالى لم ينكر عليهم أسئلتهم وطلباتهم عليهم الصلاة والسلام ولم يوبخهم بل أجابهم إلى طلبهم كما بينت لنا آيات الكتاب العزيز، بينما عندما سأل سيدنا نوح ربه أن ينجي ابنه من الطوفان جاءه الرد مباشرة بالكف عن ذلك : (وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾) [هود 45-47].. وعليه فإن سؤال الله تعالى زيادة العلم والحجة لزيادة الإدراك هي من الأمور التي حثت عليها القرآن والسنة ولكن ليس من باب التحدي والمجادلة والممازحة والاستهزاء بل من باب زيادة العلم : (وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾) [طه: من الآية 114].

ثم تجد كيف أن الله تعالى قد أرى نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ملكوت السماوات والأرض: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) [الأنعام: 75]. لماذا يا ترى، ليكون من الموقنين رغم أنه من أولي العزم من رسله وهو من أكابر المؤمنين بالغيب، لكنه الثبات واليقين، لأن اليقين والرؤيا العينية تعزز وتقوي الحجة والبرهان ولتكون حجة للناس جميعاً . وتجد أن الله تعالى أسرى بحبيبه عليه الصلاة والسلام بعد حادثة الطائف الشهيرة ودعاءه الذي اهتزت له أركان الملكوت ومن قبل كانت معاناته ومكابدته من أهل مكة وانسداد أبواب الأرض أمامه

بأبي هو وأمي، لماذا يا ترى؟، ليفتح له أبواب السماوات و يبين له منزلته عند أهل الملكوت ويريه من آياته الكبرى العجيبة ليهون عليه أمر قريش وكل من خالفه من العرب وغيرهم، فعاد من رحلته المذهلة تلك وهو أقوى عزيمة وأمضى شكيمة من ذي قبل لتستمر الدعوة والرسالة حتى تصل مبتغاها.

وهكذا تجد النبي عليه الصلاة والسلام كان لا يرد سائلاً ولا يتهم أحداً بأنه يستخدم عقله، إنما كان نهيه عليه الصلاة والسلام لأمته أن يسلكوا مسلك بني إسرائيل وأهل الكتب من قبلهم مع أنبياءهم في أن يكونوا مجادلين مناكفين مماطلين متنطعين أو كما يعرف بمنطق اليوم متفلسفين متحذلقين جدليين سفسطيين لا يهمهم غير الجدال والنقاش ولا يعنيهم اتباع الحق إطلاقاً. ولم يكن المقصود من ذلك النهي عدم تحكيم العقل أو التسليم المطلق دون فهم الحكمة والعلة خصوصاً لو توفر الدليل والبرهان. أما وإن لم يتوفر فنحن بكل تأكيد كنا وسنبقى أمة "سمعنا وأطعنا، ولن يكون لنا خيرة من أمرنا بعد أمر الله ورسوله".

ثم تدبروا معي هذه المعادلة القرآنية الرائعة : يقول تعالى: { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الحج: 54]، فهذه المعاني الثلاثة مترتب بعضها على بعض:

علمٌ حق ◄ إيمان ◄ إخباتٌ وتسليم

فالعلم الحق وطرق اكتسابه بشكل عام سواء أكانت سماوية لدنية معجزة من قبل الأنبياء عليهم السلام أم أرضية واقعية تجريبية تطبيقية من قبل البشر يتبعه إيمان ترتيب بلا تعقيب، ليعلموا فيؤمنوا. والإيمان تتبعه حركة القلب من الاخبات والخشوع لله تعالى .. وهكذا يثمر العلم الإيمان، ويثمر الإيمان الإخبات والتواضع لله رب العالمين.

إذن فالمعادلة الإسلامية للإنسان هي علم يتبعه إيمان يتبعه خشوع وإخبات ونفس مستقرة، وهذه المعادلة هي التي تحول الإنسان من حالة الاضطراب النفسي إلى حالة الاستقرار، ومن هيجانه إلى رقراقيته، فتزكي نفسه فيصبح سوي الطباع، طيب

المعشر، يحظى برضا الله والناس. وهذه المعادلة القرآنية العظيمة كأنها أعطت جواباً مسبقاً للشعار الغربي الحديث المعروف عند العلمانيين واللادينيين وهو شعار : (أومن بما أرى) الذي جاء كردة فعل لأوربا الحديثة على الكنيسة ودورها السياسي والاجتماعي ورغبة العلمانيين الجامحة في تنحية الدين عن ا لحكم. إذ أن الإسلام أكد من خلال تلك المعادلة القرآنية أن الإيمان يمكن أن يبنى على اليقين والعلم التطبيقي والدليل الملموس ويكتسب منها جميعاً في نفس الوقت الذي يمكن أن يكون فيه إيماناً غيبياً لا يحتاج أهله إلى دليل ملموس أو حجة عملية أو برهان منظور.

بل إنك تجد أن الله تعالى وضع القاعدة في ذلك ويالها من قاعدة : (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين).

ومن ذلك يتبين أن سؤال الناس للعلماء بأن يبينوا لهم حجة التشريع وفقه الطاعات والعبادات والمعاملات وعلة وحكمة التكليف يدخل في ذلك أيضاً، فإما أن يكون العالم جديراً بالرد كما هي طريقة القرآن الكريم وسنة الحبيب عليه الصلاة والسلام في استيعاب الناس وقبولهم وتلبية طلباتهم وإجابة أسئلتهم فليقل خيراً، أو إن كان لا يعرف فليصمت ولا يتهم الناس بأنهم إن حكموا عقولهم فهم مبتدعون وأصحاب أهواء.

ثم كيف ندعي أن الإسلام دين ودولة صالح لكل زمان ومكان ثم نأتي ونقف عند نظرة مجتزأة لكتاب الله الخالد وقصصه وأمثلته التي تحوي علوماً كثيرة طبيعية واجتماعية واقتصادية وإعلامية تصل بتعداد آياتها إلى أعداد أكثر بكثير من آيات العبادات، ولا نحاول الغوص لاستخراج كنوزها واستكشاف دررها.

ثم أليس من التشريع تشريع أحوال الناس في بيعهم وشراءهم ومعاملاتهم التي تتنوع بتنوع الحياة وتدخل ضمن المهن المختلفة كالطب والفلاحة والتجارة والهندسة وغيرها من مناحي الحياة المختلفة، فكيف يمكن أن نتصور إذن أن يشرع مشرع في الطب والهندسة قانوناً أو مواصفة دون أن يلم بتفاصيل تلك المهن. هذا في قياسنا

نحن البشر، فما بالك بمن يتهم القرآن بذلك، أليس فيه سوء أدب مع رب العزة بل وحتى عدم تقدير الله حق قدره؟!!. ألا ساء ما يحكمون.

وبنظرة سريعة لحال العرب وهم حملة الرسالة وكيف أنهم بعد أن استوعبوا الإسلام وفهموا مقاصده فأثر فيهم الخطاب القرآني ليس روحياً حسب بل وعقلياً وذهنياً كذلك، انطلقوا ليسبروا أغوار العلوم ويقدموا للعالم المكتشفات والمخترعات والعدد والآلات والعلوم والنظريات التي لا تزال محط الإعجاب والتقدير والامتنان من قبل الكثير من علماء الغرب أنفسهم.

إن الله تعالى بين أن هذا الكتاب وهذا الدين إنما يشمل أموراً شتى منها ما بينه النبي الأكرم – صلى الله عليه وسلم– بقوله في الحديث الشريف الذي يرويه الإمام علي – كرم الله وجهه–: (أَلا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ فَقُلْتُ مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ كِتَابُ اللَّهِ فيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ ونوره المبين وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الَّذِي لا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ وَلا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ ولا تَتَشَعَبُ مِنهُ الآراء وَلا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ ولا يَمَلُهُ الأتقياء وَلا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وهُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا ﴿...إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ .. ۝٢﴾، مَن عُلّم عِلمُهُ سَبَق ومَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)(1).

(1) جاء الحديث بألفاظ مختلفة منها ما جاء في تفسير القرطبي والوجيز والبحر المحيط ومنها ما أورده بعض أهل السنن. فقد أخرجه الترمذي في سننه بلفظ مقارب [جزء 5 – صفحة 172] وقال حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول / سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، أبو عيسى محمد الترم ذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1994م.. ومنها ما أخرجه الدارمي في سننه [ج 2 – ص 523، 526، 527] بأسانيد أخرى، فقد أخرج حديثاً قريب لمعنى هذا الحديث / سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله الدارمي، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1996م... وقال حسين سليم أسد : في إسناده مجهولان، أبو المختار سعد الطائي وابن أخي الحارث، ويقول

فلو ركزنا على هذا الحديث الذي تعضده آيات كريمات عديدات لرأيت أنه يبين لك أن هذا الكتاب لا تَزِيغُ بِهِ الأهْوَاءُ وَلا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ و لا تَتَشَعَبُ مِنهُ الآراء وَلا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ ولا يمَلُّهُ الأتقياء وَلا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ مَن عُلِّم عِلمُهُ سَبَق. أي لو علمنا كل علوم القرآن الكريم لسبقنا الأمم في الدنيا قبل الآخرة، فالتقصير فينا إذ لم نبحث وليس فيه . وهذا هو مصداق لقوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿......وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:من الآية 89]، وقوله تعالى : ﴿....مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف : من الآية 111]، فهذا التبيان والتفصيل الكلي الذي عبر عنه الكتاب العزيز بلفظ: ﴿...تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾ و ﴿ ..وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ..﴾ لا يشمل فقط أمور التشريع والعقيدة والعبادة والمعاملة بل يشمل أمورًا علميةً عديدةً مما سيكون حتى قيام الساعة، لأنه قد عدد بعدها أموراً اخرى تخص (الهدى) للنفوس في الدنيا و(الرحمة) للمؤمنين في الدنيا والآخرة، ثم أردف بكلمة أخرى فيها يكمن السر ألا وهي (البشرى) التي ستكون في دخول الناس في هذا الدين أفواجاً بعز عزيز أو بذل ذليل من خلال كل الأسلحة البيانية والدلالية التي زود بها هذا الكتاب الكريم كي يواجه كل هجمة فكرية ستكون حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فيرد عليها بقوة وحجة بالغة تفحم وتخرس كل معاند سواء أكان ذلك لغةً واصطلاحاً أم تصريحاً وتلميحاً واستنباطاً في مجالات العلوم المختلفة أم رقماً وعدداً

العلماء أن في الحارث مقال.. وقد ضعف الحديث الشيخ الألباني .. إذن فالحديث ضعيف السند لكن معناه صحيح لأن آيات وأحاديث صحيحة أخرى تدعمه، ويمكن أن يكون سنده متوقف عند الإمام علي رضي الله عنه فهو من أقواله كما هو مقرر عند العلماء والله تعالى أعلم.

وثابتاً علمياً لا يمكن أن تخطئ نتائجه لنصل لحقيقة سبق القرآن العظيم لبناء حياة رغيدة للبشرية في شتى مناحي الحياة.

لقد تحدى الله تعالى كل أجيال البشرية منذ البعثة وحتى قيام الساعة وليس زمن النزول حسب على أن يتمكنوا من مواجهة علمية القرآن وبراهينه وحججه بقوله جل وعلا: (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً) [الفرقان: 33].

والسؤال هل يمكن لأي شخص مهما عظم علمه أن يتحدى كل من يأتي من بعده أن يتمكن من دحض ما جاء به؟ !، هذا السوال موجه لمن يدعي أن القرآن من صنع محمد عليه الصلاة والسلام، فأي تحد هذا وأية ثقة وأية إمكانات؟ !، إنها بلا شك إمكانات تتعدى إمكانات أي بشر أو مجموعة بشر بل والبشر أجمعين، بل هي بالتأكيد إمكانات القادر الخالق العظيم من بيده ملكوت كل شيء رب العالمين من يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان وسيكون.

ثم تأتي لتتدبر تلك الدعوة القرآنية للجهاد بالعلم القرآني في نفس السورة، ولكن أي علم؟! هل هو علم التشريع والحلال والحرام ؟!.. كلا، إنه علم يفهمه كل جيل من أجيال البشرية، إنه علم الخلق والكون والطبيعة والبيئة وكل ما يحيط بنا في الآفاق والأنفس.. تدبر قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً (46) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً (47) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً (48) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً (49) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً (50) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً (51) فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً (52) وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً (53) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً (54) [الفرقان: 45–55].

إذ تلحظ أخي الكريم وأختي الكريمة أن الدعوة القرآنية بقوله تعالى : (فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً (52))، الآية جاءت وسط حشد من آيات القدرة والطبيعيات من شمس وحركة افلاك ينتج عنها آيتي الليل والنهار ومن ريح وبحار ومطر وآيات خلق الناس وتكاثرهم وغير ذلك، وإذن السياق يتطلب بل ويفرض أن يكون الجهاد (به) أي بالقرآن بنفس نمط ما ورد في سياق الآيات قبل وبعد تلك الآية الكريمة من ذكر لعلوم طبيعية مختلفة، والله تعالى أعلم.

حسناً، لكن ثمَّ إشكال آخر قد يطرأ على أفكار البعض...

إذ كيف نفهم ونزاوج بين حقيقة أن الإسلام يحث على حب الآخرة ونبذ حب الدنيا، وعدم الاهتمام بالدنيا إلا بقدر ما يحتاج منها فنعيش في الحياة كأننا غرباء أو مسافرون كما أوصانا الحبيب عليه الصلاة والسلام من جهة، وبين أننا يجب أن نتمكن من الدنيا كي نقارع وننافس الأمم الأخرى ممن سبقتنا كي نكوِّن للإسلام مهابةً وعزاً ينظر له من الآخرين بكل تقدير وإجلال ونصل بأمتنا لأرقى المراكز وأعلى الدرجات من جهة أخرى؟!

والحقيقة أن الأمر ربما يشكل على الأفهام إدراكه والإلمام به على النحو الذي لم يكن مشكلاً للسلف الصالح من الأجيال الخيرية للأمة أو ممن تبعهم، وذلك لسببين كما أراه والله تعالى أعلم وأدرى:

- أما الأول: أن الأمور اختلفت في عصرنا الحاضر عن عصور الأجيال الأولى ومن لحقهم إلى عهد ليس ببعيد، ففي فترة الأجيال الأولى كان العالم بشكل عام متأخراً تقنياً ولم يكن الفارق كبيراً جداً بين الدول المتقدمة والدول الأقل منها إلا من حيث العدد والعدة والمال وكانت المواجهات السياسية والعسكرية والحضارية بسيطة وحساباتها غير معقدة. أما اليوم فقد تعقدت الحياة وتداخلت حلقاتها بشكل عجيب وسريع فأصبح التطور التقني أسرع من الصوت، ونحن قد تخلفنا عن ركب الحضارة التقنية كثيراً بعد زمن النزول الحضاري للأمة

في عصرها الحديث، وربما يصعب الإمساك بتلك الحضارة واللحاق بركبها ما لم نركز على الدنيا وننغمس في تفاصيل العلوم والبحوث كما فعلوا هم!

- وأما السبب الثاني وهو الأهم : فيتعلق بفهمنا لفقه الأولويات وفهم دور كل واحد منا في الأسرة والمجتمع والأمة ككل، وأيهما مقدم على الآخر، وكيف نسخر الجهد الفردي في الأعمال التعبدية والتفاعلية ضمن مفهوم الجهد الجمعي للأعمال التفاعلية للأمة؟!. ولعله يدخل ضمن هذا السبب فهم دورنا في كيفية مقارعة الفكر التضليلي المضاد ومنعه من تذويب ثقافتنا وهويتنا ومقدساتنا وتربية أجيالنا والحفاظ على مفاهيمنا وقيمنا.

والجواب عن السبب الأول بسيط لكنه يحتاج لتفصيل نجمله بالأسطر التالية:

الحقيقة أن هناك فرقاً شاسعاً بين فهمنا نحن المسلمون للدنيا والتنافس فيها كاختيار موجب للتمكين نحو بناء دولة الاستخلاف وحضارة الإيمان، وبين فهم العلمانيين والوجوديين واللادينيين من الذين جعلوا الدنيا هي الأصل لكل شيء والمبتغى والمسعى والغاية والمنتهى.

ولعل المسلمين الأوائل فهموا الفرق بين الحالين ففازوا بالدارين، فالإسلام يحضنا على ترك الدنيا لعينها ونبذ حبها لذاتها وعدم الاستسلام للغفلة المفضية إلى التركيز على هذه الدار باعتبارها خالدة، بل حثنا وحرضنا على إدامة التركيز أننا هنا في هذه الدار مؤقتون وأنها دار كرب وبلاء ومعاناة وشقاء لا دار استقرار وبقاء وأنها مزرعة الآخرة التي هي دار المقام والدوام، وبالتالي فإن هذا المفهوم جعل من ما يزرع في هذه الدار موجب أما لنعيم مقيم أو عذاب أليم.

على أن من ضمن ما يوصل لمرضاة الله تعالى ضمن امتحان الدنيا هذا ومن ثم الفوز بنعيم الآخرة هو السعي في الدنيا لإقامة العدل ودولة الحق وحضارة الإيمان والأخلاق الحميدة أي إقامة حضارة الاستخلاف الحقيقي الذي يعد أصلاً هو فلسفة الوجود البشري وسبب الامتحان الحقيقي للبشرية في مدة لبثها الطويل على هذه السفينة الأرضية. وهذا السعي يتطلب منا المسلمين التنافس لنيل الأسباب الدنيوية

المفضية لتمكين تلك الحضارة الإيمانية من المضي والإنفاذ رغم ما تواجهه من عقبات من شياطين الإنس والجن أو من دول الكفر والإلحاد والشرك أو من حركات التثبيط والفسوق واللادينية.

فالمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن السعي لامتلاك الأسباب إنما هو أمر قرآني لأنه ببساطة الموصل للتمكين ونيل أسباب العزة والمنعة وم ن ذلك السعي لنيل سلطان العلم و أسباب القوة و أسرار الصناعات والتقانات وتقوية وتمتين وتنمية الاقتصاد .

ولعل ذلك يتجلى بوضوح في قصتين قرآنيتين عظيمتين ، الأولى هي قصة نبييي الله تعالى داود وسليمان عليهما السلام وكيفية تسخير الله تعالى لهما المعادن والجبال والدواب والهوام والطير والوحش والريح والبحر كي يتمكنوا من بسط سيطرة حضارة الإيمان ودولة الإسلام في عصرهما.

بينما الثانية هي ما جاء في قصة العبد الصالح ذي القرنين ، فقد جاء في قول الله تعالى في قصة امتلاكه لناصية العلم العسكري والصناعي والهندسي كي يتمكن من نشر التوحيد والعدل والخير والمساواة في بقاع المعمورة : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف: 84].

فقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، أي إنا مكنا لذلك العبد الصالح والملك الحكيم الذي أعطيناه الملك والحكمة والعلم، فمكنا له الأسباب والسبل في الأرض بتسهيل السير فيها والتمكن من تذليل وتصنيع وتسخير مواردها وموادها وخيراتها وكنوزها ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبٗا ﴾ أي طريقًا يوصله إلى مراده [1]. ثم كان منه أن سار في الأرض وسعى في م ناكبها ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾

(1) بتصرف عن تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي، ص 392، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2004م.. وانظر معجم تفسير كلمات القرآن، إعداد محمد عدنانا سالم، محمد وهبي سليمان،

[الكهف: 85]، أي اتخذ طريقاً وسبيلاً لنيل مبتغاه وهو طريق نحو الغرب، وأردف مرتين قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٩﴾ [الكهف: 89] وهو طريق نحو الشرق، و﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢﴾ [الكهف: 92] وهو طريق آخر بين ذلك(1).

ومصطلحات (السبب) و(الأسباب) في القرآن الكريم جاءت لتبين وسيلة الوصول للأهداف ونيل الأغراض بغض النظر أكانت في الحق أم في الباطل، وهو مان جده في آيات عدة مثل قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥﴾ [الحج: 15]، وهو بمعنى الحبل نحو السماء سواء أكان حبلاً مادياً أم حبلاً بسلطان العلم وغيره كما جاء في قوله تعالى : ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ۝٣٣﴾ [الرحمن: 33]. أو كما جاء قول فرعون لهامان أن يجعل له سبباً – وهو هنا الصرح العالي أي السلم والوسيلة المادية- يصل به حسب تصوره ليطلع إلى أسرار السماوات كي يتحقق من صدق موسى – عليه السلام-: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ۝٣٦ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ

ص 238-239، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1996م.. وانظر أيضاً كلمات القرآن، تفسير وبيان، لحسنبين محمد مخلوف، طبعة لبنان، النسخة المصغرة، ص 159.

(1) تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي، ص 392-393، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2004م.. وانظر معجم تفسير كلمات القرآن، إعداد محمد عدنانا سالم، محمد وهبي سليمان، ص 238-239، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1996م.. وانظر أيضاً كلمات القرآن، تفسير وبيان، لحسنبين محمد مخلوف، طبعة لبنان، النسخة المصغرة، ص 159.

إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾ [غافر: 36–37].. وهو تحدٍ أطلقه القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الطور: 38]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾ ﴾ [صّ: 10]، أي أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما إن زعموا ذلك فليرتقوا في الأسباب الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاؤوا وأم في الموضعين بمعنى همزة الإنكار [1].. كما جاءت الأسباب بمعاني أخرى[2] .

ومن هنا كان الأمر الإلهي باتخاذ الأسباب وامتلاك ناصية العلم وهو فضل من الله يؤتيه من يشاء من أنبياء وملوك كما في قصة سيدنا داود وابنه سليمان – عليهما السلام–: ﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [صّ: 20]، ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [النمل: 16]، وكذلك في حال

---

(1) تفسير الجلالين.. جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي، [جزء 1 – صفحة 599]، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2004م.

(2) كما جاءت الأسباب لتعبر عن صلة العلاقات الاجتماعية كما في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [البقرة: 166]، ﴿ إِذۡ﴾ بدل من إذ قبله، ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ ﴾ اي الرؤساء، ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ ﴾ اي أنكروا إضلالهم، ﴿ و ﴾ قد، ﴿ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ ﴾ عطف على تبرأ، ﴿ بِهِمُ﴾ عنهم، ﴿ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾ الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة.. أنظر تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي، [جزء 1 – صفحة 32]، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2004م.

الملك الصالح ذو القرنين كما في سورة الكهف، وحال الرجل الصالح الخضر عليه السلام [1] في قصة سيدنا موسى – عليه السلام–: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: 65].

وهكذا فإن هذه الأمة مأمورة بأن تتخذ الأسباب بعد أن تصدق النية وتشحذ الهمة وتتوكل على الله وتحتسب عملها لوجهه سبحانه لتنال شروط الخيرية التي تجعلها متمكنة من الأرض لتنتزع المجد انتزاعاً من جديد فتعيد كفة الميزان الروحية العظيمة التي سقطت بفعل قوة مخالب وأنياب وفكوك العولمة الظالمة المدمرة لكل خلق وسمو روحي، حتى تقام الخلافة البشرية للأرض وفق ما يرضاه الله تعالى في شرعه الحكيم ونهجه القويم وصراطه المستقيم، فيقام العدل ويعم السلم والخير ربوع المعمورة كما أراد الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: 41]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: 55].

لذلك نجد أن المسلمين بعد عهد الفتوحات الأولى وتشكل الدول الإسلامية فهموا تلك المعادلة المهمة فبدأوا يتفوقون تقنياً وصناعياً واقتصادياً على كل من عاصرهم من

---

1 الراجح من أقوال أهل العلم أنه عليه السلام نبي مرسل وليس عبداً صالحاً.

دول، لماذا لأنهم حلوا هذا الموضوع الذي لم يكن عندهم ليشكل إشكالاً أو أمراً محيراً مثبطاً، فكان أن كونوا تلك الحضارة العلمية التقنية الخلقية العظيمة وتركوا للعالم تراثاً هائلاً من الإنجازات والمخترعات والتقنيات والأعمال والآثار المعمارية والحضارية العظيمة فضلاً عن الآثار الخلقية الوجدانية والإنسانية الخالدة التي يشهد لها العالم على مدى العصور إبان حكم مختلف حضارات دول الإسلام و طيلة أكثر من 1000 عام من الزمن البشري انتهت بانتهاء الخلافة العثمانية مطلع القرن العشرين الميلادي أو لعله قبل ذلك بزمن بسيط [1]، وقد كان كل ذلك وهم يعلمون أن دينهم أمرهم بعدم اللهث وراء الدنيا وزخرفها.

وعلى هذا يكون جواب السبب الأول بسيط، فالجمع بين الأمرين هين وهو أننا لا نسعى وراء الدنيا لذاتها وعين وجودها كما يفعل العلمانيون واللادينيون لأنها أحقر من أن يلهث وراء زخرفها الزائل، بل نسعى للتمكن منها ومن مسالكها وسبلها وثرواتها وبرها وبحرها وجوها كي نقيم حضارة الإيمان والأخلاق والعدل ونمنع كل حاقد وحاسد ومعاند من النيل منا ومن قيمنا ومقدساتنا فذلك هو الامتحان الحقيقي والأمانة العظمى والموقف الذي سنسأل عنه أمام رب العزة أحفظناه أم ضيعناه.

وأما الجواب عن السبب الثاني من أسباب الإشكال هذا فهو موضوع نقاشنا وتفصيلنا ضمن هذا الكتاب في بقية فصوله.

خمس أسئلة رئيسة كي لا تختلط الألوان

لعله من الضروري أن نبدأ قبل وضع لبنات المشروع الأولى أن نهيأ الأرض فنضع بعض المبيدات لحشرات الأرضة التي قد تنخره منذ بدايته تماماً كما يفعل المهندسون عند بداية بناءهم لصرح أو بناء ما كي لا يفاجئوا بما لا يسرهم بعد البدء بالتنفيذ ولات حين مندم . إذ أننا قد نواجه في أية خطوة من خطوات المشروع بمن يخلط

---

1 أنظر مصادر الفصل الثالث.

الأوراق علينا ويتهمنا أننا أحدثنا وابتدعنا أموراً لم تكن على عهد النبي عليه السلاة والسلام أو أننا تحاول تمييع الدعوة وتذويبها في عولمة اليوم أو أننا صدى لدعوة الغرب اليوم في موضوع تغيير نمط الخطاب أو غير ذلك من الأمور.

فدعونا نضع بعض الأسئلة لنستجمع أركان الموضوع ونضع الأمور في نصابها كي لا ندع لأي متقول بالنقض أو خلط الأوراق في عالم يصعب فيه التمييز بين الألوان العولمية المختلطة:

1. السؤال الأول: ماهي آلية التفكر والتدبر؟؟: الجواب، الآلية هو ما جاء به كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام في أهمية التدبر والتفكر والتحليل البحث والاستقصاء وفق جهد جماعي مبرمج ومنهج مخطط له يستقطب كل التخصصات والعلوم وضروب الفنون في كل المجتمع وليس الاعتماد على الإلمام بعلوم الشرع دون مشورة أهل التخصص . وهو ما كان يفعله عليه الصلاة والسلام دائماً بقوله (أشيروا عليّ أيها الناس) كما سنفصل في الفصل اللاحق.
2. السؤال الثاني: هل نقصد بعصرية الدعوة ما يدعو له الغرب اليوم من وجوب تغيير نمط الخطاب الدعوي والديني وحذف آيات بعينها من كتاب الله تعالى؟ : الجواب، بالتأكيد لا، فليس لعصرية الدعوة أية علاقة أو دعوة بتلك الدعوى الشيطانية الباطلة. لكن عصرية الدعوة هي دعوة لاستخدام تقنيات العصر وثقافته – المقبولة شرعاً– في الدعوة إلى الله تعالى وتسخير كل إمكانات الثورة العلمية والتقنية والمعلوماتية والاتصالاتية لأقصى حد ممكن وبجهد جمعي مؤسسي رصين يؤسس لمشاريع دعوية مؤثرة وفعالة في حياة الأمم وصناعة التاريخ دون المساس بأساسيات الشرع المقدسة. فهي حياة كاملة، أو بالأحرى دعوة لأن تكون الدعوة حياة نعيشها ونموت عليها لنحضى بالبركة والخير والنصر والتمكين الذي وعدنا الله تعالى إياه والله لا يخلف الميعاد.

3. السؤال الثالث: هل يجب علينا أن نبقي الدعوة حبيسة المساجد أو المحاضرات من خلف المناضد أم نُفعِّلَها لنجعلها تشمل كل مرافق الحياة ؟: الجواب واضح جلي، فالدعوة لا يمكن أن تحبس خلف جدران لأنها تشمل الحياة بكامل جوانبها وتخصصاتها، فرحها وترحها، تستوعب أهل الخير وتستوعب أهل المكر السيء، هي عمل ميداني، هي جهد جهيد، هي بحث واستقصاء بأرقى صوره وأنقى أوجهه لأنها تبتغي السعي والتنافس لتحقيق الاستخلاف في الأرض ولنيل مرضاة الله التي لا تتأتى بالقول لوحده بل بالعمل والدعوة الميدانية الجادة الفاعلة والمفضية للتغيير تحت منطوق الشعار القرآني الخالد : (....وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) [طـه: من الآية 84].
4. السؤال الرابع: هل نبقى أسارى ردود الافعال وننتظر فعل المسيئين لكتاب الله ورسول الله عليه الصلاة والسلام وكل مقدس ثم نذهب لهم لنحاول استجداء محاضرة هنا أو هناك للدفاع عن مقدساتنا؟ : الجواب، إن لم نأخذ المبادرة بعمل دعوي مبرمج ممنهج مقنن مخطط له على مستوى العالم على جميع الصعد العلمية والتقنية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية والفنية والدعائية والعسكرية وتنمية الموارد البشرية سنظل نتلقى الضربات تلو الضربات ونجلس نتحسر على ما يجري للأمة ومقدساتها.
5. السؤال الخامس هل أن عصرية الدعوة وفكرة تحديث آليات الدعوة بدعة شرعية محرمة؟: هذا ما ستبينه لنا البراهين والمحاججات التي نستعرضها في هذا الفصل والفصل اللاحق- فصل التأصيلات-.

كل تلك الأسئلة وغيرها سنحاول تفصيل إجاباتها من خلال الفصول القادمة عبر طرح محاور عصرية الدعوة ومن ثم تطبيقتها ومشاريعها.

سلاح ذو حدين

دعونا، قبل أن نشرع في الإجاب ات التفصيلية والشروح التأصيلية، نحاول التعرف لموضوع غاية في الخطورة ، وكأني به المنطقة الحرام بين الجيوش المتحاربة، لأنه أصبح اليوم من السهولة بمكان إذا أردنا أن ننتقد شيئاً أو أن نسقطه من عيون الناس، نرمي عليه تهمة كبيرة وعظيمة لا تقل عن الكفر أو التفسيق بل هي مفضية إليها ومشتقة منها ألا وهي تهمة التبديع والبدعة.

في الأمر التباس يجب توضيحه وتشابك يجب تفكيكه، فنقول وبالله التوفيق :

من جهة فإن من الإنصاف والحقيقة القول بأن رجوع الأمة للنبع الأصيل في تبيان دينها وشرعها من قرآن وسنة صحيحة لهو من الأثر العظيم بمكان في وضع الأقدام الأولى على الطريق الصحيح للنهضة الإسلامية . فكانت الدعوة بالرجوع لتصحيح الآثار والأحاديث والتحقيق في علوم الشريعة والتفسير والمتون والتاريخ واللغة دعوة لها أبلغ الأثر في ترك البدع والضلالات والشركيات والمفسدات وقبائح العادات وأخطاء العبادات، وبالتالي إرجاع الأمة لمنهج ربها وسنة نبيها عليه الصلاة والسلام وفق أسس علمية منهجية منضبطة لا تشوبها عواطف ولا أهواء ولا تعصبات لمذهبية أو فئوية، إذ لا ينكر ذلك اليوم عاقل ولا عالم إلا من كان في قلبه زيغ أو هوى.

لكن في الطرف الآخر للمسألة أي من الجهة الأخرى نجد أن القول بأن كل شيء جديد يطرأ على الأمة هو بدعة حرمها ال شرع فهي بدعة شرعية مذمومة مفضية للضلال والإضلال وبالتالي فالعامل بها مخالف للأمة مناف للشريعة مبتدع منافق مضل يستحق النار وبئس القرار ، هو في الحقيقة قول فيه تجن كبير على الكثير من الناس ممن هم من الحريصين والصالحين والمصلحين والمفكرين والمبدعين والعلماء والخيرين. بل والأدهى والأمر من ذلك ، تكفير كل عمل إبداعي وإصلاحي و تخوين أصحابه وتبديعهم ورميهم بالتهم العجيبة وقذفهم بشتى النعوت الغريبة تصل لحد ود خطيرة ترمي بتهم التكفير والنفاق والعمالة يمنة ويسرة، فيفتح بذلك باب التشدد والظلامية والكهنوتية المقيتة.

فنحن إذن أمام سلاح ذ ي حدين، حد يقطع دابر كل من يريد تحريف الدين عن مقاصده وحقيقته وإضلال الناس وجرهم للمضلات المهلكات عن طريق البدع المحرمات المذمومات فهذا حد مهم لازم لنهضة الأمة وصعودها الحضاري وفق منهج الله تعالى من جديد، وحد آخر مدمر للأمة قاتل لفكر وإبداعات ودعم أهلها موصل بها لحالة الانكفاء والاتكالية.

فدعونا نفرق بين الأمرين ، فنبدأ بسؤال بسيط مفاده: هل فعلاً كل شيء يستحدث في أسلوب الدعوة هو بدعة محرمة مذمومة؟!

بالتأكيد لسنا هنا بصدد وضع فتوى أو التنظير في ذلك، حاشا لله، فنحن أجهل من نأخذ هذا الدور أو نتظاهر به، لكننا نريد وضع قياسات واضحة نقيس عليها العمل الدعوي تحديدًا وليس الفتوى التي هي من اختصاص أهل العلم دون غيرهم ولا ندعي أننا منهم بل لا نستحق أن نجلس عند أقدامهم فهم ورثة الأنبياء . وبالتالي فنحن نريد أن ننطلق منطلقات صحيحة لا يشوبها اللبس واللغط ومن ذلك تبيان حقيقة مفادها أن ليس كل جهد إصلاحي ونهضوي حديث يجب أن ينظر إليه أنه بدعة ابتدعها الناس ما كتبها الله عليهم، وإنما هنالك ضوابط واضحة حددها العلماء الأجلاء ممن عرفوا بالعلم الغزير والاعتدال والوسطية فلا تفريط ولا إفراط.

ومن هنا نتساءل بموضوعية:

- هل كان استحداث علوم القواعد والنحو في أواخر الحكم الراشدي وتحديداً إبان حكم الإمام علي رضي الله عنه وقولته المشهورة لأبي الأسود الدؤولي : (الكلمة اسم وفعل وحرف فانحو نحو ذلك) عندما دخل على اللغة اللحن بدعة أم ضرورة عصرية اضطرتها الحاجة لتأسيس علوم تحفظ بها اللغ ة من التحريف والضياع؟!.. الحقيقة أنها كانت طريقة جديدة مبتكرة رائعة أضافت للدين الشيء الكثير وحافظت على اللغة بقوانين وعلاقات ما كانت معروفة عند العرب في الجاهلية ولا وقت النزول لأنهم كانوا بلغاء بالسجية والفطرة

ولا يحتاجون لوضع تقنين وقواعد للغتهم .. والأمر نفسه ينطبق على علم الصرف وعلوم العربية الأخرى.

- وهل ابتدع من استحداث علوم الحديث فيما بعد عندما كثر اللغط والتقول على رسول الله عليه الصلاة والسلام، ودست العلوم الغريبة والدخيلة على الأمة، وكثر المتقولون والمتفلسفون والملحدون؟ ! أم إنها كانت ضرورة أملتها ع لى الأمة عصرية تلك الظروف لغرض الحفاظ على إرث النبي عليه الصلاة والسلام من الضياع والتبعثر، وهو العلم الذي يعتبر الدعامة والركيزة الثانية التي يقوم عليها الدين بعد كتاب الله تعالى؟ !.. الجواب بالتأكيد هو أن الأمة لم تبتدع ولم تخطئ عندما رأت ذلك علماً عصرياً أملته الظروف والحاجة للتغيير في سبيل إبقاء جذوة الدين وارتقاء سلم الصعود النهضوي والحضاري، وقد كان فعلاً. هذا إذا علمنا أن النبي عليه الصلاة والسلام كان قد نهى عن كتابة وتدوين الحديث والسنة في عهده لئلا لا يختلط مع تدوين القرآن الكريم وآياته حينها، لكن ال علماء من الصحابة والتابعين وتابعيهم وجدوا بعد وفاته عليه الصلاة والسلام أن ذلك الأمر أصبح ضرورة ملحة أوجبتها حال الناس وخوفاً من ضياع الدين فدونوا الحديث واجتهدوا في تشكيل علومه وتأسيس ركائزه حتى غدا المنطلق الثاني لنا اليوم بعد كتاب الله تعالى في التشريع والحياة، فهل كان فعل الصحابة والتابعين وتابعيهم خروجاً عن أمر النبي عليه الصلاة والسلام فابتدعوا امراً ليس من الدين؟!، الجواب بالتأكيد لا.
- السؤال نفسه ينطبق على ظهور علوم جديدة أخرى كعلوم القرآن وفنون اللغة وعلوم والفقه وأصوله والفقه المقارن وغير ذلك.
- هكذا إذن، في كل عصر وبيئة تطلب ظهور علم يصب في مصلحة الدين ومن صميم مقاصده وتشريعاته فإن الأمر يتطلب ذلك وهو من المحمودات المندوبات لأنه تبشير وت يسير وتنوير ودعوة إلى دين الله تعالى بالحكم ة والموعظة والعلم والحق والتطبيق.

وعلى الرغم من أن العديد من علماء الأمة بحثوا وكتبوا وألفوا في موضوع البدعة اللغوية والبدعة الشرعية [1]، لكن نجد من المهم أن نقف بعض الوقفات هنا كي نصل لحقيقة أن مفهوم البدعة ليس معطلاً للفكر ومثبطاً للابتكار ومانعاً للتقدم كما يحاول البعض أن يقنعنا بذلك على قدر ما هو ضابط لعمل الناس خصوصاً في مجال التشريع والفقه والفتوى، أما العلوم والمخترعات والنشاطات والإبداعات المؤدية لنهضة الأمة وتطور أسلوب الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة وكذلك كل ما يفضي للتقدم والنهوض في أمور الدنيا فالمجال فيه متسع بل هو من المندوبات المفضية لنهوض الأمة وقوتها ورفعتها.

فدعونا إذن نتأمل في مفهوم البدعة التي غدت في عصرنا هذا كأنها العقبة الكأداء أمام كل إنتاج فكري مستنير وجهد معتدل وسطي بل يمكن القول أنها أصبحت حجر عثرة في إبقاء الأمة متخلفة حضارياً ونزع منها ذلك القبس الذي كانت تحمله لتضئ به دروب البشرية في شتى مناحي الحياة.

تجد بعض أهل العلم يقول أن الأمة بخير لأننا نذهب للمسجد خمس مرات ونزكي أموالنا ونحج ونؤدي العبادات ، ولا أدري هل جاءت الشريعة كي تجعلنا نعيش في دعة ورفاهية بدون تفاعل مع الأحداث مقابل أننا نفعل من العبادات كذا وكذا ، بينما قلوبنا قلوب قاسية كقلوب الذئاب لا نرحم عباد الله ممن هم تحت أيدينا فنبخس الناس أشياءهم ولا نحس بألم ومعاناة وحرمان أخوة لنا من المسلمين في كل مكان ونتع امل بالربا تحت مسميات مختلفة ونفعل ونفعل .. ألا ساء ما يحكمون و سبحان الله عما يصفون. أعتقد إن كانت هذه خيرية كما يصفها اولئك الناس هداهم ا لله فنحن فعلاً قاصري النظر محدودي التفكير، بل وأجرأ على القول أننا نسوق أمتنا لفعل الأمم السابقة ممن كانت تتحكم فيهم الكنائس وكل من يدعي أنه يعلم ويقول قولاً غير ما

(1) يمكن للقارئ الكريم العودة لمؤلفات أخرى في معاني البدعة الشرعية واللغوية كمؤلفات شيخ الإسلام بن تيمية وابن باز وغيرهم رحمهم الله جميعاً

تقوله الكنيسة يتهم بالزندقة ويقتل ويحرق ويرمى من فوق برج عال حتى وإن كان غاليلو الذي اتهم بالزندقة والكفر والخروج من الملة لمجرد أنه قال أن الأرض تدور. نعم فعِلَ هذا بغاليلو الذي استقى علمه وفكره من علماء المسلمين ومؤلفاتهم يوم كانت أمتنا واعية لدورها وقائمة بحق دينها بشكل صحيح فاكتشفت واخترعت وأسست لعلوم جديدة ونشاطات إنسانية عظيمة، في الوقت الذي كانت أوربا تعيش في ظلمات كهنوتية عمياء نفرت الناس من دينهم فكانت النتيجة شجرة خبيثة اسمها العلمانية واللادينية أسست للثورة الفرنسية والوجودية والسارترية والتطورية والبوهيمية والفرويدية وغيرها ومن بعدها التحولات السياسية والفكرية الكبرى التي جعلت من الدنيا أصل كل شيء ونست الآخرة بل وربطت الدين بكل تخلف.

واليوم انقلبت بنا الأيام ودارت بنا الدوائر لنأخذ دور أوربا في تخلفها القديم وتأخذ منا دور الريادة والقيادة – ولكن بتنحية دور الدين طبعاً – فهل نعي الدرس ، أم أننا سائرون في تـــأسيس كهنوتية إسلامية لا ترى من العالم إلا الفعل التعبدي وتهمل الفعل التفاعلي مع الواقع والعمل بأسباب النصرة والعزة والتمكين كي نكون أهل فعل لا أهل ردة فعل؟! أو ربما نؤسس لحركة تصوفية من نوع متطرف نقيض للأول يوم غدت الأمة مستسلمة غثائية ممسوخة العقول والمشاعر والهمم فكانت تستقبل الغزاة بالدفوف وأناشيد الأولياء عسى أن تكون رادعة لمدافعهم وأسلحتهم !، أي الطرف النقيض الآخر وهو تجميد العقول والمدارك والأفهام بحجة الوقوف على النص بصرامة دون فقه للواقع العصري المعاش اليوم وطبيعة التحديات العصرية الجديدة، ومن ثم وجوب النقل عن علماء الأمة ممن عاشوا في أزمنة مختلفة وواكبوا واقعاً مختلفاً في تحدياته لكنهم فقهوا واقعهم وتعاملوا معه بفهم وإدراك وحكمة فو فقهم الله تعالى ورفع بهم قدر الأمة فكانوا من أسباب نهضتها ورفعتها. لكن بعض علماء الأمة من اللاحقين والمعاصرين أساؤوا فهم أدوار وأطوار النهوض والعزة والصعود فقيدوا العودة للدين بفعل الأعمال التعبدية حصراً دون رفعها للطور الأعلى طور الأعمال التفاعلية الخلاقة التي كانت عنوان نهضة الأمة في كل وقت فجمدوا فعل العامة عند

إقامة الشعائر والطاعات وأهملوا أو حددوا فعل غاياتها و ما ترمي إليه من فعل نهضوي صاعد ليفهموا العامة أن تلك الأعمال التعبدية عنواناً لدخول الجنة ، وعليه فلا داعي لما يترتب عليها من أعمال تفاعلية نهضوية ، وتبعاً لذلك صار معتاداً اليوم في زمن النكسات أن تلك المفاهيم هي الشريعة الحقة التي أرتضاها الله تعالى ودونها أو غيرها إنما هي السبل التي تدخل النيران وتستجلب غضب الرحمن . فكان أن تركت كل تلك الأفعال العملاقة العظيمة المستحصلة من البناء التصاعدي للشخصية الإسلامية كما أرادها الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، فغدت قوة الدفع النهضوية للأمة المرجوة من تلك الشعائر كحال قوة السيل العارم إذا اصطدم بسد أو حاجز تراه يعود ليضرب نفسه.

والمؤسف حقاً أن يأتي كل ذلك بحجة تبني بعض الآثار الصحيحة عن النبي عليه الصلاة والسلام مما لم يفهم القصد منه على وجه الدقة كما سنبين أو لم تستقصى العلة من وراءه أو أخذ مجتزئاً من موضع أعم وأشمل ليحجر الشاسع ويضيق الواسع، ومن ثم يحكم بإسقاطه على كل فكر نهضوي وعلمي وحضاري للأمة بحجة أنه لم يكن مطبقاً في عصر البعثة الشريفة أو عهد الصحابة رضوان الله تعالى عنهم. فعلى سبيل المثال يسوق لنا بعض العلماء ممن نكن لهم كل التبجيل والاحترام أن حديث النبي عليه الصلاة والسلام (إنا أمية أمية)، الحديث، يمنعنا من الحساب وتعلمه. وهذا قول عجيب حقاً، فكيف إذن نريد أن نقنع الناس أن ديننا دين علم وأن أول آية نزلت فيه (اقرأ) لتدل على مكانة العلم والعلماء وأن العلم والتعلم والعلماء جاءت في آيات عديدة.. أليس في قولنا هذا تناقض؟!.. فمع شديد الأسف تجد وتسمع من العلماء الأكارم من يحتج بقول النبي عليه الصلاة والسلام في توصيف حال الأمة الأمية في الحديث الصحيح الذي أخرجه الشيخان وتواتر ذكره عند العديد من أهل السنن من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا هكذا)، يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين [1].

المتأمل في الحديث لا يجد فيه تحريضاً على عدم العلم وإنما جاء الحديث ليصف حالة العرب في وقت النزول وأنهم ليس لهم حاجة لحساب مدارات الكواكب والأفلاك ليعلموا مواقيت الزمن بسبب صعوبة الأمر عليهم وقتها ولكن الحديث بالتأكيد لا يحض على البقاء هكذا ولا يفهم منه الابتعاد عن العلوم الفلكية والهندسية والرياضية والحسابية وإلا لكان يناقض قوله الله تعالى في الكتاب الكريم في أكثر من موضع وهو يبين لنا أهمية الزمن والوقت وكيفية حسابها والحض على تعلم ذلك، والتناقض لا يمكن له أن يكون بين قول الله تعالى وقوله عليه الصلاة والسلام إنما هو تقصيرنا في فهم الحديث وإنزاله المنزل المناسب . فمثلاً تقرأ قول الحق جل وعلا: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [البقرة:189]. وقوله تعالى في الحض على تعلم الزمن وحسابه والفلك وعلم الحساب والهندسة المتعلقة بحركة الأفلا ك والكواكب – وليس التنجيم كما يلتبس على البعض– : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [يونس: 5]، (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً) [الإسراء: 12]، فقوله تعالى في الآيتين الكريمتين: (لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) في الأولى و(وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) في الثانية فيهما حض وحث واضحين على تعلم هذه العلوم النافعة، فاللام

---

(1) صحيح البخاري [جزء 2 – صفحة 675 ، رقم الحديث 1814 وجاء برقم 1801 كذلك].. وأخرجه أخرجه مسلم في الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال رقم 1080.. قال المفسرون: (أمة) جماعة العرب. (أمية) لا تقرأ ولا تكتب نسبة إلى الأم أي الحالة التي ولدتنا عليها الأمهات. (لا نكتب) قليل فينا من يكتب. (ولا نحسب) لا نعرف حساب النجوم وتسييرها فلم نكلف في مواقيت عباداتنا ما يحتاج فيه إلى معرفة حساب ولا كتابة.

سببية وتعلموا فيها حث على تعلم هذا العلم المهم، أي كأن الله تعالى يقول لنا لكي تعلموا والأحرى لكي تتعلموا، والله تعالى أعلم.ولكم أخوتي الأكارم القياس على هذا في كيفية حال بعض علماءنا في التعاطي مع النصوص الصحيحة [1].

ذكرت ذلك لأجعله منطلقاً للكلام حول مفهوم البدعة وفهمها المخطوء من قبل بعض الأخوة العلماء وعدم إنزالها المنزل الصحيح مما تسبب في خسارتنا لجهود كثيرة وقلوب مؤمنة سليمة وعقول منيرة حريصة.

لكي نفهم البدعة والفرق بين البدعة اللغوية والشرعية نتبين ذلك من قول أهل العلم من سلف الأمة وعلماءها وفقهاءها رحمهم الله تعالى ورضي عنهم.

1. أخرج أبي داود في سننه عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا: أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه {ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه } فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال العرباض صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يارسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" [2]

2. عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنما هما اثنتان، الكلام الهدى، فاحسن الكلام كلام الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور ، فان شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل

---

(1) سوف نناقش هذا الحديث الشريف وكيفية تدبره وفهم مقاصده الكريمة – التي هي على العكس تماماً مما ذهب إليه البعض هذه الأيام – بتفصيل أكثر في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(2) سنن أبي داود [جزء 2 – صفحة 610، رقم 4607] قال الشيخ الألباني : صحيح.

بدعة ضلالة، ألا لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ، ألا إن ما هو آت قريب وإنما البعيد ما ليس بآت ، ألا إن الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره، ألا إن قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث . ألا وإياكم والكذب ، فان الكذب لا يصلح بالجد ولا بالهزل ، ولا يعد الرجل صبيه ثم لا يفي له ، فان الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإنه يقال للصادق صدق وبر ، ويقال للكاذب كذب وفجر ، ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) (1)

3. عن عرباض بن سارية قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت لها الأعين ووجلت منها القلوب قلنا أو قالوا يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فأوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة(2).
4. وفي لفظ الدارمي قال : عن عرباض بن سار ية قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر ثم وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين

---

(1)سنن ابن ماجه [جزء 1 – صفحة 18 ، رقم 46]. قال الشيخ الألباني : ضعيف.. قال الشراح: (إنما هما اثنتان) ضميرها منهم مفسر بالكلام والهدى . أي إنما الكتاب والسنة اللذان وقع التكليف بهما اثنتان لا ثالث معهما. (ألا لا يطولن عليكم الأمد) الأمد هو الأجل . أي لا يلقي الشيطان في قلوبكم طول البقاء فتقسو أي تغلظ قلوبكم . (كفر) أي من شأن الكفر . (فسوق) أي من شأن الفسقة . (لا يصلح) أي لا يوافق شأنه المؤمن بالجد أي بطريق الجد . (والبر) قيل هو اسم جامع للخير . وقيل هو العمل الخاص من كل مذموم .

(2) مسند أحمد بن حنبل [جزء 4 – صفحة 126 ، رقم 17184].. تعليق شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح ورجاله ثقات..

عضوا عليها بالنواجذ وإياكم والمحدثات فإن كل محدثة بدعة وقال أبو عاصم مرة وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة[1].

5. وفي لفظ ابن حبان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر الكلاعي قالا : أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه : { ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه } فسلمنا وقلنا : أتيناك زائرين ومقتبسين فقال العرباض : (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا مجدعا فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) قال : أبو حاتم في قوله صلى الله عليه وسلم : (فعليكم بسنتي) عند ذكره الاختلاف الذي يكون في أمته بيان واضح أن من واظب على السنن قال بها ولم يعرج على غيرها من الآراء من الفرق الناجية في القيامة جعلنا الله منهم بمنه)[2].

البدعة لغة هي الأمر الجديد المخترع ولم يكن سابق عهد، قال تعالى : (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) (الانبياء:2)، (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ) (الشعراء:5). فقوله تعالى : {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث } أي جديد إنزاله[3]، والمحدث هنا أي الجديد من الآيات والذكر الحكيم. وصفة البارىء لله تعالى : أي الخالق وبينهما فرق وذلك أن البارىء هو المبدع المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال إلى حال[4].

---

(1) سنن الدارمي [جزء 1 – صفحة 57 ، رقم 95].. قال حسين سليم أسد : إسناده صحيح.

(2) صحيح ابن حبان [جزء 1 – صفحة 178، رقم 5].. قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح.

(3) تفسير ابن كثير [جزء 3 – صفحة 232].

(4) تفسير القرطبي [جزء 1 – صفحة 440].

يقول أهل اللغة:

أَبْدَعَ الشيء اخترعه لا على مثال والله بديع السماوات والأرض أي مُبْدعهُما و البديعُ المبتدع و المُبْتَدَعُ أيضاً و البديعُ أيضاً الزق وفي الحديث { إن تهامة كبديع العسل حلو أوله حلو آخره } شبهها بزق العسل لأنه لا يتغير بخلاف اللبن و أَبْدَعَ الشاعر جاء بالبديع وشيء بِدْعٌ بالكسر أي مبتدع وفلان بِدْعٌ في هذا الأمر أي بديع ومنه قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل { و البِدْعةُ الحدث في الدين بعد الإكمال و استَبْدَعَهُ عده بديعا و بَدَّعَهُ تبْدِيعَاً نسبه إلى البدعة [1]. و(البِدْعَةُ) بالكسر : الحَدَثُ في الدين بعدَ الا كْمَالِ أو ما استُحْدِثَ بعد النبيِّ صلى الله عليه وسلم من الأَهْواءِ والأَعْمالِ[2]. وبَدَّعَهُ تَبْدِيعاً : نَسَبَهُ إلى البِدْعَةِ . واستَبْدَعَه : عَدَّه بَدِيعاً . وتَبَدَّعَ : تَحَوَّلَ مُبْتَدِعاً[3].وبَدَّعَهُ تَبْدِيعاً : نَسَبَهُ غِلَى البِدْعَةِ كما في الصّحاحِ ، واستَبْدَعَهُ : عَدَّهُ بَدِيعاً كما في الصّحاح أيضاً . وتَبَدَّعَ الرَّجُلُ : تَحوَّلَ مُبْتَدِعاً كما في العُبَابِ قال رُؤْبَةُ: (إنْ كُنْتَ لِلهِ التَّقِيَّ الأَطْوَعَا ... فليسَ وَجْهَ الحقِّ أَنْ تَبَدَّعا). وأَبْدَعَ الرَّجُلُ وابْتَدَعَ : أَتَى ببِدْعَةٍ . ومن الأَخِيرِ قَوْلُه تَعَالَى : " ورَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوها" ، وزِمامٌ بَدِيعٌ : جَدِيدٌ . وفي المَثَلِ : إِذَا طَلَبْتَ الباطِلَ أُبْدِعَ بِكَ . وأَبْدَعُوا بِهِ : ضَرَبُوهُ . وأَبْدَعَ يَمِيناً : أَوْجَبَهَا عن ابْنِ الأَعْرابيّ. وأَبْدَعَ بالحَجِّ وبِالسَّفَرِ : عَزَمَ عَلَيْه . وأَمْرٌ بادِعٌ : بَدِيعٌ[4]. ومُحْدَثَاتُ الأُمورِ : ما ابتَدَعَهُ أَهْلُ الأَهْوَاءِ من الأَشْيَاءِ التي كان السَّلَفُ الصَّالِحُ على غيرِها وفي الحديثِ : " إِيّاكُم ومُحدَثَاتِ الأُمُورِ " جَمْعُ مُحْدَثةٍ : بالفَتْح : هو مالك يكن مَعْرُوفاً في كتابِ بني قُرَيْظَةَ " لَمْ يَقْتُلْ من نسائِهِمْ إلاّ امْرَأَةً واحِدَةً كانَتْ أَحْدَثَتْ حَدَثاً " قيل : حَدَثُها أَنّها سَمَّتِ النَّبِي صلَّى الله عليه و سلّم . وقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : " كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وكلُّ بِدْعةٍ ضَلاَلَةٌ " . وفي حديث المَدِينَة : " مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثاً أو آوَى مُحْدِثاً " الحَدَثُ : الأَمرُ الحادِثُ المُنْكَرُ الذي ليس بمُعْتَادٍ ولا مَعْرُوف في السُّنّة

---

(1) مختار الصحاح [جزء 1 – صفحة 73]
(2) القاموس المحيط [جزء 1 – صفحة 906]
(3) القاموس المحيط [جزء 1 – صفحة 907].
(4) تاج العروس [جزء 1 – صفحة 5094]

والمُحْدِثُ يُروَى بكسرِ الدّال وفتحها على الفاعِل والمَفْعُول فمعنَى الكسْرِ : من نَصرَ جانِباً وآوَاه وأَجَارَه من خَصْمِه وحال بينَه وبينَ أَن يقْتَصَّ مِنْهُ والفتْحُ : هو الأَمْرُ المُبْتَدَعُ نَفْسُه ويكونُ معنى الإِيواءِ فيه : الرِّضا بهِ والصَّبْرَ عَلَيْهِ فإِنه إِذا رَضِيَ بالبِدْعَةِ وأَقرَّ فاعِلَها ولم يُنْكِرْهَا عليه فقد آوَاهُ . واسْتَحْدَثْتُ خَبَراً أَي وَجَدْتُ خَبَراً جَديداً[1].

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى : { بديع السموات والأرض } أي : خالقهما على غير مثال سبق قال مجاهد والسدي : وهو مقتضى اللغة ومنه يقال للشيء المحدث بدعة كما جاء في صحيح مسلم : فإن كل محدثة بدعة والبدعة على قسمين : تارة تكون بدعة شرعية كقوله : [فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة] وتارة تكون بدعة لغوية كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم : نعمت البدعة هذه وقال ابن جرير : { بديع السموات والأرض } مبدعهما وإنما هو مفعل فصرف إلى فعيل كما صرف المؤلم إلى الأليم والمسمع إلى السميع ومعنى المبدع المنشيء والمحدث ما لا يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد قال : ولذلك سمي المبتدع في الدين مبـتدعا لإحداثه فيه ما لم يسبق إليه غيره وكذلك كل محدث قولا أو فعلا لم يتقدم فيه متقدم فإن العرب تسميه مبتدعا[2].

وبالعودة إلى معنى الحديث وما تعنيه البدعة، البدعة في الحديث لا تعني البدعة اللغوية بالمطلق بل تعني الاستحداث في أمور التشريع والدين والحلال والحر ام حصراً. والحديث بالمجمل يبين أنه سيكون هناك أمور عجيبة محدثة جديدة منها عامة ومنها تشريعية بعد عصر النبي عليه الصلاة والسلام فما كان من أمور البدعة الشرعية فهي المنهي عنها وأما ما كان في أمور الحياة والمعيشة فهذا ما بينه النبي عليه الصلاة والسلام في حديث (أنتم أعلم بامور دنياكم) كما سنورده لاحقاً.

---

(1) تاج العروس [جزء 1 – صفحة 1236]

(2) تفسير ابن كثير [جزء 1 – صفحة 221]

فقوله عليه الصلاة والسلام : (فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافً ا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة) لا يعني اختلاف و تغير أنماط الحياة بل يعني استحداث أمور تعبدية أو سلوكية لم تكن أقرت من قبل الشارع أو قد تكون قد شرعها ما هو معاكس لها ومحدثات الأمور هي تلك الأعمال التي لم تكن على عهده عليه الصلاة والسلام أو عهد الخلفاء الراشدين من أمور العبادة تحديداً وليس من أمور نمط المعيشة ونوع العمل الدنيوي فالمهن والحرف ونمط الحياة متغير لا محالة.

والدليل على هذا القول هو الحديث الصحيح المروي من الشيخين وبقية أهل السنن . فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)[1]. فقوله عليه الصلاة والسلام كما فصّل الشراح : (أحدث) اخترع، و(أمرنا هذا) ديننا هذا وهو الإسلام ، و(ما ليس فيه) مما لا يوجد في الكتاب أو السنة ولا يندرج تحت حكم فيهما أو يتعارض مع أحكامها وفي بعض النسخ (ما ليس منه)، و(رد) باطل ومردود لا يعتد به[2].

وبالتالي فالمقصود هنا في البدعة المحرمة المفضية للضلال والإضلال هي استحداث أمور لم تكن مشرعة أصلاً أو تغيير الأحكام المثبتة في الشريعة والعقيدة من عبادات وسلوك وأخلاق ومعاملات حصراً ، وليس المقصود بها بأي حال من الأحوال آليات عمل أو مهنة أو طريقة أو ابتكار يؤدي لن هضة الأمة وتطير أساليب دعوتها لدين ربها، كم لم يقصد بها الأمر الدنيوي والحياتي الداعم لنهضة الأمة وتقدمها وصعودها ورقيها.

---

(1) صحيح البخاري [جزء 2 – صفحة 959 ، رقم 2550].. رواه عبد الله بن جعفر المخرمي وعبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم .. وأخرجه مسلم في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور رقم 1718 .

(2) انظر شرح الحديث برقمه في فتح الباري.

وحيث أن الدعوة لله تعالى تشمل كل ذلك وتشمل الحياة بأسرها فإن استنباط طرق للدعوة لله تعالى تتناغم مع وقت الدعوة وزمنها وبيئتها وفق عموم الأحكام بما يجلب المنفعة للأمة ويدفع المفسدة كما بينها علماء الأمة والفقهاء لا يكون ضمن البدعة المذمومة شرعاً تلك بل أحياناً قد تكون البدعة محمودة حتى في الأمور التعبدية كما فعل سيدنا عمر في سنه للتروايح جماعة . فعن عبد الرحمن بن عبد القارىء أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر : (والله إني لأراني لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل)، فجمعهم على أبي بن كعب قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال عمر : (نعمت البدعة هذه والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون)، يعني آخر الليل وكان الناس يقومون أوله[1].

قال أهل العلم : قوله : نعمت البدعة يريد صلاة التراويح فإنه في حيز المدح وفيه تحريض على الجماعة المندوب إليها وإن كانت لم تكن في عهد أبي بكر فقد صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما قطعها إشفاقا من أن تفرض على أمته وكان عمر ممن نبه عليها وسنها على الدوام فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة كذا في " الكاشف عن حقائق السنن " للطيبي. وقوله : البدعة فيه إشارة إلى أنها ليست ببدعة شرعية حتى تكون ضلالة بل بدعة لغوية وهي حسنة وقد حقق الأمر في ذلك في رسالة " إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة ". وقوله : ورأوه حسنا كما يدل عليه قول عمر : نعمت البدعة قال ابن تيمية في " منهاج السنة " : إنما سماه بدعة لأن ما فعل ابتداء بدعة في اللغة وليس ذلك بدعة شرعية فإن البدعة الشرعية التي هي ضلالة ما فعل بغير دليل شرعي كاستحباب ما لم يحبه الله وإيجاب ما لم يوجبه الله وتحريم ما لم يحرمه الله... انتهى . وبه يندفع ما يقال : إن قول عمر نعمت البدعة مخالف لحديث " كل بدعة ضلالة " بأن المراد بالبدعة في الكلية البدعة

(1) الموطأ – رواية يحيى الليث [جزء 1 – صفحة 114 ، رقم 250].

الشرعية وتوصيف الحسن للبدعة اللغوية ولم يرو عن أحد من الصحابة في زمان الخلفاء فمن بعدهم الإنكار على ذلك بل قد وافقوا عمر في كونه حسنا وباشروا به وأمروا واهتموا به ، فأخرج ابن أبي شيبة في " المصنف " عن وكيع عن هشام عن أبي بكر بن أبي مليكة أن عائشة أعتقت غلاما له ا عن دبر فكان يؤمها في رمضان في المصحف وعلقه البخاري في " باب إمامة العبد " بلفظ : وكانت عائشة يؤمها ذكوان من المصحف . وأخرج محمد في كتاب " الآثار " عن إبراهيم النخعي أن عائشة تؤم النساء في شهر رمضان فتقوم وسطاً ، وأخرج البيهقي عن السائب : كانوا يقومون على عهد عمر في شهر رمضان بعشرين ركعة وأخرج عن عروة أن عمر أول من جمع الناس على قيام رمضان الرجال على أبي بن كعب والنساء على سليمان بن أبي حثمة زاد ابن سعد : فلما كان عثمان جمع الرجال والنساء على إمام واحد سليمان بن أبي حثمة . وأخرج البيهقي عن شبرمة - وكان من أصحاب علي - أنه كان يؤمهم في رمضان فيصلي خمس ترويحات ، وأخرج أيضاً أنهم كانوا يقومون على عهد عمر بعشرين ركعة وعلى عهد عثمان وعلي مثله وأخرج أيضاً عن عرفجة : كان علي يأمر الناس بقيام رمضان. ويجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً قال عرفجة : فكنت أنا إمام النساء. وعن أبي عبد الرحمن السلمي : أن عليا دعا القراء في رمضان فأمر رجلاً بأن يصلي بالناس عشرين ركعة وكان علي يوتر بهم. وروي عن علي أنه قال : نور الله قبر عمر كما نور علينا مساجدنا ، ذكره ابن تيمية. وفي الباب آثار كثيرة [1].

بل إن حديث السنة الحسنة والسنة السيئة يبين لنا كيف حث النبي صلى الله عليه وسلم الناس للتسابق في الخيرات والإكثار منها وفق ما شرعه الله تعالى ووفق مفهوم الآيات الكريمات في قوله تعالى : (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة: من الآية197)، وقوله تعالى : (...وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً ...) (المزمل: من

---

(1) الموطأ – رواية محمد بن الحسن [جزء 1 – صفحة 241، 355].

الآية20)، (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة:110). وكذلك قوله تعالى: (خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين:26)، وكذلك قوله تعالى: (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الحديد:21)، (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران :133)، فالاستزادة والتسابق والتسارع والتنافس في تقديم الخير والباقيات الصالحات مما يدخل في العبادات والسلوك والمعاملات والأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله وإقامة شرع الله كلها مما حث عليها الشرع الحنيف ولم يحدد طريقة لها عدا كونها خالصة لله ومطابقة لشرعه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

فعن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء م تقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلال فإذن وأقام فصلى ثم خطب فقال : { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة } [النساء: الآية 1] إلى آخر الآية { إن الله كان عليكم رقيبا } والآية التي في الحشر { اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله } [الحشر : الآية 18] تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره (حتى قال) ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الانصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم ت تابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثبات رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[1].

---

(1) صحيح مسلم [جزء 2 – صفحة 704].

والمعنى أن وجه النبي كان (يتهلل) أي يستنير فرحاً وسروراً عند رؤيته لفعل خير من أصحابه لم يأمرهم به هو [1]. ومعنى (سن في الإسلام) أي أحدث واخترع وابتكر أمراً ضمن ما جاء به الإسلام من أوامر وضمن ما ختطه من تشريعات بالعموم ولم يحدد شيئاً بعينه.

وهنا المعنى واضح أن الاختراع والتسنن بسنن ضمن مفهوم الشرع الحنيف هذا إنما هو بدعة حسنة محببة تماماً كتلك التي أقرها سيدنا عمر رضي عنه في صلاة التراويح وبيناها آنفاً، وهي ضمن مفهوم البدعة اللغوية لا البدعة الشرعية المنهي عنها. وإن لم يكن الأمر كذلك لكان فعل الصحابة مما بيناه آنفاً كله بدع وضلالات توجب سخط الله وعذاب والنار والعياذ بالله.

بل والأكثر من ذلك نقول : لو كان الأمر كما يفهمه المنغلقون والمتنطعون لما كان فعل الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في تحويل مجرى الحكم من الشورى – وهي التي نص عليها كتاب الله تعالى في سورة كاملة وفعلها النبي عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين الهادين المهديين من بعده – إلى التوريث في أيام وجود كبار الصحابة والتابعين أكبر بدعة عرفها التاريخ الإسلامي قديمه وحديثه، وعليه لما كان النبي عليه الصلاة والسلام ليجعل من معاوية رضي الله عنه كاتباً للوحي ولما كان ليدعوا له بالعلم والكتابة والحساب كما سنفصل في فصل لاحق ولما كان له من كل تلك الفضائل التي بينتها لنا السنة الصحيحة.

إذن، أيها الأخوة الأ كارم ليس الأمر هكذا بل هناك ضوابط للمسألة علينا اتباعها ووضعها نصب العين أن المسألة تتعلق بأخطر شيء ألا وهي الأمانة، وأية أمانة؟، إنها أمانة الدين والدعوة ونهوض أمة الحبيب عليه الصلاة والسلام.

(1) أرجو التركيز هنا على قول الشراح لم يأمرهم به هو ووضع مليون خط تحتها لأن فيها ما نقصده، إذ أن ابتدار الصحابة لفعل الخيرات من عند أنفسهم كان مدعاة لفرح النبي عليه الصلاة والسلام وليس مدعاة لقوله لهم أنتم مبتدعون كما يفعل بعض علماءنا اليوم هداهم الله.

الفكرة والتنظير

طيب، دعونا نسقط هذا الأمر على منهجيتنا في الأسلوب الدعوي المعاصر والج ديد هل هو بدعة أم سنة حسنة في الإسلام.

في الفصل القادم سنفصل في التأصيلات الشرعية واللغوية لمشروع عصرية الدعوة ونقوم بتوضيح كامل لكل زوايا وأركان هذا الموضوع . ولكن نقول هنا من باب منطلق سرعتنا الابتدائية كما هو حال المصطلح الهندسي والفيزيائي في ابتداء الحركة:

إن عصرية الدعوة هي باختصار حياة كاملة وتسخير لكل جهود المجتمع في خدمتها وخدمة رسالتها السامية البانية وعدم حسر الأمر بمحاضرة هنا وشريط هناك وكتاب أو أنشودة حماسية. وعصرية الدعوة من جهة أخرى تمثل خلاصة ما أمر به الأنبياء عليهم السلام أن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم كما أخبرنا الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وهو المفهوم الذي يدخل ضمن معنى قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (إبراهيم: 4). فاللسان يشمل أسلوب التفكير والثقافة أي لسان الحال وليس النطق فقط أو لسان المقال – كما سنثبت بالبراهين والحجج الدامغة في الفصل اللاحق – ونحن تلك الأمة التي لو دونت ما تملك من حق وحجة في كتاب لملأت صفحاته المسافة بين الأرض والشمس.

لقد اقتصرت أساليب الدعوة الحالية المنتشرة في أغلب المرئيات والمسموعات والمقروءات والمنشورات على ا لأسلوب الروحي والتربوي فقط دون إدخال بقية مقومات الحياة وركزت على جوانب وأهملت أخرى . ولأن الدعوة حياة كاملة لا تنهض إلا بالإلمام بكل مقومات وجوانب الحياة ا لمتنوعة وإلا فستظل محصورة في نطاق ضيق أو قد يتجاوزها الزمن بفعل تطوره دون أن تقوم مقامها المطلوب وتؤدي دورها المندوب خصوصاً ونحن في عصر يختلف في تقلباته وسرعة دورانه عن أي عصر يمكن المقارنة به كان لزاماً أن نعيد حساباتنا في كيفية توجيه دفة المسيرة

الدعوية والتحكم بسرعة سفينتها كي نعود لأخذ دورنا الريادي والقيادي وننقذ هذه الأمة من واقع مرير تعاني منه، فإن تمكنا من التغيير فبفضل الله ورحمته لا بجهودنا وإن لم نتمكن من ذلك فالتقصير منا أولاً وأخيراً لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، لكن يكفينا شرف المحاولة.

وفضلاً عن هذا وذاك لننظر بعين الفاحص المراقب لما كان يفعله النبي عليه الصلاة والسلام في إدخاله لكل مقومات ومناحي الحياة في الدعوة ولم يقتصر على القول والنصح والوعظ فقط كما سنفصل في الفصل اللاحق.

لذلك سيتبين لنا بعدما نوضح ونفصل فكرة وتأصيل ومنهجية وتطبيقات و مشاريع عصرية الدعوة كيف أن نظرة أولئك الأقوام من الذين يبدعون الناس دون وجه حق ويتهمونهم بتغيير سنة النبي عليه الصلاة والسلام لا تتعدى نظرتهم لما تحت أقدامهم، وأن سبب تخلف الأمة عن الاستمرار بذلك العطاء العلمي والتقني والحضاري والثقافي والفكري والأدبي الثر جاء من بعض أسبابه هو تضييق الواسع وتكثيف الموانع بحصر شمولية هذا الدين وعظمته وتناغمه مع كل فطرة وناموس كوني في أمور تعد ثانوية إذا ما قورنت بروعة وأهمية وأسبقية الأمور الأخرى التي جاء بها كتاب الله تعالى وسنة حبيبه عليه الصلاة والسلام وفهمها السلف فانطلقوا لسبر أغوار العلوم والفنون والآداب وتغيير النمط الحضاري البشري لما كان لاحقاً السبب الحقيقي لانطلاق العالم نحو الثورات العلمية والصناعية والتقنية والحضارية . بل وأكثر من ذلك ستبين لنا مشاريع عصرية الدعوة كيف أن من القرآن والسنة يمكن أن ننطلق بالدعوة بأنماط دعوية جديدة مبتكرة غير مبتدعة.

إن فكرة الدعوة العصرية ليست ببدعة وإنما هي دعوة مستندة على ومنطلقة من كتاب الله تعالى وسنة الحبيب عليه الصلاة والسلام كما يبين الفصل القادم، وهي أيضاً مستندة لمتطلبات العصر وفقه أولويات ومتطلبات النهوض الحضاري للأمة الذي بات فجره قاب قوسين أو أدنى منا إن نحن أخذنا بتلك القوانين والمتطلبات وأحسنا

توظيفها لصالحنا [1]. فمشروع الأمة الحضاري في عصرية الدعوة يساهم فيه كل فرد في الأمة أفراد، مؤسسات، حكومات ودول، وهو يبنى على أساسسين أو ركيزتين رئيسسيتين هما :

1- العلم

2- الإعلام

لذلك فإنها تبدأ من منطلقاتها التي نحن بصددها في هذا الفصل ومن ثم نؤصل لها شرعياً ولغوياً ومن ثم نذكر بعض الأمثلة والاستباطات الدالة عليها من فعل علماء الأمة في مختلف العصور، وبعدها نبدأ بالتفصيلات في ركيزتيها الرئيستين العلم والإعلام، ومن بعدها نأخذ بالتطبيق في مشاريع عملية مهمة ناهلين من تجارب عديدة ومفيدة على مستوى الأفراد والمؤسسات في عالمنا الإسلامي، وكما هو موضح في الأشكال (1-1) و(1-2) على التوالي.

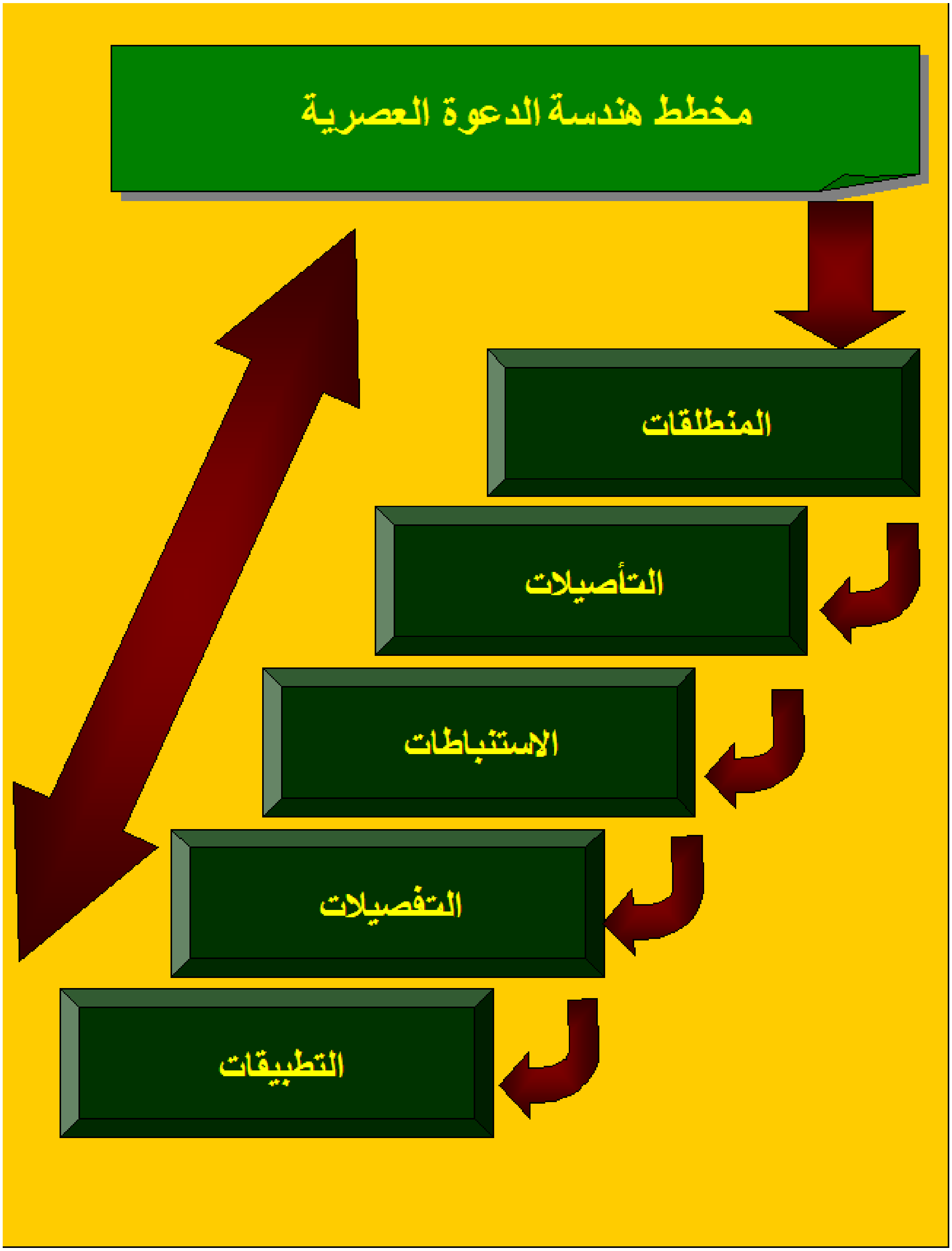
لقد بدأ المؤلف بوضع مرتكزات المشروع عبر سنين طويلة امتدت لأكثر من 15 عاماً، فكانت تتبلور فكرتها ومضامينها يوماً بعد يوم ومع كل مؤلَّف ي صدر أو بحث ينشر أو مؤتمر يحضر أو برنامج أو اكتشاف أو ابتكار، وهكذا، حتى تمت بلورة الأفكار والمنطلقات بفضل الله الكريم المنان ومن ثم البدء بالتطبيقات.

ولعل أحد أهم المفاصل المؤثرة تأسيس الموقع الإلكتروني الخاص المسمى بنفس الاسم وهو (مشروع عصرية الدعوة) كما يبين بعض ملامحه الشكل (1-3).

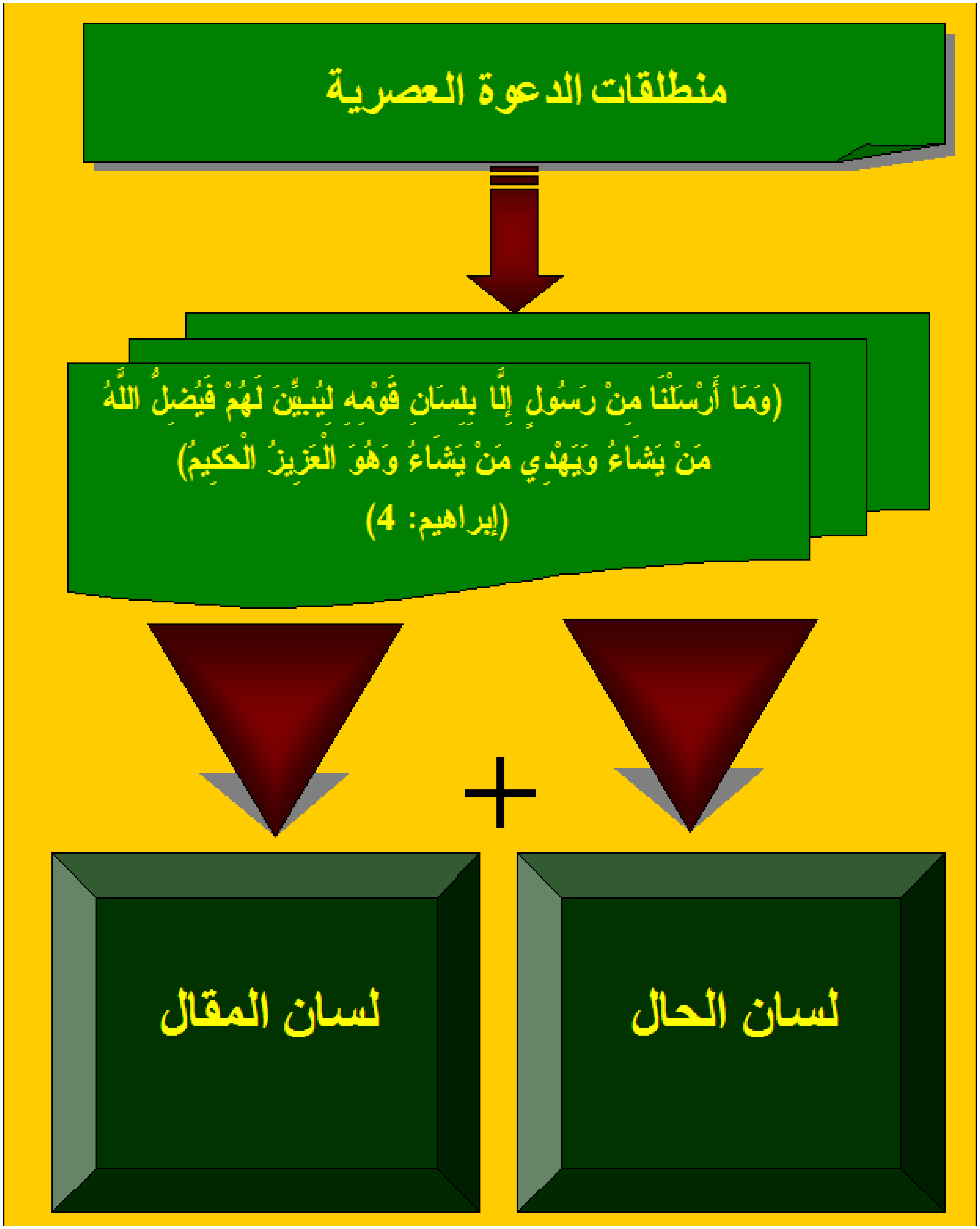
أما كيف ذاك وما تفاصيل تحويل هاتين الركيزتين إلى تطبيقات ومشاريع عمل تفصيلية، كل ذلك سنعرض له في الفصول اللاحقة بإذن الله تعالى.

---

(1) تراجع مصادر الملحق - أ- المتعلق بقوانين النهضة وكذلك كتاب : تأصيل فقه الأولويات؛ دراسة مقاصدية تحليلية، محمد همام عبد الرحيم ملحم، تقديم : محمد نعيم ياسين، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط /1، 2007م. وكتاب (في فقه الأولويات)، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط/1، 2000م.



الشكل (1-1): مخطط عام لهندسة الدعوة العصرية



الشكل (1– 2): منطلقات الدعوة العصرية

لسان القوم= (لسان الحال + لسان المقال)



الشكل (1-3): بعض ملامح مشروع الدعوة العصرية ضمن موقع المؤلف على الشبكة العالمية

عصرية الدعوة

الفصل الثاني

التأصيلات

الأدلة والحجج والبراهين الشرعية واللغوية

المقدمة

الدليل من القرآن واللغة

الدليل من القصص القرآني

الدليل من السنة المطهرة والسيرة العطرة على استخدام النبي عليه الصلاة والسلام لأساليب عصره وتقنيات زمانه

الدليل من علوم القرآن

المرتكزات

المقدمة

ذكرنا في الفصل الأول أن عصرية الدعوة هي خلاصة ما أمر به الأنبياء عليهم السلام أن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم كما أخبرنا الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وهو يدخل ضمن معنى قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (إبراهيم: 4).

فهل اللسان هنا يعني لسان المقال أي اللغة حصراً أم يتعداه للسان الحال؟!

الجواب هو لسان الحال والمقال معاً والأدلة كثيرة من الكتاب والسنة واللغة والاصطلاح.

لكن قبل أن نبدأ باستعراض الأدلة المتعلقة بموضوع اللسان وفرقه عن اللغة نبين بعض ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة الحبيب عليه الصلاة والسلام في موضوع مهم جداً وهو فن الخطاب وعلاقته بأصناف البشر.

لو أردنا أن نتأمل في كيفية مخاطبة الآخر بشكل مؤثر وفعال علينا اولاً تحليل المجتمعات العالمية الغربية والشرقية.

علينا أولاً أن نفهم كيف يفكر الغرب وهل هو فرقة واحدة أم فرق، علينا بتفكيك الأمر لنعطي لكل فرقة دوائها، فهناك المتعصب لقوميته، وهناك المتعصب لدينه، وهناك المتعصب لإلحاده، وهناك العلماني والوسطي والعلمي وغير ذلك من تقسيمات.. وكي نخاطب الجميع فنحن أمام أمرين أما أن نخاطب كل فئة بما تفهم، او أن نجد المشتركات بين الجميع لنخاطبهم بلغتهم. وليس من لغة عصرية نخاطب بها أهل الغرب على اختلاف مللهم ونحلهم لنجعلهم يفهموا عظمة الإسلام من أن نخاطبهم بأسلوب دعوي عصري.

إن القرآن الكريم يؤسس لفعل خطابي متزن مع الكثير من أصناف البشر، بل إنك تجد أصنافاً عديدة للبشر وتجد معها أساليب النقاش لكل صنف، فأينما تجد قوله تعالى : (ومن الناس) فذلك صنف عليك أن تتعامل معه بأسلوب يناسبه، وإليك الأمثلة:

- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) (البقرة:8)
- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) (البقرة:165).
- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) (البقرة:204).
- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ) (البقرة:207).
- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ) (الحج:3).
- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ) (الحج:8)، (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ) (لقمان: من الآية20).
- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) (الحج:11).
- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) (العنكبوت:10).
- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) (لقمان:6).

وكل واحد من تلك الأصناف لها علاجها الذي علينا إيجاده ومفتاحها الذي علينا اكتشافه.. ولنتأمل بعض أصناف الخطاب والنقاش التي استعرضها كتاب الله تعالى:

1. خطاب الله تعالى مع إبليس اللعين رغم تكبره وعناده وتعاليه وعصيانه مع أمر واضح من أوامر الله في السجود لآدم، ومع ذلك كان هناك نقاش عسى أن

يعدل عما ذهب إليه ولم تسد الأبواب، لكنه استكبر واختار طريق العناد فاستحق اللعنة. والآيات في ذلك كثيرة جداً، مثل قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (البقرة:34)، (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْ لِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) (الأعراف:11)، (إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَ أٍ مَسْنُونٍ (33)) (الحجر)، (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً) (الإسراء:61)، (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْ جِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً) (الكهف:50)، (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (76)) (ص).

2. دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود باستخدام التدرج بإظهار الحجج الدامغة وعدم إبداء كل ما في الجعبة دفعة واحدة، قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (البقرة:258).

3. محاججة سيدنا إبراهيم لأهل القرى التي مر عليها في رحلته من العراق للشام وكيفية التحلي بمنطق المقابل وكلام الناس على قدر عقولهم . قال تعالى في تلك القصة : (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ

يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78)) (الأنعام).

4. نقل المحاججة لداخل نفس المقابل ومناغاة فطرته التي فطر عليها رغم كفره لأن النفس البشرية مفطورة ومجبولة على الحق لكن ما يطغيها الدنيا والشهوات والعادة والعناد والكبر وأمور أخرى، فعندما تحول الحجة لدا خل النفس فإن سترجع عن غيها ولو للحظات، مع ملاحظة استخدام ضغط الحضور العلني للناس وتجمعهم وأثر ذلك في إحراج المقابل عند مواجهته بهذا الأسلوب. قال تعالى في قصة محاججة سيدنا إبراهيم لقومه بعدما كسر أصنامهم وترك الصنم الكبير ليسألهم بعد إحضاره أمام الناس واتها مه بهذا الفعل: طيب ما دمتم تعبدون هؤلاء سلوا كبيرهم هذا ليجيبكم ويخبركم من الفاعل، فعادوا لأنفسهم كيف يمكننا أن نكلم صنم إننا والله لظالمون في تعبدنا لتلك الحجارة. قال تعالى: (قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64)) (الأنبياء).

5. دعوة الله تعالى رسوليه موسى وهارون عليهما السلام لخطاب فرعون باللين والرفق والتحلي بالصبر معه عند دعوتهما إليه ليذر ما عليه من الضلال وينتمي لطائفة المؤمنين بالله عز وجل رغم أنه ادعى الألوهية وهي أقصى المحارم وأكبر الجرائم: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)) (طه).

6. الدعوة لمجادلة أهل الكتاب بالحسنى بل باختيار أحسن الكلام وأنفعه وأجوده، فقال تعالى: (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (العنكبوت:46).

7. الدعوة لعدم استخدام اللعن والسب حتى للكفار لئلا يستخدمون نفس الأسلوب فيسبوا الله عدواً، يقول تعالى : (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام:108).
8. استخدام 3 طرق رئيسة مع أصناف مختلفة من البشر، فالحكمة مع أهل العلم، والموعظة الحسنة مع أهل الحلم واللب والعقل، والجدال بالتي هي أحسن مع أصحاب العقائد والحجج والمتعصبين. قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل:125).
9. التسلح بالبصيرة والعلم في إتقان فن الدعوة، قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف:108).
10. استخدام فن تفكيك حجج المقابل بإبداء فكرة تساوي الفرص مع الآخر رغم الإيمان المطلق بأن الحق بجانب المتحدث، قال تعالى آمراً نبيه عليه الصلاة والسلام بأن يذكر قومه بأن من أدعوكم إليه هو نفسه من يرزقكم في حلكم وترحالكم وأنتم تشركون به ومع ذلك فنحن أو أنتم إما على الهدى وإما على الضلال: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (سـبأ:24).
11. التأدب مع المقابل وإن كان كافراً – فما بالك بمن يخالفك الرأي وهو على ملتك؟!- وذلك بنسبة العمل الطالح الموصل لدرجة الإجرام للنفس ونسبة العمل العادي للآخر رغم أن العكس هو الصحيح . يأمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بأن يقول لهم تلك العبارة المؤثرة في النفس لأنها ستحول

الصراع مباشرة لداخل النفس البشرية التي يلجمها الكبر والعلو والظلم في كثير من الأحيان لعدم تقبل الآخر، وهذا لعمري أرقى أصناف ال خطاب والنقاش والدعوة لأنه لمس جانباً نفسياً دقيقاً لم يكشف النقاب عن أسراره إلا في عصرنا الراهن . قال تعالى: (قُلْ لا تُسْأَلونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (سـبأ:25).

12. حتى الإعراض شخّصه القرآن الكريم على أنه فن من فنون الدعوة إلى ا لله في حال الكلام مع الجاهلين فحالهم يقتضي السكوت والابتعاد عن الجدال معهم لأنه أفضل الحلول . قال تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف:199).

كذلك تجد في السنة عدة أساليب استخدمها النبي عليه الصلاة والسلام لإفح ام المقابل، فتجد التنوع في الخطاب وفق الظرف والحال ونوع المخاطب رغم أن الفكرة والمحتوى واحد ولكن لغة الخطاب وفنونه تختلف، فخطاب الأعرابي غير خطاب ملك الروم أو ملك الفرس، وخطاب البسطاء من الناس غير خطاب كبراء قريش، وخطاب العرب غير خطاب اليهود، وخطاب الرجال غير خطاب النساء أو الأطفال، وخطابه في أهل بيته غير خطابه في بقية الناس، وهكذا فهو ينزل الناس منازلهم بأبي هو وأمي.

- ذكر عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله علية وسلم أن ننزل الناس منازلهم مع ما نطق به القرآن من قول الله تعالى : { وفوق كل ذي علم عليم }[1]. وعن ميمون بن أبي شبيب : أن عائشة عليها السلام مر بها سائل فأعطته كسرة ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته

(1) صحيح مسلم [جزء 1 – صفحة 4].

فأكل فقيل لها في ذلك فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنزلوا الناس منازلهم"[1].

- ❖ عن أبي هريرة رضي الله عنه : قيل يا رسو ل الله من أكرم الناس ؟ قال : (أتقاهم). فقالوا ليس عن هذا نسألك قال (فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله). قالوا ليس عن هذا نسألك قال (فعن معادن العرب تسألون ؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)[2].
- ❖ عن أبي هريرة بحدي ث يرفعه قال الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف[3].
- ❖ عن عائشة : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تكرهوا عباد الله إلى عباده فإن المنبت لا يقطع سفرًا ولا يستبقي ظهراً)[4].

---

(1) سنن أبي داود [جزء 2 – صفحة 677]. قال أبو داود وحديث يحيى مختصر ، قال أبو داود ميمون لم يدرك عائشة. قال الشيخ الألباني : ضعيف..

(2) صحيح البخاري [جزء 3 – صفحة 1224، رقم 3175، وجاء بأقام أخرى مثل : 3194، 3203، 3301، 4412]. وأخره مسلم في الفضائل باب من فضائل يوسف عليه السلام رقم 2378. ومعنى: (معادن العرب) أصولهم التي ينتسبون إليها ويتفاخرون بها. (فقهوا) فهموا وعلموا عملوا.

(3) صحيح مسلم [جزء 4 – صفحة 2031، 2638].

(4) شعب الإيمان [جزء 3 – صفحة 401]. ورواه أبو عقيل يحيى بن المتوكل عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر ورواه أبو معاوية عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وهو الصحيح وقيل غير ذلك.. وجاء في مسند الإمام أحمد عن موسى بن أنس عن أبيه قال لم يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشيب ما يخضب ولكن أبا بكر كان يخضب بالحناء والكتم حتى يقنأ شعره قال عبد الله وجدت في كتاب أبي بخط يده ثنا زيد بن الحباب قال أخبرني عمرو بن حمزة ثنا خلف أبو الربيع إمام مسجد سعيد بن أبي عروبة ثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق).. مسند أحمد بن حنبل [جزء 3 – صفحة 198، 13074]. تعليق شعيب الأرنؤوط : (قوله [لم يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشيب ما يخضب ولكن أبا بكر كان يخضب بالحناء والكتم حتى يقنأ شعره]

❖ في حديثه مع الطفل على قدر تفكيره وطور حياته تطبيقاً لحقيقة قرآنية عظيمة في انتقال الإنسان عبر أطوار (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً) (نوح:14): وهو ما جاء في قصة الطير الصغير النغير وصاحبه أبي عمير . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير (يا أبا عمير ما فعل النغير)[1]. والمعنى حسبما بينه الشراح : (ليخالطنا) يلاطفنا بطلاقة الوجه والمزح ، (لأخ لي) هو أخوه من أمه أم سليم ابن أبي طلحة رضي ا لله عن الجميع ، (النغير) مصغر نغر هو طائر صغير جمعه نغران وهو طير كالعصفور محمر المنقار يسميه أهل المدينة البلبل[2].

❖ بل إن الأسلوب الدعوي والخطابي الذي اتبعه النبي عليه الصلاة والسلام بعد فتح مكة وتحديداً في عام الوفود وتوافدها عليه لبيعته أو للاستفهام ع ن الدين الجديد قبل الدخول فيه يدل على أنه عليه الصلاة والسلام يعطي لكلٍ منزلته ومكانته ويخاطبه وفق بيئته وتقاليده ونمط تفكيره وكأنه قد عاش معهم ردحاً من الزمن أو أنه أحد أفراد تلك القبيلة أو ذلك الوفد، حتى وصل الأمر أن يخاطب بعض القبائل العربية ذات اللهجات المختلفة عن لهجة الحجاز بلهجتهم ويخاطب الشيخ الهرم وفق سنِّه والرجل الكبير وفق حكمته والشاب وفق حماسته والصغير وفق براءته وهكذا، مما يبين أهمية التعاطي مع الناس وفق ثقافتهم وأسلوب تفكيرهم ومنطقهم وضرورات العمر والبيئة والمنزلة والتجربة.

إسناده قوي محمد بن راشد – وهو المكحولي – صدوق لا بأس به وباقي رجاله ثقات. وقوله [ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق] حسن بشواهده وهذا إسناد ضعيف).

(1) صحيح البخاري [جزء 5 – صفحة 2270، بأرقام 5850، و5778].. وأخرجه مسلم في الآداب باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، رقم 2150.

(2) انظرالشرح في فتح الباري.

وبناء على ما تقدم فإنه من الطبيعي عقلاً ونقلاً أن يكون اللسان الذي نخاطب به الآخرين – وهم أصناف عدة – لسان حال كذلك ولا يقتصر على لسان المقال حسب، وما سنستعرضه من أدلة أدناه يضع الأمور في نصابها الصحيح.

دعونا نتأمل في الأدلة من القرآن وقصصه والسنة وإرشاداتها واللغة ومصطلحات ها وكنوزها فيما يتعلق بنمط اللسان وفرقه عن اللغة وهل أن القصص القرآني يبرهن لنا أن اللسان المخاطب به النس لدعوتهم يعني اللغة أم ما هو أكبر منها.

الدليل من القرآن واللغة

قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُ مْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (إبراهيم: 4). قوله تعالى: { وما أرسلنا من رسول } أي قبلك يا محمد { إلا بلسان قومه } أي بلغتهم ليبينوا لهم أمر دينهم ووحد اللسان وإن أضافه إلى القوم لأن المراد اللغة فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ترجمة يفهمها لزمته الحجة وقد قال الله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ } (سبأ : 28)، وقال صلى الله عليه وسلم : [أرسل كل نبي إلى أمته بلسانها وأرسلني الله إلى كل أحمر وأسود من خلقه] وقال صلى الله عليه وسلم : [والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار] خرجه مسلم(1). وعن عمر بن ذر قال قال مجاهد عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم : يبعث الله نبيا الا بلغة قومه (2).

1 تفسير القرطبي [جزء 9 – صفحة 290].

2 مسند أحمد بن حنبل [جزء 5 – صفحة 158].. تعليق شعيب الأرنؤوط : متنه صحيح فقد نص القرآن على هذا في غير ما آيه وأما إسناد هذا الحديث فرجاله ثقات رجال الصحيح لكن مجاهدا لم يسمع من أبي ذر.

اللسان في اللغة هو اللغة وهو جارحة الكلام والنطق، يقول مختار الصحاح: اللِّسَانُ جارحة الكلام وقد يكنى به عن ال كلمة فيؤنث حينئذ فمن ذكره قال ثلاثة ألْسِنة مثل حمار وأحمرة ومن أَنث قال ثلاث أَلْسُن مثل ذراع وأذرع ، واللَّسَن بفتحتين الفصاحة وقد لَسِنَ من باب طرب فهو لَسِنٌ وألْسَنُ وفلان لِسَان القوم إذا كان المتكلم عنهم ، واللِّسَانُ لسان الميزان ولَسَنَه أخذ بلسانه وبابه نصر [1].

ويقول صاحب لسان العرب : اللِّسانُ جارحة الكلام وقد يُكْنَى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ قال أَعشى باهلة إِنِّي أَتَتْني لسانٌ لا أُسَرُّ بها من عَلْوَ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ قال ابن بري اللِّسان هنا الرِّسالة والمقالة ومثله أَتَتْني لسانُ بني عامِرٍ أَحاديثُها بَعْد قوْلٍ نُكُرْ قال وقد يُذَكَّر على معنى الكلام . قال الحطيئة نَدِمْتُ على لسانٍ فاتَ مِنِّي فلَيْتَ بأَنه في جَوْفِ عَكْمٍ وشاهد أَلْسِنَةٍ الجمع فيمن ذَكَّرَ قوله تعالى : (واختِلافُ أَلسِنَتِكم وأَلوانكم)، الآية، وشاهدُ أَلْسُنٍ الجمع فيمن أَنث قول العجاج أَو تَلْحَجُ الأَلْسُنُ فينا مَلْحَجا ابن سيده. واللِّسانُ المِقْوَلُ يذكر ويؤنث والجمع أَلْسِنة فيمن ذكر مثل حِمار وأَحْمرة وأَلْسُن فيمن أَنث مثل ذراع وأَذْرُع لأَن ذلك قياس ما جاء على فِعالٍ من المذكر والمؤنث . وإِن أَردت باللسان ا للغة أَنثت يقال فلان يتكلم بلِسانِ قومه قال اللحياني اللسان في الكلام يذكر ويؤنث يقال إِن لسانَ الناس عليك لَحَسنة وحَسَنٌ أَي ثناؤُهم. قال ابن سيده هذا نص قوله واللسان الثناء وقوله عز وجل : (واجْعَلْ لي لسانَ صِدْقٍ في الآخرين)، الآية، معناه اجعل لي ثَناءً حَسناً باقياً إِلى آخر الدهر وقال كثير نَمَتْ لأَبي بكرٍ لسانٌ تتابعتْ بعارفةٍ منه فخَضَّتْ وعَمَّتِ وقال قَسَاس الكِنْدِيُّ أَلا أَبْلغْ لَدَيْكَ أَبا هُنَيٍّ أَلا تَنْهَى لسانَك عن رَداها فأَنثها ويقولون إِن شَفَةَ الناس عليك لَحسَنة وقوله عز وجل : (وما أَرسلنا من رسول إِلا بلسانِ قومه)، الآية، أَي بلغة قومه ومنه قول الشاعر أَتَتْني لسانُ بني عامِرٍ ذهب بها إِلى الكلمة فأَنثها . وقال أَعشى باهلة إِنِّي أَتاني لسانٌ لا أُسَرُّ به ذهب إِلى الخبر فذكره ابن سيده . واللسان اللغة مؤنثة لا غير واللِّسْنُ بكسر اللام اللُّغة واللِّسانُ الرسالة . وحكى أَبو عمرو لكل قوم لِسْنٌ أَي لُغَة

1 مختار الصحاح [جزء 1 - صفحة 612].

يتكلمون بها، ويقال رجل لَسِنٌ بَيِّنُ اللَّسَن إذا كان ذا بيان وفصاحة ، والإِلْسان إبلاغ الرسالة، وأَلْسَنَه ما يقول أَي أَبلغه، وأَلْسَنَ عنه بَلَّغ، ويقال أَلْسِنِّي فلاناً وأَلْسِنْ لي فلاناً كذا وكذا أَي أَبْلِغْ لي وكذلك أَلِكْني إِلى فلان أَي أَلِكْ لي، وقال عديٌّ بن زيد بل أَلسِنوا لي سَراةَ العَمّ أَنكمُ لستُمْ من المُلْكِ والأَبدال أَغْمار أَي أَبْلِغوا لي وعني . واللِّسْنُ الكلام واللُّغة ولاسَنه ناطَقه ولَسَنه يَلْسُنه لَسْناً كان أَجودَ لساناً منه ولَسَنه لَسْناً أَخذه بلسانه[1].

ويستنبط من المعاني اللغوية أن اللسان هو جارحة الكلام وهو اللغة وهو صفة تطلق على الناس سواء بالثناء أو الذم وهو صفة كلام الرجل فيقال أنه سليط اللسان وهو الرسالة والمقالة. والخلاصة أن اللسان كلا ما يلفظ من قول للتعبير عن أمور شتى في مناحي الحياة وهو الأداة المعبرة عن السلوك والتصرفات والأوصاف للبشر والحيوان والحجر والنبات وكل ما حولنا.

أما في الاصطلاح فاللسان أشمل من اللغة، والدليل من مجمل الآيات الكريمات في كتاب الله تعالى :

1. (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) (القصص:34)
2. (ووَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً) (مريم:50)
(وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) (الشعراء:84).
3. (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (المائدة:78)
4. (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِلْعَالِمِينَ) (الروم:22).
5. (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (الشعراء:195)
6. (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) (الاحقاف:12)

---

1 لسان العرب [جزء 13 – صفحة 385].

7. (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (الانبياء:10)
8. (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (النحل:103).
9. (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف:2)
10. (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ) (الرعد:37).
11. (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً) (طــه:113).
12. (قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (الزمر:28)
13. (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (فصلت:3)
14. (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) (الشورى:7)
(إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الزخرف:3).

نلاحظ من مجموع الآيات أن اللسان جاء بمعنى اللغة وبمعنى الجارحة التي ينطق بها اللفظ وبمعنى الفكرة المأخوذة عن الشخص وصفته كما في (مريم:50) و(الشعراء:84) وهي صفة الصدق والثناء الحسن للأنبياء عليهم السلام. كما نلاحظ من مجموع الآيات أن لفظ اللسان العربي عبر عنه في مكان آخر بالذكر كما في (الانبياء:10) والحكم كما في (الرعد:37) بما يعطي معنى أن اللسان العربي المقصود في الآيات الأخرى (الشعراء:195)، (الاحقاف:12)، (النحل:103) إنما عنت أمراً أشمل وأبلغ من اللفظ اللغوي أو اللغة بعينها، وقد حسم الأمر في الآيات الكريمات (يوسف:2)، (طــه:113)، (الزمر:28)، (فصلت:3)، (الشورى:7)، و(الزخرف:3) بقوله تعالى : (..قُرْآناً عَرَبِيّاً ..) ، والقرآن نزل بلغة العرب ولكن لسانه أبلغ وأعمق وأبين وأشمل من لغتهم الدارجة حينها فاستحق أن يكون معجزاً لهم رغم أنهم أهل بلاغة وفصاحة وبيان.

وحيث أن اللسان هو جارحة التعبير عن الأشياء والمرئيات والمحسوسات والأحاسيس والمشاعر والمتعقتدات والسلوك وغير ذلك، فإنه أداة للتعبير عن الحالة الثقافية المعاشة وبالتالي هو تعبير عن الحياة بكامل تفاصي لها وعليه فاللسان قد يكون أشمل من اللغة لأنها قد يحوي تعابير وكلمات وأصوات ليست من لغة الفرد نفسه فهو يتعدى اللغة لأن يكون معبراً عن الحالة الثقافية للفرد والمجتمع والأمة. والدليل أن في كتاب الله تعالى من المفردات الأعجمية التي صنفها أهل العلم مثل (يأجوج ومأجوج) و(سندس واستبرق) وغيرها مما عرف بالمعرب.

والمعرب هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها قال الجوهري في الصحاح : تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوّه به العربُ على مِنْهاجِها تقول : عرّبته العرب وأعْربته وقال أبو عبيد القاسم بن سلام وأ ما لُغات العجم في القرآن فرُوي عن ابن عباسٍ وعطاء ومُجاهدٍ وعِكْرمة أنهم قالوا في أحرف كثيرة إنها بلغات العجم وقال أهل العربية : إن القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء لقوله تعالى : (.. قُرْآناً عربيًّا ..)، الآية، وقوله: (.. بِلِسانٍ عربيٍّ مُبينٍ ..)، الآية. قال أبو عبيد والصواب عندي مذهبٌ فيه تصديق القولين جميعاً وذلك أن هذه الحروف أُصولها أعجمية كما قال الفقهاء إِلاَّ أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ثمَّ نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال عَجَميّة فهو صادق[1].

قالَ السيوطيُّ : وهذا الذي نقله عن بعض الفقهاءِ نص عليه الإمام الشافعيّ رضي الله عنه فقال في أول الرسالة : لسان العرب أوسَعُ الألسنةِ مذهباً وأكثرُها ألفاظاً ولا نعلم أنه يحيط بجميع علمه إنسانٌ غير نبيّ ولكنه لا يذ هب منه شيء على عامتها حتَّى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه والعِلْم عند العرب كالعِلْم بالسُّنَّة عند أهل الفقه لا يعلم رجلٌ جميعَ السُّنَن فلم يذهب منها عليه شيء فإذا جُمِع علمُ عامّة أهلِ العلم بها أتى على السُّنن وإذا فُرِّق علم كلِّ واحدٍ منهم ذهب عليه الشيءُ منها ثمَّ كانَ ما ذهب عليه

1 تاج العروس [جزء 1 - صفحة 13]

منها موجوداً عند غيره وهم في العلم طبقات منهم الجامع لأكثره وإن ذهب عليه بعضُه ومنهم الجامع لأقلَّ مما جمع غيره وليس قليلٌ ما ذهب من السُّنن على مَنْ جمع أكثرها دليلاً على أن يُطلب علمه عند غير طبَقته من أهل العلم بل يُطلَب عند نُظَرائه ما ذهب عليه حتَّى يُؤتى على جميع سُنَن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي فتفرَّد جُملةُ العلماء بجُملتِها وهو درجاتٌ فيما وَعَوْا منها وهذا لسانُ العربُ عند خاصّتها وعامّتها لا يذهب منه شيء عليها ولا يطلب عند غيرها ولا يعلمه إلاَّ مَ ن قَبِلَه منها ولا يَشرَكها فيه إلاَّ من اتبعها في تعلُّمه منها ومَن قَبلَه منها فهو من أهل لِسانها وعِلْم أكثرِ اللسان في أكثر العرب أعمُّ من عِلمِ أكثرِ السُّنن في العلماء . هذا نصّ الإمام الشافعي بحروفه انتهى... وقال ابن فارس في موضع آخر : إعلم أن لغة العرب لم تنته إلينا بكلّيتها وأن الذي جاءَ عن العرب قليل من كثير وأن كثيراً من الكلام ذهب بذهاب أهله والله أعلم[1].

إذن، رغم ذلك فالقرآن الكريم هو كتاب بلسان عربي مبين بلغته ومصطلحاته وإن اشتمل في أصول بعضها على اللفظ الأعجمي.

ولو جمعنا تلك الآيات لوجدتها تفسر بعضها بعضاً فاللسان العربي المبين فسر بأنه (ذكركم أيها العرب) وفسر بأنه (حكم) وأنه (مفصلة آياته) و(مصرفة) فيها الأحكام والتشريعات التي هي شريعة لحياة بني البشر.

فاللسان أشمل من اللغة واللفظ وهو يشمل المنظومة الثقافية برمتها كأسلوب التفكير ونمط المعيشة وليس النطق فقط ولذلك تسمع العرب تقول : (رب لسان حال أبلغ من لسان مقال).

قال الطيبي: (خذ بلسان الحال سواء وجد معه لسان المقال أو لا)[2]. وقال الزمخشري معلقاً عن بعض أنواع الدلالة البلاغية : (منها كونه لا يصلح إلا له كقوله تعالى : (..عالم الغيب والشهادة..)، الآية، وكذلك قوله تعالى: (فعال لما يريد)، الآية. ومنها

---

1 تاج العروس [جزء 1 - صفحة 9]

(2) الموطأ - رواية محمد بن الحسن [جزء 3 - صفحة 241].

شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء ، قال الزمخشري وهو نوع من دلالةالحال التي لسانها أنطق من لسان المقال كقول رؤبة خير جواب من قال كيف أصبحت فحذف الجار) [1].

جاء في تفسير قول الله تعالى : { أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون }، الآية، يعني دواب الأرض] ورواه ابن ماجة عن محمد بن الصباح عن عامر بن محمد به وقال عطاء بن أبي رباح : كل دابة والجن والإنس، وقال مجاهد : إذا أجدبت الأرض قال البهائم : هذا من أجل عصاة بني آدم لعن الله عصاة بني آدم وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة . { ويلعنهم اللاعنون } يعني تلعنهم الملائكة والمؤمنون وقد جاء في الحديث أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر وجاء في هذه الاية أن كاتم العلم يلعنه الله والملائكة والناس أجمعون واللاعنون أيضًا وهم كل فصيح وأعجمي إما بلسان المقال أو الحال أن لو كان له عقل ويوم القيامة والله أعلم ثم استثنى الله تعالى من هؤلاء من تاب إليه فقال : { إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا } أي رجعوا عما كانوا فيه وأصلحوا أعمالهم وبينوا للناس ما كانوا يكتمونه { فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم } وفي هذا دلالة على أن الداعية إلى كفر أو بدعة إذا تاب إلى الله تاب الله عليه . وقد ورد أن الأمم السابقة لم تكن التوبة تقبل من مثل هؤلاء منهم ولكن هذا من شريعة نبي التوبة ونبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه ثم أخبر تعالى عمن كفر به واستمر به الحال إلى مماته بأن { عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * خالدين فيها } أي في اللعنة التابعة لهم إلى يوم القيامة ثم المصاحبة فهم في نار جهنم التي { لا يخفف عنهم العذاب } فيها أي لا ينقص عما هم فيه { ولا هم ينظرون } أي لا يغير عنهم ساعة واحدة ولا يفتر بل هو متواصل دائم فنعوذ بالله من ذلك قال أبو العالية وقتادة إن الكافر يوقف يوم القيامة فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون [2]

---

(1) البرهان في علوم القرآن [جزء 3 – صفحة 108].. وكذا في الإتقان 154/2.

(2) تفسير ابن كثير[جزء 1 – صفحة 272].

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال : [تكلم أربعة وهم صغار] فذكر منهم شاهد يوسف فهذا قول الثاني – أن الشاهد قد القميص رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وهو مجاز صحيح من جهة اللغة فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال وقد تضيف العرب الكلام إلى الجمادات وتخبر عنها بما هي عليه من الصفات وذلك كثير في أشعارها وكلامها [(1)]

وجاء في تفسير قوله تعالى: (... وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء ..)، الآية، أي إذا حشر الناس العابدين للأصنام كان الأصنام لهم أعداء يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا وقد قيل إن الله يخلق الحياة في الأصنام فتكذبهم . وقيل المراد أنها تكذيبهم وتعاديهم بلسان الحال لا بلسان المقال وأما الملائكة والمسيح وعزير والشيطاين فإنهم يتبرأون ممن عبدهم يوم القيامة كما في قوله تعالى : (.. تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون)، الآية، وقوله: (.. وكانوا بعبادتهم كافرين ..)، الآية، أي كان المعبودون بعبادة المشركين إياهم كافرين : أي جاحدين مكذبين وقيل الضمير في (.. كانوا..) للعابدين كما في قوله : (.. والله ربنا ما كنا مشركين..)، الآية، والأول أولى [(2)]

وجاء في تفسير قوله تعالى : (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً) (النساء:46). والمراد به هنا إما صرف الكلام من جانب الخير إلى جانب الشر وإما ضم أحد الأمرين إلى الآخر وأصله لوي فقلبت الواو ياءا وأدغمت ونصبه على أنه مفعول له ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الأخيرين وقيل : بالأقوال جميعها أو على أنه حال أي لاوين ومثله في ذلك قوله تعالى : (وطعناً في الدين)، الآية، أي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وكل من الظرفين متعلق بما عنده ولو أنهم

---

(1) تفسير القرطبي [جزء 9 – صفحة 148].

(2) فتح القدير [جزء 5 – صفحة 20].

عندما سمعوا شيئا من أوامر الله تعالى ونواهيه قالوا بلسان المقال كما هو الظاهر أو به وبلسان الحال كما قيل : سمعنا سماع قبول مكان قولهم : سمعنا المراد به سماع الرد، وأطعنا مكان قولهم : عصينا، واسمع بدل قولهم : اسمع غير مسمع، وانظرنا بدل قولهم : راعنا لكان قولهم هذا خيرًا لهم وأنفع من قولهم ذلك وأقوم أي أعدل في نفسه[1].

يقول أبو السعود في تفسيره : (وهداية الله تعالى مع تنوعها إلى انواع لا تكاد تحصر منحصرة في أجناس مترتبة منها نفسية كإفاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء أفاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحة المعاشية والمعادية . ومنها آفاقية فإما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الأدلة المودعة في كل فرد من إفراد العالم حسبما لوح به فيما سلف وإ ما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الأحكام النظرية والعملية بلسان المقال بإرسال الرسل)[2].

ومن هنا يتبين لنا أن اللسان يشمل لسان المقال وهو الكلام واللغة واللفظ، ولسان الحال وهو الفعل والتصرف المتعلق ببيئة ذلك المكان أي يمكن القول أنه المنظومة الثقافية لذلك العصر وذلك المصر بل ومنظومة الحياة بكاملها.

الدليل من القصص القرآني

كي نتفحص الأمر عن قرب فنتبين كيف يمكن ذلك من فعل الأنبياء عليهم السلام دعونا نتدبر فعالهم الكريمة مما قص علينا القرآن الكريم من قصص الحق . وهو يدخل في ضمن معاني الآية المتعلقة بإرسال الرسل بلسان أقوامهم.

- فلقد قال بعض أهل التفسير ضمن معاني هذه الآية الكريمة أن سيدنا موسى بعث في قوم الفراعنة المشهورين بالسحر فأتاهم بلسان حال أبلغ من لسان

---

(1) روح المعاني [جزء 5 – صفحة 48].

(2) تفسير أبي السعود [جزء 1 – صفحة 17].

حال سحرهم وهو السحر الحق وآيات العصى واليد وفعلها الذي أثر في الكثير منهم وعلى رأسهم السحرة أنفسهم وهو معنى قوله تعالى حاكياً علن حال أولئك السحرة : (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) (طــه:70)، (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (طــه:73)، (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47)) (الشعراء)، وغيرها من الآيات الكريمات.

- كذلك الحال مع نبي الله صالح عليه السلام الذي جاء في قوم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً فارهين فأخرج الله لهم من تلك الجبال ناق ة كآية أبلغ وأعظم من فعل بناءهم العظيم، وكذلك الحال مع نبي الله داود وابنه سليمان عليهما السلام اللذان عاصرا قوم أولو بناء وصناعة فجاؤوهم بأعظم المعجزات اللتي تفند صنعتهم وتجعلها هباء منثوراً أمام كل تلك الخوارق للعادات والمعجزات الباهرات كتسبيح الجبال وإلا نة الحديد وإسالة النحاس وتسخير الجن والطير والوحش وكل بناء وغواص، ومن ذلك أن بلقيس ملكة سبأ التي جان لها عرش عظيم وأبنية فخمة في مملكتها لم تكن لتؤمن بالله العظيم لا من جيوش جرارة ولا من حجج ومناقشات ولكنها رأت أشياء أعظم وأبلغ وأكثر وقعاً في نفسها مما كان لديها وهو القصر البلوري فكشفت عن ساقيها بعدما حسبته لجة ولكنها فوجئت بأن ذلك الأمر ليس ماء بل هو قصر ممرد من قوارير، يقول تعالى: (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (النمل:44).
- الأمر نفسه ينطبق على سيدنا عيسى عليه السلام الذي كان قومه يشتهرون بالطب فأتاهم بلسان حال أبلغ وأعظم مما اشتهروا به وهو إحياء الم وتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى : (وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ

طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران:49).

وهكذا الحال مع بقية الأنبياء والرسل عليهم السلام جميعاً اللذين أرسلوا لكل أمم الأرض وبلغ تعدادهم كما يقول أهل العلم 120000 نبي ورسول وقيل 24000 وقيل غير ذلك، المهم ليس هنالك من قوم إلا وأرسل لهم نذير وبشير بنص كتاب الله تعالى أما في قريتهم أو مدينتهم أو في عاصمة ذلك الإقليم أو مدينته الكبرى وكما اصطلح عليها كتاب الله تعالى (في أمها) أي أم تلك القرى وكبريات مدنها، يقول تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ) (فاطر:24)، (وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً) (النساء:164)، (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) (القصص:59)، (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً) (الفرقان:51).

ولأن الإسلام هو الدين الخاتم والقرآن هو الكتاب الخاتم والرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم هو النبي الخاتم اقتضى الأمر أن يكون لسان التبليغ شاملاً لكل زمان ومكان حتى قيام الساعة ولا يقتصر على فترة التنزيل لذلك أعطي القرآن الكريم جميع الأسلحة اللازمة للوقوف بوجه كل الهجمات حتى قيام الساعة. فالأمر في بدايته كان يقتضي البلاغة والفصاحة لأنها سلعة وبضاعة القوم في قريش ومن حولها فأعجز كتاب الله تعالى فصحاءهم وبلغاءهم حتى قال عنه أفصحهم وهو الوليد بن المغيرة الذي اشتهر عنه الشعر والنثر : (إنه يعلو ولا يعلى عليه وأنه ليس من قول البشر) وفي هذا المجال هنالك شواهد عديدة مثل:

1. عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : ياعم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا قال : لم ؟ قال : ليعطوكه فإنك أتيت

محمدا لتعرض لما قبله قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالا قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك إنك منكر له أو إنك كاره له قال : وماذا أقول فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وأن عليه لطلاوة وأنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وأنه ليعلو وما يعلى وأنه ليحطم فاتحته قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال : فدعني حتى أفكر فلما فكر قا ل : هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت : { ذرني ومن خلقت وحيدا }[1].

2. في حديث إن أبا طالب لما قيل له : إن ابن أخيك زعم أن الله أنزل عليه { إن الله يأمر بالعدل والإحسان } الآية قال اتبعوا ابن أخي فوالله إنه لا يأمر إلا بمحاسن الأخلاق] وقال عكرمة [قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على الوليد بن المغيرة { إن الله يأمر بالعدل والإحسان } إلى آخرها فقال يابن أخي أعد ؟ فأعاد عليه فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أصله لمورق وأعلاه لمثمر وما هو بقول بشر][2].
3. قوله تعالى : { إنه فكر وقدر } في سورة المدثر يعني الوليد بن المغيرة فكر في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن و (قدر) أي هيأ الكلام في نفسه والعرب تقول : قدرت الشيء إذا هياته وذلك انه لما نزل : { حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم } الى قوله : { إليه المصير } [غافر : 1 – 3] سمعه الوليد يقرؤها فقال : والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن و إن له لحلاوة وان عليه لطلاوة و إن أعلاه لمثمر و إن

---

1 الحديث في المستدرك [جزء 2 – صفحة 550].. وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه.. تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح على شرط البخاري.

2 تفسير القرطبي [جزء 10 – صفحة 147].

أسفله لمغدق وإنه ليعلوا ولا يعلى عليه وما يقول هذا بشر فقالت قريش : صبأ الوليد لتصبون قريش كلها[1].

4. روي أن قيس بن عاصم المنقري قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أتل علي مما أنزل عليك فقرأ عليه سورة الرحمن فقال : أعدها فأعادها ثلاثاً فقال والله إن له لطلاوة وإن عليه لحلاوة وأسفله لمغدق وأعلاه مثمر وما يقول هذا بشر وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله[2].

وقد كان الأمر كذلك طيلة القرون التي مرت بها الأمة، فوقف كتاب الله تعالى بحججه وآياته العظيمة ودلائله المبهرة أمام هجمات أهل التدليس والكلام وأصحاب النظريات الملحدة والعقائد الفاسدة وأمام هجمات الصليبيين والمغول وغيرهم فثبتت به الأمة بل وعاد أعداؤها بين مؤمن بدينها أو مقر بعظمتها وكل ذلك يدخل ضمن قوله تعالى : (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً) (الفرقان:33).

والسؤال هل يمكن لأي شخص مهما عظم علمه أن يتحدى كل من يأتي من بعده أن يتمكن من دحض ما جاء به؟ !، هذا السوال موجه لمن يدعي أن القرآن من صنع محمد عليه الصلاة والسلام، فأي تحد هذا وأية ثقة وأية إمكانات؟ !، إنها بلا شك إمكانات تتعدى إمكانات أي بشر أو مجموعة بشر بل والبشر أجمعين، بل هي بالتأكيد إمكانات القادر الخالق العظيم من بيده ملكوت كل شيء رب العالمين من يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان وسيكون.

الدليل من السنة المطهرة والسيرة العطرة على استخدام النبي عليه الصلاة والسلام لأساليب عصره وتقنيات زمانه

1 -<u>في احترام التخصصات الدنيوية والأخذ بنصح أهل الصنائع والحرف</u> : عن عائشة وعن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون

---

1 تفسير القرطبي [جزء 19 - صفحة 68].

2 تفسير القرطبي [جزء 17 - صفحة 132].

فقال لو لم تفعلوا لصلح قال فخرج شيصا فمر بهم فقال ما لنخلكم ؟ قالوا قلت كذا وكذا قال أنتم أعلم بأمر دنياكم[1].

2 في استخدام المواد الملائمة لمعالجة مشاكل تستجد: عن عبد الرحمن بن طرفة : عن عرفجة بن أسعد جده أنه أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق فأنتن عليه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أ ن يتخذ أنفا من ذهب [2].. وفي لفظ الترمذي عن عبد الرحمن بن طرقة عن عرفجة بن أسعد قال : أصيب أنفي يوم الكلاب في الجاهلية فاتخذت أنفاً من ورق فأنتن علي فأمرني رسول الله صلى عليه وسلم أن أتخذ أنفاً من ذهب حدثنا علي بن حجر حدثنا الربيع بن بدر محمد بن يزيد الواسطي عن أبي الأشهب نحوه[3].

3 في استخدام العد والإحصاء لمعرفة تفاصيل عسكرية ومدنية : ذكر الشيخان عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس). فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل فقلنا نخاف ونحن ألف وخمسمائة فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف ، حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش فوجدناهم خمسمائة قال أبو معاوية ما بين ستمائة إلى سبعمائة[4].

1صحيح مسلم [جزء 4 – صفحة 1836].. ومعنى (فخرج شيصا) هو البسر الرديء الذي إذا يبس صار حشفا.

2 صحيح ابن حبان [جزء 12 – صفحة 276]، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

3 سنن الترمذي [جزء 4 – صفحة 240]، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث عبد الرحمن بن طرفة وقد روى سلم بن زرير عن عبد الرحمن بن طرفة نحو حديث أبي الأشهب وقد روى غير واحد من أهل العلم أنهم شدوا اس نانهم بالذهب وفي هذا الحديث حجة لهم وقال عبد الرحمن بن مهدي سلم بن وزير وهو وهم وأبو سعيد الصنعاني اسمه محمد بن ميسر.. قال الشيخ الألباني : حسن.

4 صحيح البخاري [جزء 3 – صفحة 1114، حديث رقم 2895].. وأخرجه مسلم في الإيمان باب الاستسرار بالإيمان للخائف رقم 149.. ومعنى (فقلنا) كان هذا القول عند حفر الخندق . (ابتلينا) من الابتلاء وهو الاختبار والامتحان ومراده ما أصاب المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتن.

4 -المشورة العسكرية في يوم بدر : قال ابن اسحاق فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به قال ابن اسحاق فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن منذر بن الجموح قال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فأمض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اشرت بالرأي. قال الاموي: عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الاقماص وجبريل عن يمينه إذ أتاه ملك من الملائكة فقال يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو السلام ومنه السلام واليه السلام فقال الملك إن الله يقول لك ان الأمر [هو] الذي أمرك به الحباب بن المنذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل تعرف هذا فقال ما كل أهل السماء أعرف و إنه لصادق وما هو بشيطان فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فعورت وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية، وذكر بعضهم أن الحباب بن المنذر لما اشار بما أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل ملك من السماء وجبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال الملك يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك ان الرأي ما أشار به الحباب فنظر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى جبريل فقال ليس كل الملائكة أعرفهم وأنه ملك وليس بشيطان وذكر الاموي أنهم نزلوا على القليب الذي يلي المشركين نصف

الليل وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملؤا الحياض حتى أصبحت ملاء وليس للمشركين ماء[1].

5 - في قبول مشورة الصحابة لاستحداث تقنيات لم تعهدها العرب في الحروب: قال ابن هشام : يقال : إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحدثني بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سلمان منا وقالت الأنصار : سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت [2]. وجاء في ترجمة الصحابي سلمان رضي الله عنه : فأتى به المدينة فلما دخلها النبي أسلم وشهد معه أكثر المشاهد وأول مشاهده وقعة الخندق وكان من فضلاء الصحابة وزادهم وعلمائهم وذوي القربى من الرسول وهو الذي أشار على الرسول بحفر الخندق حين جاءت الأحزاب وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " سلمان منا أهل البيت " وكان يعمل الخوص بيده ويأكل من ثمنه وآخى الرسول بينه وبين أبي الدرداء وروى عنه جماعة من العلماء. توفي سنة 35 للهجرة وقيل 34 [3].

6 - في قبول مشورة الصحابة لاستحداث تقنيات لم تعهدها العرب في إدارة شؤون الحياة : استخدم النبي عليه الصلاة والسلام الخاتم عندما أراد مخاطبة ملوك الدنيا وأشير عليه به وهو أسلوب استخدمته حضارات أخرى كالروم فأشار عليه الصحابة به فرضي وأقره وجعله من فضة واستخدمه عليه الصلاة والسلام ومن بعده استخدمه أبو بكر وعمر وعثمان لست سنين حتى سقط في بئر أريس. كما استخدم النبي عليه الصلاة والسلام المنبر ليقف عليه ويخطب وهو أسلوب أشار به عليه الصحابة، وقيل صحابية، مأخوذاً مما عهدته الأحباش وليس العرب فرضي به وأمر بصناعته من ثلاث درجات فاتخذه

---

1 البداية والنهاية لابن كثير [جزء 3 - صفحة 267 – 268]

2 سيرة ابن هشام [جزء 4 - صفحة 182]

3 محمد رسول الله [جزء 1 - صفحة 58].. وانظر كتب اخرى في التاريخ والسير.

أسلوباً جديداً للخطابة والدعوة والإعلام لأن الجذع الذي كان قبله لم يعد يكفي بسبب زيادة عدد المسلمين من جهة ولأن الوقوف على المنبر يجعل الواقف أعلى مكاناً وبالتالي يكون مرئياً للجميع وصوته مسموعاً من الجميع ومن ثم اتخذه أبو بكر رضي الله عنه وعمر وعثمان فكان النبي عليه الصلاة والسلام يقف على الدرجة الثالثة، وعندما ولي أبو بكر الخلافة وقف على الثانية، ومن ثم كان عمر يقف على الأولى، وأما عثمان فوقف على الأرض احتراماً منهم عليهم رضوان الله لمنازل بعضهم البعض.

فأما عن قصة الخاتم فقد ذكرها أهل المتون ومنهم أهل الصحاح وكذلك أهل السير. فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى قيصر فقيل له إن العجم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله. قال البخاري: جعل الثلاث الكلمات ثلاثة أسطر وختم به وقال لا ينقش أحد مثله قال وتختم به أبو بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان في بئر أريس وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد واغتم عثمان وتطير منه وصنع آخر على مثله ، وفي كيفية نقش الخاتم والختم به وجوه وذلك أن الخاتم يطلق على الآلة التي تجعل في الإصبع ومنه تختم إذا لبسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت الأمر إذا بلغت آخره وختمت القرآن كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتم الأمر[1]. وصح عن ابن عمر قال : اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من ورق فكان في يده ثم كان في يد أبي بكر ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس نقشه : " محمد رسول الله" [2].

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أراد ارسال كتبه إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام أنهم لا يقرءون الكتاب إلا إذا كان مختوماً فاتخذ

(1) تاريخ ابن خلدون [جزء 1 - صفحة 324].

(2) تاريخ الإسلام [جزء 1 - صفحة 139].

صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة وكان ينقشه ثلاثة أسطر (محمد) سطر (رسول) سطر (الله) سطر. والأسطر الثلاثة تقرأ من أسفل إلى فوق فمحمد آخر الأسطر ، ورسول في الوسط، والله فوق . وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الأستواء إذا ختم به فكان ذلك الخاتم في يده صلى الله عليه وسلم ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان بن عفان رضي الله عنهم حتى وقع في بئر أريس في السنة التي قتل فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه [1]. وعن سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك قال أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى بعض الأعاجم فقيل له إنهم لا يقرؤن كتاباً إلا بخاتم فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله [2]. قال البيهقي: (وروى ذلك عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير وذكر بئر أريس والأمر فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً فكان في يده ثم كان في يد أبي بكر من بعده ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع منه في بئر أريس بعد ما مضى من خلافته ست سنين فعند ذلك تغيرت عماله وظهرت أسباب الفتن) [3]. قال ابن حبان في سيرته: (في أول هذه السنة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك وبعث إليهم بالرسل يدعوهم إلى الله فقيل : إنهم لا يقرأون كتاباً إلا بخاتم فاتخذ رسول الله صلى الله عليه

---

(1) محمد رسول الله [جزء 1 – صفحة 427].

(2) البداية والنهاية لابن كثير [جزء 6 – صفحة 2]. وقال عنه: (وهكذا رواه البخاري عن عبد الاعلى بن حماد عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به ثم قال أبو داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد عن سعيد عن قتادة عن أنس بمعنى حديث عيسى بن يونس زاد فكان في يده حتى قبض وفي يد أبي بكر حتى قبض وفي يد عمر حتى قبض وفي يد عثمان فبينما هو عند بئر إذ سقط في البئر فأمر بها فنزحت فلم يقدر عليه تفرد به أبو داود من هذا الوجه).

(3) البداية والنهاية [جزء 6 – صفحة 157].

وسلم خاتماً من فضة نقش فيه [محمد رسول الله] ليختم به الصحف فكان يلبسه تارة بيمينه وتارة في يساره) [1].

وعن أنس بن مالك قال : كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً – أو أراد أن يكتب – فقيل له إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة نقشه محمد رسول الله كأني أنظر إلى بياضه في يده . فقلت لقتادة من قال نقشه محمد رسول الله ؟ قال أنس[2].

ومعنى: (مختوماً) أي مطبوعاً عليه بتوقيع المرسل، و(نقشه) أي محفور عليه والنقش في اللغة التلوين [3].. وهنا أرجو ملاحظة أمرين مهمين جداً كما أراهما، الأول هو أنه عليه الصلاة والسلام عندما قيل له أنهم لا يقرؤون كتاباً إلا وهو مختوم لم يقل بل نخالفهم لأنهم غير مسلمين، إنما قبل بالأمر لأن الغاية هي الدعوة إلى الله بقراءة الرسالة وليس مخالفتهم لمجرد المخالفة كونهم ليسوا مسلمين كما يحاول البعض أن ينقل لنا الإسلام وفق أسلوبه الخاطئ . الأمر الثاني هو أن النقش والتلوين في صناعة الخاتم لم يدخلا ضمن تح ريم التمثيل والرسم التصوير الذي هو محظور شرعاً بل اعتبر هنا من الضروريات الثقافية والإدارية والحضارية.

وأما عن قصة المنبر فقد بينها أهل المتون وأهل السير بالتفصيل، ف عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم إلى أصل شجرة (أو قال إلى جذع) ثم اتخذ منبراً، قال فحن الجذع. (قال جابر) حتى سمعه أهل المسجد حتى أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسحه فسكن . فقال

---

(1) السيرة لابن حبان [جزء 1 – صفحة 292].

(2) صحيح البخاري [جزء 1 – صفحة 36 رقم 65]، وجاء بأرقام (2780، 5534، 5537، 6743] وأخرجه مسلم في اللباس والزينة باب تحريم خاتم الذهب على الرجال رقم 2092.

(3) انظر شرح الحديث بأرقامه في فتح الباري.

بعضهم لو لم يأته لحن إلى يوم القيامة [1].والقصة يرويها عبد الرزاق في مصنفه قال: عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله يقوم يوم الجم عة إلى جذع نخلة منصوب في المسجد فيخطب حتى بدا له أن يتخذ المنبر ف استشار ذوي الرأي من المسلمين فرأوا أن يتخذه فاتخذ منبرً ا فلما جاءت الجمعة أقبل النبي صلى الله عليه وسلم يمشي حتى جلس على المنبر فلما فقده الجذع حن حنينا أفزع الناس فقام النبي صلى الله عليه وس لم من مجلسه حتى جاءه فقام إليه فمسحه فهدأ فلم يسمع منه حنين بعد ذلك قال معمر وسمعت من يقول فلولا ما فعل به رسول الله صلى الله عليه وسلم حن إلى يوم القيامة) [2]. وفي مصنف أبي شيبة قال: (عن عبد الواحد عن أبيه عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة فقالت له امرأة من الأنصار يا رسول الله إن لي غلاماً نجارًا أفلا آمره يصنع لك منبرً ا قال بلى فاتخذ منبرً ا فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر قال فأن الجذع الذي كان يقوم عليه كأنين الصبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد من الذكر) [3]. وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أتخذ منبرًا فقد اتخذه ابي ابراهيم وان أتخذ العصا فقد اتخذها أبي ابراهيم عليه السلام[4].

يقول الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: (عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع ن خلة قال فقالت امرأة من الأنصار وكان لها غلام نجار يا رسول الله إن لي غلاماً نجارًا أفآمره أن يتخذ لك منبرً ا تخطب

(1) سنن ابن ماجه [جزء 1 – صفحة 455، رقم 1417]، في الزوائد إسناده صحيح وابن عدي ثقة. وقال وقد أخرجه النسائي عن جابر بسند آخر. قال الشيخ الألباني : صحيح.. والحديث جاء كذلك في مسند أحمد بن حنبل [جزء 3 – صفحة 306، رقم 14321]، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

(2) مصنف عبد الرزاق [جزء 3 – صفحة 185، رقم 5253].

(3) مصنف ابن أبي شيبة [جزء 6 – صفحة 319، رقم 31748].

(4) المعجم الكبير [جزء 20 – صفحة 167، رقم 354].

عليه، قال: (بلى)، قال فاتخذ له منبرً ا قال فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر قال فأن الجذع الذي كان يقوم عليه كما يئن الصبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد من الذكر .. هكذا رواه أحمد وقد قال البخاري عن عبد الواحد ابن أيمن قال سمعت أبي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله ألا نجعل لك منبرً ا، قال: (إن شئتم)، فجعلوا له منبرًا فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يسكن قال كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها . وقد ذكره البخاري في غير ما موضع من صحيحه من حد يث عبد الواحد بن أيمن عن أبيه وهو أيمن الحبشي المكي مولى ابن أبي عمرة المخزومي عن جابر به) [1].

وقال صاحب الروض: (وكانت خطبته في تلك الأيام على جذع فلما صنع له المنبر من طرفاء الغابة وصنعه له عبد لامرأة من الأنصار اسمه باقوم خار الجذع خوار الناقة الخلوج حتى نزل عليه السلام فالتزمه وقال : لو لم ألتزمه ما زال يخور إلى يوم القيامة ثم دفنه وإنما دفنه لأنه قد صار حكمه حكم المؤمن لحبه وحنينه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ينظر إلى قوله تعالى: (.. كشجرةٍ طيبةٍ...)، الآية، وإلى قوله عليه السلام في النخلة : (.. مثلها كمثل المؤمن ..)، الحديث. وحديث خوار الجذع وحنينه منقول نقل الواتر لكثرة من شاهد خواره من الخلق وكلهم نقل ذلك أو سمعه من غيره فلم ينكره)[2].

7 - في استخدام التوصيف والوصف والهندسة الوصفية : عن عبد الله بن مسعود قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً وخط في وسط الخط

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير [جزء 6 - صفحة 127].

(2) الروض الأنف [جزء 1 - صفحة 238].

خطاً وخط خارجاً من الخط خطاً وحول الذي في الوسط خطوطاً فقال هذا ابن آدم وهذا أجه محيط به وهذا الذي في الوسط الإنسان وهذه الخطوط عروضه إن نجا من هذا ينهشه هذا والخط الخارج الأمل هذا حديث صحيح [1].. وعن أبن مسعود قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً فقال : (هذا سبيل الله) ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال : وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا : { وأن هذا صراطي مستقيماً } إلى آخر الآية(2).

8 - في استخدام خبرة وكفاءة وحسن صنعة بعض الكفار والمشركين في الدع وة رغم فساد عقيدتهم: تذكر كتب السير فيما حصل يوم الهجرة : (ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر فخرجا من خوخة في بيت أبي بكر ليلا فجاء رجل فرأى القوم ببابه فقال : ما تنتظرون ؟ قالوا : محمدا قال : خبتم وخسرتم قد والله مر بكم وذر على رؤوسكم التر اب قالوا : والله ما أبصرناه وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ، فلما أصبحوا قام علي رضي الله عنه عن الفراش فسألوه عن محمد ؟ فقال : لا علم لي به. ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى غار ثور فنسجت العنكبوت على بابه ، وكانا قد استأجرا عبد الله بن أريقط الليثي وكان هادياً ماهرًا – وكان على دين قومه – وأمناه على ذلك وسلما إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث . وجدت قريش في طلبهما وأخذوا معهم القافة حتى انتهوا إلى باب الغار فوقفوا عليه فقال أبو بكر : يا رسول الله ! لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا فقال : [ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ لا تحزن إن الله معنا]. وكانا يسمعان كلامهم إلا أن الله عمى عليهم أمرهما وعامر بن فهيرة يرعى غنما لأبي بكر ويتسمع ما يقال عنهما بمكة ثم يأتيهما بالخبر ليلاً فإذا كان السحر

(1) سنن الترمذي [جزء 4 – صفحة 635].. قال الشيخ الألباني : صحيح.

2 صحيح ابن حبان [جزء 1 – صفحة 180].. قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

سرح مع الناس. قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فأوكت به فم الجراب وقطعت الأخرى عصاما للقربة فبذلك لقبت ذات النطاقين ، ومكثا في الغار ثلاثا حتى خمدت نار الطلب فجاءهما ابن أريقط بالراحلتين فارتحلا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة)[1].. وذكر ذلك كل أهل السير فجاء في البداية والنهاية لابن كثير : (قال ابن اسحاق فحدثني من لا أتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرةً وإما عشيةً حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها قالت فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الساعة إلا لأمر حدث قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج عني من عندك قال يا رسول الله إنما هما ابنتاي وما ذاك فداك أبي وأمي قال إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة قالت فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال الصحبة قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي ثم قال يا نبي الله إن هاتين راحلتين كنت أعددتهما لهذا فاستأجرا عبد الله بن أرقد قال ابن هشام ويقال عبد الله بن أريقط رجلا من بني الدئل بن بكر وكانت أمه من بني سهم بن عمرو وكان مشركا يدلهما على الطريق ودفعا اليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما قال ابن اسحاق ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا علي بن أبي ط الب وابو بكر الصديق

---

1 مختصر سيرة الرسول [جزء 1 – صفحة 92].

وآل أبي بكر أما علي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه و أمانته قال ابن اسحاق فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم [الخروج] أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته)[1].

9 -دور الاقتصاد والدعم المادي للدعوة سلماً وحرباً : وفيه استشهادات كثيرة وفيه نزلت آيات كثيرة في هذا الموضوع كقوله تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (البقرة:245)، (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) (الحديد:11). ومن استشهادت السنة المطهرة ما كان من أمر نفقة سيدنا عثمان رضي الله عنه على جيش العسرة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من يحفر بئر رومة فله الجنة). فحفرها عثمان وقال (من جهز جيش العسرة فله الجنة). فجهزه عثمان[2]... وعن ثابت عن أنس ان رجلا قال : يا رسول الله ان لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها فأمره ان يعطيني حتى أقيم حائطي بها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أعطها إياه بنخلة في الجنة فأبى فاتاه أبو الدحداح فقال بعني نخلتك بحائطي ففعل فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد ابتع ت النخلة بحائطي قال فاجعلها له فقد أعطيتكها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من عذق راح لأبي الدحداح في الجنة قالها مرارا قال فأتى امرأته فقال يا أم الدحداح أخرجي من الحائط فإني قد بعته بنخلة في الجنة فقالت ربح البيع أو كلمة تشبهها[3].. وعن عكرمة

---

1 البداية والنهاية لابن كثير [جزء 3 – صفحة 178].

2 صحيح البخاري [جزء 3 – صفحة 1351، 2626].

3 مسند أحمد بن حنبل [جزء 3 – صفحة 146، 12504]..

قال : لما خرج صهيب مهاجرا تبعه أهل مكة فنثل كنانته فأخرج منها أربعين سهما فقال : لا تصلون إلي حتى أضع في كل رجل منكم سهما ثم أصير بعد إلى السيف فتعلمون أني رجل وقد خلفت بمكة قينتين فهما لكم . قال : وحدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس نحوه ونزلت على النبي صلى الله عليه وسلم { ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله }، الآية، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال : أبا يحيى ربح البيع قال : وتلا عليه الآية [1]. وكذا كان دور أغنياء الصحابة كأبي بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم أساسياً ومركزياً في دعم الدعوة ونهضة المسلمين في أوائل البعثة الشريفة وما تبعها. بل يمكن القول أن الاقتصاد والمال هما أصل وركن ركين في التمكين وأسبابه وفي نهضة أي أمة وأي حضارة، وصدق من قال : "الحضارة تتبع مكان المال"، خصوصاً لو سخرت تلك الأموال وتلك الحضارة في خدمة ما أمر الله تعالى به.. ولعله يدخل ضمن مفهوم الأثر الاقتصادي في دعم الدعوة ونصرة قضايا الأمة موضوع غاية في الأهمية والفعل المؤثر ألا وهو المقاطعة الاقتصادية والحصار الاقتصادي وأثرها في العدو كما كان من فعل صحابي جليل عاش في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وهو الصحابي (أبو بصير عتبة ابن أسيد). فبعد صلح الحديبية أراد أن يلحق بالنبي عليه الصلاة والسلام فعلمت قريش بذلك فمنعته فما كان منه إلا أن لا يلحق بالمسلمين في المدينة كي لا يضطر النبي عليه الصلاة والسلام لتسليمه للمشركين وفق معاهدة الصلح المعروفة، بل يبقى في مكان بين مكة والمدينة يمنع على قريش قوافلها فكان أن أثر بهم أثراً عظيماً حتى اضطر المشركين في مكة للطلب من النبي عليه الصلاة والسلام أن يطلب منه أن يدعهم وتجارتهم مقابل أن يخلوا

---

1 المستدرك [جزء 3 – صفحة 450، 5700].. قال صاحب المستدرك : (صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه).. تعليق الذهبي قي التلخيص : سكت عنه الذهبي في التلخيص.

سبيله ويسمحوا له بأن يلتحق بالمسلمين في المدينة [1]. ولنا في قصص التاريخ الكثيرة قديمه وحديثه العبر والع ظات في مدى التأثير الكبير للمقاطعة والحصار على مسار الحضارات [1].

---

1 أنظر الاستيعاب [جزء 1 – صفحة 513]، وانظر زاد المعاد [ج1، ص384]، وكذلك السيرة النبوية للندوي، ص 314.. وجاء في القصة أن الرجل اسمه عتبة بن أسيد بن جارية بن أسيد ابن عبد الله بن سلمة بن عبد الله غيرة بن عوف بن قسي وهو ثقيف بن منبه ابن بكر بن هوازن حليف لبني زهرة وقال ابن إسحاق : أبو بصير عتبة ابن أسيد بن جارية . قال ابن شهاب : هو رجل من قريش . وقال ابن هشام " هو ثقفي وأظن أن ابن شهاب نسبه إلى حلفه بني زهرة وله قصة في المغازي عجيبة ذكرها ابن إسحاق وغيره وقد رواها معمر عن ابن شهاب ذكر عبد الرزاق عن معمر عن ابن شهاب في قصة القضية عام الحديبية قال : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلت قريش في طلبه رجلين فقالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم العهد الذي جعلت لنا أن ترد إلينا كل من جاءك مسلما فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرجلين فخرجا حتى بلغا به ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إني لأرى سيفك هذا جيدا يا فلان فاستله الآخر وقال أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال له أبو بصير أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه به حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال له النبي صلى الله عليه وسلم حين رآه : " لقد رأى هذا ذعرا " . فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : قتل والله صاحبي وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال يا رسول الله قد والله وفت ذمتك وقد رددتني إليهم فأنجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فلما سمع ذلك علم أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وانفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبي بصير وجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة قال فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلا اعترضوا لهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم إلا أرسل إليهم فمن أتاك منهم فهو آمن .. وذكر موسى بن عقبة هذا الخبر في أبي بصير بأتم ألفاظ وأكمل سياقه قال وكان أبو بصير يصلي لأصحابه وكان يكثر من قول الله العلي الأكبر من ينصر الله فسوف ينصره فلما قدم عليهم أبو جندل كان ه‍و يؤمهم واجتمع إلى أبي جندل حين سمع بقدومه ناس من بني غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب حتى بلغوا ثلاثمائة وهم مسلمون فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير لا يمر بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها . وذكر مرور أبي العاص بن الربيع بهم وقصته قال وكتب رسول الله ص لى الله عليه وسلم إلى أبي جندل وأبي بصير ليقدما عليه ومن معهما من المسلمين أن يلحقوا ببلادهم وأهليهم فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي جندل وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده يقرؤه فدفنه أبو جندل مكانه وصلى عليه وبنى ع لى قبره مسجدا . وذكر ابن إسحاق هذا الخبر بهذا المعنى وبعضهم يزيد فيه على بعض والمعنى متقارب إن شاء الله تعالى.

10 - دور الترجمة وعلوم اللغات: قال ابن اسحاق ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من بدر الموعد راجعا الى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع وقال الواقد ي وفي هذه السنة يعني سنة أربع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود قلت فثبت عنه في الصحيح أنه قال تعلمته في خمسة عشر يوما والله أعلم[2].. وقال الواقدي : وفي هذه السنة يعني سنة أربع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود ، فثبت عنه في الصحيح أنه قال : تعلمته في خمسة عشر يوماً، والله أعلم[3].

11 - دور الأدب والإعلام: عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف :أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة أنشدك الله هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا حسان أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أيده بروح القدس). قال أبو هريرة نعم [4].. ومعنى (أجب عن رسول الله) دافع عنه وأجب الكفار على هجائهم له ولأصحابه ، (بروح القدس) هو جبريل عليه السلام .. وفي لفظ أحمد : عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : أهج

---

1 لو أردنا أن نتصفح التاريخ لنعلم أثر المقاطعة على العدو نجد قصصاً عجيبة ومن ذلك ما كان في التاريخ الحديث، لعل أبرزها ما فعله غاندي – وهو وثني – بالامبراطورية البريطانية التي سمت نفسها أنها لا تغيب عنها الشمس عندما قاطع سلعها وصناعتها النسيجية وأمر شعبه أن ينسجوا ويخيطوا ثيابهم بأيديهم وبدأ بنفسه فكان قدوتهم في ذلك فكان أن أثر ذلك الفعل الواعي في اقتصاد بريطانيا العظمى تأثيراً كبيراً مما أدى لاحقاً إلى إذعانها للهنود في طلب الاستقلال والسبب ببساطة لأنها انكوت بأثر الضربة الاقتصادية تماماً كما كان من أمر قريش ذاك. ولنا في ما فعلناه مؤخراً من الفعل الاقتصادي في مقاطعة السلع الدانماركية عندما سمحت لمجنونها أن يتهجم على شخص النبي عليه الصلاة والسلام الدليل القاطع على أننا قادرون على التأثير بأقل الأسلحة فقط إن جعلنا من الدين والدعوة حياة وتركنا الركون للشهوات.

2 البداية والنهاية [جزء 4 – صفحة 91].

3 سيرة ابن كثير [جزء 3 – صفحة 172]

4 صحيح البخاري [جزء 1 – صفحة 173، حديث رقم 442] وجاء كذلك برقمي [5800، 3040].

المشركين فان روح القدس معك [1]. وقد مدح الله تعالى الشعراء الملتزمون وذم الشعراء الذين يسيئون لهذا الأدب العظيم ألا وهو الشعر في سورة سماها باسم سورة الشعراء في قوله تعالى : (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227)) [الشعراء]. فكانت علة اللعن أن هؤلاء يستخدمون الشعر في فتنة الناس وضلالتهم في العقيدة والسلوك والمعاملات والأخلاق بينما الصحيح هو استخدامه في هداية الناس للحق وحسن السلوك وطيب الأخلاق وهو الاستثناء الذي استثنته الآ يات الكريمات لاحقاً. ذلك المعنى هو نفسه الذي أشار له المصطفى عليه الصلاة والسلام حين أثنى على سحر البيان وجميل النظم في القول بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي أخرجه ابن ماجه عن أبي بن كعب رضي الله عنه حيث قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن من الشعر لحكمة) [2].. والمعنى كما يبينه أهل الحديث : (إن من الشعر حكمة) من تبعيضية، يريد أن الشعر لادخل له في الحسن والقبح ولا يعتبر به حال المعاني في الحسن والقبح، والمدار إنما هو على المعاني لاعلى كون الكلام نثرا أو نظما فإنهما كيفيتان لأداء المعنى وطريقتان إليه، ولكن المعنى إن كان حسنا وحكمة فذلك الشعر حكمة وإذا كان قبيحا فذلك الشعر كذلك . فذلك الحال ينطبق على كل ضرب من ضروب الأدب والنظم الكلامي المنطوق وبالتالي المقروء والمكتوب والمسموع له الحسن وله القبيح فكان أن الإسلام استخدم الحسن ورفض القبيح.

---

1 مسند أحمد بن حنبل [جزء 4 – صفحة 298، 18665].. تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

2 سنن ابن ماجه [جزء 2 – صفحة 1235، 3755].. قال الشيخ الألباني : صحيح.

12 دور الفن : الفنون الشعبية كأناشيد الأفراح ورقصات الحرب وطبولها ومقامات الحادي في السفر لم يحرمها الإسلام بل أقرها وهو ما مبين في عدة أحاديث وأفاض فيه أهل العلم في القديم والحديث. بل إنك تجد أن نبي الله داود عليه السلام كان يقضي جزءا كبيرا من وقته في التسبيحات بشكل مترنم ويؤديها بصوته الجميل العذب فيردد معه الجبال والطير من عذوبة الصوت وروعة الأداء وهيبة الموقف، ولقد شبه بعض الصحابة أنهم أوتوا مزمارا من مزامير داود كناية عن عذوبة الصوت وجماليته، يقول تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ) (سبأ:10)، (...وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) (الانبياء: من الآية 79). وقوله تعالى: { وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير }، الآية، وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور وكان إذا ترنم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه وترد عليه الجبال تأويبا ولهذا لما مر النبي صلى الله عليه وسلم على أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن من الليل وكان له صوت طيب جدًا فوقف واستمع لقراءته وقال : [لقد أوتي هذا مزمارا من مزام ير آل داود] قال : يا رسول الله لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيرا وقال أبو عثمان النهدي : ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا مزمار مثل صوت أبي موسى رضي الله عنه ومع هذا قال عليه الصلاة والسلام : (لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود) [1].. كما إن تشريع إعلان الص لاة في الإسلام جاء باستخدام الصوت البشري في الأذان وهذا له دلالاته في أهمية الصوت في الأثر النفسي للبشر . وقد حفلت السنة النبوية الشريفة والسيرة العطرة بالكثير من دلائل إباحة النشيد والرقص الشعبي الفلكلوري – بتعريف اليوم– والفن الهادف غير المسرف ولا المتكلف لما لها من أهمية وفعل مؤثر في حياة الناس، وإليكم بعض الأمثلة من هديه عليه الصلاة والسلام:

1 تفسير ابن كثير [جزء 3 – صفحة 250].

❖ في حديث الجواري الذين غنين في عرس في منزل السيدة عائشة رضي الله عنها. فأخرج البخاري في صحيحه حديثاً عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل أبو بكر وعندي جاريتين من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث قالت وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وذلك في يوم عيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا)[1]. والمعنى كما يبينه أهل العلم : (بما تقاولت الأنصار) أي بما قاله كل فريق من فخر بنفسه أو هجاء لغيره . (وليستا بمغنيتين) ليس الغناء عادة لهما وحرفة ولا هما معروفتان بذلك ولا تغنيان بتمطيط وتكسر وتهييج وحركات مثيرة وبغناء فيه تعريض بالفواحش أو تصريح بها أو ذكر الهوى والمفاتن مما ي حرك الساكن ويبعث الكامن في النفس فهذا وأمثاله من الغناء لا يختلف في تحريمه لأنه مطية الزنا وأحبولة الشيطان.

❖ كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع السيدة عائشة رضي الله عنها على كتفه الشريف ويأمرها بأن تنظر للزنوج من غرفتها وهم يرقصون بالرماح في مسجده ع ليه الصلاة السلام، فعن عائشة قالت: جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم [2]. قال الشراح : (يزفنون) معناه يرقصون وحمله العلماء على التوثب بسلاحهم ولعبهم بحرابهم على قريب من هيئة الرقص لأن معظم الروايات إنما فيها لعبهم بحرابهم فيتأول هذه اللفظة على موافقة سائر الروايات.

---

1 صحيح البخاري [جزء 1 - صفحة 324، 909 وكذلك 443].

2 صحيح مسلم [جزء 2 - صفحة 607، 20 وكذلك 892].

- عن عائشة أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان بدفين وتغنيان في أيامهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم مستتر بثوبه فانتهرهما أبـو بكر فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه وقال : (دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد) قالت عائشة : ولما قدم وفد الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا يلعبون في المسجد فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إليهم وهم يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأم فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو. قال الزهري : وأخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : دخل عمر والحبشة يلعبون في المسجد فزجرهم عمر فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دعهم يا عمر فإنهم هم بنو أرفدة)[1].
- وفي حديث آخر في البخاري يبين قبول النبي عليه الصلاة والسلام بغناء الحادي للإبل أثناء السفر، فعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وكان معه غلام له أسود يقال له أنجشة يحدو فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويحك يا أنجشة رويدك بالقوارير)[2]. والمعنى كما فصله العلماء والشراح : (يحدو) يغني للإبل أثناء سوقها. (ويحك) وفي نسخة (ويلك) ومعناه الهلاك ولا يراد معناه في مثل هذا الموطن.
- بل إن النبي عليه الصلاة والسلام استقبل يوم الهجرة بفن ونشيد ودفوف والناس من صبية ورجال ونساء ينشدون (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع... وجب الشكر علينا ما دعا لله داع ... أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع... جئت نورت المدينة مرحباً يا خير داع).

---

1 صحيح ابن حبان [جزء 13 – صفحة 186].. قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط البخاري.
2 صحيح البخاري [جزء 5 – صفحة 2281، 5809 وكذلك 5797].

❖ وكان الرجز والإنشاد من سمات المسلمين وقت نزول الخطوب لغرض رفع المعنويات مقتدين بهديه عليه الصلاة والسلام، فـ عن البراء رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول: (لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزل السكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا)[1].

❖ عن عبد الله بن بريدة قال سمعت بريدة يقول : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها ثم قعدت عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليخاف منك يا عمر إني كنت جالساً وهي تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف[2].

---

1 صحيح البخاري [جزء 3 - صفحة 1043 بأرقام الأحاديث : 2682، 2870، 3878، 3880، 6246، 6809] وأخرجه مسلم في الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب وهي الخندق رقم 1803.. وبين العلماء معاني الحديث: (وارى) ستر وأخفى، (السكينة) الطمأنينة والأمن، (لاقينا) الكفار، (الألى) الذين، (بغوا) ظلموا وتعدوا، (فتنة) شركا، (أبينا) امتنعنا.

2 سنن الترمذي [جزء 5 - صفحة 620]، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بريدة ، وفي الباب عن عمر وسعد بن أبي وقاص وعائشة.. قال الشيخ الألباني : صحيح.

- عن محمد بن حاطب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فصل بي الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح).. (الدف) معروف وهو آلة طرب، والمراد إعلان النكاح بالدف[1].
- عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: جاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حين بني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من أبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن وفينا نبي يعلم ما في غد ، فقال: (دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين)[2].. والمعنى كما بينه العلماء والشراح في هذا الحديث الشريف وأحاديث أخرى كالحديث الوارد في صحيح البخاري [جزء 4 – صفحة 1469، 3779]: (دخل علي) وكان ذلك في ابتداء الأمر قبل أن يفرض الحجاب وتثبت الأحكام كما علمت . (غداة) صبيحة. (بني علي) البناء على المرأة وبها عبارة عن الدخول بها. (كمجلسك مني) كما تجلس أنت الآن قريبا مني والظاهر أن خالدً ا كان محرماً عليها أو مملوكا لها . (جويريات (جمع جويرية تصغير جارية وهي البنت الصغيرة. (يندبن) من الندب وهو ذكر الميت بأحسن أوصافه وهو مما يهيج الشوق إليه والبكاء . (هكذا) أي: أني أعلم ما في غد لأن هذا مما لا يعلمه إلا الله عز وجل .. أي أنه عليه الصلاة والسلام لم يعترض على الضرب بالدف بل اعترض على القول لأن فيه ما لا يرضاه الشرع من قول (وفينا نبي يعلم ما في غد).
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينا الحبشة يلعبون عند النبي صلى الله عليه وسلم بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم

---

1 سنن ابن ماجه [جزء 1 – صفحة 611].. قال الشيخ الألباني : حسن.

2 صحيح البخاري [جزء 5 – صفحة 1976، رقم الحديث 4852].

بها فقال (دعهم يا عمر)[1]. والمعنى: (بحرابهم) جمع حربة وهي رمح ذو نصل عريض . (فحصبهم) رماهم. وفي لفظ أحمد عن أبي هريرة قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد والحبشة يلعبون فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه م يا عمر فإنهم بنو أرفدة[2]. ومعنى بنو أرفدة أي أن عاداتهم تقتضي هذا الفعل.

أما الحديث المتعلق بآخر الزمان الذي ربط القينات والمعازف بالزنا والخمر[3] فقد جاء تعبيرا عن حالة استخدام المعازف في الفساد واللهو الشيطاني الشهواني الذي يبعد الناس عن ربهم ودينهم و يجعلهم اسارى شهواتهم وشياطينهم تماماً كما إنه كان من عادة العرب ربط المعازف بحفلات المجون والخلاعة والخمور والشهوات فهذا هو المحرم لأن فيه إفساد وإسراف وبطر واتباع للشهوات والملذات وابتعاد عن طريق الحق الذي أراده رب السماوات.

13 دور الرياضة والدعابة والضحك وا للهو البرئ: وهو ما تؤكده العديد من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام وسيرته العطرة، ف عن عائشة رضي الله عنها : أنها كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر قالت فسابقته فسبقته على رجلي فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال " هذه بتلك السبقة [4]. وعن عطاء بن ابي رباح قال رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير

---

1 صحيح البخاري [جزء 3 – صفحة 1063، رقم الحديث 2745]. وأخرجه مسلم في صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه رقم 893. وزاد علي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر في المسجد.

2 مسند أحمد بن حنبل [جزء 2 – صفحة 540].. تعليق شعيب الأرنؤوط : صحيح وهذا إسناد حسن.

3 جاء في صحيح البخاري [جزء 5 – صفحة 2123، 5268] : عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال حدثني أبو عامر – أو أبو مالك – الأشعري والله ما كذبني: سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم – يعني الفقير – لحاجة فيقولوا ارجع إلينا غدا فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة). ومعنى (الحر) الفرج وأصله الحرح والمعنى أنهم يستحلون الزنا، (المعازف) آلات اللهو.

4 سنن أبي داود [جزء 2 – صفحة 34، 2578].. قال الشيخ الألباني : صحيح.

الأنصاري يرتميان فمل أحدهما فجلس فقال له الآخر كسلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو وسهو إلا أربع خصال مشي الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعلم السباحة [1]. وعن الزهري عن أبي سليمان مولى أبي رافع عن أبي رافع قال : قلت يا رسول الله أللولد علينا حق كحقنا عليهم قال : نعم حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي وأن يؤديه طيباً [2]. كذلك فإن الضحك واللطافة مما يحتاجه المسلم كترفيه مقبول ينفس عنه بعض همو م الدنيا، فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يضحك لفعل بعض الصحابة ممن اشتهر عنهم خفة الدم واللطافة في الحديث دون أن ينهرهم أو يوبخهم . فمثلاً يروي ابن كثير في البداية والنهاية بعضاً من تلك القصص فيقول : (ومن مكارم أخلاقه ودعابته وحسن خلقه استماعه عليه السلام حديث أم زرع من عائشة بطوله ووقع في بعض الروايات أنه عليه السلام هو الذي قصه على عائشة ومن هذا ما رواه الامام عن مسروق عن عائشة قالت : حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ذات ليلة حديثا فقالت امرأة منهن يا رسول الله كان الحديث حديث خرافة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتدرين ما خرافة إن خرافة كان رجلاً من عذرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهم دهرًا طويلاً ثم ردوه إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس حديث خرافة)، وقد رواه الترمذي في الشمائل عن الحسن بن الصباح البزار عن أبي النضر هاشم بن القاسم به قلت وهو من غرائب الأحاديث وفيه نكارة ومجالد بن سعيد يتكلمون فيه فالله أعلم)[3]. وهكذا ورد ومن هذا القبيل ما رواه

---

1 المعجم الأوسط [جزء 8، صفحة 118 –119، 8147].. لم يرو هذا الحديث عن جابر بن عبد الله وجابر بن عمير إلا بهذا الإسناد تفرد به محم د بن سلمة. والحديث جاء في سنن البيهقي الكبرى [جزء 10 – صفحة 15، 19525] وتابعه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن محمد بن سلمة الجزري.

2 شعب الإيمان [جزء 6 – صفحة 401، 8665].. عيسى بن إبراهيم هذا يروي ما لا يتابع عليه.

(3) البداية والنهاية [جزء 6 – صفحة 47].

البخاري في صحيحه أن رجلاً كان يقال له عبد الله ويلقب حماراً وكان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم وكان يؤتى به في الشراب فجيء يومًا فقال رجل لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله[1].

14 - استخدام كل ما هو متاح من ماديات ومعنويات للدعوة وكسب القلوب إلى الله تعالى: وهو ما كان من فعله عليه الصلاة والسلام في عام الوفود مع وفود العرب التي جاءت إليه لتعلن إسلامها، فكان منه من المعجزات الباهرات والسلوك الحضاري والحب والحنان والعطف والرحمة والخير والبركة والتعامل الإنساني ما تدون به الصحائف العظيمة، فهذا وفد بني كلاب وذاك وفد بني تميم وبني عامر وبني سعد وبني حنيفة وغيرهم الكثير، فكان منه عليه الصلاة والسلام أن عامل أهلهم وفق منطقهم وما يفهمونه، فهذا يمسح على رأسه فتكون فيه البركة وذاك يعطيه من المال وهذا يعلم فيه حب الرياسة فيقدمه على بقية القوم وذاك يعطيه علامة فيشير للجبل فيضئ وغير ذلك من القصص الكثيرة التي ذكرتها كتب السير[2].

15 - استخدام التكريم والعطايا وفق قيمة الإيمان ومقداره في القلوب: لغرض تأليف القلوب للمسلمين الجدد كان عليه الصلاة والسلام يعطي العطايا والهدايا لهم بينما يوكل المؤمنين الراسخين إلى إيمانهم. فالأنصار وهم من هم من الإيمان والعزيمة والنصرة رضي الله عنهم ورضوا عنه كان النبي عليه الصلاة والسلام له أسلوبه الخاص في التعامل معهم بعدما تمكن الإيمان في قلوبهم، بينما تعامل مع المسلمين الجدد وفق منطق المصلحة ليؤلف قلوبهم. فتذكر لنا كتب السير كيف كان تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع قبائل

---

(1) البداية والنهاية [جزء 6 - صفحة 47].

(2) انظر قصص عام الوفود في البداية والنهاية لابن كثير وسيرة ابن هشام وابن اسحق والروض الأنف وغيرها.

العرب بعد أن منّ الله تعالى عليه بالنصر وا لفتح. فعن أبي سعيد الخدري قال : لما أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطي من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يا رسول الله ان هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء قال فأين أنت من ذلك يا سعد قال يا رسول الله ما أنا الا امرؤ من قومي وما أنا قال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة قال فخرج سعد فجمع الناس في تلك الحظيرة قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار قال فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ب الذي هو له أهل ثم قال يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا بل الله ورسوله أمن وأفضل قال ألا تجيبونني يا معشر الأنصار قالوا وبماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المن والفضل قال أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فأغنيناك أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يا معشر الأنصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم في رحالكم فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار قال فبكى القوم ح تى أخضلوا لحاهم

وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقنا[1].

ومن ذلك يتبين أن النبي عليه الصلاة والسلام قد شمل كل الحياة في الدعوة لله تعالى وليس المواعظ والخطب حسب بل سخر كل نشاطات الحياة بكل تفاصيلها وأساليب وآليات وتقنيات العصر الزاهر الذي كان يعيشه في بناء المجتمع المسلم وكذلك الدعوة لله تعالى فكان كل مسلم مختص بعمله يخدم الدعوة فذاك المحارب وذاك الفلاح وذاك التاجر وآخر للشعر والأدب والغناء المسموح وآخر الصناعي والمعلم وغير ذلك، بل حتى المرأة شاركت في الدعوة في مجا لات العلم والتمريض والتجارة والقتال والقيام على شؤون البيت وغير ذلك من مجالات الحياة.

كما إنه عليه الصلاة والسلام نوَّع فن الخطاب للناس حسب أصنافهم كما أسلفنا في بداية الفصل، فكان خطابه للملوك من الأمم الأخرى يختلف عن خطابه لملوك وأمراء ورؤساء العرب ومنهم قريش، والأمر ينطبق بكيفية مخاطبته لليهود ومن واثقهم وعاهدهم، كما اختلف فن الخطاب وأسلوب الدعوة تبعاً لاختلاف الزمن والظروف فألأمر يختلف بين أول الدعوة قبل الهجرة وبعدها وخصوصاً بعد صلح الحديبية ومن ثم فتح مكة وعام الوفود وهكذا لكل زمن وظرف وأمة وثقافة أسل وب خطابها وفن التعامل معها ليعلمنا عليه الصلاة والسلام كيف علينا التعامل مع عصرنا ومن حولنا من القريب والبعيد من أمم البشر.

وقد يقول قائل أن النبي عليه الصلاة والسلام كان قائداً لدولة الإسلام وبالتالي فإن كل مقومات تسخير المجتمع لخدمتها وفق الشريعة كان متا حاً بمعنى أن النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والقضائي وغير ذلك كان كله وفق شرع الله وبالتالي لا يمكن القياس على هذا لأننا اليوم لسنا تحت راية دولة إسلامية موحدة بل أشتات.

---

(1) مسند أحمد بن حنبل [جزء 3 - صفحة 76، 11748].. تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية 358/4، تاريخ الطبري 177/2، مختصر سيرة الرسول ص 159، سيرة ابن هشام 176/5، الروض الأنف 405/1 وغيرها.

والحقيقة نقول أنه قد يكون في هذا جانباً من الصواب ان النظام السياسي يحمي الدولة التي بإمرته وبالتالي يسخر إمكاناتها جميعاً ويشرك كل مرافق الحياة في ذلك، لكننا في نفس الوقت ونحن دولاً أشتات نستطيع أن نأخذ ما يمكن أخذه من تلك الممارسات النبوية الكريمة مثل تسخير جميع التخصصات والشرائح في المجتمع إما بإقامة مؤسسات ومعاهد ضمن نطاق مؤسسات المجتمع المدني أو حتى تحت غطاء المؤسسات العلمية والثقافية والإعلامية والمراكز البحثية وغير ذلك لنستجمع قوانا وفق ما نستطيع ولا ننتظر حتى تقوم دولة الإسلام ثم نقول نحن جاهزون بل نحن من يفعل العمل لنهضة الأمة الآن وليس غداً.

الدليل من علوم القرآن

لقد صنف أهل العلوم القرآنية عبر الحقب المختلفة التي مرت على الأمة في مؤلفاتهم ما بيناه من احتواء كتاب الله على علوم غزيرة وفنون كثيرة وأسلحة متنوعة لاستخدامها في خطاب المكذبين والملحدين والمعاندين على مر الأزمان . ومن ذلك كتاب (البرهان في علوم القرآن) وكتاب (الإتقان في علوم القرآن) للزركشي والسيوطي وكذلك كتب (التبيان في علوم القرآن) و(إتقان البرهان) وغيرها، فثبتوا سبق القرآن الكريم في الصناعات والعلوم والفنون ما يحقق معنى قوله تعالى: (.. مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ..) (الأنعام: من الآية 38)[1].

1 لمزيد من قول أهل العلم في صنوف علوم كتاب الله تعالى واحتواءه على شتى أصناف العلم يراجع كتابنا (القرآن منهل العلوم) طبع دار الكتب العلمية ببيروت ص93-111، فضلاً عن كتاب البرهان للزركشي، ج1 ص 9-12، ص 16-21، ص 35 وغيرها، وكذلك كتاب الإتقان للسيوطي، ج 2- ص331-339.. كما يمكن الرجوع لكتب أخرى مثل: (البرهان في علوم القرآن) للجوفي المتوفى عام 430 هـ ويقع في 30 مجلداً، وكتاب (فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن) لابن الجوزي المتوفى عام 597هـ. هذا بالإضافة لكتب ومصنفات عديدة للمحدثين مثل (إعجاز القرآن) لمصطفى صادق الرافعي و(مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ محمد الزرقاني.

وتأمل أخي القارئ الكريم هذا التصنيف العجيب الذي أورده صاحب الإتقان في علوم القرآن في معرض تعداده لبعض أوجه الإعجاز وأصناف العلوم القرآنية(1):

1. قال ابن مسعود إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله تعالى أخرجهما ابن أبي حاتم.
2. وقال الشافعي أيضاً ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها فإن قيل من الأحكام ما ثبت ابتداء بالسنة قلنا ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة لأن كتاب الله أوجب علينا اتباع الرسول وفرض علينا الأخذ بقوله. وقال الشافعي مرة بمكة سلوني عما شئتم أخبركم عنه في كتاب الله فقيل له ما تقول في المحرم يقتل الزنبور فقال : بسم الله الرحمن الرحيم : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)، الآية، ثم قال الحديث : عن حذيفة بن اليمان عن النبي أنه قال: (اقتدوا باللذين من بعدي أبو بكر وعمر)، وعن عمر بن الخطاب أنه أمر بقتل المحرم الزنبور. وأخرج البخاري حديثاً عن ابن مسعود أن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى)، الحديث، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد فقالت له إنه بلغني أنك لعنت كيت كيت فقال ومالي لا أل عن من لعن رسول الله وهو في كتاب الله تعالى ، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه كما تقول، قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأت : (... وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ..)، الآية، قالت: بلى قال فإنه قد نهى عنه . وحكى ابن سراقة في كتاب الإعجاز عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال يوما ما شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله فقيل له فأين ذكر الخانات فيه فقال في قوله تعالى: (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم)، الآية، فهي الخانات.
3. وقال ابن برجان ما قال النبي من شيء فهو في القرآن به أو فيه أصله قرب أو بعد فهمه من فهمه وعمه عنه من عمه وكذا كل ما حكم به أو قضى وإنما يدرك

---

(1) الإتقان (ج: 2 ص: 331-339).

الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه . وقال غيره ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله حتى أن بعضهم استنبط عمر النبي ثلاثاً وستين سنة من قوله في سورة المنافقين : (.. ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها..)، الآية، فإنها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده.

4. وقال ابن الفضل المرسي في تفسيره جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم بها ثم رسول الله خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ثم ورث ذلك عنه معظم سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علومه وقامت كل طائفة بفن من فنونه فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته والتعليم عند كل عشر آيات إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه فسموا القراء.
5. واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال واللازم والمتعدي ورسوم خط الكلمات و جميع ما يتعلق به حتى إن بعضهم أعرب مشكله وبعضهم أعربه كلمة كلمة.
6. واعتنى المفسرون بألفاظه فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد ولفظا يدل على معنيين ولفظا يدل على أكثر فأجروا الأول على حكمه وأوضحوا معنى الخفي منه وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين والمعاني وأعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره.

7. واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية مثل قوله تعالى: (لو كان فيهما ءالهة إلا الله لفسدتا)، الآية، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده وبقائه وق دمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به وسموا هذا العلم بأصول الدين.
8. وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضي العموم ومنها ما يقتضي الخصوص إلى غير ذلك فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز وتكلموا في التخصيص والإخبار والنص والظاهر والمجمل و المحكم والمتشابه والأمر والنهي والنسخ إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء وسموا هذا الفن أصول الفقه.
9. وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام فأسسوا اصوله وفرعوا فروعه وبسطوا القول في ذلك بسطاً حسناً وسموه بعلم الفروع وبالفقه أيضاً.
10. وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء وسموا ذلك بالتاريخ والقصص.
11. وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تقلقل قلوب الر جال وتكاد تدكدك الجبال فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار فصولاً من المواعظ وأصولاً من الزواجر فسموا بذلك الخطباء والوعاظ.
12. واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير مثل ما ورد في ق صة يوسف في البقرات السمان وفي منامي صاحبي السجن وفي رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة وسموه تعبير الرؤيا واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب فإن عز عليهم إخراجها منه فمن السنة التي هي شارحة للكتاب فإن عسر فمن الحكم والأمثال

ثم نظروا إلى اصطلاح العوام في مخا طباتهم وعرف عاداتهم الذي أشار إليه القرآن بقوله: (.. وأمر بالعرف..)، الآية.

13. وأخذ قوم مما في آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك علم الفرائض واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن حساب الفرائض ومسائل العول واستخرجوا منه أحكام الوصايا.

14. ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت.

15. ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادئ والمقاطع والمخالص وال تلوين في الخطاب والإطناب والإيجاز وغير ذلك فاستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع.

16. ونظر فيه أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوا لها أعلاماً اصطلحوا عليها مثل الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والأنس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك هذه الفنون التي أخذتها الملة الإسلامية منه.

17. وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة وذلك إنما باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة وقد جمع ذلك في آية واحدة وهي قوله تعالى : (.. وكان بين ذلك قواماً)، الآية، وعرفنا فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاله وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله في قوله تعالى: (.. شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ..)، الآية، ثم زاد على طب الأجسام بطب القلوب وشفاء الصدور.

18. وأما الهيئة ففي تضاعيف سوره من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السموات والأرض وما بث في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات.

19. وأما الهندسة ففي قوله: (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب)، الآية.

20. وأما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة وغير ذلك شيئاً كثيرًا ومناظرة إبراهيم نمرود ومحاجته قومه أصل في ذلك عظيم.

21. وأما الجبر والمقابلة فقد قيل إن أوائل السور فيها ذكر مدد وأعوام وأيام لتواريخ أمم سالفة وإن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة وتاريخ مدة أيام الدنيا وما مضى وما بقي مضروب بعضها في بعض.

22. وأما النجامة ففي قوله : (.. أو أثارة من علم ..)، الآية، فقد فسره بذلك ابن عباس.

23. وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها كالخياطة في قوله: (.. وطفقا يخصفان)، الآية، والحدادة في قوله: (آتوني زبر الحديد ..)، الآية، وقوله: (... وألنا له الحديد..)، الآية، والبناء في آيات، والنجاة في قوله: (.. واصنع الفلك بأعيننا..)، الآية، والغزل في قوله: (.. نقضت غزلها..)، الآية، والنسج في قوله: (.. كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ..) ، الآية، والفلاحة في قوله: (.. أفرأيتم ما تحرثون ..)، الآيۃ. وكذا الصيۃ في آيات، والغوص في قوله: (.. كل بناء وغواص ..)، الآية ، وقوله: (.. وتستخرجوا منه حلية ..)، الآية ، والصياغة في قوله: (.. واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسدًا..)، الآية، والزجاجة في قوله: (.. صرح ممرد من قوارير ..)، الآية، وقوله: (... المصباح في زجاجة ..)، الآية، والفخارة في قوله: (.. فأوقد لي يا هامان على الطين..)، الآية، والملاحة في قوله: (.. أما السفينة..)، الآية، والكتابة في قوله: (.. علم بالقلم..)، الآية، والخبز في قوله: (.. أحمل فوق رأسي خبزً ا..)، الآية، والطبخ في قوله: (.. بعجل حنيذ.. ..)، الآية، والغسل والقصارة في قوله: (.. وثيابك فطهر ..)، الآية، وقوله: (... قال الحواريون..)، الآية، وهم القصارون. وكذلك الجزارة في قوله: (.. إلا ما ذكيتم ..)، الآية، والبيع والشراء في آيات .

والصبغ في قوله: (.. صبغة الله ..)، الآية ، وقوله تعالى : (.. جدد بيض وحمر..)، الآية. وأيضاً الحجارة في قوله: (.. وتنحتون من الجبال بيوتاً ..)، الآية، والكيالة والوزن في آيات . كذلك الرمي في قوله: (.. وما رميت إذ رميت..)، الآية، وقوله: (... وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ..)، الآية. وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله (..ما فرطنا في الكتاب من شيء)، الآية.. انتهى كلام المرسي ملخصاً.

24. وقال ابن سراقة من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب والموافقة والتأليف والمناسبة والتنصيف والمضاعفة ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه صادق في قوله وأن القرآن ليس من عنده إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ولا تلقى الحساب وأهل الهندسة.

25. وقال الراغب إن الله تعالى كما جعل نبوة النبيين نبينا محمد مختتمة وشرائعهم بشريعته من وجه منتسخة ومن وجه مكملة متممة جعل كتابه الم نزل عليه متضمناً لثمرة كتبه التي أولادها أولئك كما نبه عليه بقوله : (.رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً (2) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (3)) [البينة]، وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجم بحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه والآلات الدنيوية عن استيفائه كما نبه عليه بقوله في قوله تعالى: (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ..)، الآية، فهو وإن كان لا يخلو للناظر فيه من نور ما يريه ونفع ما يوليه كالبدر من حيث التفت رأيته يهدي إلى ع ينيك نورًا ثاقباً كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً.

26. وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال قيل لموسى عليه السلام يا موسى إنما مثل كتاب أحمد في الكتب بمنزلة وعاء فيه لبن كلما مخضته أخرجت زبدته.

27. وقال القاضي أبو بكر بن العربي في قانون التأويل علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع وهذا مطلق دون اعتبار تركيب وما بينها من روابط وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله قال وأما علوم ا لقرآن فثلاثة توحيد وتذكير وأحكام فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن والأحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع.

28. والمضار والأمر والنهي والندب ولذلك كانت الفات حة أم القرآن لأن فيها الأقسام الثلاثة وسورة الإخلاص ثلثه لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة وهو التوحيد. وقال ابن جرير القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء التوحيد والإخبار والديانات ولهذا كانت سورة الإخلاص ثلثه لأنها تشمل التوحيد كله . وقال علي بن عيسى القرآن يشتمل على ثلاثين شيئاً الإعلام والتشبيه والأمر والنهي والوعد والوعيد ووصف الجنة والنار وتعلم الإقراء بسم الله وبصفاته وأفعاله وتعليم الاعتراف بأنعامه والاحتجاج على المخالفين والرد على الملحدين والبيان عن الرغبة والرهبة والخير والشر والحسن والقبيح ونعت الحكمة وف صل المعرفة ومدح الأبرار وذم الفجار والتسليم والتحسين والتوكيد والتقريع والبيان عن ذم الأخلاق وشرف الآداب. وقال شيذلة وعلى التحقيق إن تلك الثلاثة التي قالها ابن جرير تشمل هذه كلها بل أضعافها فإن القرآن لا يستدرك ولا تحصى عجائبه.

29. ويقول صاحب الإتقان أن كتاب الله العزيز قد اشتمل على كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الرسل والملائكة وعيون أخبار الأمم السالفة كقصة آدم مع إبليس في إخراجه من الجنة وفي الولد الذي سماه عبد الحارث ورفع إدريس وغرق قوم نوح وقصة عاد الأولى والثانية وثمود والناقة وقوم

يونس وقوم شعيب الأولين والآخرين وقوم لوط وقوم تبع وأصحاب الرس وقصة إبراهيم في مجادلة قومه ومناظرته نمروذ ووضعه إسماعيل مع أمه بمكة وبنائه البيت وقصة الذبيح وقصة يوسف وما أبسطها وقصة موسى في ولادته وإلقائه في اليم وقتل القبطي ومسيره إلى مدين وتزوجه بنت شعيب وكلامه تعالى بجانب الطور ومجيئه إلى فرعون وخروجه وإغراق عدوه وقصة العجل والقوم الذين خرج بهم وأخذتهم الصعقة وقصة القتيل وذبح البقرة وقصته مع الخضر وقصته في قتال الجبارين وقصة القوم الذين ساروا في سرب من الأرض إلى الصين وقصة طالوت وداود مع جالوت وفتنته وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبأ وفتنته وقصة القوم الذين خرجوا فرارً ا من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم وقصة ذي القرنين ومسيره إلى م غرب الشمس ومطلعها وبنائه السد وقصة أيوب وذي الكفل وإلياس وقصة مريم وولادتها وعيسى وإرساله ورفعه وقصة زكريا وابنه يحيى وقصة أصحاب الكهف وقصة أصحاب الرقيم وقصة بخت نصر وقصة الرجلين اللذين لأحدهما الجنة وقصة أصحاب الجنة وقصة مؤمن آل يس وقصة أصحاب الفيل. وفيه من شأن النبي دعوة إبراهيم به وبشارة عيسى وبعثه وهجرته ومن غزواته سرية ابن الحضرمي في البقرة وغزوة بدر في سورة الأنفال وأحد في آل عمران وبدر الصغرى فيها والخندق في الأحزاب والحديبية في الفتح والنضير في الحشر وحنين وتبوك في براءة وحجة الوداع في المائدة ونكاحه زينب بنت جحش وتحريم سريته وتظاهر أزواجه عليه وقصة الإفك وقصة الإسراء وانشقاق القمر وسحر اليهود إياه. وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته وكيفية الموت وقبض الروح وما يفعل بها بعد وصعودها إلى السماء وفتح الباب للمؤمنة وإلقاء الكافرة وعذاب القبر والسؤال فيه ومقر الأرواح وأشراط الساعة الكبرى وهي نزول عيسى وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج والدابة والدخان ورفع القرآن والخسف وطلوع الشمس من مغربها وغلق باب التوبة وأحوال البعث من النفخات الثلاث نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام والحشر والنشر وأهوال الموقف وشدة حر

الشمس وظل العرش والميزان والحوض والصراط والحساب لقوم ونجاة آخرين منه وشهادة الأعضاء وإتيان الكتب بالأيمان والشمائل وخلف الظهر والشفاعة والمقام المحمود والجنة وأبوابها وما فيها من الأنهار والأشجار والثمار والحلي والأواني والدرجات ورؤيته تعالى والنار وأبوابها وما في ها من الأودية وأنواع العقاب وألوان العذاب والزقوم والحميم. وفيه جميع أسمائه تعالى الحسنى كما ورد في حديث ومن أسمائه مطلقا ألف اسم ومن أسماء النبي جملة ، وفي شعب الإيمان البضع والسبعون وشرائع الإسلام الثلاثمائة وخمسة عشر.

المرتكزات

وبعد، فهذا الذي ذكرناه لكم غيض من فيض ما بينه أهل العلوم القرآنية والحديث والسنن والسير من سلفنا الصالح وعلماء الأمة الأكارم، فأين المعترضين اليوم على العاملين في هذا الباب من قول هؤلاء الأئمة المهتدين.

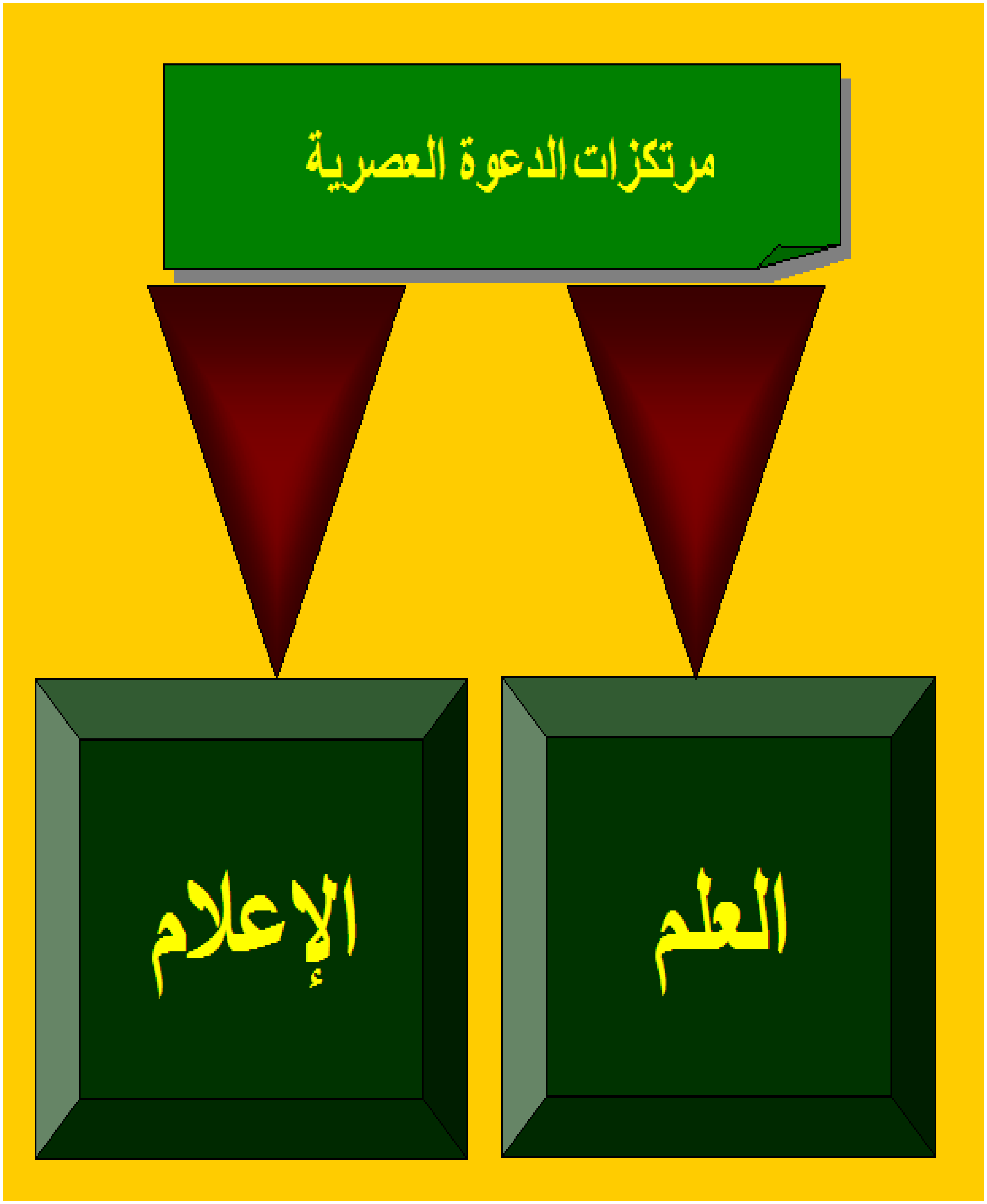
من كل تلك الدلائل نتبين أن المقصود باللسان لا يقتصر على اللغة ولسان المقال بل يشمل أيضاً لسان الحال وهو ما يعني أن المعنى يشمل مجمل المنظومة الثقافية لعصر التنزيل للأنبياء عليهم السلام، ولما كان القرآن والإسلام لغة كل العصور فإنه مسلح بجميع الأساليب الملائمة لمخاطبة جميع الأمم وجميع الثقافات وجميع الحضارات منذ عصر التنزيل ولغاية قيام الساعة.

إذن فإن أهم منطلقين للدعوة في كل عصر ومصر هما لسان الحال ولسان المقال، وبالتالي فإن هذين المنطلقين يشكلان المنظومة الثقافية والعلمية لأي دعوة (الشكل 2-1) وعليه فإننا اليوم أمام تحدٍ ثقافي كبير يجعلنا نقف متأملين لكيفية مخاطبة الناس بلسان العصر و ثقافته الرقمية والإلكترونية والعلمية والاقتصادية والإعلامية والفنية وغيرها.



الشكل (2– 1): منطلقات الدعوة العصرية والمنظومة الثقافية

لسان القوم= (لسان الحال + لسان المقال)



الشكل (2– 2): الركيزتين أو الدعامتين الرئيستين لمشروع عصرية الدعوة

هذا الذي فـهمته أجيال المسلمين الذهبية فانطلقت تؤسس لحضارة عظيمة، حضارة حملت كفتي العلم والتقوى فكسبت الدنيا والآخرة، فتشكلت علوم وفنون جديدة وتطورت وتصححت علوم وأفكار قديمة خاطئة، لتعلن عن بدء تشكيل حضارة من من طراز خاص أغنت العالم ونهل منها ففتحت أبواب النهضة الشام لة لاحقاً في عهد الثورة الصناعية الغربية كما سنفصل في الفصل اللاحق.

واليوم فإن لسان العلم والإعلام هما اللسان السائد وقد كان للقرآن العظيم سبق وأي سبق في كل ذلك كما سنفصل، لذلك فهما الدعامتين أو الركيزتين الرئيستين لمشروع الدعوة العصرية (الشكل 2–2).

نبدأ فـي الفصلين المخصصين لكل من تلكما الدعامتين الرئيستين لعصرية الدعوة وهما الفصلين الرابع والخامس بتبيان تفاصيلهما وما يتفرع منهما من وسائل[1] [2]

---

(1) تراجع مصادر الملحق – أ – المتعلقة بقوانين النهضة والنجاح والإبداع على التوالي.

(2) يراجع كذلك كتاب (تأصيل فقه الأولويات؛ دراسة مقاصدية تحليلية)، محمد همام عبد الرحيم ملحم، تقديم : محمد نعيم ياسين، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط/1، 2007م. وكتاب (في فقه الأولويات)، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط/1، 2000م. فضلاً عن كتب أخرى ذكرت في فصول هذا الكتاب.

الفصل الثالث

الاستنباطات

أمثلة في استنباط علماء الأمة للعلوم الجديدة

من كتاب الله تعالى

منهجية (سيروا– فانظروا) البحثية القرآنية

الأمثلة

المثال الأول: شرف العلوم الرياضية والهندسية على بقية العلوم الطبيعية بنص القرآن الكريم

المثال الثاني: أثر القرآن الكريم في تأسيس علم الجبر الحديث

المثال الثالث : أثر القرآن الكريم في استنباط ابن الهيثم لنظريته الرائعة في الإبصار

المثال الرابع : أثر القرآن الكريم في استنباط وتطوير علم الميكانيك والحركة

المثال الخامس: أثر القرآن الكريم في اختراع علم فك الرموز

أثر الإسلام في تقدم العلوم والتقنيات الهندسية عموماً

منهجية (سيروا- فانظروا) البحثية القرآنية

لعل كتاب الله تعالى أول كتاب في تأريخ البشرية يحث على البحث والتمحيص والتدقيق في العلوم الطبيعية وتاريخ الأمم والشعوب لعدة أغراض منها للتدبر والعضة ومنها لمعرفة الأسباب والاستفادة منها في الدنيا والآخرة . وهذا ما تبينه عدة آيات مثل قوله تعالى:

- (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (الأنعام:11)
- (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) (النمل:69)
- (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (العنكبوت:20)
- (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) (الروم:42)

فعبارة (قل سيروا) تحث على تتبع آثار المسألة المعينة واستقصاء نتائجها والبحث في مسبباتها بتمحيص وروية ومنهجية للوصول إلى أقصى الفوائد المرجوة.

وعبارة (فانظروا- ثم انظروا) تؤكد على ضرورة البحث والتدبر في ال مسألة من جميع جوانبها والإحاطة بها.

فمن معاني النظر في اللغة، التأمل والانتظار والتدبر والاستقصاء وطلب الشيء وما إلى ذلك، يقول صاحب الصحاح : (النَّظَرُ و النَّظَرَانُ بفتحتين تأمل الشيء بالعين وقد نَظَر إلى الشيء ، والنَّظَرُ أيضاً الانْتِظَارُ يقال منهما نَ ظَرهُ ينْظُرهُ بالضم نَظَراً . والنَّاظِرُ في المُقلة السَّواد الأصغر الذي فيه إنسان العين ويقال للعين النَّاظِرة، والنَّاظِرُ الحافِظ، والنَّظِرَةُ بكسر الظاء التأْخير، وأَنْظَرَهُ أخرَّه واسْتَنْظَرَهُ استمهله وتَنَظَّرَهُ تَنَظُّراً انْتَظَرَهُ في مُهلة، وناظَرَهُ من المُنَاظَرَةِ والمَنْظَرَةُ بوزن المتربة المرقبة، ويُقال مَنْظَرَهُ خير من مخبره، والنَّظَارَةُ مُشددا القوم ينظرون إلى شيء، ونَظِيرُ الشيء مثله والنَّظِرُ بوزن التبِر لغة فيه كالنديد والنِّد)[1].

([1])مختار الصحاح [جزء 1 - صفحة 688].

وقوله تعالى : { قل سيروا في الأرض } (الأنعام : 11)، أي قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين المستسخرين المكذبين : سافروا في الأرض فانظروا واختبروا لتعرفوا ما حل بالكفرة قبلكم من العقاب وأليم العذاب وهذا السفر مندوب إليه إذا كان على سبيل الاعتبار بآثار من خلا من الأمم وأهل الديار والعاقبة آخر الأمر والمكذبو ن هنا من كذب الحق وأهله لا من كذب بالباطل [(1)]. وقوله تعالى : { قل سيروا في الأرض } (العنكبوت: 20)، أي قل لهم يا محمد سيروا في الأرض { فانظروا كيف بدأ الخلق } على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم وانظروا إلى مساكن القرون الماضية ودياره م وآثارهم كيف أهلكهم لتعلموا بذلك كمال قدرة الله [(2)].

لعل المتأمل بالآيات يجد أن تلك المنهجية تقسم لقسمين رئيسين:

1. الأول هو البحث في التاريخ والآثار وسنن وقوانين قيام الحضارات وعوامل صعودها ونزولها وأسس النهضة ومراحلها وهو محور قوله تعالى : (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (الأنعام:11)، (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) (النمل:69)، (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَ بْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) (الروم:42).
2. الثاني هو البحث في العلوم المختلفة من علوم السماء (الفلك وهندسة الكون والفضاء وغيرها) وعلوم الأرض (الجيولوجيا والهندسة الأرضية وعلوم الجمادات والمواد) وعلوم الأحياء (بيولوجيا وفسيولوجيا وطب وصيدلة وغيرها) وما إلى ذلك من تصنيفات علمية، وهو محور قوله تعالى : (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (العنكبوت:20).

---

(1) تفسير القرطبي [جزء 6 – صفحة 363].

(2) تفسير القرطبي [جزء 13 – صفحة 299].

وهذا تحديداً هو معنى الآيات الكريمات في سورة الغاشية من قوله تعالى : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت (17) وإلى السماء كيف رفعت (18) وإلى الجبال كيف نصبت (19) وإلى الأرض كيف سطحت (20)) [الغاشية: 17-20] وهو من تخصيص العام الذي ذكرته آيات (سيروا – فانظروا). فالنظر إلى الإبل تخص علم الحيوان عموماً وإنما ضرب المثل بالإبل لكثرتها حول المخاطبين، والنظر إلى السماء تخص علم الفلك وهندسة الفضاء، والنظر إلى الجبال تخص علم الجيولوجيا وعلوم المعادن والصخور والهيدرولوجيا والبيئة وما شاكل، والنظر إلى الأرض يخص علوم الأرض وطبقاتها وجوفها وجوها وسطحها والبيئة وال مياه والمعادن وما شاكل . لكن المتأمل في تأكيد قوله تعالى في تلك الآيات الكريمات وهو كلمة (كيف) وهنا الدلالة على التأمل والتدبر والبحث في كيفية خلق تلك الأمور وليس النظر لها نظر المتعجب والمتأمل حسب كما يقول البعض !، وهذه الكيفية تقتضي الغوص في أعماق علوم تلك الأشياء وهي السماوات والأرض والجبال والحيوان وكل ما يمت لها بصلة وهذا لعمري يشمل كل العلوم الصرفة والتطبيقية والإنسانية ومنها تاريخ الحضارات كما ذكرت آيات سيروا فانظروا العامة.

إذن القرآن الكريم يحض على البحث والتقصي والتدبر والتمعن في حقائق وبواطن الأشياء كلها حولنا، ومن ذلك يمكننا أن نقول ان القرآن الكريم حث على الغوص في جميع العلوم المفضية لتبيان حقيقة التوحيد والدعوة إلى الله تعالى.

عندما وعى المسلمون الأوائل والأجيال الأولى هذه القضية كانت لهم اليد الطولى في فتح آفاق العلوم في شتى المجالات على مصراعيها فأناروا بذلك للعالم طريق النهضة والرفعة والخير. فلقد كانت هذه المنهجية المحرك لكثير من المكتشفات والمخترعات التي توصللها علماء الأمة في وقت الصعود الحضاري في شتى المجالات، كما كان لها الأثر الأكبر في استنباط علوم جديدة أو تطوير وتعديل وتنقيح علوم قديمة م خطئة المسار كما سنبين في بعض الأمثلة لاحقاً في هذا الفصل.

فلقد كان أكثر أهل العلوم الطبيعية في الأمة ينطلقون من كتاب الله تعالى في استنباط علومهم وإبداع أفكارهم لأنهم أيقنوا بأن هذا الكتاب هو في الحقيقة منهل لكل العلوم فبرز منهم أهل الرياضيات والحساب الجبر والمقابلة كالخوارزمي وعبد القاهر البغدادي وغيرهما انطلاقاً من علم المواريث وكان لعلماء المسلمين صولات وجولات في اختراع الكسور العشرية والصفر التي كانت بحق ثورات عظيمة في تاريخ العلوم فتحت آفاق باب العلوم الرياضية الحديثة ولولاها لما وصلنا لما وصلنا له اليوم في تطور أم العلوم وهو الرياضيات والجبر والهندسة . وبرز منهم كذلك أهل الفيزياء البصرية والضوئية كالحسن بن الهيثم انطلاقاً من آيات النور والضوء والعتمة في كتاب الله تعالى فعدلوا أقوال من سبقهم فكانوا بحق أول من وضع تلك العلوم الفيزيائية على الطريق الصحيح . وهكذا كان الأمر مع الطب والفلك والجيولوجيا وعلوم الحيوان وغيرها مما تمتلئ به كتب الموسوعات العلمية في أثر العلوم الإسلامية بمؤلفاتها وعلماءها على مجمل العلوم الطبيعية في التاريخ البشري.

وكان أن غدت تلك العلوم، التي تكونت لاحقاً، المفتاح الذي فتح للعالم طري ق الثورة الصناعية ومن بعدها الثورات التقنية وغيرها بعدما نقل الغرب علوم المسلمين وتقنيات وفنون في الأندلس وصقلية وتركيا وبقية بلدان المسلمين إليهم فاعتمدوا عليها وطوروها وانتقلوا لتطبيق منهجية (سيروا – فانظروا) في ميادين البحث العلمي الدنيوي فأخذوا بطرف و احد من المعادلة لكنهم نسوا الطرف الاخر منها وهو التدبر والاعتبار بحقيقة هذا الحياة وزوالها فاختلت المعادلة لديهم ولدى الشعوب التي حكموها بينما لم تكن كذلك عند المسلمين أيام نهضتهم لأنهم ألموا بجانبي المعادلة وأعطوا كل شيء حقه.

هذه المنهجية البحثية القرآنية الواضحة يناقضها من ذهب مذهب ضرورة التوقف عند ما جاء به القرآن الكريم . فإن كان ما قصدوه في الأحكام والتشريعات التي جاء بها كتاب الله تعالى وسنه الحبيب عليه الصلاة والسلام فهذا بلا شك هو الأكيد ولا جدال فيه، لكنه لا يصح قطعاً في مسألة تدبر القصص والأمثلة التي ضربها القرآن الكريم.

لأن كتاب الله تعالى يعطي الموضوع حسب أهميته فإن احتاج لتفصيل فصّل وإن لم يحتج لذلك ترك التفصيل لحاجة الأمة في وقتها فقد تحتاج للدخول في ذلك التفصيل في وقت ولا تحتاجه في وقت آخر لذلك جاء تعميم هذا المنهج (سيروا- فانظروا) حسب الوقت والحاجة والظرف، لكن هذه المنهجية عامة شاملة ومن لا يقول بها فقد أوقف جهد بشري فطري وهو حب الاستطلاع وحب العلم وحب البحث وعطّل عمل العقل والتفكر والتدبر التي هي لب العقيدة الإسلامية وحثت عليه آيات كثيرة.

ويضرب لنا الأستاذ الراشد مثلاً في فهم المسلمين لكروية الأرض بقوله: (قبل أكثر من ألف سنة من تحريق الفاتيكان لمن يقول بكروية الأرض ودورانها كان القرآن الكريم ينطق ويعلم المسلمين بعض النظر الحضاري فيقول: (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) (الرحمن:5). ويظن البعض أن اللفظ ينصرف إلى الحساب والتقدير فقط لكن البخاري يقول: (قال مجاهد: كحسبان الرحى)، وقال ابن حجر: (وصله الفريابي في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، ومراده انهما يجريان على حسب الحركة الرحوية والدورية وعلى وضعها)[1]. فالقرآن إذن يقولها، لا كوبنيكوس، وصدر المسلمين الأوائل يفهمونها)[2].

ولقد بينا في سلسلتنا (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) في كتاب (المساحة وعلوم الأرض في القرآن والسنة النبوية) وكذلك (الهندسة الوصفية في القرآن والسنة النبوية) كيف أن كتاب الله تعالى قد شخص حقيقة الأرض البيضوية قبل أقمارنا الصناعية، وكيف تعامل علماء الأمة مع تلك الحقائق فكانوا سباقين لتبيانها.

أما التحجج بقوله تعالى في عدد أهل الكهف وأن ذلك لا يهم والمهم هو الاعتبار في قوله تعالى: (سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا

---

(1) فتح الباري 106/7.

(2) منهجية التربية الدعوية، محمد أحمد الراشد، ص 119، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع تاريخ النشر، ط/1، 2005، ص 122.

مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً) (الكهف:22)، فتلك حالة خاصة حصل فيها لغط وتقول وجدال فأراد الله تعالى أن يحسم الن قاش ويعطيهم الجواب الشافي وهو قوله تعالى: (..وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً) أي لا داعي للجدال في الأمر فلا يعلم عدتهم إلا قليل، قال ابن عباس أنا من أولئك القليل، فهذه القصة حالة خاصة لكن المنهج العام كما ذكرنا إن احتاج الأمر للتقصي فذلك مطلوب وإن لم يحتج في فترة معينة لا داعي لذلك وقد يكون مطلوباً في وقت آخر . والدليل أن مسألة أهل الكهف اليوم أصبحت أمراً مكتشفاً في كهف في الأردن [*] وعدد أصحاب القبور فيه 7 وقبر آخر للكلب فأصبح الأمر حجة مضافة كدليل عملي لصحة قصص القرآن لمن هم بحاجة لدليل ملموس فأصبح الأمر هنا ضرورة اقتضتها الظروف في وقتنا الراهن في بيئة يختلط فيها المؤمن بالغيب والمستند للقرآن وبين من هم يريدون الدليل الملموس كي يؤمنوا بينما لم تكن كذلك في وقت النزول لأنها جاءت بنص صريح وسط بيئة مؤمنة.

يقول ابن كثير : (وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر في صحته والله أعلم فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب وقد قال تعالى : { فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا } أي سهلاً هيناً فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة { ولا تستفت فيهم منهم أحدا } أي فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجما بالغيب أي من غير استناد إلى كلام معصوم وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذي لا شك فيه ولا مرية فيه فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال)[1]. وقوله تعالى : { فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا } أي لا تجادل في أصحاب الكهف إلا بما أوحيناه إليك وهو رد علم عدتهم إلى اله تعالى وقيل : معنى المراد الظاهر أن

(*) هناك رأي يقول أنه في تركيا والرأيان فيهما من الأدلة التأريخية ما يقوي حجتهما وتطابقهما مع الوصف القرآني.

(1) تفسير ابن كثير [جزء 3 – صفحة 107].

تقول : ليس كما تقولون ونحو هذا ولا تحتج على أمر مقدر في ذلك وفي هذا دليل على أن الله تعالى لم يبين لأحد عددهم فلهذا قال { إلا مراء ظاهرا } [الكهف : 22] أي ذاهباً ولم يبح له في هذه الآية أن يماري ولكن قوله : { إلا مراء } باستعارة من حيث يماريه أهل الكتاب سمعت مراجعته لهم مراء ثم قيد بأنه ظا هر ففارق الماء الحقيقي المذموم والضمير في قوله : { فيهم } عائد على أهل الكهف وفي قوله (منهم) عائد على أهل الكتاب المعارضين وقوله : { فلا تمار فيهم } يعني في عدتهم فحذف العدة لدلالة ظاهر القول عليها ، وقوله تعالى : { ولا تستفت فيهم منهم أحدا } روي أنه عليه السلام سأل نصارى نجران عنهم فنهي عن السؤال وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم[1].

ولعل سبب المنع هنا لأن القول الفصل قد جاءه من عند الله تعالى في الآية فلا داعي لمراجعة أحد بعد ذلك لا مسلم ولا غيره لأن النص واضح قطعي، أما في حالة عدم ورود نص واقتضت الحالة الاستعلام عن الحال فعندئذ يكون المنهج القرآني (سيروا- فانظروا) هو الأولى، والله تعالى أعلم.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه وبإلحاح هذه الأيام هو من يقوم بتطبيق هذه المنهجية هل المسلمون المأمورون بها قبل أكثر من 1400 عام خلت، أم أهل الغرب والشرق من غير المسلمين؟!

الجواب واضح لكل ذي لب هو أن غير المسلمين هم من يقوم بذلك مع شديد الأسف، فتجد مجلاتهم وبحوثهم ونشراتهم العلمية ومؤتمراتهم وكتبهم بل وحتى فضائياتهم تتحدث وتسهب في هذين المحورين، ففضائيات (Discovery)، (BBC)، (National Geograghy)، (Animal Planet)، (History Channel) وغيرها هي ترجمة فعلية لكل ما عنته الآيات الكريمات من حث على البحث والتدبر والتأمل والاستنباط كل ما ينفع من مخلوقات الله تعالى، لكن طبعاً وفق نظرتهم العلمانية الملحدة غير الأخلاقية، بينما لو توفر لنا نحن المسلمون ذلك لأنتجنا كل تلك

---

(1) تفسير القرطبي [جزء 10 - صفحة 332].

الأعمال العلمية البحثية وفق منهجيتنا الإسلامية المؤمنة الخلوقة المحبة لنؤسس منهجية دعوية قرآنية عالمية عصرية تعلّم الناس حقيقة هذا الوجود وتدعو لدين الله الخالد العظيم.

لكن مع شديد الأسف نجد فضائياتنا أما أن تتخصص في المجون والترف والإسفاف والترهات من جهة، أو في الأسلوب الدعوي التقليدي غير الواقعي الذي يضع البرازخ والعوائق بين النص وتطبيقه في الواقع ومكتفياً بفعل زمن ماضٍ لا يلائم إيقاع هذا الزمن وأساليب الجذب الإعلامي الحديثة للعقول والقلوب والأفكار من جهة أخرى. ولا تجد الجم ع بين الأسلوب الدعوي العلمي الرصين مع التقنيات الإعلامية المؤثرة إلا ما ندر.

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

الأمثلة

كي نعلم أثر كتاب الله تعالى في استنباط علوم جديدة كانت فتحاً للبشرية جمعاء سلأقف عند بعض الأمثلة مفصلة ومجملة:

المثال الأول: شرف العلوم الرياضية والهندسية على بقية العلوم الطبيعية بنص القرآن الكريم

يقول تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُ ونَ)، (يونس:5).. ويقول جل في علاه في آية أخرى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُ لَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً)، (الإسراء:12).. وهاتان الآيتان المباركتان تبينان فضل الله تعالى في خلق الأفلاك كالقمر والأرض والشمس وأهميتها وتقدير تتابع حركاتها جميعاً بشكل دقيق، كما تبينان أيضاً أهمية حسابات الزمن من خلال حسابات حركات تلك الأجرام السماوية لغرض الاستفادة منه في جميع العبادات والمعاملات التي يمر بها الناس في حياتهم اليومية . نقف هنا على قوله تعالى في الآيتين الكريمتين :

(...لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ..)، (...وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ...)، فاللام سببية و(تعلموا) فعل يدل على الحضّ على العلم والتعلم، ولكن تعلم ماذا؟!

هنا بيت القصيد، إنه علم عدد السنين وحسابات الزمن المتأتية من دوران الأفلاك كالأرض والقمر والكواكب وحركات النجوم، إنه علم طبيعي فيزيائي فلكي حسابي هندسي، وهذا العلم كله حسابات دقيقة وعمليات رياضية وحركات هندسية دقيقة.

إنه العلم الطبيعي الوحيد الذي ذكر تصريحاً بل وتخصيصاً في الكتاب العزيز دون بقية العلوم الطبيعية، فأي شرف هذا؟!

أليس هذا الشرف يشابه تشريف الصحابي الجليل زيد بن حارثة وهو الصحابي الجليل الوحيد الذي ذكر تصريحاً وبالاسم دون غيره من بقية الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم أجمعين؟!.أليس من حق هذا العلم أن يتفاخر بين بقية العلوم ليقول لهم : (أنا العلم الوحيد الذي شرفه الله تعالى بالاسم وحض على تعلمه)، تماماً كما افتخرت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها بين بقية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول قوله تعالى : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً)، (الأحزاب:37)، بقولها : (زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات).

فمن ذا الذي يأتي بعد هذا القول الفصل ليقول إن الحساب والرياضيات والعدد والهندسة هذه طلاسم غريبة عن الإسلام ودين الإسلام وكتاب الإسلام ونبي الإسلام؟!.. وإن العاملين بهذه العلوم في كتاب الله شأنهم كشأن السحرة والمنجمين.دعونا نبين بعض ما قاله أهل التفسير وعلوم القرآن في معاني هاتين الآيتين كي تتضح الصورة أكثر وينجلي كل شيء لكل ذي لب:

1. في معنى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ) [يونس:5]، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: ((يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه أنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياءً وجعل شعاع القمر نوراً هذا فن وهذا فن آخر ففاوت بينهما لئلا يشتبها وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل وقدر القمر منازل فأول ما يبدو صغيراً ثم يتزايد نوره وجرمه حتى يستوسق ويكمل إبداره ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حالته الأولى في تمام شهر كقوله تعالى : { والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون }، الآية، وقوله تعالى : { والشمس والقمر حسباناً }، الآية. وقوله في هذه الاية الكريمة : { وقدره } أي القمر { منازل لتعلموا عدد السنين والحساب } فبالشمس تعرف الأيام وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام { ما خلق الله ذلك إلا بالحق } أي لم يخلقه عبثاً بل له حكمة عظيمة في ذلك وحجة بالغة كقوله تعالى : { وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار }، الآية، وقال تعالى : { أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم }، الآية. وقوله جل وعلا : { نفصل الآيات } أي نبين الحجج والأدلة { لقوم يعلمون }. وقوله سبحانه: { إن في اختلاف الليل والنهار } أي تعاقبهما إذا جاء هذا ذهب هذا وإذا ذهب هذا جاء هذا لا يتأخر عنه ش يئا كقوله تعالى : { يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً }، الآية، وقال : { لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر }، الآية، وقال تعالى : { فالق الإصباح وجعل الليل سكناً }، الآية. وقوله تعالى: { وما خلق الله في السموات والأرض } أي من الآيات الدالة على عظمته تعالى كما قال : { وكأين من آية في السموات والأرض }، الآية، وقوله : { قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون }، الآية، وقال : { أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من

السماء والأرض } الآية، وقال : { إن في خلق السماوات والأرض واختلا ف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب } الآية، أي العقول، وقال ههنا { لآيات لقوم يتقون } أي عقاب الله وسخطه وعذابه)) [1].

2. في معنى قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً) [الإسراء:12]، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: ((يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصنائع والأعمال والأسفار وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام ويعرفوا مضي الاجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجارات وغير ذلك، ولهذا قال : { لتبتغوا فضلا من ربكم } أي في معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك ، { ولتعلموا عدد السنين والحساب } فإنه لو كان الزمان كله نسقاً واحداً وأسلوباً متساوياً لما عرف شيء من ذلك كما قال تعالى : { قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء ؟ أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون }، الآية، وقال تعالى : { تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا * وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا } وقال تعالى : { وله اختلاف الليل والنهار } وقال : { يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار } وقال تعالى : { فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذل ك تقدير العزيز العليم } وقال تعالى : { وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * والشمس تجري

([1]) تفسير ابن كثير [جزء 2 - صفحة 535].

لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم } ثم إنه تعالى جعل لليل آية أي علامة يعرف بها وهي الظلام وظهور القمر فيه وللنهار علامة وهي النور وطلوع الشمس النيرة فيه وفاوت بين نور القمر وضياء الشمس ليعرف هذا من هذا كما قال تعالى : { هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون * إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون } وقال تعالى : { يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج } الاية. قال ابن جريج عن عبد الله بن كثير في قوله : { فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة } قال : ظلمة الليلة وسدف النهار وقال ابن جريج عن مجاهد : الشمس آية النهار والقمر آية الليل { فمحونا آية الليل } قال : السواد الذي في القمر وكذلك خلقه الله تعالى وقال ابن جريج : قال ابن عباس : كان القمر يضيء كما تضيء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار فمحونا آية الليل السواد الذي في القمر وقد روى أبو جعفر بن جرير من طرق متعددة جيدة أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال : يا أمير المؤمنين ما هذه اللطخة التي في القمر ؟ فقال : ويحك أما تقرأ القرآن ؟ فقال : فمحونا آية الليل فهذه محوه وقال قتادة في قوله : { فمحونا آية الليل } كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذي فيه وجعلنا آية النهار مبصرة أي منيرة وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم وقال ابن أبي نجيح عن ابن عباس { وجعلنا الليل والنهار آيتين } قال ليلاً ونهاراً كذلك خلقهما الله عز وجل)) [1].

3. في معنى قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً) [الإسراء: 12]، يقول القرطبي رحمه الله تعالى: ((قوله

---

(1) تفسير ابن كثير [جزء 3 – صفحة 39].

تعالى : { وجعلنا الليل والنهار آيتين } أي علامتين على وحدانيتنا ووجودنا وكمال علمنا وقدرتنا والآية فيهما : إقبال كل واحد منهما من حيث لا يعلم وإدباره إلى حيث لا يعلم ونقصان أحدهما بزيادة الآخر وبالعكس آية أيضاً ، وكذلك ضوء النهار وظلمة الليل ، فمحونا آية الليل ولم يقل : فمحونا الليل، فلما أضاف الآية إلى الليل والنهار دل على أن الآيتين المذكورتين لهما لاهما ومحونا معناه طمسنا . قال ابن عباس : جعل الله الشمس سبعين جزءاً والقمر سبعين جزءاً فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعله مع نور الشمس فالشمس على مائة وتسع وثلاثين جزءاً والقمر على جزء واحد . وقال علي رضي الله عنه وقتاده : يريد بالمحو اللطخة السوداء التي في القمر ليكون ضوء القمر أقل من ضوء الشمس فيتميز به الليل من النهار وجعلنا آية النهار مبصرة أي جعلنا شمسه مضيئة للأبصار . قال أبو عمرو بن العلاء : أي يبصر بها ، وقال الكسائي : وهو من وقول العرب أبصر النهار إذا أضاء وصار بحالة يبصر بها ، وقيل : هو كقولهم خبيث مخبث إذا كان أصحابه خبثاء ورجل مضعف إذا كانت دوابه ضعافاً فكذلك النهار مبصراً إذا كان أهله بصراء. (لتبتغوا فضلاً من ربكم) يريد التصرف في المعاش ولم يذكر السكون في الليل اكتفاء بما ذكر في النهار وقد قال في موضع آخر : (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً)، الآية، (ولتعلموا عدد السنين والحساب) أي لو لم يفعل ذلك لما عرف الليل من النهار ولا كان يعرف الحساب والعدد . (وكل شيء فصلناه تفصيلاً) أي من أحكام التكليف وهو كقوله تعالى: (تبياناً لكل شيء ما فرطنا في الكتاب من شيء)، الآية)) [1].

4. جاء في تفسير القرطبي قوله رحمه الله تعالى : ((قوله تعالى : { قل هي مواقيت للناس والحج } تبيين لوجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه وهو زوال الإشكال في الآجال والمعاملات والأيمان والحج والعدد والصوم والفطر ومدة

([1]) تفسير القرطبي [جزء 10 - صفحة 199].

الحمل والإجارات والأكرية إلى غير ذلك من مصالح العباد ونظيره قوله الحق : { وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب } على ما يأيي وقوله : { هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره من ازل لتعلموا عدد السنين والحساب } وإحصاء الأهلة أيسر من إحصاء الأيام)) [1].

5. قوله تعالى : { لتعلموا عدد السنين والحساب }، الآية، قال ابن عباس : لو جعل شمسين شمساً بالنهار وشمساً بالليل ليس فيهما ظلمة ولا ليل لم يعلم عدد السنين وحساب الشهور وواحد السنين سنة ومن العرب من يقول : سنوات في الجمع ومنهم من يقول : سنهات والتصغير سنية وسنيهة . وقوله تعالى : { ما خلق الله ذلك إلا بالحق }، الآية، أي ما أراد الله عز وجل بخلق ذلك إلا الحكمة والصواب وإظهارا لصنعته وحكمته ودلالة على قدرته وعلمه ولتجزى كل نفس بما كسبت فهذا هو الحق [2].

6. يقول صاحب الجواهر : ((ومن أفعاله تبارك وتعالى تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان، وقد قال الله تعالى: (الشمس والقمر بحسبان)، الآية، وقال جل وعلا: (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) ، الآية، وقال سبحانه: (وخسف القمر وجمع الشمس والقمر) ، الآية، وقال جل في علاه : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) ، الآية،وقال تبارك وتعالى : (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ، الآية . ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما وولوج الليل في النهار وكيفية تكور أحدهما على الآخر إلا من عرف هيئات تركيب السموات والأرض وهو علم برأسه)) [3].

---

(1) تفسير القرطبي [جزء 2 – صفحة 339].

(2) تفسير القرطبي [جزء 8 – صفحة 280].

(3) جواهر القرآن [جزء 1 – صفحة 46].

من كل ذلك يتبين لنا أن علوم الحساب وهندسة الإفلاك التي سيّر الله تعالى بموجبها نواميس كونه وخلقه وزمن عيشهم وأحوالهم بموجبها إنما هي علوم محمودة واجب تعلمها والغوص فيها وليس كما يعتقد بعض السطحيين من الناس، أو كما يخلط بعض المتقولين– سامحهم الله وهداهم– علوم الفلك وحساباته المحمودة تلك ببعض العلوم المذمومة المحرمة شرعاً كالتنجيم والسحر والشعوذة . بل وإن أهل اللغة ليعلمون أن في معاني قوله تعالى : (.. لتعلموا عدد السنين والحساب ..) في الآيتين المذكورتين دعوة وحث على تعلم تلك العلوم المحمودة لما فيها من خير عميم في أمري الدنيا والدين.

أما من يتذرع بحديث: (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر عندنا هكذا وهكذا..)، الحديث[1]، وهو حديث صحيح، فإن حجته داحضة لأن النبي عليه الصلاة والسلام إنما ذكر توصيف لحال الأمة آنذاك ولم يأمر بأن تبقى الأمة على هذا الحال كما سبق وأن ذكرنا في الفصل الأول ، وإلا لو سلمنا بهذا الفهم الخاطئ لكان ذلك يقتضي ألا نكتب كذلك وليس لا نحسب فقط لأن نص الحديث فيه لا نكتب ولا نحسب والـ (لا) هنا ليست ناهية آمرة بعدم الفعل ولا نافية للفعل المستقبلي إنما هي نافية لفعل الحاضر وقتذاك حسب أي وقت التنزيل بسبب ما كانت عليه العرب من أمية وندرة أهل الكتابة والحساب . فهل من عاقل يقول أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يأمر أمته بعدم الكتابة وهي الأمة التي أمرت أول ما أمرت به أن تقرأ، وجاء امر الكتابة في كتاب الله تعالى كثيراً، إذ يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ

([1]) الحديث جاء في صحيح البخاري [جزء 2 – صفحة 675، رقم 1814، وكذلك رقم 1801]، وأخرجه مسلم في الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال رقم 1080. فعن سعيد بن عمرو أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا هكذا). يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين. والمعنى كما عند المفسرين: (أمة) جماعة العرب . (أمية) لا تقرأ ولا تكتب نسبة إلى الأم أي الحالة التي ولدتنا عليها الأمهات . (لا نكتب) قليل فينا من يكتب . (ولا نحسب) لا نعرف حساب النجوم وتسييرها فلم نكلف في مواقيت عباداتنا ما يحتاج فيه إلى معرفة حساب ولا كتابة

فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٨٢].

فلو سلمنا بالرأي القائل أن الحديث معناه النهي عن الحساب فإنه يقتضي كذلك أنه ينهى عن الكتابة كذلك وفق متن ومنطوق الحديث الشريف، وهذا مناقض لقول الله تعالى في الآية السابقة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً ....)، الآية، فهل هذا معناه أن قول النبي عليه الصلاة والسلام – حاشاه– يناقض قول الله تعالى؟!

الجواب بالتأكيد لا، بل المعنى الصحيح للحديث هو توصيف حال الأمة وقت التنزيل وليس فيه أي نهي عن تعلم الكتابة والحساب، بل إن الآيات السابقات [(يونس:5)، و(الإسراء:12) اللتان تحويان قول الله تعالى (...لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ..)، (...وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ...)]، تحثان على تعلم الحساب والهندسة تخصيصاً كما أسلفنا. لكن ماذا نفعل لقاصري العقول والأفهام ممن ملأوا الدنيا صراخاً بفهمهم الناقص والمجتزأ لنصوص الآيات والأحاديث!

وهنا لنتدبر كيف دعا النبي عليه الصلاة والسلام للصحابي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بتعلم الحساب: فعن العرباض بن سارية حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه إلى السحور في رمضان فقال : (هلم إلى الغداء المبارك) ثم سمعته

يقول: (اللهم علمّ معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب)[1] . وجاء في صحيح ابن حبان عن العرباض بن سارية السلم ي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم علمّ معاوية الكتاب والحساب ووقه العذاب) [2]. وعن مسلمة بن مخلد : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية : (اللهم علمّه الكتاب والحساب ومكّن له في البلاد)[3] [4]

ولعل من معاني الحساب في اللغة كما يبينه اللغويون هو العدُّ والقياس والتقدير والكفاية والمفاخرة بالنسب والجزاء وغير ذلك، لنتدبر بعض ما ذكره أهل اللغة في معاني الحساب:

1. يقول الرازي: (حَسَبَهُ عدّه وبابه نصر وكتب و حِسَاباً أيضاً بالكسر و حُسْباناً بالضم والمعدود مَحْسوبٌ ، وحَسَبُ أيضاً فعل بمعنى مفعول كنفض بمعنى منفوض، ومنه قولهم: ليكن عملك بحسب ذلك بالفتح أي على قدره وعدده . والحَسَبُ أيضاً ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه وقيل حسبه دينه وقيل ماله والرجل حَسِيبٌ وبابه ظرف ، وقال بن السكيت الحَسَبُ والكرم يكونان بدون الآباء والشرف والمجد لا يكونا ن إلا بالآباء، وحَسْبُك درهم أي كفاك ، وشيء

---

(1) مسند الشاميين [جزء 3 – صفحة 169.. قال المحقق حمدي بن عبد المجيد السلفي : ورواه أحمد (4 / 126) وأبو داود والنسائي (4 / 145) وله شاهد عند النسائي والفقرة الثانية تقدمت ورواه البزار (2723 كشف الأستار) وروى المصنف الحديث في المعجم الكبير (ج 18 رقم 628) [ص 170].. وجاء في مسند الشاميين [جزء 1 – صفحة 190رقم333] : عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب .. كما جاء في مسند أحمد بن حنبل [جزء 4 – صفحة 127، رقم 17192]، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط رقوله : حديث السحور منه حسن وهذا إسناد ضعيف لجهالة الحارث بن زياد.

(2) صحيح ابن حبان [جزء 16 – صفحة 191 ، رقم 7210]، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف.

(3) المعجم الكبير [جزء 19 – صفحة 439 ، رقم 1066].

(4) صنف الحديث من بعض المحققين أنه حسن لغيره، وجاء الحديث في فضائل الصحابة (913/2، 915)، وابن عساكر في تاريخه، (344/16، 345)، وقال محقق فضائل الصحابة : روي الحديث بأسانيد يعضد بعضها بعضاً، وتصل بالحديث لدرجة الحسن لغيره .. وانظر كتاب معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم للدكتور مصطفى مراد، ص 344، عن دار الفجر للتراث بالقاهرة، ط/ 2، 1428هـ – 2007م.

حِسَابٌ أي كاف ومنه قوله تعالى : { عطاءً حساباً }، الآية. والحُسْبانُ بالضم العذاب أيضاً وحَسِبْتُهُ صالحاً بالكسر أَحْسَبَهُ بالفتح والكسر مَحْسَبَةً بكسر السين وفتحها و حِسْبَاناً بالكسر)[1].

2. يقول صاحب التاج: (حَسِبَهُ كنَصرَهُ يَحْسُبُه حِسَاباً عَلَى القِيَاسِ صرَّحَ به ثَعْلَبٌ والجوهريُّ وابن سِيدَه ، وحُسْبَاناً بالضَّمِّ نقله الجوهَرِيُّ وحكاه أَبُو عُبَيْدَةَ عن أَبي زيد ، وفي التهذيب حَسَبْتُ الشَّيءَ أَحْسُبُهُ حِسْبَاناً بالكسر وفي الحديث " أَفْضَلُ العَمَلِ مَنْحُ الرِّغَابِ لاَ يَعْلَمُ حُسْبَانَ أَجْرِهَا إلاَّ اللهُ ". الحُسْبَانُ بالضَّمِّ : الحِسَابُ وفي التَّنْزِيلِ " الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ "، الآية، مَعْنَاهُ بِحِسَابٍ ومَنَازِلَ " لاَ تَعْدُوَانِهَا وقال الزَّجَّاجُ : بِحُسْبَانٍ يَدُلُّ عَلَى عَدَدِ الشُّهُورِ والسِّنِينَ وجَمِيعِ الأَوْقَاتِ وقال الأخْفَشُ في قَوْله تعالى: " والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْبَاناً "، الآية، مَعْنَاهُ بِحِسَابٍ فَحَذَفَ البَاءَ . وقال أَبو العَبَّاسِ : حُسْبَاناً مَصْدَرٌ كما تقول : حَسَبْتُهُ أَحْسُبُهُ حُسْبَا ناً وحِسْبَاناً وجَعَلَهُ الأَخْفَشُ جَمْعَ حِسَابٍ . وقالَ أَبو الهَيْثَمِ الحُسْبَانُ : جَمْعُ حِسَابٍ وكذا أَحْسِبَةٌ مِثْلُ شِهَابٍ وأَشْهِبَةٍ وشُهْبَان وحُسْبَانُكَ على اللهِ أَيْ حِسَابُكَ . قال الأَزهريُّ : وإِنَّمَا سُمِّيَ الحِسَابُ في المُعَامَلاَتِ حِسَاباً لأَنَّهُ يُعْلَمُ به ما فيه كِفَايَةٌ ليس فيهَا زِيَادَةٌ على المِقْدَار ولا نُقْصَانٌ وقد يَكُونُ الحِسَابُ مَصْدَرَ المُحَاسَبَةِ. وقولُه تعالَى : " واللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ "، الآية، أَيْ حِسَابُهُ وَاقِعٌ لاَ مَحَالَةَ وكُلُّ وَاقِعٍ فهو سَرِيعٌ وسُرْعَةُ حِسَابِ اللهِ أَنَّهُ لاَ يَشْغَلُهُ حِسَابُ وَاحِدٍ عَن مُحَاسَبَةِ الآخَرِ لأَنَّه سُبْحَانَه لا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ ولا شَأْن عن شَأْنٍ. وقولُه تعالى : " يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بغَيْرِ حِسَابٍ "، الآية، أَيْ بِغَيْرِ تَقْتِيرٍ ولا تَضْيِيقٍ كقولك :فُلاَنٌ يُنْفِقُ بِغَيْرِ حِسَابٍ أَيْ يُوَسِّعُ النَّفَقَةَ ولاَ يَحْسُبُهَا وقد اخْتُلِفَ في تفسيرِه فقال بعضُهُم : بغَيْرِ تَقْدِيرٍ على أَحَدٍ بالنُّقْصَانِ وقال بعضُهم : بغَيْرِ مُحَاسَبَةٍ أَي لا يَخَافُ أَنْ يَحَاسِبَهُ أَحَدٌ عليه وقِيلَ : بغَيْرِ أَن حَسِبَ المُعْطَى أَنْ يُعْطِيَهُ أَعطاهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبْ فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ :

([1]) مختار الصحاح [صفحة 167].

مِنْ حَيْثُ لاَ يُقَدِّرُهُ وَلاَ يَظُنُّهُ كَائِناً مِنْ حَسِبْتُ أَحْسَبُ أَيْ ظَنَنْتُ وجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَأْخُوذاً مِنْ حَسَبْتُ أَحْسُبُ أَرَادَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْسُبْهُ لِنَفْسِهِ . وحَسَبَهُ أَيْضاً حِسْبَةً مِثْل القِعْدَةِ والرِّكْبَةِ حَكَاهُ الجوهريُّ وابنُ سِيدَه في المحكم وابنُ القَطَّاعِ والسَّرَقُسْطِيُّ وابنُ دَرَسْتَوَيْهِ وصاحِبُ الوَاعِي . الحِسَابُ والحِسَابَةُ : عَدُّكَ الشَّيءَ وحَسبَ الشيءَ يَحْسُبُهُ حَسْباً وحِسَاباً وحِسَابَةً أَوْرَدَهُ ابنُ دَرَسْتَوَيْهِ وابنُ القَطَّاع والفِهْرِيُّ بِكَسْرِهِنَّ أَي في المَصَادِرِ المَذْكُورَةِ . ورَجُلٌ حَاسِبٌ من قَوْمٍ حُسَّبٍ وَحُسَّابٍ والمَعْدُودُ : مَحْسُوبٌ يُسْتَعْمَلُ على أَصْلِهِ. وعلى حَسَب مُحَرَّكَةً وهو فَعَلٌ بمَعْنَى مَفْعُولٍ مِثْلُ نَفَضٍ بمَعْنَى منْفُوضٍ حَكَاهُ الجَوْهَرِيُّ وصَرَّحَ به كُرَاع في المُجَر ، ومنه قَوْلُهُمْ : لِيَكُنْ عَمَلُكَ بِحَسَبِ ذَلِكَ أَي على قَدْرِهِ وعَدَدِهِ وهذَا بِحَسَبِ ذَا أي بِعَدَدِهِ وقَدْرِهِ، وقال الكِسَائِيُّ : ما أَدْرِي مَا حَسَبُ حَدِيثِكَ أَيْ ما قَدْرُهُ وَقَدْ يُسَكَّنُ في ضَرُورَةِ الشِّعْرِ . ومن سَجَعَاتِ الأَسَاس : ومَنْ يَقْدِرُ على عَدِّ الرَّمْلِ وحَسْبِ الحَصَى والأَجْرُ على حَسَبِ المُصِيبَةِ أَي قَدْ رِهَا. وفي لسان العرب : الحَسَبُ : العدد المعدود. والحَسَبُ والحَسْبُ : قَدْرُ الشَّيْءِ كقَوْلك : الأَجْرُ بِحَسَبِ ما عَمِلْتَ وحَسْبِه وكَقَوْلِك عَلَى حَسَبِ ما أَسْدَيْتَ إِلَيَّ شُكْرِي لك. يقول : أَشْكُرُكَ على حَسَبِ بَلاَئِكَ عندي أَي على قَدْرِ ذلك [1].

وإذن، كل تلك المعاني المشمولة ضمن تعريف اللغويين لكملة حساب قد تنطبق على الحديث المبين أعلاه في دعاءه عليه الصلاة والسلام لمعاوية بتعلم الحساب ومن ذلك علم الحساب والعد والإحصاء. ومرة أخرى هذا لا يناقض قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق (إنا أمة امية)، الحديث، وبما يدعم قولنا وتحليلنا آنف الذكر من أن الحديث هو فقط لغرض توصيف حال ألأمة وقت التنزيل وصعوبة الحساب عليهم وليس دعوة لنبذ الحساب كعلم محمود مطابقةً وتصديقاً لما جاء في كتاب الله تعالى من دعوة لتعلم علوم الحساب والهندسة كما جاء في موضعين كما أسلفنا: [يونس: 5] و [الإسراء: 12].

[1] تاج العروس [جزء 1 - صفحة 407 - 408].

وعلى هذا الأساس فإن كل علوم حسابية وهندسية يراد منها فائدة الناس ومنعة المسلمين ونهضتهم وقوة شوكتهم ورفعة شأنهم هي علوم محمودة وهي فرض كفاية بل ويذهب بعض أهل العلم على أنها فرض عين حالها كحال علوم الشرع والفقه.
إن آيات الإحصاء كثيرة جداً في كتاب الله تعالى مثل قوله جل وعلا : (لقد أحصاهم وعدهم عداً)، (أحصاه الله ونسوه)، (وأحصى كل شيء عدداً)، [الآيات]، وغيرها من الأيات الكريمات.

ولعل القاعدة القرآنية العظيمة في الوسطية تتبين بشكل واضح وجلي في قوله تعالى:(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [البقرة: 143]. وقوله تعالى (أمة وسطاً) توضح الوسطية بكل مفاهيمها اللغوية والاصطلاحية بل وحتى الرياضية. ومعلوم أن من معاني الوسطية في اللغة الاعتدال والاتزان والتوازن والعدل فضلاً عن وسطية المكان والموقع، ومن هذا.يبين لنا المفهوم الإحصائي الأساسي الذي أسّسه القرآن ألا وهو الوسط الحسابي والمعدل كما يعرف عند أهل الرياضيات والإحصاء والهندسة، خصوصاً إذا ما علمنا أن عدد آيات سورة البقرة هي 286 وأن هذه الآية تحمل التسلسل 143 وهو ما يعني بالضبط المعدل أو الوسط الحسابي أو وسطية هذه الآية من الناحية الرياضية ضمن آيات سورة البقرة.

المثال الثاني: أثر القرآن الكريم في تأسيس علم الجبر الحديث

إن نظرة ثاقبة إلى سورة النساء فقط ومدى الروعة العظيمة في تقسيم الميراث في الإسلام وحقيقة إعطاء النصف والربع والثلث والسدس لحالات مختلفة يريك مدى الترابط بين القانون وعلم الاجتماع والاقتصاد والرياضيات. فإذا تأملت لماذا هذه الكسور وحقيقة تقسيمها بهذه الدقة وربطها مع الحالات الاجتماعية المختلفة لكل تقسيم

يريك الدقة في مراعاته الحقوق من جهة ودقة التقسيم الرياضي من جهة ثانية، وثالثا –وهذا ما يهمنا في هذا الكتاب– إن علم الرياضيات يحوي على ما يسمى بالكسور الاعتيادية وهذا العلم لم يكن معروفا بهذه الصفة الشمولية وهذه الدقة عند نزول الآية بل عرفه الإغريق والرومان والهنود والصينيون قبل ذلك ولكن بشكل بدائي، ثم تطور بعد نزول القرآن بفضل علماء المسلمين. بل إن المسلمين هم من اخترع نظام الكسور العشرية ولم يكن قبل ذلك معروف من هذا النظام إلا الكسور الاعتيادية.

يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) (النساء:1)، ويقول أيضاً : (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً) (النساء:11). ويقول في آخر سورة النساء : (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (النساء:176).

ولمن يشك في ذلك نسأل إذا كنت غير مقتنع بأن عملية التوزيع تلك ليست من قبل بشر فنقول هل كان هنالك من أثر موثق مدون لعلم الجبر وقت نزول الآية؟ !.

الجواب لا، لأن فعل الحضارات السابقة للإسلام لم يتعد محاولات متناثرة عثر عليها لاحقاً ولم يكن للعرب وقت البعثة أي اطلاع بذلك التدوين و لم تكن قد وصلت لأحد من العرب قبل وأثناء نزول القرآن كي يدعي أحد ان محمد – صلى الله عليه وسلم– قد تعلمها.

والجواب لا كذلك لأن علم الجبر والمقابلة المدون الموثق المرتب المنظم بصيغه الحديثة المتعارف عليها قد وضع من قبل العلماء المسلمون لاحقاً.

فكيف إذن يكون هنالك من جبر في تلك الآيات الكريمات، ولو سألت أين ذاك؟ !، فنقول إنه في قوله تعالى في تلك المعادلة الشاملة العامة لجميع الحالات وهي : (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) و (فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)، الآيات.كيف ذاك، نقول، لأن حالات الأسر في العالم منذ وقت التنزيل وحتى قيام الساعة لا يمكن حصرها وتدوينها لأنها ملايين الحالات فلذلك عممت المسألة بشكل مجاهيل ووضعت بشكل معادلة جبرية يمكن تبيانها في التفصيل التالي .لو أخذنا الآية الثانية وهي آية الكلالة (لحالة الأخوة كما بينت التفاسير) والتي تبين حالة المورث دون ورثة من أولاد وله أخت أو أختان فأعطى في الحاة الأولى كما بينا آنفاً نصف ما ترك وثلثانه في الحالة الثانية، وله ضعف ذلك في حالة العكس كما بينت الآيات وذكرناه آنفاً، ثم عمم في الحالة فذكر حالة الأخوة الرجال والأخوات النساء وترك العدد مفتوح كي يشمل جميع الاحتمالات او كي يجيب كل من يسأل من اهل التخصص القانوني .فمن بعد ذكر الخصوص : (إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ) ثم (وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ) ثم (فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ) ينتقل إلى الأعم والأشمل وهو : (وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)، وهو مقصدنا . كيف؟!.لو تأملنا الحالة وافترضنا أن التركة تكون المجهول (ع) أو (z) وأن عدد الأخوة (ن) أو (n) وعدد الأخوات (م) أو (m) مجهول أيضاً، فإن مجموع ما يأخذه الأخوة والأخوات يمثل التركة بكاملها ويكون وفق المعادلة التالية :عدد الأخوة (ن) أو (n) × حصة كل أخ (وهي ضعف حصة الأخوات) + عدد الأخوات (م) أو (m) × حصة كل أخت (وهي نصف حصة الأخوة) = التركة (ع) أو (z).أي أن التركة ((ع) أو (z)) مقسومة على مجموع الأخوة والأخوات (ن+م) أو (n+m) مع الأخذ بنطر الاعتبار أن حصة الذكر هي ضعف حصة الأنثى يؤدي بنا لمعرفة قيمة الحصة

الواحدة.ولنعطي الحصة قيمة محددة هي (س) أو (x) فيكون لدينا: ن × 2 س + م ×
س = ع

أو :

هذه معادلة جبرية تحوي عدة مجاهيل كعدد الأخوة وعدد $n \times 2x + m \times x = z$

الأخوات ومقدار ال

لمجهولين هما (ن

ربطنا علاقات بين

شروط ابتدائية مع

الدرجة الثانية .دع

10000 دولار فإ

تكون:4 × 2 س

س أو قيمة الحص

69.230769231

ضعفها أي (612

وهي حالة وجود أ

في الآية نفسها وذ

الأولى: عد

الثانية: عد

المعادلة لا تكون ل

بينت الآية أن الح

في ذلك لا مجال ل

بطبيعة الحال الأمر أعقد من ذلك وفق تعريف الفقهاء ولكننا بسطنا ا لمسألة كي لا ندخل في تعقيدات الاحتمالات ونسب التوزيع لتكون أمامنا معادلات يصعب فهمها قد

تكون من الدرجات الثالثة أو أكثر من ذلك فيما لو أخذنا بحالات الأخوة والأخوات من أكثر من أم أي حالة تعدد الزوجات.

أليس هذا هو علم الجبر والمقابلة الذي اعترف العالم كله بأ حقية الفضل لعلماء المسلمين بأنهم من وضعوا الأسس العلمية الصحيحة له قبل غيرهم لينتشر في العالم ويكون أساساً للعلوم الرياضية وأحد أهم تقنيات حل المعادلات الهندسية لاحقاً؟ !.

الجواب لكم.هذه الآيات الكريمات كانت هي المنطلق لانبثاق علم الجبر الحقيقي عن طريق الخوارزمي عندما كان يريد أن يبحث في موضوع علم المواريث في سورة النساء وإذا به يضع تلك المعادلات التي كانت البداية لانطلاق كتابه (الجبر والمقابلة) الذي كان فتحاً في علم الجبر والذي لولاه لما وصلنا اليوم لما نحن فيه من تقدم في كل العلوم، إذ أن جميع العلوم التطب يقية والطبيعية تعتمد على الرياضيات والجبر ولولا طرق المسلمون الأوائل في فك الرموز وإيجاد الحلول لتلك المعادلات الجبرية بالطرق العلمية المبتكرة لما فتحت أمام العالم بأسره لاحقاً أبواب العلوم المختلفة في الفيزياء والكيمياء والهندسة وحل ألغازها.

فهذا الخوارزمي، محمد بن موسى المتوفى بعد سنة 232هـ، له يعود الفضل الأساس في علوم الحاسبات الحديثة وباعتراف الغرب بأجمعه. فكلمة (Algorithm) تعني الخوارزمي، كما انه يعتبر مؤسس علم الجبر الحديث وكلمة (Algebra) مشتقة من كتابه (الجبر والمقابلة)، وهو باعتراف الغربيين أساس لكل العلوم الحاضرة فلا يكاد يخلو علم من العلوم المعقدة الحديثة إلا وفيه جبر الخوارزمي، إضافة إلى إبداعاته في نظام الأعداد والأرقام وعلم الحساب والمتواليات العددية والهندسية والتآلفية والمعادلات الجبرية والجذور واللوغارتمات والفلك والمثلثات والأرقام الهندية

والطريقة البيانية لإيجاد الجذور، وله اكثر من 27 مؤلفاً في مختلف العلوم أشهرها (الجبر والمقابلة) الذي نقله إلى اللاتينية روبرت أوفشستر[1].

ومن بعده جاء علماء آخرون طوروا على علم الجبر والهندسة والرياضيات ليسجلوا في صفحات التأريخ كل ذاك المداد العظيم من الإ نجازات التي فتحت الآفاق للبشرية جمعاء لسبر أغوار علوم الكون والطبيعيات لاحقاً .. كل ذلك بفضل التدبر في كتاب الله تعالى.

فيكفي أن تتصفح صفحات الموسوعات والكتب التي ذكرت إنجازات علماء المسلمين لتعرف الخير الذي قدّمته هذه الأمة للبشرية، فلدينا علوم عديدة مطورة أو جديدة أدخلها هؤلاء الأماجد لتاريخ العلوم الإنسانية ليفتحوا أمامها أبواب النور العلمي الحقيقي، فكانت علوم الأعداد والحساب، الجبر والمقابلة، التحليل التوافيقي والعددي، التحليل الديوفنطسي المنطقي، نظرية الأعداد، التحديدات اللامتناهية في الصغر، تربيع الهلاليات، الجذور التربيعية والتكعيبية والنونية، مسائل تساوي المحيطات، اللوغاريتمات، الهندسة والحسابات الهندسية، نظرية المتوازيات، علم المثلثات، طرق الاستكمال، البناءات والأشكال الهندسية، التحويلات الهندسية، رياضيات علوم المساحة الهندسية، رياضيات علوم البصريات وعلوم الفلك، تطوير النظام الستيني، الحساب الأصبعي –الذي منه يشتق تقنية حساب الجمّل الذي سنستخدمه في كتابنا هذا–، تطوير نظام الكسور، وغير ذلك من العلوم[2].

وقد تصدى لهذه العلوم كوكبة من العلماء الأعلام الذي يطول المقام بحصرهم، كالبيروني، ابن سهيل البغدادي، الحسن المراكشي، ابن الهيثم، ثابت بن قرة،ابن سينا،

---

(1)عن كتاب بغداد مدينة السلام .. الصادر عن أبحاث الندوة التي أقامها مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد بالتعاون مع أمانة بغداد للمدة من 22–24 نيسان 1990، بحث الأستاذ سليم إسماعيل الغرابي، قسم الإحصاء، كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة بغداد، ص243.

(2) عن موسوعة تاريخ العلوم العربية– الجزء الثاني– الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان، صفحات مختلفة، بتصرف.

عمر الخيام، يعقوب الكندي، نصير الدين الطوسي، قطب الدين الشيرازي، الفارابي، وغيرهم الكثير [1] .

سأذكر أسماء بعض علماء الرياضيات المسلمين من أهل بغداد فقط منهم الكندي المتوفى في بغداد سنة 288هـ، إبراهيم بن أحمد الشيباني المتوفى سنة 298، الفضل بن محمد بن عبد الحميد أبو برزة الحاسب المتوفى أيضاً سنة 298هـ، علي بن احمد العمراني الموصلي البغدادي المتوفى سنة 344هـ، ابن أعلم الشريف البغدادي المتوفى سنة 475هـ، عبد القاهر البغدادي المتوفى سنة 429هـ، ابن الصلاح البغدادي المتوفى سنة 548 هـ، جعفر القطاع المدعو بالسديد البغدادي المتوفى سنة 602هـ، معين الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الزبيدي البغدادي المتوفى سنة 620هـ، ظهير الدين علي بن محمد الكازوني المتوفى سنة 697هـ، وابن الخوام البغدادي المتوفى سنة 724هـ، وغيرهم الكثير وإذا ما أردنا تعداد العلماء الآخرين من أهل الشام ومصر والمغرب وفارس والأندلس والأناضول وبلاد المشرق فستطول القائمة كثيراً. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المرأة المسلمة شاركت أيضاً في الإنجازات العلمية الرياضية ومن هؤلاء النسوة عالمة الرياضيات العربية امة الواحد ستيتة المحاملي البغدادية المتوفاة سنة 377 هـ[2] .

أما الإحصاء التطبيقي فقد ساهم فيه المسلمون عن طريق التوفير للمنحنى المفترض عن البيانات المعلومة وهذا المفهوم العلمي الرياضي لا يزال الأساس في علم الإحصاء لإيجاد أفضل المعادلات لقياس واقعية تجربة أجريت من قبل الباحثين في حقول المعرفة المختلفة.. ومـا طريقة عمر الخيام لحل المعادلات التكعيبية ذات المجهول الواحد عن طـريق ما يسـمى (بحسـاب الخطأين) عنـد المسـلمين

---

(1) نفس المصدر السابق، صفحات مختلفة، بتصرف.

(2) عن كتاب بغداد مدينة السلام.. الصادر عن أبحاث الندوة التي أقامها مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد بالتعاون مع أمانة بغ داد للمدة من 22–24 نيسان 1990، بحث الأستاذ سليم إسماعيل الغرابي، قسم الإحصاء، كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة بغداد، ص243.

ومـــا يســـمى حديثـــاً بطريقـــة (False Regula) في التحليلات العددية الحديثة إلا خير دليل إلى أن المسلمين اتبعوا خطوات هندسية حديثة ومتطورة وسبقوا زمنهم في هذا المجال [1].

ومعلوم أن العرب هم الذين ابتكروا الرقم (صفر) وهذا بحد ذاته فتح الآفاق الواسعة أمام علم الأرقام والعدد والرياضيات، كما وأن الأرقام العربية المستخدمة الآن هي بالأصل أرقام هندية، بينما الأرقام الإنكليزية المستخدمة دولياً هي أصلاً الأرقام العربية التي اكتشفها المسلمون بناء على طريقة الزوايا إذ يمثل كل رقم رسماً توضيحياً يعتمد على زوايا تقابل ذلك الرقم، فالعدد 1 يمثل زاوية واحدة والعدد 2 يمثل زاويتين ورســـمه الأصـــلي يشـــبه الحرف z إلا أنه حرّف إلى هذا الشكل، والعدد كذلك وهكذا، وهذه الأرقام تسمى باللغة العلمية الأرقام العربية (Arabic Numeric).

ولقد أسهب ابن خلدون – أعظم علماء الاجتماع على مر العصور باعتراف الكثير من مفكري الغرب– في مقدمته في شرح العديد من العلوم العددية والهندسية والصناعية، فأفرد فصلاً في العلوم العددية وفنونها كالجبر والمقابلة وغيرها، وكذلك فصلاً للعلوم الهندسية، فتكلم عن النظر في المقادير المتصلة كالخط والسطح والجسم والمنفصلة كالأعداد[2].

---

(1) الإحصاء الهندسي، الدكتور ناجي توفيق، والأستاذ رشيد عبد الرزاق الصالحي، ط 1، رمضان 1399هـ – آغسطس 1979م، ص14–16. وانظر مجلة المجمع العلمي العراقي، لسنة 1973، العدد 23.

(2) صفحات مختلفة من كتاب مقدمة ابن خلدون، طبع دار الشرق العربي، ص 452–458 وصفحات أخرى.

ولن نزيد عن الكلمة العظيمة التي قالها المهندس الإنشائي الكبير البروفيسور كيني إذ قال في مقدمة أحد كتبه: (يكفي العرب فخراً أن تكون أرقامهم أساساً لكل علومنا الحاضرة)[1].

المثال الثالث: أثر القرآن الكريم في استنباط ابن الهيثم لنظريته الرائعة في الإبصار

الحسن بن الهيثم أحد أعظم علماء البصريات في العالم والذي يعود له الفضل في وضع نظرية الإبصار وفيزياء الضوء في مسارهما الصحيح. فهو من فنّد النظريات القديمة عند الإغريق بأن الضوء يخرج من العين ليحصل الإبصار، وبين أن هذا الأمر غير صحيح وأن الحقيقة أن الضوء يسقط على الشيء لينعكس نوراً على العين فتراه، وقد أصاب كبد الحقيقة. وفعلاً بعد هذه النظرية الرائعة استطاع وضع اللبنات الأولى للكاميرا أو ما عرفت بتجربة حجرة الضوء[2].

أحد أكبر مشاهير علوم البصريات والضوئيات في التاريخ البشري وأحد أكبر علماء الفيزياء المسلمين والعالميين، ذلك هو أبو علي الحسن بن الحسن أو ابن الحسين بن الهيثم، ولد عام 965 ميلادية بالبصرة بالعراق، ودرس في مصر بإشراف معلمه الحكيم في المدة بين (996-1020)م وتوفي بالقاهرة عام 1039م أو بعدها بفترة قليلة. كان فضلاً عن ذلك من عظماء أهل الرياضيات والفلك والفيزياء والطب والفلسفة. وقد ألف أكثر من 70 مؤلفاً وهو المكتشف الحقيقي لقوانين سنيل (Snell's law) قبل 600 عام من وجود سنيل نفسه.

---

(1) تراجع كتبنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، (رياضيات التوحيد)، (الكتاب الأول من سلسلة لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) لمعرفة تفاصيل تلك المساهمات الرائعة لعلماء الأمة في مجالات علوم الرياضيات والإحصاء والجبر والهندسة.

(2) تراجع كتبنا (علوم الهندسة الصناعية والإدارية في القرآن والسنة النبوية) و(علوم الهندسة الضوئية واللونية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية. وكذلك كتب موسوعة تاريخ العلوم العربية – 3 أجزاء-، مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان، إشراف رشدي راشد، ط/1، بيروت-لبنان، 1997م.، ج /1، 2.. ويمكن كذلك الاستعانة ب موقع الإرث الإسلامي وكذلك موقع http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=142600.

ولعل كتاب المناظر أحد أهم مؤلفاته في علوم البصريات والضوئيات والذي نقل منه العالم كبلر الكثير من مقولاته وأفكاره – دون أن يردوا الفضل لأهله طبعاً– ومن أهم اكتشافاته هو ذلك التحليل الدقيق لزوايا سقوط الأشعة على الأجسام وانعكاساتها على العين. كما إنه بعد اهتماماته بتشريح العين علم بوظيفة كل من الجفن والعدسة والبؤبؤ فحلل الأمر بشكله العلمي التجريبي الصحيح دون إفراط أو تفريط، فكان بحق أول من فتح هذا الباب المؤصد للعلم الضوئي المعقد فله فضل كل ما وصلت له البشرية لاحقاً من تطور في هذا المجال[1].

وهنا نتوقف عند الكيفية التي استلهم منها هذا العبقري المسلم طريقته في دحض الأفكار القديمة والعقيمة والإتيان بهذا الفعل الفكري والاستلهام الثوري في طريقة انتقال الضوء وأسلوب الإبصار.

طلب حاكم مصر من ابن الهيثم التفكير بطريقة لإيجاد حل لمشكلة فيضان نهر النيل التي كانت تسبب مشاكل جمة وخسائر رهيبة، فجلس ابن الهيثم يفكر ملياً في الأمر وتوصل لحقيقة أنه من الصعب السيطرة على نهر النيل ومنع فيضانه فأمر الحاكم بقتله فاضطر لادعاء الجنون كي يتخلص من ظلم الحاكم مما دفع الحاكم لتقليل الحكم والاكتفاء بسجنه دون قتله . وفي السجن كانت له فرصة عظيمة للتأمل في كون الله تعالى وقراءة القرآن، وكذلك كان في حجرة السجن فتحة شباك صغير يدخل منه ضوء الشمس صباحاً ونور القمر ليلاً.

وبعد تأملات كثيرة وتدبرات ملية في خلق الله تعالى وفي كتاب الله تعالى بدأت الأفكار تتلاقح في مخيلته، وكانت الشرارة الأولى من آية في كتاب الله تعالى وهي آية البرق في سورة البقرة.

---

(1)بإيجاز وتصرف عن موقع الإرث الإسلامي / فيزياء البصريات.. وكذلك انظر موسوعة تاريخ العلوم العربية – 3 أجزاء–، مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان، إشراف رشدي راشد، ط/1، بيروت– لبنان، 1997م/ ج/2، ص 859–910.

نعم، لقد كان لأثر تلك الآية الكريمة في سورة البقرة على إبداعات هذا العبقري المسلم الذي غير اتجاه العلم نحو المسار الصحيح فكان له الدور الأبرز في توجيه علوم وفيزياء البصريات كي تصل لما وصلت له اليوم.

يقول تعالى: (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة:20).

فعبارتي (أضاء لهم) و(أظلم عليهم) توقف عندها ابن الهيثم كثيراً وكانت القدحة التي أشعلت الفكرة التي رسخت نظريته تلك فطبقها على نفسه ووضع لها الحسابات والمقاييس ودرس تشرح العين وتعملق في الضوء والنور والآيات التي جاءت في كتاب الله تعالى فيهما والفرق بينهما حتى وصل لنظريته الشهيرة تلك التي كانت بحق ثورة في الفيزياء الضوئية وكذلك في فهم طريقة الرؤيا والإبصار ومنها انطلق العلماء في العالم لاحقاً نحو الاكتشافات اللاحقة التي أوصلتنا اليوم لما نحن فيه من فهم للضوء وتقنياته.

المثال الرابع : أثر القرآن الكريم في استنباط وتطوير علم الميكانيك والحركة

كان أحمد بن موسى، وهو أحد الأبناء الثلاثة للفلكي البارع موسى بن شاكر، أحد أهم الميكانيكيين البارعين في عصر المأمون، فقد قدم مع أخوته الثلاثة قياسات مثيرة للإعجاب في علوم شتى . فتناول هذا الرجل بالبحث ا لدقيق موضوعات في علم الميكانيكا لم يستطع أحد حلها إلا أخوه محمد وبعض من السابقين .الذين اهتموا بالتركيبات ذات الغاية وبالآلات المتحركة تلقائياً، وكتابه (الشامل في التركيبات ذات الغاية) استقبل من قبل العلماء البارعين في هذا العلم بالإعجاب الشديد والإكبار العظيم. وكان من أكثر الأمور عجباً وغرابة تلك المخيلة الخلاقة المبدعة التي كانت لا تفتأ تقدم بدون كلل أو ملل الاختراعات العلمية ذات المنفعة البيتية التي تحسد عليها كل ربة بيت حديثة وكل فلاح ريفي . هذه العبقرية التي تقدم ألعاباً ميكانيكية رائعة يجد فيها الطفل حت ى يومنا هذا سلوته وفرحه، فهناك معلف لا يشرب منه إلا

الحيوانات الصغيرة، وهناك خزانات للحمامات بوسع المرء أن يفرغ منها كميات معينة من السوائل يعقب كل كمية لحظة استراحة . وثمة آلات لتعيين كثافة السوائل، وتركيبات تبيح للأوعية أن تمتلئ تلقائياً كلما فرغت، وزجاجا ت تفرغ منها حسب الحاجة كميات معينة من السوائل، وقناديل ترتفع فيها الفتائل تلقائياً ويصب فيها الزيت تلقائياً ولا تطفئ الرياح ضوءها . وهناك آلة تحدث صوتاً من ذاتها كلما ارتفع الماء إلى حد ما في الحقول، وأنواع كثيرة من النافورات المائية التي تظهر دوماً صوراً متعددة بمياهها الفوارة.

ووضع احمد مع اخيه محمد ساعة نحاسية كبيرة الحجم وقام بأدق الحسابات الفلكية لأجل تصميمها مستفيداً من حسابات أخيه الفلكي البارع محمد بن موسى، وسخر تلك الحسابات المدهشة والمعقدة لصنع آلات حساسة أكثر دهشة هي بالفعل معجزات فنية تقنية لم يستطع الطبيب ابن ربان الطبري من أن يمنع دهشته وإعجابه بما رأى في مرصد الأخوين محمد وأحمد ابني موسى بن شاكر . فتراه يصف تلك الدهشة بقوله : (وفي مرصد سامراء رأيت آلة بناها الأخوان محمد وأحمد ابنا موسى، وهي ذات شكل دائري تحمل صور النجوم ورموز الحيوانات في وسطها وتديرها قوة مائية، وكان كلما غاب نجم في السماء اختفت صورته في اللحظة ذاتها في الآلة، وإذا ما ظهر نجم في قبة السماء ظهرت صورته في الخط الأفقي من الآلة)[1].

وقد تميز عمل بني موسى في الثقة التي يولونها لاستخدام الصمامات المخروطية معتبرين إياها جزء مكمل للأنظ مة الهيدرولية، كما تظهر أعمالهم تضلعاً تجريبياً مدهشاً في استخدام تغييرات بسيطة في الضغط الهيدروستاتي والإيروستاتي من اجل إنتاج أعمال مميزة[2].

---

(1) شمس العرب تسطع على الغرب، المستشرقة الألمانية، زيغريد هونكه، نقله عن الألمانية، فاروق بيضون وكمال دسوقي، وراجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، دار صادر، ط /10، بيروت – لبنان، 1423هـ–2002م، ص 121–122، بتصرف.

(2) عن موسوعة تاريخ العلوم العربية – 3 أجزاء–، مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان، إشراف رشدي راشد، ط/1، بيروت–لبنان، 1997م، ج3، ص 1007.

وكان أهم عنصر يميز أعمال أولاد موسى والجزري هو إبداعهم في قضية التحكم بنقل الطاقة واستهلاكها التي كانت بحق العنص ر الأساس الذي اعتمد عليه من أتى بعدهم وقدم للبشرية أروع المخترعات[1].

هناك مؤلف مهم للغاية كتبه المرادي في إسبانيا في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ولكن المخطوطة الوحيدة التي تم وصلتنا كانت تالفة للغاية بحيث يصعب معها استنتاج طريقة لصناعة الآلا ت الرائعة التي وصفت في هذا المؤلف الذي تضمن المؤلف 31 جهازاً مختلفاً منها 19 ساعة متنوعة التصميم كالساعات المائية الضخمة، الساعات الزئبقية، وسلسلة الأبواب الموضوعة على صف واحد التي تفتح بفواصل زمنية منتظمة لإظهار تماثيل صغيرة . كذلك تضمن المؤلف الطواحين المائية وماكنات رفع المياه وآلات فلكية متنوعة . لكن أهم شيء ظهر في مؤلف المرادي هذا هو تلك التقنية الرائعة التي اعتمدت أول نموذج لآلية مركبة تستخدم لنقل مزدوجة التواء كبيرة، وكذلك ما ورد في الكتاب يعتبر الوصف الأول الذي نمتلكه لآليات بترس قطاعي وترس دويري فو قي، بينما ظهرت تلك النماذج الميكانيكية المعقدة في أوربا لأول مرة على يد جيوفاني دو دوندي (Geovani de Dondi) عام 1365م التي حتماً كانت قد اعتمدت على أفكار وتقنيات المرادي الأندلسي تلك[2].

كان الجزري تقنياً رائعاً له مآثر عظيمة في مجال التقنيات الميكانيكية، ويمكن اعتبار مؤلفه (الحيل في الفنون الغربية) كموجز وقمة في الإنجازات الإسلامية في هذا الميدان. إذ لم يترك أية آلة وتقنية عرفت في أسلافه من أهل الشرق والغرب إلا ووضع لها أصول ونماذج مع تطويرات وابتكارات جديدة . فهناك الساعات المختلفة الأصناف، المضخات وآلات رفع المياه وأمور أخرى كثيرة.

---

(1) نفس المصدر السابق، ص 1011–1014، بإيجاز وتصرف.

(2) موسوعة تاريخ العلوم العربية – 3 أجزاء–، مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان، إشراف رشدي راشد، ط/1، بيروت–لبنان، 1997م، ج3، ص 1007–1008، بإيجاز وتصرف.

واحدة من أجمل الساعات التي وصفها هي الساعة الفيلية، وكذلك قدم الجزري نظام (الترجهار) الذي يقدم نظام توقيت رائع ليستخدمه المزارعون للري اعتماداً على ميكانيكية مائية مدهشة . وكذلك قدم الجزري آلات وماكنات جديدة كساعات خشبية براميلها من الجوز والعناب ولها 12 حجرة مجهزة فيما بينها ثقوب صغيرة يمر الزئبق من خلالها،و التي استخدمها الإسبان فيما بعد[1].

ولعل مضخة المكبس (piston cylinder) التي اخترعها بديع الزمان الرزاز الجزري تعتبر من أروع المخترعات التي فتحت للبشرية طريقاً كبيراً في عمل ية تحويل ونقل الطاقات . فعندما جاء عصر البخار الذي يتمثل في صناعة القطار والمراكب البخارية، ثم تلاه عصر البنزين الذي يتمثل في محرك السيارة والطائرة، كانت الفكرة الأساسية التي اعتمد عليها المخترعون لتحويل الطاقة إلى قوة محركة هي فكرة إسلامية أصلاً، أنها المضخة الماصة الكابسة،التي اخترعها المهندس المسلم وعالم الميكانيكا الجزري، وأورد لها وصفاً دقيقاً مزوداً بالصور العلمية التوضيحية الملونة في كتابه المعروف" الحيل الجامع بين العلم والعمل " وقد ترجم هذا الكتاب عدة مرات إلى كل اللغات الأوروبية تحت اسم (الحيل الهندسية).

ومضخة الجزرى عبارة عن آلة من المعدن تدار بقوة الريحأو بواسطة حيوان يدور بحركة دائرية، وكان الهدف منها أن ترفع المياه من الآبار .العميقة إلى أسطح الأرض، وكذلك كانت تستعمل في رفع المياه من منسوب النهر إذا كان منخفضاً إلى الأماكن العليا مثل جبل المقطم في مصر وقد جاء في المراجع أنها تستطيع ضخ الماء إلى أن يبلغ ثلاثة وثلاثين قدماً، أي حوالي عشرة أمتار وهو ما يعادل ارتفاع مبنى يتألف من ثلاثةأو أربعة طوابق، وتنصب المضخة فوق سطح الماء مباشرة بحيث يكون عمود الشفط مغموراً فيه، وهي تتكون من ماسورتين متقابلتين في كل منهما ذراع يحمل مكبساً اسطوانياً، فإذا كانت إحدى الماسورتين في حالة كبس (اليسرى) فإن الثانية تكون في

---

(1) نفس المصدر السابق، ص 1011–1014، بإيجاز وتصرف.

حالة شفط، ولتأمين هذه الحركة المتقابلة المضادة في نفس الوقت يوجد قرص دائري مسنن قد ثبت فيه كل من الذراعين بعيداً عن المركز، ويدار هذا القرص بوساطة تروس متصلة بعامود الحركة المركزي وهناك ثلاثة صمامات على كل مضخة تسمح باتجاه المياه من أسفل إلى أعلى ولا تسمح بعودتها في الطريق العكسي[1].

كل تلك المنجزات لم تكن لتتحقق لولا ما فتحه القرآن العظيم للفكر المسلم من آفاق التفكير الحر والخلاق فقام العلماء المسلم ون بالتدبر في كتاب الله تعالى وكونه المنظور من جهة وكذلك قاموا بالاطلاع على تجارب الشعوب والأمم الأخرى وطوروا عليها من جهة أخرى.

ولعل أهم ما يذكر هنا من دور للقرآن الكريم في ترسيخ حقيقة علوم الميكانيك والحركة هو ما جاء في كتاب الله تعالى من آيات حول حركات الأجرام كالشمس والقمر والأرض وكذلك حركات السفن في البحار في تفاصيل رائعة والتي منها بدأ تحويل فهم تلك الحركات إلى أسس وقوانين رياضية كان لها الدور الأكبر في تشكيل وتصنيع تلك التقنيات الميكانيكية الرائعة[2].

كما إن الأخذ بالدعوة القرآنية لتدبر حركة الطيور وميكانيكية طيرانها (صافات ويقبضن) في قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) (الملك:19) وما شاكلها من الآيات الكريمات جعلت من العالم التجريبي الأندلسي المسلم عباس بن فرناس أول من طبق تقنية الطيران للبشر ودفع بنفسه ضحية لتجاربه.

---

(1) تراجع كتبنا (علوم الهندسة الصناعية والإدارية في القرآن والسنة النبوية) و(علوم الهندسة الميكانيكية والحرارية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية . وكذلك كتب موسوعة تاريخ العلوم العربية – 3 أجزاء–، مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان، إشراف رشدي راشد، ط/1، بيروت– لبنان، 1997م.، ج /1، 2.. ويمكن كذلك الاستعانة ب موقع الإرث الإسلامي وكذلك موقع .http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=142600

(2) يراجع كتابنا (علوم الهندسة الميكانيكية والحرارية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية، طبع جائزة دبي للقرآن الكريم.

المثال الخامس: أثر القرآن الكريم في اختراع علم فك الرموز

علم فك الشفرة (Code Breaking and Ciphers) أو ما يعرف بالـــ (Cryptography) يعتبر أحد أهم العلوم الرياضية التي أنجزها البشر على مر العصور والذي كان له دوراً كبيراً لاحقاً في تطور علوم رياضية ورقمية أخرى لعل أهمها علوم وتقنيات الحاسوب الآلي الذي هو اليوم ثمرة تلك المنجزات العبقرية لعقول البشر.

هذا العلم لم يكن ليوجد بنظام وتنظيم وتأطير علمي لولا علماء المسلمين وطريقة تفكيرهم واستنباطاتهم العبقرية من الكون حولهم ومن كتاب الله تعالى ومن ثم تحويل الجهود العلمية والفلسفية البشرية لحضارات سابقة وتقنينها بقوانين رياضية جديدة أسست دعائم هذا العلم الخطير.

هذا الكلام ليس كلاماً حماسياً بل هو كلام أحد كبار علماء الشفرة فـي عالم اليوم وهو العالم سايمون سنغ (Simon Singh) وكتابه المنشور عام 1999م في تأثير ومساهمة العلماء المسلمين في هذا العلم وتأسيسهم له وهو كتاب فك الشفرة، التاريخ السري لعلم الشفرة وفك رموزها (The Code Book, The Secrete History of Codes and Codes Breaking, Simon Singh, 1999) [1]. ولقد كان أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي هو رائد هذا العلم بلا منافس[2]

وعلم الشفرة باختصار هو محاولة ترتيب الحروف في الرسائل والكتب بشكل مرتب ترتيباً معيناً لا يفهمه إلا أشخاصاً معينين مدربين لتلك الطريقة وذلك الترتيب، وإن قرأها غيره م لن يجد سوى حروف بلا معنى تدعو للضحك أحياناً . وقد كانت حاجة الناس لمثل تلك الطرق منذ أقدم العصور، وحاولت حضارات كثيرة كالصينية والإغريقية والفارسية وضع أنماط من تلك الأساليب لكن الأمر لم يكن علماً مستقلاً

---

(1) The Code Book, The Secrete History of Codes and Codes Breaking, Simon Singh, 1999.

(2) Al-Kidi: The origins of cryptology; The Arab contributions, Ibraham A. Crypto logia, vol. 16. no. 2, April 1992, pp. 97-126.

بل محاولات متناثرة تستخدم في حالات الحرب والمعارك والمراسلات بين القادة والأمراء والملوك . وهذه التقنية تتم عادة بطريقتين، الأولى هي طريقة التبديل (Transposition)، وهي ترتيب الحروف والكلمات في الرسالة بشكل معين مفهوم للمتراسلين وليس مفهوماً لغيرهم، والثانية هي طريقة التعريض (Substitution) وهي تعويض بعض الحروف بحروف أخرى متفق عليها وسط بعض الكلمات لتشكل معناً معيناً متفق عليه بين المتراسلين لا يفهمه الأعداء والخصوم أو حتى من هم ليس كذلك[1][2].

خلال الحكم العباسي وصل الانتعاش الاقتصادي للدولة إلى حد أن الناس في بغداد وبقية كبريات المدن الإسلامية أقبل ت على القراءة والعلوم بشكل لم يسبق له مثيل وانتشرت حركة الترجمة من الفلسفات والعلوم والثقافات والحضارات الأخرى كالفارسية واليونانية والرومانية وغيرها، وقد ساعد ذلك على تبلور بل وانطلاق عصر جديد للعلوم في جميع المجالات ومن ذلك العلوم الرياضية ومنها علم الشف رة هذا[3][4][5].

وقد كان الكندي وهو العالم الجليل الموسوعي ذو العلوم الواسعة المولود عام 800 ميلادية في الكوفة بالعراق أحد أهم من تصدى لهذا العلم خصوصاً عندما قرأ عن المحاولات البدائية له في الحضارات السابقة . لكن علمه الغزير الذي حرص والده وهو حاكم الكوفة يومئذ على تلقينه إياه وتضلعه من العلوم الإسلامية اللغوية

---

(1) The Code Book, The Secrete History of Codes and Codes Breaking, Simon Singh, 1999.

(2) Al-Kindi, Cryptograghy, Code Breaking and Ciphers, Tariq Al-Tayeb, an article in Muslim Heritage website, June – 2003, http://www.muslimheritage.com/topics/default.cfm?ArticleID=372

(3) The Code Book, The Secrete History of Codes and Codes Breaking, Simon Singh, 1999.

(4) Al-Kidi: The origins of cryptology; The Arab contributions, Ibraham A. Crypto logia, vol. 16. no. 2, April 1992, pp. 97-126.

(5) Al-Kindi, Cryptograghy, Code Breaking and Ciphers, Tariq Al-Tayeb, an article in Muslim Heritage website, June – 2003, http://www.muslimheritage.com/topics/default.cfm?ArticleID=372

والشرعية جعلت منه عالماً مميزاً خصوصاً مع تميزه في علوم الرياضيات بشكل عام بعدما انتقل إلى بغداد عاصمة الدنيا يومها وانغماسه في تلقي العلوم المختلفة هناك [1] [2].

صحيح أن الكندي قد تأثر بالعلوم ا لإغريقية وفلسفتها، لكن خلفيته الإسلامية جعلت منه متيقظاً لماحاً مميزاً بين الغث والسمين وبين ما هو يقبل النظر وما هو خيالي وأسطوري من كتابات القوم . وقد لاحظ أن الشفرة هذه التي وضع محاولاتها اليونانيون والفرس يمكن وضعها في لغة العرب بشكل أقوى وأعمق لتميز هذ ه اللغة، كما لاحظ أن كتاب الله تعالى وضع بنسق وترتيب حرفي وكلامي عجيب يتعدى بلاغته ومعانيه المؤثرة في النفس والروح والعقل إلى النمط الرياضي والعددي المرتب لتلك الكلمات والحروف ضمن الآيات والسور المباركة.

وبعد تبحره في تلك العلوم الواسعة استطاع استنباط تقني ة علمية اعتبرها المتخصصون البداية الحقيقية لعم الشفرة وهي استنباطه لما عرف بالتقنية الذبذبية أو التحليل الذبذبي لترتيب الحروف (Frequency Analysis)، وهو باختصار وضع حسابات للنسبة المئوية لعدد الحروف في لغة ما لأي كتاب أو رسالة، وحساب النسبة المئوية لشفرة م عينة (cipher)، ثم تعويض الحروف المتقابلة التي تتساوى عندها النسبة المئوية في الحسابين[3] [4].

وبتلك الطريقة فقد أسس لما عرف لاحقاً بالبصمة الحرفية وهي أن لكل إنسان طريقة كتابة تختلف عن غيره تماماً كالخط والبصمة الأصبعية أو الصوتية أو بصمة العين يمكن من خلالها التعرف على من كاتب هذا المقال أو الكتاب من خلال أسلوبه المميز

---

(1) Al-Kindi, Cryptograghy, Code Breaking and Ciphers, Tariq Al-Tayeb, an article in Muslim Heritage website, June – 2003, http://www.muslimheritage.com/topics/default.cfm?ArticleID=372

(2)موسوعة تاريخ العلوم العربية – 3 أجزاء–، مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان، إشراف رشدي راشد، ط/1، بيروت–لبنان، 1997م.، ج/ 2، صفحات مختلفة.

(3) The Code Book, The Secrete History of Codes and Codes Breaking, Simon Singh, 1999.

(4) Encyclopedia Britanica, Inc. 1969, Chicago; William Benton, pp. 352.

باستخدام التحليل الذبذبي أو الشفرة الخطية التي اخترعها الكندي[1]. وبالتالي فإن كلام الله تعالى في كتابه الكريم له شفرة خارقة لا يمكن لبشر أن يأتي بمثلها أو يقلدها لأنها معجزة لجميع البشر وإن اجتمعوا عليها من كل حدب وصوب.

أثر الإسلام في تقدم العلوم والتقنيات الهندسية عموماً

سيطول بنا المقام لو أردنا أن نفيض في شرح أثر علماء المسلمين على العالم وأثر القرآن الكريم على أولئك العلماء ولمن يريد الاستزادة يمكنه العودة لبعض المصادر المهمة في هذا المجال ومنها ما قمنا به في بعض كتبنا المنشورة[2].

إن الإسلام هو بحق الثورة العلمية الأولى التي نقلت العالم والبشرية من حال الخزعبلات والأساطير والظلمات لحال النور والحق والبحث العلمي الرصين الذي أسس له المسلمون ونقلوه بعدما استوعبوا كل ثقافات وحضارات العالم القديم وعلومه ووجهوها الوجهة الصحيحة السليمة .ولقد قدم المسلمون نماذج هندسية رائعة في تصاميم الأنظمة المائية والري والساعات والأسلحة وأدوات القياس كالاسطرلاب والبوصلة. البارود صناعة إسلامية.

2. الآلات والمكائن كآلات الري والسقي.
3. الساعات.
4. الإنسان الآلي أو ما عرف بالرقّاص.
5. المضخات ومحولات الطاقة.
6. الصواريخ.
7. نظام التخدير في العمليات الجراحية.

---

(1) Al-Kindi, Cryptograghy, Code Breaking and Ciphers, Tariq Al-Tayeb, an article in Muslim Heritage website, June – 2003, http://www.muslimheritage.com/topics/default.cfm?ArticleID=372

(2) تراجع كتبنا العشرين ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية)، إصدار جائزة دبي للقرآن الكريم. وكذلك كتب (موسوعة تاريخ العلوم العربية) – 3 أجزاء–، مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان، إشراف رشدي راشد، ط/1، بيروت–لبنان، 1997م.. ويمكن كذلك الاستعانة بموقع الإرث الإسلامي وكذلك موقع شبكة المسلم /http://www.muslm.net.

8. البوصلة والآلات المغناطيسية.
9. الكاميرا.
10. أول من وصف الذرة.
11. أول من أسس لعلم الطيران وتجربة عباس بن فرناس الذي سبق ليوناردو دا فنشي في ذكره للطيران وفنونه بعشرات السنين[1].
12. إن تأسيس مراكز الوثائق إنما هو اختراع إسلامي قديم يكشف عن النزعة الحضارية، بل ها هنا مبالغة في المعنى المنهجي، لأن الدولة العباسية احتفظت بوثائق الدولة الأموية، ولم يمنعها عامل العداوة من تيسير منهجية البحث للباحثين والاحتفاظ بوثائق دولة هم الذين أجهزوا عليه ا، في حين كانت دول الكفر تميل إلى الحرق ومحو الآثار[2][3].
13. وهناك العديد من الاختراعات الإسلامية التي أغنت الحضارة الإنسانية وملأت صفحات التأريخ بأحرف من ذهب ونور ساطعين لامعين، إذ يصل تعدادها إلى أكثر من 1000 اختراع واكتشاف علمي وفني [4].

وهنا نؤشر مسألة مهمة كي لا يلتبس لدى البعض الأمر، فهناك ما يعرف بعلم (تأريخ العلوم) وهو يدرس كيف تتطور العلوم والتقنيات منذ الفكرة الأولى ولغاية ما وصلنا له اليوم. فمثلاً يدرس العلم كيف تتطور الكاميرا فيذكر أول من فكر بفكرتها الأولى

---

(1) نفس المصادر السابقة.

(2) منهجية التربية الدعوية، محمد أحمد الراشد، ص 119، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع تاريخ النشر، ط/1، 2005، ص 123.

(3) بإمكان القارئ الكريم العودة لكتب للمؤلف تتحدث عن بحوث رصدت عن التوثيق والأرشفة عند المسلمين وأثرها في تطور فنون التنظيم والفهرسة لمكتبات العالم الحديث مثل كتاب (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، (القرآن منهل العلوم)، (العلوم الرياضية والهندسية وهو الكتاب الأول من سلسلة كتب لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادرة عن جائزة دبي للقرآن الكريم.

(4) 1001 Inventions: Muslim Heritage in Our World, Foundation for Sceince Technology and Civilisation, Salim T S Al-Hassani; Chief Editor, Elizabeth Wodcook & Rabah Saoud; Co-Editor, 2nd. Edition, 2005, Mega Basim, Istanbul-Turkey.

ومن ثم جاء بعده فلان ليضيف المسألة الفلا نية وهكذا لغاية ما وصلنا له اليوم والمسألة مستمرة بالتطور.

فهنا نؤشر القدحة الأولى لعلماء الأمة الأفذاذ في تلك العلوم والتقنيات أو أنهم طوروا ما فعله أسلافهم ولكن كان تطويرهم عظيماً وفيه نقلات هائلة كان لها الدور الأكبر في نقلة العلوم والتقنيات نحو المسار الذي تبنته أوربا لاحقاً وابتدأت منه ثورتها الصناعية الأولى قبل أكثر من 3 قرون ومن ثم تبعها الثورات التقنية الأخرى كالإلكترونية والمعلوماتية وغيرها.

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

هذا هو فعل القرآن الكريم وأثره الخلاق في عقول وأنفس أهل التدبر والتأمل من الأجيال العملاقة التي بنت حضارة الإسلام بل وحضارة الإنسان ، فهل من معتبر من أجيال اليوم؟؟!!

هذا هو فعل القرآن الكريم على علماء المسلمين وهذا هو فعلهم في العالم فهل يمكننا نحن الأحفاد أن ننطلق مما انطلق منه الأجداد لنبين للعالم عظمة هذا الدين وشموله لكل خير وفضيلة وعدل وتطور وبركة؟!

الفصل الرابع

التفصيلات 1
الركيزة الأولى: ركيزة العلم

مقدمة

المحاور الرئيسة

أولاً: محور التعليم بجميع مراحله

ثانياً: محور العلم الشرعي وكيفية مخاطبة الذات والآخر به

نموذجين واقعيين للخطاب العصري للذات والآخر

ثالثاً: محور المخاطبة باستخدام الاعجاز العلمي بأنواعه المختلفة

رابعاً: محور تبيان عظمة الإسلام من خلال المكتشفات والمخترعات والتقنيات من القرآن والسنة وتراث الأمة

مقدمة

إن أخوف شيء يجب الانتباه له هو تعطيل الإبداع والفكر بحجج لا تمت لعظمة هذا الدين بصلة، ولعلنا بينا في فصول سابقة أدلة وبراهين وأمثلة مهمة من القرآن والسنة وفعل علماء الأمة في كيفية الإبداع في شتى العلوم والتقنيات التي كانت بحق ثورة على واقع متخلف أبقى البشرية حبيسة ظلمات روحية وعقلية وعلمية.

ويتساءل أستاذنا الراشد عن سبب تعطيل الخيال والإبداع قائلاً: (لا أدري لِمَ لا يعتمدون صناعة ال خيال وهي مركز الإبداع الذي تنطلق منه الحياة الحضارية والتطورات المدنية، ولم لا يتخيرون من فلتات التأمل الثائر الفائر القافز أشياء توافق المقدار والطاقة والسِّعر والقانون والمرحلة وإفهام المنفّذين، إذ بين الصناعتين علاقة، لكنهم يعطلونها أو يزهدون بها) [1]. ثم يعقب قائلاً: (إن عدم إدراك نسبية آنشتاين هو بالتأكيد وجه من أوجه الإشكال الدعوي، فالنسبية لا تراد لذاتها، بل لما يواكبها ويلحق بها وينتج منها ويتكامل معها من حقائق العلم التي تؤدي للسيطرة على توجهات السياسة والاقتصاد والأخلاق والثقافة والإعلام وعموم نوا حي الحياة) [2]. ثم يقول: (ولست حين تفعل ذلك بالمبتدع، فأسلافنا المتحضرون هم أصحاب المنهجية والعقل المنفتح، فأنت تفخر بحضارة الإسلام من دون أن تدري ما حركها وتضرب سيطرة المسلمين الأوائل على حركة الحياة من دون أن تفطن إلى إنجازاتهم ومنهجيتهم الصحيحة التامة التي أذنت لهم أن يبسطوا سلطانهم) [3].

ومن كل هذه المنطلقات والتأصيلات نبدأ بتفصيلات عصرية الدعوة بدءً من هذا الفصل والذي يليه لنسقط ذلك على مشاريعها والتطبيقات في الفصول اللاحقة.

قلنا في الفصل الأول أن هذا المشروع الحضاري للأمة أفراد ومؤسسات وحكومات ودول ينبني على أساسين رئيسيين هما :

---

(1) منهجية التربية الدعوية، محمد أحمد الراشد، ص 119، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع تاريخ النشر، ط/1، 2005.

(2) نفس المصدر السابق، ص 121.

(3) نفس المصدر السابق، ص 122.

1- العلم

2- الإعلام

أما الركيزة الأولى فتعنى بالتعليم والعلم والبحث والمخترعات وإعمال العقل والذهن والذكاء مستفزة عناصر الإبداع ومتنهضة همم النجاح بكل مقوماتها وشروطها وقوانينها لنضع الأمة في طريق النموذج الحضاري المنقذ الذ ي تحدثنا عنه في المقدمة لهذا الكتاب . وكل ذلك وفق أحدث ما توصل له أهل التخصصات في تلك المجالات الإنسانية كما هو مختصر في ملاحق الكتاب الثلاثة.

يتفرع عن هذا المحور الرئيسي محور التعليم بكل مراحله، فيؤدي إلى تبني تأسيس مراكز علمية وتعليمية وبحثية وتقنية متخص صة في شتى مجالات العلوم الشرعية والطبيعية تتبنى إنشاء أجيال يربطون علوم الدين والشريعة بعلوم الكونيات والطبيعة ليكونوا خير ممثلين لدعوة القرآن في عصرنا الحاضر عصر العلوم الطبيعية التي أزاحت بتعقيداتها تلك الرقائقية والشفافية للروح وجعلت منها ساحةً قفراً جد باً خرباً. فكأن الساحة اليوم صارت فسطاطين فسطاط أخذ بالعلوم الطبيعية الصرفة وراح يتكلم بالعقل والمنطق والأسباب والعلل والشواهد والتجارب والمختبرات والحقائق الملموسة فصدقه معظم الناس، وفسطاط أخذ بالعلوم الشرعية الصرفة وراح يتكلم في ظلال غابات وحدائق غناء من الصفاء والنقاء والروحانيات والأخلاق والمثاليات تاركاً تسقيط ذلك على عالم قاس بقساوة غابات الخرسانة والفولاذ والحجر الصوان . وعليه فالأخذ بالسببين الشرعي والكوني لتكوين جيل متسلح بكل أسلحة كتاب الله الخالد وعلومه الغزيرة سيزيح عن العالم ظلام ليل العلوم المل حدة ونعيق علماء الطبيعة الجاحدة وينير الدرب لأعين عميا ويمتلك مفاتح قلوب غلفى فتصغى إليه آذان كانت بالأمس صمى.

ومن هذه الركيزة العلمية لمشروع عصرية الدعوة يتفرع كذلك الدعوة لإنشاء مؤسسات بحثية في مجال علوم وتقنيات القرآن والسنة وتراث الأمة الخالد . ولقد أعانني في هذا المجال ما توصلت له بفضل الله تعالى من اختراعات إسلامية المصدر

من القرآن والسنة وتراث الأمة المجيد. هذا الأمر أعانني عليه خلاصة بحوثي وكتبي المنشورة وأمور وفتوح أخرى منها ما تبنته شركة بريطانية ومنه ما ينتظر، وتشجيع الأمة على تبني هذه الأنماط التقنية لنوصل للعالم رسالتنا العلمية الثقافية الحضارية.

كما يتفرع منه الدعوة لإنشاء مراكز ومؤسسات بحثية ستراتيجية اقتصادية وسياسية واجتماعية وبيئية ومجتمعية وغير ذلك.

كل تلك الدعوات تحتاج لأدوات تنفيذ وشروط نجاح ومستلزمات تفعيل مثل رؤوس الأموال والمستثمرين والداعمين رسميين وغير ذلك مما سنناقشه في فصل مستقل هو فصل التطبيقات والمشاريع[1].

وأما الآخر فهو تبني أعمال إعلامية ضخمة ومتميزة نستطيع من خلالها أن نقدم الإسلام للغرب بأسلوب يخاطب عقولهم وهو ما أمر به الأنبياء عليهم السلام وهو ما تركنا تفصيله للفصل اللاحق.

هذا المشروع المتكامل الذي ينبني على هاتين الركيزتين العلم والإعلام يحقق أهدافه من خلال عدة وسائل:الدعم المالي والعلمي والمهني : وهذا قد يأتي من أفراد أو جماعات أو مؤسسات مجتمع مدني أو مؤسسات حكومية بل وحتى دعم حكومي مباشر. ويركز على دعم المؤسسات العلمية الموجودة أصلاً في بلدان الغرب وكذلك في بلدان المسلمين وتأسيس مؤسسات علمية جديدة تعنى بتثقيف الدعاة والمصلحين بتعليمهم لغات مختلفة وثقافات أخرى وطرائق تدريس حديثة متنوعة لتوسيع المدارك والأفهام وتقوية الحجة في مخاطبة العوام.

2. استخدام تقنيات العصر المعلوماتي : من خلال تسخير تلك التقنيات في المحاضرات والدروس عبر الشبكة العالمية والفضائيات كبدائل متاحة عن تأسيس الجامعات والمعاهد العلمية والبحثية .العلوم والتقنيات: الاختراعات

---

(1) وضعنا كذلك ملحق يبين التنظيرات الخاصة بمقومات وقوانين النهضة والنجاح والإبداع لغرض تسخيرها في التأصيل لاستنباط إبداعات الدعوة العصرية.

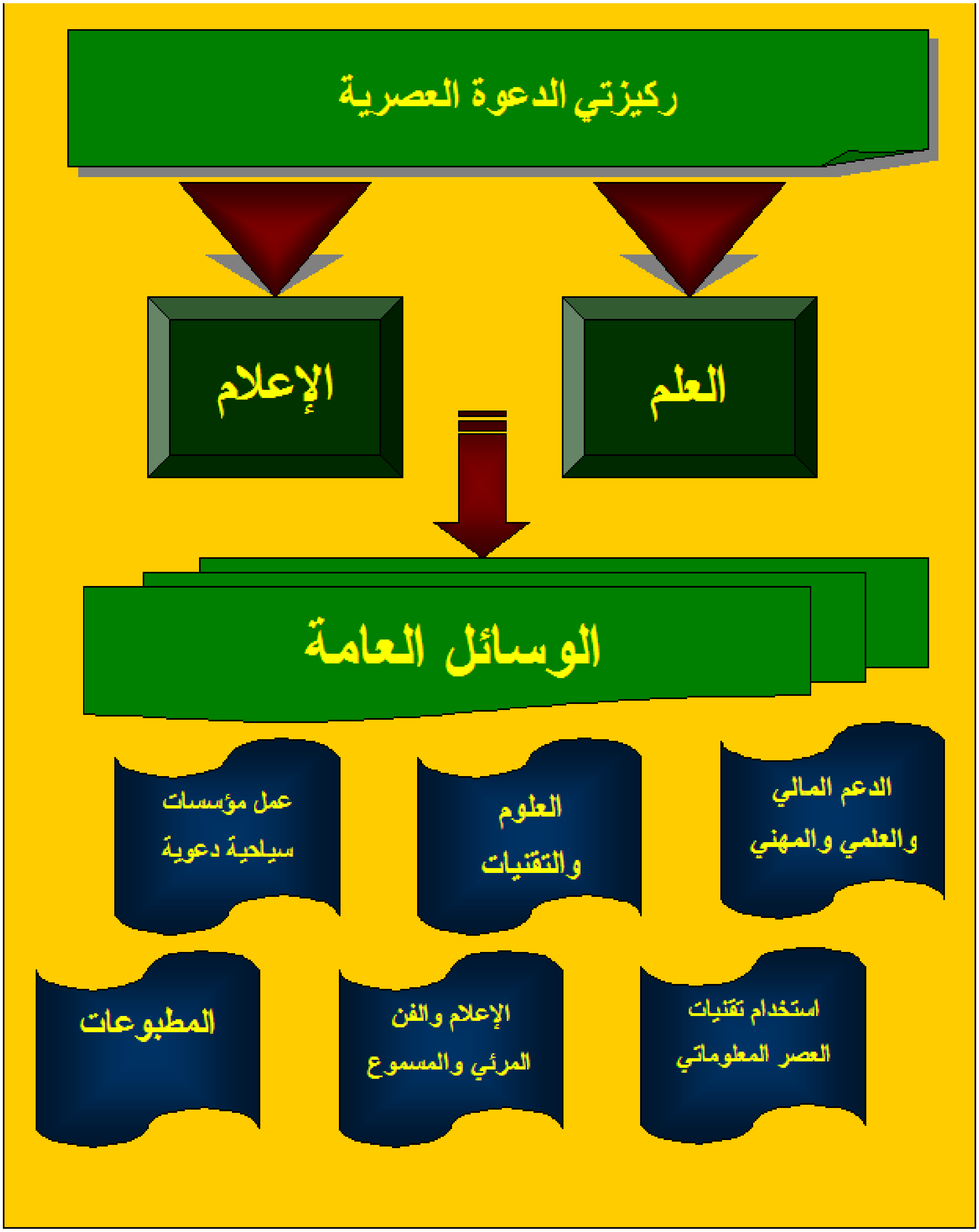
الإسلامية المستنبطة من القرآن والسنة وإرث الأمة لتصنع بشكل تقني عصري يجلب لنا عقولهم وقلوبهم قبل أموالهم . ومن ذلك أيضاً عمل معاهد ومؤسسات صناعية وهندسية تستقطب العالم لفنون وصناعات الأمة وتراثها كفن العمارة الإسلامية مثلاً أو ما بينه المسلمون في اختراعاتهم وصناعاتهم في مجال الطاقات النظيفة وغير ذلك .الإعلام والفن المرئي والمسموع: البرامج التلفازية عالية التقنية وبلغة العصر الحاسوبي وبفن متميز يستقطب إليه الألباب . وكذلك تبني العروض السينمائية والمسرحية التي تعرف بالإسلام وعلى رأس هذه الوسيلة أفلام الرسوم المتحركة التي لها تأثير كبير على أعمار الأجيال القادمة من الغربيين فاليابان اكتسحت الغرب بأفلامها التي تثير الضغينة والحقد والكراهية والتي أثرت سلباً على أجيالنا نحن. فلم لا نكون من ينطلق للعالم من تراثنا الغزير بأساليب تقنية عصرية من خلال هذا الأسلوب؟ !. كذلك هناك النشيد الإسلامي وأثره الفعال. هذا فضلاً عن المحاضرات والمناضرات في شتى العلوم وأثر الإسلام فيها وإقامة المعارض والمهرجانات للتعريف بالإسلام الحنيف.عمل مؤسسات سياحية دعوية : تستثمر أموالها في السياحة الدعوية لتجعل من الدعاة أدلة سياحيون في سبيل خدمة الدعوة كي لا يكتفوا بالدعوة القولية بل ينتقلوا لتفعيل الأثر النفسي من الدعوة الفعلية والتطبيقية كزيارة المواقع الأثرية التي كانت منطلقات النور العلمي والحضاري الإسلامي في شتى أقطار المعمورة والكشف عما خفي في مجال سبق المسلمين في مجال الكشف الجغرافي والتاريخي وفق منهجية (سيروا– فانظروا) القرآنية العظيمة. المطبوعات: مثل الكتب والمنشورات والمؤلفات والبحوث التي تدعم هذا التوجه في شتى العلوم الإسلامية وخصوصاً علوم القرآن والسنة وتراث الأمة العظيم ومنجزات علماءها في شتى الصعد، وكذلك إنجازات الإعجاز العلمي والعددي في القرآن

الكريم والسنة المطهرة وما تحتويه من كنوز تجذب عقول القوم وتبين لهم ما لدينا من ح جج قاطعات. هذه الوسائل العامة الستة، المبينة في الشكل (4-1)، يمكن تفصيلها لعدة وسائل عملية أخرى تتطلب تظافر جهود فردية وجماعية، حكومية ومؤسسية، محلية- إقليمية- دولية. ومن تلك التفصيلات التي سنحولها لمشاريع فعلية في فصل لاحق ما يكون ضمن ركيزة العلم ومنها م ا يتداخل مع ركيزة الإعلام، فعلى سبيل المثال : عمل مخترعات إسلامية منبعها القرآن والسنة وتراث الأمة تعرض على الآخر ليعلموا عظمة هذا الدين المتين وعظمة رسوله صلى الله عليه وسلم يمكن ان نصل بهما وبغيرهما إلى قلوب وعقول القوم .دعم المهرجانات والمعارض الإسلامية في كبريات المدن العالمية لتقديم الإسلام بشكل جذاب وعملي .دعم إقامة مناظرات ومحاضرات في نظام السوق الإسلامي والاقتصاد الإسلامي وروعته وعدله وفرقه عن النظريات الاقتصادية الأخرى كالرأسمالية والاشتراكية والشيوعية وغيرها . توسيع استخدام المطبوعات كالكتب والمنشورات والبحوث في شتى العلوم الإسلامية وبلغات العالم كافة.

❖ تكثيف الحلقات النقاشية في كبريات المحطات الفضائية وباستخدام أناس يعلمون ثقافة القوم ليكون التخاطب بلسانهم وبأسلوبهم فيكون النفع أعم.
❖ تأجير ساعات بث في التلفزيونات الأوربية لعرض سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم.
❖ تسيير قوافل دعوية تجوب عواصم الغرب شغلها الشاغل أن تقف في المحطات والمواقف والحدائق والتجمعات لتفهم الناس سنته العطرة.
❖ تقوية وتأهيل الكوادر التعليمية والتخصصية وتطوير مقدرات الأساتذة في جميع الحقول التقنية والتعليمية والشرعية من خلال تلاقح العلوم الشرعية الصرفة مع الطبيعية الصرفة أما عن طريق التعليم الرسمي أو من خلال المعاهد الخاصة ومعاهد التنمية البشرية وطرائق التدريس.

- تشكيل عمل متصفحات إسلامية خاصة تنافس المتصفحات الغربية كالياهو والغوغل والإلتيفيستا وغيرها كي يكون عرض الإسلام فيها بالشكل المطلوب دون أية تدخلات.
- تشكيل شركات ومؤسسات تتبنى فرق عمل إنتاج حاسوبي ضخمة لرفد التخصصات والقنوات والإنتاج الإعلامي الضخم المعول عليه في الركيزة الثانية من المشروع إلا وهي الإعلام.
- عمل مشاريع محطات فضائية برؤوس أموال إسلامية تخاطب العالم بلغته شرقيها وغربيها وباستخدام مقدمين ودعاة وعلماء وفنانين ومنشدين من أهل الغرب والشرق وليس من العرب كي يكون التخاطب من ثقافة القوم لا دخيلاً عليهم.

وهنالك وسائل تفصيلية أخرى تتعلق بركيزة الإعلام وتتداخل معها نبينها في الفصل القادم.



الشكل (4-1): الوسائل العامة الستة المشتقة من ركيزتي الدعوة العصرية



الشكل (4-2): المحاور الأربعة الرئيسة لركيزة العلم

المحاور الرئيسة

دعونا نبدأ بمحاور هذا الفصل وهي 4 محاور ثانوية تتفرع من الركيزة الأساسية ركيزة العلم كما في الشكل (4-2).

1. محور التعليم بكل مراحله.
2. محور العلم الشرعي وكيفية مخاطبة الآخر به.
3. محور المخاطبة باستخدام الاعجاز العلمي بأنواعه المختلفة.
4. محور تبيان عظمة الإسلام من خلال المكتشفات والمخترعات والتقنيات من القرآن والسنة وتراث الأمة.

أولاً: محور التعليم بجميع مراحله

لا أظن أن هناك لنا في هذا الكتاب حاجة للتعريف بخطورة التربية وا لتعليم وأهميته لبناء الأجيال التي يعول عليها في صناعة التغيير فلقد تحدث الكثيرون عن ذلك، ولكننا في مضمار تبيان كيفية تسخير هذا الدور الخطير للتعليم ضمن ركيزة العلم العامة وتحويلها لتطبيقات عملية على أرض الواقع لتفعل فعلها الحضاري الخطير المعروف وفق ما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام ودور التعليم والتربية الإسلامية في بناء القادة والأجيال الحضارية الناقلة للأمة من طور الصحوة لطور الإنجاز الحضاري الفاعل والناقل للأمة في منحنى صعود حضارتها لنقطة التحول التأريخي المنتظرة.

فلقد ذكرنا أن ركيزة العلم العامة ضمن عصرية الدعوة يتفرع عنها هذا المحور المهم والخطير وهو محور التعليم بكل مراحله، فيؤدي إلى تبني تأسيس مراكز علمية وتعليمية وبحثية وتقنية متخصصة في شتى مجالات العلوم الشرعية والطبيعية تتبنى إنشاء أجيال يربطون علوم الدين والشريعة بعلوم الكونيات والطبيعة ليكونوا خير ممثلين لدعوة القرآن في عصرنا الحاضر، ويشكلوا فسطاط الخير المعول عليه في اقتحام الساحة العلمية التي ملأها فسطاط التلبيس والتدليس الذي أخذ بالعلوم الطبيعية

الصرفة وترك البعد الروحي والأخلاقي فراح يتكلم بالعقل والسبب والتجارب والمختبرات فصدقه معظم النا س وصرنا نشهد عالماً قاسياً بقساوة هذه الحضارة الخرسانية الفولاذية الجامدة.

إذن الأخذ بالسببين الشرعي والكوني لتكوين جيل متسلح بكل أسلحة كتاب الله الخالد وعلومه الغزيرة سيزيح عن العالم ظلام ليل العلوم الملحدة ونعيق علماء الطبيعة الجاحدة وينير الدرب لأعين عم يا ويمتلك مفاتح قلوب غلفى فتصغى إليه آذان كانت بالأمس صمى.

لعلنا هنا نؤشر وسائل مهمة في هذا المجال:

❖ الدعم المالي والعلمي والمهني الذي يأتي من أفراد أو جماعات أو مؤسسات مجتمع مدني أو مؤسسات حكومية بل وحتى دعم حكومي مباشر . ويركز على دعم المؤسسات العلمية الم وجودة أصلاً في بلدان الغرب وكذلك في بلدان المسلمين وتأسيس مؤسسات علمية جديدة تعنى بتثقيف الدعاة والمصلحين بتعليمهم لغات مختلفة وثقافات أخرى وطرائق تدريس حديثة متنوعة لتوسيع المدارك والأفهام وتقوية الحجة في مخاطبة العوام.

❖ استخدام تقنيات العصر المعلوماتي من خلال تسخير تلك التقنيات في المحاضرات والدروس عبر الشبكة العالمية والفضائيات كبدائل متاحة عن تأسيس الجامعات والمعاهد العلمية والبحثية.

❖ تشجيع الأساتذة والمربين المتخصصين في صنوف العلم المختلفة في مدارس وكليات ومعاهد التعليم في الدول الإسلامية كبديل آخر، وهي الحالة الموجودة حالياً في الأمة والمطلوب تشجيعها بالإكثار من تلك التجربة وتعميقها وتطويرها وترسيخها . إذ إن تلك النماذج القيادية يمكنها زرع الأمل في صناعة النموذج في الأجيال بل واستنهاض تلك النماذج ممن يتوسمون فيه ذلك.



الشكل (4–3): بعض الوسائل المهمة تتعلق بالمحور التعليمي

- ❖ تطوير الكفاءات التدريسية الملتزمة المتواجدة فعلاً في الساحة وذلك بتشجيعها على التثقيف في علوم أخرى بما يساعدها على الوصول للموسوعية المطلوبة لمخاطبة الشرائح المختلفة وذلك عن طريق الدورات التثقيفية المكثفة ومؤسسات تنمية الموارد البشرية وأساليب التواصل والتخاطب وكسب الآخر وهندسة التأثير وغيرها من علوم التنمية البشرية والثقافية والتعليمية.
- ❖ كسب الكفاءات التعليمية المتأثرة بالمنهج الليبرالي والرأسمالي أو النموذج الغربي عموماً ومحاولة جذبها للإسلام عن طريق الحوار الجاد بما يتطلب وجود نماذج محاورة قوية متسلحة بحجج علمية وثقافية عميقة وهو ما يتعلق بالنقطة السابقة الخاصة بتطوير الكفاءات التدريسية الملتزمة. أما الكفاءات التي لا تزال متأثرة بالنماذج الأخرى كالنموذج الاشتراكي والشيوعي والقومي فلا يمكن إغفالها رغم انحسار مدها وتأثيرها على الأمة بسبب الأخطاء الجسيمة التي وقعت بها مدارسها الفكرية والمآسي التي سببتها تجاربها الدموية في شتى أصقاع الأرض، بل يجب الإسراع لتعديل وجهتها الفكرية نحو أسلمتها رغم صعوبة الأمر بسبب الأخطاء التي وقع بها الإسلاميون في بعض الأقطار ما سبب حرجاً كبيراً للدعوة لمثل هؤلاء، وهذا ما يتطلب التوعية الحقيقة والتطوير المبرمج المرتبط بالنقطة السابقة أيضاً.
- ❖ تشجيع التخصص في أطوار التربية حسب الفئات العمرية ونوع الجنس، وهو ما يستدعي تطوير التخصصات في علوم النفس والاجتماع والسلوك، كما يستدعي عقد المؤتمرات الرابطة والمنسقة والموزعة للأدوار. ففئة الأطفال وفئة المراهقين وفئة الشباب بل حتى فئة الشيوخ والعجائز يجب إيجاد متخصصين لكل فئة منها تخاطبها وتدربها وفق منهجية صحيحة.
- ❖ استغلال البطالة المستشرية في الأمة ودعم مشاريع تأهيلها واستغلال الوقت الضائع لدى الكثيرين منهم لتأهيلهم في صلب اختصاصاتهم لجعلهم في خدمة الدعوة العصرية، فالطبيب العاطل والمهندس العاطل والاقتصادي العاطل

والإداري العاطل والفني والتقني وغير ذلك ممن ينطبق عليهم صفة البطالة يمكن تأهيلهم لدعم التربية والتعليم الدعويين واستغلال طاقاتهم المعطلة وتحويلها من حالة السلبية المجتم عية أو على الأقل الصفرية المجتمعية لحال الإيجابية والفعل المؤثر بالاتجاه الصحيح.

- دعم النشر المكتبي والإلكتروني كبديل حديث ومهم في مجال الكتاب والبحوث المنشورة كي يستفيد منها المعلم والمتعلم والناس جميعاً، خصوصاً في مجال النشر الإلكتروني الذي أصبح اليوم بد يل ستراتيجي عصري فعال في مجال التعليم والثقافة عموماً بعد انتشار الانترنت واستخداماته على نطاق واسع . ويكون ذلك بتشجيع تأسيس المؤسسات الحكومية والعامة والخاصة في هذا المجال الاستثماري الثقافي المهم.
- تشجيع الناس على كسب العلوم والثقافات والمعارف الحديثة في م جال التنمية البشرية والثقافية عن طريق الدخول في دورات تعليمية في آداب الحوار وهندسة التأثير وصناعة التغيير ومن ثم تشجيعهم على ولوج الحوارات البحضارية البناءة مع الآخر عن طريق المجالس والمنتديات الحوارية الإلكترونية عن بعد التي أثبت تأثيرها بين الناس على مس توى العالم لغرض استخدام هذه الطاقات البشرية في الأمة لعرض منهجية ووسطية وروعة الدين الإسلامي العظيم، على أن يتصدى لذلك من لهم الأهلية والإمكانية في الطرح والحجة والنقاش.

هذه الوسائل المتعلقة بالمحور الأول –محور التعليم- يمكن ملاحظتها من الشكل (4-3).

ثانياً: محور العلم الشرعي وكيفية مخاطبة الذات والآخر به

إن المتأمل للخطاب الدعوي يجده جيداً جداً ومتميزاً من الناحية القولية والكلامية في الأسلوب الوعظي والسردي والقصصي والروحاني والأخلاقي والتربوي . لكن ثمة نقوص وانتكاسات وتقصير في بعض جوانبه وخصوصاً فيما يتعلق بأمرين:

1. التطبيقات العملية.
2. سرد قصص واقعية راهنة تبين وجود نماذج يحتذى بها في الأمة ومن واقعنا المعاصر أو من تاريخنا الحديث القريب وليس من قصص السلف حسب لتأكيد خيرية هذه الأمة على مدى التاريخ.
3. أساليب وفنون مخاطبة الآخر وأعني به غير المسلمين.

قلنا في مقدمة الكتاب أننا لا نريد من هذا الكتاب الاكتفاء بالنظرة النقدية للساحة الدعوية اليوم من عين المراقب الحريص ولكن نريد وضع الحلول من واقع تجارب معاشة.

لو أردنا أن نقسم الدعوة من حيث نوع المخاطب لقلنا أنها قسمين للذات أي للمسلمين وللآخر أي لغير المسلمين، فإذا كان الخطاب الدعوي الموجه للمسلمين تعتريه الكثير من النواقص رغم ما طرأ عليه من تقدم ملحوظ في النوع والكم في السنوات الآخيرة، فإن الخطاب الموجه للآخر يكاد يكون معدوماً تنظيراً وتطبيقاً عدا بعض المحاولات الخجولة التي لا ترتقي أن توضع في كفة ميزان التعادل والتكافؤ مع ما تتعرض له الأمة من هجمات وانتهاكات صارخة على جميع الأصعدة.

ولو أردنا تقسيم الدعوة من حيث التطبيق لقلنا أنها دعوة قولية أي محاضرات وكتب ومنشورات وبرامج مرئية ومسموعة، ودعوة عملية أي منهجية عمل وبرامج تنفيذية وتطبيقات ومشاريع على الأرض وفي صلب الواقع ا لمعاش. ومرة أخرى إذا كان النوع الأول فيه من المنجزات الطيبة الكثير رغم ما يعتريه من النقص، فإن النوع الثاني يكاد يكون معدوماً عدا بعض الحالات المضيئة القليلة هنا أو هناك وهي بالتأكيد ليست جهداً جمعياً بل محاولات فردية لا يمكنها إيصال فعلها إلا لنطاق ضيق محدود.

ولو أردنا تقسيم الدعوة القولية لقلنا أنها تنقسم إلى مؤلفات ومحاضرات في ركائز الإسلام وعقائده والأخلاق والعبادت والمعاملات والسلوك والرقائق وعلوم القرآن والسيرة والحديث وغير ذلك لا تلبث أن تجمع في عقل المتلقي وتتفاعل مع روحه بعد أن تخرج من جعبة المحاضر السردية ومن ثم لا تفعل فعلها في الحياة إلا بالنزر اليسير، وأخرى تتعلق بتطبيقات ومعايشات واقعية ببرامج سلوكية تحول السرد إلى واقع وتسقطه على الواقع المعاش وتنزله في حياة الناس ليتلاقح القصص التاريخي والنصح الإرشادي والحكمة الرقائقية مع طاقة الناس فيحولها ل فعل داخل المجتمع. وهنا نعود لنفس الحسرات السابقة لنقول إذا كان النوع الأول فيه من المنجزات الكثير ولدينا العمالقة والمنظرين والناصحين والبلغاء في ساحة الدعوة، لكننا في النوع الثاني نفتقر لدعاة مربين منفذين محللين مبرمجين مطبقين.

ومن هذا المنطلق لا نريد أن نستعرض أنماط الخطاب التقليدي المتعارف عليه في القصص وعلوم القرآن والحديث والعقائد والعبادات والسلوك والمعاملات مما تعارف عليه الناس لأن هذا موجود وبقوة على الساحة، ولكن نريد أن نركز على النواقص والجوانب التي اعتراها التقصير في الخطاب، وكذلك إيجاد أساليب جد يدة لمخاطبة الناس. ونشخص هنا بعض المعالجات (الشكل 4–4).

1. لعل أبرز معلم من معالم هذا النمط من الخطاب يتأتى من خلال استفزاز المقابل مهما كان توجهه الفكري في محاولة جذبه لطريق الحق من خلال الاهتمام بحل مشاكله الاجتماعية منها والأسرية والمجتمعية والسياسية والاق تصادية والأخلاقية والسلوكية بتقديم نموذج إسلامي للحل يجعله يدين لهذا الدين لأنه أحسن إليه، وقد قيل (إن الإنسان مجبول على حب من أحسن إليه). أي بمعنى أدق تبيان استنباط الحلول من القرآن الكريم والسنة المطهرة في المشاكل الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية والأخلاقية الدولية والمحلية التي تجتاح العالم اليوم، أي إسقاط الحلول الإسلامية على ميدان الواقع وما يعانيه العالم اليوم من أزمات كي يعلم الآخر أن إسلامنا هو حقاً دين كل زمان ومكان تطبيقاً لا شعارات وتنظيرات

مجردة وخطب رنانة يكتفى بالوقوف عند حدودها دون إيجاد النموذج المطلوب على أرض الواقع . فعلى سبيل المثال لو أردنا أن نجعلهم متعايشين مع القرآن والسنة علينا أن نجعلهم يتحسسون سبب نزول الآية التي نزلت في حداثة ما بما يعني أن تلك الحداثة كانت سبباً في تدخل السماء وعليه فهي مهمة جداً بل وخطيرة، ومن هنا ننطلق لمفهوم إسقاط حالات مشابهة من الواقع على تلك الأمثلة ونقزل للناس أن تلك الأحداث لو كان هناك وحي لنزلت فيها آيات كتلك التي نزلت في شبيهتها وقت الدعوة المباركة لنجرك فيهم لغة التواصل والإحساس ونزيل جليد البلادة والصلادة عن القلوب التي أثرت فيها الحياة العولمي ة فجعلتها تصدأ أو هي قريبة من ذلك.

2. بالنسبة لخطاب الذات مثلاً وأقصد به خطاب المسلمين هناك نقص واضح في النموذج الراهن في البرامج والكتب والمحاضرات الدعوية، بمعنى إن التركيز على قصص السلف، وإن كانت مهمة، لكنها تجعل المتلقي يعيش في عالم ليس عالمه، وبالتالي علينا أن نكون دعاة محللين للواقع ويستلهمون قصص واقعية من عصرنا الراهن ليشعر المتلقي أن الخير موجود ليس فقط في عهود الخيرية الأولى ولكن في عهود نحن جز ء منها اليوم وغداً وبالتالي يزداد عند المتلقي اليقين والأمل في خيرية هذه الأمة وأن فيها الخير إلى يوم القيامة . إن هذه الدرر والكنوز من قصص الواقع المعاش تبعث الأمل وتعطي الدفعات الروحية أكثر من قصص السلف التي وإن كانت مؤثرة فهي بعيدة عن واقعنا اليوم . أما ذكرها من باب التذكير ضمن إطار الذكر العام لقصص واقعية معاشة فهو مطلوب من وجهين فهو ذكرى تنفع المبتعدين والمخدو عين بزخارف الدنيا وشهواتها وملذاتها كي يعودوا لرشدهم من جهة، ومن جهة أخرى هو تواصل حضاري لتبيان عظمة التأريخ وإسقاطه على الواقع . إن علينا أن نشرك الناس ونستبين قصص واقعية منهم في معان سامية كأثر الصدقات في حياتهم وأثر البركة والدعاء والرزق الحلال والاستقامة وغير ذلك من المعاني الخلقية الرفيعة . وهناك مثل مهم جداً

أراه والله أعلم من أهم مرتكزات الدعوة الحديثة في المجال الوعظي العقائدي، وهو أن الأصنام بصيغتها المادية في أمتنا قد ولّت لغير رجعة وليس لها اليوم أثر أبداً فلا نجد اليوم في أمة المسلمين من يسجد لصنم حجري أو خشبي أو غيره والعياذ بالله، إنما هناك الأصنام المعنوية كالنفس والشهوات والملذات والملهيات والدنيا والمال والطواغيت والجبابرة وما شاكل، وهذه الأصنام لا يسجد لها تعبداً بل نجد بعض الناس مطيعين متذللين لها فهي تحكم تصرفاتهم وسلوكهم . وهنا واجب الدعاة والوعاظ أخذ العبرة من آيات التوحيد وإسقاطها على واقع الأصنام المعنوية وليس على واقع الأصنام المادية في عصر التنزيل لأنها لم تعد موجودة اليوم وبالتالي فالحديث عنها بشكل مجرد لا يترك في النفس أثراً لأن المتلقي لا يجدها أمامه كحالة معاشة بل هي من الأمور التي حسمت وانتهت، وهذا لعمري مصداق حديث الحبيب عليه الصلاة والسلام في حديث الدنيا الذي أخرجه أهل السنن ومنهم أهل الصحاح : فعن عروة ابن الزبير عن المسور بن مخرمة أنه أخبره أن عمرو بن عوف الأنصاري وهو حليف لبني عامر بن لؤي وكان شهد بدرا أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافت صلاة الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم وقال: (أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء)، قالوا أجل يا رسول الله، قال: (فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)[1]. وهناك أحاديث أخرى في نفس هذا الباب.

---

(1) صحيح البخاري [جزء 3 – صفحة 1152 ، رقم 2988]، وجاء بأرقام 3791، 6061. وأخرجه مسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق رقم 2961. (فوافت) من الموافاة أي أتوا وحضروا . (أجل) نعم. (تبسط

3. نقص آخر في الخطاب الدعوي للذات وهو إصرار الدعاة والوعاظ على وجوب استنساخ نماذج أجيال الخيرية [(1)] من السلف الصالح وهم يعلمون قبل غيرهم أن ذلك لا يمكن تحقيقه فـي عالم اليوم ، بل أتجرأ على القول بأن أدعي أن أولئك الدعاة أنفسهم لا يمكنهم عمل وفعل أولئك الأماجد من السلف إلا من رحم ربي فكيف بعامة الناس ممن يستمع إليهم !. والسبب، والله أعلم، لأن أولئك الأخيار من الصحابة قد رأوا النور بأم أعينهم وتشبعوا به وتربوا على يدي ه عليه الصلاة والسلام فتأثروا به كما لم يتأثر به أحد بعدهم ومن ثم أثروا في من بعدهم من التابعين وتابعيهم، فكان أن صدقوا وصبروا وصابروا وتوكلوا ف وفقهم الله تعالى لذلك واصطفاهم لفعل كل تلك المآثر ، بينما في عالمنا اليوم نجد اختلافاً كلياً عن عالم الأمس، فـأغلب الناس وعوامهم لا يطيقون فعل أولئك الصالحين الأتقياء الأبرار الأخيار في العبادات والمعاملات والتحمل والصبر في البأساء والضراء وحين البأس، فكيف يطيقون فعل النبي عليه الصلاة والسلام وخصوصاً صبره وعباداته بأبي هو وأمي ونفسي ؟!. لذلك لا يطلب منهم القيام بتلك ا لأعمال على وجه التكرار والاستنساخ بل يحض على التشبه بها والقيام والاستزادة بما يمكن منها وبما يدوم كل حسب ظرفه وقوة بدنه ووضعه وحاله كي ينال الأجر بإذن الله

) يوسع لكم فيها. (فتنافسوها) من التنافس وهو الرغبة في الشيء والانفراد به مأخوذ من الشيء النفيس الجيد في نوعه والذي يرغب فيه . (تهلككم) تجركم إلى الهلاك بسبب التنازع عليها والركون إليها والاشتغال بها عن الآخرة.

(1) أجيال الخيرية هم جيل الصحابة والتابعين وتابع التابعين كما فسره أهل العلم عن الحديث المشهور عن النبي عليه الصلاة والسلام الذي صح في كتب السنن. فعن عبيدة السلماني عن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خير أمتي القرن الذين يلوني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته).. أنظر صحيح مسلم [جزء 4 – صفحة 1962، رقم 2533]. قال: ولم يذكر هناد القرن في حديثه وقال قتيبة ثم يجئ أقوام .. ومعنى الحديث كما في شرح النووي على مسلم برقمه : (خير أمتي القرن الذين يلوني) اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم واختلف في المراد بالقرن والصحيح أن قرنه الصحابة والثاني التابعون والثالث تابعوهم (تسبق شهادة أحدهم يمينه) هذا ذم لمن يشهد ويحلف مع شهادته ومعنى الحديث أنه يجمع بين اليمين والشهادة فتارة تسبق هذه وتارة هذه.

تعالى. والسبب أن الطلب من الناس بالقيام بذلك كما كان يقوم به السلف الصالح لا يمكن إدراكه أبداً – إلا ما رحم ربي ووفقه الله لذلك من أصحاب الهمم العالية وقليل ما هم– وما لا يدرك كله لا يترك جله كما يقول أهل الفقه.

ولعلنا نبين بعض الأدلة في ذلك مما يبين أننا مهما عملنا لا يمكن أن نصل لفعل الصحابة عليهم رضوان الله تعالى فكيف بفعل النبي عليه الصلاة والسلام؟ ! وأن إصرار بعض الدعاة والوعاظ – هداهم الله – على استمرار تقريع الناس ولومهم قد يدخل، والله تعالى أعلم، في باب التقنيط والفتنة . وأرجو أن لا يساء فهم مقصد هذه النقطة على أنها دعوة للتساهل بالعبادة وترك الناس على هواهم وإنما هي من باب التبشير والتيسير على الناس وتقدير حال ضعيفهم وسقيمهم وصغيرهم ورفقاً بشيوخهم وقواريرهم وكذلك من باب عدم تحقير فعلهم مهما صغر أو توبيخ عملهم مهما حقر لأنه من يفعل مثقال ذرة خيراً يره كما بين لنا تعالى في كتابه الكريم . أدناه أدلة من القرآن والسنة على صحة منهج التشجيع والتبشير لا التقنيط والتثبيط والتحقير، وأن فعل النبي عليه الصلاة والسلام وسنته العصماء إنما كانت للتشبه ومحاولة التقليد على قدر الاستطاعة وليس تطبيق الفعل كما هو لأن حال وقوة وخُلُق النبي عليه الصلاة والسلام خارج قدرة الناس على التطبيق مهما حاولوا ومهما أرادوا:

أ –يقول تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل:125), ويقول تعالى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (التغابن:16).. يبين أهل التفسير وعلوم القرآن معنى قوله تعالى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ..) وهي مرتبطة بقوله تع الى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران:102). فقد روي عن أنس أنه قال : لا يتقي الله العبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقد ذهب

سعيد بن جبير وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي وغيرهم إلى أن هذه الاية منسوخة بقوله تعالى : { فاتقوا الله ما استطعتم } وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : { اتقوا الله حق تقاته } قال : لم تنسخ ولكن { حق تقاته } أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وقوله تعالى : { ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه فعياذا بـا لله من خلاف ذلك [1]. وعن سعيد بن جبير في قوله : { اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } قال : لما نزلت هذه الاية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الاية تخفيفا على المسلمين { فاتقوا الله ما استطعتم } فنسخت الاية الأولى وروي عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقوله تعالى : { واسمعوا وأطيعوا } أي كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلفوا عما به أمرتم ولا تركبوا ما عنه زجرتم . وقوله تعالى : { وأنفقوا خيرا لأنفسكم } أي وابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم يكن خيرا لكم في الدنيا والاخرة وإن لا تفعلوا يكن شرا لكم في الدنيا و الاخرة وقوله تعالى : { ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون } تقدم تفسيره في سورة الحشر وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الاية بما أغنى عن إعادته

([1]) تفسير ابن كثير [جزء 1 - صفحة 514].

ههنا ولله الحمد والمنة وقوله تعالى : { إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم } أي مهما أنفقتم من شيء فه و يخلفه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيحين أن الله تعالى يقول : من يقرض غير ظلوم ولا عديم ولهذا قال تعالى يضاعفه لكم كما تقدم في سورة البقرة { فيضاعفه له أضعافا كثيرة } { ويغفر لكم } أي ويكفر عنكم السيئات ولهذا قال تعالى : { والله شكور } أي يجزي على القليل بالكثير { حليم } أي يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات[1].

وذكر المفسرون أنه لما نزلت هذه الآية : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران:102)، قالوا : يا رسول الله من يقوى على هذا ؟ وشق عليهم فأنزل الله عز وجل : { فاتقوا الله ما استطعتم } [التغابن : 16] فنسخت هذه الآية عن قتادة و الربيع و ابن زيد قال مقاتل : وليس في آل عمران من المنسوخ شيء إلا هذه الآية وقيل :إن قوله : { فاتقوا الله ما استطعتم } بيان لهذه الآية والمعنى : فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم وهذا أصوب لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع والجمع ممكن فهو أولى وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : قول الله عز وجل { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته } لم تنسخ ولكن { حق تقاته } أن يجاهد في سبيل الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا بالقسط ولو على أنفسكم وأبنائكم قال النحاس : وكل ما ذكر في الآية واجب على المسلمين أن يستعملوه ولا يقع فيه نسخ [2]. ولا خلاف بين السلف من أهل العلم بتأويل القرآن أن هذه الآيات نزلت بسبب قوم كفار تأخروا عن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام بتثبيط أولادهم

([1]) تفسير ابن كثير [جزء 4 – صفحة 482].

([2]) تفسير القرطبي [جزء 4 – صفحة 154].

إياهم عن ذلك حسب ما تقدم وهذا كله اختيار الطبري وقيل : { فاتقوا الله ما استطعتم } فيما تطوع به من نافلة أو صدقة فإنه لما نزل قوله تعالى : { اتقوا الله حق تقاته } اشتد على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى تخفيفا عنهم : { فاتقوا الله ما استطعتم } فنسخت الأولى قاله ابن جبير قال الماوردي : ويحتمل إن لم يبث هذا النقل أن المكره على المعصية غير مؤاخذ بها لأنه لا يستطيع اتقاءها[1].

ب –عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا (فيما استطعتم) [2]. والمعنى عند الشراح : (على السمع والطاعة) أن أسمع وأطيع فيما أومر به من المعروف . (فيما استطعتم) فيما يكون في طاقتكم ووسعكم قاله صلى الله عليه وسلم إشفاقاً عليهم ورحمة بهم [3].

ت –عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) [4]. والمعنى كما عند الشراح : (ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) المراد أن القليل الذي أنفقه أحدهم أكثر ثواباً من الكثير الذي ينفقه غيرهم وسبب ذلك أن إنفاقهم كان مع الحاجة إليه لضيق حالهم ولأنه كان في نصرته صلى الله عليه وسلم وحمايته غالباً ومثل إنفاقهم في مزيد الفضل وكثير الأجر باقي أعمالهم من جهاد وغيره لأنهم الرعيل الأول الذي شق طريق الحق والهداية والخير فكان لهم فضل السبق الذي لا يداينه

---

(1) تفسير القرطبي [جزء 18 – صفحة 128].

(2) صحيح البخاري [جزء 6 – صفحة 2633، رقم 6776]. وأخرجه مسلم في الإمارة باب البيعة على السمع والطاعة فيما استطاع رقم 1867.

(3) انظر فتح الباري وشرح النووي على مسلم.

(4) صحيح البخاري [جزء 3 – صفحة 1343، رقم 3470]. وقال: تابعه جرير وعبد الله بن داود وأبو معاوية ومحاضر عن الأعمش.. وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم رقم 2540.

فضل إلى جانب شرف صحبتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلهم نفوسهم وأرواحهم رخيصة دفاعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصره لدينه . والنصيف هو النصف [1]. ومن الحديث يتبين أن أولئك الأخيار إنما اصطفاهم الله ووفقهم لكل تلك الأعمال الجليلة ولا يمكن لكائن من كان في عالم اليوم أن يصل مرتبتهم أو يداني منزلتهم أو أن يدعي أننا رجال كما هم رجال، وبالتالي فإن الاقتداء بهم إنما من باب التشبه وليس من باب تكرار النمط أبداً.

ث -كان أبو هريرة يحدث : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم) [2].

ج -عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: أقبل رجل بنا ضحين وقد جنح الليل فوافق معاذا يصلي فترك ناض حه وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء فانطلق الرجل وبلغه أن معاذاً نال منه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه معاذاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم (يا معاذ أفتان أنت)، أو (فاتن)، ثلاث مرات ، فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة، أحسب في الحديث[3].. والمعنى: كما يقول المفسرون: (بناضحين) مثنى ناضح وهو ما استعمل في سقي الشجر والزرع من الإبل . (جنح الليل) أقبل بظلمته. (أقبل إلى معاذ) أي فاقتدى به ليصلي . (فانطلق الرجل) فارقه ولم يتم صلاته معه . (فلولا صليت) فهلا قرأت في

---

(1) انظر فتح الباري وشرح النووي على مسلم.

(2) صحيح مسلم [جزء 4 – صفحة 1829، 1337].

(3) صحيح البخاري [جزء 1 – صفحة 249، رقم 673]، وجاء كذلك برقم 668. قال أبو عبد الله وتابعه سعيد بن مسروق ومسعر والشيباني . قال عمرو وعبيد الله بن مقسم وأبو الزبير عن جابر قرأ معاذ في العشاء بالبقرة. وتابعه الأعمش عن محارب.

صلاتك. (أحسب في الحديث) في نسخة (أحسب هذا في الحديث) أي قوله (فإنه يصلي...). وقائل أحسب هو شعبة الراوي عن محارب[1].

ح عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) [2].. والمعنى عند الشراح: (بشروا) من البشارة وهي الإخبار بالخير. (ولا تنفروا) بذكر التخويف وأنواع الوعيد [3].

خ –عن أبي سعيد رضي الله عنه : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تواصلوا فأيكم إذا أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر). قالوا فإنك تواصل يا رسول الله قال (إني لست كهيئتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقين)[4]. والمعنى المقصود حول تواصل الصيام دون إفطار كما ذكر أهل العلم. (حتى السحر) قبيل الصبح أي وليفطر قبل طلوع الفجر . (كهيئتكم) حالكم وصفتكم من حيث القرب من الله تعالى وما يحصل لي من الفيض الإلهي والغذاء الرباني [5]. وفي لفظ آخر عند البخاري ومسلم: عن عائشة رضي الله عنها قالت: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم فقالوا إنك تواصل قال : (إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقين)[6].

د –عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل في حجرته وجدار الحجرة قصير فرأى الناس شخص النبي صلى الله عليه وسلم فقام أناس يصلون بصلاته فأصبحوا فتحدثوا بذلك فقام ليلة الثانية فقام

---

(1) انظر شرح الحديث في فتح البري برقمه.

(2) صحيح البخاري [جزء 1 – صفحة 38، رقم 69] وجاء برقم 5774 كذلك. وأخرجه مسلم في الجهاد والسير باب في الأمر بالتسير وترك التنفير رقم 1734.

(3) أنظر شرح الأحاديث بأرقامها في فتح الباري وشرح النووي على مسلم.

(4) صحيح البخاري [جزء 2 – صفحة 693، رقم 1862]، وجاء كذلك برقم 1866

(5) انظر شروح الحديث في فتح الباري برقهه.

(6) صحيح البخاري [جزء 2 – صفحة 693، 1863]. وأخرجه مسلم في الصيام باب النهي عن الوصال في الصوم رقم 1105.

معه أناس يصلون بصلاته صنعوا ذلك ليلتين أو ثلاثاً حتى إذا كان بعد ذلك جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج فلما أصبح ذكر ذلك الناس فقال :(إني خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل) [1]. قال الشراح: (حجرته) إحدى حجرات أزواجه أي مساكنهن وقيل احتجرها في المسجد من حصير. (فقام ليلة الثانية) أي الليلة الثانية من باب إضافة الموصوف إلى صفته [2].

ذ -عن عاصم بن ضمرة قال : سألنا علياً عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من النهار ؟ فقال إنكم لا تطيقون ذاك ، فقلنا من أطاق ذاك منا فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانت الشمس من ههنا كهيئتها من ههنا عند العصر صلى ركعتين وإذا كانت الشمس من ههنا كهيئتها من ههنا عند الظهر صلى أربعاً وصلى أربعاً قبل الظهر وبعدها ركعتين وقبل العصر أربعاً يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبيين والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين[3].

ر -عن بن أبى مليكة ان بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا أعلمها إلا حفصة سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إنكم لا تطيقونها قالت { الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم } تعني الترتيل[4].

ز -عن أبي سلمة عن عائشة قالت : كان لنا حصير نبسطه بالنهار ويتحجره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل فيصلي فيه فتتبع له ناس من المسلمين يصلون بصلاته فعلم بهم فقال : اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن

---

(1) صحيح البخاري [جزء 1 – صفحة 255 ،رقم 696]. وجاء كذلك بأرقام: 697، 822، 1077، 1907، 1908، 5523.

(2) انظر فتح الباري.

(3) سنن الترمذي [جزء 2 – صفحة 493، رقم 598].. قال الشيخ الألباني : حسن. وذكره بعض أهل السنن، فجاء في المعجم الأوسط [جزء 9 – صفحة 130، رقم 9328]، وقال عنه: لم يرو هذه الأحاديث عن عبد العزيز بن أبي رواد إلا ابنه تفرد به حريز بن المسلم.

(4) مسند أحمد بن حنبل [جزء 6 – صفحة 286، رقم 26494]، تعليق شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره.

الله لا يمل حتى تملوا وكان أحب الأعمال إليه ما ديم عليه وإن قل وكان إذا صلى صلاة أثبتها ، هذا حديث عبد الجبار . وقال سعيد بن عبد الرحمن : فسمع به ناس فصلوا بصلاته وزاد وقال رسول الله : إني خشيت أن أؤمر فيكم بأمر لا تطيقونه[1].

س –عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على رهط من أصحابه وهم يضحكون فقال : (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) فأتاه جبريل فقال : إن الله يقول لك : لم تقنط عبادي ؟ قال : فرجع إليهم فقال : (سددوا وقاربوا وأبشروا). قال أبوحاتم رضي الله عنه : (سددوا) يريد به : كونوا مسددين والتسديد لزوم طريقة النبي صلى الله عليه وسلم واتباع سنته وقوله : (وقاربوا) يريد به : لا تحملوا على الأنفس من التشديد ما لا تطيقون وأبشروا فإن لكم الجنة إذا لزمتم طريقتي في التسديد وقاربتم في الإعمال [2].

ش –عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا قوم كتب عليكم الحج فقال الأقرع بن حابس : أكل عام يا رسول الله فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : لا بل حجة واحدة ثم من حج بعد ذلك فهو تطوع ولو قلت نعم لوجبت عليكم ثم إذا لا تسمعون ولا تطيقون [3]. وعن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا)، فقال رجل أكل عام ؟ يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم)، ثم قال: (ذروني ما تركتكم

---

(1) صحيح ابن خزيمة [جزء 3 – صفحة 61، رقم 1626]، قال الألباني : إسناده حسن صحيح.

(2) صحيح ابن حبان [جزء 1 – صفحة 319، 113]، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

(3) المستدرك [جزء 1 – صفحة 643، رقم 1728].. وقال عنه الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه) (1).

ص عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل بقدر يقال لها الكفيت فأكلت منه ا أكلة فأعطيت قوة أربعين رجلاً في الجماع (2). وعن بن طاوس عن أبيه قال : أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلاً في الجماع (3). والحقيقة أن قوة النبي عليه الصلاة والسلام تعدل أربعين رجلاً ليس في الجماع حسب بل في كل شؤون الحياة في الحرب والسلم ومنها بل وعلى رأسها العبادات ولا يمكن لأحد أن يؤتى مثل قوته عليه الصلاة والسلام التي وصفت من قبل الصحابة عليهم رضوان الله تعالى أنهم كانوا يلوذون به عليه الصلاة والسلام عند اشتداد الخطب وحمي وطيس المعارك لقوته وبأسه وشدته، حتى أنه عليه الصلاة والسلام مسك بتلا بيب عمر في دار الأرقم يوم إسلامه ورفعه عن الأرض حاضاً إياه على دخول دين الله تعالى، في وقت كان أشجع الناس لا يقوى على مواجهة عمر رضي الله عنه لقوته وهيئته وهيبته فقد كان طويل القامة شديد البأس والقوة (4).

---

(1) صحيح مسلم [جزء 2 – صفحة 975، رقم 1337].

(2) حلية الأولياء [جزء 8 – صفحة 376]، وقال: غريب من حديث صفوان تفرد به وكيع.

(3) مسند الحارث – زوائد الهيثمي [جزء 2 – صفحة 877، رقم 943].

(4) القصة عن إسلام عمر رضي الله عنه معروفة ، فقد جاء في مختصر سيرة الرسول [جزء 1 – صفحة 67] عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك إما عمر بن الخطاب أو أبي جهل بن هشام فكان أحبهما إلى الله : عمر رضي الله عنه. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه قال لعمر رضي الله عنه : لم سميت الفاروق ؟، فقال : أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ثم شرح الله صدري للإسلام ، وأول شئ سمعته من القرآن ووقر في صدري : { الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى }، فما في الأرض نسمة أحب إلي من نسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألت عنه ؟، فقيل لي : هو في دار الأرقم، فأتيت الدار – وحمزة في أصحابه جلوساً في الدار ورسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت – فضربت الباب فاستجمع القوم ، فقال لهم حمزه : ما لكم ؟ فقالوا : عمر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ بمجامع ثيابي ثم نترني نترة لم أتمالك أن وقعت على ركبتي ، فقال : ما أنت بمنته يا عمر !؟، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل

ض –بل تأمل في رحمة النبي عليه الصلاة والسلام ورفقه ب   أمته وقبوله بموضوع (الطاعة على قدر الاستطاعة)، عندما شكي إليه رجل لا يصلي الفجر إلا بعد شروق الشمس فرضي بذلك لسبب، ولم يوبخه أو يعنفه إنما قبل منه عذره، وكان العذر ليس مرضاً بل هو عادة عند قوم الرجل وعشيرته فهو من قوم لا يملكون أمر أنفسهم في النوم أي أنهم   ذوي نوم ثقيل لا يوقظهم إلا حر الشمس. فعن أبي سعيد قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده فقالت: يارسول الله إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ويفطرني إذا صمت ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، قال وصفوان عنده، قال فسأله عما قالت فقال: يارسول الله أما قولها يضربني إذا صليت فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها، قال فقال " لو كانت سورة واحدة لكفت الناس "، وأما قولها يفطرني فإنها تنطلق فتصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: " لاتصوم امرأة إلا بإذن زوجها "، وأما قولها إني لا أصلي حتى تطلع الشمس فإنا أهل بيت قد عرف لنا ذاك لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس، قال: " فإذا استيقظت فصل "[1]. ولا يظننَّ أحدٌ أن في ذلك دعوة للتساهل في الصلوات وأداءها، حاشا لله، إنما هي دعوة للتخفيف على

المسجد، فقلت : يا رسول الله ! ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا ؟ ، قال : بلى، فقلت : ففيم الاختفاء ؟، والذي بعثك بالحق لنخرجن، فخرجنا في صفين : حمزة في صف وأنا في صف – له كديد ككديد الطحن – حتى دخلنا المسجد، فلما نظرت إلينا قريش أصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها قط ، فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفاروق. وقال صهيب : لما أسلم عمر رضي الله عنه جلسنا حول البيت حلقاً فطفنا واستنصفنا ممن غلظ علينا.

(1) الحديث في سنن أبي داود [جزء 1 – صفحة 746 ، رقم 2459]، قال أبو داود رواه حماد يعني ابن سلمة عن حميد أو ثابت عن أبي المتوكل، و قال الشيخ الألباني : صحيح. وجاء في صحيح ابن حبان [جزء 4 – صفحة 354 ، رقم 1488]. وذكره صاحب المستدرك [جزء 1 – صفحة 602، رقم 1594] وقال عنه الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

الناس ودعوتهم للحق من باب الرفق بالنفوس لا م ن باب الطرق على الرؤوس.

وإذن الطاعة على قدر الاستطاعة وهي مرتبطة بقابلية الناس البدنية و الصحية والنفسية وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والسياسية والتربوية، ولا يمكن أن نطلب من الناس أن يكونوا كمثل أولئك الأفذاذ من صحابة المصطفى عليه الصلاة والسلام من الذين اصطفاهم الله واختارهم لتلكم المهمة الجليلة ولا حتى التابعين وتابعيهم رضي الله تعالى عليهم أجمعين لاختلاف الظروف تماماً بين الحالتين. ومن كل تلك الأحاديث تستنتج أن على الدعاة والوعاظ أن لا يشددوا على الناس وأن يرفقوا بهم ولا يطلبوا منهم أكثر من طا قتهم فإن الناس بين وليٍّ وكادحٍ ومسؤول وبين عاجزٍ ومريضٍ ومبتلى، والزمن يجري كجري الرحى في زمن عولمي طاحن دون رحمة .. فاستمرار مطالبة الأخوة الدعاة باستنساخ نماذج الأمة من السلف الصالح والتركيز على ما كانوا عليه من عبادات راقية فذة لا يمكن الوصول إليها – إلا برحمة الله وتوفيقه – قد يؤدي بالنتيجة لنفور الناس من كثرة الطَرْقِ على رؤوسهم من أن عملهم وفعلهم التعبدي القليل لا يساوي شيئاً عند الله تعالى لأنه لا يرتقي لفعل السلف، وبالتالي سيولد لديهم شعوراً بالإحباط والتثبيط لأنهم مهما فعلوا لن يصلوا لأولئك ولن يقدروا على الإتيان بمثله وبالتالي لن ينالوا رحمة الله تعالى وغفرانه وعفوه وفوزه وجنانه، فلهؤلاء الناس طاقة محددة إذا ما استنزفت فسينقلب الأمر إلى ضده، إنما هو التسديد والمقاربة، والله تعالى أعلم.

فنقول للناس إذن : من أراد خيري الدنيا والآخرة والفردوس الأعلى وم رافقة الحبيب عليه الصلاة والسلام وأن تكون له روح شفافة تمكنه من زمنه فيجتاز بها حواجز زمنه الضيقة الخانقة جراء ضغوط الحياة المعاصرة وتنطلق به إلى أزمنة كونية رحبة شفافة رقراقة عليه بالتأسي بما كان يفعله أهل الهمم العالية من السلف الصالح في عباداتهم وأعمالهم وسلوكهم، وإلا ليكن تقليدياً في عبادته وأعماله لكنه

لن ينال تلك المراتب الدنيوية والجوائز الأخروية التي بينتها آيات الله تعالى في حق أهل الحظ العظيم : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ ﴾ [فصلت: 35]، والله تعالى أعلم.

4. كذلك في مجال الخطاب الدعوي للذات أن نخاطب الناس من خلال مشاكل يعانوها ومحاولة إيجاد الحلول لها من خلال استنباط تلك الحلول من الشرع الحنيف وكذلك من الخلق العام لأن الناس جبلوا على حب من أحسن إليهم.

5. يجب كذلك التركيز على مخاطبة النواحي الوجد انية في النفس البشرية سواء في مخاطبة الذات أو مخاطبة الآخر، لأن تلك النواحي تشترك بها البشرية جمعاء بغض النظر عن اللون والجنس والعمر والدين واللغة ، خصوصاً وعالمنا اليوم عالم مادي نكاد تلك المناحي الجميلة ان تنقرض فيه بسبب سيطرة المادة وغلبة المصلحة وشيوع ا لشهوات والملذات القاتلة للروح والوجدان . ومن تلك النواحي مثلاً التركيز على بر الوالدين والإحسان إليهما ، إشاعة مبدأ التعاون والتكافل ومعاونة الفقير والمحتاج ، وحسن معاملة الطفل ، والتلطف والتحنن مع المرأة، إكرام الضيف، حسن التعامل مع الجار، الرفق بالحيوان، الاهتمام بالبيئة والمحيط وغير ذلك من معان وقيم جميلة. ولعل الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة فضلاً عن القصص في تراثنا الإسلامي المتعلقة بتلك الأنماط كثيرة جداً تدمع لها العيون وتفيض لها المشاعر وتتدفق لها الأحاسيس الوجدانية لما فيها من عبر جميلة فياضة بالحب السامي الجليل والإيثار.

6. أما في حالة خطاب الآخر : فقد قلنا في فصل سابق أن علينا أن نفهم كيف يفكر الغرب وهل هو فرقة واحدة أم فرق، علينا بتفكيك الأمر لنعطي لكل فرقة دوائها، فهناك المتعصب لقوميته، وهناك المتعصب لدينه، وهناك المتعصب لإلحاده، وهناك العلماني والوسطي والعلمي وغير ذلك من تقسيمات.. وكي نخاطب الجميع فنحن أمام أمرين أما أن نخاطب كل فئة بما تفهم، أو أن نجد المشتركات بين

الجميع لنخاطبهم بلغتهم. وليس من لغة عصرية نخاطب بها أهل الغرب على اختلاف مللهم ونحلهم لنجعلهم يفهموا عظمة الإسلام من أن نخاطبهم بأسلوب دعوي عصري لنوصل لهم العلم الشرعي والعلوم الأخرى. وكمثل على هذا تقوية العلماء في مجالات الحوارات المقارنة مع الأديان الأخرى أو الفلسفات والأفكار الوضعية بل وحتى العقائد الفاسدة تماماً كما فعلت وأثرت محاضرات الدعاة المسلمين من الهند وجنوب أفريقيا مثل أحمد ديدات – رحمه الله تعالى– والدكتور ذاكر ومناظراتهم مع المتعصبين لدينهم من أهل الكتب المقدسة كالتوراة والإنجيل أو أهل العقائد الفاسدة كالبوذيين والهندوس من جهة، وأهل العلوم الطبيعية من جهة أخرى.

7. في جميع الأ حوال هناك ضرورة ملحة وهي أن يكون الداعية متسلحاً بعلوم عصرية عديدة الأمر الذي يربطنا بالنقطة الأولى وهي نقطة التعليم وطلب العلم والحث عليه فأول العلم الاستماع كما يقولون . والتسلح بعولم عصرية وفقه الواقع يجعل من الدعاية قريب من قلوب الناس وعقولهم وأدعى لأن يستمع إليه وينصت فيحصل القبول وتكون النتائج أجود وأفضل.

8. كذلك لا بد من الإشارة هنا إلى ضرورة تكوين معاهد خاصة لإعداد نماذج متميزة من العلماء والمشايخ والدعاة تدخل في دراساتهم العلوم العصرية الطبيعية فضلاً عن علوم الشريعة، ويكون اختيارهم من المتميزين في الدراسات الأولية في الثانويات والإعداديات كي يكونوا مقتدرين في استيعاب تلك العلوم المعقدة دفعة واحدة. النتيجة المرجوة من ذلك هو خلق جيل من العلماء المتمكنين من الإلمام بالحجج والأدلة العلمية التطبيقفية فضلاً عن حججهم الشرعية فيكون تمكنهم من الإقناع أوسع وأكبر.

يقول الدكتور عائض القرني في موضوع طلب العلم والتدبر وال تأمل: [أكْثِرْ من الاطِّلاعِ والتَّأمُّلِ، فإنَّ ممَّا يشرحُ الصدر : كثْرةُ المعرفةِ، وغزارةُ المادّةِ العلميَّةِ، واتِّساعُ الثقافةِ، وعُمقُ الفكرِ، وبُعدُ النَّظْرةِ، وأصالةُ الفهْمِ، والغوْصُ على الدليلِ،

ومعرفةُ سرِّ المسألةِ، وإدراكُ مقاصدِ الأمورِ، و اكتشافُ حقائقِ الأشياءِ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾، ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ ﴾ إنَّ العالِم رحْب الصدرِ، واسع البالِ، مطمئنّ النفْسِ، منشرحُ الخاطرِ).. ثم يضيف قائلاً: (يقولُ أحد مفكّري الغربِ : لي ملفٌّ كبيرٌ في درجِ مكتبي، مكتوبٌ عليه : حماقاتٌ ارتكبتُها، أكتبُه لكلِّ سقطاتِ وتوافه وعثراتٍ أُزاولُها في يومي وليلتي، لأتخلَّص منها . قلت : سبقك علماءُ سلفِ هذه الأُمَّةِ بالمُحاسبةِ الدقيقةِ والتَّنْقيبِ المُضني لأنفسِهم ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾.. وقد قال الحسنُ البصريُّ : المسلمُ لنفسِهِ أشدُّ مُحاسَبَةً من الشريكِ لشريكِهِ. وكان الربيعُ بنُ خُثَيْمٍ يكتُبُ كلامهُ من الجمعةِ إلى الجمعةِ، فإنْ وَجَدَ حسنةً حمِد الله، وإنْ وَجَدَ سيِّئةً استغفر . وقال أحدُ السلفِ : لي ذنبٌ منْ أربعين سنةً ، وأنا أسألُ الله أنْ يغفرهُ لي، ولا زلتُ أُلحُّ في طلبِ المغفرةِ : (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) (المؤمنون:60))].. انتهى قول الأستاذ الفاضل[1].

أما الحديث عن ما هو متبع اليوم فتجد فيه تكرار كثير دون وجود منهجية وتوزيع للأدوار لا على مستوى القنوات الفضائية ومنهجيتها ورسالتها ولا على مستوى الجهد الفردي للدعاة المعاصرين، وهذا خلل يجب الوقوف عنده ومعالحته بما ذكرناه آنفاً أو غيره مما تمتلئ به أفكار أهل الألباب والعقول والفكر.

نموذجين واقعيين للخطاب العصري للذات والآخر

سوف نحاول هنا أن نأخذ مثلين في طريقة استنباط حلول لأزمات عالمية لأن في الموضوع سعة كبيرة لعل الدخول فيها يستلزم منا مجلدات كثيرة لتشعب المشاكل وتنوعها على خريطة العالم بدءاً من المشاكل الشخصية وانتهاء بالأزمات العالمية.

---

(1) لا تحزن، د. عائض القرني، ص 252-253، مكتبة الصحابة- الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين- القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ – 2003م.

سنحاول أن نخوض في تقصير دعاتنا في مشكلتين كبيرتين يتعرض لهما العالم في عصرنا الراهن ويمكننا من خلال طرح الحول الإسلامية لهما الولوج لقلوب وعقول القوم:

1. الأزمة المالية العالمية وتبيان روعة النظام الاقتصادي الإسلامي كبديل ناجح للنظام الرأسمالي الجشع المتطرف أو على أقل تقدير محاولة المزاوجة بينما كمرحلة أولى أخذاً بمبدأ مرحلية وتدرج التغيير.
2. المشكلة البيئية العالمية وتبيان عظمة النظام الإسلامي المتوازن في البيئة وعدم الهدر للطاقات والعدالة في توزيع الثروات واستخدام الطاقات النظيفة الصديقة للبيئة والتكافل الاجتماعي وغير ذلك، بل وتقديم النموذج في ذلك.

هاتين المسألتين (الشكل (4-5) طبعاً تشكلان تداخلاً مع مشاكل أخرى، فلا يمكن الحديث عن النظام الاقتصادي في الإسلام دون الدخول في الحديث عن النظام السياسي والاجتماعي والثقافي، وكذلك الحال بالنسبة لمسألة البيئة وتداخلاتها المتشعبة. فهنالك تداخل وقواسم مشتركة لا بد من التطرق لها ولو على سبيل الاستعراض المفضي للوصول للحل وليس من باب السرد العلمي لأن هذا يتطلب تفاصيل كثيرة.

فمثلاً المسألتين تتعلقان بثقافات وعلوم إسلامية دثرت ولم تعد في مفاهيمنا السائدة اليوم بسبب العولمة ونمط الحياة الغربية المفروضة علينا بحكم قانون الحضارة السائدة والحضارة التابعة. ومن تلك المفاهيم المغيبة الواجب إحياءها:



الشكل (4- 5) نموذجين عصريين للدعوة في الداخل والخارج

- مسألة نظام الحسبة في الإسلام وأدواره الرقابية والاقتصادية والبيئية والاجتماعية [1] [2].
- .مفهوم التكافل وأدواره البيئية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية والاقتصادية وكيف أنه اجتزأ ليحل محله الصدقة والعمل الخيري الذي وإن كان فيه خير كثير ولكن الأمل معول عليه ليعيد ذلك المفهوم الرائع الذي إن طبقنا منه ولو نسبة بسيطة للمسنا التغيير الكبير في حياتنا. ولعل أحد أهم تطبيقاته ما عرف بالوقف ونظامه الرائع في الحضارة الإسلامية الذي مع شديد الأسف لم نعد نجد له أثراً في حياتنا المعاصرة [3] [4].

لعل التنادي بإعادة تلك المفاهيم في مجتمعاتنا وحياتنا وكذلك المجتمعات الغربية من خلال طرحها على نواب البرلمانات الأوربية والمؤثرين في تلك الساحة من المسلمين والليبراليين المعتدلين بل وحتى على المستوى الشعبي في بلاد الغرب يمكن أن يكون بادرة كبيرة في تبنى تلك الأنظمة كنماذج واقعية في حل المشكلات التي نعاني منها جميعاً يعاني منها العالم بما كسبت أيدي الناس لعلهم يرجعون :(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ

---

(1) انظر المحلق – ب – للتعرف على مفهوم نظام الحسبة في الإسلام.

(2) تراجع كتب مهمة في نظام الحسبة الإسلامي تطبيقاته وضوابطه مثل: الحسبة في الحضارة الإسلامية دراسة تاريخية– فقهية في الرقابة على الجودة ا لشاملة، هاشم يحيى الملاح، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ط/1، 2007م.. نظام الحسبة في الإسلام بين التنظير والتطبيق، موسى راضي نصار، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، مجلدين، 2002م.. معالم القربة في أحكام الحسبة، ضياء الدين محمد بن القرشي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط/1، 2001م.. الحسبة، ابن تيمية، ترجمة وتحقيق : صالح عثمان اللحام، دار ابن حزم، ط/1، 2004م.. الحسبة، عبد الحميد فايد، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط/1.. دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب، وزارة التعليم العالي، ط/1، 1988م.

(3) انظر المحلق – ب – للتعرف على مفهوم نظام الوقف في الإسلام .. وانظر كتاب (دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة)، أحمد عبد العظيم الجمل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ط/1.. وكتاب (موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام)، خديجة النبراوي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2006م، ط/1.

(4) تراجع كتب مهمة في النظام الوقفي الإسلامي وتاريخه وضوابطه مثل: الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، سليم هاني منصور، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، 2004م.. نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي، تأليف: مجموعة مؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية تاريخ، ط/1، 2003م.. الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، منذر خلف، دار الفكر المعاصر، ط/1، 2004م.

وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الروم:41)، وبالتالي يدخل الإسلام كنظام حياة معاش وليس مجرد تراث يتذكر.

لكي نبدأ بالتفصيل لتلكما المشكلتين فإننا سوف ن غوص في تحليل العديد من المسائل المتعلقة بها مما يتطلب تركيز واستفاضة ما جعلنا نفضل وضعهما في ملحقين منفصلين كي لا نبتعد عن تسلسل وترابط أجزاء هذا الفصل . وفي تلك الملاحق سنجتهد محاولين وضع الحلول لهاتين المسألتين كنموذج عصري للدعوة قصرنا به أي تقصير وفق مبدأ إسلامي يشكل قاعدة انطلاق دعوية جديدة مبنية على النموذج لا مجرد رفع شعار العودة للقرآن والسنة أو أن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان دون تقديم الدليل المعاش الملموس كي يكون وقعه أقوى وحجته أمضى.

لكن الأمر بطبيعة الحال ينطوي على العديد من الأمثلة الأخرى الاجتما عية والسياسية والثقافية التي ينبغي البحث بها والوقوف عندها والدعوة إلى حلول بديلة من صلب ديننا العظيم لها لما تعانيه مجتماعتنا والعالم بأسره بسبب ثقل قيودها وظلمات تطبيقاتها وجور عاداتها مما يعني أن الكتاب سيأخذ حيزاً كبيراً ففضلنا الاكتفاء بهذين النموذجين وترك الباب مفتوحاً لأمثلة أخرى وجب الوقوف عندها.

أ – الأزمة المالية العالمية وتبيان روعة النظام الاقتصادي الإسلامي كبديل ناجح للنظام الرأسمالي الجشع المتطرف أو على أقل تقدير محاولة المزاوجة بينما كمرحلة أولى أخذاً بمبدأ مرحلية وتدرج التغيير[1].

ب – المشكلة البيئية العالمية وتبيان عظمة النظام الإسلامي المتوازن في البيئة وعدم الهدر للطاقات والعدالة في توزيع الثروات واستخدام الطاقات النظيفة الصديقة للبيئة والتكافل الاجتماعي وغير ذلك، بل وتقديم النموذج في ذلك[2].

---

(1) تفاصيلها في الملحق (ب).

(2) تفاصيلها في الملحق (جـ).

ثالثاً: محور المخاطبة باستخدام الاعجاز العلمي بأنواعه المختلفة

إن كتاب الله الخالد لهو بحق كون مقروء يتعدى حروف الكلمات إلى آفاق كونية رحبة وذلك عبر النظر للآية الواحدة بأكثر من منظار، وخصوصاً تلك التي تحوي قصصاً وأمثلة وإشارات واستشهادات علمية تتعلق بظواهر ومواد وقوانين متعلقة بالبشر والحجر والدواب والبيئة والكون. هذه الآيات تربو على سدس القرآن الكريم حسب تعداد تصريح وتلميح واستنباط الآيات العلمية في الآفاق والأنفس [(1)]، وهي تحوي تفاصيل جديدة وعديدة فهمناها بعد وصولنا لمستوى من الكشف العلمي مكننا من تدبر كلام الخالق بشكل أكثر عمقاً وتبحراً من ذي قبل، فتبين لنا أن هذا القرآن فعلاً قد سبق في التوصيف والتعريف والتصنيف كما سبق في التشريف والتكليف.

إن القرآن الكريم والسنة النبوية يحتويان على مؤشرات علمية ومعرفية يجدر بالباحثين والمتخصصين أن يتعمقوا فيها ويكتشفوها وذلك مصداقا لقول الله تعالى : (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)(النحل: من الآية89)، (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل:102)، (وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) (الاحقاف: من الآية 12)، وقوله تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت:53)، (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (النمل:93)، وقوله تعالى: (لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) (الأنعام:67).

ولقد اقترن الخلق بالعلم وكأن علة الخلق هي العلم، قال تعالى : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْأِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) عَلَّمَ الْأِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)) (العلق)، وقوله تعالى : (الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْأِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ

---

(1) إن عدد الآيات التصريحية التي جاءت في ذكر العلوم الطبيعية بكل أنواعها أكثر من 1000 آية ولو أضيفت لها الآيات التي تلمح لذلك أي التي قد تحمل في معانيها الأمور العلمية فقد يزيد ذلك العدد . وحيث إن عدد آيات الكتاب الكريم هي (6236) آية فإن النسبة تصل إلى السدس.

الْبَيَانَ (4)) (الرحمن).

ثم أمر الناس في الأرض أن يبحثوا ويتعلموا ويتدبروا : قال تعالى : (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) (العنكبوت: من الآية 20)، (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (الأنعام:11)، (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) (النمل:69)، (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) (الروم:42).

نداءات ودعوات للتدبر كثيرة في كتاب الله تعالى : {أولم ينظروا }، { أولم يتفكروا }، { لقوم يعقلون }، { لقوم يعلمون }، { لقوم يتفكرون }، { أفلا تعقلون }، { أفلا تتفكرون }، { أفلا ينظرون }.. وحسبك أن تقرأ هذه الدعوة الصريحة إلى التفك ير { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّ ةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ { ، (سبأ: 46).. : (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)، (يوسف:105).. ويَقُولُ تعالى في نهاية آل عمران (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبلَبِ). وكان عليه الصلاة والسلام إذا قرأها قال ويل لمن قرأها ولم يتدبرها أو كما قال.

يكفي أن نشير إلى أن كلمة (علم) بتصريفاتها المختلفة وردت في عدد من الآيات جاوز السبعمائة والخمسين.. ومن الجدير بالذكر في هذا المجال إن المسلمين هم أول مجموعة في التاريخ البشري جعلت البحث العلمي ممكناً بالصيغة المتعارف عليها الآن وهذا ما يشهد به الغربيون أنفسهم.

ولعل سياحتنا القرآنية توصلنا إلى :

❖ أن القرآن الكريم كتاب عقيدة وإرشاد ومنهج حياة وهو المعجزة الكبرى المتجددة والعلمية لخاتم الانبياء سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) لذلك فقد وردت فيه آيات عديدة تحتوي على إشارات في مختلف العلوم يناهز عددها

(1200) آية أي بنسبة نحو (20%) من المجموع الكلي لعدد آياته البالغة (6236) آية.

- ❖ وردت فى القرآن الكريم أكثر من 70 آية تشجع على العلم والمعرفة والبحث العلمى (النظر والتمعن فى الارض والكون) وتثنى على العلماء والمفكرين.
- ❖ ذكرت كلمة العلم ومشتقاتها فى القرآن الكريم فى 782 موضعا.
- ❖ وجود 36 آية تدعو الى التأمل، التفكر، والتدبر فى القرآن الكريم.
- ❖ الأحكام الكونية (العلمية) فى القرآن الكريم تتعلق بضرورة تفكر الإنسان في هذا الكون وما فيه من الكائ نات الحية والجمادات المسخرة للأنسان لأجل تحقيق غايتين : إحداهما تقوية الإيمان بالله والثانية استثمار خيرات الأرض والانتفاع باكتشافها واكتشاف مخزونات الكون بأسره.

فتأتي لتتدبر تلك الدعوة القرآنية للجهاد بالعلم القرآني في نفس السورة، ولكن أي علم؟! هل هو علم ا لتشريع والحلال والحرام، كلا إنه علم يفهمه كل جيل من أجيال البشرية، إنه علم الخلق والكون والطبيعة والبيئة وكل ما يحيط بنا في الآفاق والأنفس، تدبر قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً (46) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً (47) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً (48) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً (49) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً (50) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً (51) فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً (52) وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً (53) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً (54) [الفرقان: 45–55]. فهنا الأمر بالجهاد في قوله تعالى : (فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً (الفرقان: 52)، جاء في قوله تعالى (به) أي بالقرآن وجاءت وسط سياق عرض لآيات طبيعية كونية في الفلك والرياح والأنواء

والبحار والطب في مراحل خلق الأنسان وغيرها، لذلك يقتضي أن يكون الجهاد المقصود هنا هو الجهاد بالعلم الكوني الطبيعي نفسه وهو ما حفلت آيات الكتاب الكريم به تحدياً لكل متقول خلال جميع مراح ل البشرية منذ وقت التنزيل وحتى قيام الساعة، والله تعالى أعلم.

إن كل تلك النداءات والدعوات الإلهية العظيمة تستدعي التدبر والتفكر المستمر فى هذة المؤشرات لاستنباط حقائق علمية ومعرفية جديدة، عن طريق البحث والتطوير المنظم وفقاً لمنهجية (سيروا – فانظروا) كما فهمها سلفنا الصالح وبيناها في فصل سابق، تسبق العلم الحديث وتنفع البشرية.

لقد بينا في سلسلتنا (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم، وكذلك كتبنا الأخرى مثل (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، (تفصيل النحاس والحديد في الكتاب ال مجيد)، (القرآن منهل العلوم)، (رياضيات التوحيد) وغيرها أن الإسلام بكتاب الله المسطور وسنة حبيبه – صلى الله عليه وسلم– يتطرق إلى تفاصيل هندسية ليست مجردة تعكس ما في كتاب الله المنظور وتطابقه في أمور عديدة مفصلة أحياناً ومذكورة أحياناً أخرى من باب التنبيه والتحذير، وذلك حسب ما مكننا فهمنا القاصر وما جمعته حضارات الشعوب من علوم هندسية في شتى المجالات مثل النظم العددية والإحصائية والرياضية والثوابت الهندسية في مختلف التخصصات والحقائق العلمية الصرفة والتطبيقية وغير ذلك الكثير . وأن هذه التفاصيل الهندسية هي نظرات مكملة للنظرات من مناظر أخرى لغوية كانت أم فقهية أم اجتماعية أم نفسية أم علمية في شتى العلوم لأن هذا القرآن العظيم هو بالضبط مثل الكون العظيم كلٌ ينظر إليه من منظاره ليمتع نظره ويتعلق بحبل الله المتين ليصل الى طريق الله المستقيم الذي يؤدي به الى سعادة الدارين في الدنيا والآخرة.

كذلك هناك طريق آخر للدعوة ضمن هذا الباب وهو ما يتعلق بالكوارث الطبيعية وقوانين ضربها وتدميرها لحضارات عظيمة خلت، وكيف أن القرآن الكريم حدث عن بعضها بالتخصيص وعن بعضها بالتعميم وطلب منا التدبر وفقاً لمنهجية (سيروا

– فانظروا)، وما الدروس المستنبطة من كل ذلك . ولعلنا تطرقنا لذلك بالتفصيل في كتاب جامع هو كتاب (لسنا بمأمن) ومن قبله كتاب (القوانين القرآنية للحضارات) عن دار الكتب العلمية ببيروت . ويمكن تقسيم الإعجاز العلمي لأنواع عديدة كما بيناه في الكتب أعلاه ويوضحه الشكل (4–6).

وهنا نأتي لكيفية استغلال هذه الطريقة الدعوية القرآنية لمخاطبة الذات والآخر وهو ما عرف بأسلوب الدعوة بطريقة الإعجاز العلمي والسردي والقصصي والصوتي وغيره من أنواع الإعجاز[1].

لعل التطرق لهذا الأمر ومحاولة تحليله يجعلنا نفخر لتلك الهبة الكبيرة والحرص والحماس العاليين عند ا لشباب المسلم في استخدام هذه الطريقة لنشر الدعوة إلى الله تعالى ولعل خير دليل على هذا كثرة المنشورات والمطبوعات والمؤلفات والمقالات والمؤتمرات والندوات والتحليلات والمحاضرات والمواقع الإلكترونية التي تتعلق بهذا الموضوع الفردية منها والجماعية والمؤسسية.

لكن المطلوب هو كيف نستخدم هذا الموضوع الخطير في نشر الدعوة على أوسع مطاق وبلسان الأقوام المخاطبين ولا نحصره في لغتنا العربية الكريمة وإنما يجب استخدام الترجمة للكتب والمؤلفات والمنشورات والمحاضرات المرئية والمسموعة وغير ذلك فضلاً عن توسعة النشر الفضائي المرئي والمسموع فهو يغني عن ملايين الكتب وهذا يرتبط بموضوع الإعلام الذي سوف نفصل فيه في الفصل القادم ونحاول وضع مخططات لمشاريعه في الفصل الأخير من هذا الكتاب.

---

(1) تراجع كتبنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم) و (القرآن منهل العلوم) لتبيان أنواع الإعجاز القرآني وصنوف السبق فيه.



الشكل (4-6): بعض صنوف الخطاب الدعوي العلمي باستخدام الإعجازات القرآنية

رابعاً: محور تبيان عظمة الإسلام من خلال المكتشفات والمخترعات والتقنيات من القرآن والسنة وتراث الأمة

لِمَ لا يفكر المرء بأسلوب دعوي جديد؟!، وهو محاولة إحياء ذلك التراث العظيم للفكر الإسلامي في أسلوب الحياة من عبادة ومعاملة وخلق، فيستلهم التعاليم القرآنية الرائعة والهدي النبوي الشريف و تراث السلف الصالح من علماء الأمة الأماجد ليضعها في قالب تقني يتناغم مع تقنيات العصر لينتج منتجات تبين للعالم روعة هذا الدين الكريم . الأمر الذي فعله علماء الأمة من الجيل الذهبي عندما زخرت الأمة بعلماء ومخترعين ومفكرين ومكتشفين وتقنيين وحرفيين وصناعيين كان ل لقرآن والسنة الأثر البارز في وصولهم لذلك الانفتاح الذهني الرائع وتلك المحاكاة لكل ما حولهم كما أمرهم ربهم جل وعلا في كتابه الكريم تماماً كما بينا في كتب كتب سلسلتنا (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادرة عن جائزة دبي للقرآن الكريم.

ولعل أنصع الأمثلة الحية على ذلك ما قام به بعض العلماء الأجلاء من جيلنا الحاضر في مجالات علمية شتى. اكتشاف منظومة الثوابت الهندسية القرآنية كما قام به العبد الفقير وبيناه في كتب عديدة في سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية)، وكذلك في كتبنا الأخرى مثل كتب (المنظار الهندسي للقرآن الكريم) و(تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد). هذا النمط نموذج دعوي يبين روعة القرآن الكريم في نمطه الترتيبي العددي للسورة والآية والكلمة والتي منها اكتشفنا سبق القرآن الكريم لثوابت المواد العلمية والهندسية في كل المجالات الكيميائية، الحرارية، الذرية، الفيزيائية، الإشعاعية، الميكانيكية، الصوتية وغيرها. وكذلك الظواهر كالقوة الحصانية وعدد أفوكادرو شحنات وأوزان الإلكترون والبروتون والنيوترون وتدرج التربة وثوابت الماء والمنظومة الصوتية والسرع الأكبر من الضوء وغير ذلك الكثير.

ولقد رأينا كيف أن هناك أفكار صناعية إسلامية خالصة تساءلنا حول سبب عدم إيلائها الاهتمام المرجو كما في حال صناعة دواء الحبة السوداء والعسل وخلائطه

العلاجية وجراحة الحجامة التي أذهلت العالم، وكذلك صناعة الصابون والأدوات الطبية وغيرها فضلاً عن العديد من الأفكار التي تصلح لاختراعات جديدة مبتكرة من كتاب الله المقروء وسنة حبيبه – عليه الصلاة والسلام– كحال الخلائط القرآنية وأصناف الطاقات في القرآن الكريم التي تحدثنا عنها في كتابي الهندسة الميكانيكية والهندسة الكهربائية من سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم، وغير ذلك من أفكار.

وقد تساءلنا خلال بعض فقرات تلك الكتب : لماذا لا يتبنى مثلاً مشروع إنشاء مراكز بحثية وتصنيع أدوية وعلاجات إسلامية زخرت بها كتب الأمة فضلاً عما ذكر في القرآن والسنة في هذا الأمر بطرق حديثة عصرية تنقل للعالم عظمة هذا الت راث الدوائي والصيدلي والطبي الإسلامي المهم؟ !. وكذلك تساءلنا مرة أخرى لماذا لا يصار لجعل صناعات ميكانيكية وبيئية إسلامية وفق صناعة عصرية بعد فتح مختبرات حديثة لتحليل تلك المواد والخلائط الهندسية ونشر كل تلك البحوث في دوريات علمية عالمية لتتحول تلك البحوث إلى إنتاج صناعي إسلامي خالص ينقل لعالم إرثنا العظيم هذا والذي اعترف به الغرب بعد كل تلك الجهود البحثية المضنية؟!.

كذلك تساءلنا لماذا لا نستغل كل تلك الاكتشافات الإسلامية في مختلف العلوم والصناعات تحدثت عنها آيات الكتاب العزيز وأحاديث الذي لا ينطق عن الهوى، إ ن هو إلا وحي يوحى، وفصل في بعضها علماء هذه الأمة منذ القديم لنوظفها في خدمة ديننا واقتصاد أمتنا؟ ! ولماذا لا تخصص الدول الإسلامية، مثلاً، مراكز بحثية لهذه الأفكار والمباحث التي يتحفنا علماء الغرب بنتائج نجاحاتها المذهلة بينما نظل نحن ننظر للأمر على أنه سبق فقط دون أن نحوله لمنجز صناعي إسلامي نجمع فيه عزي وخيري الدنيا والآخرة، فهو نصر لديننا وخير لأهلنا وصحة للبشرية ودعوة لها كي تعلم كم يولي هذا الدين للبشرية من اهتمام بصحتها وغذاءها وراحتها وسعادتها؟!.

وأسئلة مشابهة حول أمور عديدة سبقنا بها ولكننا لم نستثمره ا لا في الدعوة لديننا والتعريف والصدع به للعالم أجمع ولا في نمو اقتصاد بلداننا التي تظل تراوح في نقاشات عقيمة والعالم من حولها يستغل كل شيء من أجل التقدم والرقي والإمساك بزمام الريادة والقيادة مع أنه لا يملك تراثاً وعلوماً بل كنوزاً عظيمة مثلما نملك نحن.

لذلك يمكن أن نصدع بل ونصدح بحقيقة سبق ودور علماء الإسلام ومكتشفيهم ومخترعيهم في الحضارة الإنسانية وكمثال على ذلك ما تقوم به الإرث الإسلامي في بريطانيا من جهود رائعة وما يصدر عنها من مؤلفات ونشرات ومجلات فضلاً عن موقعها المتميز على الشبكة (1) (□) (3).

لكننا رغم ذلك نجد أن هناك بعض المحاولات الشخصية لبعض الأخوة الأفاضل من أجل تحويل السبق والإعجاز لواقع صناعي التي جاءت أملاً وقبساً من نور في ظلمات ذلك الضياع الذي نعانيه في تخطيطنا من أجل إيجاد مكان لهذه الأمة العظيمة في خارطة السباق العالمي المحموم في عصر تقني صناعي لا يرحم الكسالى والمتواكلين والعاجزين. ولعل أنصع الأمثلة الحية على ذلك ما قام به بعض العلماء من جيلنا الحاضر في مجالات علمية شتى وكالآتي:

1. اكتشاف سرعة الضوء من القرآن الكريم كما قام به الأستاذ الدكتور منصور حسب النبي من مصر.
2. اكتشاف الأمصال البيولوجية من الحشرات المذكورة في القرآن والسنة كما هو حال مصل جناح الذبابة كما بينا في كتاب الهندسة الكيميائية والأحيائية.

---

(1) 1001 Inventions: Muslim Heritage in Our World, Foundation for Sceince Technology and Civilisation, Salim T S Al-Hassani; Chief Editor, Elizabeth Wodcook & Rabah Saoud; Co-Editor, 2nd. Edition, 2005, Mega Basim, Istanbul-Turkey.

(2) http://www.muslimheritage.com.

(3) موسوعة تاريخ العلوم العربية – 3 أجزاء–، مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان، إشراف رشدي راشد، ط/1، بيروت–لبنان، 1997م.

3. اختراع قطرة العين لعلاج الماء الأبيض فيها من قصة سيدنا يوسف – عليه السلام– في القرآن الكريم كما قام به الدكتور عبد الباسط سيد من مصر.

4. اكتشاف الأدوية من عصائر الفواكه القرآنية والنبوية كما هو الحال بـعصائر الرمان والعنب وبقية الفواكه والخضر والنباتات القرآنية والنبوية حسبما جاء في كتب سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) مثل كتاب علوم الهندسة الكيميائية والأحيائية في لقرآن والسنة النبوية.

5. اكتشاف المنظومة الغذائية القرآنية كما قام به الدكتور جميل قدسي الدويك من الأردن.

لقد توصلنا في سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) إلى 280 استنتاج وأكثر من 50 توصية في مجالات علوم وتقنيات هندسية عديدة كلها يمكن تحويلها إلى عمل مؤسسي وبحثي وصناعي يدفع باقتصاد الأمة وقوتها الصناعية وإمكاناتها الهندسية الشيء الكثير . وسوف أبرز أدناه بعض التوصيات ولمن يطلب المزيد العودة للسلسلة الصادرة عن جائزة دبي للقرآن الكريم[1].

1. استمرار البحوث في مجالات حقائق القرآن والسنة في مختلف التخصصات والعلوم الهندسية مما قد يوصلنا لحقائق أخرى دامغة في هذه العلوم المهمة . وهنا لا أريد أن أكرر تقصيرنا في استكشاف هذا الأمر وغيره والاستفادة منه، وهي دعوةٌ إلى الأخوة الباحثين في العلوم الهندسية المختلفة إلى سبر أغوار كتاب الله وسيجدون كل ما يريدونه وأكثر، ففيه الفتوح والكنوز التي لا يحسها إلا الذي يعمل فيها وفيه أنوار وقصص وأخبار وعلوم اكتشفت ولم تكتشف فعسى منهم من يكتشف لنا ما قصرنا به.
2. نوصي باستلهام المصطلحات القرآنية في جميع أنواع الهندسة وعلومها.

---

(1) النص مأخوذ من الكتاب الأخير من سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) وهو كتاب (هندسة الزمن) ويليه الجزء الخاص بالاستنتاجات والتوصيات النهائية.

3. نوصي بالاهتمام بالمصطلحات القرآنية العربية واستخدامها كمصطلحات علمية عالمية تنفع كل الأزمان . كما نوصي بالاهتمام بهذه اللغة العظيمة القادرة على استيعاب أعقد العلوم والتقنيات عكس ما يروجه أعداؤها.
4. تبني الثوابت القرآنية علمياً لأنها الأدق بكل تأكيد.
5. تبني الأفكار والمخترعات والاكتشافات والاستنباطات التقنية القرآنية والنبوية كما بينا في هذا الكتاب والكتب الأخرى من السلسلة وكما هو معلن في مشروع عصرية الدعوة الذي أعلن عنه المؤلف في موقعه على الشبكة العالمية: (http: //khalid-alubaidy.com/).
6. ضرورة استمرار البحوث في موضوع الثوابت القرآنية الشاملة لفهم مدلولاتها وحقائقها التي قد توصلنا مستقبلاً لفك أسرار نسبق بها الأمم فنعوض بعضاً من تقصيرنا اتجاه هذا الكنز العظيم الذي شرفنا به الله تعالى . وهذا يتطلب ضرورة الاستمرار بإجراء البحوث في مجال الثوابت القرآنية الشاملة لفهم أكثر للعلوم الهندسية في مجالاتها المختلفة وبالذات في مجال القوى والإجهادات والأحمال ولغرض اكتشاف ثوابت هندسية وعددية جديدة قد تقودنا لفتح أبواب اكتشافات علمية وسبر أغوار عميقة نسبق بها العالم لنبين لهم عظمة هذا الدين.
7. عمل برنامج حاسوبي خاص يربط بين الثوابت العلمية المختلفة في المواد والظواهر وبين ثوابت القرآن الكريم المختلفة المتعلقة ب التكرار والتسلسل والنسب لمساعدة الباحثين في مواصلة البحوث في هذا المحال.
8. حاجتنا الكبرى لاستلهام المعاني العظيمة التي ثبتها الإسلام في الكتاب والسنة وإرث الأمة العظيم واستنهاض الهمم فنسير على خطى سلفنا الصالح وأجدادنا الأماجد وعلماءنا الأجلاء لبناء مجد الإسلام الهندسي من جديد من خلال العمل الحثيث والبحث المستمر . وكذلك حاجتنا لاستلهام تلك النظرة العلمية الراقية

التي بينها القرآن الكريم والسنة المطهرة وطبقها علماء الأمة من السلف بشكل ساهم في تطوير هذه العلوم وأشاد به المنصفون من علماء الغرب.

9. العمل على البحث وا لتطوير في مجالات البحوث الجيولوجية والمساحية وكذلك في مجالات البحوث المتعلقة بالقوى المختلفة مثل القوى الهوائية كالرياح وطاقاتها والقوى المائية كطاقة المياه والقوى الأرضية المتمثلة بالبحوث الجيولوجية وطاقات باطن الأرض والقوى الفلكية وطاقات ومواد النيازك، لاستغلال عجائب جوف الأرض وسطحها في استنباط طاقات جديدة مثل طاقات المياه الجوفية وحرارة باطن الأرض، والسير في مناكب هذا الكوكب واكتشاف أسراره بما يفيد المسلمين والإنسانية لنكون سباقين في ذلك باهتمامنا بالبحث والاستكشاف تماماً كما اهتم القرآن الكريم بتبيان ذلك في آيات عديدة.

10. تأسيس جمعيات وهيئات ومؤسسات لرعاية وتبني الفن المعماري الإسلامي وهندسته الرائعة والصدع بها في العالم كله لنواجه بهذه الهندسة الرائعة الجميلة صرخات العشوائية والتخبط واللاانتماء الذي يعاني منه الكثيرون من معماريينا بحجة التفتح والتحضر وحاجات العصر وكأن العمارة الإسلامية عاجزة عن حل مشاكل عصرنا الهندسية والمعمارية.

11. تشجيع المشاريع العمرانية التي تستلهم هذه العمارة الأصيلة المتناغمة مع البيئة والمحققة لجميع الرغبات بشكل يضمن الراحة للجميع.

12. العمل على استنباط الطرق البنائية التي فصل فيها القرآن الكريم وبيناها في كتاب الهندسة المدنية، ومن ذلك تفاصيل بناء السد الحديدي ومواده المستخدمة.

13. على واضعي المواصفات الهندسية والإدارية والإنشائية والصناعية والمعمارية والبيئية والزراعية والإروائية والمائية وبحوث الطاقة المختلفة وتعليمات السلامة للمشاريع الهندسية أن ينهلوا من هذا الإرث الأخلاقي العظيم الذي جاء به الكتاب العزيز والسنة المطهرة في موضوع حقوق الأجير

وحقوق الطريق وحقوق المؤجر والمستأجر وحقوق أصحاب الآلات والمعدات والصناعات والحرف وغير ذلك، فالحقيقة إن لنا في إرثنا العظيم ذاك ما يجعلنا نستوعب كل القيم ا لعظيمة في مواصفات هندسية وصناعية خاصة بنا ولا نقلد الغرب في كل ما وضعه من مواصفات قد لا تلتقي بالكثير من تلك القيم الرائعة التي دعا لها ديننا الحنيف.

14. استمرار البحث الحقلي في طاقات المياه الجوفية واستغلالها والاهتمام بها تماماً كما اهتم القرآن الكريم بها . وكذلك استمرار البحث في مجال البدائل للمياه مثل استغلال الطاقة الحرارية للجوف الأرضي وحفر آبار خاصة بذلك لدراسة إمكانية الاستفادة منها في تحلية وتنقية المياه الجوفية غير الصالحة للشرب. وأيضاً العمل على البحث والتطوير في مجالات علوم المياه في مختلف أنواع التخ صصات العلمية والهندسية والطبية وإجراء البحوث الجيولوجية والبيولوجية والكيميائية والهندسية الخاصة بالمياه وطاقاتها الجوفية والسطحية لاستغلال عجائب هذه النعمة العظيمة التي منحها الله تعالى لخلقه واهتم بها أيما اهتمام في كتابه الكريم، لنكون سباقين في ذلك باه تمامنا بالبحث والاستكشاف تماماً كما اهتم القرآن الكريم بتبيان ذلك في آيات عديدة.
15. تأسيس جمعيات وهيئات ومؤسسات لرعاية وتبني الاهتمام بالمياه والمحافظة عليها وعلى نظافتها كما أمرنا الإسلام، وكذلك الاهتمام بالهندسة المائية والإروائية الإسلامية الرائعة والصدع بها في العالم كله لنواجه بهذه ال تقنيات الهندسية الرائعة الجميلة العادلة كل مظالم سوء التوزيع لهذه النعمة الكريمة ونعالج صرخات الكثيرين من العطشى من أبناء جنسنا وبقية المخلوقات بسبب سوء استخدامنا للبيئة والمياه على وجه التحديد.
16. استمرار البحوث في مياه زمزم و علاجها للأمراض المختلفة ويمكن في ذلك أن نشكل هيئات بحثية وعلاجية خاصة بذلك.

17. تأسيس هيئة بحثية و العمل على البحث والتطوير في مجالات البحوث الهندسية المتعلقة بالطاقات الحركية الميكانيكية والحرارية لاستغلال عجائب جوف الأرض وسطحها في استباط طاقات جديدة مثل طاقا ت المياه الجوفية وحرارة باطن الأرض وبدائل للطاقة خصوصاً تلك التي تستنبط من القرآن وكنوزه. وكذلك السير في مناكب هذا الكوكب واكتشاف أسراره بما يفيد المسلمين والإنسانية لنكون سباقين في ذلك باهتمامنا بالبحث والاستكشاف تماماً كما اهتم القرآن الكريم بتبيان ذلك في آيات عديدة كما بينا في هذا الكتاب . ومن ذلك استمرار البحث الحقلي في طاقات الرياح والأمطار والشمس والمياه الجوفية وحرارة الأرض والبحار واستغلالها والاهتمام بها كما اهتم القرآن الكريم بها، وللمؤلف استنباط لطاقة بديلة تفيد بيئتنا اليوم وهي طاقة نظيفة مستنبطة من آيات كتاب الله تعالى لكن الأمر يحتاج لجهود وإمكانات بحثية كي نخرج بها للعالم.
18. تشجيع المشاريع العمرانية والهندسية التي تستلهم المفاهيم القرآنية والنبوية والإرث الإسلامي الخلاق في طاقات الحركة والهندسة الميكانيكية والحرارية مثل استغلال طاقات الرياح والمياه والطاقات الحرارية للجوف الأرضي غير ذلك مما يحقق المطلوب ويتناغم مع البيئة وتحقق جميع الرغبات بشكل يضمن الراحة للجميع.
19. العمل على استنباط الطرق الهندسية الميكانيكية والحرارية و البنائية والصناعية التي فصل فيها القرآن الكريم وبيناها في هذا الكتاب، ومن ذلك تفاصيل بناء السد الحديدي ومواده المستخدمة.
20. تأسيس جمعيات وهيئات ومؤسسات لرعاية وتبني طرق البناء و الفن المعماري الإسلامي وهندسته الرائعة والصدع بها في العالم كله لنواجه بهذه الهندسة الرائعة الجميلة صرخات العشوائية والتخبط واللاانتماء الذي يعاني

منه الكثيرون من معمارييننا بحجة التفتح والتحضر وحاجات العصر وكأن العمارة الإسلامية عاجزة عن حل مشاكل عصرنا الهندسية والمعمارية.

21. العمل على استنباط طرق جديدة في الهندسة الخاصة بالأسس تماماً كما هو حال استنباط فكرة أسس الركائز من أسس الجبال، ويمكن هنا مثلاً البدء بتشكيل هيئة بحثية في ذلك يمكنها استنباط تلك الأفكار ولتكن البداية مثلاً ببحوث أسس جديدة مستنبطة من الكون المنظور والكون المقروء وهي الأسس الجذرية أو أسس الجذور التي تشبه جذور النباتات.
22. تأسيس جمعيات وهيئات ومؤسسات لرعاية وتبني العلوم والهندسة الزراعية الإسلامي وطرقها الرائعة المتناغمة مع البيئة والصدع بها في العالم كله.
23. تشجيع المشاريع الزراعية والإروائية الإسلامية التي تستلهم طرق وفنون الزراعة المستوحاة من القرآن والسنة والتراث الإسلامي الأصيل المتناغم مع البيئة.
24. العمل على استنباط الطرق الزراعية والهندسية التي فصل فيها القرآن الكريم وبيناها في هذا الكتاب، ومن ذلك تفاصيل الري والزراعة والتربية الحيوانية.
25. تأسيس جمعيات وهيئات ومؤسسات لرعاية البيئة والاهتمام بها وتبني النظرة الإسلامية للبيئة والمحافظة على كنوزها ومنع تلوثها تماماً كما أمرنا الله تعالى في كتابه وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم– . والعمل على تفعيل النظم والتقنيات الإسلامية للاهتمام بالبيئة وهندسته الرائعة والصدع بها في العالم كله لنواجه بهذه الهندسة الرائعة الجميلة صرخات العشوائية والتخبط والقتل والتدمير المنظم لهذه السفينة التي بغرقها نغرق جميعاً وبنجاتها ننج و جميعاً. ويمكن في هذا المجال الاستفادة من المقترحات المتواضعة التي قدمناها في كتاب علوم وهندسة البيئة.
26. تشجيع المشاريع الخدمية المهتمة بالبيئة والمتناغمة معها و التي تستلهم الفلسفة الإسلامية في الحفاظ على البيئة والمحققة لجميع الرغبات بشكل يضمن

الراحة للجميع. والعمل على استنباط الطرق الفعالة التي نحافظ بها على موارد الأرض دون الإخلال بحاجات الناس كلهم دون تمييز.

27. العمل على البحث والتطوير في مجالات البحوث البيئية لاستغلال عجائب جوف الأرض وسطحها في استنباط طاقات جديدة مثل طاقات المياه الجوفية وحرارة باطن الأرض، والسير في مناكب هذا الكوكب واكتشاف أسراره بما يفيد المسلمين والإنسانية دون أن نخل بالبيئة لنكون سباقين في ذلك باهتمامنا بالبحث والاستكشاف تماماً كما اهتم القرآن الكريم بتبيان ذلك في آيات عديدة كما بينا في هذا الكتاب . كذلك العمل على البحث والتطوير في مجالات علوم البيئة المختلفة في مختلف أنواع التخصصات العلمية والهندسية والطبية وإجراء البحوث الجيولوجية والبيولوجية والكيميائية والهندسية الخاصة بها.

28. دَعَوْنا لعمل مؤسسات تعنى بالمواصفات والا ختراعات والصناعات المستنبطة من القرآن والسنة. ومن ذلك تأسيس مراكز للبحوث وعيادات طبية إسلامية التي تتبنى العلاجات والصناعات العلاجية الإسلامية، وكذلك مراكز للبحوث الهندسية وبحوث المواد تتبنى المواد القرآنية واستنباطاتها.

29. تشجيع المشاريع الصناعية التي تستلهم المفاهيم القرآنية والنبوية والإرث الإسلامي الخلاق في جميع أنواع الصناعا ت مما يحقق المطلوب بتنمية صناعية إسلامية شاملة ويتناغم مع البيئة وتحقق جميع الرغبات بشكل يضمن الراحة للجميع. ويمكن هنا تبني بعض النماذج الإسلامية التي سجلت نجاحات مثل التجربة التركية والماليزية.

30. ضرورة فك عرى الارتباط المدمر مع أحد أقوى فكوك العولمة وهو الفكر المالي الغربي القائم على تحكم البنوك بالشعوب، وبناء نموذج إسلامي يجعل من الناس هم السادة والقادة وليس البنوك الربوية التي تعود لمجموعة محددة من البشر يتحكمون بدماء وأقوات ومصائر العالم دون رحمة . وهنا نبين أن تكون البداية من صناعات إسلامية بسيطة بنظام ما لي إسلامي يمكن تقويتها

بعد استنباط طرق جذب للمستثمرين دون شروط الفكوك الاقتصادية العولمية المدمرة.

31. العمل على استنباط الطرق الهندسية والكيميائية والميكانيكية والحرارية والبنائية والصناعية والإنشائية التي فصل فيها القرآن الكريم وبيناها في كتب السلسلة، ومن ذلك تفاصيل كيميائيات بناء السد الحديدي ومواده المستخدمة ، وكذلك كيميائيات التعدين في القرآن والسنة.

32. الاستمرار بالبحث وإجراء التجارب الحقلية والمختبرية على الحشرات والفواكه لاستخراج محاليل قد تفتح لنا أبواب اختراع أدوية وعلاجات ومغذيات تفيد البشرية يكون منبعه ا القرآن والسنة كما هو حال مصل جناح الذبابة أو عصائر الرمان والعنب وبقية الفواكه.

33. استمرار البحوث في مجال السبق القرآني في علوم الوراثة وهندستها.

34. الاستفادة من سبق الخلائط والمحاليل المذكورة في الكتاب والسنة كحال خلائط وتفاعلات سد ذي القرنين أو تفاعلات المعا دن القرآنية الأربعة : الذهب، الفضة، النحاس، الحديد.

35. الاستفادة من تخصيص القرآن الكريم لمواد ومركبات بعينها وإجراء البحوث المستفيضة فيها للوصول لحقائق قد تفتح لنا أبواباً علمية وهندسية وصناعية مهمة كما هو الحال بخصائص الفضة والنحاس الحرارة والكهربائية والكيميائية والضوئية وقابلية العزل الرطوبي فيها والتي جاءت في تقرير القرآن الكريم في حالا ت عديدة مثل السقف الفضية والقطر أي النحاس والحديد والذهب والرصاص. وكذلك المواد الفخارية والسيراميكية وخصائصها المهمة التي سبق في تبيانها الكتاب العزيز كما في حال الحجارة من السجيل، وأيضاً تركيبة المواد المركبة والخلائطية من المعادن والفخاريات كما هو الحال في القوارير الفضية أو خلائط سد ذي القرنين.

36. كذلك ضرورة الاستفادة من السبق القرآني في ذلك وإجراء المزيد من الدراسات لمعرفة المواد في الكون فكما بينا أن الثوابت القرآنية الشاملة قد بينت لنا ضرورة وجود المياه في الكون وتم بالفعل إثبات وجودها في المريخ وأكبر قمر للكوكب زحل وهو القمر تيتان فضلاً عن وجود الجليد على سطح قمر المشتري يوروبا وكذلك قمرنا الأرضي، فكذلك يمكننا أيضاً أن ننهج نفس لمنهاج في استنباط مواد جديدة موجودة في الكون كان القرآن الكريم قد صرح بها أو لمح لها.
37. الصدع بحقائق التميز الفكري العسكري في القرآن والسنة وسبق تعريفهمها بمفاتيح النصر وامتلاك الصناعات عموماً والعسكرية منها على وجه الخصوص لغرض تبيانها للأجيال الإسلامية وللعالم بأسره.
38. على واضعي العلوم العسكرية وخططها وه ندستها أن ينهلوا من كل هذا الإرث العظيم الذي يحتويه الكتاب والسنة.
39. البحث عن طاقات أخرى لتوليد الكهرباء والضوء غير ملوثة للبيئة تحاكي خلق الله في مخلوقاته. كذلك تبني الأفكار الجديدة لانواع الطاقات القرآنية كطاقة الشمس وطاقة الماء وطاقة الريح وطاقة البرق وال طاقة البايو-كيميا-كهربائية لتكوين مصادر بديلة ونظيفة لتكوين الكهرباء . ولعل ذلك يتأتى من خلال ما طرحناه من فكرة تأسيس معاهد بحثية ومختبرات صناعية وتشجيع البحث العلمي القرآني.
40. وجوب الاستمرار بالتجارب العلمية والهندسية المتعلقة بفهم طبيعة النفس البشرية بما فـي ذلك ما يحصل لها من الأمراض النفسية كالصرع وغيره ومراقبة المجال الطاقي للبشر مؤمنهم وكافرهم، جاحدهم وشاكرهم وكل أصنافهم لفهم طبيعة المس الطيفي للأجسام الملائكية والشيطانية من النواحي الطبية والنفسية لغرض الوصول لأنجح الطرق لمعالجة ذلك وبالتالي الوصول لحقيقة مفادها أن ذكر الله تعالى وطاعته وحسن عبادته هي الحل الأمثل لجميع

مشاكل البشرية لأنها تشكل أجيالاً بذهنية ونفسية مرتبة ومستعدة لعطاء أمثل في جميع مجالات الحياة.

41. وصلنا لنتيجة وتوصية مهمة في مجال بحوث الكهرباء وهندسته مفادها ضرورة الاستفادة من الجوف الأرضي ومعادنه المنصهرة ليس في توليد الحرارة حسب والاستفادة منه كطاقة بديلة غير ناضبة وغير ملوثة وإنما كذلك في الاستفادة منه في توليد الكهرباء من خلال ما يحويه من معادن منصهرة يمكن أن نستخلص من طاقتها العظيمة طاقة كهربائية سواء بتحويل الطاقة الحرارية إلى طاقة كه ربائية أو بإجراء بحوث مستفيضة للوصول لطريقة نستخلص منها الكهرباء مباشرة من اللافا والجوف المنصهر الحاوي على معادن كثيرة ومنها النحاس انطلاقاً من السبق القرآني في كهربائية وحرارة النحاس، والله تعالى أعلم.

42. استنباط كهربائية السقف الفضية المستمدة من السبق القرآني في خصائص الفضة الضوئية والكيميائية والكهربائية.

43. دعوة لباحثينا المسلمين لسبر أغوار عالم البرق الذي ركز عليه القرآن الكريم في آياته الكريمة والسنة المطهرة في أحاديثها الشريفة وخصوصاً في موضوع تلك الثوابت القرآنية الشاملة التي بيناها في كتاب الهندسة الكهربائية. وكذلك ما توصلنا له في كتاب هندسة المواد من خلال الاستفادة من خصائص الفخاريات والسيراميكيات في تصنيع مصائد البرق للاستفادة منه في الطاقة الكهربائية، ويا لها من فائدة.

44. ما دمنا فهمنا حقائق الزمن ومراحله فعلينا وفقاً لذلك أن نعمل طبقاً لتلك المعطيات والحقائق فنعطي لكل مرحلة حقها واستحقاقها.

45. نوصي هنا أن يكون النظام الإسلامي للتوقيتات حسب الصلوات هو النظام المعمول به في العمل في كافة الوظائف حفاظاً على صحة الناس بدل النظام الرأسمالي العولمي المستهلك لطاقة وصحة البشر من أجل سيطرة عمالقة

وحيتان العولمة على ا لمال وعبوديتهم للجنس البشري. أي أن المواعيد الخاصة بالعمل يجب أن تكون وفقاً لمواعيد الصلوات الإسلامية (الفجر- الظهر -العصر - المغرب) وتتغير بتغيرها الدائم مع فصول السنة وأيامها وشهورها، وليس وقتاً محدداً ساكناً لا يقبل التغيير . فيكون الدوام والعمل يبدأ بعد صلاة الفجر مع راحة بعد صلاة الظهر ويستمر حتى بعيد صلاة العصر. حيث أن البحوث الحديثة أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن النظام المتبع اليوم في أغلب مؤسسات ودوائر وأنظمة العالم الرأسمالي العولمي لا يتناغم مع طبيعة ووظائف أعضاء الجسم البشري ولا ساعته البايولوجية التي هي جزء من نظامه الجيني المناعي المجبول عليها خلقة مما سبب العديد من الأمراض والعاهات والوفيات والعلل النفسية لدى الكثير من العاملين . بينما نجد أن البحوث أثبتت أن أفضل نظام يفيد صحة الجسم ونشاطه الذهني هو البدء بعد الفجر والراحة بعد الظهر والانتهاء بعيد العصر وقبل المغرب وهو ما يتناغم مع ما جاء به كتاب الله تعالى وسنة حبيبه - عليه الصلاة والسلام- في ترتيب وقت الناس وعملهم وعباداتهم ونشاطاتهم وراحتهم وصحتهم.

46. أن نعمل فعلاً لما بعد الموت وأن نكون فطنين كيسين نتهيأ للزمن الذي يكون بعد الموت كما أراد لنا رس ول الله - صلى الله عليه وسلم- في ذلك في الحديث الذي ذكره أهل السنن، فعن شداد بن أوس : عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله. قال ومعنى قوله من دان نفسه يقول حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة ، ويروى عمر بن الخطاب قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب يوم القيامة

على حاسب نفسه في الدنيا . ويروى عن ميمون بن مهران قال لا يكون العبد تقياً حتى يحاسب نفسه يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه(1).

47. علينا أن لا نعجل فنجزع من بلايا الزمن فقوانين وسنن الصراعات لا تحل بين ليلة وضحاها خصوصاً تلك التي تتعلق بأهم موضوع في حياة البشرية وهو دعوة الناس إلى الله تعالى . فعلينا أن نربي الأجيال على تلك المفاهيم فنرسخ في نفوسهم وعقولهم وضمائرهم أن يوطنوا أنفسهم على الصبر وتحمل ثقل اللحظات الزمنية الصعبة ومعالجتها بترسيخ الأمل بالله تعالى والتفاؤل والأمل بأن نصر الله قادم لا محالة وإن طال الزمن بنا وبهم حتى إنه قد يكون ذلك في وقت نكون فيه نحن وهم لا ذكر لنا، أو في زمن نكون نحن وهم فيه عظاماً نخرة لا روح لنا ولا حياة.

وعلى هذا الأساس يمكن وضع بعض ما ذكر آنفاً من توصيات كمقدمة لمشاريع نستعرض بعضها أدناه (انظر الشكل 4-7):

(1) اكتشاف منظومة الثوابت الهندسية القرآنية وثوابت المواد والظواهر والطاقات كما أثبتت كتب سلسلتنا (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادرة عن جائزة دبي للقرآن الكريم.

(2) اكتشاف منظومة البناء والتشييد بالشد التي ركز عليها الكتاب والسنة.

---

(1) سنن الترمذي (ج4- ص638)، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن، وضعفه اللباني.. ذكره صاحب المستدرك [جزء 1 - صفحة 125] و[جزء 4 - صفحة 280] بلفظ عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله). وقال فيه (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه). وجاء في تعليق الذهبي قي التلخيص : (لا والله)، يعني ليس على شرط البخاري كما قال الحاكم أبو بكر واه . كما جاء في سنن ابن ماجه ومسند أحمد والطيالسي والمعجم الكبير.. أنظر المصادر.

(3) اكتشاف واستغلال الطاقات الجديدة وخصوصاً تلك التي تستنبط من كتاب الله المقروء كما بينا في كتاب الهندسة الميكانيكية وكذلك كتاب الهندسة الكهربائية.

(4) اكتشاف واستغلال مواد جديدة كما بينا في شأن السقف الفضية في كتابي هندسة المواد والهندسة الكهربائية.

(5) اكتشاف الخلائط القرآنية كحال القوارير الفضية ومحاولة الوصول لها وتقديمها للعالم كاختراع قرآني مذهل كما فصلنا في كتاب هندسة المواد.

(6) اكتشاف وتصنيع الكيميائيات القرآنية كحال الطين اللازب وال مستحضرات الطينية التنظيفية كما بينا في كتاب الهندسة الكيميائية.

(7) اكتشاف تقنية الترشيق النبوية كما تم تصنيعها من قبل الفقير إلى الله تعالى وتنتظر الدعم لإنتاجها على المستوى العالمي وتسويقها.

(8) اكتشاف العديد من المبتكرات القرآنية والنبوية كما بينا في كتب سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) سواء على مستوى الثوابت القرآنية الشاملة أو على مستوى الاستنباط من الفكرة مباشرة على أساس قانون المحاكاة أو تقنيات الطبيعة ولكن هذه المرة المحاكاة تكون لما ذكره الله تعالى في كتابه المقروء (القرآن الكريم) وليس من كتابه المنظور (الكون والطبيعة من حولنا).

وكي أكون تفصيلياً ومحدداً سأضرب بعض الأمثلة هنا من حكم تجربتي الشخصية مما ذكرناه في كتب وبحوث سابقة:

1. هندسة الخلائط القرآنية، وسبق القرآن الكريم في القوارير الفضية: تطرقت في كتابي (المنظار الهندسي للقرآن الكريم) بطبعته ا لأولى عام 2000م إلى حقيقة السبق القرآني في عملية خلط المعادن بالسيراميكيات التي تسمى هندسة

الخلائط أو هندسة المواد الخليطة (Composite Materials)، وفي عالم ثورة المواد التي نعيشها اليوم فإن هذا الموضوع يعتبر من أهم المواضيع التي تجرى فيها البحوث في شتى أنح اء العالم وتقام العديد من المؤتمرات في مختلف أنحاء العالم للاستفادة من من نتائج بحوث خلط صفات المعادن القوية المطواعة مع السيراميكيات الصلدة الهشة في مختلف صنوف التخصصات التقنية والصناعية كحقول هندسة المواد والهندسة الكهربائية والضوئية والصوتية وغيرها.

هذا السبق مذكور في قوله تعالى : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان: 15-16]. القوارير كما معروف هو الزجاج أو الأواني المزججة فكيف تكون من فضة؟ !. أي أن هذه الأكواب تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها، وقرئ ﴿ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ ﴾ على هي ﴿ قَوَارِيرَا ﴾ ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ أي قدروها في أنفسهم فجاءت مقاديرها وأشكالها كما تمنوه أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها أو قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهاتهم وقرئ ﴿ قدروها ﴾ أي جعلوا قادرين لها كما شاءوا من قدر منقولاً من قدرت الشيء(1). وبينت في حينها أنه توجد في المختبرات الكيميائية الإنكليزية نافذة من الرصاص الشفاف بسمك 2م دلالة على التقدم التقني الذي توصله له البشر بخلط المعادن بالفخاريات . ثم ذكرت أن هذا يجب أن يدفعنا للبحث عن مادة جديدة تأخذ صفات الفضة (وهي معدن) مع صفات زجاج (وهي فخار) وأن

---

(1) تفسير البيضاوي [جزء 1 - صفحة 429]، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2003م..

نبحث قبل غيرنا لكي نصل لتلك المادة ونعرضها للعالم ونقول لهم أن القرآن الكريم ذكر هذا النمط من هندسة الخلائط قبل أن تصنفوه وتعلموا أسراره بأكثر من 1400 عام فوجهت دعوة للأخوة الباحثين كي يستغلوا هذا السبق القرآني وهذه الدعوة الإلهية الكريمة ويستكشفوا لنا مادة قد تكون ذات أهمية عظيمة من جهة، ومن جهة أخرى نرد على المتقولين الذين يتهمون أهل الإعجاز العلمي بأنهم ينتظرون اكتشافات الغرب ثم يقولون سبق القرآن بها ويطالبون بالدليل على سبق يصدر منا ونفرضه نحن على الغرب[1].

لكن لم يستجب لنداءاتي أحد منذ حينها حتى جاء كشف من قبل علماء يابانيين اكتشفوا معدناً صنعوا منه طيناً فضياً لكنه لا يصل لمواصفات القوارير الفضية. فقد تم مؤخراً اكتشاف أذهل علماء ومهندسي المواد وهو اكتشاف معدن طيني يحوي معدن الفضة يمكن تصنيع الزجاج ذات المواصفات الفريدة منه. ولقد أطلقت تسمية المعدن الطيني الثمين على هذا النوع من المعادن الطينية المكتشفة (Precious Metal Clay – PMC–). ولقد فتح هذا الاكتشاف آفاق جديدة في عالم الفخاريات والزجاجيات بل عدّه بعض العلماء أنه ثورة مواد جديدة وهي مادة يمكن تصنيعها لتشكل مواد خليطة بين المعادن والفخاريات. هذه المادة تم تطويرها في اليابان ومتوفرة في الولايات المتحدة وتحديداً في(Rio Grande)، وهي ليست طين بالمعنى المتعارف عليه بل دقائق من الفضة مذابة في وسط عضوي رابط لتعطي خصائص تتشابه كثيراً مع خصائص الطين وخصوصاً ذلك الخزف الصيني الشهير (porcelain clay) [2].

---

(1)انظر الموضوع بكامله في كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، طبع دار المسيرة بعمان، ص 415-418.

(2)انظر كتابنا (علوم وهندسة المواد في القرآن والسنة النبوية) أحد كتب سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم، حيث بينت فيه تفاصيل هذا الكشف .. وتحدثت عنه كذلك في لقاء مع قناة الجزيرة مباشر يوم 23 يونيو 2009 وعرضت نموذجه الخام على الشاشة ويمكن للقارئ الكريم أن يراجع موقعنا على الشبكة لمشاهدة اللقاء.

ألم نكن بحاجة فعلاً لتحقيق هذا السبق على أرض الواقع بأن يكون لدينا مركز أبحاث نحول الحلم إلى حقيقة وننجز هكذا منجزات قبل غيرنا لنعرض إسلامنا للآخر بهكذا طرق مبتكرة ليتبين للعالم ما تحت أيدينا من كنز فيقبلوا على دين الله أفواجاً؟!

2. سبق القرآن في السيراميكيات والفخاريات : كذلك ذكرنا في نفس الكتاب أن القرآن الكريم سبق في تبيان حقيقة خصائص السيراميكيات والزجاجيات (قصة بلقيس وقصر القوارير الممردة مع سيدنا سليمان عليه السلام). وكذلك خصائص الفخاريات أي الأطيان وإمكانية استخدامها كأسلحة فتاكة كما هو الحال في (الحجارة من سجيل)، والسجيل هو الطين المطبوخ كما بينت التفاسير، وكيف أنها استخدمت في القصف الجوي . ثم يأتي الغرب ليقذنا بمقذوفات من الطين المضغوط وهي القنابل الفخارية في طائرات مراوحها مصنعة من فخاريات وسيراميكيات قاسية . وتساءلنا في حينها ألسنا نحن الأجدر من غيرنا في أن نبحث في استخدامات الأطيان في السبائك القوية واستخداماتها الهندسية والصناعية والعسكرية؟![1].

3. السبق القرآني في مجال التآكل الكهروكيميائي والمواد المانعة للصدأ : وهو ما بيناه في تفاصيل قصة بناء سد ذي القرنين وكيف أن القرآن الكريم فصل في تلك القصة التي يستنبط منها تقنيات هندسية عديدة ومعادلات كيميائية مهمة في مجالات الصناعات المعدنية والسبائكية وغيرها، ومن تلك التق نيات كيفية خلط المواد المانعة للصدأ في السبائك المعدنية وهو ما كان في حال النحاس مع الحديد التي ذكرتها القصة في قوله تعالى : (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْ رِغْ عَلَيْهِ

(1)انظر صفحات مختلفة من الباب الثاني والباب الثالث من كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، طبع دار المسيرة بعمان. وكذلك انظر كتابينا (علوم وهندسة المواد في القرآن والسنة النبوية) و (العلوم والهندسة العسكرية في القرآن والسنة النبوية) وهما من كتب سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم، حيث بينا تفاصيل هذا الموضوع.

قِطْراً) (الكهف:96). وذكرنا أن مما يذكر في مقام السبق القرآني في مجال التآكل الكهروكيميائي والمعادلة الكيميائية الخاصة به أنه بعد انتشار الصناعات والمصانع في الجزيرة البريطانية بدأت تتزايد نسب الأمطار الحامضية في البلدان الاسكندنافية القريبة بسبب تصاعد أبخرة وغازات من مداخن المصانع وامتزاجها مع الرياح مسببة تلك الأمطار التي عملت على تآكل المواد المعدنية وخصوصاً الحديد في الأبنية في تلك البلدان مما دفعهم إلى التفكير بكيفية حماية تلك البنية من الأمطار الحامضية فقاموا بمراجعة شاملة لتأريخ الإنشاء والعمارة في الحضارات القديمة، فوجدوا عند الرومان استخدامهم للزنك والرصاص والنحاس، فما زالت بعض أبنيتهم محافظة على نسبة كبيرة منها سليمة رغم السنين الطوال، فقاموا باستخدام الطلاءات المكونة من السبائك الحديدية والنحاس والرصاص والزنك وغيرها من المعادن ذات المقاومة العالية للظروف الجوية، والديمومة العالية، وأطلقوا على إنتاجهم هذا ما يسمى بالحديد المقاوم للعوامل الجوية (Weathering Steel) ولكنهم لو عادوا إلى القرآن الكريم لوجدوا الحل واضحاً في سورة الكهف وبالتحديد في قصة العبد الصالح ذي القرنين الذي عاش في الألف الثاني قبل الميلاد، وهذه الفترة وما بعدها هي فترة ازدهار الحضارة الرومانية، وخصوصاً أن قصة إنشاء السد في القرآن قد جاءت مفصلة تفصيلاً دقيقاً له مغزاه وفوائده، وقد يكون الرومان قد اخذوا تقنيتهم هذه واقتبسوها من ذلك العبد الصالح ، والله تعالى أعلم [1]

4. هناك أمثلة أخرى كثيرة ذكرت في سلسلتنا (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادرة عن جائزة دبي للقرآن الكريم، حيث بين ا العديد من حالات

---

(1) انظر الباب الثالث/ الفصل الثالث (سر الحديد) من كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، طبع دار المسيرة بعمان، وخصوصاً الملاحظة المذكورة في ص 538- 539.. وكذلك انظر كتابنا (علوم وهندسة المواد في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة كتب (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم، حيث بينا تفاصيل هذا الموضوع.

السبق القرآني في العديد من العلوم الهندسية ومن ضمنها أعقد علوم الهندسة الضوئية والصوتية والكيميائية والحياتية والكهربائية والميكانيكية والمدنية والمعمارية والزراعية والبيئية وغير ذلك. واستنتجنا أنه بالإمكان تحويل العديد من لتك الحالات لمشاريع وتقنيات واقعية نقدمها للعالم كي يعلم عظمة هذا الدين.

كل تلك الأدلة تثبت حقيقة احتياجنا لمركز بحثي وتصنيعي يتعلق بتقنيات الكتاب والسنة وتراث الأمة العلمي والتقني العظيم كي نستطيع تحويل العديد من تلك الأفكار لحقيقة صناعية ملموسة ونتائج بحثية مخبرية ومعملية واقعية وتطبيقية . فهذه الاستنباطات وتلك الاختراعات الصناعية القرآنية والنبوية آنفة الذكر تبقى أقوى الأدلة وأسهل الطرق للوصول لتبيان سبق القرآن الكريم وعظمة السنة المطهرة.

من هنا دعوة لكل من يريد أن يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة من أهل الفكر والإبداع والصناعة والاختراع أن يبرزوا هذا المجال لنصرة دينهم وعز أمتهم. فالعالم بالأمس حاكى خلق الله في الطبيعة والمخلوقات فصنع مثلها بعد ان اج تهد وتعب وبحث حتى وصل، و كل تقنيات وصناعات واختراعات البشرية كانت محاكاة لما حولنا من خلق عظيم في الآفاق والأنفس ، وما الطائرة أو الغواصة أو الحاسوب أو الرادار إلا أمثلة بسيطة تضرب في هذا المجال.

واليوم يستمد أحدث تقنياته من علم جديد هو علم يعرف عند العلماء والتقنيين بـــاسم تقينات الطبيعة (Nature Technology). وحيث أن هذه الأمة هي أول من طبق محاكاة الطبيعة والمخلوقات بواسطة علماءها الأفذاذ كما هو حال عباس بن فرناس الذي يعتبر أول رائد في صناعة الطائرات –وليس ليوناردو دا فنشي كما يزعم البعض– فقام بتقليد الطيور وصنع جناحان له ووضع لهما الريش وطار بنفسه ليقدمها فداء للبحث العلمي في مجال الطيران . وحيث أن الكتاب المقروء مرآة للكتاب المنظور فعلينا إذن والحال هكذا أن نشمر عن ساعد الجد والبحث المستنبط من تلك

المعاني السامية ونحن نمتلك الكثير من كتاب الله وسنة الحبيب عل يه الصلاة والسلام وتراث الأمة لنبدأ منه ونوصله للعالم بطريقة دعوية جديدة.



الشكل (4- 7): بعض ملامح الاكتشافات القرآنية والنبوية

ولذلك دعوت وأظل أدعو لتبني كل ما لدينا من صناعات وحرف في كل المجالات التي سبق بها وشخصها القرآن الكريم وحثت عليها السنة المط هرة وتحويلها لمنتجات صناعية نغزو بها العالم نصرة لديننا ودعماً لاقتصادنا . فلماذا لا ننطلق في اختراعاتنا من الكنز العظيم الذي فيه البشرى والسبق كما وعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟.

ولقد قمت بفضل الله تعالى بتحويل هذا الشعار إلى تطبيق عملي، فبعد كامل ال توكل والإخلاص له سبحانه وبكرم وتوفيق من عنده جل في علاه بدأت أفكر في ابتكارات واختراعات من القرآن والسنة، منها ما هو بسيط جداً ولكن فيه من الروعة ما تكتب عنه المؤلفات والبحوث، ومنها ما هو معقد ويحتاج لإمكانيات هائلة، ومنها ما هو بين هذا وذاك. وقد تبنت بعض الشركات الأجنبية بعض هذه الأفكار لكنها بانتظار الدعم الكافي قانونياً ومعنوياً ومادياً كي تكون بإذن الله تعالى، إن كان في العمر بقية، بين يدي الناس ليعلموا عظمة هذا الدين وكم هو دين يلبي احتياجات الناس دون المساس بحقوق الآخرين من شركائنا في هذه السفينة من ب شر وحيوان وشجر وحجر وبر وبحر وجبل ووادي ونهر[1].

ولعلنا في فصل التطبيقات والمشاريع سنعرج على ذكر بعض تلك التفصيلات والأفكار.

---

(1) لتفاصيل أكثر يرجى زيارة موقع الدكتور خالد العبيدي –مشروع لعصرية الدعوة– على الشبكة العالمية (http://khalid-alubaidy.com/).

الفصل الخامس

التفصيلات 2
الركيزة الثانية: ركيزة الإعلام

مقدمة

إمكانات وتقنيات الإعلام الرقمي والفضائي

حقيقة فكر وعقيدة وإيديولجيا الدور الإعلامي العولمي

الفن والدراما

سرد من اللغة والتاريخ

ما هو المطلوب من المسلمين تحديداً لمواجهة خطر هذا المد الثقافي المرعب

تفصيل الوسائل

مقدمة

إن الإعلام له أثر خطير في حياة الأمم والشعوب منذ القدم، واهتمت به جميع الحضارات دون استثناء ولكن بطرق مختلفة وتقنيات مستنبطة من إمكانات ذلك العصر ومتناغمة مع ثقافات ذلك المصر.

ولقد بينا في فصل التأصيلات من هذا الكتاب ما جا ء به الشرع الحنيف وما أثر عن النبي عليه الصلاة والسلام في استخدامه لتلك الركيزة في الدعوة.

واليوم، لم يعد الإعلام في عصر العولمة مجرد خطاب سياسي أو ثقافي أو اقتصادي ..إلخ ولكنه أصبح شريكا رئيسيا في الفعل العولمي يمهد له ويسهم في صنعه ويتابع تطوراته ويصحح اتجاهاته إذا انحرف عن مساره، كما إن الطبقة الرأسمالية الجديدة (العولمة) التي تقف خلف المؤسسة الإعلامية والتطورات المتسارعة لتكنولوجيا الاتصال والمعلومات وتوظيفها في خدمة الإعلام شريك رئيسي مواز للقوي السياسية في إدارة العولمة واقتسام غنائمها. لقد تجاوزت " الانتماءات الإعلامية" المؤسسات الوطنية التي تعمل بها علي أرضية معينة وقيم وأهداف معينة إلي مؤسسات وجمعيات دولية ضاغطة وقادرة علي جمايتها في حال خلافها مع السلطة السياسية أو حتى في حال تعارضها مع الإنتماء الوطني كما تجاوزت " المصالح الإعلامية" حدود المجتمع الذي تعمل فيه وتنتمي إليه إلي شركات دولية عملاقة متعدية القومية تلعب الدور الرئيسي في تزويدها بالإعلانات التي تعتبر المورد الرئيسي لاقتصاديات الإعلام في العصر العوملي ومن الطبيعي ألا يختار الإعلان قنواته اعتباطا بل يسعي إلي بيئة ثقافية يضمن لنفسه النجاح فيهاا ومن هنا يمكن تفسير هرولة القنوات العربية إلي تبني ثقافة العولمة بكافة أشكالها[1] .

ولا يخفى على أحد ما يفعله الإعلام والفن اليوم في حياة الناس وخصوصاً مع تطور تقنيات الاتصال في عالمنا المعلوماتي والرقمي والإلكتروني والحاسوبي بشكل لم

---

(1) الاعلام العربى والعولمة الاعلامىة والثقافية والسياسية، صابر حارص، سلسلة دراسات في الإعلام، العربي للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م..

يسبق له مثيل ولا يوجد له مجال لمقارنة مع فعل سابق لأداة الإعلام نفسها . ولئن قال العالم يوماً عند اختراع التلفاز أنه سيأتي يوم يدخل به هذا الجهاز كل بيت ويؤثر في الناس ليكونوا عبيداً له فقد جاء هذا اليوم فعلاً وأصبح الناس في جلهم أسارى لتأثيرات الصورة والصوت والحركة والإيماءة و الخبر والدراما والموسيقى وغير ذلك. لكن ظهور الفضاء كبعد جديد في الإعلام ومن ذلك الشبكة المعلوماتية فإننا دخلنا اليوم في حلقة خطيرة جداً من التعامل الإعلامي والتعليمي والتربوي والمجتمعي يمكننا تخيل مدياتها المرعبة في التغيير . فعلى سبيل المثال يمكن القول أن المستقبل سيشهد عملياً إلغاء ذهاب الأطفال للمدارس والاكتفاء بالتعلم عن طريق الانترنت من داخل البيوت حسب الرغبات المتعلقة بالأسرة، الأمر الذي نشهده اليوم على نحو أقل والمتمثل في الدراسة عن بعد في الجامعات والمعاهد في مختلف أنحاء العالم[1].

ومن هنا نود في هذا الفصل أن نستكمل الساق أو المرتكز الثاني لمشروع عصرية الدعوة ألا وهو الإعلام والفن. فكما قلنا في الفصل الأول أن هذا المشروع الحضاري للأمة أفراد ومؤسسات وحكومات ودول ينبني على أساسين رئيسيين هما :

1- العلم

2- الإعلام

---

(1) انظر كتب: الإتصالات والإعلام، مايكل رايت، موكول باتل، ترجمة، تحقيق: مركز التعريب والبرمجة، الناشر الأصلي:Marshall Publishing ، سلسلة التطورات العلمية في القرن 21، الدار العربية للعلوم، ط/ 1، 2002م.. وسائل الإعلام والاتصالات، ريتشارد بلات، الناشر الأصلي Marshall Publishing :، بالإشتراك مع:Discovery Channel ، سلسلة ملف المعلومات العامة، الدار العربية للعلوم، ط /1، 2001م.. الفضائيات العربية ومتغيرات العصر، منى سعيد الحديدي، الدار المصرية اللبنانية، ط /1، 2005م.. الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل، صفاء جبارة، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م. الفضائيات العربية ودورها الإعلامي، فارس عطوان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط /1، 2008م.. الإعلام السياسي والإخباري في الفضائيات، هيثم هادي الهيتي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط /1، 2008م.. الإعلام الديبلوماسي والسياسي، أمجد الهاشمي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.. الإعلام والطفل، هادي نعمان العيتي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط /1، 2008م.

أما الركيزة الأولى فقد بيناها في الفصل السابق وهي ركيزة العلم وما يتفرع منها من محاور وأفكار وتطبيقات . وأما ركيزة الإعلام فتتمحور حول محورين رئيسن هما الإعلام والفن والدراما (الشكل 5-1)، وهي تعتمد على تبني أعمال إعلامية وفنية ضخمة ومتميزة تحاكي روح العصر وتستشرف خطورة ترك ساحته كي نستطيع من خلالها أن نقدم الإسلام للغرب بأسلوب يخاطب عقولهم وهو ما أمر به الأنبياء عليهم السلام. هذه الركيزة هي موضوع هذا الفصل تحديداً.

بينا في الفصل السابق أن مشروع عصرية الدعوة المتكامل الذي ينبني على هاتين الركيزتين العلم والإعلام يحقق أهدافه من خلال عدة وسائل عامة:الدعم المالي والعلمي والمهني.

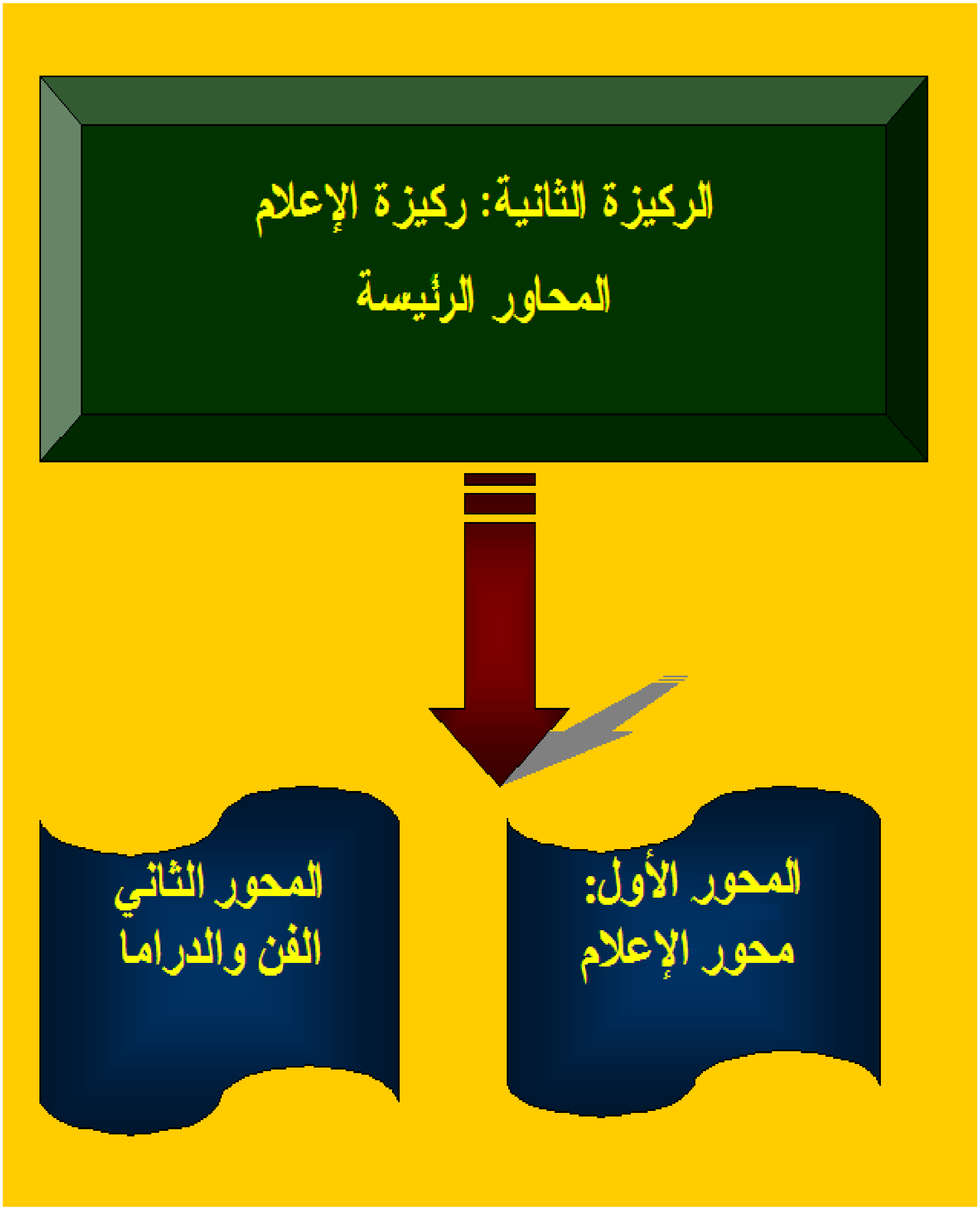
2. استخدام تقنيات العصر المعلوماتي.العلوم والتقنيات. الإعلام والفن المرئي والمسموع.

5. عمل مؤسسات سياحية دعوية.

6. المطبوعات.

وذكرنا أن هذه الوسائل الستة العامة يجب أن تفعل لتتحول لمشاريع تطبيقية من خلال ترجمتها وتفعيلها لوسائل عملية أولاً.

لكن هذا لن يكون مجدياً بدون أن نعود لفهم حقيقة الدور الإعلامي وتقنياته وإمكاناته بسلبياتها وإيجابياتها وهو ما نبينه في الفقرات اللاحقة قبل أن نشرع بتحويل تلك الوسائل العامة لمفردات تطبيقية.



الشكل (5-1): محوري الركيزة الثانية ركيزة الإعلام

إمكانات وتقنيات الإعلام الرقمي والفضائي

يستأثر الحديث عن الإعلام الجديد New Media بالكثير من الاهتمام من قبل المشتغلين بالإعلام بصفة عامة وأساتذة الإعلام بشكل خاص، ومنهم من يعتبره مدخلاً لتساؤل رئيسي واحد هو : هل نعيش حالياً مرحلة الإعلام الجديد؟. أم أن غيرنا أمر بهذه المرحلة مرات عديدات تطبيقاً لانتقالات مارشال مكلوهان في فكرة الحتمية التكنولوجية؟ أم أن الأعلام الجديد هو انعكاس لحالة الانقلاب في نظم الاتصال كلها بعد التقاء الكمبيوتر وتكنولوجيا الاتصال؟. فبعد ظهور الانترنت وجملة التطبيقات الاتصالية التي تعيشها الآن نتيجة لها. اندفعت الكثير من المؤسسات الإعلامية إلى بناء إدارات الإعلام الجديد لتتولى تفعيل حالة التواصل بين الصحافة الإلكترونية والمطبوعة والتلفزيونية والإذاعية والهاتفية وجملة التطبيقات الإعلامية غير المسبوقة [(1)].

ولو قمنا مثلاً برحلة مختصرة لتطور الأدوات والوسائل الأولية التقليدية للإعلام والاتصال من التلغراف إلى التلفزيون ووقفنا عند كل وسيلة على حدة بوجدنا أن هناك معلومات كثيرة أغفلها الكثيرون في دراسة تطور هذه الوسائل، إذ يوجد أرضية مشتركة بين وسائل الإعلام الجديد والقديم أثرت وستأثر في فهم الإعلام ودوره. ولو قمنا برحلة أخرى لمسيرة تطور الكومبيوتر منذ استخدام الشعوب القديمة لآلة المعداد

---

(1) انظر كتب: الإتصالات والإعلام، مايكل رايت، موكول باتل، ترجمة، تحقيق : مركز التعريب والبرمجة، الناشر الأصلي:Marshall Publishing ، سلسلة التطورات العلمية في القرن 21، الدار العربية للعلوم، ط/ 1، 2002م.. وسائل الإعلام والاتصالات، ريتشارد بلات، الناشر الأصلي Marshall Publishing :، بالإشتراك مع:Discovery Channel ، سلسلة ملف المعلوامت العامة، الدار العربية للعلوم، ط /1، 2001م.. الفضائيات العربية ومتغيرات العصر، منى سعيد الحديدي، الدار المصرية اللبنانية، ط /1، 2005م.. الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل، صفاء جبارة، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م. الفضائيات العربية ودورها الإعلامي، فارس عطوان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.. الإعلام السياسي والإخباري في الفضائيات، هيثم هادي الهيتي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط /1، 2008م.. الإعلام الدبيلوماسي والسياسي، أمجد الهاشمي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.. الإعلام والطفل، هادي نعمان العيتي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.

abacus حتى ظهور الأجيال المعاصرة مروراً عبر المراحل التي حدثت فيها التغيرات الجوهرية الكبيرة التي مست تطور الكومبيوتر لوجدنا أن هذا الأثر قد تعدى ما اخترع الكوم بيوتر من أجله ليدخل في عالم الإعلام ويصبح أحد ركائزه التي لا يمكن الاستغناء عنها[1].

يحاول الأستاذ عباس مصطفى صادق في كتابه (الإعلام الجديد؛ المفاهيم والوسائل والتطبيقات) توضيح تلك الجدليات فيحاول الجمع بين أفاق مختلفة ومداخل متعددة لفهم مفهوم الإعلام الجديد ومظاهره وتطبيقاته المختلفة، وهو يطرح مادته باسترجاع جدلية فكرة النظام الإعلامي الجديد التي طرحت نفسها في المنحى الثاني من القرن العشرين وكانت مدخلاً لصراع إعلامي بين مرحلتين وبين قطبين دوليين، حيث لا يمكن الحديث عن الإعلام الجديد بدون المرور على تلك المرحلة كمدخل مبكر لتطور الحديث عن النظام الإعلامي الجديد . فيذكر المؤلف تبلور الأفكار والمنهجيات الإعلامية اليوم حول طريق المعلومات السريع وتزاوج الإعلام والمعلوماتية الذي ينطوي على جملة التطورات الاتصالية القائمة على شبكات الكومبيوتر ولآثارها، مثل نشوء مجتمع المعلومات والصمت عن المطالبة بنظام إعلامي عادل واستبداله بالحديث عن الفجوة الرقمية . ولعل من ذلك مجموعة من مداخل النظر في مفهوم الإعلام الجديد وتطور وسائله في سياقات تاريخية وتكنولوجية مختلفة، وبالتالي ضرورة ظهور أفكار جديدة مثل أفكار جون بافليك وريتشارد ديفيس وديانا أوين ونيكولاس نيغروبونتي وفين كروسبي ليف مانوفيتش وجاي بوتلر ووريتشارد جروسين وروجر فيدلر وغيرهم[2].

ويطرح الكتاب عرضاً واسعاً للكومبيوتر باعتباره الأدلة الرئيسية للإعلام الجديد كما يتوقف عند التزاوج convergence الذي حدث بين الكومبيوتر من جهة وتكنولوجيا

(1) الإعلام الجديد؛ المفاهيم والوسائل والتطبيقات، عباس مصطفى صادق، ملخص الملحقين الأول والثاني، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.

(2) الإعلام الجديد؛ المفاهيم والوسائل والتطبيقات، عباس مصطفى صادق، ملخص الفصلين الأول والثاني.

الاتصال من جهة أخرى والذي أنتج تطبيقات إعلامية غير مسبوقة صنعت في مجملها الإعلام الجديد . ثم يستعرض المؤلف شبكة الانترنت المستحدث الإعلامي والاتصالي الجديد وباعتبارها النقلة الكبرى في المستحدثات الإعلامية التي نقلت الحياة الإنسانية بما فيها الإعلام إلى أفق غير مسبوق وأنتجت أنواعاً من التطبيقات الإعلامية التي لم تتبلور خصائصها النهائية بعد . ويستعرض المؤلف بعد ذلك شبكة الويب باعتبارها موئل النقلة الكبرى في التطور الإعلامي وتطبيقاته غير المسبوقة ويستعرض هذا الفصل مداخل مختلفة لتطبيقات شبكة الوب وطريق ة التعامل معها والفرق بينها وشبكة الانترنت[1].

إن الانتقال من التماثلية إلى الرقمية كتطور تكنولوجي ذي تداعيات كبيرة مكنت من تقارب وتزاوج التطبيقات التكنولوجية للإعلام والاتصال، وصبغت وسائل الإعلام الجديد فبات الحديث عن الإعلام الجديد مساوياً للحديث عن الإ علام الرقمي. وفي تطبيقات الوسائط المتعددة، هنالك مناطق للتداخل بينها ومفهوم الوسائط الغنية ومفهوم الوسائط المتشعبة ومفهوم عروض الشرائح، و لكل واحد من هذه التطبيقات وسائل الإنتاج خاصة. أما الجوانب المتعلقة بالواقع الافتراضي كأحد أدوات التعبير عن الإعلام الجديد ففيه تطبيقات واسعة متصلة بالإعلام في الإعلان والتفزيون والسينما والوسائط المتعددة. وأما صحافة الانترنت وأنواعها، فهي ركن أساسي في الإعلام الجديد ولديها أرضية مشتركة معه لغرض تعريفها وتطويرها واستغلال تنوعها[2].

هناك ما يعرف بصحافة المواطن وتطبيقات المصا در المفتوحة، وفهم تعريفها وتطورها وماهية منتديات الإنترنت والمدونات الشخصية بأنواعها وتطبيقاتها يعتبر اليوم من أهم الأسلحة الإعلامية التي يتوقع لها تطور مضطرد في جميع الاتجاهات قد يكون أكثر الأصناف الإعلامية الحديثة تطوراً ويجب الانتباه لضرورة استغلاله .

---

(1) نفس المصدر السابق، ملخص الفصول الثالث والرابع والخامس.

(2) بإيجاز عن صفحات مختلفة من الفصول السادس والسابع والثامن والتاسع من كتاب (الإعلام الجديد؛ المفاهيم والوسائل والتطبيقات) للأستاذ عباس مصطفى صادق.

لدينا كذلك التطبيقات الصوتية والإذاعية الجديدة مثل تطبيقات إذاعات الإنترنت والراديو الرقمي والراديو الفضائي والاتصال الهاتفي عن طريق الإنترنت والمؤتمرات البعدية الصوتية ونظم نقل الملفات الصوتية عبر الشبكة ومشغلات الموسيقى الرقمية . ولدينا كذلك التطبيقات التلفـزيونية والسينمائية الجديدة مثل التلفزيون الرقمي والتلفزيون عالي الوضوح والتلفزيون التفاعلي وتلفزيون بروتوكول الإنترنت والتلفزيون عبر الهواتف المحمولة والفيديو الرقمي التفاعلي كما يشمل الفصل تطبيقات السينما الرقمية. هناك أيضاً التطبيقات الإعلامية على الهاتف المتحرك، باعتباره من أكثر التكنولوجيات التي غيرت الطريقة التي يعيش بها الإنسان في كافة مناحي الحياة، ليس فقط كوسيلة اتصال هاتفي ولكن كأداة للتجارة والترويج والتسلية والترفيه وكوسيلة إعلامية جديدة كلياً . ويدخل في هذه التصنيفات كذلك ما عرف بنظم وتطبيقات الإعلان والترويج في شبكة الإنترنت وتطور أساليبه وتنوع مدارسه وأدواته وطرق تصميمه وعرضه والجهات الدولية التي تنظمه وتحدد قياساته[1].

لدينا كذلك التصوير الرقمي الذي يعد في عالم الإعلام اليوم أحد الأسس الرئيسية التي يعتمد عليها الإعلام الجديد، إذ تلعب الصورة دوراً مهماً في الإعلام الجديد، أكثر مما كانت تلعبه قديماً، لأنه أصلاً إعلام وسائط متعددة . وهناك كذلك تطبيقات النشر الإلكتروني والتجهيز الطباعي الذي يحوي جوانب متعددة من الأنواع وآليات الإنتاج. وهناك خلط يقع فيه الكثيرون بين ثلاث حالات للنشر هي : النشر الإلكتروني الشبكي والنشر الإلكتروني خارج الشبكة والتجهيز الطباعي الإلكتروني . وعموماً هناك أسس عامة للكتاب الإلكتروني والمكتبة الإلكترونية فيها أساليب ع رض لقارئات الكتاب الإلكتروني وبرمجياته المختلفة[2].

---

(1) نفس المصدر السابق، ملخص الفصول من العاشر ولغاية الرابع عشر.

(2) الإعلام الجديد؛ المفاهيم والوسائل والتطبيقات، عباس مصطفى صادق، ملخص الفصول الخامس عشر لغاية السابع عشر.

حقيقة فكر وعقيدة وإيديولوجيا الدور الإعلامي العولمي

إن العقيدة التي تحتكم إليها حضارة ما، وما تنسجه بها من إنتاج معرفي لم تأت من فراغ كما أنها لم تأت نتيجة التراكم المعرفي عبر الزمن لأصحاب هذه الحضارة . فما هذه العقيدة إذن، وما هي حقيقة موقف أصحاب الحضارة منها؟ .. إن الإجابة على هذين السؤالين وما قد يجرانه من أسئلة أخرى بحاجة إلى بحث ومتابعة حثيثين، ليس فقط لأنها تنتمي إلى ماضي الإنسانية السحيق الذي لا نعرفه عنه اليوم سوى هيكل عظمي هنا وأداة حجرية هناك، وليس لتنوع وغنى الإجابات التي قدمتها وتقدمها الحضارات الإنسانية المختلفة، ولكن أيضاً لاعتراض الإجابة على كثير من المسلمات التي حكمت تناول هذين السؤالين في القرنين الماضيين؛ فالحضارات الإنسانية القديمة قدمت إجابتها وأنهت الموضوع، ومن ضمنها الحضارة العربية[1].

وفي ضوء عصر العولمة وتحدياته لا يجوز أن يقودنا هذا التيار الجارف إلى نذوب فيه ونفقد الهوية الإسلامية العربية الخ اصة بنا، كما لا يجوز أن نعزل أنفسنا عن عالمنا الذي نعيش فيه فهذا الانعزال فى عالم اليوم قد أصبح أمراً مستحيلا، ومن هنا فإن الانعزال فى عالم اليوم قد أصبح أمراً مستحيلاً، ومن هنا فإن علينا أن نكون إيجابيين ومشاركين فى التطورات التى تحدث من حولنا لا أن نكون مجرد تابعين أو متفرجين. وهنا علينا تأطير وتأصيل وتفصيل يتناول مفهوم القيم الأخلاقية الإسلامية والغربية ووضعها فى عصر العولمة بالدراسة النقدية المقارنة، وذلك بغرض الكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف بينها، ومدى تأثير العولمة على كل منهما، لنخرج فى النهاية بصيغة عملية تعمل على حفظ القيم الأخلاقية الإسلامية أمام تيار العولمة. ومن

(1) العقيدة والإنتاج المعرفي (بحث في العلاقة ما بين العقيدة العربية والإنتاج المعرفي العربي منذ القدم إلى 2500 قبل الميلاد)، صادق أنعام الخواجا، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.

ذلك البحث والدراسة النقدية لبيان أوجه الاختلاف بين النموذج الإسلامي الحضاري للعولمة والنموذج الغربي القديم منه والحالي[1].

ولو أردنا أن نبين كيفية التعامل مع الإعلام بكل تخصصاته الحديثة ب شخصية لا تذوب في خليط العولمة العجيب لتطلب ذلك الكثير من الجهد الفهرسي والتصنيفي من جهة، وجهد أكبر في جانب الإلمام بعلوم كثيرة وغزيرة فضلاً عن جوانب التحليل والتشخيص والعلاج.

فمثلاً الكتابة حول الإعلام التربوي تقود صاحبها إلي الولوج في محيط المفاهيم التي تتداخل مع الإعلام التربوي وتشاطره مهامه وتتطابق بعضها معه في الرسالة والغاية، ولعل من ابرز هذه المفاهيم : التربية ، التعليم ، الاتصال . وهذه المفاهيم في مجملها تقف علي أرضية واحدة هي المجتمع وعقيدته ووعيه الثقافي والاجتماعي وممارسته القيمية، وتستهدف لتحقيق م ا تسعي إلي تحقيقه الإنسان فردا ومجتمعا، وبالإنسان تترجم رسالتها وتحقق غاياتها. ولذلك لابد من تناولها وإبانه العلاقة بينها والدلالات منها وما يتركز حول هذه الاصطلاحات في سياق وظائفها ودورها العام والخاص المتصل بالعملية التربوية – التعليمية [2]

وفي عصرنا العولمة هذا تُعنى أغلب البحوث والدراسات العربية في مجال الإعلام بدور وسائل الاتصال واتساع دائرة التأثير المباشر للإعلا م ووظائفه في صياغة أسلوب حياتنا اليومية، وبيان الصيغ المختلفة للرسائل الإعلامية، ومدى القدرة الفاعلة في ممارسة الرقابة والملاحظة. والميزة البارزة في هذه البحوث تكمن في أنها تكشف، عبر مقاربات منهجية، المستور عن واقع الصحافة ودور وسائل الإعلام في حركة نشاطات الفعل السياسي والاقتصادي والإعلامي والعلمي العولمي على عالمنا

---

(1) القيم الأخلاقية بين الفكرين الإسلامي والغربي في عصر العولمة، موزة أحمد راشد العبار، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.

(2) الإعلام التربوي " مفهومه ، مجالاته ، أنشطته وفنونه " ، عبد الله أحمد الذيفاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط/1، 2008م.

العربي. ومن ذلك حروب المعلومات الإعلامية ودور الفضائيات في تحقيق الوعي لقيم المجتمع المدني ونشر الحريات، كما تقدم بعضها رصداً ونقداً عبر تأثير ما يعرف بتلفزيون الواقع في المنطقة العربية، إضافة إلى العناية بإشكاليات علوم الإعلام والاتصال وانعكاساتها على واقع البحوث العربية. ولعل الأهمية المنهجية التي تستوجب الإشارة إليها هنا هي أن هذه البحوث تتنوع من حيث طرائق البحث، لكنها تتدرج في وحدة الهدف، أي قدرة الإعلام في التأثير والتواصل، ومسؤوليته المهنية والأخلاقية، في مجتمع عربي يعيش أزمات داخلية وخارجية، تدفعه إلى التساؤل والبحث عن الحقيقة.

ولعل من أهم تلك الدراسات ما قام به مركز دراسات الوحدة العربية في تقديم مجموعة من البحوث العلمية الجادّة في مجال الإعلام، وضمن إطار "ثورة الصورة: المشهد الإعلامي وفضاء الواقع"، منطلقاً من حقيقة جدوى دور الإعلام في وجوه الحياة عامة، فقد بات نقل المعلومة والمشهد ووقائع الحوار، والنصوص التسجيلية، وتسويق الخبر والترويج الإعلاني، وسوى ذلك، من وسائل التواصل والتأثير، علماً وفناً، وتقنيات متطورة، إضافة إلى ما للمال والسلطة من أثر فاعل في صناعة هذا القطاع الحيوي [1].

ولعل المتأمل في ما يفعله الفعل المشاهد من اجتذاب للناس وتأثير في سلوكهم وأفعالهم ليدرك أن القضية تعتبر من أخطر القضايا التي تتعلق بكل الفعل الإنساني الفردي والمجتمعي والمؤسسي وربما الحكومي كذلك.

ولقد أثبتت دراسات عديدة أن فعل وتأثير المحركات الشهوانية الثلاث (النفوذ – المال– الجنس) على حركات المجتمعات البشرية أن تلك المحركات تعتبر اليوم من أهم المؤثرات على حركة الفعل البشري في جميع الحضارات بفعل تأثير الإعلام والفن وخصوصاً المشاهد والمرئي.

---

(1) ثورة الصورة: المشهد الإعلامي وفضاء الواقع، مجموعة من الباحثين، سلسلة كتاب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط/1، 2008م.

ومن تلك الدراسات المهمة كتاب (خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام MEDIA SEXPLOITATION)، لمؤلفه البروفيسور ويلسون براين كي، فهذا الكتاب هو عبارة عن عمل شامل ومتكامل يوضح كيف أن الأفكار البشرية وسلوكها يتم تسخيرها بشكل سري من قبل بعض الإعلاميين، من أجل السيطرة والتوجيه والتلاعب بسلوكنا الشرائي. وهذا الكتاب يعتبر مكملاً لكتاب البروفيسور "كي" السابق "الإغراء اللاوعي" الذي تعامل مع الخداع المرئي . أما هذا الكتاب، فإنه لا يكمل المزيد من أمثلة الخداع المرئي فحسب، بل إنه توسع ليشتمل تقنيات الخداع السمعية والشمية أيضاً. وهذا الكتاب غير العادي يبين لنا ما هو الهدف من الاستغلال الإعلامي الجنسي، ويكشف لنا كل الطرق التي تقوم بها كل من المجلات والصحف والأقنية التلفزيونية والأفلام والموسيقى الشعبية، والتي تقوم على مبدأ الاغتصاب والاستغلال الفكري للشعب. والقارئ لهذا الكتاب سيدرك بعد قراءته حقائق مرعبة عن تلك المؤثرات، فسينظر وينصت ويدرك، ولكن بطريقة جديدة تماماً.

في أحد فصول هذا الكتاب "فيلم الرقية" كشف البروفيسور "كي" عن الطريقة الجديدة بالملاحظة، والتي قامت بدمجها كل التقنيات المرئية والسمعية، والتي كانت ذات تأثير وتحريض تبادلي من أجل إنتاج التأثير المرعب لذلك الفيلم . القليل من الأضواء الوامضة على الشاشة يوحي بوضوح ووعي شبح الموت . أصوات غريبة ومخيفة "والتي يمكن تسميتها فن اللصق الص وتي" تشق طريقها إلى الداخل والخارج لخلق وترقية الشعور بالخوف. كما قام بمناقشة العديد من التقنيات المتشابهة، والتي تصادق على القدرة الهائلة لوسائل الإعلام على التلاعب بالإنسان، وإنتاج خوف لا يمكن السيطرة عليه، وكذلك تجاربات عميقة أخرى . وفي الفصل الآخر الذي يتحدث عن الروائح، فإنك ستحصل على تبصرات جديدة تتعلق بـــ "مستر كلين"، و"موت العنبر"، " ثقافة الأدوية"، وعن "موسيقى الروك".. تقنيات حديثة زودت بطرق جديدة للتلاعب بالرؤية والصوت والرائحة في مجالات حسية عديدة من الخداع البشري، والتي تم تصميمها من أجل تجاوز دفاعا تنا الإدراكية والولوج في عالم اللاوعي في عقلنا

الباطن. اهتمام البروفيسور "كي" الشديد هوليس أننا مستغلين، بل هو أنه يتم ذلك ونحن لا نعلم، ليس لديه أي نزاع بشأن الإغراء المتفق عليه تبادلياً، ولكنه يعارض بشدة الإغراء المخادع، لذا فهو ضد الاستغلال الجنسي عبر وسائل الإعلام.

يقول المؤلف : (لا تدعهم يضعون الستار أمام عينيك وأذنيك وفمك وأنفك وحواسك كلها. تأكد أيها المشاهد من أن الإعلان مصمم من أجل أن يضعك في عالم الخيال، تلك هي رسالة الاستغلال الإعلامي الجنسي).

ويبين الكتاب كذلك الرموز المخفية في وسائل الإعلام الأم ريكية، ويوضح كيفية قيام تلك الرموز ببرمجة وتكييف عقلنا الباطن . إنه كشف مثير لعواقب الإغواء اللاشعوري، لأن وسائل الإعلام تعلم كل شيء عن مخيلاتنا، ومخاوفنا، وعاداتنا المتأصلة والعميقة، فهي تعلم- إذاً- كيف تستغل مشاعرنا وسلوكنا وتحوله لما تريد. ويضرب مثل في الإعلانات الشرائية مثل كيفية قيام إعلانات الحلوى بإزالة مخاوفك من زيادة الوزن، وكشف أن مجلات مثل بلاي جير وفيفا المخصصة للنساء هي في الواقع تستهدف الرجال، وكذلك كيفية قيام إعلانات السجائر بإزالة مخاوفك من الإصابة بالسرطان، وكيفية قيام الأفلام بابتكار طرق تعذيب جديدة من أجل إيلامك، ومن أجل زيادة أرباحها، وكيفية قيام إعلانات الأزياء بالتوجه الى السحاقية المستترة، وكيفية نجاح موسيقى الروك الشعبية الساحق في ترويج المخدرات، وكيفية قيام صور الأخبار بقولبة وصياغة آرائك، وكيفية تضمين وإخفاء كلمة من أربعة أحرف في صور طعامك وفي صور ملابسك من أجل إثارة الرغبة الجنسية، ولكيفية قيام كل ذلك- وأكثر بكثير- بإثارتك واستعبادك، ومن دون أدنى علم حسي بذلك. والأمر كله مبني على (صدمة مدهشة) و(سحر شديد) و(غوص في الرغبات والملذات) و(مناغمة أعماق النفس البشرية)، ومن ثم يحذر المؤلف من خطورة الأمر بقوله: (الأمر يتطلب أقصى درجات الحرص والانتباه) [1]

---

(1) خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام MEDIA SEXPLOITATION ، ويلسون براين كي، ترجمة، تحقيق: محمد الواكد، صفحات للدراسات والنشر، ط/2، 2008م.

ولو تدبرنا تأثير الأعلام حتى على القرار السياسي لكبريات الدول كتأثير الإعلام المؤدلج صهيونياً على الفعل والقرار الأمريكي لوجدنا أنه مؤثر لدرجة تدخله في مصائر شعوب وأمم ودول بأسرها فضلاً عن أثر ه في حياة الأفراد . وما حصل من موضوع التزوير والكذب اللذان مورسا في عملية احتلال العراق من قبل الأدارة الأمريكية وفعل الإعلام المؤدلج والمملوك صهيونياً إلا دليل على كل ذلك.

ولعل كتاب (اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy) الذي ألفه الباحثان الأكاديميان الأمريكيان المرموقان جون مريشماير وستيفان والت (John J. Mearsheimer & Stephen M. Walt) بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما فيه من حقائق مرعبة جعلته أحد أكثر الكتب مبيعاً في العالم يعتبر أحد الوثائق الدامغة على فعل الإعلام في التضليل والتزوير وتحويل مسار الأحداث لصالح المنتفعين من وراء ذلك فكرياً عقائدياً أو مصلحياً براغماتياً. المؤلفان عالمان جيوسياسيان (political scientists) وأكاديميان من جامعتين مرموقتين هما شيكاغو وهارفارد (University of Chicago and Harvard). الكتاب بذل فيه المؤلفان جهداً كبيراً في تتبع واستقصاء حقيقة الضغط الإسرائيلي على صانعي القرار الأمريكي وبالذات حيال دولة إسرائيل اللقيطة وأمنها، وقد قام الكتاب بمسح شامل للنشاطات العلنية والسرية لتحالف كبير وضخم من الأفراد والمؤسسات أدخلوا تحت تعريف مجموع ات الضغط الإسرائيلية أو اللوبي الإسرائيلي (a wide coalition of pro-Israel groups and individuals). ولعل أبرز هذه المنظمات منظمة اليهود الأمريكان والمانحين السياسيين (American Jewish organizations and political donors)، مجموعات التعصب الفكري لصالح إسرائيل مثل المتعصبين المسيحيين والمحافظين الجدد وغيرهم (Christian fundamentalists, neo-con officials in the executive branch.)، ومنظمة شؤون العامة الإسرائيلية الأمريكية المعروفة بأيباك التي لها نفوذ كبير داخل الكونغرس (the American-Israel Public Affairs Committee, which

they characterize as having an almost unchallenged hold on Congress.)، وكذلك منظمات العمل الإعلامي المضادة للفكر العادي لإسرائيل والسامية المعروفة بـــ (media pundits who smear critics of Israel as anti-Semites) [1].

ويضرب لنا المفكر الإسلامي الأستاذ خالد طبانة مثلاً آخر في بحثه الموسوم: (كيف تهود المسيحيون وأثر ذلك على العالم الإسلامي) الذي قدمه بشكل محاضرات قيمة : (إن عدد المحطات الاعلامية والمؤسسات التعليمية الدينية الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية يبلغ 2700 محطة دينية صهيونية مرئية ومسموعة وهي في تزايد مستمر، وأن البرامج الدينية إنما تبث الى الشعوب الامريكية من خلال 80 ثمانون ألف قسيس إنجيلي صهيوني، وأن البعض من هؤلاء القساوسة ورؤساء الكنائس هم من القوة بحيث يبدون كالملوك في مناطقهم ومعظم هؤلاء القسسة –إن لم يكن كلهم– كانوا قد تتلمذوا في المدارس الدينية اليومية والتي تضاعف عددها مئات المرات منذ عام 1954 /1955 م ليبلغ عام 1980 ثمانية عشرة الف مدرسة تضم أكثر من مليوني تلميذ. ويذكر أنه بلغ مجموع ما قدمه الامريكيون من تبرعات ومساهمات الى الكنائس البروتستانتية الصهيونية في عام 1982 (60,39) مليار دولار ونتيجة لهذه المساهمات السخية فقد تمكنت هذه الكنائس من الإشراف والرعاية الكاملة لهذه المدارس لابل أنها أصبحت تمتلك وتدير عدة مئات من المعاهد والكليات والجامعات في الولايات المتحدة الامريكية . ومن أوائل الجامعات الشهيرة التي أسستها الكنيسة الامريكية بهدف توفير التعليم الديني، جامعة هارفرد في عام 1636 م وكذلك جامعة ييل yale في عام 1710 م والتي أسست بهدف توفير تعليم حر وديني في الولايات المتحدة الامريكية، ومن بين الجامعات المهمة ذات العلاقة بالكنائس الامريكية، الجامعة الامريكية سواءً التي في واشنطن العاصمة أو التي أسست في بيروت سنة

(1) The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy, John J. Mearsheimer & Stephen M. Walt., Publisher: Farrar, Straus and Giroux; 1st edition (September 2, 2008), 496 pages.

1865 م والتي نص المنشور الذي أصدرته في بيروت سنة 1909 م من أنها (كلية بروتستانتية أسست باموال شعب مسيحي)، أو مثيلتها في القاهرة . ومن الجامعات الكنسية الأخرى جامعة جورج تاون في واشنطن وجامعة ديتون وبيلور في تكساس، وجامعة إموري فـي مدينة اتلانتا، وجامعة دنفر في كولورادو وجامعة ديوك في كارولينا الشمالية. أما معاهد التعليم العالي التي لها صلة بالكنائس فقد بلغ عددها في عام 1981–1982 م زهاء (1978) معهداً تخرج طلاباً مؤمنين بمبادئ الخلاص المتمثلة بالنبوءات الواردة في الاسفار التوراتية)[1].

الفن والدراما

إن موضوع الفن والدراما والتمثيل والغناء يجب التوقف عنده ملياً لأنها تعتبر من أهم الوسائل الإعلامية اليوم تأثيراً، فمن الضروري أن تدرج في مناهج الدعوة العصرية لأن التغافل عنها أو إهمالها بحجة أنها بدعة –وهي ليست كذلك كما أثبتنا في الفصول السابقة– يمكن اعتباره أحد الثغرات الخطيرة التي تركها المسلمون ليرعى فيها أهل الإفك والضلال ويؤثروا بها على عوام الناس ويسرقوا منا هدايتهم ويجعلوهم في صف الشر والفسق وهو ما لا يرضاه الله لعباده ولا نرضاه لهم كدعاة للخير والفضيلة.

ألسنا نردد مقولة اشتهرت بين الخطباء والعلماء وهي وصية رائعة بحق ولكننا أغفلنا معانيها السامية: (إن كل واحد منا اليوم علىلا ثغر من يغور الإسلام فلا يؤتين الإسلام من جهته).. ما أروع هذه المقولة، لكن ألسنا بهذا الفعل نترك الثغر الخطير هذا كي تتناهشه ضواري الرذيلة وشياطين الإنس تناهش الأكلة على قصعتها؟!

إن الفن والتمثيل والنشيد والرسم وغير ذلك أصبحت اليوم من أهم عوامل التأثير بل والتغيير في المجتمعات والأمم.

---

(1) كيف تهود المسيحيون وأثر ذلك على العالم الإسلامي، ص32.

دعونا نتأمل هذا القول لفضيلة الأستاذ الراشد : (إن ظاهر اختلاط التربيات تلح على الأمة أن تصنع مجتمعاً خاصاً للجدد والناشئة يستهلك أو قاتهم كلها ويضمن ابتعادهم عن التلبس بتأثير تربوي جاهلي. الأمر الذي يترتب عليه وجوب التفنن في أساليبنا التربوية والإعلامية عبر استعمال المعطيات العصرية في استثمار ظاهرة تأثر النفس الإنسانية بالمسموع والمنظور، ولم يعد طبع الكتب كافياً ولا إلقاء شعر في المناسبات. وإن كان ابتكار التمثيليات المسرحية بالأمس كمنظر تربوي ينبغي أن نفكر اليوم جدياً في تطويره لأفلام سينمائية جادة ومسلسلات يمكن أن تعرض في التلفاز فيها إبراز لمعاني الإيمان والأخلاق والحياة الأسرية وقبائح الظلم والفساد . كذلك الحال بالنسبة للاستعمال الإسلامي لمعطيات الإنترنت والإقبال عليه يحتم علينا إتمام الشوط والتوغل إلى أبعد والتوسع الكمي والنوعي معاً بحيث نمارس عملاً إعلامياً عريضاً عبر التنسيق بين المواقع العديدة. ويدخل في ذلك ويتفرع عنه إشاعة الكتاب الإسلامي والمجلات بالأقراص المدمجة وكذا الأفلام وا لتمثيليات من أجل تحقيق الانتشار الأوسع. وانتقاء أجود العناوين والفقرات والجمل والشعارات التي أوردتها الصحافة الإسلامية وحشدها في كراسات صغيرة توزع بين الناس على نطاق واسع)[1].

الحياة المعاصرة تفرض على الداعية النظر ثم التعامل مع معطيات فنية كثيرة جداً، عبر مطالعة الصحف والنظر للتلفاز واستعمال الحاسوب الآلي وخلال الدراسة الجامعية والتجول في المدينة ودخول الأسواق، وهو يتأثر أثناء كل ذلك بدرجات من التأثر، بينما فنانو الجاهلية الحديثة يصبون فيه أحاسيسهم وحزمة من المفاهيم والنظرات والتأولات كل يوم، وهو مستسلم كل الاستسلام لمحاولاتهم، ثم إذا آتيه أن لأدعوه إلى استقلال وإلى فن إيماني وتجريب ذاتي، وترجمة الشعور الملائكي النقي الصافي، ووصف السمو العالي والجوهر الغالي غبر خط ولون ورمز وإشارة وخشبة

(1) منهجية التربية الدعوية، محمد أحمد الراشد، ص 21–24 بإيجاز، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع تاريخ النشر، ط/1، 2005.

وحديدة وطين وخزف وقطعة قماش : يأبى ذلك وينكر ويزمجر ويعتصم برجعية ابتدعها ما كتبها الله عليه. بل الفن تعبير عن حاجة فطرية وأصه المحرك له، هيام بالجمال الذي يحبه الله تعالى[1] وخلق كونه على أساسه . ولتكن المشتركات تلك الوسائل الفنية التي تلقتها الأمة بالقبول كالخط العربي والزخرفة الهندسية والنباتية، فالعناية بذلك يدخل ضمن مفهو م الحفاظ على الهوية المميزة للأمة . على إن ذلك لا يمنع من اقتباس ما هو مقبول من الفن العالمي والتشكيلات التي بقي بعض منها عائماً لم يلتصق بقوم كعلامة مميزة لهم مثل المدارس الفنية التجريدية والتكعيبية وأشكال النحت الانسيابي المعاصر الذي لا يدقق في صورة الجسم وتعبيره وإنما يكتفي بإيماء إلى الشكل والمعنى دون تفاصيل، وقس على ذلك[2].

ولعل الخروج من التربية التقليدية التلقينية إلى منهجية الفحص الميداني وزيارة المتاحف ومواقع المعارك والأحداث الكبرى الشهيرة وإطراح النظرة السوداوية المتشائمة والسلوك الانعزاليو القي ام بسياحة واعية ثقافية تعتبر أحد أهم الوسائل المطلوبة في الدعوة الحديثة[3]. وبالجملة فالسياحة لها آثار قوية في الدين[4].

والفن جمال في أصله لكن أهل الشر والرذيلة وحزب الشيطان استغلوه استغلالاً سيئاً ليضعوه في خانة الشهوات، والسبب في ذلك أن ساحة الجهاد الد عوي في هذا المجال خالية من أهل الخير والفضيلة.

يقول الشيخ الدكتور عائض القرني في معنى الجمال في ديننا الحنيف:

([1]) الحديث في صحيح مسلم [جزء 1 – صفحة 93، 147]: عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس).. قال الشراح: (بطر الحق) هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا (غمط الناس) معناه احتقارهم يقال في الفعل منه غمطه يغمطه وغمطه يغمطه.. انظر الحديث برقمه في المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

([2]) منهجية التربية الدعوية، محمد أحمد الراشد، ص 134–135 بتصرف، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع تاريخ النشر، ط/1، 2005.

(3) نفس المصدر السابق، ص 139.

(4) نفس المصدر السابق، ص 140 نقلاً عن تفسير الرازي 162/16.

((صفاءُ النفسِ بصفاءِ الثوبِ، وهنا أمرٌ لطيفٌ وشيءٌ شريف، وهو أنَّ بعض الحكماءِ يقولُ : منِ اتسخ ثوبُه، تكدَّرتْ نفسُه. وهذا أمرٌ ظاهرٌ. وكثيرٌ من الناسِ يأتيهِ الكَدَرُ بسببِ اتساخ ثوْبِهِ، أو تغيُّرِ هِندامِهِ، أو عدمِ ترتيبِ مكتبتِهِ، أو اختلاطِ الأوراقِ عنده، أو اضطرابِ مواعيدِه وبرنامجِه اليوميِّ، والكونُ بُني على النظامِ، فمنْ عَرَفَ حقيقة هذا الدِّينِ، علم أنه جاء لتنظيمِ حياةِ العبدِ، قليلِها وكثيرِها، صغيرِها وجليلِها، وكلُّ شيءٍ عنده بحُسْبانٍ ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ . وفي حديثٍ عند الترمذيِّ : (إنَّ الله نظيفٌ يحبُّ النظافة)، وعند مسلمٍ في الصحيحِ : (إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال)، وفي حديثٍ حسنٍ: (تجمَّلُوا حتى تك ونوا كأنكمْ شامةٌ في عيونِ الناسِ). وأولُ الجمالِ : الاهتمامُ بالغسلِ. وعند البخاري : (حقٌّ على المسلمِ أنْ يغتسل في كلِّ سبعةِ أيامٍ يوماً، يغسلُ فيه رأسه وجسمهُ). هذا على أقلِّ تقديرٍ ، وكان بعضُ الصالحين يغتسلُ كلَّ يومٍ مرةً كعثمان بنِ عفان فيما ورد عنهُ، قال تعالى: ﴿ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ ، الآية. ومنها خصالُ الفطرةِ : كإعفاءِ اللحية وقصِّ الشاربِ، وتقليمِ الأظافرِ، وأخذِ الشعرِ الزائدِ من الجسمِ، والسواكِ، والطِّيبِ، وتخليلِ الأسنانِ، وتنظيفِ الملابسِ، والاعتناءِ بالمظهرِ، فإنَّ هذا مما يوسِّعُ الصدر ويفسحُ الخاطر. ومنها لُبسُ البياضِ، (البسوا البياض، وكفِّنوا فيه موتاكمْ)[1]. وقد عقد البخاريُّ باب : لبسِ البياضِ : (إنَّ الملائكة تنزلُ بثيابٍ بيضٍ عليهمْ عمائمُ بيضٌ). ومنها ترتيبُ المواعيدِ في دفترٍ صغيرٍ، وتنظيمُ الوقتِ، فوقتٌ للقراءةِ، ووقتٌ للعبادةِ، ووقتٌ للمطالعةِ، ووقتٌ للراحة، ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾، ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾.

في مكتبةِ الكونجرسِ لوحةٌ مكتوبٌ عليها : الكونُ بُني على النظامِ. وهذا صحيحٌ، ففي الشرائعِ السماويةِ الدعوةُ إلى التنظيمِ والتنسيقِ والترتيبِ، وأخبر – سبحانه وتعالى –

---

(1) جاء سنن الترمذي [جزء 5 – صفحة 117، رقم 2810] عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم .. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن ابن عباس و ابن عمر.. قال الشيخ الألباني : صحيح.

أنَّ الكون ليس لهْواً ولا عبثاً، وأنه بقضاءٍ وقدرٍ، وأنه بترتيب وبحُسبانٍ : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾. ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾، ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾، ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً ﴾، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ{16} لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾)).. انتهى نص الشيخ الدكتور عائض القرني [1].

فكُنْ جميلاً ترَ الوجود جميلاً، فإنَّ منْ تمامِ سعادتِنا أنْ نتمتَّع بمباهج الحياةِ في حدودِ منطقِ الشرعِ المقدّسِ، فاللهُ أنبت حدائق ذات بهجةٍ، لأنهُ جميلٌ يحبُ الجمالَ، ولتقرأُ آياتِ الوحدانية في هذا الصُّنع البهيج ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ . فالرائحةُ الزَّكيةُ والمطعمُ الشهيُّ والمنظرُ البهيُّ، تزيدُ الصَّدْرَ انشراحاً والرُّوح فرحاً ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً ﴾. وفي الحديث : (حُبِّب إليَّ من دنياكمْ : الطِّيبُ، والنساءُ، وجُعِلتْ قُرَّةُ عيني في الصلاةِ).

إنَّ الزهدَ القاتِم والورع المُظلِم، الذي دلف علينا منْ مناهج أرضيَّةٍ، قدْ شوَّه مباهج الحياةِ عند كثيرٍ مِنَّا، فعاشُوا حياتهم همًّا وغمًّا وجوعاً وسهراً وتبتُّلاً، بقولُ رسولُنا صلى الله عليه وسلم : (لكنِّي أصومُ وأُفطرُ، وأقومُ وأفترُ، وأتزوَّجُ النساء، وآكُلُ اللحم، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني). وإنْ تعجبْ، فعجبٌ ما فعلهُ بعضُ الطوائفِ بأنفسهمْ ! فهذا لا يأكلُ الرّطب، و ذاك لا يضحكُ، وآخرُ لا يشربُ الماء البارد، وكأنهم ما علمُوا أنَّ هذا تعذيبٌ للنفسِ وطمْسٌ لإشراقها ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ . إنَّ رسولنا صلى الله عليه وسلم أكل العسل وهو أزْهدُ الناسِ في الدنيا، واللهُ خلق العسل ليُؤكل : ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ ﴾ . وتزوَّج الثَّيِّباتِ والأبكار : ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم

---

(1) لا تحزن، د. عائض القرني، ص 227-229، مكتبة الصحابة- الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين- القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.

مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ﴾. ولبس أجمل الثيابِ في مناسباتِ الأعيادِ وغيرِها : ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾. فهو صلى الله عليه وسلم يجمعُ بين حقِّ الرُّوحِ وحقِّ الجسدِ، وسعادةِ الدنيا والآخرةِ، لأنه بُعث بدينِ الفطرةِ التي فطرَ اللهُ الناس عليها) (1).

ويا للأسف أن الدعوة لم ترزق بعدد من الفنا نين يكملون بتربيتهم التخطيطية واللونية تربية ناقلي الروايات الشرعية والمعاني الإيمانية للدعاة بتناسق ألوانهم وحشد تشكيلاتهم، وهي ثغرة كبيرة تكشف عن جانب سلبي في منهجية التربية الدعوية الحاضرة(2).

على إن هناك بعض المتطلبات التي يستوجب على القائمين في الحقل الإعلامي والفني الأخذ بها وعلى رأسها الإخلاص لله في عملهم وعدم اللهث وراء الشهرة المجردة وتقبل النقد والنصح وغير ذلك من متطلبات العمل الدعوي الذي هو أصل اختلاف أهل الدعوة في كل صنعاتهم عن نظراءهم ممن لا يحملون هم الدعوة والدين.

يقول القرني: (لا تحرصْ على الشهرةِ، فإنَّ لها ضريبةً من الكدرِ والهمِّ والغمِّ، مما يشتتُ القلب ويكدِّرُ صفاءه واستقراره وهدوءه : الحرصُ على الظهورِ والشهرةِ، وطلبِ رضا الناسِ، ﴿ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً ﴾. (منْ راءى راءى اللهُ بهِ، ومنْ سمَّع سمَّع اللهُ بهِ). ﴿ يُرَآؤُونَ النَّاسَ ﴾، ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ ﴾، ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ﴾(3).

ثوبُ الرياءِ يشِفُّ عمَّا تحتهُ فإذا التْحفْت بهِ فإنَّك عاري

---

(1) لا تحزن، د. عائض القرني، ص 368-369، مكتبة الصحابة- الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين- القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.

(2) منهجية التربية الدعوية، محمد أحمد ال راشد، ص 137، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع تاريخ النشر، ط/1، 2005.

(3) لا تحزن، د. عائض القرني، ص 219، مكتبة الصحابة- الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين- القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.

سرد من اللغة والتاريخ

سنحاول في الأسطر القادمة تبيان بعض الحقائق المتعلقة بلفظ الفن في اللغة والمصطلح وكذلك تعاريف أهل التخصص وتأريخ هذا النشاط البشري وبعض ما جاء في رأي الشرع فيه فضلاً عما سبق تبيانه في فصل التأصيلات.

يقول أهل اللغة:

- الفَنُّ واحد الفُنُونِ وهي الأنواع و الأَفَانِينُ الأساليب وهي أجناس الكلام وطرقه ورجل مُتَفَنَنٌ أي ذو فنون و افْتَنَّ الرجل في حديثه وفي خطبته بوزن اشتق جاء بالأفانين و الفَنَنُ الغصن وجمع الأَفْنَانُ ثم الأَفَانِينُ[1].
- الفَنُّ : الحالُ والضَّرْبُ من الشيءِ كالأُفْنُون . أفْنانٌ وفُنونٌ والطَّرْدُ والغَيْنُ والمَطْلُ والعَناءُ والتَّزْيينُ . وافْتَنَّ : أخذَ في فُنونٍ من القولِ : وفَنَّنَ الناسَ : جَعَلَهم فُنوناً . والفَنَنُ محرَّكةً : الغُصْنُ وجمعها أفْنانٌ أفانينُ . وشجرةٌ فَنَّاءُ وفَنْواءُ : كثيرتُها. والتَّفْنينُ : التَّخْليطُ وفي الثَّوْبِ : طَرائقُ ليست من جِنْسِه . ورجلٌ مِفَنٌّ كمِسَنٍّ : يأتي بالعجائِبِ وهي مِفَنَّةٌ . والفَنَّةُ : السَّاعةُ والطَّرَفُ من الدَّهَرِ كالفَيْنَةِ وبالضم : الكثيرُ من الكَلأ . فِنٌّ عِلْمٍ بالكسر : حَسَنُ القيامِ به . وفَنْفَنَ : فَرَّقَ إبِلَهُ كَسَلاً وتَوانِياً. واسْتَفَنَّهُ : حَمَلَهُ على فُنونٍ من المَشْيِ[2].
- الفَنُّ واحد الفُنُون وهي الأَنواع والفَنُّ الحالُ والفَنُّ الضَّرْبُ من الشيء والجمع أَفنان وفُنونٌ. وافْتَنَّ أَخذ في فُنُونٍ من القول والفُنُونُ الأَخلاطُ من الناس وإِن المجلس ليجمع فُنُوناً من الناس أَي ناساً ليسوا من قبيلة واحدة ، وفَنَّنَ الناسَ جعلهم فُنُوناً. والتَّفْنينُ التخليط يقال ثوبٌ فيه تَفْنين إِذا كان فيه طرائق ليست من جِنْسه. والفَنَّانُ في شعر الأَعشى الحمارُ قال الوحشي الذي يأْتي بفُنُونٍ من العَدْوِ. والفَنُّ العَناء فنَنْتُ الرجلَ أَفُنُّه فَنّاً إِذا عَنَّيْتَه وفنَّه يَفُنُّه فَنّاً عَنَّاه . والفَنُّ المَطْلُ والفَنُّ الغَبْنُ والفعل كالفعل والمصدر كالمصدر وامرأَة مِفَنَّة يكون من

---

(1) مختار الصحاح [جزء 1 – صفحة 517]

(2) القاموس المحيط [جزء 1 – صفحة 1577].

الغَبْنِ ويكون من الطَّرْدِ والتَّغْبِيَة . وأُفْنُونُ الشَّباب أوَّله وكذلك أُفْنُونُ السحاب والفَنَنُ الغُصْنُ المستقيم طُولاً وعَرْضاً . قال العجاج والفَنَنُ الشَّارِقُ والغَرْبيُّ والفَنَنُ الغُصْنُ وقيل الغُصْنُ القَضِيب يعني المقضوب والفَنَنُ ما تشَعَّبَ منه والجمع أَفْنان ، وقال عكرمة في قوله تعالى : (ذَواتَا أَفْنانٍ)، الآية، قال ظِلُّ الأغصانِ على الحِيطانِ ، وقال أَبو الهيثم فسره بعضهم ذَواتا أغصانٍ وفسره بعضهم ذواتا أَلوان واحدها حينئذ فَنّ وفَنَنٌ كما قالوا سَنٌّ وسَنَنٌ وعَنٌّ وعَنَنٌ قال أَبو منصور واحدُ الأَفنان إذا أَردت بها الأَلوان فَنٌّ وإذا أردْتَ بها الأغصان فواحدها فَنَنٌ. والأَفانِينُ الأَساليب وهي أَجناس الكلام وطُرُقه ورجل مُتَفَنِّنٌ أي ذو فُنون وتَفَنَّنَ اضطرب كالفَنَن وقال بعضهم تَفَنَّن اضطرب ولم يَشْتَقَّه من الفَنَن والأَول أَولى. وفي المحكم التَّفْنِينُ تفَزُّر الثوب إذا بَلِيَ من غير تشقق شديد وقيل هو اختلاف عمَله برِقَّة في مكان وكثافة في آخر ، والله أَعلم.(1)

والفن في المصطلح يعني كل ضرب من العمل والعلم، فاصطلح لفظ فن على العلوم والآداب والصنائع وغير ذلك. فمثلاً اشتهرت عدة كتب في تبيان فنون الكلام وصنعته كخزانة الأدب، المزهر في علوم اللغة، المستطرف، جمهرة خطب العرب، المستقصى في أمثال العرب، الإيضاح في علوم البلاغة، المثل السائر، البيان والتبيين ودلائل الإعجاز وغيرها الكثير.

يبين صاحب المستطرف في كتابه بعض ضروب الفن البلاغي والبياني والشعري فيقول: (ولنذكر إن شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليا والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف وعند جمع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدالا يغتفر اللحن فيها وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلا ثة ملحونة أبدا وهي الزجل والكان وكان

(1) لسان العرب [جزء 13 - صفحة 326]

والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فإن هذا من أقبح العيوب التي لا تجوز وإنما يكون المعرب منه نوعان بمفرده ويكون الملحون فيه ملحو نا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفي الدين أبو المحاسن الحلي في ديوانه وسماه (بالعاطل الحالي والمرخص الغالي) ولو بسطت المقال لاتسع المجال وكثر المقال ولكن الاختصار يذهب الأوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال)[1].

ومن فنون اللغة والعروض والبيان انبرى فن جديد من فنون وعلوم اللغة سمي بفقه اللغة وهو أشمل من فنون اللغة وعلومها إذ يحيط بها ويصنفها ويحللها بل ويدخل في ارتباطها مع اللغات الأخرى بما يعرف بفقه اللغات.

ولعل أبا الحن أحمد بن فارس القزويني اللغوي (ت 390هـ) أول من استعمل عبارة " فقه اللغة " في العربية إذ يقول في مقدمة كتابه الذي ألَّفه برسم خزانة الوزير إسماعيل بن عباد صاحب ابن العميد : " هذا الكتاب الصحابيّ في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها " ثم ألَّف بعده بقليل معاصره أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي كتاباً أسماه : " فقه اللغة "[2].

ثم توالت كتب فقه اللغة عند العلماء القدماء والمحدثين كل حسب جيله وتطورات عصره ودخول كلمات جديدة في كل عصر يتطلب معه الوقوف عندها، ولعل علماء العصر الراهن في هذا الحقل اللغوي المهم بينوا لنا علاقة اللفظ العربي باللفظ في اللغات الأخرى وقد برز في هذا الضرب من الفن اللغوي فضيلة الأستاذ الدكتور رشيد العبيدي رحمه الله تعالى وفضيلة الأستاذ الدكتور حسام النعيمي وغيرهما.

يقول الثعالبي في كتابه الشهير فقه اللغة:

---

[1] المستطرف [جزء 2 – صفحة 448].

[2] انظر مقدمة الطبعة كتاب الثعالبي (فقه اللغة) بمطبعة شركة المرحوم السيد مصطفى الباني الحلبي وأولاده بالقاهرة [جزء 1 – صفحة 11].

❖ " فقه اللغة يجتهد في تدوين قواعد وقوانين اللغة لعلها غير قواعد النحو وقوانين فقواعد النحو لها قيمتها العملية أو التعليمية أما " فقه اللغة " فيجتهد أن يكشف قوانين نظرية هي أشمل وأعم كما أنه يجتهد في تدوين ما هو القاعدة اللغوية وإلى أي حد يمكن تطبيقها ويفسر الأسباب التي دعت اللغة إلى اختيار صيغة من الصيغ أو بنية أو تركيب دون غيره و ما العوامل التي تدعو اللغة إلى اتباع ما نسميه قواعد ؟ . يرى مثلا أن جمع التكسير يستعمل معه الفعل مؤنثا فلا يكتفي بهذا الإثبات بل يفسر لنا لماذا كان هذا ؟ وما القواعد النفسية التي اقتضته . واللغة المصرية تبدل همزة من القاف في مثل قال فلماذا كان ذلك ؟ إذاً فالنحو يقتصر على القاعدة اللغوية أما فقه اللغة فيعلل.

❖ وفرق آخر هو أن النحو يقتصر في عمله على لغة واحدة أما فقه اللغة فهو يقابل ويقارن لغة بلغة لا من حيث قرابة اللغات بعضها من بعضفحسب بل من حيث إنه يعلمنا أن قواعد اللغة التي نبحث عنها يوجد مثلها في لغات أخرى وجميع اللغات تخضع لقوانين يمكن الاستفادة منها في اللغة التي ندرسها فإذا كشفنا أن فروقا صرفية في اللهجات العربية ووجدنا مثلها في بعض اللغات الأخرى فلعلنا نستطيع أن نستنبط قواعد تتجاوز حدود اللغة الواحدة إلى قواعد أعم.

❖ وفرق آخر لعله أهم من هذه الفروق كلها هو أن النحو يعتبر المادة اللغوية ثابتة غير متغيرة ويدَّعي أن القواعد التي في اللغة يجب الرجوع إليها في كل زمان أما فقه اللغة فيَعْرِض للّغات الأخرى ويرى أن اللغة في تغير دائم وأن ما يقوله النحو في ذلك ليس إلا دعوى . فهناك اللغة البدوية قبل الإسلام وهاك الفروق الواضحة بين شعر جاهلي وشعر عباسي وبين المعاني التي أتى بها القرآن ولم تكن معروفة للجاهليين والنثر الحديث يغاير النثر القديم وقد نشأت مصطلحات للفقهاء والمتكلمين واللغويين وأهل التديّن والتصوّف وغيرهم فللثقافات الأجنبية وللترجمة أثر في توسيع نطاق اللغة وتعبيرها عن معان لا

قِبَلَ للغة العربية بها . ويظهر هذا في تركيب الجمل أيضا وقد حاول المترجمون في العصر العباسي محاكاة الأسلوب اليوناني اليوناني كحنين بن إسحاق فنجحوا في هذا حتى صارت اللغة العربية تتسع للثقافات العلمية . ونرى هذا اليوم فإن كل سطر نقرؤه في الكتب الحديثة شاهد على قدرة اللغة العربية على تحمل الاصطلاحات الحديثة الأجنبية . واللغة اليونانية لغة تحليلية من مزاياها أنها ترتب المعاني ترتيبا منطقيا وترتب الجملة وأجزاءها على حسب المعاني.

إذن فاللغة في تطور وتغير طبقا للعوامل الاجتماعية وطبقا للتأثيرات الأجنبية التي تأتي من الخارج، وهذا في اللغة الكتابية التي تحفظ وتوضع لها قواعد يظن أنها ثابتة فكيف بلغة الحديث التي يتناقلها الجمهور . ولا شك أن تغير اللغة وتطورها يطابق التغيرات التي ترى على سائر مظاهر النشاط الاجتماعي والفن أو العلم الذي يدرس تغييرات هذه المظاهر هو التاريخ فكما أننا نبحث عن التطورات السياسية والدينية كذلك الحال في اللغة فتاريخ اللغة يشمل حياتها في جميع مظاهرها ".. انتهى كلام الثعالبي رحمه الله تعالى[1].

وهكذا سميت العلوم بالفنون وسميت الصناعات كذلك، فتجد مثلاً حين يضرب مثل بعالم جليل يقال عنه : (واشتغل بالعلم فبرع وساد أقرانه في علوم شتى من الحديث والفقه والنحو من العربية وعلم السير والتواريخ وغير ذلك من الفنون)[2]. أو يقال عن آخر : (كان من أعيان الفضلاء وسادة الاذكياء ممن جمع الفنون الكثيرة والعلوم الاخروية الدينية الشرعية الطيبة) [3].

ثم توسع الأمر ليشمل دخول العلوم الجديدة كالعلوم الطبيعية كالفك والطب والهيئة والحساب وغيرها. فمثلاً جاء في ترجمة العلامة الفيومي رحمه الله أنه : (مات الفقيه العلامة الصالح المعمر الشيخ عبد الله بن خزام أبو الطوع الفيومي وغيره وقدم

---

[1] فقه اللغة للثعالبي [جزء 1 - صفحة 13- 15].

2 البداية والنهاية لابن كثير [جزء 14 - صفحة 169].

[3] البداية والنهاية [جزء 14 - صفحة 183].

الجامع الازهر فأخذ عن فضلاء عصره وه و احد من يشار اليه في بلده بالفضل وتولى الافتاء فسار بغاية التحرى وبلغني من تواضعه انه كان يأتي اليه احد العوام فيقول له حاجتي في بلد كذا فقم معي تقضيها فيطيعه ويذهب معه الميلين والثلاثة ويقضيها وقد تكرر ذلك منه وكان له في كل يوم صدقات الخبز على الفقراء والمساكين يفرقها عليهم بيده ولا يشمئز وكانت له معرفة تامة في علم المذهب وغيره من الفنون الغريبة كالفلك والهيئة والميقات وعند آلات لذلك ، وكان انسانا حسنا جامعا لادوات الفضائل)[1].

وقد أفرد ابن خلدون (المولود عام 732 هـ والمتوفي عام 808 هـ، وهو من أعظم علماء الاجتماع على مر العصور باعتراف الكثير من مفكري الغرب) فصلاً في تاريخه ذكر فيه سبب تطور الفنون في المدن والحواضر أكثر من الريف والبدو فيقول: (والسبب في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران و تعظم الحضارة ، ذلك أن تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع و قد كنا قدمنا أن الصنائع إنما تكثر في الأمصار و على نسبة عمرانها في الكثرة و القلة و الحضارة و الترف تكون نسبة الصنائع في الجودة و الكثرة لأنه أمر زائد على المعاش فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان و هي ا لعلوم و الصنائع و من تشوف بفطرته إلى العلم ممن نشأ في القرى و الأمصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في أهل البدو كما قدمناه و لا بد له من الرحلة في طلبه إلى الأمصار المستبحرة شأن الصنائع كلها و اعتبر ما قررناه بحال بغداد و قرطبة و القيروان و البصرة و الكوفة لما كثر عمرانها صدر الإسلام و استوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم و تفننوا في اصطلاحات التعليم و أصناف العلوم و استنباط المسائل و الفنون حتى أربوا على المتقدمين و فاتوا المتأخرين و لما تناقص عمرانها و ابذعر سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة و فقد العلم بها و التعليم و انتقل إلى غيرها من أمصار الإسلام

---

[1] عجائب الآثار [جزء 1 – صفحة 563 –564].

و نحن لهذا العهد نرى أن العلم و التعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع و تفننت ومن جم لتها تعليم العلم وأكد ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بها منذ مائتين من السنين في دولة الترك من أيام صلاح الدين بن أيوب وهلم جرا وذلك أن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق أو الولاء و لما يخشى من معاط ب الملك ونكباته فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة يجعلون فيها شركا لولدهم ينظر عليها أو يصيب منها مع ما فيهم غالبا من الجنوح إلى الخير والتماس الأجور في المقاصد و الأفعال فكثرت الأوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طال ب العلم و معلمه بكثرة جرايتهم منها و ارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها و الله يخلق ما يشاء)[1].

ثم إن ابن خلدون قد أسهب في مقدمته في شرح العديد من العلوم العددية والهندسية والصناعية، فأفرد فصلاً في العلوم العددية وفنونها كالجبر والمقابلة وغيرها، فعرفه بأنه هو معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف، إما على التوالي أو بالتضعيف . فتكلم عن بعض التفاصيل العددية وخواص الأعداد ومنها الفردية والزوجية والعمليات الحسابية الرئيسة وضرب العددين الطرفين والوسطين والمتتاليات ا لعددية وغير ذلك من التفاصيل. كما أفرد فصلاً للعلوم الهندسية، فعرفه بأنه النظر في المقادير إما المتصلة كالخط والسطح والجسم، وإما المنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية. وتكلم عن المثلثات وزوياها والخطوط المتوازية والتناسب والعديد من المسائل الهندسية الوصفية المعروفة في عصره . وتكلم عن الحيل التي أفرد لها بعض العالمين كتباً وبحوثاً، كما أفرد فصلاً في علم الهيئة والذي ينظر في هندسة

[1] تاريخ ابن خلدون [جزء 1 – صفحة 548].

الكون والأفلاك وحركاتها ودورناتها . وكذلك أفرد فصولاً أخرى في الطبيعيات والطب والصناعة والبناء والفلاحة وحرف وفنون عديدة[1].

ومن ثم تنوعت العلوم والفنون بتطور الزمن، فهاهو الفارابي يسمي في كتابه (إحصاء العلوم) خمسة علوم رئيسة هي:

1) علم اللغة.
2) علم المنطق.
3) مجموعة علوم الرياضيات.
4) العلم الفيزيائي (وأطلق عليه العلم الطبيعي).
5) العلم السياسي(أو العلم المدني).

ويقسم علم اللغة إلى نوعين، فمن ناحية هو يحفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، ومن ناحية أخرى فهو القواعد التي تحكم هذه الألفاظ . ويبدأ بتقسيم هذا العلم إلى علوم أخرى.. وأما علم المنطق فيسميه الفارابي تارة علماً وتارة اخرى صناعة، وهو يعطي القواعد التي تسمح بالتفكير الصحيح، وقد فصل في ذلك.

أما علوم الرياضيات – وهو مطلبنا – فيقسمها إلى سبعة أقسام هي:

1. علم الحساب: (وبشكل حرفي علم العدد) ويقسمه إلى علم الحساب التطبيقي وعلم الحساب النظري.
2. علم الهندسة: وهي أيضاً إما تطبيقية أو نظرية، فالأولى تدرس الخطوط والسطوح، وأما النظرية فتقسم لقسمين يدرس الأول كذلك الخطوط والسطوح والثاني يدرس الأجسام الصلبة.
3. علم المنظور: (وهو حرفياً علم المناظر ويدرس كما الهندسة الأشكال والكميات).

([1])كتاب (مقدمة ابن خلدون)، طبع دار الشرق العربي، بيروت–لبنان، طبعة جمادى أول صفر ربيع ثان محرم هـ – ربيع ثان شوال شوال صفر م، ص صفر جمادى أول ربيع ثان – شعبان جمادى أول ربيع ثان وصفحات أخرى.

4. علم الفلك: وقد أعطاه اسمين، الأول علم أمور النجوم –ويقصد به هنا التنجيم– ، والثاني علم علم النجوم الرياضي ويدرس حركاتها ودوراناته ا وكذلك يدرس الكرة الأرضية وأحوالها.
5. علم الموسيقى: وهو علمان الموسيقى التطبيقية والموسيقى النظرية.
6. علم الوزان: ويدرس الكميات المقاسة وآلات القياس والموازين.
7. علم التقنيات البارعة: أو كما أسماه علم الحيل، وهو علم التطبيق على الأجسام الطبيعية لكل ما برهنته الرياضيات. ومنه طرق الحيل العددية وهو ما عرف بالجبر والمقابلة بعد الخوارزمي، وصناعة تدبير البناء، طرق القياس لمختلف أنواع الأجسام، صناعة الأجهزة الفلكية، صناعة الأجهزة الموسيقية، صناعة القسي والأسلحة، صناعة الأجهزة البصرية واستخداماتها كالمرايا والمرايا الحراقة، صناعة الآلات المائية (وأسماها الأوان العجيبة)، أجهزة التقنيات العديدة.

وأما العلم الفيزيائي فيقسمه إلى ثمانية أقسام، وهو يعني عموماً بدراسة الطبيعيات والأجسام الطبيعية وأعراضها وأسبابها . ثم يأتي علم اللاهوت ويقسمه لثلاثة أقسام يفحص فيه علم الموجودات و الأشياء، ودراسة مبادئ العلوم التأملية كالمنطق والرياضيات والطبيعيات وأساسها الصحيح، ودحض الآراء المغلوطة، ودراسة الكائنات التي ليست لها أجسام. وأما العلم السياسي أو المدني فيدرس هذا العلم كل ما يتعلق بسيرة وغايات الرجال، وبالسعادة الحقيقية والزائفة، وبالرو ابط فيما بينهم وبين أنظمة الحكم، والمهمة الملكية . ووضع فلسفة مفصلة لكل ذلك بشكل رائع لا يزال مثلاً يحتذى في مثل هذه العلوم(1).

---

(1) عن موسوعة تاريخ العلوم العربية– الجزء الثالث– الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان، صفحة 1290–1293، بتصرف.. وانظر المصدر الأصلي للفارابي (إحصاء العلوم)، ص(53–66)، أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، حقق له وقدم عثمان أمين، ط/3، د.ن.، القاهرة، ج. م. ع.، 1968م.

لو تأملنا هذه التقسيمات الرائعة للفارابي نجد أنه وضع ترتيباً متميزاً للعلوم الرياضية والهندسية والتقنية والفنون الموسيقية سبق به الأوربيين الذين أخذوا منه ومن غيره وبنوا على ذلك، ولكن أكثر الناس اليوم لا يعلمون هذه الحقائق.

وهكذا دخل اصطلاح الفن في لغتنا على كل الصنائع والعلوم لكنه أخذ في العصر الحديث مأخذاً اقتصر فيه على العمل الأدبي كالشعر والنثر ومن ثم على أعمال الفنون التمثيلية والغنائية والتشكيلية كالرسم والنحت، ولعل الدخول في تفسيرات ذلك يأخذ منا وقتاً طويلاً ليس منه طائل، المهم أن لفظ الفن في وقتنا الراهن يبرز لذهن المتلقي العمل المرتبط بتلك الصنائع والعلوم والإنتاجات المرئية والمسموعة من تمثيل وغناء وموسيقى وتشكيل ومسرح وسينما وتلفاز ومذياع وغيرها.

لنحاول وضع تعاريف علمية لفني التمثيل والغناء اصطلاحاً وتعريفاً وتأريخاً كما تبينها كتب أهل الاختصاص:

التمثيل هو تقمص الشخصيات الدرامية و محاولة محاكتها على أرض الواقع و تجسيد ملامح و صفات تلك الشخصيات وأبعادها المتباينة في الرواية أو المسرحية المكتوبة. والتمثيل هو مرآة المجتمع، وعلى الرغم من الهدف الرئيسي لفن التمثيل هو الترفيه بالمقام الأول، إلا أن التمثيل له أهداف أخرى منها إعادة تمثيل التاريخ وتبسيطه للمشاهدين، كما أن التمثيل له دور هام في تعليم الناس وتبصيرهم بحياتهم بشكل يتقبلونه من خلال قصة من الحياة اليومية. وعلى الممثل أن يتمتع بالجاذبية الطبيعية حتى يصدقه الناس، كما يجب أن يستطيع تقمص الشخصيات على اختلافها[1]. وأما الغناء هو إصدار صوت فن يدمج بين 3 عناصر أساسية هي الموسيقى والكلمة والصوت.

---

(1) فن التمثيل الآفاق والأعماق، إدوين ديور، ترجمة وتحقيق : مركز اللغات والترجمة، سامي صلاح، أكاديمية الفنون، مجلدان.. أسس نظريات فن التمثيل، عقيل مهدي يوسف، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط/1، 2000م.

ومن المهم أن نفهم تاريخ فن التمثيل في العالم لغرض أخذ الجيد والنفيس وطرح الغث والخسيس. وقد قدم لنا إدوين ديور في كتابه (فن التمثيل الآفاق والأعماق) بحثاً مهماً في هذه المسألة . إذ قام بتقديم سجلاً مثيراً للمسارح والمسرحيات المتغيرة، وللطرق المختلفة التي فسرت بها الأدوار، وللتقنيات والأهداف المتعارضة، وهو يستشهد كذلك بأقوال المخرجين والنقاد لغرض استيفاء البحث العلمي والتاريخي والنقدي. وقد غطيت كل النظريات الهامة من "أرسطو" إلى "بريخت"، ونوقشت كل فترة وكل نمط من فترات وأنماط المسرح. ومن ضمنها: الخطابة التقليدية للتراجيديا لإغريقية، الكوميديا ديلارتي المرتجلة، الإلقاء البلاغي لشعر شكسبير، الحيل أو الأساليب المسرحية البارعة التي خلدتها الكوميدي فرانسيز[1].

ويمكن وضع بعض المراحل التأريخية للتمثيل :

1. التمثيل في العصر الاغريقي: كان المسرح هو النوع السائد وكانت العمل كله للمؤلف من كتابه وتمثيل واخراج.كان المؤلف هو الممثل الوحيد وكان يقوم بتغيير ملابسه واقنعته لكى يقوم باداء كل الادوار حتى الدور النسائىلذا كان المؤد يستعين بعدة اكسسوارات وشعور مستعارة لتساعدة على اداء كل الادوار.
2. التمثيل في العصر الروماني: اختلف الامر قليلا فقد زاد عدد الممثلين كما اصبحت الوظيفه الوحيدة للمؤلف هى كتابة النص فقط.
3. التمثيل في العصور الوسطى في أوروبا: كان التمثيل في العصور الوسطى مصوراً على الكنائس حيث كان يتم تمثيل المشاهد والقصص الدينية (Didactic plays) التي تدور حول الثواب والعقاب وتدعيم المبادئ الدينية الكنسية والمبادئ الأخلاقية.

---

(1) فن التمثيل الآفاق والأعماق، إدوين ديور، ترجمة وتحقيق : مركز اللغات والترجمة، سامي صلاح، أكاديمية الفنون، مجلدان.

4. التمثيل في العصر الاليزابيثي: خرج التمثيل من الكنائس إلى الشارع فنشأت الفرق المتنقلة وفرق المسارح المختلفة والتي كانت تتنافس فيما بينها على عرض مايجذب الجمهور. من كوميديا وكوميديا سوداء وتمثيل مشاهد العنف والحرب والقتل على المسارح ، حسب ذوق الجمهور.من أبرز رواد تلك الفترة شكسبير وبن جونسون.

5. مسرح شاكسبير: كان مسرح شاكسبير يستمد قصصه من التراث الروماني وبلوتارخ وغيره وكانت مسرحياته تمتلئ بقصص الحب ومبدأ التخفي والمفاجأة والقصص الخيالية. وكان التمثيل في عصر شاكسبير مقصوراً على الرجال، حيث لم يكن مسموحاً للنساء باعتلاء المسارح وبالتالي كان الغلمان يقومون الشخصيات النسائية بارتداء الأزياء النسائية وتغيير الصوت حتي يكون مقنعاً. ولم يكن التمثيل يحظى بكثير من التقدير في تلك الفترة، فلازال الممثلون يقارنون بالمهرجين وغيرهم من لاعبي السيرك.

6. التمثيل في العصر الحديث: أخذ التمثيل بعداً أخر ، فبعد أن كان الممثل لا تقبل شهادته أمام المحاكم أصبح الممثل أبرز نجوم وفناني المجتمع في غالبية دول العالم المتحضر. فقد ظهرت المسارح والسينما والتلفزيون في الستينيات من القرن العشرين، واتخذ طابعاً أكثر تنظيماً، ومن ذلك:

- ظهور معاهد وأكاديميات التمثيل: ظهرت الأكاديميات التي تعلم أساسيات فن التمثل وتصقل الموهوبين وراغبي الانخراط في العمل الفني بشكل أكاديمي منظم معترف به بشهادات رسمية معتمدة
- ظهور نقابات واتحادات وروابط الممثلين: تلك النقابات تحافظ على حقوق الممثلين في المجتمع وتدعم من يحال إلى التقاعد بسبب كبر السن ، كما

تبت في الاشكاليات والنزاعات التي تتم بين أفراد صناعة السينما أو المسرح وبين الأطراف الأخرى[1].

إن أبعاد التمثيل وأعماقه، المكتوب بشكل ساخر وباعث على الثقة، هو عمل واسع المدى وثري في التفاصيل بشكل رائع. كما إن أسس نظريات فن التمثيل هي الأخرى يجب إيلاؤها حقها من الفهم، وقد قدم لنا عقيل يوسف في كتابه (أسس نظريات فن التمثيل) بعضاً من الأطر العامة في تلك النظريات [2]

أما فن التمثيل عند العرب قديماً وحديثاً فيمكن عرضه وفق سياق تاريخي كما فعل محمد حسين الأعرجي في كتابه (فن التمثيل عند العرب). يقول المؤلف: (لقد بقي المسرح كما الملحمة سؤالا مطروحا على الأدب العربي يجتهد البعض لنفيهما ويجتهد البعض الآخر لإيجاد بوادر أولى لهما. أما النفي والإثبات فصادران أولا عن علاقتنا المعقدة بالغرب، لقد وجدنا أن فنونا كهذه غير متواترة عند العرب فيما هي معروفة في الغرب. وقد أقام أهل النهضة من الغربيين مثالاً فعز على بعضهم أن يفتقر العرب إلى فنين كاملين وعدوا هذا نقصاً ينبغي تداركه، فيما سعى غيرهم إلى إثبات أن الفنين وجدا على نحو أو آخر في ثقافتنا وربما بالغوا في ذلك لنفي هذا النقص الفادح عن ثقافتنا. ولم يخطر في ذلك الحين أن لكل ثقافة بنيانها ولا تقاس واحدة على الأخرى، وأن غياب فن لا يعد نقصاً كما لا يعود وجوده زيادة)[3].

ثم بين مؤلف كتاب الأستاذ الأعرجي أنه لا ينفي ولا يتعسف الإثبات في قضية تأريخ الفن عند العرب، بل إنه في منزلة بين المنزلتين. فقد تقصى التاريخ العربي فلم يجد مسرحًا كاملاً من الحقبة الأولى، لكنه وجد بوادر مسرحية متدرجة. وجد في الجاهلية

---

(1) (فن التمثيل الآفاق والأعماق)، إدوين ديور، ترجمة وتحقيق: مركز اللغات والترجمة، سامي صلاح، أكاديمية الفنون، مجلدان.. (أسس نظريات فن التمثيل)، عقيل مهدي يوسف، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط/1، 2000م.

(2) أسس نظريات فن التمثيل، عقيل مهدي يوسف، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط/1، 2000م.

(3) فن التمثيل عند العرب، محمد حسين الأعرجي ، إصدار صحيفة السفير اللبنانية، سلسلة "الكتاب للجميع". 2005م.

وأوائل العصر الأموي العابرً واحتفلات تتخذ طابعًا مسرحيًا، فالكرج والمحاكاة هي من هذا القبيل، وفي احتفالات المخنثين والمسرحيين درجة من المسرح ففي كل تلك يرتدي اللاعبون ملابس مخصوصة ويؤدون أدوارًا مختلفة. ثم إن هناك أيضاً (السماجة) وهذه تقتضي التنكر بالأقنعة، ولا بد أن هذه بداية مسرحية واضحة يذهب المؤلف أيضاً أن لفظ الحكاية لم يرد إلا متأخراً لأنه يعني المحاكاة أي يعني التمثيل وليس فعل يحكي إلا فعل تمثيل. ويورد المؤلف نصاً مغمورًا لكنه باهر واضح الوظيفة المسرحية ألا وهو نص حكاية (أبي القاسم البغدادي)، إذ يمكن لكل مطلع عليه أن يلاحظ حوارية النص وإشاراته المسرحية وقابليته للتمثيل[1]. ولم يفرد المؤلف فصلاً لخيال الظل فقد طال الكلام فيه، ولم يفصل في موضوع راوي القصص المعروف بالحكواتي أو القصّاص لكن بحث الأعرجي القصير والغني ينبش تاريخًا ينتظر أن يستوفى بحثه.

وأما تأريخ الغناء فليس هناك تأريخ محد د له بل يعتبره المتخصصون ولد مع ولادة البشر على الأرض عند استخدامهم الصوت في الصراخ والتعبير والتحذير وترديد أصوات الكائنات وصولاً لمراحل كثيرة لاحقة تخصص اللحن والأداء في مدارس كثيرة عند مختلف الحضارات لكن أغلب الأقوال تشير إلى أن الفراعنة والسومريين والصينيين ومن ثم الأغريق والفرس والرومان كانت لهم ألحانهم الخاصة بهم وآلاتهم الموسيقية التي تطورت في بلدانهم.

أما فيما يتعلق برأي الشارع الحنيف في الفنون الصورية والصوتية والنشيد وغيرها فقد بينا في فصل التأصيلات عدد من الآيات والأحاديث الصحيحة المتعلقة بحقيقة مفادها أن الإسلام لا يمنع استخدام الصوت والصورة والحركة والأدب والوصف والرسم في وضعها الصحيح وإنما لا يقبل في استغلال تلك التقنيات لغرض إضلال الناس عن طريق الحق الذي اختاره الله لهم، فهو إذن يضع منهجية وسطية للتعامل

---

(1) فن التمثيل عند العرب، محمد حسين الأعرجي، إصدار صحيفة السفير اللبنانية، سلسلة "الكتاب للجميع". 2005م.

مع تلك الأمور فلا يرضى بسيئها وفاسدها وي قر طيبها وجيدها لغرض منفعة العباد وترسيخ قيم الحق والخير والفضيلة.

ولقد فصلنا في كتاب (العلوم والهندسة الصوتية واللفظية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) موضوع كيف عالج الإسلام قضية الأثر النفسي للصوت والصورة، وكي ف أن الرؤية الشرعية للموضوع رؤية وسطية تعتمد مبدأ لا ضرر ولا ضرار، ولا إفرط ولا تفريط . فالشرع الحنيف لا يرضى للبشر أن تستعبدهم الشهوات وتنقل بهم الملذات إلى البوهيمية والحيوانية وأن لا تستخدم الأصوات أو الأجساد في خدمة تلك الصفات المقيتة . كما إن الشرع الحنيف أباح اللهو البريء والفن الملتزم بضوابط حددها كي لا تفلت الامور من عقالها ليصير الأمر فوضى أشبه بالغابة لا تجد فيها إلا الشهوات (الجنس– القتل– النفوذ).

وقد أفتى الشيخ ابن باز – رحمه الله – بأن النشيد هو كلام ولحن والكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، فإن اجتنبت المعازف وكان الكلام ما يدعو للفضائل والأخلاق فهذا حلال بلا خلاف، وأما ما كان فيه معازف وفحش في الكلام فهذا محرم بلا خلاف [1].

وذهب فضيلة الدكتور عبد الكريم زيدان لنفس المذهب بأن الغناء طيبه حلال وخبيثه حرام بدون استخدام الآلات إلا المشرع منها، وأن غناء النساء أما الرجال حرام. وأما استخدام الصورة والعري فهذا لا شك أنه حرام بالقطعية، فيقول : (لا يبدو لنا سائغاً سماع الغناء في المذاع في الراديو أو التلفزيون لما فيه من الفتنة الظاهرة ولما يقترن به، مما يجعله محظوراً على النحو الذي بيناه، لاسيما أغاني التلفزيون حيث تجتمع الصورة وما فيها من فتنة وشبه عري مع حركات المغنية وما فيها من فتنة وإثارة، ومع الصوت المفتن، وبالإضافة إلى ذلك كله فإن الغناء قلما تخلو ألفاظه وعباراته

---

(1) أنظر مجمع الفتاوى لابن باز، وانظر كذلك ملخص تلك الآراء على موقع الشيخ مشاري بن راشد العفاسي على شبكة الإنترنت.

من الخنا والفحش ووصف محاسن النساء وإثارة الشبهات، وكذلك الحال في أغاني الذكور من صبيان مرد، ومن شباب مخنثين، ومن رجال متصابين . وفي ضوء هذا الواقع يمكن القول أن غناء المغنيات والمغنين في الراديو والتلفزيون على النحو الذي وصفناه – وهو الواقع– لا يجوز، وإن الاستماع إليه لا يجوز لاسيما أغاني التلفزيون)[1].

إذن نحن أمام تشريع واضح وهو وجوب اقتحام هذه الساحة بقوة كي ننشر في بركة ماءها التي تحولت لمستنقع وبركة راكدة الماء العذب الزلال والرائحة العطرة الزكية كي ننهض بالعالم من ظلام الفسق والفاحشة والرذيلة إلى ضياء ونور السمو والخلق والرفيع والقيم النبيلة وأسباب الفضيلة.

ما هو المطلوب من المسلمين تحديداً لمواجهة خطر هذا المد الثقافي المرعب

وبعد، ما دورنا أزاء كل هذه الحقائق؟ وما يمكننا فعله؟ بل وقبل ذلك ما التنظير والتحليل لكل ذلك؟ وكيف المخرج بأقل الخسائر إذا كنا نسعى أن لا نذوب في هذا البحر اللجي والأمواج التسونامية من الفعل الفكري والثقافي والأعلامي الم دمر بل والعمل السياسي الصانع للحدث التأريخي بفعل كل ذلك؟

دعونا نحاول فهم بعض مسارات التأصيل البحثي للمسألة قبل أن نبدأ بوضع مسارات ومناهج التحرك لمنع أو محاولة منع ما يمكن منعه.

يبين لنا كتاب (فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي) للأستاذ محمود يوسف السماسيري إجابات مهمة في هذا السياق المقارن بين مفهومنا للإعلام المعاصر كأحد أذرع العولمة الثقافية ومفهوم مخترعيها الغربيين. فيطرح لنا المقالات العامة التي شكلت ملامح الأرضية الفكرية الوضعية، وانعكاساتها على مقولات الفكر الاجتماعي والإعلامي الوضعي، كذلك يتطرق إلى المقولات التي طرحها الفكر

---

(1)المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، د . عبد الكريم زيدان، 11جزء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1413هـ – 1993م/ ج/4/ ص91.

الاجتماعي الوضعي والتي ساهمت بشكل مباشر في تشكيل الملامح الدقيقة لفلسفات الإعلام الوضعية. ويناقش الباحث أوجه الخلل والقصور التي تتعاور كل مجموعة من المقولات السابقة وانعكاسات ذلك على مقولات فلسفات الإعلام . ويفصل أهم أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين كل مجموعة من المقولات السابقة وبين المقولات التي تناظرها في الأرضية المعرفية الإسلامية. ويحاول أن يجد نقاط الالتقاء ودوائر الاشتراك بينهما ما يسمح بنقل أي فلسفة من الفلسفات الإعلامية التي أفرزتها الأرضية الوضعية، أو فلسفة بعينها، أو على الأقل بعض طروحات هذه الفلسفات إلى الأرضية المعرفية الإسلامية. ويعرض لملامح الفلسفة الإعلامية البديلة التي تتماشى مع مقولات الأرضية الفكرية الإسلامية في حالة النفي لوجود اتفاق بين المقولات التي تشكل فلسفات الإعلام في الأرضية المعرفية الوضعية والمقولات المناظرة لها في الأرضية المعرفية الإسلامية يسمح بنقل أي فلسفة من هذه الفلسفات إلى الأرضية الفكرية الإسلامية. كما يحاول وضع إجابة عن تساؤل مفاده: هل تختلف الفلسفة الفكرية الإسلامية اختلافاً تاماً عن جميع الفلسفات الوضعية، أم تتشابه معها في بعض مقولاتها الفرعية؟ [1].

إن منهجية التناول النقدي المقارن لفلسفات الإعلام الوضعية في ضوء المنظور الإسلامي يمكن تصنيفها من خلال ثلاث تصنيفات، تلك التي طرحت من قبل علماء الإعلام لفلسفات الإعلام، والفلسفات الجديرة بالدراسات النقدية المقارنة من المنظور الإسلامي من بين هذه الفلسفات، وأهم ملامح هذه الفلسفات . ولقد تناولت الكتابات العربية هذه الفلسفات فأصابت في جوانب وقصرت في أخرى لذلك استوجب وضع منهجية واضحة لتناول هذه الفلسفات بالنقد والمقارنة من المنظور الإسلامي.

فالمقدمات الأساسية التي انبنب عليها فلسفات الإعلام الوضعية، والمقدمات الإسلامية المناظرة لها وهي الماثلة في المقولات الكوزمولوجية، تقسم إلى قسمين :

---

(1) فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي، محمود يوسف السماسيري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط/1، 2008م.

1. التطورات الفكرية والمجتمعية التي أدت إلى بناء الكوزمولوجيا العلمانية وهيمنتها عالمياً على أنقاض الكوزمولوجيا المسيحية . وملامح الفكر الاجتماعي الذي تشكل بجميع فروعه (سياسية، اقتصادية، إعلامية... الخ) في ظلالها.
2. مقولات هذه الكوزمولوجيا المتمثلة في المسلمات التي تنطلق منها، والتي تعد المقدمات الأساسية التي تقوم عليها شتى فلسفات الإعلام الوضعية وباقي مناحي الفكر الاجتماعي الوضعي، هذا من ناحية، والغايات التي تسعى هذه الفلسفات – مثلها في ذلك مثل باقي مناحي الفكر الاجتماعي الوضعي– للمساهمة في تحقيقها من ناحية أخرى[1].

أما المقدمات المباشرة لفلسفات الإعلام الوضعية والمقدمات الإسلامية المناظرة لها، وهي الماثلة في مقولات النظريات الاجتماعية الوضعية والتي شكلت الملامح الدقيقة لهذه الفلسفات، فيمكن استعراض هذه المقدمات استعراضاً نقدياً ومقارناً مع المقدمات الإسلامية المناظرة لها:

1. مقولات النظريات الاجتماعية الوضعية حول طبيعة الإنسان والتي تعد الأساس التي بنيت عليه طروحاتها حول باقي المقولات، ومن ثم استعراض المقولات الإسلامية المناظرة لها.
2. مقولات النظريات حول طبيعة الحقيقة وكيفية الوصول إليها ومن الذي يمكنه اكتشافها.
3. مقولات الفلسفات حول طبيعة الكيان السياسي الذي يناسب الطبيعة البشرية "وهو الدولة".
4. وضع التصور الأمثل الذي تطرحه كل نظرية من النظريات الاجتماعية حول ما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الإنسان والدولة في شتى المناحي

---

(1) فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي، محمود يوسف السماسيري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط/1، 2008م.

(سياسية، اقتصادية، إعلامية... الخ)، بالصورة التي ترى أنها محققة للغايات التي بشرت بها الكوزمولوجيا العلمانية، وانعكاسات ذلك على بنية الفلسفات الإعلامية التي تتبناها.

أما المقولات الإعلامية الوضعية فيمكن استعارضها عرضاً نقدياً ومقارناً مع مقولات فلسفة الإعلام الإسلامي عبر التناول النقدي المقارن للمقدمات التي بنيت عليها هذه المقولات. وتقسم إلى:

1. مقولات الفلسفات الإعلامية الوضعية حول حرية الممارسة الإعلامية.
2. مقولات هذه الفلسفات حول الشكل الأمثل من أشكال تملك الوسائل الإعلامية.
3. الوظائف التي تطلب هذه الفلسفات من وسائل الإعلام الاضطلاع بها للمساهمة في تحقيق الغايات التي تسعى مجتمعاتها لنيلها[1].

ويضع لنا الأستاذ محمود يوسف السماسيري في خاتمة كتابه (فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي) أهم النتائج التي تم التوصل إليها عبر التناول النقدي المقارن لفلسفات الإعلام الوضعية من المنظور الإسلامي، والأمور التي ينبغي مراعاتها عند بناء فلسفة إعلامية إسلامية متكاملة من قبل منظري الإعلام الإسلامي على أن إعلامنا يجب أن يرتقي ليصل لعقل المتلقي الآخر ولا ينسى مخاطبة ا لذات وإنقاذها من غول الاكتساح الإعلامي العولمي من جهة وأن يكون كل ذلك وفق منهجية وشخصية الأمة المستقلة المتمثلة باتباع شرائع وضوابط الإسلام الحنيف [2].

إن الإعلام القرآني إعلام مترابط الأجزاء ضمن المنظومة القرآنية المتكاملة المعجزة والقرآن كله كتاب دعوة، وبلاغ، وتبشير، فهو إعلام منهجي سابق حضاري . ولعل ذلك يتمثل في ضرورة بيان واستنباط أن في القرآن الكريم مناهج حضارية في

---

(1) فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي، محمود يوسف السماسيري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط/1، 2008م.

(2) فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي، محمود يوسف السماسيري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط/1، 2008م.

الإعلام السياسي كما هو شأن كل ما يحتويه من مناهج علماً بأن القرآن الكريم قد أتى بأطر عامة فهو ليس بكتاب اختصاصولعل ويمكن تتبع ذلك بشكل وصفي تحليلي، وذلك باستنباط واستنطاق الآيات الكريمة التي تتحدث عن الإعلام السياسي، وأثرها الفعال على الواقع والأحداث التاريخية والمعاصرة للإنسان والحياة . ولعل مبادئ الإعلام السياسي في القرآن الكريم تشتمل على عدة مناحي ذكرت في عدة آيات تشمل هذه المبادئ وهذه يمكن مقارنتها بالنظريات المعاصرة وتبيان تفوقها عليها. ومن ذلك ما يتناول المعجزة، الوسطية والعدالة في الإعلام السياسي، الجهاد، الواقعية في الإعلام السياسي الإسلامي، وكذلك حقيقة أخلاقية الإعلام القرآني[1].

لعل استخدام علوم جديدة مثل علوم البرمجة العصبية (NLP) والتحكم الذاتي فضلاً عن علوم النفس أصبح من أهم أسلحة التأثير الحواسي والإعلامي والفني في عالم اليوم، لذلك فالإلمام بهذه العلوم يعتبر من مداخل فهمنا لكيفية التعامل الصحيح مع سلاح الفن والإعلام.

فللحواس لها دور رئيسي و حساس للغاية في التأثير والبرمجة للعقل الباطن ولكننا يمكن أن نتحدث عنها كمؤثر أو كعنصر مبرمج " غير مقصود" ولا يمكن التحكم فيه بل التحكم يكون على آثاره و تطوير أداء الحواس لتغيير النتائج على العقل الباطن. والإنسان يستقبل ويرسل ويدرك من خلال حواسه العديد من الألفاظ والأصوات ويشاهد العديد من المشاهد والصور والحركات ويشعر بعوامل خارجية ويتذوق الكثير من المذاقات بحيث يشكل كل هذا لديه ملايين القناعات و المعتقدات، يتم التعبير عنها بواسطة اللغة وردود الفعال المختلفة فتتحول هذه المعتقدات إلى معتقدات راسخة في أذهاننا ثم تتحول إلى تصرفات يومية، ومن هنا تتكون شخصياتنا وتتركز أفعالنا وأقوالنا وسلوكنا وتتحدد تبعاً لذلك مصائرنا. وللحواس ما يعرف "بمحدودية الحواس" و" خداع الحواس، فلكل حاسة من الحواس حدود لأداء وظيفتها، فتتوقف هذه الوظائف

(1) الإعلام السياسي في القرآن الكريم، سالم الصفار، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.

بعد هذه الحدود . كما أن هناك حالات تخدع بها الحواس فينبني على ذلك ترسيخ لمفاهيم خطأ ينتج عنها سلوك خاطئ وأحياناً مدمر.

والعمل الأعلامي والفني الدرامي الحديث والمؤثر يعمل على فكرة خداع الحواس التي نعرفها جميعاً في ظاهرة مشاهدة ومشهورة وهي ظاهرة السراب في الصحراء التي تدخل ضمن التهيئات (illusions). وخداع الحواس أمر مشخص علمياً، فالحواس تخدعنا في بعض الأحيان فنشاهد أشياء ونشعر بها أو نسمعها على خلاف حقيقتها[1].

ولنا أن نعلم خطورة خداع الحواس هذا على الناس من خلال فهمنا لحقيقة مذكورة بمثل مشهور في القرآن الكريم، وتحديداً في سورة "طه" في الآيات التي تتحدث عن الحوار بين سيدنا موسى عليه السلام وفرعون وسحرته. يقول الله سبحانه و تعالى : (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِ رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70)) (طه). فنجد في هذه الآيات مثالاً عظيماً على خداع الحواس فسحرة فرعون كان سحرهم قائم على إيحاء الحاضرين بأن حبالهم تتحول إلى ثعابين و لكن حقيقة الأمر غير ذلك فالحبال كما هي والثعابين كما هم، الاختلاف الوحيد يكون عندما يلقوا بالحبال فيخدعون بصر الناس فيخيل إليهم أنها تحولت إلى ثعابين تسعى، وهذه كانت قدرة خاصة يمتلكها السحرة وحدهم، ولذلك كانت معجزة سيدنا موسى أقوى حيث أن السحرة فوجئوا بأن عصاه تتحول بالفعل إلى ثعبان ضخم و

(1) Develop Your NLP Skills, Andrew Brandbury, publisher: Kogan Page; 3rd edition, 2006.. NLP: The New Technology of Achievement, NLP Comprehensive, Steve Andreas & Charles Faulkner, publisher: Harper Paperbacks 1st. edition, 1996.

ليس الأمر خدعة حواس كما يفعلون فتيقنوا من صحة المعجزة وصحة م ا يقوله موسى فخروا سجداً[1].

الحواس تؤثر على العقل الباطن تأثير برمجي غير مقصود هذا التأثير على محورين: المحور الأول هو حدود الحواس والمحور الثاني هو خداع الحواس. وهذه التأثيرات يمكن تنمية الإيجابي منها المستقر في العقل الباطن بمعتقداتنا ويمكن حذف السلبي منها وتغيير معتقداتنا، ويمكن أن يكون الأمر معكوساً كذلك.

أما البيئة التي تشمل البيئة الطبيعية كالمناخ وطبيعة الأرض من ريف أو حضر أو صحراء أو ساحل . وكذلك البيئة الاجتماعية (محيط الأسرة و المحيطين بك). والحقيقة أن هذا المؤثر مثل سابقه (الحواس) تأثيراته المبرمجة المقصودة لا نتحكم فيها بل نتحكم في آثارها فقط و نحاول تغيير المعتقدات المتكونة عن هذه التأثيرات . والبيئة الاجتماعية تكون أكثر تأثيراً من الطبيعية فأنت تحمل الكثير من معتقدات أبويك وتتصرف في بعض الأمور مثلهم "وإن لم تقتنع بهذا " وتتبع ولو جزئياً أساليب أصدقائك في التفكير . ولا ننسى دور وسائل الأعلام في التأثير على عقلك الباطن داخل بيئتك وكذلك دور التعليم من المدرسين والأساتذة في الكلية والمعهد.

هنالك مؤثرات مهمة مثل:

- الانتماء هو ميلك لطبيعة المجتمع الذي تندرج منه و تصرفك مثلهم.
- القدوة هي اختيارك لشخص تجعله مثلاً لك تستشهد به في حياتك.

الأحداث التاريخية للفرد وهي من المؤثرات الهامة في حياة الإنسان مثل الأ زمات والهزات التي تؤثر بشكل مباشر على عقله الباطن فينعكس هذا التأثير على عواطفه وسلوكه، كموقف إنساني مؤثر، أو فقد عزيز أو موقف عابر مثل نظرة طفل يتيم لك، أو ابتسامته عندما يراك بلا مبرر . ونجد أن الأحداث كما نوصفها " تاريخية أنها أحداث تمر على مدار عمر الإنسان و لكن في الفترة منذ ولادته وحتى سن الستين

---

(1) انظر كتابنا (علوم الهندسة الضوئية والبصرية واللونية في الكتاب والسنة)– الكتاب السابع عشر ضمن سلسلة كتب (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية)، الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم.

مثلاً حيث يكون الإنسان في هذا السن قد تكونت عنده الخبرات التي تجعله يتفهم هذا المؤثر ويدركه جيداً ويتعامل م عه بشيء من الخبرة الحياتية، وهذه الأحداث منها ما ينساه الإنسان بمرور الوقت وتوالي الأيام والسنين ومنها ما يحفر تأثيره في العقل الباطن على حسب قوتها عليه وهذه القوة نسبية في حد ذاتها(1).

يتبين لنا والحال هكذا أننا على ثغر خطير وعظيم التأثير في الناس على اخت لاف انتماءاتهم وإذن هو أحد أنماط الخطاب الدعوي الذي يحمل سمة المشتركات لكل نوع من أنواع الناس التي خلقها الله تعالى وصنّف العديد منها في كتابه الكريم كما أشرنا في فصل سابق. وبالتالي فإن أهمية ولوج هذا المضمار الخطير في حياة كل الشعوب والأمم أصبح واجباً حتم ياً تقتضيه المصلحة العامة للأمة وتقتضيه متطلبات الصراع والتنافس والتدافع بل وتقتضيه القضية الأهم ألا وهي درأ المفاسد وإبعاد الفتن والدفاع عن الحقوق والمقدسات ومن ثم رفع الهمم لتسلق ذرى الصعود الحضاري عبر سلم النهضة الثقافية والعلمية.

دعونا نضرب مثلاً واقع ياً لمواجهة البث الإعلامي الغربي المؤثر على مجتمعات العالم في نقل صورة مغايرة لحقيقة هذا الدين مستغلين ما حصل في العالم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م في الولايات المتحدة الأمريكية وما عقبها من هجوم شرس على كل ما هو إسلامي بحجة تجفيف منابع الإرها ب حتى وإن كان عملاً خيرياً لمعونة أيتام وأرامل أو لبناء مدرسة وغير ذلك من أبواب الخير . فاليوم مثلاً تجد سباقاً محموماً في الفضائيات وبشكل كبير ومتعاظم لنشر أفلام عن المتطرفين المسلمين في أوربا وكندا والولايات المتحدة وأستراليا وكيف أن هؤلاء المتطرفين عاشوا وترعرعوا وتربوا في كنف دول الغرب وبدل مقابلة الإحسان بالإحسان تراهم كافئو دولهم بقتل أهلها تارة أو بالتحريض على العنف والتهديد تارة أخرى، فهل هذا هو الإسلام حقاً؟!

(1) Develop Your NLP Skills, Andrew Brandbury, publisher: Kogan Page; 3rd edition, 2006.. NLP: The New Technology of Achievement, NLP Comprehensive, Steve Andreas & Charles Faulkner, publisher: Harper Paperbacks 1st. edition, 1996.

المصيبة أن هؤلاء لم يجدوا لهم علماء حقيقيون يبينوا لهم خطأ فعلهم فنطق منهم الرويبضة فضلوا وأضلوا بعدما أفتوا بغير علم إلا من جهات لم تأخذ العلم الصحيح من أفواه المشايخ الأجلاء والعلماء الثقاة بل أخذوه أما من بطون الكتب فأولوه في غير مواضعه أو اتخذوا لهم علماء لا نعلم لهم من أصل شرعي أو تواتر علمي منضبط. وبالتالي فلم تقم دولنا الإسلامية لا بعمل إعلامي كبير لإنكار فعل أولئك ولا بإرسال دعاة لتلك الدول ينقذون الناس من جهل هؤلاء وأثرهم السلبي على الإسلام . فلم تقم القنوات الفضائية الإسلامية بواجبها في معالجة هذا الأمر بما يستحق فانطلقت الأقلام المأجورة لتنال من الإسلام ودين الإسلام ونبي الإسلام وحضارة الإسلام حتى تجد أن الأمر أصبح بمثابة البديهية عندهم لأنهم وجدوا أمامهم نماذج مشوهة عن الإسلام فظنوا أو هكذا أدخلت أبواق الإعلام الغربي في روعهم أن الإسلام دين لا يحض إلا على القتل والتنكيل والتدمير ومقابلة الخير بالشر وأنه دين يدعوا أهله لكراهية الدنيا وبغض أهلها، وهكذا بدأت كل تلك الانتقادات والتصريحات والتهجمات على رموز هذا الدين والسبب منا نحن المسلمين، أما بفعل ردئ سئ قام به جهالنا أو بانعدام رد فعل أهل العلم والإعلام تصحيحاً لأخطاء أولئك الجهال الرويبضة أو المتصيدون أو المتحمسون ممن لم يجدوا من يوجههم . وهنا نثبت أننا لسنا فقط أهل ردود أفعال ولسنا أهل أفعال حسب، بل هذه المرة أثبتنا أننا لم نقدر حتى على رد الفعل المناسب، والله المستعان.

تفصيل الوسائل

إن الوسائل الستة العامة التي بيناها في أول الفصل يمكن تسقيطها وتفعيلها من خلال عدة وسائل عملية أخرى تتطلب تظافر جهود فردية وجماعية، حكومية ومؤسسية، محلية– إقليمية– دولية. ومن تلك التفصيلات التي سنحولها لمشاريع فعلية في فصل لاحق ما يكون ضمن ركيزة العلم ومنها ما يتداخل مع ركيزة الإعلام، فعلى سبيل المثال:الدعوة الإعلامية نحو الأمم الصاعدة والمؤثرة في عالم الغد بعد الوصول

لقناعة مفادها أن نظام العالم ذات القطب الواحد في طريقه للزوال لا محالة، ومن هنا يجب التحرك الإعلامي والثقافي نحو الأمم الأكثر ترشيحاً للعب دور الشريك في العالم الجديد مثل الصين والهند وحتى روسيا، على أن لا ننسى دورنا اتجاه أوربا الساعية بقوة كي يكون لها دور مستقل عن الحليف التقليدي الولايات المتحدة الأمريكية التي وإن بدأ نجمه في طريقه للزوال على مسرح الغد لكنها تظل بحاجة قوية لجهودنا الإعلامية والثقافية الكبيرة كذلك.

- ❖ تبني عمل أفلام وأعمال سينمائية ضخمة تتحدث عن الإسلام بأسلوب يفهمه أهل الغرب على غرار فلم الرسالة وعمر المختار.
- ❖ التوجه بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة نحو المؤثرين اجتماعياً وثقافياً كالممثلين والفنانين والإعلاميين والمفكرين ممن يؤمنون بالأفكار الأخرى كالفكر الحر العلماني والليبرالي والشيوعي وغيرهم. وربما هنا نحن بحاجة ماسة لعمل منهاج عمل واضح للتحرك باتجاههم وتعريفهم خطورة دورهم وكيف أن من بوابتهم يمكن للامة أن تنهض.
- ❖ عمل مشاريع محطات فضائية برؤوس أموال إسلامية تخاطب العالم بلغته شرقيها وغربيها وباستخدام مقدمين ودعاة وعلماء وفنانين ومنشدين من أهل الغرب والشرق وليس من العرب كي يكون التخاطب من ثقافة القوم لا دخيلاً عليهم.
- ❖ دعم وتقوية عمل القنوات الفضائية الإسلامية الموجودة بكل الوسائل الممكنة ورفدها بدعاة ومفكرين ومحللين وإعلاميين ومتخصصين بشتى العلوم الحديثة في مجال الإعلام الحديث التي بيناها في هذا الفصل . لكن بالمقابل على تلك القنوات أن تفتح ذراعيها لكل الإمكانات التي تريد أن تقدم خدماتها وخبراتها في مجال الإعلام والفن دون أي تحيز أو تعصب لدولة أو فئة . يقول الراشد : (فقناة فضائية ثقافية علمية إسلامية لا تقرب السياسة والإثارة بل تتجرد للمعرفيات والعلم والفن ينتظر منها أن تشيع التوحيد بين صفوف الأمة لتحدث

لنا انقلاباً جذرياً لصالحنا في صراع الإسلام مع جاهلية القرن الحادي والعشرين. وهذه القناة تستلزم صرف مال كثير ووجوب كفايات إدارية وعلمية عالية بما يستوجب تعاون عالمي وليس قطري لتحقيق ذلك) [1].

❖ توجيه أولادنا نحو اقتحام علوم الإعلام الحديث و الاتصالات الرقمية وتقينات المعلوماتية الخطيرة والفن الراقي بكل صنوفه وتقنياته المهمة وزجهم في هذه الساحة الجهادية العظيمة وعدم الاكتفاء بتوجيههم كي يكونوا مشايخ حصراً أو فنيين في الطب والهندسة تحديداً، لأن في ذلك تأدية لفرض كفاية كما يقولون مشايخنا وعلماؤنا الجلاء، والله أعلم.

❖ تشكيل أجيال تربوية وثقافية وإعلامية تتوجه نحو هدف مؤكد وعمر محدد بالخطاب التربوي والفني الدرامي والإعلامي والترفيهي المباح، فأين نحن من إعلام الطفل مثلاً والفن الموجه له سواء في مجال الرسوم المتحركة المستنبطة من تراثنا وثقافتنا؟ وأين نحن من المراهق والشاب والشيخ والمرأة وهكذا؟!. ولا أقصد هنا البرامج الحوارية فقط، فقد تكون جيدة في بعض جوانبها ولكن أقصد العمل الإعلامي المتميز والدرامي المتخصص . وهذا يقتضي تشجيع تكوين كوادر درامية متميزة في كتابة النص والإخراج والتمثيل والتخصصات الفنية الأخرى تحمل أهداف سامية ورؤية واضحة وتفاني في العمل وقبل ذلك إخلاص كامل لله تبارك وتعالى فمن ذلك يأتي التوفيق والفاح والسداد والنجاح تماماً كما فعل المخرج السوري مصطفى العقاد فوفقه الله تعالى لأن يكون مؤثراً بهذا الحجم العالمي وفعالاً في تغيير نظرة الآخر لنا ولتراثنا ولديننا ولحضارتنا العظيمة بعد أن ملأت أدوات الإعلام المعادية أذهانهم فعكست لهم نظام التوجيه ليخلطوا بين الحق والباطل بل ويعكسوا محاوره.

([1]) منهجية التربية الدعوية، محمد أحمد الراشد، ص 141، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع تاريخ النشر، ط/1، 2005.

- ❖ تشكيل عمل متصفحات إسلامية خاصة تنافس المتصفحات الغربية كالياهو والغوغل والإلتيفيستا وغيرها كي يكون عرض الإسلام فيها بالشكل المطلوب دون أية تدخلات.
- ❖ تشكيل شركات ومؤسسات تتبنى فرق عمل إنتاج حاسوبي ضخمة تقوم بإنتاج أعمال رسوم متحركة ثلاثية الأبعاد للتعريف بالإسلام والشخصيات الإسلامية وتراث الأمة العظيم.
- ❖ تأجير ساعات بث في التلفزيونات الأوربية والأمريكية لعرض الإسلام سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم لتشكيل خط دفاع أول ضد كل من تسول له نفسه التهجم على مقدساتنا وذلك بأن يكون ذاك الخط هو وعي الناس أنفسهم من أهل تلك المجتمعات بحقيقة الإسلام بلغة وثقافة ونمط خطاب نابعة من داخلهم يفهمونها بيسر وبشر فنحن مأمورون بالتبشير والتيسير.
- ❖ تكثيف الحلقات النقاشية في كبريات المحطات الفضائية وباستخدام أناس يعلمون ثقافة القوم ليكون التخاطب بلسانهم وبأسلوبهم فيكون النفع أعم.
- ❖ تسيير قوافل دعوية لعلماء ودعاة سواء من داخل بلدان الغرب أو بدمجهم مع من يتبرع لهذه المهمة السامية من علماء الداخل الإسلامي تجوب عواصم الغرب شغلها الشاغل أن تقف في المحطات والمواقف والحدائق والتجمعات لتفهم الناس سنته العطرة.
- ❖ عمل عروض مسرحية على خشبات المسارح الغربية بممثلين مسلمين فتتحول جهودهم للخير والفضيلة بدل ما يقدموه لنا من أسقام ومهازل.
- ❖ دعم الأناشيد الإسلامية الناطقة بلغ اتهم لتبين لهم حقيقة هذا الدين ودعم الحفلات التي تقيمها الفرق الفنية في بلدانهم وتنقل عبر الفضائيات.عمل مخترعات إسلامية منبعها القرآن والسنة وتراث الأمة تعرض على الآخر ليعلموا عظمة هذا الدين المتين وعظمة رسوله صلى الله عليه وسلم يمكن ان نصل بهما وبغيرهما إلى قلوب وعقول القوم.

الركيزة الثانية: ركيزة الإعلام

تفصيل الوسائل

- الدعوة الإعلامية نحو الأمم الصاعدة
- تبني عمل أفلام وأعمال سينمائية ضخمة
- عمل مشاريع محطات فضائية
- دعم وتقوية عمل القنوات الفضائية الإسلامية
- توجيه أولادنا نحو اقتحام علوم الإعلام الحديث
- تشكيل أجيال تربوية وثقافية وإعلامية
- تشكيل عمل متصفحات إسلامية خاصة
- تشكيل شركات ومؤسسات تتبنى فرق عمل إنتاج حاسوبي ضخمة
- تأجير ساعات بث في التلفزيونات العالمية
- تكثيف الحلقات النقاشية في كبريات المحطات الفضائية
- تسيير قوافل دعوية لعلماء ودعاة
- عمل عروض مسرحية على خشبات المسارح الغربية
- دعم الأناشيد الإسلامية الناطقة بلغات العالم
- دعم المهرجانات والمعارض الإسلامية في كبريات المدن العالمية لتقديم الإسلام بشكل جذاب وعملي.

الشكل (5-2) : تفصيل وسائل الخطاب الإعلامي والفني الإسلامي العصري

❖ دعم المهرجانات والمعارض الإسلامية في كبريات المدن العالمية لتقديم الإسلام بشكل جذاب وعملي.دعم إقامة مناظرات ومحاضرات في نظام السوق الإسلامي والاقتصاد الإسلامي وروعت ه وعدله وفرقه عن النظريات الاقتصادية الأخرى كالرأسمالية والاشتراكية والشيوعية وغيرها.

❖ توسيع استخدام المطبوعات كالكتب والمنشورات والبحوث في شتى العلوم الإسلامية وبلغات العالم كافة.

الشكل (5-2) يبين بعض ملامح الوسائل التفصيلية للدعوة من ركيزة الإعلام والفن . وهنا نبين ما سبق تبيانه في الفصل السابق من أن كل تلك الدعوات تحتاج لأدوات تنفيذ وشروط نجاح ومستلزمات تفعيل مثل رؤوس الأموال والمستثمرين والداعمين رسميين وغير ذلك مما سنناقشه في فصل مستقل هو فصل التطبيقات والمشاريع[1].

---

(1) وضعنا لذلك ملاحق تبين التنظيرات الخاصة بمقومات وقوانين النهضة والنجاح والإبداع لغرض وضعها وتسخيرها في خدمة الموضوع والإحاطة بمقوماته وأسسه.

الفصل السادس

التطبيقات.. مشاريع عصرية الدعوة

مقدمة

تقسيمات المشاريع

المشاريع الصناعية الإسلامية

1. **مشروع الألعاب الإسلامية**
2. **مشروع الإلكترونيات**
3. **مشروع المواد الإسلامية**
4. **مشروع الأجهزة الإسلامية**

المشاريع الستراتيجية الإسلامية

1. **مشروع البيئة الإسلامية**
2. **مشروع العمارة الإسلامية**
3. **مشروع المركز البحثي والتقني**
4. **مشروع الأزياء الإسلامية**
5. **مشروع العيادات الطبية الإسلامية**
6. **مشروع الإنتاج الفني والإعلامي الإسلامية**

الاتحاد العالمي للشركات الإسلامية ومركز البحث العلمي والإعجاز في القرآن والسنة (WAMC)

تطبيقات في المشاريع الصناعية الإسلامية والاستفادة من فكرة المشاريع الصغيرة وتجربة مشروع بنك الفقراء لصاحبه الفائز بجائزة نوبل عام 2006م

تطبيقات في المشاريع الستراتيجية الإسلامية : فكرة تقنية (البنيان المشدود) ضمن مشروع (بناءً كفافاً) والاستفادة من فكرة العمارة الخضراء أو العمارة البيئية مثل عمارة الفقراء

تطبيقات في المشاريع الستراتيجية الإسلامية – مشروع الإنتاج الإعلامي الإسلامي: الحج وعصرية الدعوة.

مقدمة

بينا في الفصول السابقة أن هذا المشروع الحضاري للأمة أفراد ومؤسسات وحكومات ودول ينبني على أساسين رئيسيين هما :

1- العلم

2- الإعلام

وذكرنا في الفصلين السابقين تفاصيل متعلقة بتلكما الركيزتين الرئيستين . وذكرنا أن هاتين الركيزتين يمكن تحقيق أهدافهما من خلال عدة وسائل عامة:الدعم المالي والعلمي والمهني استخدام تقنيات العصر المعلوماتي .العلوم والتقنيات.الإعلام والفن المرئي والمسموع .عمل مؤسسات سياحية دعوية.المطبوعات. وقلنا إن الوسائل الستة العامة هذه يمكن تسقيطها وتفعيلها من خلال عدة وسائل عملية أخرى تتطلب تظافر جهود فردية وجماعية، حكومية ومؤسسية، محلية- إقليمية- دولية. ومن تلك التفصيلات :الدعوة الإعلامية نحو الأمم الصاعدة.

- تبني عمل أفلام وأعمال سينمائية ضخمة .
- التوجه بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة نحو المؤثرين اجتماعياً وثقافياً كالممثلين والفنانين والإعلاميين والمفكرين.
- عمل مشاريع محطات فضائية برؤوس أموال إسلامية تخاطب العالم بلغته شرقيها وغربيها.
- دعم وتقوية عمل القنوات الفضائية الإسلامية الموجودة بكل الوسائل الممكنة.
- توجيه أولادنا نحو اقتحام علوم الإعلام الحديث والاتصالات الرقمية وتقنيات المعلوماتية الخطيرة والفن الراقي بكل صنوفه وتقنياته المهمة.
- تشكيل أجيال تربوية وثقافية وإعلامية متخصصة في جميع أطوار التربية وصنوف المخاطبين.
- تشكيل عمل متصرفحات إسلامية خاصة تنافس المتصفحات الغربية.

- ❖ تشكيل شركات ومؤسسات تتبنى فرق عمل إنتاج حاسوبي ضخمة.
- ❖ تأجير ساعات بث في التلفزيونات الغربية.
- ❖ تكثيف الحلقات النقاشية في كبريات المحطات الفضائية وباستخدام أناس يعلمون ثقافة القوم.
- ❖ تسيير قوافل دعوية متخصصة نحو الطرف الآخر شرقه وغربه.
- ❖ عمل عروض مسرحية على خشبات المسارح الغربية.
- ❖ دعم الأناشيد الإسلامية الناطقة بلغاتهم .عمل مخترعات إسلامية منبعها القرآن والسنة وتراث الأمة.دعم المهرجانات والمعارض الإسلامية في كبريات المدن العالمية.دعم إقامة مناظرات ومحاضرات في نظام السوق الإسلامي والاقتصاد الإسلامي. توسيع استخدام المطبوعات كالكتب والمنشورات والبحوث.

كما بيينا أن من بين الأفكار العامة المطروحة في فصل التفصيلات الخاص بمرتكز العلم أي الفصل الرابع

1 تبني الأفكار والمخترعات والاكتشافات والاستنباطات التقنية القرآنية والنبوية، مثل:

أ – اكتشاف منظومة الثوابت الهندسية القرآنية وثوابت المواد والظواهر والطاقات كما أثبتنا في كتب أخرى.

ب – اكتشاف منظومة البناء والتشييد بالشد.

ت – اكتشاف واستغلال الطاقات الجديدة.

ث – اكتشاف واستغلال مواد جديدة كما في شأن السقف الفضية.

ج – اكتشاف الخلائط القرآنية كحال القوارير الفضية.

ح – اكتشاف وتصنيع الكيميائيات القرآنية كحال الطين اللازب والمستحضرات الطينية التنظيفية.

خ – اكتشاف تقنية الترشيق النبوية.

د – اكتشاف سرعة الضوء من القرآن الكريم كما قام به الأستاذ الدكتور منصور حسب النبي من مصر.

ذ – اكتشاف الأمصال البيولوجية من الحشرات المذكورة في القرآن والسنة كما هو حال مصل جناح الذبابة.

ر – اختراع قطرة العين لعلاج الماء الأبيض فيها من قصة سيدنا يوسف – عليه السلام– في القرآن الكريم كما قام به الدكتور عبد الباسط سيد من مصر.

ز – اكتشاف الأدوية من عصائر الفواكه القرآنية والنبوية.

س – اكتشاف المنظومة الغذائية القرآنية كما قام به الدكتور جميل قدسي الدويك من الأردن.

2- ضرورة فك عرى الارتباط المدمر مع أحد أقوى فكوك العولمة وهو الفكر المالي الغربي القائم على تحكم البنوك بالشعوب، وبناء نموذج إسلامي يجعل من الناس هم السادة والقادة وليس البنوك الربوية التي تعود لمجموعة محددة من البشر يتحكمون بدماء وأقوات ومصائر العالم دون رحمة . وهنا نبين أن تكون البداية من صناعات إسلامية بسيطة بنظام مالي إسلامي يمكن تقويتها بعد استنباط طرق جذب للمستثمرين دون شروط الفكوك الاقتصادية العولمية المدمرة.

3- كما أوصينا بأن يكون النظام الإسلامي للتوقيتات حسب الصلوات هو النظام المعمول به في العمل في كافة الوظائف حفاظاً على صحة الناس بدل النظام الرأسمالي العولمي المستهلك لطاقة وصحة البشر من أجل سيطرة عمالقة وحيتان العولمة على المال وعبوديتهم للجنس البشري . أي أن المواعيد الخاصة بالعمل يجب أ ن تكون وفقاً لمواعيد الصلوات الإسلامية (الفجر– الظهر –العصر – المغرب) وتتغير بتغيرها الدائم مع فصول السنة وأيامها وشهورها، وليس وقتاً محدداً ساكناً لا يقبل التغيير . فيكون الدوام والعمل يبدأ

بعد صلاة الفجر مع راحة بعد صلاة الظهر ويستمر حتى بعيد صلاة العصر. حيث أن البحوث الحديثة أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن النظام المتبع اليوم في أغلب مؤسسات ودوائر وأنظمة العالم الرأسمالي العولمي لا يتناغم مع طبيعة ووظائف أعضاء الجسم البشري ولا ساعته البايولوجية التي هي جزء من نظامه الجيني المناعي المجبول عليها خلقة مما سبب العديد من الأمراض والعاهات والوفيات والعلل النفسية لدى الكثير من العاملين . بينما نجد أن البحوث أثبتت أن أفضل نظام يفيد صحة الجسم ونشاطه الذهني هو البدء بعد الفجر والراحة بعد الظهر والانتهاء بعيد العصر وقبل المغرب وهو ما يتناغم مع ما جاء به كتاب الله تعالى وسنة حبيبه – عليه الصلاة والسلام– في ترتيب وقت الناس وعملهم وعباداتهم ونشاطاتهم وراحتهم وصحتهم.

وقلنا كذلك أن كل تلك الدعوات تحتاج لأدوات تنفيذ وشروط نجاح ومستلزمات تفعيل مثل رؤوس الأموال والمستثمرين والداعمين رسميين وغير ذلك . ومن بعد ذلك بينا أن تلك التفصيلات يمكن تحويلها لمشاريع فعلية، وهذا ما نبينه في فصل المشاريع والتطبيقات هذا.

تقسيمات المشاريع

ولكي نحول هذا الكلام إلى تطبيقات عملية وأفكار لمشاريع حقيقية نبدأ بالتفصيل لذلك في هذا الفصل عبر ترجمة تلك النقاط إلى نمطين من المشاريع وهي تباعاً:

1. مشارع صناعية إسلامية.
2. مشاريع استراتيجية إسلامية.

تبين الأشكال (6-1) لغاية (6- 11) بعض تفصيلات المشاريع ومخططات تفرعاتها وتقسيماتها المختلفة.

إن سر نجاح أي مشروع صناعي أو هندسي أو تقني في الحياة يكمن في 3 نقاط أو مثلث النجاح (المتانة والجودة، الديمومة، الاقتصاد)، وهذه تسمى أركان النجاح في كل مشروع. وحيث أننا بصدد صناعة جديدة للدعوة فإن تلك النقاط الثلاثة يجب أن لا تغفل عنا رغم أننا نتعامل مع شيء غير ملموس ويستغرب إدراجه تحت بند المشاريع الصناعية والتقنية لكن الحقيقة في عالم اليوم يعلينا التفكير بأساليب جديدة لفن الدعوة وتسويقها للآخر فنحن في سوق أفكار كما بينا في بداية الكتاب.

1. المتانة والجودة: موجودة، وهل أجود بضاعة وأعظم من بضاعة الله وسلعته وهي الإسلام العظيم . وسلعة الله العظيمة فيها أعظم محرك للنجاح وهو الإيمان بأحقية هذا الدين ومبشرات النصرة التي طالما قرأناها في آيات الله تعالى وأحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام بحتمية النصر ولو طال الزمن[1] ومنه نأخذ الهمة على الاستمرار وهي النقطة الثانية اللاحقة في الشروط.
2. الديمومة: وتعني استمرار تميز المنتج في السوق، وهذا لعمري هو ما لدينا من كنز لو أحسنا عرضه في سوق الأفكار العالمية، والديمومة أو الاستمرار ضرورة ملحة فهو يعني كذلك عدم الإحباط أو التثبيط لأننا أمام أعظم أمانة وهي دين الله تعالى فكيف نخسر أو نهزم ونحن حملته.

(1) تراجع تفاصيل ذلك في كتابنا (القوانين القرآنية للحضارات)، طبع دار الكتب العلمية ببيروت.

3. الاقتصاد: هنا الرابط الذي طالما غفلنا عنه اليوم ولم نتعظ بفعل النبي عليه الصلاة والسلام، ولم نتدبر كيف أن الاقتصاد كان من أهم المحركات التي أنجحت الدعوة سواء في أولها في وقت البعثة الشريفة أو في وقت الفتوحات لاحقاً أو عند قيام الدول الإسلامية واهتمامها بالعلم والعلماء والصناعة والتقنيات والمؤسسات العلمية.

كما إن هناك نقاط أساسية عامة يمكن تبيانها من خلال العو دة لقوانين النجاح والإبداع المبينة في الملحق (أ).

أما لماذا تلك التسميات فهذا يعود لطبيعة ديمومة تلك المشاريع وأثرها، فالمشاريع الآنية يمكن ان تتغير مستقبلاً بينما المشاريع الستراتيجية فطبيعتها وخواصها أنها تدوم وتأخذ وقتاً وبعداً زمنياً أكبر من تلك التي تتصف بالآنية. كما إن تلك التقسيمات والتسميات ليست حصرية ولا مقدسة فيمكن أن تتغير تلك التسميات أو أن تضاف مشاريع أخرى لكل نوع من تلك الأنواع التي نبين تفاصيلها أدناه.

المشاريع الصناعية الإسلامية

وهي كما مبين في الشكل (6–2) أدناه تقسم لعدة أقسام مع ملاحظة أن هذه التقسيمات لا تعني الحصر بل يمكن أن تتوسع تبعاً لأفكار وابتكارات أخرى لا تخرج عن السياق العام الذي حددناه في فصول الكتاب:

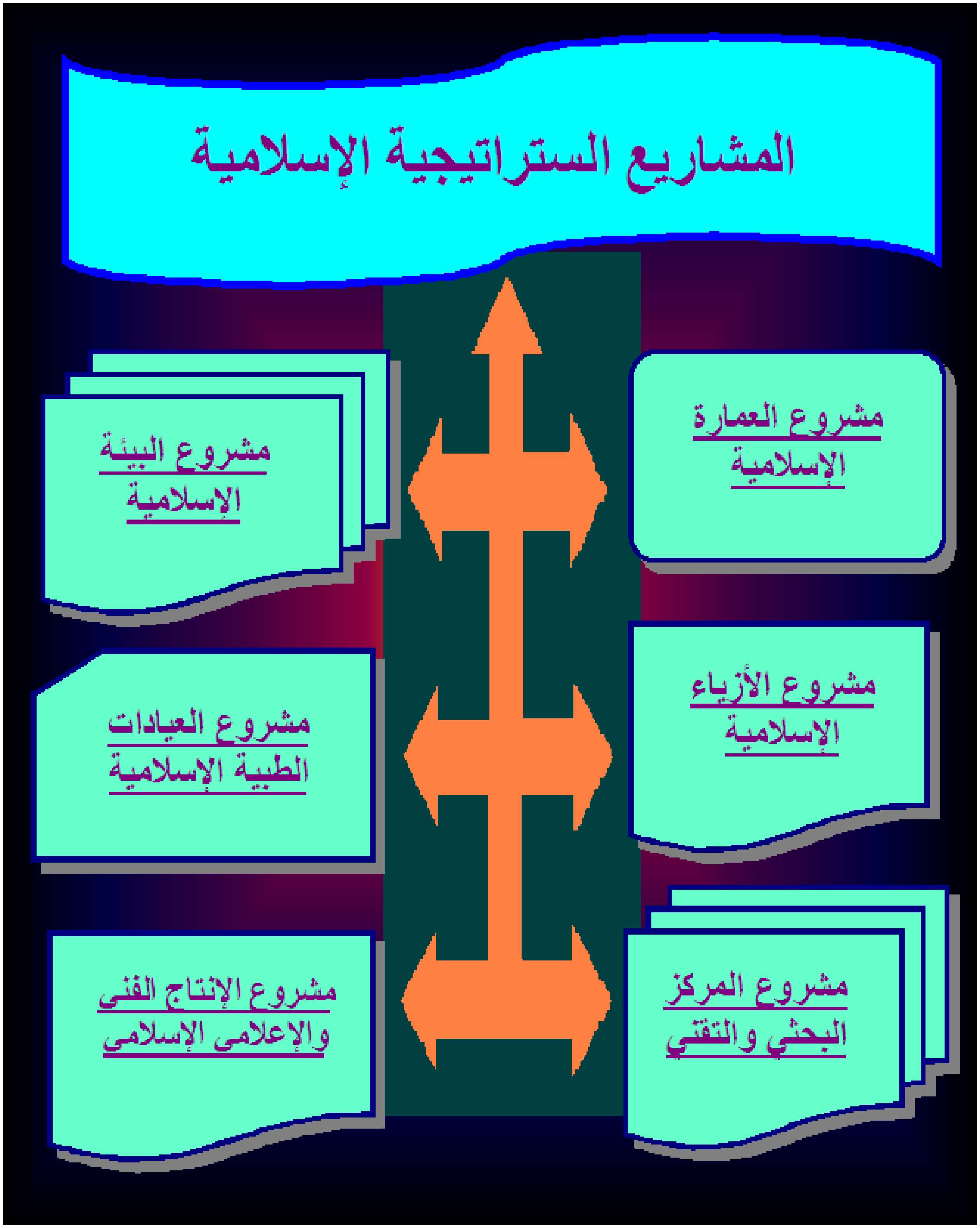
1. مشروع الألعاب الإسلامية
2. مشروع الإلكترونيات
3. مشروع المواد الإسلامية
4. مشروع الأجهزة الإسلامية



الشكل (6–1): التقسيمات الرئيسة لمشاريع الدعوة العصرية



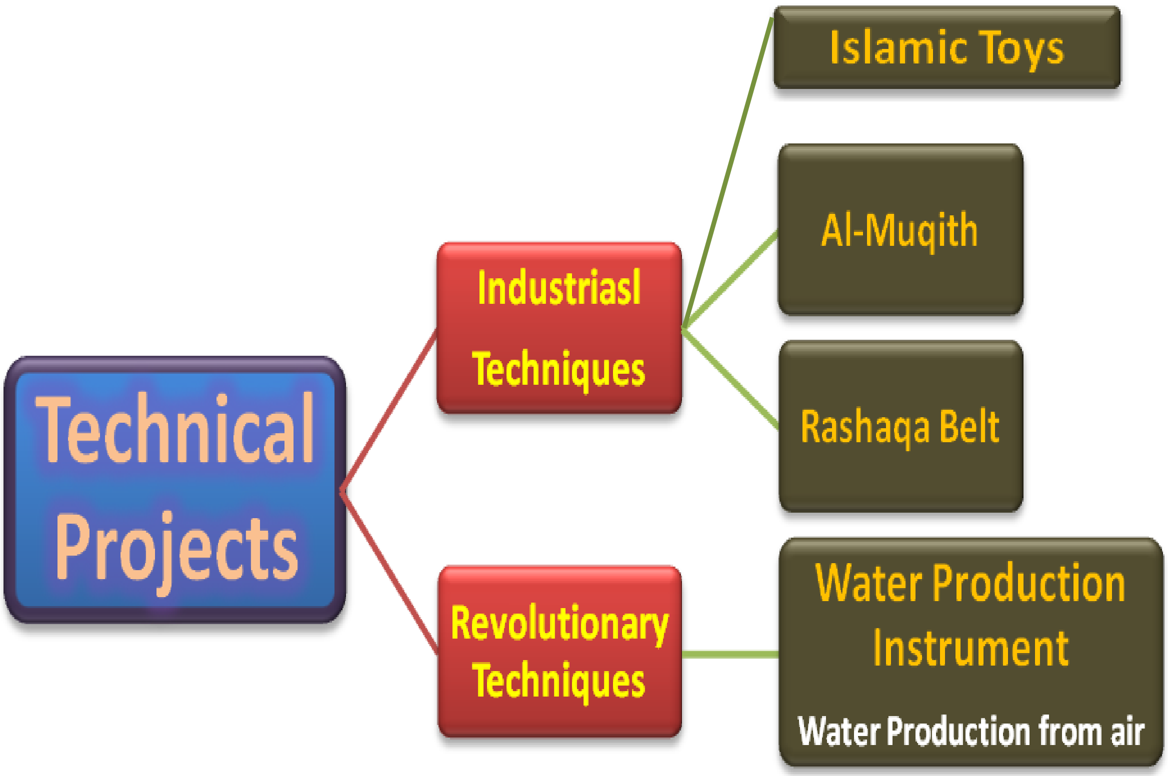
الشكل (6-2): تقسيمات المشاريع الصناعية الإسلامية



الشكل (6-3): تقسيمات المشاريع الستراتيجية الإسلامية



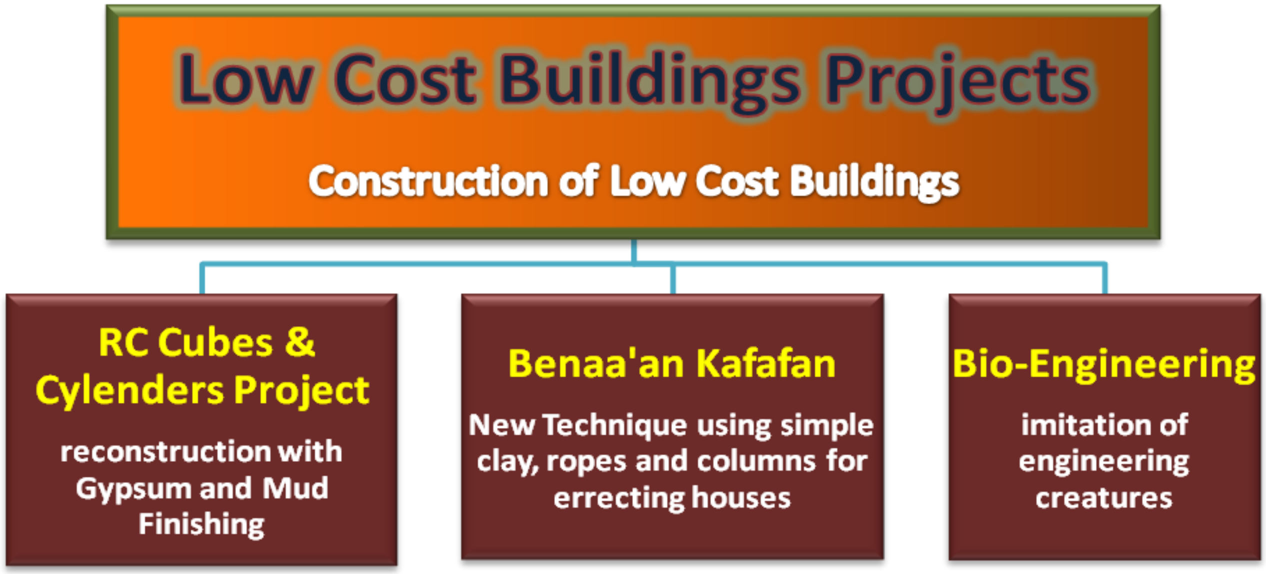
الشكل (6-4): بعض تفصيلات مشاريع الدعوة العصرية



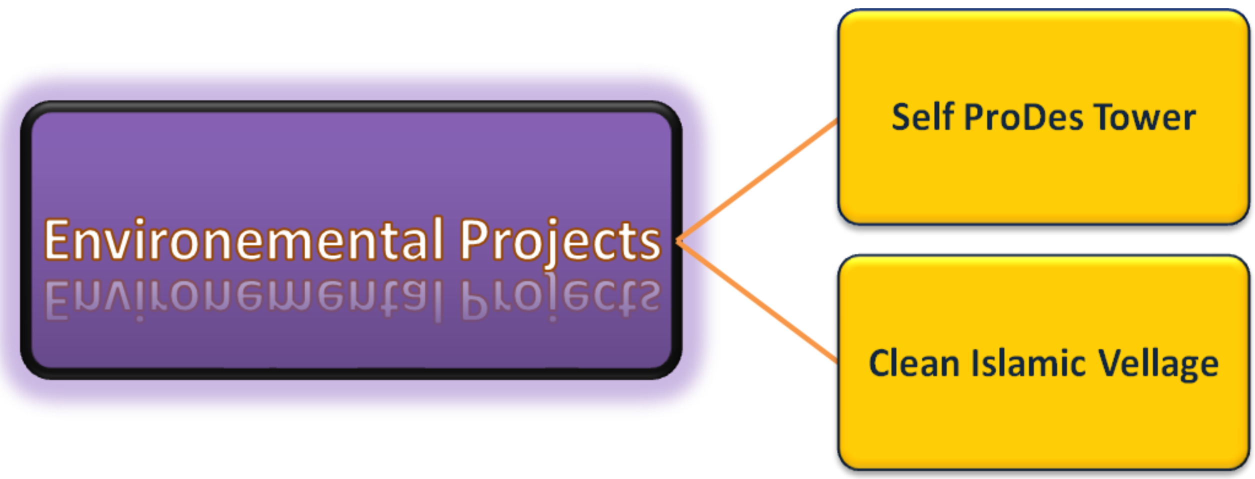
الشكل (6-5): بعض المشاريع التقنية



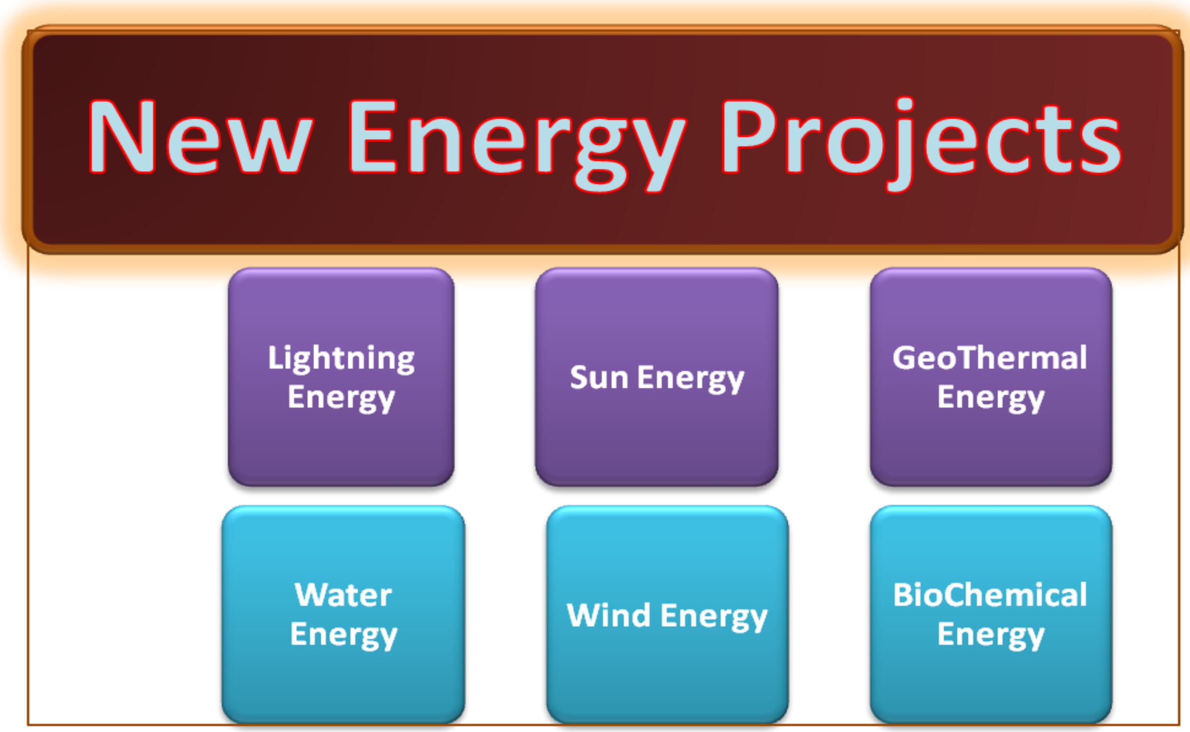
الشكل (6- 6): المشاريع الإعلامية الكبيرة



الشكل (6– 7): بعض المشاريع البناء والتشييد البيئي الرخيص



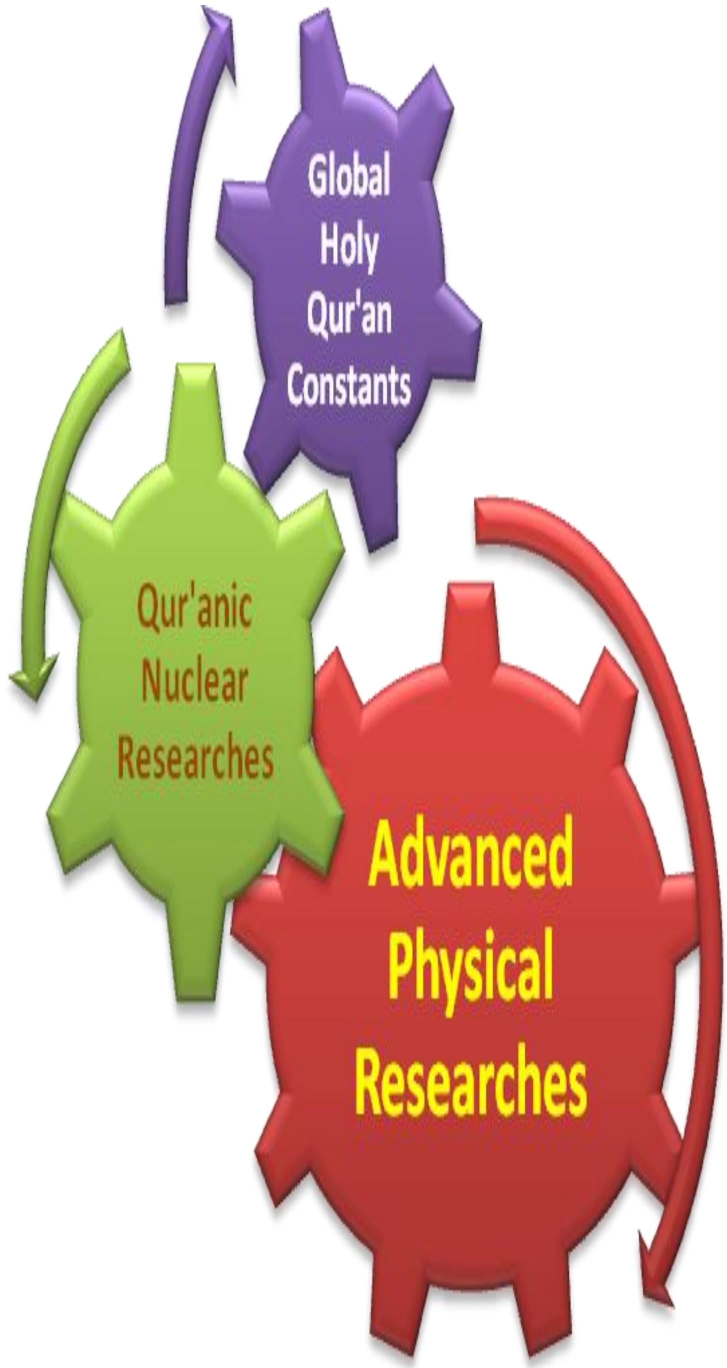
الشكل (6– 8): بعض المشاريع البيئية



الشكل (6– 9): بعض مشاريع الطاقة الجديدة



الشكل (6– 10): بعض مشاريع المواد الجديدة



الشكل (6- 11): بعض المشاريع البحثية الكبرى

1. مشروع الألعاب الإسلامية (الشكل 6–4): مشروع لعمل صناعة للألعاب ذات الطابع الإسلامي سواء من حيث الفكرة والمضمون والشكل تعمل على غرز روح الخلق الإسلامي الرفيع دون الحاجة للابتذال ا لمستورد من الغرب والتي تنمي محبة الطفل لأمته ودينه لتتشكل شخصيته وهي متعلقة بربها ودينها وأمتها بدل أن تتعلق بدمى وشخصيات لا تنتمي لفكر هذه الأمة، خصوصاً إذا علمنا أن شخصية الإنسان تتشكل أعمدتها الرئيسة في السنوات الخمس الأولى من عمره. كما ويساعد المشروع على معرفة شخصيات مهمة في تاريخ الأمة كالعلماء والأبطال الفاتحين والمفكرين وغيرهم، ويكون كل ذلك في إطار وتصميم يعتمد روح العصر من التقنيات الجديدة . وقد بدأت بحمد الله في هذا الأمر وأسأل الله تعالى أن يعينني وكل الأخوة الذين ولجوا في هذا المضمار الحيوي. إذ ه ناك اليوم تنادي لموضوع الألعاب الإبداعية وألفت بها بعض البحوث والكتب الموجودة في الأسواق وهناك الحقيقة اهتمام من جانب المصنعين والمبدعين بأفكار تغذي هذا الجانب وتدعمه وهو ما يبشر بخير كبير على مستويات كثيرة.

ويمكن أن نقسم هذا المشروع إلى مشاريع تخصصية مثل:

- ❖ مشروع الألعاب التقليدية : وهي المصنعة من البلاستك واللدائن بشكل عام دون أي حركة، وهذه أقل المشاريع تكلفة في هذا المجال.
- ❖ مشروع الألعاب الميكانيكية : وهي التي يدخل فيها الحركة أي تكون متحركة ميكانيكياً كألعاب التركيب الميكانيكي المعروفة بالميكانو .
- ❖ الألعاب الكهربائية: وهي المعتمدة في حركتها على البطاريات والشحن.
- ❖ الألعاب الإلكترونية : وهي الألعاب الداخلة في مضمار الإلكترونيات المشابهة لألعاب الحركة الإلكترونية.
- ❖ ألعاب الوسائط المتعددة كألعاب الحاسوب وألعاب الفيديو وألعاب الموبايل وغيرها وهذه تكلفتها عالية جداً.

❖ مدن الألعاب الإسلامية أو مدينة الملاهي : وهي الأكثر تكلفة من الجميع لأنها ألعاب حقيقية ضخمة وتحتاج لمبالغ ضخمة لكن الاستثمار فيها مضمون بشكل كبير.

كل تلك الألعاب تعتمد مبدأ الشخوص الإسلامية التي يمكن أن نجعل الأجيال يتعاملون معها بدل الشخصيات الغربية مثل الر جل الفائق (سوبرمان) والرجل الوطواط (باتمان) وغير ذلك من شخصيات الدمى المتحركة.

لكن هنا هذا الموضوع يرتبط بموضوع شخصيات كارتونية أو قصصية درامية تكون ضمن مسلسلات من واقعنا المعاش أو من تراثنا المليء بتلك القصص. وما شخصيات علي بابا والسندباد وعلاء الدين المستوحاة من قصة ألف ليلة وليلة إلا دليل على ذلك . ورغم أنه دليل واقعي لكنه غير محبب بالنسبة للنظام التربوي الذي ننشد، فكما تعلمون ان الف ليلة وليلة هي قصص فيها الكثير من الدس والإساءة للخلق الإسلاميو قد كتبت في عهود معروف خلفياتها وتأثيراتها ونسبت لنا زوراً وبهتاناً. لكن الأمر لا يخلو من فائدة وهي أنه كما استطاع الآخرون أن يجعلوا من تلك الشخصيات مؤثرة في العالم فيمكننا بتظافر الجهود أن نجعل ما يشابه ذلك ويتفوق عليه من واقعنا وتراثنا الإسلامي الحقيقي ولدينا الكثير في هذا ليفعل في جانب القصص والدراما أولاً ومن ثم الأفلام الكارتوينة للرسوم المتحركة ثانياً ومن بعدها تدخل ضمن الألعاب بشتى تصنيفاتها المذكورة أعلاه.

2. <u>مشروع الإلكترونيات الإسلامية (الشكل 6-4):</u> وهو مشروع يعتمد تسخير التكنلوجيا الحديثة للتعريف بدين الله تعالى سواء أكانت ببرامجيات حاسوبية أو برامجيات للنقال أو الأجهزة المستقلة وغير ذلك. تعين هذه المصنوعات المسلم على الارتباط بدينه في كل شؤون حياته . وقد بدأت في هذا المجال في مشروع جهاز أسميته (المنقذ) تبنت شركة بلاينتكس البريطانية للإلكترونيات تصنيعه، وهو جهاز شامل نافع أسأل الله تعالى أن يعينني على إتمامه . وهنالك

أفكار أخرى عديدة تحتاج للدعم والمساندة كي تفعل وتأخذ دورها . مشروع الأجهزة الإسلامية (الشكل 6–4): وهو مشروع مهم يستلهم ما جاء من آيات قرآنية وسنن صحيحة أو تراث إسلامي من جهد وإبداعات الأجداد لتحويله لأجهزة بتقنيات حديثة نعرض من خلالها ديننا الرائع للناس أجمعين. وقد بدأت بفضل الله تعالى بعمل أول جهاز أتوقع له نجاحاً باهراً بإذن الله تعالى إذا ما تم تصنيعه وهو جهاز بسيط لكن فوائده رائعة يعتمد فكرة الترشيق من خلال استخدام سنة نبوية في طريقة الطعام وتوصياته عليه الصلاة والسلام في كيفية الطعام ونوع الطعام ونوع الجلوس وغير ذلك من تفاصيل جاءت في السنة الصحيحة تم تحليلها وتحويلها لجهاز يستخدم عند الأكل لا يحتاج الشخص معه لا لحمية ولا لرياضة ولا لجراحة كي يرشق نفسه . الجهاز فيه انواع النوع البسيط وهو الميكانيكي والآخر الأعقد وهو الإلكتروني، وقد تم تصنيع نموذج مبسط منه لكن الأمر بالتأكيد يحتاج لعمل وجهد مبيرين في جوانب تصنيعية واستثمارية وتسويقية فضلاً عن الحقوق القانونية للاختراع .مشروع المواد الإسلامية (الشكل 6–10): وهو مشروع مهم جداً لو تمكنا من تحويله لواقع لاستطعنا أن نفهم العالم كم أن قرآننا وديننا الحنيف هو دين عملي . هذا المشروع يستنبط مواد من القرآن والسنة وكذلك من تراثنا الإسلامي الخلاق لتحويلها إلى واقع ملموس نعرض به ديننا على العالم الغربي ليعلموا علم اليقين كم نحن على خير . وبفضل الله تعالى قد توصلت لمواد غاية في الأهمية من القرآن والسنة خلال سنوات عملي في حقل الإعجاز الهندسي والعلمي في القرآن والسنة لعلي ضربت بعض الأمثلة في الفصل الرابع عند كلامي عن الاختراعات من القرآن والسنة كحال القوارير الفضية والسجيل وغيرها . لكن الأمر يتطلب دعم كبير على جميع الأصعدة لتحويله لواقع ملموس ، وهنا تعتبر الخطوة الأولى للم شروع إنشاء مركز بحثي وتقني متخصص لغرض الاستثمار فيه بشكل يمكن تنفيذه أي شركة استثمارية تعمل في حقل استثماري

شبه غاشب في عالمنا العرب مع شديد الأسف ألا وهو الاستثمار في الموارد البشرية ويعرف باستثمارات العلم والتقنيات.

هذا المركز التقني وطرقه في التنمية الا قتصادية والتقنية والعلمية والبشرية يمكن أن يدخل ضمن المشاريع الستراتييجة التي نتكلم عنها أدناه.

المشاريع الستراتيجية الإسلامية

وهي حسبما مبينة في الشكل (6–3) تقسم إلى:

1. مشروع البيئة الإسلامية (الشكل 6–8): مشروع غاية في الأهمية خصوصاً مع تصاعد التلوث والتدمير الذي يعتري العالم جراء حضارة وصناعة الغرب القاسية التي دمرت وتدمر بيئتنا بشكل سريع جداً حتى تكلم كثير من العلماء محذرين من تهديد لانقراض الحياة على الأرض بشكل سريع . وفكرة هذا الأمر طرحته في كتابي (علوم البيئة وهندستها في القرآن والسنة) ضمن سلسلة كتب (المدرسة الهندسية في القرآن والسنة النبوية) الصادر عن هيئة خدمة علوم القرآن في جائزة دبي للقرآن الكريم بفضل الله تعالى، وهو عبارة عن إنشاء قرية نموذجية بالطراز الإسلامي تعتمد نظم الري والطاقة غير الملوثة والبناء المتناغم مع البيئة والذي يرتبط بكل تأكيد مع م شروع العمارة الإسلامية في النقطة السابقة. ولقد تكلمنا عن بعض جوانبها في الفصل الرابع من هذا الكتاب، وهي تتداخل مع مشروع آخر وهو مشروع العمارة الإسلامية وأحد أهم جوانبه العمارة البيئية ما أسميناه مشروع (بناءً كفافاً) الذي نفصله لاحقاً في هذا الفصل .مشروع ا لعمارة الإسلامية (الشكل 6–7): مشروع ستراتيجي مهم يتبنى الفلسفة الإسلامية المعمارية والتي فيها من الإبداع ما تؤلف حوله المجلدات والمصنفات . وقد ذكرت في كتابي (المنظار الهندسي للقرآن الكريم) والصادر عن دار المسيرة بطبع اته الثلاث، وكذلك تم تبيان تفاصيل أكثر في كتابنا (الهندسة المعمارية في القرآن والسنة) ضمن سلسلة

كتب (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن هيئة خدمة علوم القرآن في جائزة دبي للقرآن الكريم بفضل الله تعالى. لو قدر لهذا المشروع أن يكون له صدى طيب من الأخوة المعماريين لوضع مواصفات معمارية للبناء العمراني الإسلامي لبينا للناس كافة روعة هذا الفن المستلهم من تلك التحف المعمارية التي تركها لنا الأجداد والتي امتلأت بها دول وحواضر الدنيا.

ولعل موضوع العمارة البيئية التي تطرقنا لها في فصل سابق تدخل ضمن هذا المشورع الكبير والضخم كأحد أهم مرتكزاته التي تتداخل بالتأكيد مع مشروع البيئة الإسلامية سالف الذكر . ومن ضمن هذا المشروع الكبير في العمارة البيئة الإسلامية يدخل مشروع (بناءً كفافاً). وهذا المشروع مشروع يحث على الاقتصاد في البناء وعدم التبذير كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهي تلك النظرة الا قتصادية الرائعة للنبي صلى الله عليه وسلم في توزيع الخير والثروات على كل الناس وشمولهم بالمسكن المناسب لهم ولعيالهم دون طبقية مقيتة تبعث على خلق العداوات والضغائن بي نأفراد المجتمع . يعتمد المشروع على اختيار جميع الطرق والتجارب سواء أكانت من التراث الإسلامي أم من تجارب الدول لتبني البناء الرخيص أو ما يعرف في تقنيات البناء اليوم بالـــ (Low Cost Constructions) فضلاً عن أنها أحد أنواع العمارة البيئية التي تحدثنا عن بعض جوانبها في فصل سابق . ولي بفضل الله تعالى تصورات مهمة في تقنيات مستنبطة من القرآن والسنة ضمن هذ ا المشروع ولكن ذلك يحتاج بالتأكيد إلى دعم كبير لغرض تحقيقه بمشتوى يجعله يقدم خدماته للناس لينعم الفقير بمسكن طيب ويعرف فقراء العالم كم يقدم لهم الإسلام من خير عميم في أمور الدنيا كما في أمور العقيدة والسمو الروحي حتى وإن كانوا فقراء.

جاء عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قوله: (من بنى بنياناً من غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرساً من غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جارٍ ما انتفع به من خلق الله تبارك وتعالى)[1]، وقوله – صلى الله عليه وسلم– (أما أنّ كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا بناءَ كفافاً)[2].

ورغم أن الحد يث ضعيف إلا أن فكرته يعضدها أن التكافل وعدم التكبر وتوزيع الثروة العادل في الاقتصاد الإسلامي وعدم التبذير والجشع والاحتكار وكما بينا في موضوع الاقتصاد الإسلامي في فصل سابق.

وللحديث عن فلسفة هذا الموضوع أحيل القارئ الكريم لكتابنا (علوم الهندسة المعمارية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم، ففيه تفاصيل كثيرة حول هذا الأمر وغيره استوفت نقاشاتها وأدلتها الشرعية والهندسية . كما أحيل القارئ الكريم لاستكمال التطبيق التفصيلي للمشروع إلى فقرة لاحقة ضمن هذا الفصل.

---

(1) مسند أحمد بن حنبل[جزء 3 – صفحة 438، حديث رقم 15654]، عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أنه قال : من بني بنيانا من غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غ رسا في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جار ما أنتفع به من خلق الله تبارك وتعالى .. وعلق عليه شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف. وجاء في مسند الشافعي والمعجم الكبير وشعب الإيمان، كما ورد في معتصر المختصر لأبي المحاسن، ج /2، ص277 في الغرف والقباب.. انظر المصادر.

(2) جاء في سنن أبي داود [جزء 2 – صفحة 781، حديث رقم 5237] عن أنس بن مالك : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– خرج فرأى قبة مشرفة (أي عاليه) فقال " ما هذه ؟ " قال له أصحابه هذه لفلان رجل من الأنصار قال فسكت وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يسلم عليه في الناس أعرض عنه صنع ذلك مرارا حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه فقال والله إني لأنكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قالوا خرج فرأى قبتك قال فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سواها بالأرض فخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ذات يوم فلم يرها قال " ما فعلت القبة ؟ " قالوا شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها فقال " أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا إلا ما لا " يعنى ما لا بد منه .. قال الشيخ الألباني : ضعيف.. وأخرجه أهل السنن: سنن ابن ماجة، مسند أحمد بن حنبل في مسند الشاميين، المعجم الكبير والأوسط، شعب الإيمان، مسند أبي يعلى، والحديث المذكور في المتن أ شار له أبي المحاسن في المعتصر المختصر، ج /2، ص277 في الغرف والقباب، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب، ج/3، ص12.. انظر المصادر.

3. مشروع المركز البحثي والتقني (الشكل (6–11)): ويبني فكرته على استثمار البحوث والمشاريع العلمية لتمويلها وتحويلها لواقع ملموس تدخل ضمن اقتصاد البلاد والأمة . وأترك تفصيلاته التطبيقية والتحليلية والجدوى الاقتصادية لفقرة لاحقة كذلك.
4. مشروع الأزياء الإسلامية: مشروع يتبنى نشر الأزياء الإسلامية بما تحويه من زخارف وتصاميم رائعة في كل العالم . ويتبنى هذا المشروع أناس متخصصون يقومون بنشر الزي الإسلامي في كل العالم أسوة بما يقوم به اليابانيون وغيرهم . ويكون ذلك وفق طراز وأصول إسلامية وفق الشريعة الإسلامية السمحاء.
5. مشروع العيادات الطبية الإسلامية : مشروع ما أروعه وأنفعه لو قدر له التحقيق، فهو يتبنى النظام الغذائي والوقائي والعلاجي الإسلامي يكو نعلى شكل علم متكامل تفتح له عيادات أسوة بالعيادات الصينية واليابانية والمايكروبايوتك فيكون أحد أعمدة الطب الابديل الذي انتشر هذه ايام معلناً عودة البشر للأصول الطبيعية بعد ان أعيتهم كل تلك السموم والعقاقير الكيميائية المدمرة. ومن أهم تقنيات هذا الطب البديل هو الطب النبوي الرائع وما فيه من تفاصيل وضعت فيها البحوث والمؤلفات ومن ذلك الحجامة التي انتشرت في اوربا وأمريكا ف ي السنوات الأخيرة وكذلك الصوم والحمية فضلاً عن العسل والحبة السوداء والسنا والسنوت وزيت الزيتون والخضر والفواكه وغير ذلك من تفاصيل ذكرت في السنن الصحصة او في كتب ومؤلفات علماء ألمة وأطباءها الرائعين خلال القرون الذهبية للحضارة الإسلامية. هذه العيادات ستنشر الإسلام فتعلم الغرب بعظمة هذا الدين والفوائد العظيمة التي جاء للبشرية . ولي علاقة طيبة بطبيب ألماني مسلم فتح عيادة للطب الإسلامي في الشارقة يمارس فيها جراحة الحجامة وتقنيات وعلاجات إسلامية كثيرة كان لها دور مهم في كثير من الحالات . ويمكن لو أضيف له

مركز طبي بحثي متخصص بالحوث الإسلامية فإن المعادلة الطبية والعلاجية والبحثية والتصنيعية ستكتمل.

6. مشروع الإنتاج الفني والإعلامي الإسلامية (الشكل 6_5): مشروع خطير بل يمكن القول إنه أحد أهم المشاريع السراتيجية التي تصنع الأجيال وتبني الأمم وفق ما أراده الله تعالى ول يس وفق مفهوم الغرب والشرق . فأنتم ترون أننا نعرض أطفالنا وأهلنا و أنفسنا لمتابعة نمط من الإعلام الغربي المدمر الذي يتمحور حول الشهوات الثلاث (الجنس، الدم، النفوذ بما فيه المال والسلطان) كما سبق توضيحه في الفصل السابق ، وهذا نجده في أفلام الرسوم المتحركة للأطفال وأفلام الكبار بل وحتى دعاياتنا الإعلامية تخرج لنا فيها امرأة محجبة لتعمل دعاية لأكل أو لبس او صناعة أو شخصية كارتونية غربية . ولكم أن تحكموا كم أصبحنا أمة أمعة لا خير فيها إلا استهلاك ما ينتجه غيرها من فكر وصناعة وأكل وشرب وكل شيء .. هذا المشروع يتبنى إنتاج أفلام رسوم متحركة وساكنة إسلامية، وكذلك تمثيليات وأفلام وأناشيد إسلامية تبين للعالم أجمع عظمة هذا الدين . وهذا الأمر لا يتأتى إلا باجتماع لجهود الكثير من المتخصصين والإعلاميين والفنانين والتقنيين وأصحاب الأموال لعمل مشروع بمثل هذه الضخامة والعظمة لنكون ق د قمنا بدورنا في إبلاغ ما علينا إبلاغه من ديننا العظيم وصراطنا القويم . كذلك يتنى هذا المشروع جميع الأعمال المهمة في تحويل منجزات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة إلى أعمال وثائقية في أعلى درجات التقنيات الحديثة بمستوى ما تنتجه قنوات ديسكوفري وبي بي سي العلم ية كي تعرض على الناس ليعرفوا حقيقة هذا الدين . بمعنى أدق إنتاج أعمال مشابهة لما قام به الداعية التركي هارون يحيى عندما قدم لنا رائعة من مؤلفاته المهمة بشكل فلم عروض متعددة الوسائط ثلاثية الأبعاد والمعروفة بالــ (مالتيميديا) بين من خلاله وبشكل علمي رائع لا يق بل الشك دحض نظرية التطور فضلاً عن إقامة الحجة على كل من يدعي بعدم علمية

القرآن والسنة المطهرة، كما وجعل عمله هذا بأكثر لغات العالم انتشاراً كالعربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية والتركية والروسية وغيرها لتعرض على القنوات العالمية . كذلك يشمل المشروع أعمالاً ثقافية وعلمية ودرامية تلفازية ومسرحية وراديوية تخصص لمخاطبة الغرب من خلال إذاعتها وبيعها لقنواتهم لتعرض فيها، فضلاً عن عمل أمسيات مسرحية تجول دول الغرب لتعرض تراثنا وحضارتنا ليعرفوا ما عندنا من خير وحضارة وفضل .قد وضعنا الخطوط العريضة لهذا المشروع وذلك عبر التوصيات التي توصلنا لها في الفصل السابق وهو فصل الإعلام والفن الركيزة الثانية لمرتكزات عصرية الدعوة . كما قمنا بدراسة الجدوى الاقتصادية والإعلامية للقناة من خلال متخصصين في هذا المجال.

إن تحويل هذا المشروع العملاق لحقيقة واقعة يعد أحد أك بر المنجزات لو تحققت، وهي ممكنة وليست بصعبة على المستثمرين والتجار خصوصاً لو أحسن التخطيط لها وجمع فيها تخصصات تقنية وفنية وإعلامية وأدبية وفكرية وهندسية وصناعية واقتصادية متميزة إذا ما علمنا حجم الأرباح الكبيرة التي يمكن أن تجنيها تلك القناة أو باقة القنوات من خلال طرق الاستثمار الإعلامي الحديث. لكن الأمر بالتأكيد ليست بالسهولة المتوقعة إلا إذا كان هناك من يعي ضرورة وأهمية الاستثمار الدنيوي والأخروي في هذا المجال من الأخوة التجار الذين نعول عليهم كثيراً في النهضة المرتقبة كما كان شأنهم دائماً عبر التأريخ الإسلامي فهم من أنقذ الدعوة والأمة في العديد من المناسبات منذ عهد البعثة الشريفة ولحد يوم الناس هذا فبارك الله فيهم ونعول عليهم الكثير في إحداث التغيير والنهضة.

فعلى سبيل المثال قدمنا مقترحاً لبعض الشركات بالذهاب لتصوير مناطق أحداث قصص قرآنية من واقع الحدث كقصص الأنبياء عليهم السلام أو قصص بينها كتاب الله تعالى وحدث عنها المصطفى عليه الصلاة والسلام،

وما أكثرها، لكن لم تكن الاستجابة جيدة في حينها، رغم أن قناة العربية الفضائية قامت لاحقاً بجهد طيب في هذا المجال عندما قدمت سير الأنبياء من واقع المناطق التي عاشوا فيها وحدثت الأحداث المخبر عنها قرآنياً في كنفها.

الاتحاد العالمي للشركات الإسلامية ومركز البحث العلمي والإعجاز في القرآن والسنة (WAMC)

هل يمكننا أن نتصور أن حجاج بيت الله الحرام والمعتمرين وجميع من يدخله ليصلي فيه ويكتسب الأجر يخرج منه فيشتري من محلات (ستار بوكس) مقابل الحرم فتذهب أمواله في دعم إسرائيل وقتل أخوتنا الفلسطينين، أو لعل بعضهم يركب سيارته الهمر ليذهب بها للحج ويؤدي ما عليه من عبادة وهو دافع ماله لتلك الشركة التي تصنع سيارتها لتقتل بها جيوش أمريكا أخوتنا العراقيين والإفغانيين وجيوش بني صهيون أهلنا في فلسطين . فهل يمكننا تخيل ذلك في ميزان الله العادل، هل هي حسنات أم سيئات بل وجرائم!

فهل من بدائل عملية تغنينا عن الغير وتحقق لنا الاستقلال النقدي والمالي والاكتفاء الاقتصادي ليعزز مفهوم المقاطعة الاقتصادية لسلع العدو الغاصب المعتدي، ليتحقق من بعده الاستقلال السياسي والقرار الحكومي الجريء داخلياً وخارجياً فنكون قد أعنا حكوماتنا على دفع الضغوط الخارجية عنها كي لا ترضخ للمقابل فتسهم في ارتداد جزء من حقوقنا السليبة؟!

الحل يكمن في تجمع اقتصادي وعلمي يوحد الجهد الجمعي لخدمة قضاياها ونهضتها، وهنا لا بد لنا ونحن نتحدث عن تأسيس فعلي لنهضة حقيقية أن نؤشر لعظمة فضل الله ومنه علينا وعلى أخوة لنا يحملون نفس الهم وذلك بعد توفيق الله لنا بتأسيس الاتحاد العالمي للشركات الإسلامية ومركز البحث العلمي والإعجاز العلمي في القرآن والسنة. هذا الاتحاد الذي سيكون بعون الله تع الى فاتحة خير لنهضة شاملة

للأمة اقتصادياً وصناعياً وبحثياً واجتماعياً فنسأل الله تعالى أن يمدنا بمدده وقوته وتأييده للعمل لرفعة هذا الدين فهو حسبنا ونعم الوكيل.

فقد تم بفضل الله تعالى وبعد جهود كبيرة ومضنية تأسيس الاتحاد العالمي للشركات الإسلامية ومركز البحث العلمي والإعجاز في القرآن والسنة (WAMC)، وهو اتحاد يجمع الشركات الإسلامية في العالم تحت بودقة عمل جمعي يهدف لترسيخ فكرة البديل الإسلامي في البضاعة وحث المسلمين لشراء البضاعة والمنتج الإسلامي ومقاطعة البضاعة الغربية المؤذية للمسلمين في اقتصادهم وصحتهم وخ يراتهم بل وبعضها يسهم في قتل المسلمين في دول عدة وبالتالي تسخير نسبة من الأموال في دعم قضايا المسلمين الفقراء والمنكوبين وكذلك تعزيز البحث العلمي الإسلامي [(1)].

- ولما كان الاقتصاد عموماً والمال خصوصاً هو عصب الحياة فلا يتوجب بأي حال من الأحوال جعل ثروات الأ مة وأموالها مباحة أمام أعداء الأمة ممن يستهزءون بدينها وكتاب ربها وشخص نبيها عليه الصلاة والسلام، فلا يجوز شرعاً وعقلاً أن نعطي أموالنا لإعدائنا فيحاربوننا ويقتلوننا ويهينوننا بها مصداقاً لقول الله تعالى : (وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا...) [النساء: من الآية 5].
- ولما كان المال هو الممول للحروب فقد نادى العلماء بضرورة مقاطعة المنتجات الاسرائيلية ومنتجات الدول التي تساعدها وتمولها والتي تقتل المسلمين في فلسطين وفي العراق وباكستان وغيرها من دول الاسلام.
- ولما كان كثير من المسلمين لا يعرفون أسماء السلع والدول المنتجة لها بل لا يعرفون السلع البديلة والتي تعوضهم عن تلك السلع المقاطعة.

---

[1] راجع موقع الاتحاد على الشبكة العالمية http://www.wamcompanies.com.

لذلك قرر جمع طيب من علماء الأمة [1] إنشاء الاتحاد العالمي للشركات الاسلامية ومركز البحث العلمي والاعجاز في القران والسنة عملاً بما حض عليه الشرع الحنيف في الكتاب والسنة وذلك لتحقيق حزمة من الأهداف النبيلة السامية في دعم نهضة الأمة وصعودها الحضاري لعل من أهمها:

1. خلق تحالف بين الشركات الإسلامية في جميع أنحاء العالم.
2. الترويج لبيع منتوجات الشركات الإسلامية من خلال إعطائها علامة مميزة من طرف الإتحاد.
3. المساهمة في تطوير وتحسين المنتجات المصنعة من قبل هذه الشركات من خلال مركز البحث العلمي التابع للإتحاد العالمي لشركات الإسلامية.
4. العمل على تسويق المنتوجات الخالية من المحرمات.
5. تقديم البديل الاسلامي للسلع المقاطعة.
6. مساعدة المسلمين المتضررين من العدوان عن طريق تخصيص نسبة من أرباح الشركات المنضمه إلى الإتحاد ولسنا أقل من الشركات التي ساعدت الصهاينة المعتدين بتخصيص نسبة من أرباحها.
7. الأموال التي سيحصل عليها الإتحاد من قبل الشركات الأعضاء، نصفها سيخصص لمساعدة الدول الاسلامية المتضررة من الحروب و النصف الثاني سيخصص للإنفاق على مركز البحث العلمي والإعجاز في القرآن و السنة و الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
8. إقامة شركات ومصانع وقف إسلامي.

ولكي نصل إلى الإستغناء عن كل منتوج أجنبي يجب علينا أن نطور منتوجاتنا، فمن المستحيل الحصول على منتوجات راقية في أي مجال بدون بحث علمي . ولذلك

([1]) كان للعبد الفقير المؤلف نصيب في ذلك الشرف، ولله الحمد والمنة على هذا التشريف ونسأله سبحانه أن يعيننا على حمل هذا التكليف ويوفقنا لتنفيذه وتطبيقه.

واستكمالاً وامتداداً للإتحاد العالمي للشركات الاسلامية فقد تم تأسيس مركز البحث العلمي والاعجاز في القران والسنة متعدد التخصصات:

I. فهو يجري بحوثاً في جميع المجالات العلمية والتكنولوجية والإجتماعية مستفيداً من الاعجاز العلمي في القران والسنة بغية تقديم نتائج هذه الابحاث إلى الشركات المنضمه للاتحاد للاستفادة منها.

II. كل هذه الأبحاث ستكون في خدمة الشركات الأعضاء.

III. تطوير التعاون بين الخبراء من مختلف التخصصات ، وخاصة مع الجامعات

IV. تعزيزإنتاج وتطوير المعرفة من خلال دعم ، الباحثين الأفراد وتم ويل برامج البحث.

يهدف المركز إلى تبني تقنيات و تطبيقات وبحوث لإقامة مشروع مؤسسة البحث العلمي والتقني في القرآن والسنة . هذه المؤسسة أو المركز هي مؤسسة استثمارية تعتمد فكرة الاستثمار في جانب الموارد البشرية في الجانب العلمي والتقني كما بينا آنفاً.

لقد تم دراسة الجدوى الاقتصادية وتبيان مراحل العمل والتنفيذ كما يبين جانباً من ذلك الشكلين (6–12) و(6–13). كما ضعت تصورات لماهية آلية التفكر والتدبر ومنها على سبيل المثال النظر الى المؤشرات العلمية (ماهو تعريفها)، بلورة خطة ومشروع للبحث العلم ي التجريبي الرصين ، وتحويل نتائج ذلك البحث العلمي التجريبي إلى صناعة وتقنيات نخرج بها للعالم بمفهومنا الإسلامي البديع وأخيراً تسويق منتجاتنا للعالم لنكون استثمار بشري إسلامي وتجارة رابحة للإسلام في الدنيا والآخرة.

وحددت الغايات بما يلي:

1. الوصول الى اكتشافات علمية جديدة من المؤشرات ا لعلمية فى القرآن وألاحاديث النبوية (الأشكال(6–4) لغاية (6–11)).
2. الاستفادة من السبق القرآني في كشف وتطوير واستنباط مواد جديدة وطاقات بديلة وتقنيات نظيفة وأغذية وأدوية سليمة (أنظر الأشكال (6–9) و (6–10).

3. تحويل التنويهات القرآنية في آية أو ضمن آية إلى بحوث لغرض الوصول للسبق والبشرى التي وعد الله تعالى بها ومن أصدق من الله حديثاً (الشكل 6-11).

كما تم تحديد المهام الرئيسة ، ماذا يستفيد صاحب البحث ، السياسات العامة للمؤسسة، النتائج المتوقعة وأخيراً عوامل النجاح واحتمالات الفشل.

ومن بين بعض الأمثلة التي تدخل في ضمن العمل البحثي العلمي المؤمل في المؤسسة على سبيل المثال والمستنبطة من القرآن والسنة وتراث الأمة العظيم:

1. اكتشاف مواد جديدة مثل اكتشاف مواد خلائطية (Composite Materials) من مزج المعادن بالفخاريات مستنبطة من القرآن الكريم . أمثلة أخرى على اكتشاف طاقات بديلة نظيفة مستنبطة من آيات الله في كتابه العظيم وأحاديث رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم مثل طاقات البحر في الوقود البديل، طاقات الجوف الأرضي الحرارية ، طاقات البرق الكهربائية ، طاقات الشمس ذات الاستخدامات المتعددة ، طاقات الرياح ، طاقات المياه وإعادة استخداماتها المختلفة وطاقات الخلايا الحية وغيرها.الاستباطات في مجال الطب الوقائي والعلاجي والسريري والجراحي المستنبطة من القرآن والسنة وتراث الأمة العظيم وهي كثيرة والحمد لله .الاستنباطات في المجالات الهندسية والعمرانية والميكانيكية من القرآن والسنة وتراث الأمة وهي أيضاً كثيرة والحمد لله كما بينا في التوصيات التي ذذكرت عن سلسلتنا الهندسية الشاملة (لمحات هندسية) والتي بينا بعضها في فصل ركيزة العلم –الفصل الرابع- ضمن هذا الكتاب.

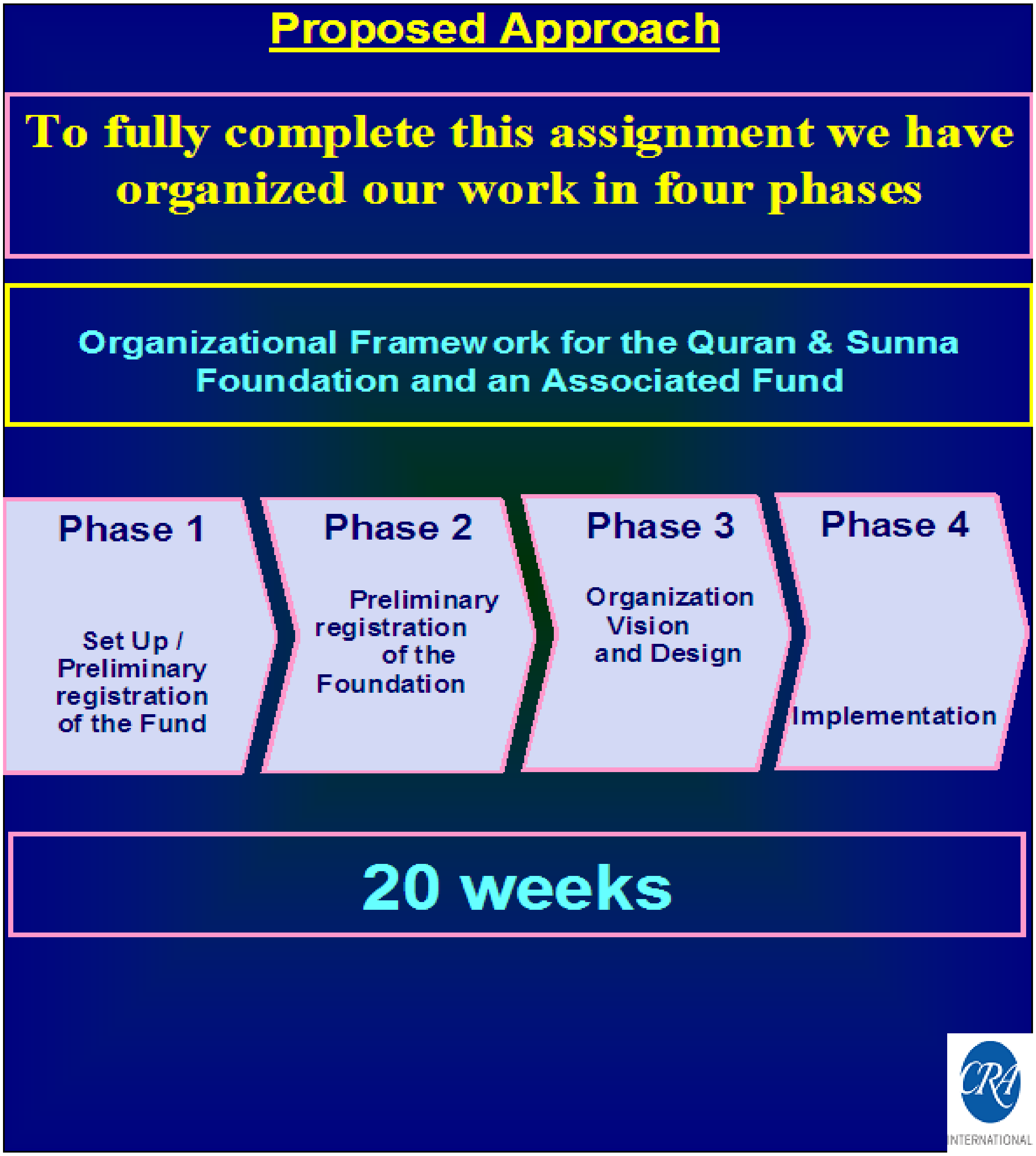
إن هذا المركز اجتمع عليه العديد من الأخوة الأكارم من رجال الأعمال والاقتصاديين والصناعيين والقانونيين والإداريين والمهندسين والأطباء من أقطار شتى لكن العمل فيه لم يبدأ بشكل حقيقي فنسأل الله تعالى أن يكون فاتحة خير لفعل نهضوي كبير بحول الله وقوته.

وهنا لا بد من الإشارة لفعل آخر يعضد هذا الفعل كان قد قام به معنا أحد الأخوة البريطانيين جزاهم الله كل خير في إنشاء شركة أسميناها شركة (مفازا) للصناعات التقنية الإسلامية (Mafaza Islamic Products Researches And Design – MIPRAD–). وهذه الشركة تتبنى فكرة تصنيع التقنيات الإسلامية من مواد وأجهزة وألعاب وغير ذلك لكنها تبقى بالتأكيد بحاجة للدعم والمساندة، الشكل (6–14) يبين صورة موقع الشركة على الشبكة العالمية.

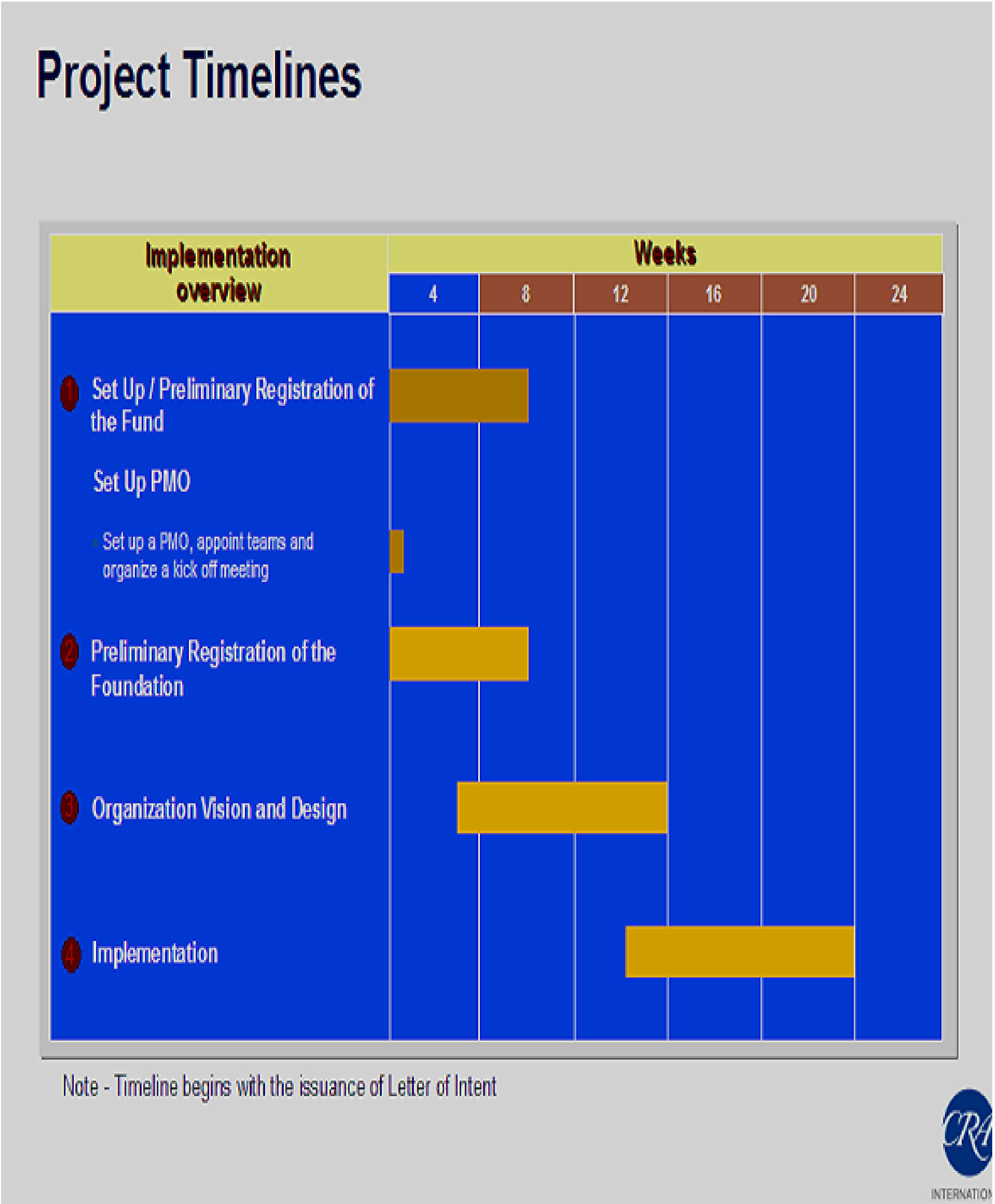
كما لا بد أن نشيد ونشير إلى العديد من الأخوة أصحاب الهمم العالية في الابتكار والتصنيع والاختراع بأفكار مستحاة من القرآن والسنة وتراث الأمة الخالد من أمثال الدكتور العراقي محمد جميل الحبال والأستاذ المهندس ممدوح القاصد من مصر وأخوة آخرين من المغرب وسوريا وأقطار أخرى لأنهم الحقيقة قمم عالية وكنوز تحتاج للصقل والتبني لتحويل أفكارهم الخلاقة إلى نماذج تصنيعية حقيقية وتسويقها للعالم بتوقيع إسلامي مبدع استكمالاً لأولئك الأماجد الذين أتحفوا العالم من قبل بمخترعاتهم وتقنياتهم وعلومهم المبدعة فجزاهم الله كل خير ونسأل الله تعالى أن لا يضيع عملهم وهدفهم السامي في رفعة الأمة ونهضتها ويأخذ بأيديهم وأيدي أمثالهم لنيل المقاصد السامية والشرف الرفيع في الدنيا والآخرة إنه العزيز القدير وبالإجابة جدير وهو من وراء القصد وإليه المصير.

تطبيقات في المشاريع الصناعية الإسلامية والاستفادة من فكرة المشاريع الصغيرة وتجربة مشروع بنك الفقراء لصاحبه الفائز بجائزة نوبل عام 2006م

ذكرنا أن المشاريع الصناعية الإسلامية هي مشروع الألعاب الإسلامية ، مشروع الإلكترونيات، مشروع المواد الإسلامية ومشروع الأجهزة الإسلامية. وقلنا أنه يمكن أن تضاف أفكار أخرى في هذا المجال والاستفادة من تجارب العالم الناجحة.


Proposed Approach
To fully complete this assignment we have organized our work in four phases
Organizational Framework for the Quran & Sunna Foundation and an Associated Fund
Phase 1
Set Up / Preliminary registration of the Fund
Phase 2
Preliminary registration of the Foundation
Phase 3
Organization Vision and Design
Phase 4
Implementation
20 weeks
CRA INTERNATIONAL

الشكل (6−12): نموذج من الرسم التخطيطي لبعض مراحل التنفيذ في المؤسسة البحثية



الشكل (6–13): نموذج آخر لبعض مراحل التنفيذ في المؤسسة البحثية



الشكل (6–14): جانب من موقع شركة مفازا المتخصصة بتصنيع تقنيات إسلامية

فيمكننا أن نستفيد من تجربة ناجحة بكل المقاييس ألا وهي تجربة المصرفي البنغالي المسلم والخبير الاقتصادي محمد يونس . ففي عام 2006م فاز هذا المبدع المسلم بجائزة نوبل مناصفة مع مصرف "غرامين" الذي يرأسه بجائزة نوبل للسلام، الذي منحته له الجمعية الأكاديمية السويدية. وقال رئيس لجنة التحكيم في أكاديمية نوبل السويدية أولي دانبولت : إن الجائزة منحت ليونس والمصرف الذي أسسه، بسبب جهودهما في خلق فرص للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. حيث يمنح المصرف قروضا ميسرة لأفراد المجتمع البنغالي الفقير من أجل مساعدتهم في إنشاء مصالح تنّمي مجتمعاتهم. والجائزة عبارة عن ميداليات ذهبية وشهادة، فضلا عن شيك بقيمة 10 ملايين كورون سويدي (قرابة 1.3 مليون دولار). وقالت اللجنة في توضيح أسباب منح الجائزة: "ان السلام الدائم لا يتحقق الا اذا وجدت اغلبية المواطنين وسيلة للخروج من الفقر". وبمعنى آخر لا يمكن تصور استمرار السلام الاجتماعي في دولة اذا كانت اغلبية مواطنيها تعاني من الفقر ولا امل لديها في التغلب عليه . فكما يتحقق السلام بين الدول بمنع اسباب الحروب بينها، يتحقق السلام داخل المجتمع بنزع اسباب الصراع داخله، وعلى رأسها الفقر . ولهذا استحق يونس جائزة نوبل للسلام، فقد بحث عن نموذج تنموي يسعى الى تحرير الناس من عبودية الفقر، وانحياز المؤسسات المالية التقليدي للاغنياء. وكما قال تعليقا على فوزه بالجائزة "لا ارى سبباً لان يكون هناك شخص فقير على ظهر الارض".

وعلى الرغم من أن محمد يونس عمل سنوات طويلة كاستاذ اقتصاد في جامعات بنجلاديش، ووضع اسس نظام تمويل غير تقليدي يقوم على تقديم القروض الصغيرة للفقراء، وساهم في اعداد الكثير من الدراسات الاقتصادية حول هذا النظام، الا انه لم يحصل على جائزة نوبل في الاقتصاد بل حصل عليها في السلام . والواقع ان قرار اللجنة التي تقدم جوائز نوبل يلفت النظر الى طبيعة الانجاز الذي حققه هذا الرجل، والى ابعاده السياسية والاجتماعية الواسعة.

والبرفيسور البنغالي محمد يونس، فقد ولد عام 1940 بمدينة شيتاغونغ التابعة للإقليم الغربي البنغالي في بنغلاديش، كان ثالث إخوانه البالغ عددهم أربعة عشرة طفلاً، تلقى تعليمه حتى نهاية المرحلة الجامعية ببنغلاديش، ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمواصلة دراساته العليا إلى أن حصل على الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة ناشفيل (Nashville) بولاية تينسي، وعاد إلى وطنه ليعمل أستاذاً جامعياً في تخصصه.

أما كيف تطور هذا المشروع بهذه الصورة المذهلة ، فيمكن القول أن انطلاقته الفعلية يعود تاريخها إلى عام 1976 عندما انضمت إلى محمد يونس مجموعة من زملائه الشركاء، وبدؤوا في تقديم قروض صغيرة جداً لمن يطلبها تحت النظام الذي عرف فيما بعد (ببنك القرية) أو مصرف جرامين . وجاءت فكرته العظيمة في المشاريع الصغيرة القادرة على تمويل نفسها ذاتيا من خلال التزام أصحابها في التسديد لتوفير تمويل مشاريع جديدة والموجه اصلا للنساء. فقد استلهمها أثناء قيامه بالدراسات الميدانية التي كان يجريها مع طلابه في بعض الأرياف حيث التقى بسيدة تعمل في صناعة الخزف والخيزران، فعرف من حديثه معها أنها كانت تقترض ما يساوي نصف دولار أمريكي فقط بفائدة أسبوعية قدرها 10% لشراء الخيزران الخام الذي تصنع منه منتجاتها لتبيعها في الأسواق المحلية، إلا أنه لاحظ أن أكثر من 70% من أرباح هذه السيدة كانت تصرف في سداد فوائد القروض.

هذا الحوار لم يفارقه لحظة حتى كانت الومضة لبلورة فكرة المشاريع الصغيرة وخوض غمار التجارة والأعمال انطلاقاً من هذا المشروع البسيط الذي لا يكلف كثيراً، ولا تخلف خسارته ضرراً مالياً كبي راً، لما لا يجرب حظه ؟، وهو الأستاذ الجامعي الذي يحاضر في علم الاقتصاد ويجمع بين العلم النظري والتطبيق العملي في هذا الميدان. وأخيراً، عرض على هذه السيدة قرضا بمبلغ سبعة عشر دولاراً أمريكياً – وهو مبلغ ذو قيمة كبيرة – لتمويل صناعتها بدلاً من الطريقة الأولى التي كانت تستنزف أرباحها. فجاءت النتائج مذهلة مذهلة للطرفين مما شجعه على توسيع

نطاق هذه التجربة مع سيدة ثانية، وثالثة، وكانت الأرباح في كل مرة كبيرة وتساهم في دعم مشروعات نسائية جديدة حتى إنه لم يكن يصدق أرقامه أحياناً !

لم يكن محمد يونس جامعياً اقتصادياً فحسب، بل حظي كذلك بمكانة اجتماعية جعلته شخصية يحسب لها حسابها بين كبار المسؤولين الماليين والسياسيين، واستطاع بفطنته وتفتح وعيه من اقناع وزير المالية ومدير البنك المركزي بمشروعه الاجتماعي الذي سيسهم في النهوض بقطاع الحرفيين، ولاسيما النساء منهم، لتحسين الأ وضاع المعيشية والاجتماعية، وبالتالي توسيع قنوات الرواج داخل الأسواق المحلية، وربما الأسواق العالمية وذلك بالحصول على قروض من البنك المذكور لتحقيق هذه الطموحات الكبيرة.

رأى يونس أن الفقراء في بنجلاديش، كما هو الحال في الكثير من دول العالم، يعانون من الحلقة المفرغة للفقر، وهي ان دخلهم منخفض وبالتالي فان مدخراتهم قليلة، وبالتالي فان قدرتهم على الاستثمار منعدمة او ضعيفة للغاية، فيظل دخلهم قليل ومدخراتهم قليلة وهكذا. فقد لفت نظر يونس ان بعض النساء في القرى القريبة من الجامعة التي يعمل بها، وهي جامعة شيتاجونج بجنوب بنجلاديش، يحتجن مبالغ بسيطة ليبدأن مشروعات صغيرة مثل تربية الدواجن او انتاج الالبان او البيض، ولكنهن عاجزات عن الحصول على هذا التمويل. فعندما يذهب الفقراء للبنوك التقليدية للحصول على تمويل يجدون ان هناك طريقين، وهو اما ان يقدموا ضمانات للقروض، وهي غير متوافرة عادة، واما ان يطلبوا قروضا شخصية، وعادة ما تقدم البنوك مثل هذه القروض لرجال الاعمال الذين حققوا نجاحا في السوق، وليس للفقراء الذين يريدون ان يبدأوا من الصفر. وتكون النتيجة هي استمرار الحلقة المفرغة للفقر. غير ان يونس رأى انه من الممكن كسر هذه الحلقة ببساطة عن طريق تقديم قروض صغيرة بدون ضمانات للمزارعين اذا كانت لديهم مشاريع قابلة للتنفيذ.

وهكذا بدأ يونس بتقديم قروض لا تتجاوز قيمتها 27 دولارا لمجموعة من السيدات في قرية مجاورة للجامعة التي كان يعمل بها في عام 1976. ولان هناك احتياجا

شديدا لتمويل المشروعات الصغيرة في بنجلاديش فقد وجد اسلوب يونس كثيرا من المتحمسين له، وتحولت فكرته الى بنك "جرامين"، وهي كلمة تعني قروي باللغة البنغالية، واصبح اول بنك في العالم يقدم القروض للفقراء الذين لا ترغب البنوك التقليدية في اقراضهم. وعبر سنوات عمله، قدم البنك قروضا لنحو 6.6 مليون فرد، 97% منهم من النساء، في نحو 700 ألف قرية. ويشترط البنك ان يتم سداد القرض بالكامل قبل منح أي قرض جديد، وبلغت نسبة سداد القروض فيه 99%، وهو مؤشر على نجاح القروض التي يقدمها البنك . وتحول "بنك جرامين" او بنك الفقراء كما اشتهر، الى نموذج تم تقليده في بلاد كثيرة باسماء مختلفة، لكن المفهوم واحد : تقديم قروض صغيرة للفقراء لتمويل مشروعات صغيرة تهدف لاخراجهم من الحلقة المفرغة للفقر.

تلقت الأوساط الحرفية هذه الفكرة بارتياح بالغ، ولقيت تشجيعاً واسع النطاق، ووعد الجهات المقرضة بأن تكون الثقة المتبادلة بينها وبين الحرفيين هي السبيل الوحيد لضمان سداد القروض الممنوحة لهم، غير أن بعض المسؤولين الحكوميين وآخرين في البنك المركزي تحفظوا تجاه هذه الاقتراحات متوقعين فشلها لعدم قيامها على ضمانات تجارية مدروسة بعناية كما هو مكتعارف عليه في الممارسات البنكية الرسمية لكن ذلك لم يزده إلا آمالاً ليبذل المزيد من الجهود الكبيرة حتى تمكن عام 1938 من تأسيس (بنك القرية) الذي حمل اسم : جرامين بنك (Grameen Bank) في بنغلاديش الذي تطور في بضع سنين حتى أضحى اليوم يضم 1176 فرعاً، يعمل فيها جميعاً 11777 موظفاً لخدمة حوالي مليونين و نصف مليون من العملاء المقترضين من مجموع 41187 قرية نسبة النساء منهم 95%. وقد بلغ إجمالي القروض التي منحها منذ إنشائه 3.7 بلايين دولار، سدد منها 3.4 بلايين دولار، أي أن نسبة التحصيل بلغت 98% استثمرت هذه القروض في نشاطات اقتصادية وخدمات اجتماعية متنوعة نذكر منها على سبيل التمثيل القروض الممنوحة لتعليم أبناء الفقراء.

يقول محمد يونس: (لم نكن نتوقع في البداية أن يتطور مشروعنا إلى هذا الحد الكبير، رغم إقبال العاملين والعملاء عليه بأعداد هائلة : بل كان الجميع يظن أن خدماتنا المتميزة، لن تظل كذلك إذا ما اتسع حجم الم شروع وتشبعت مجالاته : لكن الأيام أبطلت هذه الظنون، وأثبتت للمتشائمين عكس ما كانوا يتوقعون . وفي أواخر عام 1980 شرعنا في بلورة فكرة إنشاء شبكة يمثلها المقترضون حتى يتسنى لهم السيطرة على الفقر في زمن وجيز من جهة، وليساهموا في تحسين أداء اقتصاديات بنغلاديش من جهة ثانية، وتفعيلاً لهذه الشبكة، بدأنا بمشاريع إنمائية صغيرة على مستوى الري وحفر الآبار والنهوض بقطاع الصيد البحري، وركزنا في نفس الوقت على تأهيل بعض الكوادر الراغبة في الانضمام إلى مؤسستنا من مختلف دول العالم.. تبين لنا أن إنجاز مشروعات هذه الشبكة وتوسعتها تحت مظلة مؤسسة رئيسية واحدة سيشكل حملاً ثقيلاً عليها، لذلك أنشأنا اعتباراً من عام 1989 هيئات مستقلة على مستوى كل قطاع مثل: مؤسسة جرامين للأسماك، ومؤسسة جرامين كريش الخاصة بالري وهكذا، ونشير كذلك إلى أنه تم وضع برنامج الصحة العالمي تحت مسؤولية جرامين، وقد لاحظنا أنه كلما تطورت خدماتنا ومشاريعنا، كلما اكتسبنا المزيد من ثقة الأفراد والمؤسسات المحلية والعالمية، مما منحنا جرأة لولوج أي ميدان حتى تقديم خدمات شبكة الإنترنت، وبذلك أصبحنا نحمل اسم: منظمة عائلة جرامين التي يعمل تحت لوائها ذوو الكفاءات العالية، والسلوك الخلقي الإداري المتميز، ونحن نرحب دائماً بالأشخاص والمؤسسات والمنظمات من جميع أنحاء العالم الذين يرغبون في الانضمام إلى عائلتنا بصفتهم عملاء أو شركاء، كما أننا لا نستغني عن الاقتراحات والأفكار التي تساهم في بناء الإنسانية، والقضاء على الفقر داخل بنغلاديش وخارجها عبر عائلة جرامين الكبرى).

إن سر نجاح فكرة محمد يونس يعود في أساسه إلى فلسفته الاجتماعية، أكثر مما يعود إلى رؤية اقتصادية، أو مجرد فكرة اقتصادية توفرت لها أسباب نجاحها . إنها الفلسفة التي قامت على تحرير الإنسان من الفقر المذل بمنحه مالاً في صورة قر وض ليدخل

به إلى سوق العمل والتجارة، فيكسب عيشه، ويسترد كرامته، ويبتعد عن ساحة الجريمة، وذاك معنى الحرية والسعادة، بل لقد حاول محمد يونس بهذه الفلسفة العملية أن يجعل حق الفرد في القروض من الحقوق التي يجب أن تضاف إلى وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وكأنه يريد أن يذكرنا جميعاً بالحرب التي أعلنتها شريعة الإسلام على الفقر، وجعلت مقاومته من أهدافها الخالدة.

ألم يستعذ الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الفقر؟، وألم يقل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: لو كان الفقر رجلاً لقتلته؟.

وربما احد اهم طرق قتل الفقر هو العمل على محاربته بطريقة عظيمة على طريقة محمد يونس والتي وضحها في كتابه الشهير : عالم بلا فقر .. والاكثر وضوحا على ارض الواقع حيث لفت انظار الكثير من دول العالم من بينها دول عربية كالاردن في التعاون معه ومع مصرفه في تطبيقات ناجحة للحد من الفقر ورفع مستوى حيا ة الاسرة عبر دعم النساء.

واستكمالا لمسيرته قرر يونس ان يخصص قيمة ما حصل عليه من جائزة نوبل، التي وزعت مناصفة بينه وبين بنك جرامين، لانشاء شركة تقوم بتصنيع أغذية للفقراء تتميز بارتفاع قيمتها الغذائية وانخفاض اسعارها، ليبدأ رحلة "غذاء الفقراء" كما بدأ من قبل بنك الفقراء [1].

وهنا ننطلق للاستفادة من هذه التجربة المميزة في عالمنا لننهض في مشاريع صناعية ودعوية في نفس الوقت فهي تأخذ بيد فقراء المسلمين من جهة وتعينهم على منع الانجرافات والانحرافات الفكرية والعقائدية والسلوكية التي ممكن أن تعصف بهم من جهة أخرى وننهض باقتصاداتنا من جهة أخرى ونكسبهم لصالح جيش الخير من جهة رابعة.

([1]) عن كتاب تجربة بنك الفقراء، محمد سعيد بالإشتراك مع: إسلام أون لاين .نت، ط/1، الدار العربية للعلوم- بيروت- لبنان، 2007م.. وانظر مقال _لماذا فاز مؤسس "بنك الفقراء" بجائزة نوبل للسلام؟)، موقع بي بي سي العربية، http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_6050000/6050270.stm

أما عن تطبيقات تلك المشاريع في بلدان الغرب فيمكن منها أن نأخذ بيد الفقراء لنعينهم على أمور دنياهم من جهة ونكسبهم للإسلام من جهة أخرى، فهكذا مشاريع يمكن تطبيقها في دول مثل الصين والهند وروسيا و دول أمريكا الجنوبية كالبرازيل والأرجنتين والأورغواي وغيرها وهي دول يعول عليها في عالم الغد المتعدد الأقطاب كما سبق وبينا.

كذلك يمكن تطبيقها في دول أوربية لديها من الفقر الكثير كأوربا الشرقية والجزء الشرقي من ألمانيا الذي لا زال يعاني من آثار الحكم الشيوعي ولا زال يعاني الفقر في أغلب مناطقه، وكذلك المناطق الفقيرة في كل البلدن الوربية الأخرى التي لا تخلو من الفقر والفقراء . كما ويمكننا تطبيقه في داخل الولايات المتحدة واستراليا وكندا وبقية الدول لو أحسنا التخطيط والتنفيذ.

أما كيف يمكن استغلال الفقراء في مشاريع صغيرة فهذا يفتح أبواب أفكار كثيرة جداً تعتمد على المنطقة والبلد وحركة السوق فيه والخامات التي يمكن استغلالها وعوامل كثيرة أخرى يعرفها أهل الصناعات والاستثمارات الصناعية والاقتصاديين.

فيمكن مثلاً استغلال الأزبال أو النفايات المنزلية وإعادة إنتاج ما موجود فيها من مواد بلاستيكية، زجاج، معادن، أقمشة، أوراق، وغير ذلك . وذلك عن طريق تمويل مشاريع صغيرة في كل منطقة من تلك المناطق بتشجيع الفقراء هناك على جمع تلك النفايات مقابل مبلغ بسيط وتحويل كل جزئية من تلك الجزئيات إلى معمل صغير في كل حقل منها. فالمعادن يمكن ان تستغل مثلاً في تصنيع العلب أو أغطيتها، والأوراق يمكن استغلالها في إعادة إنتاج سيلولوزي جديد، والزجاجيات يمكن صناعة أواني أو قارورات بسيطة، والبلاستيكيات يمكن أن يعاد تصنيعها أو بيعها لمصانع متخصصة. كل مرحلة وجزئية من المشروع يمكن أن تحول لتمويل بسيط لك شخص ي دخل فيها من الطبقة الفقيرة العاطلة والمحتاجة للعمل.

ماذا سنكسب؟، سؤال كبير لكن إجابته واضحة جلية:

- ❖ القضاء على البطالة.

- تأهيل الفقراء.
- أنقذنا عوائل كثيرة من شبح الفقر والعوز.
- نظفنا البيئة وأنقذناها من أحد أهم مصادر التلوث.
- أعدنا استغلال ثروات ضائعة.
- تطوير الاقتصاد.
- منع الانجراف والانحراف لهؤلاء الناس البسطاء والناجمة جراء استغلال الفقر والبطالة من قبل المغرضين.
- تشغيل الأموال واستثمارها في موارد ليست مكلفة وناتج أرباحها مضمون.
- والأهم أننا استثمرنا أموالنا وجهودنا في الدعوة إلى الله وكسب هؤلاء الناس في بلداننا أو في البلدان غير المسلمة لصالح قضية الدعوة.

تطبيقات في المشاريع الستراتيجية الإسلامية : فكرة تقنية (البنيان المشدود) ضمن مشروع (بناءً كفافاً) والاستفادة من فكرة العمارة الخضراء أو العمارة البيئية مثل عمارة الفقراء

ذكرنا في فصل التفصيلات بجزئها الأول الخاص بالعلم وفي موضوع البيئة تحديداً أن هناك ما يعرف بالعمارة البيئية أو العمارة الخضراء، وكيف أنها أصبحت اليوم أحد اهم ما ينادي به علماء العمارة والبيئة والصحة وغيرهم.

ولعلنا هنا نحاول الاستفادة من تجربة رائعة لمهندس مسلم رائع هو المهندس المعماري المسلم المصري المبدع حسن فتحي رحمه الله تعالى في تجربته الرائدة في هذا الصنف من العمارة الحديثة والاقتصادية والنظيفة الصديقة للبيئة . ولا أفضل من ان نغوص في تجربة الرجل من كتابه الشخصي الذي ألفه خصيصاً لهذه التقنية الخلاقة وهو كتاب عمارة الفقراء (Architecture of the Poor).

في كتابه ذاك يتناول حسن فتحي رؤيته الخاصة حول العمارة البيئية وتجربته في مصر وبالأخص قرية القرنة. والكتاب بالإنجليزية، وترجمه فيما بعد للعربية د .

مصطفى إبراهيم فهمي. صدرت طبعته الأولى تحت عنوان "القرنة:قصة قريتين" في طبعة محدودة من إصدرات وزارة الثقافة المصرية عام 1969م بالقاهرة. ونُشِر الكتاب بعد ذلك في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1973م بواسطة جامعة شيكاغو ثم نشر في مصر عام 1989م بواسطة الجامعة الأمريكية بالقاهرة. وقد صدرت ترجمته العربية عام 1993م حين قام د. مصطفى إبراهيم فهمي بترجمته بمبادر ة شخصية وقد صدر عن كتاب أخبار اليوم وأعيد طبعه في سلسلة مكتبة الأسرة عام 2000م.

فصول الكتاب تبدأ بتمهيد للكتاب من قبل وليام ر. بولك، رئيس معهد أدلاي ستيفنسون للشئون الدولية، ومن بعده تبدأ الفصول، إذ يقع الكتاب في أربع فصول هي: لحن الإستهلال: الحلم والواقع، لحن الترنيمة (كورال): الإنسان والمجتمع والتكنولوجيا، لحن الترديد (فوجة): المهندس المعماري، والفلاح، والبيروقراطي، لحن الختام: القرنة في سبات، مع 6 ملحقات تحتوي بعض الدراسات والإحصائيات حول طرق البناء بالطوب اللبن وتكلفتها الإقتصادية.

ملخص الكتاب يبين فلسفة حسن فتحي في عمارة رخيصة ومتناغمة مع البيئة وجميلة وبسيطة. إذ يتناول الكتاب رؤية حسن فتحي للرجوع إلى وسائل البناء التقليدية المستمدة من البيئة المحليّة كوسيلة لتنمية الريف المصري (ريف ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين) واستخدام الطوب اللبن بشكل عام لبناء منازل أكثر راحة ونظافة بتكلفة أقل. ويعرض حسن فتحي في الكتاب تجربته الخاصة ومحاولة استلهام الأساليب التقليدية في البناء وبخاصة المنازل النوبية في الجنوب، محاولته لتطوير تقنيات البناء بالطوب اللبن لبناء منازل نظيفة وراقية وفي نفس الوقت بسيطة بحيث يظل بمقدور الفلاح بناء بيته بنفسه بدون الحاجة لتقنيات معقدة ومكلفة . ويعرض أيضا تجربته في بناء البيوت الطينية في أكثر من مكان بمصر، بيت حامد سعيد في المرج، عزبة البصري، قرية القرنة وغيرها. أيضا يتناول الكتاب أفكار حسن فتحي لتنمية الريف تنمية شاملة ومحاولة الإرتقاء بالخدمات الصحية والإجتماعية بالريف

وتحسين الصناعة الريفية . وأيضاً يعرض الكتاب لرؤية حسن فتحي في العلاقة بين المالك والمعماري، والبعد عن فكرة البيوت الضيقة المصممة مسبقاً دون اعتبار لذوق المالك وحاجته. والإبتعاد عن بناء مساكن أسمنتية (بشعة على حد وصفه) تحد من حرية ساكنها وتقديده.

ملحق بالكتاب عدة ملاحق تحتوي على دراسات للتكلفة الإقتصادية لبناء الم نازل من الطوب اللبن، مدى تحمل هذه المباني عبر تجارب أقيمت عليها وطريقة تنظيم العمل في هذه المشاريع(1).

وهنا لابد من الإشارة لتجارب أخرى خلاقة في موضوع العمارة البيئية تعتمد استخدام ما موجود في البيئة مثل:

- ❖ تجربة البناء من الطين المسلح بالنباتات.
- ❖ تجربة البناء باستخدام النباتات المكبوسة لتصنيع كتل خفيفة الوزن تربط بخياطتها مع بعض وتنهى بمواد خرسانية أو جصية.
- ❖ تجربة البناء بالحجر الموجود في منطقة حجرية.
- ❖ استخدام النباتات والأخشاب في منطقة غابات.

هنا يمكننا مثلاً أن نطلق مشروع بناء كفافاً الذي ذكرناه آنفاً في الم شاريع الستراتيجية من ضمن العمارة الإسلامية كأحد الحلول . وقلنا أن فكرة المشروع تعتمد على حديث (بناءً كفافاً) الذي ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام.

ومن ثم بدأت أبحث عن فكرة مستوحاة من التشبيهات والأمثلة العلمية الكثيرة المرتبطة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام. وعندما بدأت في العمل المتعلق بسلسلة (لحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) التي طلبت مني جائزة دبي

---

(1) عمارة الفقراء – حسن فتحي، ترجمة د. مصطفى إبراهيم. طبعة مكتبة الأسرة، سنة 2000.. عمارة الفقراء أم عمارة الأغنياء؛ رؤية موضوعية لعمارة حسن فتحي، محمد عبد السلام العمري، ط /1، مكتبة مدبولي، 2004م.. عمارة الفقراء أم عمارة الأغنياء ، محمد عبد السلام العمري، ط /1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م.. موقع الجمعية العربية للعمارة و التصميم و مجلة بـــنـــاة .. وانظر موسوعة ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org/wiki.

للقرآن الكريم متفضلة ومشكورة أن أعملها جاءت الفكرة بشكلها المتكامل وهي فكرة البناء بتقنية (البنيان المشدود).

فكرة موضوع البناء بتقنية الشد هي فكرة إسلامية بحتة من الكتاب والسنة وفكرتها مستمدة من آية وحديث . فأما الآية فهي البنيان المرصوص في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) (الصف:4). وأما الحديث فهو قول النبي عليه الصلاة والسلام في حديث البنيان الذي يشد بعضه بعضاً . فعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)، وشبك أصابعه[1]. أي أن حال المؤمن في تعاونه مع المؤمن كحال البنيان يشد بعضه بعضاً وشبك اصابعه دليل تداخل وتآصر البنيان.

فبدأت الفكرة عندي من صميم اختصاصي الهندسي في الهندسة الإنشائية من أن أستفيد من التشبيه القرآني بأن البنيان يكون مرصوصاً قوياً، ومن ثم تفسير النبي عليه الصلاة والسلام بتشابك البنيان بأنه مشدود، وبالتالي لماذا لا يكون الاعتماد على قوة الشد في نقل القوى في البنيان بدل الضغط فيكون الرابط هو قوة الشد وبدون الحاجة للرابط أو اللاصق بين الكتل أو ما يعرف بالمونة.

ثم أضفت لهذه الفكرة موضوع الكتل الطينية المسلحة بالجذور أو النباتات الثيلية أو ما عرف عند القدماء باللِّبِن وهو الطين المسلح بمواد نباتية كالقصب أو ا لثيل أي الحشيش الذي يزرع في الحدائق.

والفكرة هي استخدام تلك الكتل الطينية بأحجام معينة وتشد بحبال من القصب أو جريد النخل المتشابك تشابكاً شدياً عقدياً والمطلي بمادة حافظة إلى أعمدة في الزوايا لتربط

([1]) صحيح البخاري [جزء 1 – صفحة 182 ، رقم 467، وكذلك جاء بأرقام 1365، 2314، 5680، 5681، 7038).. وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم 2585.

بها. وتلك الأعمدة تكون كذلك من جريد النخل المتشابك تشابكاً شدياً عقدياً أو من سوق النخيل التالفة والميتة ذات القوة والمتانة الكبيرتين(1).

أما السقف فيمكن استخدام أما الرباطات المصنوعة من قضبان القصب أو الجريد المشدودة والمتشابكة بقوة أو باستخدام السيقان من النخل أو غيره ومن ثم إنهاءها بالجص أو النورة ومن ثم الطلاء بطلاءات مانعة للصدأ كالقار وما شاكل.

هذه الفكرة ستعطي:

1. بناء قوي
2. بناء صديق للبيئة
3. بناء رخيص
4. بناء مريح
5. بناء سهل التنفيذ
6. بناء سريع الإنجاز
7. والأهم أنه بناء كفافاً.

قمت بتنفيذ نموذج حاسوبي للموضوع وأثبت عندي جدواه الهندسية من حيث القوة والتحمل، وأما الجدوى الاقتصادية فهي مضمونة ولا تختلف عن أي بناء اقتصادي رخيص (Low Cost Construction) أو بناء بيئي أخضر مشابه لموضوع عمارة الفقراء الذي عمله الأستاذ الفاضل المهندس حسن فتحي رحمه الله تعالى.

المشكلة في كيفية تحويل هذا العمل لمشروع ينفذ على الأرض ويشكل أحد حلول لمشروع بناء كفافاً الذي هو أحد صنوف العمارة البيئية الإسلامية والعمارة الإسلامية بشكل عام كأحد أصناف المشاريع الستراتيجية التي تشكل لنا حلول اقتصادية وبيئية

---

(1) مع العلم أن الكتاب والسنة حافلتان بذكر العديد من الأمثلة والتشبيهات الهندسية الرائعة ومن ضمنها ما يتعلق بموضوعي القوة والمتانة والإجهاد والضغط والشد واللي كما بينا في كتبنا : (الأحمال والقوى والإجهادات في القرآن والسنة النبوية)، (علوم الهندسة المدنية في القرآن والسنة النبوية)، (علوم هندسة التربة والهندسة الزراعية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة كتب (لمحات هندسية في القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم.

واجتماعية وسلوكية فضلاً عن استثماراتها الدعوية في الدوة لله تعالى لأننا قمنا بحل أحد أهم مشاكل العالم وهو السكن البسيط والمريح والرخيص.

كذلك هنالك فكرة أخرى يمكن الاستفادة منها توافق فكرة البناء الرخيص لكنها قد تتعارض مع فكرة العمران البيئي بعض الشيء.

إذ يمكن الاستفادة من مكعبات الفحص الخرساني التي ترمى بعد فحصها في المختبرات الإنشائية وهي بالملايين على مستوى العالم، وكذلك الكتل في البنايات المهدومة واستغلالها في البناء مجدداً خصوصاً لمحدودي الدخل في المناطق الفقيرة . فهذه الكتل يمكن اعادة تأهيلها لأنها ترمى بعد فحص إتلافي لكن الجهد المتبقي لها يكون أحياناً أقوى من الكتل الطينية وبالتالي يمكن إعادة تأهيل تلك الكتل المفحوصة ووضعها في شكل مشروع لا يكلف شراء خاماته لأنها أصلاً تجمع من المختبرات الإنشائية الفاحصة وترمى كنفايات في البراري . فيمكن أن تؤخذ كي يعاد تأهيلها بشكل بسيط، ومن ثم تؤخذ للاستفادة منها في البناء من جديد.

كل ذلك يتم باستغلال الطبقات الفقيرة والعاطلين في عمليات الجمع والتأهيل وإعادة البناء. ومن ثم تحول تلك المساكن لتباع بأسعار تنافسية رخيصة يمكن ان تقسط على العمال أنفسهم أو غيرهم مقابل جهدهم أو مقابل ترتيب مالي معين غير مؤذي للمستهلك.

هذه الطريقة طريقة اقتصادية ورخيصة ومفيدة للفقراء لكنها قد تشكل نمطاً بيئياً يحتاج للتكييف والتبريد لأن الخرسانة مادة رديئة العزل الحراري وبالتالي يكون الأمر غير مجدي في الدول الحارة مثلاً. لكن لو أضيف للموضوع حلاً هندسياً صديقاً للبيئة فإن الأمر سيكون ممتازاً ومستوفياً لجميع الشروط . ومن ذلك البناء بصفين مع عازل هوائي بينهما سيكون الأمر جيداً لكن على حساب الجانب الاقتصادي ولو بشكل ليس بالكبير لأن الأم متعلق فقط بالجدران الخارجية دون الداخلية.

وهكذا يمكننا القياس على هذه الأمثلة ووضع منهجية نهضوية تصنيعية وإعلامية وعلمية واقتصادية شاملة للأمة بتظافر الجهود كي ترى الأ مة كم هي على خير وكم عندها كم كنوز لو استثمرت لآتت أكلها كل حين بإذن ربها.

تطبيقات في المشاريع الستراتيجية الإسلامية – مشروع الإنتاج الإعلامي الإسلامي: الحج وعصرية الدعوة[1].

نريد أن نبين تطبيق ركيزة الإعلام ومشروع الإنتاج الإعلامي الإسلامي على ترنيمة الحج ومحاور الاستطاعة والتحفيز الذاتي المشكلة لتلك الترنيمة لنعلم مدى الأثر الناتج عن ذلك المشروع على المستوى العالمي.

يقول تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران: من الآية97).. الآية الوحيدة في هذا المقام . والكفر المقصود بالآية الكريمة قيل كفر النعمة وقيل كفر بما جاء به الشرع وقيل كفر بالله تعالى مترتب على الكفر بأوامره وقيل غير ذلك. والأمر بالحج أما على وجه التعجيل أو على وجه التراخي على اختلاف الأقوال كما هو معروف.

جاء في سبب نزول قوله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)(آل عمران: من الآية97)، عن عكرمة قال : لما نزلت : { ومن يبتغ غير الإسلام دينا } إلى آخر الآية قالت اليهود : فنحن مسلمون ! قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم أن : { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر } من أهل الملل { فإن الله غني عن العالمين } [آل عمران : 97][2].

---

(1) عن بحث (الاستطاعة وعصرية الدعوة – الاستطاعة والتحفيز الذاتي في خدمة الدعوة)، للمؤلف، مقدم إلى ندوة الحج الكبرى / ذي الحجة 1429هـ الموافق ديسمبر 2008م.

(2) تفسير الطبري [جزء 3 – صفحة 337]

<u>معاني اللغة والتفسير:</u> يقول أهل العلم: الطوع : الانقياد ويضاده الكره قال عز وجل : { ائتيا طوعا أو كرها } [فصلت / 11] { وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها } [آل عمران / 83] والطاعة مثله لكن أكثر ما تقال في الائتمار لما أمر والارتسام فيما رسم . قال تعالى : { ويقولون طاعة } [النساء / 81] [طاعة وقول معروف } [محمد / 21] أي : أطيعوا وقد طاع له يطوع وأطاعه يطيعه (راجع : الأفعال 3 / 249 ، 3 / 283). قال تعالى : { وأطيعوا الرسول } [التغابن / 12] { من يطع الرسول فقد أطاع الله } [النساء / 80] { ولا تطع الكافرين } [الأحزاب / 48]. وقوله في صفة جبريل عليه السلام : { مطاع ثم أمين } [التكوير / 21] والتطوع في الأصل : تكلف الطاعة وهو في التعارف التبرع بما لا يلزم كالتنقل قال : { فمن تطوع خيرا فهو خير له } [البقرة / 184] وقرئ : (ومن يطوع خيرا) (وهي قراءة شاذة) [1]. قال تعالى : { ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم } [البقرة / 158] { الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين } [التوبة / 79] وقيل : طاعت وتطوعت بمعنى[2].

والاستطاعة استفعالة من الطوع وذلك وجود ما يصير به الفعل متأتيا وهي عند المحققين اسم للمعاني التي بها يتمكن الإنسان مما ي ريده من إحداث الفعل [3].

والاستِطاعَةُ : القُدرَةُ على الشَّيءِ وقيل : هي اسْتِفعالٌ من الطَّاعَةِ . وفي البصائر للمصَنِّفِ : الاستطاعَةُ أَصله الاستِطْواعُ فلمّا أُسقِطَتْ الواوُ جُعِلَت الهاءُ بدلاً عنها . وقال الرَّاغِبُ : الاستطاعَةُ عندَ المُحَقِّقينَ : اسمٌ للمعاني التي بها يَتَمَكَّنُ الإنسانُ مِمّا يُريدُه من إحداثِ الفعلِ وهي أَربعَةُ أَشياءَ : بِنْيَةٌ مَخصوصَةٌ للفاعِلِ وتَصَوُّرٌ للفِعْلِ ومادَّةٌ قابِلَةٌ لتأْثيرِهِ وآلَةٌ إنْ كانَ الفِعْلُ آلِيّاً كالكِتابَةِ فإنَّ الكاتبَ يحتاجُ إلى هذه الأَربعَةِ في إيجادِهِ للكِتابَةِ ولذلكَ يُقال : فلانٌ غيرُ مُستَطيعٍ للكتابَةِ : إذا فقدَ واحِداً من هذه

(1) مفردات القرآن [جزء 1 – صفحة 924].

(2) مفردات القرآن [جزء 1 – صفحة 924].

(3) مفردات القرآن [جزء 1 – صفحة 924].

الأَربَعَةِ فصاعِداً ويُضادُّهُ العَجْزُ وهو أَن لا يَجِدَ أَحَدَ هذه الأَربعةِ فصاعِداً ومَتى وَجَدَ هذه الأَربعةَ كلَّها فمُستطيعٌ مُطلَقاً ومتى فقدَها فعا جزٌ مُطلَقاً ومتى وجَدَ بعضَها دونَ بعضٍ فمُستَطيعٌ من وَجهٍ عاجِزٌ من وَجهٍ ولأَنْ يُوصَفَ بالعجزِ أَولَى (1).

ويقال : استطاع واسطاع بمعنى قال تعالى : { فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا } [الكهف / 97](2). قال الأَخفَشُ: إنَّ بعضَ العرَبِ يقول : اسْتاعَ يَسْتِيعُ فيَحذِفُ الطَّاءَ اسْتِثْقالاً وهو يريد استطاع يستطيعُ . قال الزَّجّاجُ : ولا يَجوزُ في القراءةِ قال الأَخفَشُ : وبعضُ العرب يقول : أَسْطاعَ يُسْطِيعُ بقطْعِ الهَمزةِ بمعنى أَطاعَ يُطيعُ ويجعَلُ السينَ عِوَضاً من ذَهابِ حركَةِ عينِ الفِعلِ . وفي التَّهذيب : قل ذلكَ الخليلُ وسيبويه عِوَضاً من ذَهابِ حركَةِ الواوِ لأَنَّ الأَصْلَ في أَطاعَ أَطْوَعَ ومن كانت هذه لغتَه قال في المُستقبَلِ يُسْطِيعُ بضَمِّ الياءِ . قال الزَّجّاجُ : ومن قال : أَطْرَحُ حركَةَ التّاءِ على السّينِ فأَقرأُ : فما أَسَطاعوا فخَطأٌ أَيضاً لأَنَّ سين اسْتَفْعَلَ لم تُحَرَّكْ قَطُّ . وفي المُحكَمِ : واستَطاعَهُ واسْطاعَهُ وأَسْطاعَهُ واسْتاعَهُ وأَسْتاعَهُ : أَطاقَهُ فاستَطاعَ على قياسِ التَّصريفِ وأَمّا اسْطاعَ مَوصولَةً فعلى حَذْفِ التّاءِ لمُقارَنَتِها الطّاءَ في المَخرَجِ فاستُخِفَّ بحَذْفِها كما استُخِفَّ بحذفِ أَحَدِ اللامينِ في ظَلْت . وأَمّا أَسْطاعَ مَقطوعَةً فعلى أَنَّهم أَنابوا السينَ منابَ حركَةِ العَينِ في أَطاعَ التي أَصلُها أَطْوَعَ وهي مع ذلكَ زائدَةٌ . ويقال : تَطاوَعَ لهذا الأَمرِ حتّى يستطيعَهُ أَي تكلَّفَ استِطاعَتَه كما في الصحاحِ قال الصَّاغانِيُّ : وهو معنى قولِ عَمرو بنِ مَعْدِيكَرِبَ رضي الله عنه:

إذا لمْ تَستَطِعْ أَمراً فدَعْهُ ... وجاوِزْهُ إلى ما تَستَطيعُ (3).

والاستِطاعَةُ أَخَصُّ من القُدْرَةِ وقوله تعالى : " ولِلَّه على النّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ استَطاعَ إليهِ سَبيلاً " فإنَّه يحتاجُ إلى هذه الأَربعة وقولُه صلّى الله عليه وسلَّم : " الاستِطاعَةُ

---

(1) تاج العروس [جزء 1 – صفحة 5428].

(2) مفردات القرآن [جزء 1 – صفحة 924].

(3) تاج العروس [جزء 1 – صفحة 5428–5430].

الزَّادُ والرَّاحِلَةُ "[1] فإنَّه بيانٌ لِما يُحتاجُ إليه من الآلةِ وخصَّه بالذِّكْرِ دونَ الآخرِ إذْ كانَ مَعلوماً من حيثُ العقلُ مُقتَضى الشَّرعِ أَنَّ التَّكليفَ من دونِ تلكَ الأُخَرِ لا يَصِحُّ . وقولُه تعالى : " لَو استَطَعْنا لَخَرَجْنا معَكُمْ " فالإشارَةُ بالاستطاعَةِ ههنا إلى عدَمِ الآلةِ من المالِ والظَّهْرِ ونحوهِ وكذا قوله عزَّ وجَلَّ : " ومَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ المُحصَنَاتِ " وقد يُقال : فلانٌ لا يستطيعُ كذا لِما يَصعُبُ عليه فعلُه لِعدَمِ الرِّياضَةِ وذلكَ يرجِعُ إلى افتِقادِ الآلَةِ وعدَمِ التَّصَوُّرِ وقد يَصِحُّ معه التَّكليفُ ولا يَصيرُ الإنسانُ به مَعذوراً وعلى هذا الوجه قال الله تعالى : " إنَّكَ لن تَستَطيعَ معِيَ صَبراً " وقولُه عزَّ وجَلَّ : " هلْ يَستَطيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ علينا مائدةً من السَّماءِ " فقد قيل : إنَّهم قالوا ذلكَ قبلَ أَنْ قَوِيَتْ مَعرِفَتُهُم بالله عزّ وجلَّ [2]. وقيل : إنهم لم يقصدوا قصد القدرة (قالت عائشة : كان الحواريون أعلم بالله من أن يقولوا : هل يستطيع ربك إنما قالوا : هل تستطيع أنت ؟ ربك هل تستطيع أن تدعوه ؟ انظر : الدر المنثور 3 / 231) وإنما قصدوا أنه هل تقتضي الحكمة أن يفعل ذلك ؟ وقيل : يستطيع ويطيع بمعنى واحد (وهذا قول الشعبي . انظر : الدر المنثور 3 / 231) ومعناه : هل يجيب ؟ كقوله : { ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع } [غافر / 18] أي : يجاب وقرئ : { هل تستطيع ربك } (وبها قرأ الكسائي . انظر : الإتحاف ص 204) أي : سؤال ربك كقولك هل يستطيع الأمير أن يفعل كذا وقوله : { فطوعت له نفسه } [المائدة / 30] نحو : أسمحت له قرينته وانقادت له وسولت وطوعت أبلغ من أطاعت وطوعت له نفسه بإزاء قولهم : تأبت عن كذا نفسه وتطوع كذا : تحمله طوعا[3]. وقيل : يستطيعُ

---

(1) أخرج الدارقطني والحاكم وصححه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله : { من استطاع إليه سبيلا } فقيل : ما السبيل ؟ قال : (الزاد والراحلة } . انظر : الدر المنثور 2 / 273 ، وسنن الدارقطني 2 / 216 قال إسحق : وطرقه كلها ضعيفة . انظر المستدرك 1 / 442. وأخرجه الترمذي عن ابن عمر ثم قال : هذا حديث حسن والعمل عليه عند أهل العلم وضعفه ابن العربي ، انظر : عارضة الأحوذي 4 / 28 . انظر مفردات القرآن [جزء 1 - صفحة 924]

(2) تاج العروس [جزء 1 - صفحة 5428].

(3) مفردات القرآن [جزء 1 - صفحة 924].

ويُطِيعُ بمَعنىً واحِدٍ ومَعناهُ : هلَ يُجيبُ. وقرأَ الكِسائيُّ : " هلْ تَستَطيعُ رَبَّكَ " بالتّاءِ ونَصب الباءِ أَي هل تَستدعي إجابَتَه في أَنْ يُنَزِّلَ علينا مائدةً من السَّماءِ . وفي الصِّحاح : ورُبَّما قالوا : اسْطاعَ يَسْطِيعُ ويَحذِفونَ التّاءَ اسْتِثقالاً لها مع الطّاءِ ويكرهونَ إدغامَ التّاءِ فيها فتُحَرَّكُ السِّينُ وهي لا تُحَرَّكُ أَبداً . وقرأَ حمزةُ كما في الصحاح وهو الزَّيّاتُ زاد الصَّاغانِيُّ : غيْر خَلاّدٍ : فما اسْطاعوا بالإدغامِ فجَمَعَ بينَ السّاكِنين قال الأَزْهَرِيّ : قال الزَّجّاجُ : مَن قرأَ هذه القراءَةَ فهو لاحِنٌ مُخطِئٌ زعَمَ ذلكَ الخليلُ ويونُسُ وسيبويهِ وجَميعُ مَن يَقولُ بقولِهِم وحُجَّتُهُم في ذلكَ أَنَّ السِّينَ ساكِنَةٌ وإذا أُدغِمَتِ التّاءُ في الطّاءِ صارَت طاءً ساكِنَةً ولا يُجمَعُ بينَ ساكِنَين [1].

وفي التنزيل العزيز ومَنْ لم يَسْتَطِعْ منكم طَوْلاً (الآية) قال الزجاج معناه من لم يقدر منكم على مَهْرِ الحُرَّة قال والطَّوْلُ ال قدرة على المَهْر وقوله عز وجل ذي الطَّوْل لا إِله إِلا هو أَي ذي القُدْرة وقيل الطَّوْل الغِنى والطَّوْلُ الفَضْل يقال لفلان على فلان طَوْلٌ أَي فَضْلٌ ويقال إِنه لَيَتَطَوَّل على الناس بفضله وخيره والطَّوْل بالفتح المَنُّ يقال منه طالَ عليه وتَطوَّلَ عليه إِذا امْتَنَّ عليه وفي الحديث اللهمَّ بك أُحاوِل وبك أُطاوِل مُفاعَلة من الطَّوْل بالفتح وهو الفَضْلُ والعُلُوُّ على الأَعداء ومنه الحديث تَطَاوَلَ عليهم الرَّبُّ بفضله أَي تَطَوَّل[2]. وقولُهُ تَعالَى : " ومَنْ لَمْ يَستَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً " قالَ الزَّجَّاجُ : مَعْنَاهُ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ مِنْكُمْ عَلى مَهْرِ الحُرَّةِ قال : والطَّوْلُ : القُدْرَةُ عَلى المَهْرِ . وقال الرَّاغِبُ : هوَ كِنَايَةٌ عَمَّا يُصرْفُ إلى المَهْرِ والنَّفَقَةِ . وقَولهُ تَعالَى : " ذِي الطَّوْلِ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ " أي ذِي القُدْرَةِ وقيلَ : ذِي الفَضْلِ والمَنِّ [3].

وقوله تعالى: {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } حكم أعقب به الامتنان : لما في هذا الحكم من التنويه بشأن البيت

---

(1) تاج العروس [جزء 1 - صفحة 5429].

(2) لسان العرب [جزء 11 - صفحة 410].

(3) تاج العروس [جزء 1 - صفحة 7278].

فلذلك حسن عطفه . والتقدير : مباركا وهدى وواجبا حجه . فهو عطف على الأحوال [1].

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل : { من استطاع إليه سبيلا } وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج ؟، فقال بعضهم : هي الزاد والراحلة. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : { من استطاع إليه سبيلا } قال : الزاد والراحلة، وعن ابن عباس في قوله : { من استطاع إليه سبيلا } قال : الزاد والبعير. وعن ابن عباس أيضاً قوله : { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا } والسبيل أن يصح بدن العبد ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به [2]. وأخرج الدارقطني والحاكم وصححه عن أنس " أن رسول صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله من استطاع إليه سبيلا فقيل ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة "[3].

وقوله تعالى (من استطاع إليه سبيلا)، قال النحويون من استطاع بدل من الناس وهذا بدل البعض من الكل كما تقول ضربت زيدا رأسه وقد روي عن ابن مسعود وابن عمر وأنس وعائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل ما السبيل فقال من وجد الزاد والراحلة[4].

وقال آخرون : السبيل التي إذا استطاعها المرء كان عليه الحج : الطاقة للوصول إليه قالوا : وذلك قد يكون بالمشي وبالركوب وقد يكون مع وجودهما العجز عن الوصول إليه : بامتناع الطريق من العدو الحائل وبقلة الماء وما أشبه ذلك قالوا : فلا بيان في ذلك أبين مما بينه الله عز وجل بأن يكون مستطيعا إليه السبيل وذلك : الوصول إليه بغير مانع ولا حائل بينه وبينه وذلك قد يكون بالمشي وحده وإن أعوزه المركب وقد يكون بالمركب وغير ذلك . وذكر أهل العلم عن ابن الزبير قوله : { ولله على الناس

---

(1) التحرير والتنوير [جزء 1 – صفحة 791].

(2) تفسير الطبري [جزء 3 – صفحة 357].

(3) الدر المنثور [جزء 2 – صفحة 273].

(4) زاد المسير [جزء 1 – صفحة 428].

حج البيت من استطاع إليه سبيلا } قال : على قدر القوة[1]. وقال آخرون : السبيل إلى ذلك الصحة، وذكر من قال ذلك مثل عكرمة مولى ابن عباس فهو يقول في هذه الآية : { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا } قال : السبيل الصحة[2].

وبين آخرون المعنى كابن زيد قال : من وجد قوة في النفقة والجسد والحملان قال : وإن كان في جسده ما لا يستطيع الحج فليس عليه الحج وإن كان له قوة في مال كما إذا كان صحيح الجسد ولا يجد مالا ولا قوة يقولون : لا يكلف أن يمشي[3].

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال بقول ابن الزبير و عطاء : إن ذلك على قدر الطاقة لأن السبيل في كلام العرب : الطريق فمن كان واجدا طريقا إلى الحج لا مانع له منه من زمانة أو عجز أو عدو أو قلة ماء في طريقه أو زاد أو ضعف عن المشي فعليه فرض الحج لا يجزيه إلا أداؤه فإن لم يكن واجدا سبيلا -. وهذا يعني : إن لم يكن مطيقا الحج بتعذر بعض هذه المعاني - فهو ممن لا يجد إليه طريقا ولا يستطيعه لأن الاستطاعة إلى ذلك هو القدرة عليه ومن كان عاجزا عنه ببعض الأسباب التي ذكرنا أو بغير ذلك فهو غير مطيق ولا مستطيع إليه السبيل[4].

واختلف القرأة في قراءة الحج، فقرأ ذلك جماعة من قرأة أهل المدينة والعراق بالكسر : { ولله على الناس حج البيت }، وقرأ ذلك جماعة أخر منهم بالفتح : ولله على الناس حج البيت، وهما لغتان معروفتان للعرب فالكسر لغة أهل نجد والفتح لغة أهل العالية . إن القراءتين من قراءة أهل الإسلام ولا اختلاف بينهما في معنى ولا غيره - فهما قراءتان قد جاءتا مجيء الحجة فبأي القراءتين -بكسر الحاء من الحج أو فتحها - قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته[5].

---

(1) تفسير الطبري [جزء 3 - صفحة 357].

(2) تفسير الطبري [جزء 3 - صفحة 357].

(3) تفسير الطبري [جزء 3 - صفحة 357].

(4) تفسير الطبري [جزء 3 - صفحة 357].

(5) تفسير الطبري [جزء 3 - صفحة 358].

وأما { من } التي مع قوله : { من استطاع } فإنه في موضع خفض على الإبدال من { الناس } لأن معنى الكلام : ولله على من استطاع من الناس سبيلا إلى حج البيت حجه فلما تقدم ذكر { الناس } قبل { من } بين بقوله : { من استطاع إليه سبيلا } الذي عليه فرض ذلك منهم لأن فرض ذلك على بعض الناس دون جميعهم . قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ومن جحد ما ألزمه الله من فرض ح ج بيته فأنكره وكفر به فإن الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن سائر خلقه من الجن والإنس[1].

وقوله تعالى: (ومن كفر)، فيه خمسة أقوال أحدها أن معناه من كفر بالحج فاعتقده غير واجب رواه مقسم عن ابن عباس وابن جريج عن مجاهد وبه قال الحسن[2].

جاء عن الضحاك في قوله : { ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } قالا : من جحد الحج وكفر به. وعن مجاهد في قوله : { ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } قال : من كفر بالحج كفر بالله. وقال آخرون : معنى ذلك : أن لا يكون معتقدا في حجه أن له الأجر عليه ولا أن عليه بتركه إثما ولا عقوبة . وعن ابن عباس : { ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } يقول : من كفر بالحج فلم ير حجه برا ولا تركه مأثما ، وقال آخرون : معنى ذلك : ومن كفر بالله واليوم الآخر. وقال آخرون : معنى ذلك : ومن كفر بهذه الآيات التي في مقام إبراهيم. وقال آخرون مثل عطاء بن أبي رباح في قوله : { ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } قال : من كفر بالبيت، وقال آخرون : كفره به تركه إياه حتى يموت[3].

وذكر ابن كثير في تفسيره حديث عن علي رضي الله عنه قال : [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة ولم يحج بيت الله فلا يضره مات يهوديا أو

---

(1) تفسير الطبري [جزء 3 – صفحة 358].

(2) زاد المسير [جزء 1 – صفحة 428].

(3) تفسير الطبري [جزء 3 – صفحة 358].

نصرانيا ذلك بأن الله قال : { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين }] ورواه ابن جرير من حديث مسلم[1] .

قال صاحب الكشاف: أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع إليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد : أحدهما أن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين . ومنها قوله : " ومن كفر " مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا " ونحوه من التغليظ "[2]

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات بالصواب في ذلك قول من قال : معنى { ومن كفر } ومن جحد فرض ذلك وأنكر وجوبه فإن الله غني عنه وعن حجه وعن العالمين جميعا. وسبب ذلك لأن قوله : { ومن كفر } بعقب قوله : { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا } بأن يكون خبرا عن الكفار بالحج أحق منه بأن يكون خبرا عن غيره مع أن الكافر بفرض الحج على من فرضه الله عليه بالله كافر وأن الكفر أصله الجحود ومن كان له جاحدا ولفرضه منكرا فلا شك إن حج لم يرج بحجه برا لان تركه فلم يحج لم يره مأثما فهذه التأويلات وإن اختلفت ا لعبارات بها فمتقاربات المعاني[3]..

<u>محاور الاستطاعة:</u> وبناء على ما تقدم فإن العلماء قسموا الاستطاعة إلى ثلاثة أقسام :

1. مادية: تتعلق بالإمكانية المادية للفرد الحاج من جهة وكذلك للقائمين على الحج وخدمة المشاعر من جهة ثانية.
2. بدنية: تتعلق بالإمكانية الصحية والجسد ية للفرد الحاج . وهذا القسم ينفرد به الحاج لوحده.

---

(1) تفسير ابن كثير [جزء 1 – صفحة 508].

(2) الكشاف [جزء 1 – صفحة 195].

(3) تفسير الطبري [جزء 3 – صفحة 358].

3. أمنية: تتعلق بموانع السفر للحاج من النواحي الأمنية خوفاً من الطريق أو بسبب نازلة ما أو بسبب عارض يحول بينه وبين الوصول للبيت الحرام . وهذا القسم كذلك يتشارك به الحاج من جهة والقائمين على البيت وإمكانية توفيرهم الأمن في المشاعر من جهة ثانية.

وعليه يمكن القول أن محاور الاستطاعة تكمن في :

- المحور الأول: الحاج، وعليه تنطبق الأقسام الثلاث آنفة الذكر.
- المحور الثاني : القائمين على خدمة المشاعر والحجيج معاً، وتنطبق على هذا القسم قسمين من الأقسام الثلاثة، المادية بتوفير إمكانات الحج والقيام عليه وتوفير مستلزمات القيام به على أتم وجه وما يبنى على ذلك من تكاليف مادية . وكذلك الأمنية ووجوب توفير الأمن للمشاعر كي يتسنى القيام بالحج على أتم وجه دون أي نوع من المخاوف.

وقد أوجز النبي عليه الصلاة والسلام الأمر بحديث مهم يرويه مسلم ، فعن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا)، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟، فسكت حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم)، ثم قال: (ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)(1).

والحديث يبين أن الاستطاعة هنا تكمن في أبعاد ثلاث متداخلة متعاضدة متآصرة لمحوري الاستطاعة آنفة الذكر: إنساني – مكاني– زماني.

فأما الإنساني فهي قابلية البشر على السفر كل سنة وما يتبعه من جهد وتحضير وإمكانات مادية وجسدية والتزامات اجتماعية وغير ذلك، وأما المكاني فهي نظرته عليه الصلاة والسلام لبعد المسافات على الكثير من أبناء أمته حال الحديث وفي مستقبل الأيام، وأما الزمني فهو يتعلق بأن الأمة ستكبر ويعظم شأنها ويكثر أتباع

---

(1) صحيح مسلم [جزء 2 – صفحة 975، رقم 1337].

الدين عبر الزمن ليصل لملايين كثيرة وبالتالي يستحيل استيعابهم جميعاً في مكان واحد لزمن محدود وفي هذا تسهيل للامة وتيسير لها لأننا لو تخيلنا أن الأمر جاء بالحج كل عام فكيف يمكن أن يتم ذلك لكل الناس في وقت واحد وفي مكان لا ي تسع لهم، بل إن هذا بالتأكيد سيكون خارجاً عن الطاقة والاستطاعة مما سيدفع بالكثير لعدم الامتثال.

ولئن كان الله تعالى قد تعهد بحفظ دينه وكتابه : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:9)، فإنه جل وعلا تعهد كذلك بحفظ بيته من كوا رث ونوازل أصابت وتصيب الأمم من حوله . قال تعالى: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّىً وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (البقرة:125)، وقال جل وعلا : (.. أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) (القصص: من الآية 57)، وقال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) (العنكبوت:67).

ولعل التاريخ يبرهن لنا ذلك فلم يصب البيت الحرام من نوازل الدهر وكوارث الطبيعة وحروب بني البشر الا النزر اليسير مقارنة بما حصل ويحصل حوله . ولعل أبرز ما حصل بعد البعثة الشريفة كانت حوادث الفتنة بعد العصر الراشدي وثورة ابن الزبير رضي الله عنهما، ومن ثم حادثة القرامطة وسرقة الحجر الأسود ونقله إلى الأحساء وقتل الحُجاج في سنة 319هـ[1]، ومؤخراً حادثة زعم ظهور المهدي في نهايات القرن الرابع عشر الهجري، وبين تلك الأحداث أحداث صغيرة أخرى.

أما عن الكوارث فكانت لا تذكر سوى بعض أحداث الزلازل القليلة غير المؤثرة وكذلك السيول بسبب الأمطار الكثيفة في بعض المواسم ولأن البيت الحرام محاط بجبال شديدة الانحدار تحيط به كالمعصم تمنعه من الأ عداء من جهة لكنها تقسو عليه بسيول الماء القوية من جهة أخرى.

---

(1) الملل والنحل 92/2، شفاء الغرام 193/1، تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً ص 43.

كل تلك الأحداث تاكد لا تذكر أمام التباعد الزمني بينها من جهة وقلة أثرها من جهة ثانية وضآلة نوعها وكمها بالمقارنة مع الأحداث الهائلة في أمم الأرض من جهة ثالثة.

وبذلك يتحقق الحفظ الإلهي للبيت وحجاجه الذي يتوزع بين ثلاثة انماط:

1. الحفظ الطبيعي المتمثل بمكان البيت جغرافياً وطوبوغرافياً وبيئياً وجيولوجياً.
2. الحفظ الروحي المتمثل بمكانة البيت في قلوب الناس وعقولهم.
3. الحفظ التأريخي وهو يتمثل بتهيئة الله تعالى لمن يقوم على خدمته وحفظ أمنه ويتفانى في ذلك رغم اخ تلاف المناهج والتوجهات الفكرية والمذهبية عبر التأريخ. فمنذ عصور الخلافة الراشدة، الأموية، العباسية بطوريها الأول والثاني، مروراً بالفترة العثمانية ووصولاً للفترة السعودية فإننا نجد أن أمر القيام على خدمة البيت وحجاجه كانت مقصد الجميع دون استثناء مع تميز فترة عن فترة بسبب عوامل مادية وأخرى سياسية إقليمة ودولية.

كما إن الله تعالى قد كفل سقيا الحجاج وسط بيئة صحراوية جافة عبر عين ماء زلال رقراق من أجود وأنقى أنواع المياه على الأرض لا تنضب حتى قيام الساعة ألا وهي ماء زمزم. كما ضمن عدم اضطراب المناخ والأجواء في ت لك المناطق باختلاف المواسم والفصول فتكون الحرارة طيلة السنة متقاربة في درجاتها تميل للحرارة العالية مع زيادة قليلة في أشهر الصيف.

كل ذلك يحقق ما يعرف بمنظومة حفظ أمكنة المشاعر من أمن وتيسير سكن وطعام وشراب ودواء وعلاج وغير ذلك فضلاً عن التبضع والتجارة ومنا فع أخرى كثيرة عنتها الآية المباركة: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) (الحج:28).

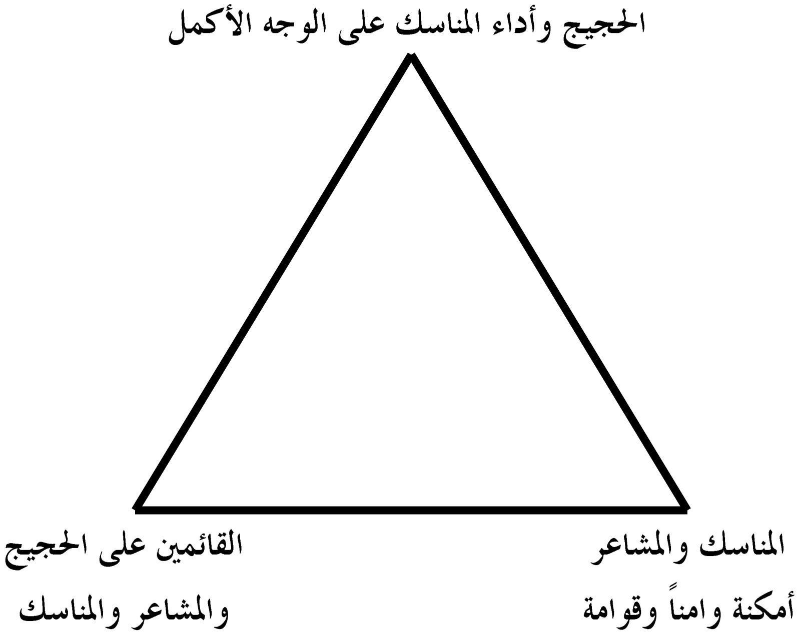
العلاقة الثلاثية: من هنا تتداخل أضلاع ورؤوس العلاقة الثلاثية المشكلة لترنيمة الحج الرائعة:

الحجيج وأداء المناسك على الوجه الأكمل ⇔ المناسك والمشاعر أمكنة وأمناً وقوامة ⇔ القائمين على الحجيج والمشاعر والمناسك.

وبالنظر لتلك التركيبة الثلاثية التي تشكل منظومة الحج نجد أن أطرافها جميعاً مرتبطة ارتباطً عضوياً على مدار الزمن لكن طرفين منهما مرتبطان ارتباطاً موقعياً حركياً هما القائمين على الحج والمواقع والآثار المرتبطة بالمناسك والمشاعر أمكنة وأمناً وقوامة، لأن هذين الطرفين يربطهما رابط عروي وثيق متمثل بتوفير الأمن والسكينة وأمكنة المبيت والطعام والشراب والعلماء والخدام والوسائط الناقلة وغير ذلك بينما يكون المغزى من هذين الطرفين هو خدمة الحاج وتسهيل حجه وصولاً للحج المبرور الذي يؤدي إلى مرضاة الله والجنة كما هو مثبت في السنة الصحيحة . فكأن طرفي المثلث اللذان يشكلان قاعدته يقومان في خدمة الطرف الثالث الذي يشكل قمة المثلث أو هدفه الأسمى الذي هو الحاج تحقيقاً لمبدأ الاستطاعة التي تفضي للقبول وتحقيق ما يصبو له الحاج من رحلته المباركة.

تلك العلاقة التي تحكمها جودة الأداء للقائمين على الحج من أجل تجسيد منظومة الحفظ الإلهي للبيت وجميع أمكنة ال مشاعر وتوفير الأجواء المناسبة للحاج لأداء الفريضة والنافلة على الوجه الأكمل.

ومن ناحية ثانية فإن الحاج وهو يتمتع بكل تلك التسهيلات عبر منظومة حفظ إلهي متكاملة للبيت العتيق فإن عليه بالمقابل أن يكون مؤهلاً لأن يحمل شرف الوفادة على الله تعالى في أطهر مكان وأشرف رحلة فيؤدي ما عليه من مناسك عرفها له الحبيب عليه الصلاة والسلام بهدوء وتؤدة دون رفث ولا فسوق ولاجدال من جهة ويحافظ على قدسية المكان من جهة ثانية ويكون سفيراً للإسلام أمام الأمم الأخرى من جهة ثالثة.



قال تعالى: (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) (الحج:29).. وقال جل وعلا : (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة:197).

دور محاور الاستطاعة ورسالة الحج في التحفيز الذاتي للدعوة لله تعالى : هنا يدخل دور مهم لمحوري الاستطاعة في إبراز الحرص والتحفيز الذاتي من أجل ضمان استمرارية ودوام ترنيمة الحج الربانية كل عام وفق رقراقية وانسيابية تبرز عظمة هذا الدين وانسجام أركانه وترتيب تشريعاته زمنياً ومكانياً وإنسانياً ليشكل ظاهرة كونية – بشرية بحفظ إلهي يدعو الناس لتدبر عظمة شرع الله وفق انضباط وتوزيع أدوار بين البشر حجاجاً وقائمين والبيئة مكاناً ومشاعر وجغرافية وطوبوغرافية وكأنه الموج الرقراق الذي لا تتميز جزيئاته وذراته وكأننا في ترنيمات تسبيحية للجبال والهضاب والرمال والصخور والحجارة تسبح مع البشر مدوية بصوت واحد : (لبيك

اللهم لبيك–لبيك لا شريك لك لبيك– إن الحمد والنعمة لك والملك– لا شريك لك)، تماماً كما هي حال سيدنا داود عليه السلام وترنيماته مع مخلوقات الله وهي تسبح معه وتردد: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) (الانبياء: من الآية79)، (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) (صّ:18).

والتحفيز الذاتي يقصد به تلك القوة الخفية التي تدفع الناس للتنافس للذهاب للحج وأداء المناسك مرة أو مرات حسب قدراتهم المتفاوتة رغم ما يعانوه من وعثاء السفر وبعده وطول مسيره كما كان الحال سابقاً وإن تحسن بعد تطور التقنيات الناقلة والمواصلات براً وجواً وبحراً. ونفس تلك القوة الخفية جمعت وتجمع قلوب القائمين على بيت الله تعالى عبر التاريخ دون استثناء وتسخير جهودهم لخدمة البيت الحرام وإن بنسب متفاوتة.

وإن كان من شيء يذكر فإن الحكومة السعودية استطاعت أن تسخر جهوداً جبارة في تطوير وتحسين أداء القوامة على الحجيج ومشاعر الحج بشكل لم يسبق له مثيل خصوصاً أنها عاصرت فترة زمنية كانت معها الأمة قد فقدت تلك السطوة والتأثير الدولي والإقليمي فانتشرت الصراعات الدولية والإقليمية بشكل أمواج متلاطمة من الفتن التي يضطرب ويموج بها العالم من حولها، فنجحت تلك القيادة الحكيمة في إبعاد المشاعر المقدسة عن الاضطرابات والأزمات والفتن كي تبقى تلك الترنيمة مستمرة ودائمة، وبالتالي فهي قد فقهت دورها بشكل جيد في منظومة الحفظ الإلهي للبيت وقاصديه.

وقد توزعت تلك الجهود الكبيرة التي تسجل لهذه الحكومة الرشيدة في هذا المجال في النواحي الأمنية والخدمية والدعوية، فترى التوسعات في جميع مرافق الحج ومشاعره قد واكبت التوسع السكاني وازدياد الطلب سنوياً بحيث أصبح عدد الحجيج يشكل هماً كبيراً في كيفية إنجاح تنسيق وترابط خيوط وأواصر تلك الترنيمة . وكذلك تجد الخدمات الدعوية والفقهية والعلمية منتشرة في كل أرجاء المشاعر طيلة فترة الحج،

فضلاً عن خدمات الحجيج في إسكانهم وإطعامهم وتطبيبهم وتوفير الأضاحي لهم وتوزيعها وغير ذلك من التفاصيل(1).

أما بالنسبة للحاج فيكون دور التحفيز الذاتي من جهته في كيفية تأدية الدور المناط به في أداء المشاعر على حسب أوامر الشرع من جهة، وكذلك ما يقع على عاتقه من مسؤولية تمثيل الأمة في هذا الموسم التعبدي ليكون أحد الذرات والجزيئات الداخلة في تشكيلة تلك الترنيمة التسبيحية العظيمة.

قد يكون كل ذلك واضحاً وبيناً لكل ذي لب ولكن ما الجديد الذي يمكننا أن نسخره من محاور الاستطاعة وما تدفع به من تحفيز ذاتي لكي تكون في خدمة الدين والدعوة إلى الله تعالى في زمن يسير في إيصال المعلومة لكل جهات الأرض من جهة وصعب بتداخلاته الفكرية واضطراباته العقائدية وتصارعاته الستراتيجية؟!

كيفية تسخير الإعلام وتقنياته في إيصال صدى تلك الترنيمة للناس أجمعين: بينا أن هذه الترنيمة التعبدية التسبيحية الجليلة يمكن تسخيرها لدعوة الناس إلى دين الله لأن جلالها وهيبتها تبعث في نفس الإنسان المراقب لها وإن كان من غير المسلمين كل معاني الإجلال والإكبار بل والهيبة، وليكن الفضول في أسوأ التقديرات، وهو يرى تلك الموجات الجمعية البشرية بلونها الأبيض تدور حول البيت الحرام بكسوته السوداء دوراناً عكس عقارب الساعة تماماً كما تفعل الكواكب حول شمسها الأم أو المجرات حول مراكزها، أو تلك الصفوف المتراصة المنتظمة في الصلاة تقف كتفاً لكتف دون تمييز بين لون أو جنس أو عرق أو مذهب باتجاه البيت العتيق بإحداثيات دائرية خلابة. ثم تنتقل حواسه ليراقب تلك الموجات البشرية وهي تتدفق بانسيابية عجيبة نحو أداء المناسك الواحدة تلو الأخرى في مشهد ليس له نظير في أي فعل أو نشاط مماثل وفي مكان ضيق وعر وجبال تطبق على الناس لا لتضيق عليهم بل لتحتضنهم وتردد تسبيحاتهم، وفي ترنيمة مترابطة بين البشر والبيئة من أحياء وجماد تتجه بالدعاء نحو الخالق جل في علاه حتى أنه جل وعلا قد حرم صيد الحيوان في

---

(1) انظر كتاب (تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً)، محمد إلياس عبد الغني، صفحات مختلفة.

تلك المشاعر أو قطف النبات كي لا يحصل أي ثلم لتآصرات وانسيابية تلك الترنيمة الجميلة، قال تعالى : (أُحِلَّ لَكمُْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (المائدة:96). وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (حرم الله مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا لأحد بعدي أحلت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف) . فقال العباس رضي الله عنه إلا الإذخر لصاغتنا وقبورنا ؟ فقال (إلا الإذخر)، وقال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لقبورنا وبيوتنا ؟، وقال أبان بن صالح عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، وقال مجاهد عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما لقينهم وبيوتهم[1].

هنا يكمن دور محوري الاستطاعة وفعل التحفيز الذاتي في استغلال تناسقات تلك الترنيمة الخلابة من جهة وفضول معرفة غير العارفين بها من جهة أخرى لتأليف القلوب وكسب العقول لصالح الدعوة في زمن تحتاج المة فيه لكل أدوات التفعيل من أجل نهضتها وترقيها في سلم العودة لتبوأ ما تستحق من مكانة فضلى في عالم متخبط الأركان ضعيف البنيان خاوي الجنان منخور العقول والأبدان.

ولنكن أكثر دقة وموضوعية وتفصيل في توزيع الأدوار والمهام بين محوري الاستطاعة واستغلال جانب التحفيز الذاتي وتقنيات الدعوة العصرية، فنقول وبالله التوفيق:

---

(1) صحيح البخاري [جزء 1 – صفحة 452، رقم 1284، وانظر الأحاديث بأرقام 1510، 1736، 1984، 2301، 4059).. قال شراح الحديث كما في الفتح بأرقام الأحاديث : (حرم الله مكة) جعلها حراما يحرم فيها فعل ما سيذكر . (أحلت لي) أبيح لي القتال فيها . (ساعة من نهار) فترة من نهار وهي من ضحوة النهار حتى ما بعد العصر من يوم فيح مكة . (يختلى) يقطع . (خلاها) الرطب من الكلأ الذي ينبت بنفسه . (يعضد) يكسر ويقطع .) ولا ينفر صيدها) لا يزعج من مكانه ولا يحل صيده . (تلتقط) تؤخذ . (لقطتها) ما سقط فيها . (إلا لمعرف) من يعرفها وينادي عليها حتى يجيء صاحبها ولا يأخذها للتمليك . (لصاغتنا) جمع صائغ يستعملونه لحاجتهم في الصياغة (لقينهم) حدادهم يستعمله في إيقاد النار.

1. ماذا لو تمكنا من استغلال هذه المواسم الكريمة وتلك الترنيمة الجليلة وعرضنا بضاعتنا للعالم الآخر – وأقصد به غير المسلمين– بنسق إعلامي عصري يعرض الحج وقصته وتأريخه وأركانه وضوابطه ومشاعره بشكل مشوق إعلامياً وباستخدام متخصصين إعلاميين وفنيين وتقنيين غربيين بمشاركة المتخصصين المسلمين ليكون أثر ذلك على المتلقي الغربي أكثر وقعاً وأعظم نفعاً كي يكون اللسان المخاطب به متطابقاً مع لسان الحال اليوم وأسلوب الثقافة المتداول ألا وهو اللسان الإعلامي المؤثر في النفوس بشكل كبير خصوصاً لو أحسن استغلاله وتوظيفه لصالح قضية الدعوة . وهذا الأسلوب سيكون له تأثير كبير لصالح قضية الدعوة وكسب الآخر من جهة وكذلك لصالح قضية منع التعدي والإساءة إلى الرموز الدينية الإسلامية من جهة أخرى خصوصاً لو أنتج وأخرج بأسلوب عصري وتمكنا من عرضه على قنوات غربية وشرقية مؤثرة وبلغات شتى.
2. يمكن كذلك طبع منشورات صغيرة ملونة جذابة عن مكة المكرمة والمشاعر وقصة الحج بلغات شتى وتوزيعها على الحجاج العائدون لبلدانهم خصوصاً من تلك الأمصار التي يكثر فيها غير المسملون فلو استطاع كل حاج أن يؤثر في شخص واحد من حوله لكم أن تتخيلوا الأثر بعد سنونا ليست بالكثيرة . كذلك يمكن استغلال أسلوب الأشرطة المرئية لتوزيعها على الحجاج لنفس الغرض وربما يكون هذا الأسل وب أكثر وقعاً بسبب حب العامة للحركة والمشهد المرئي الحركي أكثر من القراءة والاطلاع خصوصاً لو تم إنتاج تلك الأشرطة بأسلوب درامي حركي إعلامي عصري وبلغات مختلفة.
3. كذلك يمكن اتباع أسلوب شراء ساعات عرض معينة على فضائيات غربية وشرقية مؤثرة لغرض تعريف الناس بموسم الحج والمنافع التي تجنى منه في الدنيا والآخرة، مع تبيان تفاصيل الحج وقصته ومشاعره وتاريخه ومكانته عند جميع الأنبياء والرسل خصوصاً لو استخدمنا مقدمين ومذيعين ودعاة من نفس

تلك الأمصار والبلدان ليخاطبوا الناس بثقافاتهم وليس بثقافة غريبة عليهم قد لا يستسيغونها.

4. تأليف كتب وموسوعات تأريخية تتكلم بلغات القوم وثقافاتهم وذلك باستقطاب كبار المفكرين والمؤلفين من مختلف الثقافات والتواصل معهم وتشكيل فرق بحثية تعضدهم لتأليف تلك المؤلفات الموسوعية الخاصة بمكة المكرمة والمدينة المنورة، تاريخهما، موقعهما، أهميتهما، وقدسيتهم ا، وكذلك موسم الحج وما يتعلق به لتكون تلك المطبوعات البحثية رصيداً ثقافياً يتعرف من خلاله الطرف الآخر على جمال ثقافتنا ووسطية معتقداتنا وانضباط تشريعاتنا وعلمية ديننا ومنهجية تفكيرنا.
5. إقامة معارض ومهرجانات عالمية في كل دول العالم تعرض على الناس الحج وحقيقتهوتاريخه وضوابطه ليجتمع الناس من كل دين وعرق ويستمعوا لتلك الترنيمة الخالدة ويعلموا عظمة هذا الدين وخيره الذي جاء به للناس أجمعين.
6. ويمكن كذلك استنباط أفكار كثيرة أخرى مشابهة تدخل ضمن ركني هندسة الدعوة العصرية العلم والإعلام.

وبذلك نكون قد سخرنا أثر ذلك ا لتحفيز الذاتي لطرفي أو محوري الاستطاعة في خدمة ديننا وقضية أمتنا ونهضتها المرجوة من جهة، وكذلك أعطينا حق الطرف الآخر بأنه جاهل لا يعلم حقيقة الإسلام بسبب التشوهات المتعمدة التي يقوم بها من لا يريد لهذا الدين الخير ولهذا الأمة النهوض، وذلك إسقاطاً لعلة الجه ل وفقاً لما أمر به الله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ) (التوبة:6)، وكذلك إسقاطاً لتهمة التصقت بنا في إعلامهم المغرض بسبب فعل بعض الجهلة أو المغرر بهم من أبناء الأمة عملاً بأوامر الله تعالى بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل:125)، وكذلك باجتناب الأساليب المتشجنة التي قد تفضي

لجلب مفسدة ودرء منفعة : (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّ ةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام:108).

لا بد هنا قبل أن نختم الفصل أن نؤكد على ضرورة تلاحم وتظافر أهل الهمم وأهل القمم معاً للوصول للنتائج المرجوة التي نعول عليها كثيراً . فأهل الهمم من أصحاب الدعوة والفكر والعلم والتقنيات والتخصصات كثير وكلهم يريد أن يخدم دينه وقضيته، وأهل القمم من الصناعيين والتجار والمستثمرين والإعلاميين والفنانين والأدباء لا يمكن أن يبخلوا عن قضايا دينهم وأمتهم ونهضتها مع كل ما يأتي من جراء ذلك من أرباح دنيوية وأخروية.

فماذا ننتظر ؟ لقد حان وقت الجد والعمل لننهض بأمتنا وننقذها من تخلفها في هذا المفصل التأريخي الخطير الذي إن لم نستغله على أحسن وجه وأفضل وسيلة سنندم ومعنا الأجيال القادمة كثيراً والأسوأ من ذلك أننا سنحاسب عن هذا عند ملك الملوك العزيز العلام أشد الحساب.

الله تعالى أسأل أن يهدينا جميعاً كي نستجمع كل قوانا الذاتية والمؤسسية والرسمية لخدمة قضايا ديننا وحقوق أمتنا، وعذراً أن أسأنا فلم نرد إلا الإصلاح ما استطعنا والله تعالى مولانا وهو أعلم بالحال والمآل وهو من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الفصل السابع

نماذج واستشهادات

تجارب مفيدة في العلم والإعلام

مقدمة

أولاً:في مجال العلم:

أ: العالم الباكستاني محمد عبد السلام حسين صاحب نوبل للفزياء عام 1979م

ب: المفكر والعالم والداعية التركي الكبير الأستاذ هارون يحيى

جـ : الداعية الأفريقي الدكتور أحمد ديدات

د : العالم الجيولوجي الكبير فاروق الباز

هـ : الداعية الأمريكي حمزة يوسف

و : الداعية الهندي الدكتور ذاكر

ز : البروفيسور الاقتصادي البنغالي محمد يونس مؤسس بنك الفقراء

ح : الدكتور زغلول النجار

ط : المعماري المصري الأستاذ حسن فتحي صاحب فن عمارة الفقراء

ثانياً: في مجال الاعلام والفن

أ: المخرج السينمائي المبدع مصطفى العقاد

ب: المنشد البريطاني يوسف اسلام

جـ: المنشد سامي يوسف

د : تجربة الإعلامي أحمد منصور

هـ : تجربة الشيخ مشاري العفاسي

و : تجربة الشيخ نبيل العوضي

ز : تجربة الاعلامي السعودي أحمد الشقيري

ثالثاً: تجارب فردية ومؤسسية أخرى في مجالات شتى

مقدمة

في هذا الفصل نحاول أن نقف عند بعض المحطات الدعوية الفردية والجماعية في مجالي العلم والإعلام بكافة تخصصاتها وتفرعاتها ونستشهد ببعض النماذج المبدعة كي نقف عند تلك التجارب للإفادة والعظة وإعادة التقييم.

إن المقصود من هذه الاستشهادات ليس الحصر بأي حال من الأحوال بل هناك الكثير غيرها لا يقل التوقف عندها شأناً عن هذه المحطات المبينة هنا.

كما إن الغرض من استعراضنا لنماذج مهمة في ركيزتي العلم والإعلام لا يقصد من وراءه الخوض في سير مجردة فقط، بل أن نبين كيف أن أعمال وجهود وإنجازات كبيرة تحققت للدعوة من خلال أعمال فردية أدت رغم تبعثرها لنتائج كبيرة في ساحة التدافع والصعود الحضاري للأمة في عصرنا هذا للفترة الممتدة لقرن من الزمن أو يزيد وهي فترتنا التي نعيشها وما قبلها بردح قليل زمنياً . وبالتالي يمكن استشعار النتائج المتوقعة في حالة جمع تلك الجهود في بودقة ومؤسسة وساقية واحدة تصب في نهر المد الدعوي العالمي العظيم.

أولاً: في مجال العلم:

<u>أ: العالم الباكستاني محمد عبد السلام حسين صاحب نوبل للفزياء عام 1979م.</u>

العالم الفيزيائي الباكستاني محمد عبد السلام المولود عام 1926م في ولاية البنجاب الهندية والمتوفى عام 1996م حصل على جائزة نوبل للفيزياء عام 1979م عن اكتشافه مع علماء آخرين للقوة النووية الصغيرة (weak nuclear force).

ولد عبد السلام في قرية جهانج بمقاطعة لاهور بالبنجاب والتي كانت في ذلك الوقت جزءاً من الهند، والده كان رجلاً بسيطاً يعمل كاتباً في مكتب مفتش المدارس إلا أنه كان حريصا كل الحرص على تعليم أبنائه منذ الصغر، فتنقل محمد في مراحل التعليم حتى وصل إلى سن الرابعة عشرة حيث التحق بالجامعة الحكومية في "لاهور"، وظهر نبوغه المبكر في الرياضيات محطماً كل الأرقام القياسية في امتحانات القبول،

وحاصدا لجوائز التفوق في جميع مراحل التعليم، تخرج في الجامعة عام 1944م، وحصل على درجة الماجستير في الرياضيات من جامعة "لاهور" بالبنجاب بعد سنتين في عام 1946م.

منح عبد السلام منحة إلى جامعة كامبرج بإنجلترا، فلقد اختير قبله طالب هندي آخر يدرس مادة الأدب الإنجليزي. وفي كلية "سانت جون" لفت عبد السلام الأنظار إليه حينما حصل في سنتين على دبلومتين في الرياضة المتقدمة والفيزياء، وحصل على المركز الأول. وسافر بعدها إلى معهد الدراسات المتقدمة في برنسيتون في نيوجرسي بالولايات المتحدة، وهناك في 2 مايو 1951م انتخب زميلاً للأبحاث العلمية في كلية سانت جون. ومن هنا بدأ يلمع نجمه دولياً، وأخذت أبحاثه تحتل مكاناً بين أبحاث العلماء المتميزين.

كان عبد السلام يخطط دائماً للعودة إلى وطنه باكستان والتي استقلت عن الهند في عام 1948م لينقل ما حمل من علم ويضعه في خدمة شعبه وحكومته. فقرر عام 1952م العودة بعد حصوله على درجة الدكتوراه، وعين هناك رئيساً لقسم الرياضيات بجامعة البنجاب بلاهور. ومرت السنوات عصيبة على عكس ما كان يتوقع، واكتشف صعوبة الاستمرار في أبحاثه لقلة الإمكانات الموجودة، فسرعان ما قبل دعوة أخرى من جامعة كامبريدج عام 1954م وعاد كأستاذ جامعي في الرياضيات وزميلا لكلية سانت جون.

بقى عبد السلام في جامعة كامبردج حتى عام 1957، ثم انتقل إلى الكلية الملكية بلندن كأستاذ في الفيزياء. وقد حصل في العام نفسه على الدكتوراه الفخرية من جامعة البنجاب، ثم انتخب مبعوثاً للكلية الملكية عندما بلغ من العمر 33 سنة عام 1959.

قام عبد السلام بتطوير نظرية لتوحيد القوى النووية الضعيفة والكهرومغناطيسية، بل وجزم بإمكانية توحيد القوى النووية القوية مع القوى الثلاث الأخرى. واهتم أيضاً بالنظرية الكمية، التي تصف سلوك المادة بجسيماتها الأولية والطاقة في الكون. وقام بدراسات عديدة على الجسيمات الأولية مثل الإلكترون (ذو الشحنة السالبة) والبروتون

(ذو الشحنة الموجبة) والنيوترون (المتعادل) والتي تتواجد في الذرة . واهتم بجزيء "نيوترنيو" الذي لم يسجل له العلماء شحنه أو كتله (أو ربما تكون ضعيفة جداً) وثبت تأثره بالقوى النووية الضعيفة التى تستطيع التغيير من شكله . فكان عبد السلام أول من وصل إلى أن هذا الجزيء يدور في اتجاه عكس عقارب الساعة، مما أوضح نقاطاً كانت غائبة في فهم نظرية القوى النووية الضعيفة وتأثيراتها.

وكان يرى أن ديراك أعظم علماء القرن؛ حيث قام بتطوير علم ميكانيكا الكم النسبية ليصف به حركة الجسيمات الدقيقة ذات السرعات العالية . وتوصل إلى معادلة سميت باسمه، وعند تطبيقها على جسيم الإلكترون تنبأ بوجود جسيم آخر له نفس كتلة الإلكترون، ولكن ذو شحنة موجبة وهو البوزتيرون الذي اكتشفه كارل أندرسون بعد ذلك في عام 1932م.

التأثير الأكبر على عبد السلام في بداية حياته كان من المعلم المخلص د / بول ديراك Paul Diarc والذي عاش البطل الأكبر في حياة عبد السلام الذي رآه أعظم علماء القرن في الفيزياء، وأن أبحاثه هي التي أعطت الشهرة الكبيرة لأبحاث النشانين في الرياضيات.

بدأ أبحاثه في عام 1946 في معامل كافيندش Cavendish وتعلم على يد واحد من الأوائل في مجال الفيزياء النظرية وخاصة في الجسيمات الأولية ألا وهو د / كيمر Dr. Nicholas Kemmer أستاذ الفيزياء الرياضية بجامعة كامبريدج، كان كيمر أول مشرف رسمي على عبد السلام وهو ا لذي عرفه على العالم الكبير د/ ماثويث Paul Matthews الذي قدمه إلى النظرية الكمية Quantum theory وأدخله في محاولات لإيجاد الإجابات المفقودة في هذه النظرية.

عاش عبد السلام حياته مشغولاً بالعوائق التى تقف أمام تقدم العالم الثالث في العلم والتعليم، وكان يرى أن الفجوة الكبيرة بين الدول الصناعية الكبرى والنامية لن تضيق إلا إذا استطاعت الدول النامية أن تحكم نفسها في مستقبلها العلمي والتكنولوجي، وأن ذلك لن يتحقق من خلال استيراد التكنولوجيا من الخارج، بل من خلال تدريب نخبة

من العلماء المتميزين والزج بهم في مجالات العل م المختلفة، وقد سجل رؤيته عن الحاجة الملحة للعلوم والتكنولوجيا في العالم الثالث في كتابة "المثاليات والحقائق ". ولم يتأخر في مد يد العون لشباب العلماء من العالم الثالث، وصرف جزءا من أمواله لمساعدتهم. وقد كان إنشاؤه للمركز الدولي للفيزياء النظرية في تريستا بإيطاليا في عام 1964م انعاكساً لفكره ومبدئه؛ حيث كان هدف المركز الأول هو إيجاد مكان للفيزيائيين الشبان من العالم الثالث؛ لاستكمال أبحاثهم، وقد استمر مديره حتى عام 1994م حيث كان منارة للعمل الدءوب والطموح العالي.

وبعد صراع طويل مع المرض توفي ودفن في قريته ا لتى ولد فيها وهي قرية جهانج مسقط رأسه بمقاطعة لاهور.

أما عن الأوسمة الممنوحة له فهي كثيرة منها:

- في عام 1979م، حصل على جائزة نوبل في الفيزياء مشاركة مع العالمين ستيف واينبرج Weinberg وجلاشو Glashow حينما قام بتقديم نظريته التي تقضي بتوحد قوتين من القوى الرئيسية في الكون إلى قوة واحدة.
- أرفع وسام لدولة باكستان من رئيس الجمهورية وعين مستشاراً علمياً للرئيس.
- منح وسام الجمعية الفيزيائية البريطانية عام 1960م وعين عضواً في لجنة العلوم والتكنولوجيا.
- وتقديراً لجهوده كرئيس للجنة الفرعية التي أنشأتها الأمم المتحدة لدراسة إمكانية تقديم العون من الدول الصناعية للبلدان النامية.. حصل د / عبد السلام على جائزة "هيوج" من الجمعية الملكية للعلوم عام 1964.
- جائزة وميدالية بنهايمر 1971م.
- ميدالية أيشتين من اليونسكو عام 1979م.
- نيشان الامتياز الباكستاني عام 1979م.
- ميدالية السلام عام 1981م.

- جائزة الفروسية تقديراً لجهوده في العلوم البريطانية عام 1989م.
- يحمل عبد السلام المراكز الفخرية في أكثر من أربعين جامعة على مستوى العالم، وتم اختياره عضواً في معهد الدراسات العليا في برنستيون[1].

ب: المفكر والعالم والداعية التركي الكبير الأستاذ هارون يحيى

واسمه الحقيقي عدنان أوكطار وهو مفكر ومؤلف وباحث تركي بارز وعالم كشف زيف نظرية داروين في التطور وإثبت بالبراهين والحجج حقيقة الخلق . ولد عدنان أوكطار في أنقرة عام 1956م، وهو يعتبر من رجال الفكر البارزين في تركيا. ويولي عدنان أوكطار أهمية كبيرة للقيم الوطنية والأخلاقية، ويرى أن تبليغ هذه القيم المقدسة إلى الآخرين يعد رسالة إنسانية.

قام بأبحاث مفّصلة وتوصل في النهاية إلى أن الداروينية القائمة على نظرية النشوء والارتقاء هي التي تمثل تهديدا حقيقيا لقيمنا الوطنية والأخلاقية، وهي الأساس الذي بنيت عليه الإيديولوجيات المدّمرة، فأعدّ لذلك مجموعة من الكتب بيّن فيها الكوارث التي جلبتها هذه النظرية على تركيا والعالم، وأجاب فيها بشكل علمي على إدّعاءاتها الواهية وفضح تناقضاتها الصارخة.

من مؤلفاته:

- نظرية التطور
- التضحية عند الكائنات الحية والسلوك السليم
- السلوك الواعي لدى الخلية
- معجزة خلق الإنسان
- المعجزات القرآنية

---

(1) عن موسوعة ويكيبيديا (http://en.wikipedia.org/). وانظر مقالة (د/ محمد عبد السلام " العالم والإنسان)، على موقع الإسلام اون لاين ..
http://www.islamonline.net/arabic/science/2001/02/Article15.shtml

- التصميم في الطبيعة
- أهميـــــة الضمير في القرآن
- سلسلة المعجزات
- الروعة في المكان[1].

جــ : الداعية الأفريقي الدكتور أحمد ديدات

هو العالم الجليل الداعية العالمي أحمد ديدات (1918– 2005) داعية إسلامي أشتهر بمناظراته وكتاباته في المقارنة بين الدين الإسلامي والدين المسيحي.

ولد أحمد حسين ديدات في بلدة تادكيشنار بولاية سوارات الهندية. هاجر أبوه وكان يعمل خياطا إلى جنوب أفريقيا بعد مولد ابنه مباشرة، ولحق أحمد ديدات بأبيه عام 1927م لتعثر وصعوبة فرص الدراسة في الهند وتوفيت والدته بعد فراقه بشهور قليلة. واجه الطفل أحمد ديدات آنذاك صعوبات جمة لكنه اجتهد بفطرته وبما وهبه الله له من ذكاء فتعلم الإنجليزية وتفوق في دراسته وتوقف عند الصف السادس بسبب الظروف المادية الصعبة.

بدء العمل الدعوي في السادسة عشرة من عمره بدأ أول عملٍ له كبائعٍ في متجر، ثمَّ عمل في متاجر كثيرة، ثمَّ عمل أحمد ديدات في عام 1936م في متجرٍ يملكه مسلم، وكان بالقرب من معهد تعليمٍ نصرانيٍّ على ساحل ناتال الشمالي، وقد أشعلت الإهانات المستمرَّة ضدَّ الإ سلام من قبل المنصِّرين المتمرِّنين بالمعهد في نفسه الرغبة في إبطال ادعاءاتهم الباطلة . وتوافق ذلك مع حصوله على كتاب إظهار الحق لمؤلف هندي جاور المدينة المنورة ودفن بها هو العالم رحمة الله الهندي . هذا الكتاب هو الذي فتح آفاق أحمد ديدات للرد على شبهات النصار ى وبداية منهج حواري مع أهل

---

(1) عن موقع الأستاذ هارون يحيى على الشبكة (http://www.harunyahya.com/arabic/index.php).
وانظر موسوعة ويكيبيديا (http://en.wikipedia.org/).

الكتاب وتأصيله تأصيلا شرعيا يوافق المنهج القرآني في دعوة أهل الكتاب إلى الحوار وطلب البرهان والحجة من كتبهم المحرفة فكان لفكرة إقامة المناظرات أثرٌ عميقٌ عند أحمد ديدات، ليترك لنا هذا المنهج الدعوى المبارك والذي كان نتيجته أن أسلم على يديه آلاف من النصارى من مختلف أنحاء العالم والبعض منهم الآن دعاة إلى الاسلام.

بروح الحماس والعمل لإظهار الحقّ، اشترى أحمد ديدات أوّل إنجيل له، ودرسه جيّدا، وبدأ يقيم المناظرات والمناقشات مع المنصِّرين المتمرِّنين بالمعهد القريب، ولم يتوقّف أحمد د يدات – بعدما كانوا ينسحبون سريعاً من مواجهة براهينه القاطعة – عند ذلك، بل تعدّاه لدعوة معلِّميهم، وكذلك القساوسة في المناطق المحيطة.

في عام 1936م عمل بائعاً في دكان لبيع المواد الغذائية، ثم بعدها سائقاً في مصنع أثاث، ثم شغل وظيفة (كاتب) في المصنع نفسه. وتدرج في المناصب حتى أصبح مديراً للمصنع بعد ذلك . في أواخر الأربعينات التحق أحمد ديدات بدورات تدريبية للمبتدئين في صيانة الراديو وأُسس الهندسة الكهربائية ومواضيع فنية أخرى . وفي عام 1949م بعد أن جمع قدر من المال رحل إلى باكستان وأشتغل على تنظيم معمل للنسيج.

بعد فترة كان منكبّاً فيها على تنظيم معمل النسيج تزوج أحمد ديدات وأنجب ولدين وبنتاً اضطر أحمد ديدات إلى العودة مرة أخرى إلى جنوب أفريقيا بعد ثلاث سنوات للحيلولة دون فقدانه لجنسيتها، حيث أنه ليس من مواليد جنوب أفريقيا . وفور وصوله إلى جنوب أفريقيا عرض عليه استلام منصب مدير مصنع الأثاث الذي كان يعمل فيه سابقاً.

في بداية الخمسينيات أصدر كتيبه الأول: " ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد صلى الله عليه وسلم ؟ "، ثم نشـــر بعد ذلك أحد أبـــرز كتيباته : " هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ ". وفي عام 1959م توقف أحمد ديدات عن مو اصلة أعماله حتى يتسنى له التفرغ للمهمة التي نذر لها حياته فيما بعد، وهي الدعوة إلى الإسلام من خلال إقامة

المناظرات وعقد الندوات والمحاضرات . وفي سعيه الحثيث لأداء هذا الدور العظيم زار العديد من دول العالم، واشتهر بمناظراته التي عقدها مع كبار رجال الدين المسيحي أمثال : كلارك – جيمي سواجارت وأنيس شروش . وكان أحمد ديدات العضو المؤسِّس الأوَّل للمركز الدوليِّ لنشر الإسلام (معهد السلام لتخريج الدعاة "IPCI") بمدينة (ديربن) بجنوب إفريقيا وأصبح رئيساً له.

نشر أحمد ديدات ما يزيد على عشرين كتابا، ووزَّع ملايين النسخ منه ا مجَّانا، كما ألقى الآلاف من المحاضرات، فضلاً عن نجاحه في المناظرات مع القساوسة حول الإنجيل، والتي كان من أبرز نتائجها إسلام العديد من الناس.

مُنح أحمد ديدات جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1986م وأعطي درجة " أستاذ". وهو يعتبر أحد أكثر الم تعمقين في نصوص اللأناجيل المختلفة فهو عالم مسلم في الأنجيل المسيح ي. وأُطلِقت العديد من الألقاب عل يه، منها : "قاهر المنصِّرين"، و"الرجل ذو المهمَّة". كما علَّم ديدات العديد من التلاميذ الذين ساروا على دربه، ومضَوا في طريق الجهاد في سبيل الله ضد المنصِّرين والقساوسة، من أبرزهم الدكتور زاكر نايك، والذي قال عنه ديدات: "ما قمتُ به في أربعين سنة، قام به زاكر في أربع سنوات!". وقد شارك في العشرات من المحاضرات والمناظرات والمقابلات في أغلب بلدان العالم مثل محاضراته في بريطانيا، سيري لانكا، ماليزيا، الهند، معظم الدول العربية، جنوب إفريقيا، الولايات المتحدة الأمريكية، كندا وغيرها.

وبعد مرض عضال أقعده شليلاً منذ عام 1995م توفى في 8 أغسطس عام 2005م. فقد المسلمون بموته داعية ومحاور ومناظر يشار إليه بالبنان[1].

د: العالم الجيولوجي الكبير فاروق الباز

---

(1) انظر موقع الشيخ على الشبكة (http://www.ahmed-deedat.co.za/frameset.asp). وانظر موسوعة ويكيبديا (http://en.wikipedia.org/).

ولد د. فاروق الباز في 1 يناير 1938م لأسرة بسيطة الحال في مدينة الزقازيق والتي تقع في محافظة الشرقية، وأسرته تنتمي إلي مدينة السنبلاوين بمحافظة الدقهلية.

حصل على شهادة البكالوريوس (كيمياء – جيولوجيا) في عام 1958 م من جامعة عين شمس بمصر. ونال شهادة الماجستير في الجيولوجيا عام 1961م من معهد علم المعادن بميسوري الأمريكية. وحصل على عضوية جمعية سيجما كاي (Sigma Xi) العلمية. ثم نال شهادة الدكتوراه في عام 1964م وتخصص في الجيولوجيا الاقتصادية.

يشغل الدكتور فاروق الباز منصب مدير مركز تطبيقات الاستشعار عن بعد في جامعة بوسطن في مدينة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية . وكان قبل ذلك نائبا للرئيس للعلم والتكنولوجيا في مؤسسة آيتك لأجهزة التصوير بمدينة لكسنجتون، بولاية ماساتشوستس. ومنذ عام 1973 إلى أن التحق بمؤسسة آيتك عام 1982م، قام الدكتور الباز بتأسيس وإدارة مركز دراسات الأرض والكواكب في المتحف الوطني للجو والفضاء بمعهد سميثونيان بواشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية. وعمل بالاضافة إلى ذلك مستشار علمي للرئيس أنور السادات ما بين الأعوام 1978م–1981م. وكان قد عمل منذ عام 1967 إلى عام 1972 بمعامل بلّ بواشنطن كمشرف على التخطيط للدراسات القمرية واستكشاف سطح القمر.

وفي خلال هذه السنوات، اشترك في تقييم برنامج الوكالة الوطنية للطيران والفضاء "ناسا" للرحلات المدارية للقمر. بالاضافة إلى عضويته في المجموعات العلمية التدعمية لإعداد مهمات رحلات أبوللو على سطح القمر. وشغل منصب سكرتير لجنة اختيار مواقع هبوط سفن برنامج أبوللو على سطح القمر. كما كان رئيساً لفريق تدريبات رواد الفضاء في العلوم عامة وتصوير القمر خاصة. وشغل منصب رئيس أبحاث التجارب الخاصة بالمراقبات الأرضية من الفضاء والتصوير وذلك في مشروع الرحلة الفضائية المشتركة أبوللو – سويوز في عام 1975م.

أما عن مشواره الأكاديمي فقد قام الدكتور الباز بتدريس علم الجيولوجيا في جامعات عديدة مثل جامعة أسيوط بمصر من عام 1958–1960م، وجامعة ميزوري بأمريكا من عام 1963 ولغاية عام 1964م، وجامعة هايدرلبرج في ألمانيا من عام 1964–1965م.

في عام 1966م عمل في الاستكشاف عن النفط في خليج السويس بقسم التنقيب في شركة بان امريكان وذلك قبل التحاقه بمعامل بل في عام 1967م. وفي عام 1973 م عمل كرئيس الملاحظة الكونية والتصوير في مشروع أبولّو – سويوز Apollo-soyuz الذي قام بأول مهمة أمريكية سوفييتية في تموز 1975م. وفي عام 1986م انضم إلى جامعة بوسطن، في مركز الاستشعار عن بعد باستخدام تكنولوجيا الفضاء في مجالات الجيولوجيا والجغرافيا، وقد طور نظام استخدام الاستشعار عن بعد في اكتشاف بعض الآثار المصرية.

له عدة مؤلفات، فقد كتب د. الباز 12 كتابا، منها أبوللو فوق القمر، الصحراء والأراضي الجافة، حرب الخليج والبيئة، أطلس لصور الأقمار الصناعية للكويت، ويشارك في المجلس الاستشاري لعدة مجلات علمية عالمية . كتب مقالات عديدة، وتمت لقاءات كثيرة عن قصة حياته وصلت إلى الأربعين، منها "النجوم المصرية في السماء"، "من الأهرام إلى القمر"، "الفتى الفلاح فوق القمر"، وغيرها.

له عدة عضويات في الجمعيات العلمية ، فقد انتخب د. الباز كعضو، أو مبعوث أو رئيس لما يقرب من 40 من المعاهد والمجالس واللجان، منها انتخابه مبعوثا لأكاديمية العالم الثالث للعلوم TWAS عام 1985م، وأصبح من مجلسها الاستشاري عام 1997م، وعضوا في مجلس العلوم والتكنول وجيا الفضائية، ورئيسا لمؤسسة الحفاظ على الآثار المصرية، وعضوا في المركز الدولي للفيزياء الأكاديمية في اليونسكو، مبعوث الأكاديمية الأفريقية للعلوم، زميل الأكاديمية الإسلامية للعلوم بباكستان، وعضوا مؤسسا في الأكاديمية العربية للعلوم بلبنان، ورئيسا للجمعية العربية لأبحاث الصحراء.

كما تم تكريمه في العديد من المناسبات، فحصل د. الباز على ما يقرب من 31 جائزة، منها : جائزة إنجاز أبوللو، الميدالية المميزة للعلوم، جائزة تدريب فريق العمل من ناسا، جائزة فريق علم القمريات، جائزة فريق العمل في مشروع أبوللو الأمريكي السوفييتي، جائزة ميريت من الدرجة الأولى من الرئيس السادات، جائزة الباب الذهبي من المعهد الدولي في بوسطن، الابن المميز من محافظة الدقهلية، وقد سميت مدرسته الابتدائية باسمه، وهو ضمن مجلس أمناء الجمعية الجيولوجية في أمريكا، المركز المصري للدراسات الاقتصداية ، مجلس العلاقات المصرية الأمريكية . وقد أنشأت الجمعية الجيولوجية في أمريكا جائزة سنوية باسمه أطلق عليها "جائزة فاروق الباز لأبحاث الصحراء".

تبلغ أوراق د. الباز العلمية المنشورة إلى ما يقرب من 540 ورقة علمية، سواء قام بها وحيدا أو بمشاركة آخرين، ويشرف على العديد من رسائل الدكتوراه. وقد جال د. فاروق العالم شرقا وغربا، وحاضر في العديد من المراكز البحثية والجامعات، أحب الرحلات الكشفية، وجمع العينات الصخرية منذ الصغر[1].

هـ: الداعية الأمريكي حمزة يوسف

الشيخ حمزة يوسف هانسن (ولد في 1960م بإسم مارك هانسن في والا والا – واشنطن) ويعتبر أحد أكبر الدارسين والدعاة الصوفيين في أمريكا و العالم الغربي بشكل عام وله نشاط ملحوظ وشعبية كبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية باعتباره رمزاً يربط الاسلام الصوفي بالغرب، وهو محاضر أمريكي في تاريخ جامعة القرويين العريقة بفاس بالمغرب كما أنه يدرس في معهد الزيتونة.

نشأ في كاليفورنيا الشمالية في عائلة يونانية أرثوذكسية، ودخل الجامعة قسم الفلسفة تعرض خلالها لبعض المعرفة عن الشرق وا لعالم والأفكار الإسلامية، ثم قابل بعض

(1) عن موسوعة ويكيبديا (http://en.wikipedia.org/).

المسلمين من الأمريكيين السود الذي أثروا فيه فقرر البحث في الدين الاسلامي. وفي سن 18عام 1977م، اعتنق الإسلام في سانتا بربارا بكاليفوينيا. ثم سافر ليمضي 10 سنوات يدرس الدين الإسلامي واللغة العربية في الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وغيرها من دول الشرق الأوسط، وبعد ذلك رحل إلى غرب أفريقيا ليدرس في موريتانيا والمغرب والجزائر لعدة سنوات وتتلمذ على يد مشايخ عدة من أبرزهم المرتبط الحاج والعلامة عبد الله بن بيه.

وبعد عودته للولايات المتحدة الأمريكية أسس عام 1996م أسس معهد الزيتونة في كاليفورنيا بهدف إحياء العلوم الإسلامية والحفاظ على طرق التدريس التقليدية. وحصل على الإجازات والشهادات العلمية في عدة أفرع من العلوم الشرعية من العديد من كبار علماء العلوم الإسلامية من عدة بلدان ثم عاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحصل على درجات في التمريض من كلية إمبريال فالي والدرسات الدينية من جامعة سان جوزيه. وسافر إلى جميع أنحاء العالم محاضراً عن الجانب الروحي في التصوف وقضايا معاصرة. وقام بترجمة عدة كتب من الكتب العربية والاسلامية والشعر وهو حالياً بصدد تأسيس معهد للدراسات الإسلامية في هايوود كاليفورنيا.

يتقن اللغة العربية كإتقانه للغته الإنجليزية الأم ويحفظ الكثير من الشعر وحكايات الأثر، ويستطيع أن يخاطب الغرب بلغته التي يفهمها كما يخاطب العرب المسلمين بلغتهم التي يفهمونها، ويسعى لتوصيل الصورة المتصوفة للإسلام لمحو الصورة التقليدية عن المسلمين والعالم الاسلامي. له الكثير من العلاقات مع المسلمين الأمريكيين والأوروبيين في العالم الغربي ويمتاز بالقبول والشخصية المحببة التي تلهم الناس بالالتفاف حوله.

إن الشيخ حمزة يوسف لديه اطلاع وثقافة بمستوى راقي تمكنه من الجدال بالحجة والموعظة الحسنة مع الطرف الأخر ، ويتكلم بلهجة وطريقة تحرك في الانسان العربي الكثير مما يولد في روحه الشوق للماضي المجيد، فالشيخ على الرغم من أنه من أصول غير عربية الا انه يتكلم بلهجة فصيحة أبكت الألوف من العرب. وقد ظهر

باستضافة برامج عديدة في قنوات عربية مثل قناة إم بي سي العربية وغيرها. وأصبح رمزاً للربط بين التصوف والغرب وهو متزوج وله 5 أطفال ويعيش حالياً في شمال كاليفورنيا مع أسرته[1].

و: الداعية الهندي الدكتور ذاكر

ذاكر عبد الكريم نايك (Zakir Abdul Karim Naik) او باسمه الشهير دكتور ذاكر نايك هو داعية وخطيب ومنظر إسلامي هندي مشهور ولد في 18 أكتوبر عام 1965م. مهنته الأصلية هي الطب حيث أنه يحمل درجة بكالوريوس في الطب ودرجة بكالوريوس في الجراحة من جامعة بومبي، ولكنه منذ العام 1993 ركز على الدعوة الإسلامية.

وبناءا على أقوال الدكتور نايك فإن هدفه هو التركيز على الشباب المسلم المتعلم الذين يشعرون بأن دينهم قد عفا عليه الزمن أو أنهم يشعرون بالحرج منه. وعادةً ما يتحدث عن مواضيع مثل "الإسلام والعلم الحديث"، "الإسلام والمسيحية"، "الإسلام والعلمانية"، "الإسلام والهندوسية "، "الدعوة الإسلامية " و"الشبهات حول الإسلام". ومن أشهر مناظرته تلك التي عقدت في 1 أبريل عام 2000م ضد الدكتور وليام كامبل في مدينة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية تحت عنوان "القرآن والإنجيل على ضوء العلم" (The Qur'an and the Bible in the light of Science) والتي لاقت نجاحاً كبيراً.

حاز الدكتور نايك على شهرة كبيرة لأسباب كان من بينها قدرته التي تعتبر مذهلة على تذكر الشواهد من القرآن والحديث والكتب المقدسة عند للنصارى واليهود والهندوس والبوذيين بعدة لغات. فمن عادته أثناء خطبه أو مناظراته أن يستشهد مثلاً بآيات قرآنية مع ذكر رقم السورة ورقم الآية التي يستشهد بها من ذاكرته، أو أن

---

(1) انظر موقع معهد الزيتونة (http://www.zaytuna.org/). وانظر موسوعة ويكيبديا (http://en.wikipedia.org/).

يستشهد بحديث شريف مع ذكر الكتاب الذي ورد فيه ورقم الحديث في ذلك الكتاب . وهو ذات الأمر الذي يفعله عند الاستشهاد بالكتب المقدسة الأخرى.

بالإضافة لذلك فقد ساهم في شهرته أسفاره العديدة حول العالم ومناظراته حول الإسلام مع العلماء وعلماء اللاهوت وإتاحته الفرصة لأسئلة العامة. حيث قام بإلقاء مئات المحاضرات في الهند وأمريكا وكندا وبريطانيا والسعودية والبحرين وعمان والإمارات وقطر والكويت وجنوب أفريقيا وموريسيوش وأستراليا وماليزيا وسنغافورة وهونج كونج وتايلند وجويانا بأمريكا الجنوبية ودول أخرى. وقد كان يظهر في تلك اللقاءات قدرة على الرد والإقناع بطريقة أذهلت الكثيرين. وقد أصبحت للدكتور نايك شعبية منقطعة النظير في ممباي (بومبي سابقاً) في الهند.

ويحضر خطب الدكتور نايك عادة بضعة مئات أو آلاف، لكن معظم من عرفوه عرفوه عبر أشرطة الفيديو والكاسيت والأقراص المضغوطة CD التي تسجل خطبه والتي باتت شائعة جداً. وعادةً ما تسجل خطبه باللغة الإنجليزية لتبث في عطل نهاية الأسبوع عبر العديد من شبكات كوابل التلفزيون في مناطق المسلمين من بومبي . واليوم يظهر الدكتور نايك بشكل منتظم على شاشات العديد من القنوات والإذاعات على مستوى العالم والتي تتيح له فرصة الظهور في أكثر من 100 دولة. كما أن له كتباً في موضوع الإسلام ومقارنة الأديان.

ويعتبر الدكتور ذاكر نايك أبرز شخصيات مؤسسة البحث الإسلامية في الهند (المعروفة اختصاراً بـــ IRF) والتي يديرها. وقد حصل الدكتور نايك على الكثير من الثناء والانتقادات خلال مسيرته الدعوية وكان من أشهر من أثنوا عليه أستاذه الداعية الجنوب أفريقي المتحدر من أصل هندي الشيخ أحمد ديدات والذي ينسب إليه قوله للدكتور نايك أن هذا الأخير نجح في غضون أربع سنوات في تحقيق ما احتاج الشيخ ديدات إلى أربعين سنة لتحقيقه[1].

---

(1) انظر موقع الدكتور على الشبكة (http://www.drzakirnaik.com/). وانظر موسوعة ويكيبيديا (http://en.wikipedia.org/).

وهنا نبين أهمية تبني مثل هؤلاء الدعاة لخلق أجيال تتشبه بهم من داخل المجتمعات الإسلامية غير العربية في جميع بلدان العالم لأنهم يخاطبون الناس بألسنتهم وثقافاتهم.

ز : البروفيسور الاقتصادي البنغالي محمد يونس مؤسس بنك الفقراء:

لقد بينا قصته وسر نجاحه في الفصل السابق.

ح : الدكتور زغلول النجار

زغلول راغب محمد النجار عالم جيويوجيا مصري ولد في 17 نوفمبر 1933م في إحدى قرى محافظة الغربية بمصر، درس في كلية العلوم جامعة القاهرة وتخرج منها سنة 1955م بمرتبة الشرف، وكان أول دفعته . وهو يجيد لغات عديدة مثل العربية، الإنجليزية، الفرنسية، وإلمام بسيط بالألمانية.

ولد دكتور زغلول في عائلة مسلمة فكان جده إمام القرية وكان والده من حفظة القرآن الكريم ويحكي الدكتور زغلول أنه إذا قرأ القرآن وأخطأ كان والده يردة في خطئه وهو نائم. وبعد اتمامه لحفظ القرآن الكريم، انتقل الدكتور زغلول بصحبة والده إلى القاهرة والتحق بإحدى المدارس الابتدائية وهو في سن التاسعة . وأتم الدكتور زغلول دراستة الابتدائية والتحق بمدرسة شبرا الثانوية في عام 1946م وكان من الاوائل الخريجين وأمره ناظر المدرسة بالدخول في مسابقة اللغة العربية لتفوقه فيها.
التحق الدكتور زغلول بكلية العلوم جامعة القاهرة، وتم افتتاح قسم جديد هو قسم الجيولوجيا وأحب الدكتور القسم بفضل رئيس القسم وهو دكتور ألماني فدخل القسم وتفوق فية وحصل في النهاية على درجة بكالوريوس العلوم بمرتبة الشرف ولكن تدخل دكتور زغلول في إحدى المظاهرات السياسية تم اعتقالة بعد تخرجه من الجامعة وتم محاكمتة وظهرت براءته ولكن القرار السياس ي رفض تعينة كمعيد في الجامعة.

عمل بشركة صحارى للبترول لكن تم فصله من العمل لأسباب سياسية، ثم التحق بالعمل بمناجم الفوسفات في وادي النيل وعمل بها لمدة عامين وكان لة تاثير ايجابي على العمال وعلى الشركة . ثم أقام دعوة قضائية على الجامعة لرفضها تعينة في الجامعة وربح الدعوى وعمل د اخل جامعة عين شمس لمدة عام ثم فصل منها ايضا بقرار سياسي. ثم عمل في مناجم الفحم بشبه جزيرة سيناء (مشروع السنوات الخمس للصناعة) حتى تم اختياره للعمل في جامعة الملك سعود بالرياض حتى تقدمه للماجستير في جامعة ويلز في أنجلترا.

تخرج من جامعة القاهرة سنة 1955م حاصلاً على درجة بكالوريوس بمرتبة الشرف، وكان أول دفعته، فمنحته الجامعة جائزة بركة لعلوم الأرض . ونال شهادة الدكتوراه في علوم الأرض من جامعة ويلز ببريطانيا سنة 1963م، ومنحته الجامعة درجة زمالتها فيما بعد الدكتوراه. ثم حصل على الأستاذية سنة 1972م.

انتخب زميلا للأكاديمية الإسلامية للعلوم وعضوا في مجلس إدارتها ، وهو عضو سابق في هيئة تحكيم جائزة اليابان الدولية للعلوم. وشارك في تأسيس قسم الجيولوجيا بكل من جامعات الرياض (1959م–1961م–1964م–1967م) والكويت (1967م–1978م) والبترول والمعادن بالظهران (1979م–1996م)، وتدرج في وظائف هيئة التدريس حتى حصل على درجة الأستاذية وعلى رئاسة قسم الجيولوجيا بجامعة الكويت سنة 1972م، وبجامعة قطر سنة 1978م. وأشرف حتى الآن على أكثر من 35 رسالة ماجستير ودكتوراه في جيولوجية كل من مصر، والجزيرة العربية ، والخليج العربي.

عمل عضوا في العديد من الجمعيات المحلية والعالمية ، واختير عضوا في هيئة تحرير مجلات علمية منها : (Research Journal of Foramimifeeral) التي تصدر في نيويورك، ومجلة (Journal of African Earth Sciences) التي تصدر في باريس. واختير مستشارا علميا لكل من المجلات الآتية:

أ – (Islamic Sciences) التي تصدر في الهند.

ب – مجلة المسلم المعاصر – التي تصدر في واشنطن.
جـ مجلة الريان – التي تصدر في قطر.

عمل مستشارا علميا لكل من مؤسسة روبرستون للأبحاث ببريطانيا، ومستشارو النفط العرب الكويت، وشركة الزيت العربي بالخفجي، وبنك دبي الإسلامي بدولة الإمارات العربية المتحدة. وهو عضو مؤسس للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة برابطة العالم الإسلامي في مكة الم كرمة، وعضو مجلس إدارتها.

عضو مجلس إدارة المجلس العالمي للبحوث الإسلامية بالقاهرة . وعمل عضوا في مجلس أمناء الهيئة الإسلامية للإعلام – ببريطانيا. كما اختير عضوا بجمعية المسلم المعاصر – لخنتنشتاين، و اختير مستشارا علميا لمتحف الحضارة الإسلامية في سويسرا (Musee de la Civilisation Musulmane en Suisse Avenue Léopold Robert، 109، 2300 (La Chaux – de – Fonds – Suisse). وهو عضو مؤسس بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية – اللكويت – وعضو مجلس إدارتها.

شارك في تأسيس كل من بنك دبي الإسلامي وبنك فيصل الإسلامي المصري وبنك التقوى.

حضر العديد من المؤتمرات العلمية الدولية والمحلية، وكذلك المؤتمرات الإسلامية على مختلف المستويات . وجاب أقطار الأرض محاضرا عن الإسلام وقضايا المسلمين خاصة قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، امتدت من كندا شمالاً إلى أستراليا وجنوب أفريقيا جنوباً، ومن الأمريكتين غربا إلى أواسط آسيا شرقا.

حصل على عدة جوائز منها : جائزة بركة لعلوم الأرض جامعة القاهرة (1955م) وكان أول الحاصلين عليها، جائزة روبرتسون للأبحاث فيما بعد الدكتوراه من جامعة ويلز البريطانية سنة 1963 –1967م. كذلك درجة زمالة جامعة ويلز في بريطانيا سنة 1963م. وأيضاً جائزة أفضل البحوث المقدمة لمؤتمر البترول العربي سنة

1970م–1972م، وجائزة أفضل البحوث المقدمة لمؤتمر الأحافير الدقيقة الطافية بكل من جنيف –سويسرا (1967م)، روما – إيطاليا 1970م. ومنح جائزة تقديرية من جمعية علماء الأحافير المصرية . واختير عضوا في العديد من الجمعيات العلمية (العربية والأجنبية) وفي هيئة تحرير عدد من دورياتها العلمية.

منح أنواطا من كافة الجامعات المصرية والعربية، من عدد من الجامعات وعدد من النقابات العلمية والمهنية في داخل مصر وخارجها. ومنح العديد من شهادات التقدير من مؤسسات عربية وأجنبية. ومنح جائزة رئيس جمهورية السودان التقديرية، ووسام العلوم والآداب والفنون الذهبي عن سنة 2005م.

وله من الإنتاج العلمي والثقافي والإعلامي الكثير، فله أكثر من مائة وخمسين بحثا ومقالا علميا منشورا، وخمسة وأربعين كتابا باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية. وله سلسلة من الأشرطة السمعية والبصرية والأسطوانات المدمجة في مجالات متعددة أهمها (الإسلام والعلم) [1].

ط : المعماري المصري الأستاذ حسن فتحي صاحب فن عمارة الفقراء:

المعماري المصري الأستاذ حسن فتحي هو صاحب عمارة الفقراء كما سبق وأن أوضحنا في فصل سابق. وقد وُلد في عام 1328هـ/ 1900م، وكانت له معاناته الكبيرة من جراء سيطرة الثقافة الغربية على أفكار مهندسي تلك الفترة والتي لم يسلم منها حتى بعض زملاؤه الذين سايروا، وجاملوا، وقلدوا شتى النزعات الغريبة . وترجع أهمية حسن فتحي إلى كونه أول من شخّص مركب النقص عند المعماريين المصريين إزاء منجزات العمارة الغربية.

أما عن السيرة الوظيفية :

(1) موقع الدكتور زغلول النجار(http://www.elnaggarzr.com/Test_fre/main.asp).. وانظر موسوعة ويكيبديا (http://en.wikipedia.org/).

- دبلوم العمارة من المهندس خانة – جامعة الملك فؤاد الأول – القاهرة حالياً عام 1926م.
- مهندس بالمجالس البلدية 1926–1930م
- مدرس بكلية الفنون الجميلة (1930–1946م
- رئيس إدارة المباني المدرسية بوزارة المعارف (1949–1952
- خبير بمنظمة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين عام 1950م
- أستاذ بكلية الفنون الجميلة ورئيس قسم العمارة بداية للأعوام 1953 – 1957م
- خبير في مؤسسة "دوكسياريس" للتصميم والإنشاء بأثينا وحاضر بعهد أثينا للتكنلوجيا وشارك في بحث عن مدينة المستقبل من (1957– 1962
- رئيس مشروع تجريبي للإسكان تابع لوزارة البحث العلمي بالقاهرة ومستشار لوزارة السياحة 1963–1965
- خبير بمنظمة الأمم المتحدة في مشروع التنمية بالمملكة العربية السعودية 1966م
- أستاذ زائر في قسم تخطيط المدن والعمارة بجامعة الأزهر الشريف 1966–1967م
- خبير بمعهد أدلاي استفسون بجامعة شيكاغو 1967–1969م
- أستاذ زائر للإسكان الريفي في كلية الزراعة جامعة القاهرة 1975–1977م

وقد تسنم عدة مناصب شرفية منها: عضو المجلس الأعلى للفنون والآداب – مصر، عضو شرف مركز الأبحاث الأمريكية – القاهرة، رئيس لمجمع الدائرة المستديرة الدولية لتخطيط عمارة القاهرة بمناسبة عيدها الألفي، عضو شرف المعهد الأمريكي للعمارة، رئيس شرف المؤتمر الدائم للمعماريين المصريين الأول 1985م، والثاني1986م، والثالث 1987م، والرابع 1988م، عضو لحنة تحكي جائزة الاغاجان في العامرة من 1976 لغاية 1980م.

ولديه العديد من المشروعات المعمارية تصل إلى أكثر من 160 مشروع، لكن يمكن إجمالها حسب المراحل التي مر بها مثل:

المرحلة الأولى 1926- 1937 : بعد تخرجه مباشرة وفيها كان يتبع الطرز العالمية في البناء.

المرحلة الثانية 1937- 1956 : واتجه فيها إلى ا كتشاف وإحياء العمارة المحلية وأبرز مشاريعها قرية القرنة.

المرحلة الثالثة 1957- 1962 : هي فترة عمله في اليونان وفيها قام بالعديد من المشاريع وشارك في مشروع مدينة المستقبل.

المرحلة الرابعة 1963-1980 : هي أكثر المراحل انتاجية وابداعاً وأشهر مشاريعها قرية باريس.

المرحلة الخامسة 1980- 1989 : قلّت فيها المشاريع – لدواعي التقدم في السن – وأهم مشاريعها هي قرية دار الإسلام.

أما تلك التي تمثل نقطة تحول بارزة في أعماله:

- 1937 فيلا جرافيس وكانت أول منزل يستخدم فيه عناصر جديدة مثل الفناء المركزي و الفصل بين المساحات العام ة والخاصة والمقعد والمشربية وذلك خلافا لأعماله السابقة التي كان يغلب عليها النمط المعماري العالمي.
- 1941 منزل للجمعية الزراعية الملكية في بهتيم وهو أول مشروع يستخدم الطين في بنائه وبسببه اتجه إلى اكتشاف تقنيات البناء النوبية لإنشاء القبة والقبو.

- 1948 قرية القرنة أشهر أعماله التي روي قصة بنائها في كتاب عمارة الفقراء مما شد الانتباه العالمي إليه. وقد تم بناء بعض المباني الخدمية و 130 منزل من اصل 900 منزل كان من المخطط بنائها.
- 1949 فيلا عزيزة هانم حسنين وهي أول مشروع يستخدم في بنائه الحجر.
- 1950 مسجد في البنجاب بالهند واستخدم فيه لأول مرة بلاطات مطوية خفيفة الوزن baratsi truss لتغطية السقف.
- 1967 قرية باريس واستطاع فيها الوصول إلى خفض هائل لدرجة الحرارة يصل إلى 15 درجة مئوية (15 درجة مئوية فرق الحرارة بين داخل الفراغ وخارجه) باستخدام أساليب التهوية الطبيعية لمبني السوق وتم بنائها بالطوب الرملي .

ويعتبر نضال حسن فتحي لتغيير المفاهيم المترسخة لدى عقلية البيروقراط المصرية مادة بحثية هامة لأغلب المتخصصين وملمحا هاما من ملامح نضوج الشخصية المعمارية المصرية، وقد مرت رحلة حسن فتحي بمراحل من الفشل والنجاح كان أولها في بهتيم المصرية وآخرها في دار الإسلام في نيو ميكسيكو الأمريكية.

يقول حسن فتحي رحمه الله نقلاً عن لقاء إذاعي مسجل خاص به: (هناك 800 مليون نسمة من فقراء العالم الثالث محكوم عليهم بالموت المبكر بسبب سوء السكن، هؤلاء هم زبائني)، ويقول كذلك : (كمهندس، طالما أملك القدرة والوسيلة لإراحة الناس فإن الله لن يغفر لي مطلقاً أن أرفع الحرارة داخل البيت 17 درجة مئوية متعمدا).

من مؤلفاته: "قصة مشربية"، قصة " Le Pays d`Utopie " في مجلة " La Revue du Caire ". ، عمارة الفقراء، كتاب "العمارة والبيئة" ــ كتابك ــ دار المعارف 1977. ، كتاب "الطاقة الطبيعية والعمارة التقليدية : مبادئ وأمثلة من المناخ الجاف الحار"، جامعة الأمم المتحدة – >طوكيو، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة

الأولى1988، هذا فضلاً عن الكثير من الأبحاث في مجال العمارة والإسكان والتخطيط العمراني وتاريخ العمارة بالإنجليزية والفرنسية والعربية.

أما الجوائز فكثيرة مثل:

- 1959 جائزة الدولة التشجيعية للفنون الجميلة (ميدالية ذهبية)عن تصميم وتنفيذ قرية " القرنة الجديدة " (النموذجية بالأقصر)، وكان أول معماري يحصل عليها عند تأسيس هذه الجائزة في ذلك التاريخ – مصر.
- 1959 ميدالية وزارة التربية والتعليم – مصر.
- 1960 ميدالية هيئة الآثار المصرية – مصر.
- 1967 جائزة الدولة التقديرية للفنون الجميلة – مصر.
- 1968 وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى – مصر.
- 1980 جائزة الرئيس – منظمة الاغاخان للعمارة .
- 1980 أول فائز بجائز ة نوبل البديلة RLA وهي جائزة يقدمها البرلمان السويدي في اليوم السابق لتوزيع جوائز نوبل التي يقدمها ملك وملكة السويد (و التي لا تضم جائزة للهندسة المعمارية) .
- 1980 جائزة بالزان العالمية – إيطاليا .
- 1984 الميدالية الذهبية الأولى – الاتحاد الدولي للمعماريين في باريس (لقبه الاتحاد الدولي للمعماريين UIA بأحسن مهندس معماري في العالم في ذلك الوقت، وهذا الاتحاد يضم تسعة آلاف معماري يمثلون 98 دولة، وأعلن وقتها أن نظرياته الإنشائية ومفاهيمه المعمارية يتم تدرسها للطلاب في 44 جامعة بالولايات المتحدة وكندا وجامعات أخرى في دول شمال أوروبا).
- 1987 جائزة لويس سوليفان للعمارة (ميدالية ذهبية) – الاتحاد الدولي للبناء والحرف التقليدية.

- 1988 الجائزة التذكارية لكلية الفنون الجميلة بجامعة المنيا التي قدمت له خلال المؤتمر العلمي الرابع لها وقد أعلن حسن فتحي عند تسلمه الجائزة أن هذا هو أول تكريم من محفل أكاديمي مصري يحصل عليه في حياته، وكان ذلك قبل وفاته بعام واحد.
- 1989 جائزة برنامج الامم المتحدة للمستوطنات البشرية.

توفي هذا المبدع في القاهرة في (2 جمادي الأول 1410 هـ /30 نوفمبر 1989م[1].

ما أروع هذا الحس المرهف والإحساس بالمسؤ ولية لدى هذا الرجل ولعل ذلك هو سر نجاحه وإبداعه.

ثانياً: في مجال الاعلام والفن

أ: <u>المخرج السينمائي المبدع مصطفى العقاد</u>

مصطفى العقاد المولود عام 1935م والمتوفى بحادث التفجير الانتحاري في عمان في 11 نوفمبر 2005م هو مخرج ومنتج وممثل سينمائي سوري المولد أمريكي الجنسية. ولد في حلب بسوريا ثم غادرها للدراسة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في جامعة كاليفورنيا، وأقام فيها حتى أواخر مراحل حياته.

اشتهر كمخرج سوري عالمي في هوليود ومن أشهر أفلامه – الرسالة وأسد الصحراء (عمر المختار). الأول يحكي قصة بعث الرسالة النبوية ع لى النبي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم والهجرة التي قام بها من مكة إلى المدينة ونشأة أول دولة اسلامية، وقد تم انتاجه عام 1976م، مع عمل نسختين واحد بالعربية وواحدة

([1]) عن موقعه : حسن فتحي وعمارة الفقراء (Hassan Fathy Architecture For The Poor) (http://www.geocities.com/arc.hassanfathy/).. وانظر موسوعة ويكيبيديا (http://en.wikipedia.org/).

بالانجليزية. أما الفيلم الثاني فيحكي قصة المجاهد الليبي عمر المختار ، الذي حارب الاستعمار الإيطالي لليبيا في أوئل القرن العشرين، وانتج هذا الفلم عام 1981م. وقد تم انتاج الفيلمين من قبل ليبيا، وقام بدور البطولة في كلاهما الممثل انطوني كوين، إلى جانب ممثلين عالمين وعرب آخرين.

ومما اشتهر به من أفلام : الرسالة (النسخة العربية) 1976 بطولة: عبد الله غيث ومنى واصف، الرسالة (النسخة الإنكليزية) بطولة: انتوني كوين و أيرين باباس، الجزء الأول من سلسلة الرعب هالوين : جرائم جليسات الأطفال Babysitters murders عام 1978م. وفي عام 1981 م جاء فلم أسد الصحراء (عمر المختار) من بطولة: أنتوني كوين وإيرين باباس و اوليفر ريد. وفي عام 1981 م أيضا أنتج الجزء الثاني من سلسلة هالوين : من إخراج ريك روزنتال . ثم في عام 1982 م تم إنتاج الجزء الثالث من إخراج ريك روزنتال أيضا بعنوان: Witch season of the 1985 م أنتج فيلم موعد مع الخوف .Appointment with Fear .

عند إخراجه لفيلم الرسالة، استشار العقاد علماء الدين المسلمين لتفادي اظهار مشاهد أو معالجة مواضيع قد تكون مخ الفة لتعاليم الدين الإسلامي . ورأى الفيلم كجسر للتواصل بين الشرق والغرب وخاصة بين العالم الإسلامي والغرب ولتحسين صورتهم عن الإسلام وقد نجح في ذلك أيما نجاح فقد ظل عرض فلم الرسالة مثلاً في صالات العرض الأوربية لشهور طويلة . وذكر في مقابلة أجريت معه عام 1976م: «لقد عملت الفيلم لأنه كان موضوع شخصي بالنسبة لي، شعرت بواجبي كمسلم عاش في الغرب بأن أقوم بذكر الحقيقة عن الإسلام. أنه دين لديه 700 مليون تابع في العالم، هناك فقط القليل المعروف عنه، مما فاجأني . لقد رأيت الحاجة بأن أخبر القصة التي ستصل هذا الجسر، هذه الثغرة إلى الغرب.

كان كلاً من عبد الحميد جودة السحار وتوفيق الحكيم وأحمد شلبي شاركوا هاري كيغاف على مدى عام كامل في كتابة سيناريو فيلم الرسالة . أما الموسيقى التصويرية

التي لا تنسى للفيلم فقد استوحاها مؤلفها الفرنسي موريس جار من صوت الأذان أثناء زيارته للقاهرة للتعرف على الموسيقى العربية المناسبة للفيلم.

أما فيلم عمر المختار فجعل مصطفى العقاد يكتشف مدة فظاعة جرائم الفاشيست الإيطاليين في ليبيا عندما قام الجنرال رودلفو غراتسياني (قام بأداء دوره الممثل أوليفر ريد) أثناء محاولته اليائسة لتنفيذ خطته في توسيع الاستيطان الاستعماري في ليبيا بقتل 200 ألف من المواطنين الأبرياء في غضون 3 سنوات فقط قبل أن يتمكن من إلقاء القبض على الثائر عمر المختار وإعدامه.

يذكر العقاد أن من أهم نتائج الفيلمين تغيير نظرة الكثيرين عن أمة الإسلام ودين الإسلام في حينها، بل إن الممثلين أنفسهم تأثروا كثيراً بأدوراهم حتى أن أنتوني كوين كما تقول زوجته بعد مرور عام من انتهاء التصوير كانت تتصل بالعقاد مستغيثة لتقول له: (أنقذني من عمر المختار فإن كوين لا يزال متأثراً به لحد اليوم). بينما أنتوني كوين نفسه قال بعد الفيلمين : (لم أكن أتوقع أن يكون لدى العرب كل هذا الإرث العظيم) فغير نظرته السابقة عنهم التي كانت انعكاساً للصورة المشوهة التي فرضتها ماكنة الدعاية الصهيونية عن هذه الأمة زوراً وبهتاناً.

كان العقاد يحضر لعمل فيلم سينمائي عن صلاح الدين، يوازي جودة الأعمال السابقة، قال عن الفيلم: (صلاح الدين يمثل الاسلام تماما، الآن، الاسلام يصور كدين إرهابي. وإذا كانت حجتهم سببها وجود عدة مسلمين ارهابيين ، فيمكن قول ذلك عن المسيحية أيام الحملات الصليبية. لكننا في الواقع لا يمكننا لوم المسيحية كدين بسبب مغامرات بعض أتباعها آنذاك. هذه هي رسالتي).

وقد كان من المفترض أن يجسد شخصية صلاح الدين الفنان العالمي شون كونري رغم شيخوخته، قال فيه العقاد انه مكسب للرأي العام العالمي . يقول المخرج وليد سيف: (صلاح الدين لو كان خرج ببصمة العقاد لاختلف كثيراً عن رؤية يوسف شاهين بسبب اخلتلاف الزمن والوسائل . إن العقاد بالتأكيد كان في وعيه مخاطبة

المسكونين بهاجس اليوم حول ترسيخ حوار الحضارات بدل صدامها عن طريق شخصية هذا القائد المسلم).

وعلى الرغم من إقامة العقاد أكثر من نصف حياته في الغرب فإن هموم العرب والمسلمين لم تفارقه حتى مماته . وظل يحلم بمدينة عربية للإنتاج السينمائي يصنع فيها سنوياً فيلمًا عن مآثر العرب وتاريخ المسلمين . فقد كان العقاد يحلم بصناعة فلم صلاح الدين الأيوبي يختلف عن الأعمال السابقة التي أنتجت عن القائد المس لم لأنها تخاطب المشاهد العربي، فأراد أن يصنع فيلم بلغة سينمائية تخاطب الجمهور الغربي ويجسدها ممثلون يعرفهم المشاهد الغربي لكي يتحقق للفيلم الإقبال الجماهيري المطلوب، وتصل الرسالة لأكبر عدد ممكن . وأراد أن يقدم تراث الأمة ممثلاً بشخصية صلاح الدين لأنه يعتقد بأن الأمة العربية والإسلامية تحتاج لقائد مثل صلاح الدين يتحدث للغرب باسم المسلمين أو بالنيابة عنهم.

كما شغلت بال العقاد الكثير من القضايا الأخرى مثل قضية الشيشان والبوسنة والهرسك، وكان يتمنى أن يقدم فيلماً عن محمد شامل الشيشاني الذي حارب الروس القياصرة. وكان لديه كذلك مشروع عن صبيحة الأندلسية المرأة التي حكمت الأندلس. وكان منشغلاً بالتحضير لسيناريو فيلم يتحدث عن الوثيقة التاريخية التي نشرتها صحيفة الصنداي تايمز البريطانية عن وفد أرسله ملك إنجلترا جون الثالث إلى خليفة المسلمين في قرطبة عام 1213م يقترح فيه أن تكون بلاده تحت حماية الخليفة وأن تعتنق الإسلام، وأن تدفع إنجلترا الجزية إلى الخليفة، لكن جواب الخليفة كان : (إن ملكاً يقبل أن يبيع شعبه ومملكته لا يستحق حمايتنا).

قتل العقاد في 11 نوفمبر 2005م مع ابنته ضمن ضحايا الانفجار الذي حصل في فندق غراند حياة- عمان، وكانا قد حضرا إلى عمان لحضور حفل زفاف أحد الأصدقاء، فحصل الانفجار، الناتج عن عملية انتح ارية، لحظة وجود العقاد في بهو

الفندق واستقباله لإبنته القادمة للتو من السفر، توفت ابنته ريما في الحال، بينما مات هو بعد العملية بيومين متأثرا بجراحه(1).

تجد أخي القارئ كم كان دور هذا الرجل عظيماً وكم كان سينجز للأمة لو قدر الله له أن ينجح في تنفيذ أفكاره؟! ترة كم نحتاج من أمثاله كي نقتحم باب الفن والإعلام أكثر وأكثر لنوصل رسالتنا ونفهم الآخر حقوقنا؟!

لقد اقتحم هذا الفارس الإعلامي والفني المغوار بمفرده عرين الليث الهولويدي الحصين، واستطاع بذكاءه وفطنته وشجاعته وإيمانه بقضية أمته أن يقدم للعالم بأسره وبلغة السينما التي يفهمها الجميع أروع الأدلة وأنصع الأمثلة في عظمة فكر وعلم ورقي وخلق وشجاعة هذه الأمة في زمن التردي والسقوط والسفاسف والرذيلة . وكان مؤمناً بأن مجده الشخصي لا يتأتى إلا من خلال مجد أمته ونصرة قضايا دينه فعاش من خلال ذلك ومات على ذلك بعد أن كانت جع بة أحلامه ملأى بالمشاريع العظيمة التي يريد من ورائها أن ينهض بالأمة من كبوتها، ولو قدر الله له ما أراد لتحقق الكثير من أحلامه الصافية الراقية، ولكن قدر الله وما شاء فعل، وحسب الرجل ما نوى وخطط واجتهد فرحمة الله عليه ونسأل الله تعالى أن يغفر له ويتجاوز عنه ويجزيه على خير ما كان يريد لنصرة أمة حبيبه لأجل عيون الحبيب عليه الصلاة والسلام.

ب: المنشد البريطاني يوسف اسلام

يوسف إسلام (ولد في 21 يوليو 1948) وهو مغني وكاتب أغاني بريطاني، حققت مبيعات ألبوماته مايقارب من 60 مليون نسخة، اعتنق الإسلام وغير اسمه من كات ستيفنز (Cat Stevens) إلى يوسف إسلام و أصبح منشدا ولديه العديد من

---

(1) انظر موسوعة ويكيبيديا (http://en.wikipedia.org/). وكذلك تقرير (العقاد رحلة م بدع) من موقع الجزيرة نت.

الإصدارات آخرها an other cup أو فنجان آخر وله أنشطة خيرية داخل بريطانيا وخارجها.

اسمه الأول ستيفن ديمتري جورجيو، ولد في لندن من أم سويدية و أب من أصل يوناني، وكانت عائلته تدير مطعم في شارع شافتسبري بالقرب من ميدان بيكاديللي بلندن، وبالرغم من أن والده يوناني أرثوذكسي ووالدته معمدانية، أرسل ستيفن إلى مدرسة كاثوليكية. ومن ثم تم الطلاق بين والداه عندما كان في الثامنة، وبعدها بعد ة سنوات رحل ستيفن مع والدته إلى يافل بالسويد.

كان المشهد مأساويًا.. الشاب الإنجليزي ستيفن جورجيو ذو الثمانية والعشرين ربيعًا يسبح في البحر في صيف عام 1975، دوامة شديدة تظهر فجأة فيشعر بضعف شديد يجعله غير قادر على الاحتفاظ بتوازنه في الماء.. لا يجد أحدًا قريبًا منه يمكن أن يساعده.. ينادي بأعلى صوته لعل أحدًا ينقذه لكن من غير جدوى.. وحين أوشك على الغرق صرخ بأعلى صوته : يا رب.. وأخذ على نفسه العهد: "لئن أنقذتني فلسوف أعمل من أجلك شيئًا"! كان هذا الشاب هو كات ستيفنز الذي كان يلقب بملك موسيقى الروك آند رول في بريطانيا، وحين استجاب الله له ونجاه من ضره، كان أول ما حرص عليه أن يبر بوعده فلم يمكث كثيرًا حتى أعلن إسلامه وصار يوسف إسلام أشهر دعاة الإسلام في الغرب الآن!

بدأ حياته الفنية في سن صغيرة بعد دراسة قصيرة للفن في سن 18 عاماً، ينقسم مشواره الفني إلى مرحلتين الأولى تلك التي حقق فيها نجاحالا بأس به بعد أغنية "سأقتني بندقية" وإضطر إلى التوقف عن الغناء بسبب مرضه بالسل الذي كاد يودي بحياته وهو في سن 19 عاما، مما إضطره إلى الرقود بالمستشفى لمدة عام تقريبا . بعد رحلة المرض تلك بدأت المرحلة الثانية من حياته الفنية التي حقق فيها نجاحات رائعة. حققت إغان له مثل "عالم متوحش" و" طلع الصباح" شهرة عالمية. وفاز في السبعينات إلى جانب ألتون جون كأفضل كاتب أغاني في بريطانيا. وتتميز أغانيه بحسها الفلسفي العميق والتأملي في الحياة التى نحياها وتجلياتها وما بعدها من موت.

في ظل بحثه الدائم عن المطلق والحق، مرّ بتجارب عدة أشرف فيها على الموت المحقق ورآه رؤية العين ، كما الناس جميعا، استوقفته تلك المواقف ، وكانت من أسباب توجهه للبحث عن طريق دين إلى الله تعالى وإلى ذاته وإلى الكون. فقدر له الله أن تأسره البوذية بملائكيتها ولم تدم إذ أدرك أنه بشر. ثم هداه الله إلى الإسلام حيث وجد الحرية المطلقة للإنسان في العبودية الله ، ووجد سلم الانسان للارتقاء إلى الملأ الأعلى فترك الدنيا وذهب للبحث والتأكد من الطريق، ثم التعمق والإدراك.

وكان قد تصادف حادث الغرق ومرض كات ستيفنز بالسل مع عودة أخيه من رحلة زار فيها القدس وأحضر فيها هدية له عبارة عن نسخة مترجمة من القرآن. ويحكي كات هذه اللحظة في مذكراته : "أمسكت بالمصحف فوجدته يبدأ باسم الله، فنظرت للغلاف فلم أجد اسم مؤلف، حاولت أن أبحث فيه عن ثغرة أو خطأ فلم أجد، إنما وجدته منسجمًا مع الوحدانية الخالصة؛ فعرفت الإسلام".

وبعدها قرر كات ستيفنز السفر إلى فلسطين، ودخل المسجد الأقصى فأحس بالطمأنينة، وعندما رجع إلى لندن التقى بفتاة مسلمة صرح لها برغبته في إشهار إسلامه فأخذته إلى المركز الثقافي الإسلامي بلندن، وهناك نطق بالشهادتين وأعلن إسلامه. وفي تلك اللحظة طوى الشاب الإنجليزي صفحة "كات ستيفنز" تمامًا وأصبح يعرف باسم "يوسف إسلام".

وبدخوله الإسلام اعتزل يوسف إسلام الموسيقى الصاخبة ورأى أن يستغل موهبته التي أعطاه الله إياها في خدمة الدعوة إلى الله فقام بتسجيل عدد كبير من الأناشيد الدينية التي ألفها بالإنجليزية مع تطعيمها بكلمات وجمل عربية لإكسابها روحًا إسلامية عذبة، فبدأ منذ 1993 في تسجيل مجموعة من الألبومات وصلت حتى الآن إلى 10، وحرص في تلك الألبومات على إيصال قيمة ومفهوم الإسلام للمسلمين وغير المسلمين؛ إذ تضمنت هذه الشرائط أناشيد وأغنيات دينية ذات محتوى تثقيفي تعليمي. فقدم أول ألبوماته الإسلامية كمنشد بعنوان "حياة آخر الأنبياء" الذي روى فيه

القصة الكاملة لحياة الرسول، كما تضمن أغنية "طلع البدر علينا"، وتلاه بالألبوم الثاني عام 1997.

وبالإضافة إلى هذين الألبومين سجل يوسف إسلام عددًا من الأغنيات الإسلامية للأطفال من أشهرها "هذا من أجل الله" التي تحولت إلى نشيد رسمي في عدد كب ير جدًّا من المدارس الإسلامية في بريطانيا، وقدم بعدها أغنيتين مع فريق الأناشيد الماليزي "ريحان"، وهما: "الله هو النور"، و"خاتم الرسل".

وتعليقًا على هذه النوعية من الموسيقى والغناء شدد يوسف إسلام في اللقاءات التي أجريت معه على أن الإنشاد الديني وسيلة صالحة لمحاربة الموسيقى الفاسدة؛ فهو يرى أنه من غير الطبيعي أن يُمنع الناس من الترفيه والاستمتاع بأوقاتهم، كما أضاف في أحد اللقاءات الصحفية: "إذا كنا نرى السوء في بعض الأشياء فعلينا مهمة توفير البديل الحلال ليستمتعوا به؛ فأنا أحرص دائمًا على أن تكون أناشيدي الدينية على نفس المستوى الفني والتقني لألبوماتي السابقة حتى لا ينفر منها أحد".

كما افتتح يوسف إسلام في سبتمبر 2002 مقرًا إقليميًا لشركة "جبل النور" للتسجيلات والإنتاج الإعلامي ذات التوجه الإسلامي في دبي، في خطوة استهدفت تعزيز نشاط الشركة في منطقتي الشرق الأوسط والأقصى، وتعمل "جبل النور" في مجال إنتاج المواد الإعلامية المسجلة على أسطوانات CD وDVD وأشرطة الفيديو، بجانب طبع الكتب والمؤلفات الخاصة بشرح ثقافة وقيم الإسلام.

وقد ركز يو سف إسلام على إيصال صوته إلى الأطفال انطلاقًا من أن المجتمع الغربي مبتلى بحوادث عنف وقتل يقوم بها الأطفال، بسبب عدم ترسيخ روح الإيمان بالله في نفوسهم منذ الصغر، وهذا الأمر جعل يوسف إسلام يخصص شريطًا للأطفال يعرفهم فيه بالله، وسماه: (A is for ALLAH) وأرفق مع الشريط كتيبًا صغيرًا كتب فيه: "إن الطفل الغربي يتعلم منذ اليوم الأول: (Apple A is for) ولكنني أريده أن يتعلم منذ الحرف الأول: (A is for ALLAH)؛ الأمر الذي سينعكس عليه في المستقبل".

كان ومازال الرجل مريدا للخير لوجه الخير ، فبدأ مشوارا عمليا من الأفعال الخيرية المتسلسلة بكل أنواعها حتى طرق باب فعله الأول ، الكلمة واللحن، فقدم في التسعينات بعض الأغاني الدينية التى تميزت بالرقة الشديدة والبساطة المتناهية وفى نفس الوقت بالعمق الشديد الذى يتناسب مع عمق شخصيته الإيمانية والفنية. واستمر في النشاطات الإنسانية في بريطانيا وبالتعاون مع منظمة اليونيسيف التابعة للأمم المتحدة، وكانت له رحلات عديدة أثناء الحرب في يوغسلافيا السابقة في التسعينات. حصل على جائزة السلام من رابطة الفائزين بجائزة نوبل في العام 2005م وسلمه الجائزة آخر رئيس للأتحاد السوفيتي السابق ميخائيل غورباتشو ف. وفي عام 2006م أصدر " كأس أخرى" وهو الإسم الذي اختاره للألبوم الجديد.

في طور تعلمه للإسلام أصبح معلماً أيضاً فتستضيفه جامعات بريطانية عريقة للحوار عن حياته والدين الإسلامي. وقد حاول بكل جهده إنقاذ حياة المختطف البريطاني في العراق"بيل كيلي" ولكن دون نجاح، وهو معارض للقتل والعنف بكل أشكاله.

وقد أسس يوسف إسلام مؤسسة خيرية أطلق عليها اسم Small Kindness، وهي توفر المساعدات لليتامى والفقراء في البوسنة وكوسوفو والعراق و أفريقيا، كما أسس العديد في المدارس الإسلامية، وطالب إسلام الحكومة البريطانية بتخصيص ميزانية للمدارس الإسلامية أسوة بالمبالغ التي تخصصها الحكومة للطوائف الدينية المسيحية واليهودية، ورغم أن الحكومة لم تستجب لطلبه آنذاك فإنه لم ييئس، بل استمر في حملته إلى أن وافقت حكومة بلير على تخصيص ميزانية لدعم المدارس الإسلامية ببريطانيا، وهو عضو ناشط في المجتمع المسلم في وطنه وخارجه.

رغم اهتمام يوسف إسلام بأمور المسلمين المختلفة فإن جل اهتمامه انصب على التعليم الذي رآه البداية الحقيقية لتكوين جيل مسلم في أوروبا، فبدأ اهتمامه بالتعليم الإسلامي عام 1983 عندما أصبح رئيس وقف المدارس الإسلامية ببريطانيا؛ فأسس المدرسة الابتدائية الإسلامية تحت اسم "إسلامية"، ثم المدرسة الثانوية الإسلامية للبنين والبنات في شمال لندن –وهما أول مدرستين إسلاميتين بريطانيتين– ثم طالب يوسف

إسلام الحكومة البريطانية بتخصيص ميزانية للمدارس الإسلامية أسوة بالمبالغ التي تخصصها الحكومة للطوائف الدينية المسيحية واليهودية، ورغم أن الحكومة لم تستجب لطلبه آنذاك فإنه لم ييئس، بل استمر في حملته إلى أن وافقت حكومة بلير الحالية على تخصيص ميزانية لدعم المدارس الإسلامية ببريطانيا، وليس هذا فحسب بل نجحت حملته في دعوة الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا إلى زيارة إحدى المدارس الإسلامية بلندن والذي امتدح تلاميذها قائلا : "أنتم سفراء تقدمون المثل لأحد الأديان السماوية وهو دين الإسلام".

ولم يقتصر العمل الدعوي ليوسف إسلام على الأناشيد والتعليم الإسلامي فيوسف يدير عددًا لا بأس به من المؤسسات الخيرية الإنسانية، من أهمها مؤسسة "العطف الصغير" التي تقدم خدماتها في مجال رعاية الأطفال وضحايا الحرب في منطقة البلقان، وهي مؤسسة معتمدة لدى الأمم المتحدة، حيث مثل يوسف شخصيًا المؤسسة في اجتماعات المؤتمر السنوي الخامس والخمسين للجمعيات غير الحكومية (NGOs) في سبتمبر الماضي (2002) بنيويورك. كما يشرف يوسف إسلام على جمعية "عمار المساجد" الدينية بجانب تأسيسه لعدد من الحلقات الدراسية للمسلمين الجدد في بريطانيا.

ولبغضه للحروب والدمار والقتل دخل يوسف إسلام معترك السياسة وأصبح داعية سلام عالميا؛ فنتيجة لنشاطه وثقل مركزه العالمي قبلت الحكومة العراقية وساطته أثناء اندلاع حرب الخليج الثانية 1991، وأفرجت عن 4 أسرى إنجليز، كما وافقت الحكومتان السعودية والكويتية على إقامة مخيمات سلام على حدودهما لفريق من دعاة السلام على رأسهم يوسف إسلام، وقام بالعديد من الزيارات إلى البوسنة، وعقد العديد من الحفلات الدينية في سراييفو، وألّف ألبومًا سياسيًا عن مأساة البوسنة أسماه بـــ "ليس لدي مدافع هادرة" في 1997.

ونال يوسف إسلام نصيبه من العنجهية الإسرائيلية عندما كان يزور القدس في عام 2000 لتصوير فيلم تليفزيوني عن الأماكن التي زارها في مقتبل حياته الإسلامية، حيث رفضت السلطات الصهيونية دخوله إلى القدس، بل واحتجزته في زنزانة

صغيرة بلا ماء أو خدمات قبل أن يتم ترحيله إلى ألمانيا، وكان حجة الإسرائيليين أن يوسف يخصص جزءًا من عمله الخير ي لصالح حركة حماس؛ الأمر الذي أنكره يوسف متساءلا: "هل تقديم الأموال ليتامى الفلسطينيين دعم لحماس؟!".

وإزاء الحملة الشرسة التي تعرض لها الإسلام منذ هجمات 11 سبتمبر حرص يوسف إسلام على حضور الندوات الدينية في شتى أنحاء العالم، وأكد فيها على سماحة الدين الإسلامي وبراءته من التهم الموجهة إليه جزافًا. وعلى الرغم من مشروعية اهتمام يوسف إسلام بالسياسة فإنه كان يهتم بعدم إعلان ذلك حتى لا تتأثر المؤسسات الخيرية التي يديرها من وراء ذلك، أو أن يتم إيقافها بدعوى دعمها للإرهاب كما حدث مع مؤسسات أخرى عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وفي 6 مارس 2003 وقبيل الحرب الأمريكية على العراق أصدر يوسف إسلام توزيعًا جديدًا لأغنيته "قطار السلام " Peace Train التي استخدم فيها الدفوف والإيقاعات النحاسية وجاءت لتعلن موقفه الرافض للحرب على العراق، ويعلق عليها يوسف بقوله: "كتبت قطار السلام ضد الحرب لتصل رسالتها لقلوب الملايين، وتلبي حاجة كبرى للناس لكي يشعروا بأن ثمة أملا يتزايد؛ فأنا كإنسان وكمسلم أشعر أن هذا هو إسهامي في الدعوة للحل السلمي".

يوسف إسلام متزوج ولديه 5 أولاد؛ حرص على تعليمهم تعليمًا إسلاميًا بجانب التعليم النظامي الإنجليزي، دخل أخوه الإسلام مبكرًا، أما أبوه فقد أسلم قبل وفاته بيومين اثنين فقط[1].

هنا نتوقف عند أثر مثل هؤلاء الدعاة بأسلوب الموسيقى والنشيد والدعوة للخير والفضيلة والمساهمة في حل مشاكل البسطاء من الناس في جميع أقطار العالم في

---

(1) انظر موقع يوسف إسلام : (http://www.catstevens.com/).. وانظر مقالة (يوسف إسلام.. الدعوة بالموسيقى الهادئة)، من موقع إسلام أون لاين، علي عبد المنعم، 2003/06/08، http://www.islamonline.net/arabic/famous/2003/06/article02.SHTML.. وكذلك موسوعة ويكيبيديا (http://en.wikipedia.org/).

تقريب قلوب الناس في مختلف الأقطار لمحبة الإسلام ودين الإسلام لأنه دين خير وسلام ورحمة وبشر وتيسير.

جـ : المنشد سامي يوسف

سامي يوسف هو مغنى إسلامي بريطاني من مواليد يوليو في سنة 1980م في طهران في إيران، ويعيش حاليا في بريطانيا بمدينة مانشيستر. ولد في إيران لأسرة ذات أصول أذرية (أي من أذربيجان) ونشأ وترعرع في إنجلترا.. وأسرته موسيقية أثرت فيه، فمنذ سن مبكرة استطاعت الموسيقى أن تحتل جزءا كبيرا من حياته، فقد تلقن أصولها على يد والده الملحن والشاعر والعازف الموسيقي المتعدد المواهب الذي كانت له يد كبيرة في صقل وتشذيب ميولات ابنه الموسيقية . ومنذ بداية حياته بد أ سامي بالعزف على آلات مختلفة وأبان تدريجيا عن مهارات عالية بالعزف والتلحين وأيضا الغناء، كما تعلم على يد العديد من الملحنين والموسيقين المشاهير ومن ضمنهم موسيقين من الأكاديمية الملكية للموسيقى في لندن، وهو واحد من مؤسسات العالم هيبة في فن الموسيقى.

كان لإنتاجه الإنشادي التأثير القوي في مستمعيه من المسلمين وغيرهم، و قد قام بأصدار ألبومه الاول (المعلم) في يوليو من عام 2003م، ولاقى الألبوم نجاحا منقطع النظير حيث باع ما يزيد عن المليون نسخة، ثم أصدر ألبومه الثان ي (أمتي) في عام 2005م والذي لم يقل نجاحا عن ألبومه الأول حيث باع حوالى 3 ملايين نسخة. وقام سامي يوسف بأحياء الع ديد من الحفلات في عدة مدن من اسطنبول حتى الدار البيضاء، ومن الولايات المتحدة الأمريكية حتى ألمانيا [1]

---

(1)عن موسوعة ويكيبديا (http://en.wikipedia.org/).

د : تجربة الإعلامي أحمد منصور

أحمد منصور، مذيع مصري الجنسية يعمل في قناة الجزيرة القطرية، من مواليد 16 يوليو 1962م.

يحمل شهادة بكالوريوس آداب من جامعة المنصورة في مصر 1984م، وعهدت إليه إدارة المطبوعات والنشر في دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع في مصر 1984-1987. وكان مراسل لشئون أفغانستان وآسيا الوسطى للعديد من الصحف والمجلات العربية في باكستان، وقام بتغطية الحرب الأفغانية 1987-1990م. ثم أصبح مدير تحرير مجلة المجتمع الكويتية 1990-1997م. كما قام بتغطية الحرب في البوسنة والهرسك 1994-1995م. وقام قام بتغطية معركة الفلوجة الأولى في العراق 2004م.

صدر له 16 كتابا منها : تحت وابل النيران في أفغانستان، تحت وابل النيران في سرايفوا، النفوذ اليهودي في الإدارة الأمريكية، قصة سقوط بغداد وغيرها.

قام بتحويل برنامج مشاهد إلى كتاب مقروء حيث أعد سلسلة كتاب الجزيرة عن الذين شاركوا في برنامج شاهد على العصر وصدر منها كتاب "جيهان السادات.. شاهد على عصر السادات" و"الشيخ أحمد ياسين.. شاهد على عصر الانتفاضة" وغيرها.

وهو كاتب مشارك في العديد من الصحف والمجلات العربية، وعضو نقابة الصحفيين المصرية، وجمعية الصحفيين البريطانية وصحفيون بلا حدود الفرنسية وجمعية الصحفيين الدولية.

له أسلوب إعلامي مميز في اختيار الموضوعات التي يعرضها وهي تمس مشاكل الناس والأمة فضلاً عن اطلاعه الواسع . وقد أثبتت لقاءاته وبرامجه الثقافية المهمة نجاحها وتميزها وفائدتها للمجتمعات[1].

---

(1) عن موقع إسلام أون لاين، علي عبد المنعم، 2003/06/08، الجزيرة نت.. وكذلك موسوعة ويكيبيديا (http://en.wikipedia.org/).

هــ: تجربة الشيخ مشاري العفاسي

مشاري بن راشد بن غريب بن محمد بن راشد العفاسي هو قاريء للقرآن الكريم ومنشد أيضا وهو من الكويت. يتمتع بصوت عذب وقوة في التحكم بطبقات الصوت وروعة الأداء. له العديد من الإصدارات التي انتشرت في الوطن العربي والعالم.

من مواليد 11 رمضان عام 1396هــ الموافق 5 سبتمبر 1976م. درس القراءات العشر والتفسير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية. وأجيز القارئ في قراءة عاصم بروا ية حفص من طريق الشاطبية، كما سافر القارئ مشاري إلى مصر للحصول على إجازات من كبار مقرئي العالم الاسلامي مثل الشيخ المعصراوي . ودرس الشيخ مشاري في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة و تتلمذ على أيدي كبار علماء ومقرئي المدينة النبوية المباركة في كلية القراءات.

ويؤم الشيخ مشاري المصلين في العشر الأواخر من رمضان بمسجد الدولة الكبير بدولة الكويت، وله شعبية كبيرة في الخليج، وشعبية أكبر في مصر.

كما له قناة خاصة به فيها إبداع كبير جداً ليس من حيث جمال الصوت في القراءة والنشيد لكن إبداعه يكمن في تحويله المتون إلى دراما معاشة حياتياً في كليبات قصيرة، فهو يحول الحديث والدعاء والابتهال إلى سلوك اجتماعي معاش وهنا تكمن روعة الربط والإسقاط اليومي[1].

ح : تجربة الشيخ نبيل العوضي

اسمه: الشيخ الخطيب نبيل العوضي داعية نشيط له برامج إذاعة وتلفزيونية منها السيرة النبوية وهو من مواليد الكويت.

---

(1) انظر موقع الشيخ على الشبكة (www.alafasy.com).. وكذلك موسوعة ويكيبيديا (http://en.wikipedia.org/).

تكمن روعة تجربته ليس في إدائه المتميز في الدعوة والوعظ وإنما كيف أنه بدأ يوظف الدراما التلفازية والإعلامية في الدعوة بشكل عصري مميز وهو ما بينته إنتاجاته الأخيرة التي عرضت على قناة الوطن الكويتية (قصص الأنبياء) و(السيرة النبوية) اللتان تقعان في 29 حلقة كلها حركة درامية مؤثرة وليس سردد قصصي فقط.

و : تجربة الاعلامي السعودي أحمد الشقيري

هو الاعلامي السعودي الشاب أحمد الشقيري الذي يقدم برامجه في قنوات مهمة مثل الرسالة وإقرأ و(MBC) مثل برنامج خواطر وغيرها . وتتميز برامجه بأنها واقعية أكثر من كونها سردية، ويكمن إبداعه في أنه يوظف التاريخ والسير والقصص لتحويلها لحل مشاكل معاشة ومحاولة التعرض لسلبيات اجتماعية وسلوكية معاصرة ووضع الحلول لها.

كذلك لا يمكن أن ننسى تجارب شخصيات دعوية مؤثرة ومنفتحة عربية وغير عربية مثل تجارب كل من :

- الشيخ الدكتور عائض القرني.
- الشيخ الدكتور سلمان العودة.
- الدكتور طارق السويدان.
- الدكتور محمد العوضي.
- الشيخ الدكتور عمر عبد الكافي.
- الدكتور علي العمري خصوصاً في برنامجه مذكرات سائح.
- الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي.
- الشيخ الدكتور سعد البريك.

❖ الأستاذ عمرو خالد خصوصاً في برنا مجي (صناع الحياة) و(دعوة للتعايش)، إذ يكفي أنه اختير من قبل إحصائيات كأحد أبرز 100 شخصية مؤثرة في العالم.

❖ الداعية الإسلامي الإندونيسي العصري عبد الله جيمنستيار [1].

ثالثاً: تجارب فردية ومؤسسية أخرى في مجالات شتى

لو أتينا على بعض التجارب الفنية والإعلامية المميزة يمكن أن نستعرض بعضها سريعاً:

❖ أثر الدراما التقويمية الدراما السورية: المسلسلات السورية التي تتعرض لسرد قصصي من تراث المدن الشامية والتراث الدمشقي تحديداً تعرض صفات وأخلاق وفضائل لتلك الحقب الزمنية المباركة وكيف ان الأخلاقو الفضيلة والالتزام والمبادئ كانت تحكم تلك الحياة. وقد حققت تلك المسلسلات نجاحات كبيرة في استقطاب الناس وجعلتهم يتعلقون بتلك الأيام الجميلة.

❖ قنوات الأطفال المميزة مثل قناة طيور الجنة التي تعرض أناشيد هادفة خاصة بالأطفال وتنشئتهم إسلامياً، وكذلك قناة الجزيرة للأطفال وما تعرضه من برامج تربوية جيدة مقارنة بتلك المعروضة في سواها . فالرسوم المتحركة الإسلامية والبرامج التربوية الهادفة التي تبثها الحقيقة تنم عن جهد وفكر

---

[1] وهو داعية عصري أندونيسي، صاحب مؤسسة (إدارة القلب) التي تضم 18 شركة، من بينها قناة فضائية، ومحطة راديو، ودار نشر، وأستوديو تسجيلات، ووكالة إعلان، ومكتب سياحة، وشركات لتسويق العقارات، والمياه الغازية، ومساحيق الغسيل والمكرونة ومشروب (قلبو كولا) المكتوبة على علبته نصائح الداعية القصيرة.. لمزيد معلومات عنه يمكن للقارئ الكريم زيارة موقع إسلام أون لاين . وقد كتبت عنه بعض الصحف الغربية كمقال في صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية، نشر في 2 يونيو 2004، ومقال آخر في صحيفة "تايم آسيا" الصادرة بالإنجليزية في 11–11–2002. وبعض المقالات ترجمت مثل مقال: (الأخ جيمنستيار.. داعية أندونيسي "نيو لوك "!)، ترجمة وتحرير – نهي الإبياري، الموجود على رابط:: http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1182774727705&pagename=Zone-Arabic-ArtCulture%2FACALayout

ومنهجية واضحة في تنشئة الجيل بشكل سليم . وهذه الرسوم المتحركة الهادفة وغيرها من البرامج التي تبنتها قناة الجزيرة للأطفال هي بـديل مهم وجوهري عن تلك البضاعة الفاسدة التي تعرضها قنوات الأطفال الأخرى التي تجتر ما ينتج في الغرب والشرق مما لا يناسب واقعنا وعاداتنا لكي تعرضها على أطفالنا وتعمل على إدامة التأثير السلبي فيهم.

- ❖ تجربة باقة قنوات المجد الفضائية في البث القرآني والثقافي والع لوم الشرعية كلها تعتبر تجارب جيدة في مجال التنوع الإعلامي، كما إن تجربة فضائية الهدى الناطقة باللغة الإنجليزية والتي تستقطب العديد من الدعاة من غير العرب وبعض العرب أحياناً يمكن اعتبارها أحد أهم النماذج التي ننادي بها في عصرية الدعوة.
- ❖ الحال نفسه يقال عن تج ربة فضائية الشارقة التي تتميز باختيار جيد لنوع برامجها الناضجة والثقافية المنوعة والهادفة.
- ❖ كذلك الأمر بالنسبة لتجربة قناة الجزيرة الوثائقية وما تقدمه من برامج علمية ووثائقية وثقافية مهمة جداً تعطي الفوائد الجمة في قضية التعليم الإعلامي العصري، ورغم أن أغلب برامجها مدبلجة عن برامج تشتريها من قنوات أجنبية مثل ديسكوفري الأمريكية وبي بي سي البريطانية وغيرها .
- ❖ في المجال الرياضي وكيفية استغلاله في الدعوة إلى الله : يمكننا أن نستعرض تجارب الأبطال المسلمين في الرياضة مثل الملاكم الأمريكي المسلم محمد علي كلاي وكيف انه وقف مع قضايا أمته، وتجربة العداءين المغاربة الأبطال الفائزين بجوائز عالمية وكيف أنهم سفراء فوق العادة لأمتهم وحضارتهم وتراثهم، كذلك ظاهرة السجود عند منتخب كرة القدم المصري واللاعب الداعية أبو تريكة، وأيضاً الملاكم اليمني نسيم حميد وغيرهم الكثير ممن رفعوا من خلال الرياضة راية أمتهم في ساحة خطيرة ومهمة للدعوة وهي الساحة الرياضية في عالم جعل من هذه الرياضة ميدانياً تنافسياً حضارياً وفق

تعريفات صحيحة في أحيان وناقصة في أحيان ولكن في جميع الأحوال فهي ميدان تنافسي علينا ولوجه وتقديم الصورة التي تليق بنا كأمة شعا رها الفروسية والشجاعة والإقدام وإرثها التوبوي والتعليمي في مجال القوة البدنية يتمحور حول تعليم أولادها السباحة والرماية وركوب الخيل.

- ❖ في مجال المعارض والمهرجانات هناك تجارب جيدة حصلت مثل تجربة معرض اسلام اكسبو الذي أقيم في بريطانيا في مايو من عام 2008م وحقق نجاحاً ممتازاً في مجال عرض الإسلام بالطريقة العصرية واستقطب اهتمام العديد من الأوربيين والسواح من مختلف الأقطار لما عرضه من ثقافة وحضارة وعمارة ومؤلفات ومحاضرات ومنشورات تتعلق بعظمة هذه الأمة وتاريخها فعرف الإسلام للغربيين بشكل جعل الزائرين يتأثرون كثيراً ، وهذا هو المطلوب. كذلك الحال في معارض الكتاب العالمية والتظاهرات الثقافية المختلفة في النشيد والمسرح والمطبوعات وغيرها . وكمثل طيب حصل مؤخراً ما قامت به قناة إقرأ من تبني تجربة مهرجان جوائز المحبة الذي جمعت به جميع المنشدين الإسلاميين من مشارق الأؤضو مغارب ها فتغنوا في حب الحبيب عليه الصلاة السلام وحب الإسلام فكانت تجربة ناجحة واجب تكرارها وتعزيزها على نطاق أوسع.
- ❖ وفي مجال المواقع نجد مثلاً تجربة موقع الإرث الإسلامي (http://www.muslimheritage.com/) الذي يتحدث عن منجزات المسلمين في شتى صنوف العلم وما قدموها للعالم من اختراعات وتقنيات رائعة وهو باللغة الإنجليزية والحقيقة أنه تجربة فريدة نتمنى أن تعزز وتعضد. كما إن تجربة موقع إسلام أون لاين يعتبر من المواقع المهمة اليوم وكذلك مواقع أخرى لدعاة ومفكرين وعلماء ينتهجون الوسطية منهجاً طيباً يؤدي دوره في التغيير والدعوة العصرية.

تلك كانت عينة مختصرة من مبدعين مسلمين في مجالات العلم والإعلام قدموا أعمالاً جليلة كان لها آثاراً دعوية ونهضوية وتنموية وعلمية وثقافية متميزة على جميع الصعد. ولقد كانت أعمال هذه النماذج من العينة المأخوذة فعالاً وإصلاحياً ونهضوياً ودعوياً بشكل عصري منفتح متقبل للآخر ومعين له على النهضة، فكان جراء عمل بعضهم إسلام العديد من الناس، وقام البعض الآخر بهداية آخرين وإرجاعهم لطريق الحق، وقام آخرون بإعانة البعض على النهوض من كبواته وتحويله لعنصر فعال في المجتمع، بينما قام آخرون بتوضيح الصورة القاتمة للمسلمين وتبيان الدين على حقيقته لدى الغربيين المخدوعين بهالة الإعلام العالمي المفتري، وآخرون أثروا في الغير وهيئوا لهم طريق الهداية والصلاح والفاعلية في المجتمع، وهكذا.

فماذا لو تمكنت الأمة من جمع أعمال هؤلاء وأمثالهم بعمل جمعي مؤسسي منظم يتم توزيع الدوار فيه وفق منهجية واضحة وليس خبط عشواء كل يعمل بمفرده ووفق مجهوده الخاص... هذا تحديداً أهم ما ننادي به.

فمن كل تلك التجارب يتبين لنا كيف أن الاهتمام بنماذج دعوية تستلهم روح ا لعصر في الخطاب يعتبر من أهم مقومات انتشار الدعوة على مستوى العامل وننجح بالتالي في توسيع دائرة انتشار الإسلام في العالم بمختلف توجهاته أكثر مما هي موجودة اليوم. فرغم أن الإسلام اليوم أكثر الأديان انتشاراً ووصل إلى حوالي 20% من سكان الأرض إلا أن وتيرة التصا عد العددي مع الاهتمام بالنوع سيؤدي إلى أننا سنكون في وقت ليس ببعيد حوالي 40 –50 % من سكان العالم كما يتوقع المحللون والمنظرون والستراتيجيون وهذا هو وعد الله تعالى بنصرة دينه وانتشاره في كل بقاع الدنيا فلا يبق بيت حضر ولا وبر إلا ودخل فيه ولو كره الكافرون.

إذن اتباع خطوات التعجيل تلك تكون عن طريق جمع الجهود في أعمال مؤسسية من جهة، وتقوية عمل الأفراد من جهة أخرى، وكذلك وهذا هو الأهم توزيع الادوار والتنسيق بين الجماعات الدعوية في كل أنحاء العالم، والبحث عن مستثمرين يعينون

أهل الفكر والعلم على تحقيق مرتكزات الد عوة العصرية لتعجيل وتيرة أسلمة الناس والحياة والمجتمعات بما يرضي الله ويعز أهل الحق، والله الموفق.

الخاتمة

والاستنتاجات

إن ما يحصل اليوم من نشاط دعوي موجه للمسلمين وغيرهم لا يشكل إلا نزراً يسيراً من إمكانات الأمة للنهوض والتغيير والإصلاح، وإن ما يمكن القيام به يعد الكثير لو تم توفير مستلزمات جعل الدعوة مؤثرة في عالم عولمي معقد ومتغير.

يقوم هذا ا لبحث على تقديم فكرة الدعوة العصرية المتناغمة مع متغيرات العصر والمتفاعلة مع الواقع العالمي والإسلامي . ويقوم البحث بعرض الفكرة والتحليل والتنظير والتأصيل والتقنين والتأطير والتفصيل والتطبيق.

إن عصرية الدعوة هي خلاصة ما أمر به الأنبياء عليهم السلام أن يخاطبو ا الناس على قدر عقولهم كما أخبرنا الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . وهو المفهوم الذي يدخل ضمن معنى قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (إبراهيم: 4). فاللسان يشمل أسلوب التفكير والثقافة أي لسان الحال وليس النطق فقط أو لسان المقال وهذا يعني أن المقصود به مخاطبة الناس على قدر أفهامهم ووفق ثقافة عصرهم وبيئتهم، ونحن تلك الأمة التي لو دونت ما تملك من حق وحجة في كتاب ل ملأت صفحاته المسافة بين الأرض والشمس.

إن هذا المشروع الحضاري للأمة أفراد ومؤسسات وحكومات ودول ينبني على أساسين رئيسسيين هما :

1- العلم

2- الإعلام

أما الركيزة الأولى فتعنى بالتعليم والعلم والبحث والمخترعات وإعمال العقل والذهن والذكاء مستفزة عناصر الإبداع ومتنهضة همم النجاح بكل مقوماتها وشروطها وقوانينها لنضع الأمة في طريق النموذج الحضاري المنقذ الذي تحدثنا عنه في المقدمة لهذا الكتاب . وكل ذلك وفق أحدث ما توصل له أهل التخصصات في تلك المجالات الإنسانية كما هو مختصر في ملاحق الكتاب الثلاثة.

يتفرع عن هذا المحو ر الرئيسي محور التعليم بكل مراحله، فيؤدي إلى تبني تأسيس مراكز علمية وتعليمية وبحثية وتقنية متخصصة في شتى مجالات العلوم الشرعية والطبيعية تتبنى إنشاء أجيال يربطون علوم الدين والشريعة بعلوم الكونيات والطبيعة ليكونوا خير ممثلين لدعوة القرآن في عصرنا الحاضر ع صر العلوم الطبيعية التي أزاحت بتعقيداتها تلك الرقائقية والشفافية للروح وجعلت منها ساحةً قفراً جدباً خرباً . فكأن الساحة اليوم صارت فسطاطين فسطاط أخذ بالعلوم الطبيعية الصرفة وراح يتكلم بالعقل والمنطق والأسباب والعلل والشواهد والتجارب والمختبرات والحقائق الملموسة فصدقه معظم الناس، وفسطاط أخذ بالعلوم الشرعية الصرفة وراح يتلكم في ظلال غابات وحدائق غناء من الصفاء والنقاء والروحانيات والأخلاق والمثاليات تاركاً تسقيط ذلك على عالم قاس بقساوة غابات الخرسانة والفولاذ والحجر الصوان . وعليه فالأخذ بالسببين الشرعي والكوني لتكوين جيل متسلح بكل أسلحة كتاب الله الخالد وعلومه الغزيرة سيزيح عن العالم ظلام ليل العلوم الملحدة ونعيق علماء الطبيعة الجاحدة وينير الدرب لأعين عميا ويمتلك مفاتح قلوب غلفى فتصغى إليه آذان كانت بالأمس صمى.

ومن هذه الركيزة العلمية لمشروع عصرية الدعوة يتفرع كذلك الدعوة لإنشاء مؤسسات بحثية في مجال علوم وتقنيات القرآن والسنة وتراث الأمة الخالد . ولقد أعانني في هذا المجال ما توصلت له بفضل الله تعالى من اختراعات إسلامية المصدر من القرآن والسنة وتراث الأمة المجيد. هذا الأمر أعانني عليه خلاصة بحوثي وكتبي المنشورة وأمور وفتوح أخرى منها ما تبنته شركة بريطانية ومنه ما ينتظر، وتشجيع الأمة على تبني هذه الأنماط التقنية لنوصل للعالم رسالتنا العلمية الثقافية الحضارية. كما يتفرع منه الدعوة لإنشاء مراكز ومؤسسات بحثية ستراتيجية اقتصادية وسياسية واجتماعية وبيئية ومجتمعية وغير ذلك.

كل تلك الدعوات تحتاج لأدوات تنفيذ وشروط نجاح ومستلزمات تفعيل مثل رؤوس الأموال والمستثمرين والداعمين رسميين وغير ذلك مما سنناقشه في فصل مستقل هو فصل التطبيقات والمشاريع[1].

وأما الآخر فهو تبني أعمال إعلامية ضخمة ومتميزة نستطيع من خلالها أن نقدم الإسلام للغرب بأسلوب يخاطب عقولهم وهو ما أمر به الأنبياء عليهم السلام وهذا تركناها للفصل اللاحق.

هذا المشروع المتكامل الذي ينبني على هاتين الركيزتين العلم والإعلام يحقق أهدافه من خلال عدة وسائل:الدعم المالي والعلمي والمهني : وهذا قد يأتي من أفراد أو جماعات أو مؤسسات مجتمع مدني أو مؤسسات حكومية بل وحتى دعم حكومي مباشر . ويركز على دعم المؤسسات العلمية الموجودة أصلاً في بلدان الغرب وكذلك في بلدان المسلمين وتأسيس مؤسسات علمية جديدة تعنى بتثقيف الدعاة والمصلحين بتعليمهم لغات مختلفة وثقافات أخرى وطرائق تدريس حديثة متنوعة لتوسيع المدارك والأفهام وتقوية الحجة في مخاطبة العوام.

2. استخدام تقنيات العصر المعلوماتي : من خلال تسخير تلك التقنيات في المحاضرات والدروس عبر الشبكة العالمية والفضائيات كبدائل متاحة عن تأسيس الجامعات والمعاهد العلمية والبحثية .العلوم والتقنيات: الاختراعات الإسلامية المستنبطة من القرآن والسنة وإرث الأمة لتصنع بشكل تقني عصري يجلب لنا عقولهم وقلوبهم قبل أموالهم . ومن ذلك أيضاً عمل معاهد ومؤسسات صناعية وهندسية تستقطب العالم لفنون وصناعات الأمة وتراثها كفن العمارة الإسلامية مثلاً أو ما بينه المسلمون في اختراعاتهم وصناعاتهم في مجال الطاقات النظيفة .الإعلام والفن المرئي والمسموع:

---

(1) وضعنا كذلك ملاحق تبين التنظيرات الخاصة بمقومات وقوانين النهضة والنجاح والإبداع لغرض وضعها وتسخيرها في

البرامج التلفازية عالية التقنية وبلغة العصر الحاسوبي وبفن متميز يستقطب إليه الألباب . وكذلك تبني العروض السينمائية والمسرحية التي تعرف بالإسلام وعلى رأس هذه الوسيلة أفلام الرسوم المتحركة التي لها تأثير كبير على أعمار الأجيال القادمة من الغربيين فاليابان اكتسحت الغرب بأفلامها التي تثير الضغينة والحقد والكراهية والتي أثرت سلباً على أجيالنا نحن. فلم لا نكون من ينطلق للعالم من تراثنا الغزير بأساليب تقنية عصرية من خلال هذا الأسلوب؟ !. كذلك هناك النشيد الإسلامي وأثره الفعال. هذا فضلاً عن المحاضرات والمناضرات في شتى العلوم وأثر الإسلام فيها وإقامة المعارض والمهرجانات للتعريف بالإسلام الحنيف.عمل مؤسسات سياحية دعوية : تستثمر أموالها في السياحة الدعوية لتجعل من الدعاة أدلة سياحيون في سبيل خدمة الدعوة كي لا يكتفوا بالدعوة القولية بل ينتقلوا لتفعيل الأثر النفسي من الدعوة الفعلية والتطبيقية كزيارة المواقع الأثرية التي كانت منطلقات النور العلمي والحضاري الإسلامي في شتى أقطار المعمورة والكشف عما خفي في مجال سبق المسلمين في مجال الكشف الجغرافي والتاريخي وفق منهجي ة (سيروا– فانظروا) القرآنية العظيمة. المطبوعات: مثل الكتب والمنشورات والمؤلفات والبحوث التي تدعم هذا التوجه في شتى العلوم الإسلامية وخصوصاً علوم القرآن والسنة وتراث الأمة العظيم ومنجزات علماءها في شتى الصعد، وكذلك إنجازات الإعجاز العلمي والعددي في القرآن الكريم والسنة المطهرة وما تحتويه من كنوز تجذب عقول القوم وتبين لهم **ما لدينا من حجج قاطعات**. وبينا أن الركيزة الأولى أي ركيزة العلم يشتق منها محاور رئيسة أربعة هي:

أولاً: محور التعليم بجميع مراحله

ثانياً: محور العلم الشرعي وكيفية مخاطبة الآخر به

ثالثاً: محور المخاطبة باستخدام الاعجاز العلمي بأنواعه المختلفة

رابعاً: محور تبيان عظمة الإسلام من خلال المكتشفات والمخترعات والتقنيات من القرآن والسنة وتراث الأمة

وأعطينا نموذجين واقعيين للخطاب العصري كنماذج هما:

1. الأزمة المالية العالمية وتبيان روعة النظام الاقتصادي الإسلامي كبديل ناجح للنظام الرأسمالي الجشع المتطرف أو على أقل تقدير محاولة المزاوجة بينما كمرحلة أولى أخذاً بمبدأ مرحلية وتدرج التغيير.
2. المشكلة البيئية العالمية وتبيان عظمة النظام الإسلامي المتوازن في البيئة وعدم الهدر للطاقات والعدالة في توزيع الثروات واستخدام الطاقات النظيفة الصديقة للبيئة والتكافل الاجتماعي وغير ذلك، بل وتقديم النموذج في ذلك.

وقد بينا أن لكل واحد من تلك الأنواع وسائل ومتطلبات تستدعي تنشيطها لغرض النهوض بها، ومن ذلك:

- ❖ الدعم المالي والعلمي والمهني الذي يأتي من أفراد أو جماعات أو مؤسسات مجتمع مدني أو مؤسسات حكومية بل وحتى دعم حكومي مباشر . ويركز على دعم المؤسسات العلمية الموجودة أصلاً في بلدان الغرب وكذلك في بلدان المسلمين وتأسيس مؤسسات علمية جديدة تعنى بتثقيف الدعاة والمصلحين بتعليمهم لغات مختلفة وثقافات أخرى وطرائق تدريس حديثة متنوعة لتوسيع المدارك والأفهام وتقوية الحجة في مخاطبة العوام.
- ❖ استخدام تقنيات العصر المعلوماتي من خلال تسخير تلك التقنيات في المحاضرات والدروس عبر الشبكة العالمية والفضائيات كبدائل متاحة عن تأسيس الجامعات والمعاهد العلمية والبحثية.
- ❖ تشجيع الأساتذة والمربين المتخصصين في صنوف العلم المختلفة في مدارس وكليات ومعاهد التعليم في الدول الإسلامية كبديل آخر، وهي الحالة الموجودة حالياً في الأمة والمطلوب تشجيعها بالإكثار من تلك التجربة وتعميقها

وتطويرها وترسيخها . إذ إن تلك النماذج القيادية يمكنها زرع الأمل في صناعة النموذج في الأجيال بل واستنهاض تلك النماذج ممن يتوسمون فيه ذلك.

- ❖ تطوير الكفاءات التدريسية الملتزمة المتواجدة فعلاً في الساحة وذلك بتشجيعها على التثقيف في علوم أخرى بما يساعدها على الوصول للموسوعية المطلوبة لمخاطبة الشرائح المختلفة وذلك عن طريق الدورات التثقيفية المكثفة ومؤسسات تنمية الموارد البشرية وأساليب التواصل والتخاطب وكسب الآخر وهندسة التأثير وغيرها من علوم التنمية البشرية والثقافية والتعليمية.
- ❖ كسب الكفاءات التعليمية المتأثرة بالمنهج الليبرالي والرأسمالي أو النموذج الغربي عموماً ومحاولة جذبها للإسلام عن طريق الحوار الجاد بما يتطلب وجود نماذج محاورة قوية متسلحة بحجج علمية وثقافية عميقة وهو ما يتعلق بالنقطة السابقة الخاصة بتطوير الكفاءات التدريسية الملتزمة. أما الكفاءات التي لا تزال متأثرة بالنماذج الأخرى كالنموذج الاشتراكي والشيوعي والقومي فلا يمكن إغفالها رغم انحسار مدها وتأثيرها على الأمة بسبب الأخطاء الجسيمة التي وقعت بها مدارسها الفكرية والمآسي التي سببتها تجاربها الدموية في شتى أصقاع الأرض، بل يجب الإسراع لتعديل وجهتها الفكرية نحو أسلمتها رغم صعوبة الأمر بسبب الأخطاء التي وقع بها الإسلاميون في بعض الأقطار ما سبب حرجاً كبيراً للدعوة لمثل هؤلاء، وهذا ما يتطلب التوعية الحقيقة والتطوير المبرمج المرتبط بالنقطة السابقة أيضاً.
- ❖ تشجيع التخصص في أطوار التربية حسب الفئات العمرية ونوع الجنس، وهو ما يستدعي تطوير التخصصات في علوم النفس والاجتماع والسلوك، كما يستدعي عقد المؤتمرات الرابطة والمنسقة والموزعة للأدوار . ففئة الأطفال وفئة المراهقين وفئة الشباب بل حتى فئة الشيوخ والعجائز يجب إيجاد متخصصين لكل فئة منها تخاطبها وتدربها وفق منهجية صحيحة.

❖ استغلال البطالة المستشرية في الأمة ودعم مشاريع تأهيلها واستغلال الوقت الضائع لدى الكثيرين م نهم لتأهيلهم في صلب اختصاصاتهم لجعلهم في خدمة الدعوة العصرية، فالطبيب العاطل والمهندس العاطل والاقتصادي العاطل والإداري العاطل والفني والتقني وغير ذلك ممن ينطبق عليهم صفة البطالة يمكن تأهيلهم لدعم التربية والتعليم الدعويين واستغلال طاقاتهم المعطلة وتحويلها من حالة السلبية المجتمعية أو على الأقل الصفرية المجتمعية لحال الإيجابية والفعل المؤثر بالاتجاه الصحيح.

❖ دعم النشر المكتبي والإلكتروني كبديل حديث ومهم في مجال الكتاب والبحوث المنشورة كي يستفيد منها المعلم والمتعلم والناس جميعاً، خصوصاً في مجال النشر الإلكتروني الذي أصبح اليوم بديل ستراتيجي عصري فعال في مجال التعليم والثقافة عموماً بعد انتشار الانترنت واستخداماته على نطاق واسع . ويكون ذلك بتشجيع تأسيس المؤسسات الحكومية والعامة والخاصة في هذا المجال الاستثماري الثقافي المهم.

❖ تشجيع الناس على كسب العلوم والثقافا ت والمعارف الحديثة في مجال التنمية البشرية والثقافية عن طريق الدخول في دورات تعليمية في آداب الحوار وهندسة التأثير وصناعة التغيير ومن ثم تشجيعهم على ولوج الحوارات البحضارية البناءة مع الآخر عن طريق المجالس والمنتديات الحوارية الإلكترونية عن بعد التي أثبت تأثيرها بين الناس على مستوى العالم لغرض استخدام هذه الطاقات البشرية في الأمة لعرض منهجية ووسطية وروعة الدين الإسلامي العظيم، على أن يتصدى لذلك من لهم الأهلية والإمكانية في الطرح والحجة والنقاش.

ومن ذلك أيضاً بعض وجوه الخلل والنقص في الخطاب الدعوي الموجه للذ ات أي المسلمين وللآخر أي من غيرهم:

1. لعل أبرز معلم من معالم هذا النمط من الخطاب يتأتى من خلال استفزاز المقابل مهما كان توجهه الفكري في محاولة جذبه لطريق الحق من خلال الاهتمام بحل مشاكله الاجتماعية منها والأسرية والمجتمعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية والسلوكية بتقديم نموذج إسلامي للحل يجعله يدين لهذا الدين لأنه أحسن إليه، وقد قيل (إن الإنسان مجبول على حب من أحسن إليه). أي بمعنى أدق تبيان استنباط الحلول من القرآن الكريم والسنة المطهرة في المشاكل الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية والأخلاقية الدولية والمحلية التي تجتاح العالم اليوم، أي إسقاط الحلول الإسلامية على ميدان الواقع وما يعانيه العالم اليوم من أزمات كي يعلم الآخر أن إسلامنا هو حقاً دين كل زمان ومكان تطبيقاً لا شعارات وتنظيرات مجردة وخطب رنانة يكتفى بالوقوف عند حدودها دون إيجاد النموذج المطلوب على أرض الواقع. فعلى سبيل المثال لو أردنا أن نجعلهم متعايشين مع القرآن والسنة علينا أن نجعلهم يتحسسون سبب نزول الآية التي نزلت في حداثة ما بما يعني أن تلك الحداثة كانت سبباً في تدخل السماء وعليه فهي مهمة جداً بل وخطيرة، ومن هنا ننطلق لمفهوم إسقاط حالات مش ابهة من الواقع على تلك الأمثلة ونقزل للناس أن تلك الأحداث لو كان هناك وحي لنزلت فيها آيات كتلك التي نزلت في شبيهتها وقت الدعوة المباركة لنجرك فيهم لغة التواصل والإحساس ونزيل جليد البلادة والصلادة عن القلوب التي أثرت فيها الحياة العولمية فجعلتها تصدأ أو هي قريبة من ذلك.
2. بالنسبة لخطاب الذات مثلاً وأقصد به خطاب المسلمين هناك نقص واضح في النموذج الراهن في البرامج والكتب والمحاضرات الدعوية، بمعنى إن التركيز على قصص السلف وإن كانت مهمة لكنها تجعل المتلقي يعيش في عالم ليس عالمه، وبالتالي علينا أن نكون دعاة محللين للواقع ويستلهمون قصص واقعية من عصرنا الراهن ليشعر المتلقي أن الخير موجود ليس فقط في عهود

الخيرية الأولى ولكن في عهود نحن جزأ منها وبالتالي يزداد عنده اليقين والأمل في خيرية هذه الأمة وأن فيها الخير إلى يوم القيامة . إن هذه الدرر والكنوز من قصص الواقع المعاش تبعث الأمل وتعطي الدفعات الروحية أكثر من قصص السلف التي وإن كانت مؤثرة فهي بعيدة عن واقعنا اليوم . أما ذكرها من باب التذكير ضمن إطار الذكر العام لقصص واقعية معاشة فهو مطلوب للتواصل الحضاري وتبيان عظمة التأريخ وإسقاطه على الواقع . وهنا علينا أن نشرك الناس و نستبين قصص واقعية منهم في معان سامية كأثر الصدقات في حياتهم وأثر البركة والدعاء والرزق الحلال والاستقامة وغير ذلك من المعاني الخلقية الرفيعة.

3. كذلك نخاطب الناس من خلال مشاكل يعانوها ومحاولة إيجاد الحلول لها من خلال استنباط تلك الحلول من الشرع الحنيف وكذلك من الخلق العام لأن الناس جبلوا على حب من أحسن إليهم.
4. في حالة خطاب الآخر : إن علينا أن نفهم كيف يفكر الغرب وهل هو فرقة واحدة أم فرق، علينا بتفكيك الأمر لنعطي لكل فر قة دوائها، فهناك المتعصب لقوميته، وهناك المتعصب لدينه، وهناك المتعصب لإلحاده، وهناك العلماني والوسطي والعلمي وغير ذلك من تقسيمات.. وكي نخاطب الجميع فنحن أمام أمرين أما أن نخاطب كل فئة بما تفهم، أو أن نجد المشتركات بين الجميع لنخاطبهم بلغتهم. وليس من لغة عصرية نخاطب بها أهل الغرب على اختلاف مللهم ونحلهم لنجعلهم يفهموا عظمة الإسلام من أن نخاطبهم بأسلوب دعوي عصري لنوصل لهم العلم الشرعي والعلوم الأخرى . وكمثل على هذا تقوية العلماء في مجالات الحوارات المقارنة مع الأديان الأخرى أو الفلسفات والأفكار الوضعية بل وحتى العقائد الفاسدة تماماً كما فعلت وأثرت محاضرات الدعاة المسلمين من الهند وجنوب أفريقيا مثل أحمد ديدات –رحمه الله تعالى– والدكتور ذاكر ومناظراتهم مع المتعصبين لدينهم من أهل الكتب المقدسة

كالتوراة والإنجيل أو أهل العقائد الفاسدة كالبوذيين والهندوس من جهة، وأه ل العلوم الطبيعية من جهة أخرى.

5. ضرورة أن يكون الداعية متسلحاً بعلوم عصرية عديدة الأمر الذي يربطنا بالنقطة الأولى وهي نقطة التعليم وطلب العلم والحث عليه فأول العلم الاستماع كما يقولون.

كذلك علينا أن نوظف السبق القرآني والإعجاز بصنوفه المختلفة العلمية والعددي ة والهندسية والبلاغية والصوتية والغيبية والقصصية وفي مجال الكوارث الطبيعية وقوانين صعود ونزول الحضارات ودمار الأمم وهلاكها وغير ذلك . فالمطلوب هو توظيف استخدام هذا الموضوع الخطير في نشر الدعوة على أوسع مطاق وبلسان الأقوام المخاطبين ولا نحصره في لغتنا العربيـة الكريمة وإنما يجب استخدام الترجمة للكتب والمؤلفات والمنشورات والمحاضرات المرئية والمسموعة وغير ذلك فضلاً عن توسعة النشر الفضائي المرئي والمسموع فهو يغني عن ملايين الكتب وهذا يرتبط بموضوع الإعلام.

أما في موضوع المخترعات من القرآن والسنة وتراث الأمة فقد اس تنتجنا ان هذا الموضوع فيه خير كبير ويجب دعمه على كافة الصعد والمجالات لتعريف العالم بعلمية ورقي هذا الدين وملائمته لعصر العلوم والتقنيات تماماً كملائمته لكل عصر ومصر وبيئة ومجتمع. ومن بين تلك الأمثلة الكثيرة التي بيناها:

(1) اكتشاف منظومة الثوابت الهندسية القر آنية وثوابت المواد والظواهر والطاقات كما أثبتت كتب سلسلتنا (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادرة عن جائزة دبي للقرآن الكريم.

(2) اكتشاف منظومة البناء والتشييد بالشد التي ركز عليها الكتاب والسنة.

(3) اكتشاف واستغلال الطاقات الجديدة وخصوصاً تلك التي تستنبط من كتاب الله المقروء.

(4) اكتشاف واستغلال مواد جديدة كما بينا في شأن السقف الفضية.

(5) اكتشاف الخلائط القرآنية كحال القوارير الفضية ومحاولة الوصول لها وتقديمها للعالم كاختراع قرآني مذهل.

(6) اكتشاف وتصنيع الكيميائيات القرآنية كحال الطين اللازب والمستحضرات الطينية التنظيفية.

(7) اكتشاف تقنية الترشيق النبوية.

(8) الاستنباط من الفكرة مباشرة على أساس قانون المحاكاة أو تقنيات الطبيعة ولكن هذه المرة المحاكاة تكون لما ذكره الله تعالى في كتابه المقروء (القرآن الكريم) وليس من كتابه المنظور (الكون والطبيعة من حولنا).

أما الركيزة الثانية أو ركيزة الإعلام فقلنا أن إمكانات وتقنيات الإعلام الرقمي والفضائي تحتم علينا أن نلج هذا المجال بقوة لأن حقيقة فكر وعقيدة وإيديولجيا الدور الإعلامي العولمي المؤثر في العالم لن يكون هناك من يقابله في حالة تركنا للساحة دون أن نأخذ دورنا في تنقية الأجواء الخانقة التي فرضتها علينا العولمة الثقافية ونزيل ظلمات الرذيلة بأنوار الفضيلة . وأن علينا تحديد دورنا بكل وضوح ونضع الوسائل الكفيلة للنجاح، ومنها:

❖ الدعوة الإعلامية نحو الأمم الصاعدة والمؤثرة في عالم الغد بعد الوصول لقناعة مفادها أن نظام العالم ذات القطب الواحد في طريقه للزوال لا محالة، ومن هنا يجب التحرك الإعلامي والثقافي نحو الأمم الأكثر ترشيحاً للعب دور الشريك في العالم الجديد مثل الصين والهند وحتى روسيا، على أن لا ننسى دورنا اتجاه أوربا الساعية بقوة كي يكون لها دور مستقل عن الحليف التقليدي الولايات المتحدة الأمريكية التي وإن بدأ نجمه في طريقه للزوال على مسرح الغد لكنها تظل بحاجة قوية لجهودنا الإعلامية والثقافية الكبيرة كذلك.

- ❖ تبني عمل أفلام وأعمال سينمائية ضخمة تتحدث عن الإسلام بأسلوب يفهمه أهل الغرب على غرار فلم الرسالة وعمر المختار.
- ❖ التوجه بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة نحو المؤثرين اجتماعياً وثقافياً كالممثلين والفنانين والإعلاميين والمفكرين ممن يؤمنون بالأفكار الأخرى كالفكر الحر العلماني والليبرالي والشيوعي وغيرهم. وربما هنا نحن بحاجة ماسة لعمل منهاج عمل واضح للتحرك باتجاههم وتعريفهم خطورة دورهم وكيف أن من بوابتهم يمكن للامة أن تنهض.
- ❖ عمل مشاريع محطات فضائية برؤوس أموال إسلامية تخاطب العالم بلغته شرقيها وغربيها وباستخدام مقدمين ودعاة وعلماء وفنانين ومنشدين من أهل الغرب والشرق وليس من العرب كي يكون التخاطب من ثقافة القوم لا دخيلاً عليهم.
- ❖ دعم وتقوية عمل القنوات الفضائية الإسلامية الموجودة بكل الوسائل الممكنة ورفدها بدعاة ومفكرين ومحللين وإعلاميين ومتخصصين بشتى العلوم الحديثة في مجال الإعلام الحديث التي بيناها في هذا الفصل . لكن بالمقابل على تلك القنوات أن تفتح ذراعيها لكل الإمكانات التي تريد أن تقدم خدماتها وخبراتها في مجال الإعلام والفن دون أي تحيز أو تعصب لدولة أو فئة.
- ❖ توجيه أولادنا نحو اقتحام علوم الإعلام الحديث والاتصالات الرقمية وتقنيات المعلوماتية الخطيرة والفن الراقي بكل صنوفه وتقنياته المهمة وزجهم في هذه الساحة الجهادية العظيمة وعدم الاكتفاء بتوجيههم كي يكونوا مشايخ حصراً أو فنيين في الطب والهندسة تحديداً، لأن في ذلك تأدية لفرض كفاية كما يقولون مشايخنا وعلماؤنا الجلاء، والله أعلم.
- ❖ تشكيل أجيال تربوية وثقافية وإعلامية تتوجه نحو هدف مؤكد وعمر محدد بالخطاب التربوي والفني الدرامي والإعلامي والترفيهي المباح، فأين نحن من إعلام الطفل مثلاً والفن الموجه له سواء في مجال الرسوم المتحركة المستنبطة

من تراثنا وثقافتنا؟ وأين نحن من المراهق والشاب والشيخ والمرأة وهكذا؟!. ولا أقصد هنا البرامج الحوارية فقط، فقد تكون جيدة في بعض جوانبها ولكن أقصد العمل ا لإعلامي المتميز والدرامي المتخصص . وهذا يقتضي تشجيع تكوين كوادر درامية متميزة في كتابة النص والإخراج والتمثيل والتخصصات الفنية الأخرى تحمل أهداف سامية ورؤية واضحة وتفاني في العمل وقبل ذلك إخلاص كامل لله تبارك وتعالى فمن ذلك يأتي التوفيق والفاح والسداد والنج اح تماماً كما فعل المخرج السوري مصطفى العقاد فوفقه الله تعالى لأن يكون مؤثراً بهذا الحجم العالمي وفعالاً في تغيير نظرة الآخر لنا ولتراثنا ولديننا ولحضارتنا العظيمة بعد أن ملأت أدوات الإعلام المعادية أذهانهم فعكست لهم نظام التوجيه ليخلطوا بين الحق والباطل بل ويعكسوا محاوره.

- تشكيل عمل متصفحات إسلامية خاصة تنافس المتصفحات الغربية كالياهو والغوغل والإلتيفيستا وغيرها كي يكون عرض الإسلام فيها بالشكل المطلوب دون أية تدخلات.
- تشكيل شركات ومؤسسات تتبنى فرق عمل إنتاج حاسوبي ضخمة تقوم بإنتاج أعمال رسوم متحركة ثلاثية الأبعاد للتعريف بالإسلام والشخصيات الإسلامية وتراث الأمة العظيم.
- تأجير ساعات بث في التلفزيونات الأوربية والأمريكية لعرض الإسلام سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم لتشكيل خط دفاع أول ضد كل من تسول له نفسه التهجم على مقدساتنا وذلك بأن يكون ذاك الخط هو وعي الناس أنفسهم من أهل تلك المجتمعات بحقيقة الإسلام بلغة وثقافة ونمط خطاب نابعة من داخلهم يفهمونها بيسر وبشر فنحن مأمورون بالتبشير والتيسير.
- تكثيف الحلقات النقاشية في كبريات المحطات الفضائية وباستخدام أناس يعلمون ثقافة القوم ليكون التخاطب بلسانهم وبأسلوبهم فيكون النفع أعم.

- ❖ تسيير قوافل دعوية لعلماء ودعاة سواء من داخل بلدان الغرب أو بدمجهم مع من يتبرع لهذه المهمة السامية من علماء الداخل الإسلامي تجوب عواصم الغرب شغلها الشاغل أن تقف في المحطات والمواقف والحدائق والتجمعات لتفهم الناس سنته العطرة.
- ❖ عمل عروض مسرحية على خشبات المسارح الغربية بممثلين مسلمين فتتحول جهودهم للخير والفضيلة بدل ما يقدموه لنا من أسقام ومهازل.
- ❖ دعم الأناشيد الإسلامية الناطقة بلغاتهم لتبين لهم حقيقة هذا الدين ودعم الحفلات التي تقيمها الفرق الفنية في بلدانهم وتنقل عبر الفضائيات .عمل مخترعات إسلامية منبعها القرآن والسنة وتراث الأمة تعرض على الآخر ليعلموا عظمة هذا الدين المتين وعظمة رسوله صلى الله عليه وسلم يمكن ان نصل بهما وبغيرهما إلى قلوب وعقول القوم .دعم المهرجانات والمعارض الإسلامية في كبريات المدن العالمية لتقديم الإسلام بشكل جذاب وعملي .دعم إقامة مناظرات ومحاضرات في نظام السوق الإسلامي والاقتصاد الإسلامي وروعته وعدله وفرقه عن النظريات الاقتصادية الأخرى كالرأسمالية والاشتراكية والشيوعية وغيرها.
- ❖ توسيع استخدام المطبوعات كالكتب والمنشورات والبحوث في شتى العلوم الإسلامية وبلغات العالم كافة.

ثم عرجنا لتوضيح التطبيقات والمشاريع المتفرعة من كل ما سبق وهي مشاريع عصرية الدعوة، وقسمناها إلى المشاريع الصناعية الإسلامية و المشاريع الستراتيجية الإسلامية:

فأما المشاريع الصناعية الإسلامية، فتم تقسيمها إلى:

1. مشروع الألعاب الإسلامية
2. مشروع الإلكترونيات
3. مشروع المواد الإسلامية

4. مشروع الأجهزة الإسلامية

وأما المشاريع الستراتيجية الإسلامية فوضعنا لها تقسيمات أخرى:

1. مشروع البيئة الإسلامية
2. مشروع العمارة الإسلامية
3. مشروع المركز البحثي والتقني
4. مشروع الأزياء الإسلامية
5. مشروع العيادات الطبية الإسلامية
6. مشروع الإنتاج الفني والإعلامي الإسلامية

ثم ضربنا بعض الأمثلة في مشاريع يمكن تنفيذها مثل تطبيقات مشروع مؤسسة البحث العلمي والتقني في القرآن والسنة، تطبيقات في المشاريع الصناعية الإسلامية والاستفادة من فكرة المشاريع الصغيرة والاستفادة من تجربة مشروع بنك الفقراء، وكذلك تطبيقات في المشاريع الستر اتيجية الإسلامية: فكرة تقنية (البنيان المشدود) ضمن فكرة (بناءً كفافاً) والاستفادة من فكرة العمارة الخضراء أو العمارة البيئية.

كما استعرضنا بعض النماذج الناجحة في العلم والإعلام من الذين أثروا وغيروا ولو تمكنا من جمع الجهود المبعثرة وتوزيع الأدوار المتناثرة لتمكنا من تركيز التأثير وتفعيل التغيير وتسريع النهضة. فبينا أن اتباع خطوات تعجيل خطى الدعوة وتسريع وتيرة تأثيرها تكون عن طريق جمع الجهود في أعمال مؤسسية من جهة، وتقوية عمل الأفراد من جهة أخرى، وكذلك وهذا هو الأهم توزيع ا لأدوار والتنسيق بين الجماعات الدعويۃ في كل أنحاء العالم، والبحث عن مستثمرين يعينون أهل الفكر والعلم على تحقيق مرتكزات الدعوة العصرية لتعجيل وتيرة أسلمة الناس والحياة والمجتمعات بما يرضي الله ويعز أهل الحق، والله الموفق.

وذكرنا أن أهم رسائل يسعى لتقديمها هذا الكتاب رسائل عامة وأخهرى خاصة. فأما الرسائل العامة فهي:

1 -رسالة للعالم .

2 -رسالة للمسلمين عموماً.

وأما الرسائل الخاصة فهي:

1 -رسالة إلى الحكومات والمؤسسات.

2 -رسالة للمسلمين من أهل التخصصات العلمية.

3 -رسالة إلى المختصين من الباحثين والصناعيين والحرفيين والتقنيين والفنيين.

4 -رسالة للمستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال ورجال الأعمال.

5 -رسالة للإعلاميين والفنانين والأدباء.

6 -رسالة لمشايخنا وعلماءنا الأكارم.

إن من أهم أهداف هذا الكتاب هو شحذ الهمم وإطلاق العنان لرسم أحلام نيل الأسباب والتخطيط لتحقيقها بما حبا الله تعالى شباب هذه الأمة وعلماءها من خ ير وخلق وعلم وصدق وهمة، وذلك ضمن مشروع دعوي رسالي نهضوي عصري أسميناه عصرية الدعوة لتعريف العالم بعظمة وحركية وشمولية هذا الدين العظيم.

ولعل من أهم ما يحاول هذا الكتاب ترسيخه مبدأ (أسلمة الحياة) أو (أسلمة العصر) لنشر الفضيلة والعدل والخير والتكافل والمحبة تحقيقاً لمبدأ الاستخلاف الذي نحن مأمرون به والوقوف أمام هذا الغول المرعب الذي يدمر كل فضيلة وخير المسمى العولمة البغيضة وما تبثه من ظلم وموت ودمار وبهرجة فارغة لا محتوى فيها . وهو نفس المبدأ الذي انطلقنا منه في جميع كتبنا وبحوثنا استجابة لما ينادي به مفكرو ا لأمة وعلماؤها ودعاتها . وقد حاولنا من تمكين القارئ الكريم مهما كان تخصصه علمياً تطبيقياً أم علمياً شرعياً بل حتى أصحاب الثقافات المحدودة من أن يزاوج في نظرته لكل تلك التفاصيل لنخرج بحصيلتين مهمتين تقرب أساليب نظرتنا وتفكيرنا مفادهما:

1. تثقيف أصحاب العلوم الشرعية والدعاة بمفاهيم الدعوة العصرية وفق لسان العصر.

2. تنوير أصحاب العلوم الطبيعية والتطبيقية والإنسانية بعظمة دينهم وسبقه لكل ما درسوه وفهموه وإن اختلفت المصطلحات والتسميات بين العصرين، عصر التنزيل وعصر العلوم التطبيقية.
3. من هنا يمكننا أن ننطلق لنكسر القيود ال مانعة لنهضة ونصر هذه الأمة التي ظلت قاصرة عن استنباط أسباب النصر والنهضة من داخلها مع أن الخير كله يجري بين يديها.

إن هذا المشروع يحتاج لتضافر الجهود ودعم الكثيرين من الأخوة والأخوات أفراد ومؤسسات وحكومات لنخرج معاً من شح أنفسنا وضيق تفكيرنا إلى هم قضيتنا الأول والأوسع وهو إسلامنا الحبيب.

وهل نجح السلف الصالح من ركوب ذرى المجد إلا بعد أن نزعوا من أنفسهم كل تلك القيود الثقيلة فانطلقوا على بركة ربهم وبإيمانهم فوصلوا إلى ما علمتم. وهل يمكننا أن نستمطر رحمات الله تعالى ونطرق أبواب النهضة ون صعد سلم الرقي الحضاري إلا أن نفعل الدعوة لتكون حياة ويكون الناس كلهم خادميها ومتفاعلين معها فنعمل لتأهيل المفاتيح التي يتأتى منها النصر ألا وهم الرجال، فنأتي بمفاتيح أبواب الخير ونكسر مفاتيح أبواب الشر، فعن سهل بن سعد رفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قال : (عند الله خزائن الخير والشر مفاتيحها الرجال فطوبى لمن جعله مفتاحا للخير ومغلاقا للشر وويل لمن جعله مفتاحاً للشر ومغلاقا للخير)[1].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لنكون من أهل الخير ومن مفاتحه وطارقي أبوابه لننعم من خيري الدينا والآخرة ..

(1) سنن ابن ماجه [جزء 1 - صفحة 87، رقم 238]، في الزوائد إسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن.. قال الشيخ الألباني : ضعيف جدا.. وأورده أبي يعلى في مسنده [جزء 13 - صفحة 439 ، 7526].. قال حسين سليم أسد : إسناده ضعيف.. وورد في المعجم الكبير [جزء 6 - صفحة 150، 5812]، وكذلك [جزء 6 - صفحة 189 ، 5956]

وصلى اللهم وبارك وأنعم على خير البرية وأشرف رسول للبشرية سيدنا محمد بن عبد الله نبي الأمة الأمية والرحمة المهدية والنعمة المسدية.

الملاحق

الملحق – أ– : قوانين النهضة والإبداع والنجاح في الأفراد والأمم والحضارات

الملحق – ب – : مثال الدعوة العصرية بالعلم في تحليل الأزمة المالية العالمية وتبيان روعة النظام الاقتصادي الإسلامي كبديل ناجح للنظام الرأسمالي الجشع المتطرف أو على أقل تقدير محاولة المزاوجة بينما كمرحلة أولى أخذاً بمبدأ مرحلية وتدرج التغيير

الملحق –جـ –: مثال الدعوة العصرية بالعلم في تحليل المشكلة البيئية العالمية وتبيان عظمة النظام الإسلامي المتوازن في البيئة وعدم الهدر للطاقات والعدالة في توزيع الثروات واستخدام الطاقات ال نظيفة الصديقة للبيئة والتكافل الاجتماعي وغير ذلك، بل وتقديم النموذج في ذلك

الملحق – أ–

الملحق – أ– : قوانين النهضة والنجاح والإبداع في الأفراد والأمم والحضارات

قوانين النهضة في الأمم والحضارات

لقد قدم الخبير الستراتيجي في شؤون النهضة الأستاذ الدكتور جاسم السلطان مباحث قيمة في موضوع التنظير للنهضة ووضع قوانينها ومنهجية الصعود والترقي الحضاري وفق المنهج الإسلامي الوسطي الواضح بما يتناسب مع قوانين الله تعالى في الكون والتاريخ.

ولعل المادة في الجزء الأول من هذا الملحق ستكون تلخيصاً موجزاً لكتب الد كتور السلطان في سلسلته الخماسية ضمن كتب مشروع النهضة، سلسلة أدوات القادة، فضلاً عن ما وضع من مباحث قيمة على موقع مشروع النهضة الذي يديره الأستاذ الفاضل.

__تقديم:__ إن المرحلة التاريخية المقبلة للأمة تشهد تحولات كبيرة وجذرية، وعملية الانتقال إلى وعي مكافئ للمرحلة يقتضي عملاً جاداً يمكن أن نطلق عليه الانتقال من طور الصحوة إلى طور اليقظة، وهذا هو جوهر هذا المشروع الذي يعالج قضايا الفكر الرئيسة التي تثيرها التحولات الكبيرة الجارية وذلك بغرض خلق مرجعية ذات وزن في الأمة، ويعالج أيضاً تنظيم الخارطة المعرفية عند المهتم ين بمصير الأمة ومآلها.. بغرض تنظيم قراءة الواقع واتخاذ قرارات بشأنه . كما إن إيجاد المرجعية الفكرية للأمة وحده لا يكفي؛ بل لابد أن يلازمه تنظيم الخارطة العقلية للمتلقين لمشروع النهضة حتى يحسنوا العمل، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره.

ولقد أبرز الدكتور جاسم سلطان أن المشكلة الحقيقية التي تواجه النهضة لا تكمن في التحديات ولا المعيقات والعقبات بقدر ما تكمن في الإنسان الذي هو محور هذه النهضة، بحيث أن الإنسان الذي يبتعد عن الوعي بها وبقوانينها يشكل تهديدا لا يمكن معه الحديث عن تقدم ولا عن نهضة . يقول الدكتور جاسم: (أن التاريخ عرف تجربة نموذجية في تحقيق النهضة رغم كل الصعوبات والتحديات التي كانت تحيط بمترعمها

وقائدها، وهذه التجربة النموذجية هي تجربة الحركة الدعوية للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، الذي استطاع إحداث تغيير كبير وبالتالي نهضة رائدة في المجتمع العربي).. ويؤكد الخبير في شؤون النهضة: (أن هذه الأخيرة تحكمها قوانين لا تتحقق إلا بها، وأجملها في ثلاثة، أطلق على القانون الأول اسم الحراك النهضوي ويعتمد على فكرتين مركزية وحاشدة، ففي الوقت الذي تعتمد الفكرة الأولى عل ى المبادئ العامة التي تحكم مجتمعا ما . بينما تعتمد الفكرة الثانية على نشر الوعي بالنهضة في صفوف المجتمع وتعبئة الجميع من أجلها). وبين أن الإسلام يشكل الفكرة المركزية ضمن القانون الأول للنهضة عند المسلمين إذا ما فكروا في تغيير الوضع الذي يعيشون فيه.

أما القانون الثاني ضمن قوانين جاسم سلطان النهضوية، فتتركز في اختيار الشرائح أو المجموعات الكفيلة بعمليات البدء و التغيير والبناء، ومثل لذلك بالتجربة النبوية النموذجية، ففي شريحة البدء اختار الرسول صلى الله عليه وسلم المجموعة القليلة العدد من الصحابة الأوائل لمشروعه التغييري النهضوي واعتمد صلى الله عليه وسلم على الشباب الذين بايعوه في العقبة الأولى كشريحة ثانية هدفها التغيير ضمن المشروع، فيما شملت الشريحة الثالثة أي شريحة البناء، المجتمع المدني بكامله بأوسه وخزرجه ومهاجرين.

وفسر الدكتور جاسم القانون الثالث ضمن قوانين النهضة بأنه يتعلق بسنة التدافع التي دعا المتحدث إلى الوعي بها وإتقانها واعتبر أن التدافع ليس صراعا فيه رابح وخاسر وليست بمنافسة بل هي حركة مستمرة تروم تحقيق التغيير ومساعدة المنشغلين بسؤال النهضة.

ويذكر الدكتور جاسم سلطان بضرورة استدعاء ما وصفه بالطبقة الخاملة في المجتمع إلى ساحة الفعل والتغيير لضمان م شاركة الكل أو على الأقل ضمان نسبة كبيرة من

المجتمع في صف النهضة . كما كان للمحاضر وقفات مع تجارب بعض الدول التي استطاعت أن تشق طريقها في اتجاه النهضة كالصين وبريطانيا وماليزيا وتركيا(1).

وانطلاقاً من المتطلبات اللازمة لعملية الانتقال لزم العمل على محورين : أولهما ينصب على القضايا المحورية التي تشغب على مشروع النهضة، وثانيهما ينصب على ما يتلقاه الأفراد من معارف تعينهم على التعاطي مع مشروع النهضة.

- أولاً: معالجة القضايا التي تثيرها قضية النهضة وتحديات العالم المعاصر في عالمنا الإسلامي، والتي تشكل عقبة كأداة في ط ريق فهم الدين بوصفه مكون أساس في هذه المجتمعات وتستدعي هذه القضايا الوعي بفقه النص وأثر متغيرات العصور عليه وتنزيله في واقعنا.
- ثانياً: وضع الأدوات المعرفية الضرورية للتنظيم المعرفي:

1. نموذج لإطار عام.
2. أدوات العلوم الإنسانية الضرورية والتي تشكل علاجاً لمشكلة فهم الواقع وحسن التعامل معه.
3. أدوات العلوم الإدارية والتي تشكل أدوات التنفيذ الرئيسة.

وتحتوي الوثيقة في نهايتها على سرد لبعض هذه القضايا الأساسية والأدوات الرئيسة المطلوبة لإحداث التحولات المنشودة.

<u>النهضة:</u> إن الكثيرين ممن يتحدثون عن النهضة، لا يمتلكون إطاراً يحددون به معنىً للنهضة. فهي كلمة دخلت على اللغة العربية للتماهي مع مصطلح النهضة التي وردت في التراث الأوربي بمعنى تدفق من الحيوية أثار البشرية الأوروبية فتبدلت على إثره

(1) الملتقى الوطني الخامس، تحت شعار : [منظمة رائدة، لشباب قائد]، أعده : حسن حمورو... ملخص بحوث موقع مشروع النهضة للدكتور جاسم السلطان.

حضارة أوروبا بكاملها .. إنها دافع داخلي جدد حياة العقل والحواس والمعرفة والفن أكثر منه‌ا مذهب أو نظام.

إن عصر النهضة الأوروبية أو القرن السادس عشر شهد حوادث عظيمة، وتبدلات عميقة في أنظمة الدول الداخلية، وفي سيماء أوروبا العامة، وتتجلى مظاهر التجديد في أوروبا عصر النهضة، بحوادث كبرى، وتطورات عظيمة، أشبه ما تكون بثورات؛ فكرية، ودينية، وأخلاقية ، وسياسية، وتجديدية، في الاقتصاد الجديد . وبدا القرن السادس عشر وكأنه التفاتة نحو الماضي أكثر منها نحو المستقبل، فمفهوم النهضة في الفكر الأوروبي لم يكن قطيعة مع الماضي؛ بل هو تواصل معه واستجلاب للخيرية التي كانت فيه، ثم انطلاقٌ إلى المستقبل لمحاولة البحث عن فرصه، وما يمكن اقتناصه منه.

هذه قضية في غاية الأهمية، إذ يدّعي البعض في واقعنا بأننا يجب أن نترك الماضي بخيره وشره، وأن نتبنى ما عند الآخر بخيره وشره، وننطلق إلى المستقبل، وهذا أمر لم يحدث حتى في الحضارة التي يقوم البعض بتقليدها والإعجاب بها . فرواد النهضة الذين تفاخر بهم الحضارة الأوروبية في تلك الفترة، هم القلة التي حملت المشاعل وبدأت تكشف للناس عن جمال الماضي، وعن إمكانية الفعل في المستقبل، ولم تكن الفئة التي دعت إلى القطيعة مع الماضي، واليأس من المستقبل.

وإذا درسنا رجال الفكر في هذا العصر، رأينا عندهم مفهوماً جديداً للعلم والطبيعة والدين والأخلاق الفردية و الاجتماعية. ومما يجدر ذكره أن هؤلاء الأبطال يشعرون بأنهم في عصر حديث، فالناظر في أعمال هؤلاء المجددين في هذا العصر يرى أنهم متقدمين على عصورهم، مما جعلهم عرضة لاضطهاد معاصريهم ممن لا يفهمون آراءهم.

<u>تعريف للنهضة:</u> هي حركة فكرية عامة، حية منتشرة، تتقدم باستمرار في فضاء القرن، وتطرح الجديد دون قطيعة مع الماضي . فهي نشاط عقلي فكري في المقام الأول، يحدث في مجتمع من المجتمعات، ويقود إلى الانطلاق في مجالات العمل في شتى جوانب الحياة واكتشاف آفاقها.

وهذه الحياة الجديدة وهذا التصور الجديد لإمكانية الفعل التاريخي، ولإمكانية النظر للكون بمنظار جديد، هي السمة الأساسية لما يسمى بعصر النهضة، وهي في الوقت نفسه ليست حركة في أرض منسابة سهلة، بل هي حركة تقودها النخب فتتعرض للاضطهاد والتنكيل والمقاومة كجزء من ضريبة هذا الو ضع النهضوي الذي يتحرك فيه المجتمع.

أما ماذا تلامس من مجالات ، فهي تشمل مجالات العلم والدين والسياسية والاقتصاد والاجتماع والتعليم..

<u>أطوار النهضات:</u> إن أية حضارة تمر بأربعة أطوار:

1. الصحوة: وهي حالة من "صحا من نومه " ولم يضيء النور، فيتخبط هنا وهناك، فهي مرحلة ح ماس متدفق، وإحساس بالهوية، لكنها تفتقد الرؤية والوعي، وكثيراً ما تتضارب فيها التحركات . ويكثر الخلاف (هي الإحساس بالذات وبالهوية).
2. اليقظة: وهي مرحلة إضاءة النور، ومعرفة الوسط المحيط، فهي مرحلة وعي ورشد يلازمان الحماس، وهي مرحلة تنظيم الجهود العملية لتصب في اتجاه وهدف (هي فهم الواقع).
3. النهضة: وهي نتاج مرحلة اليقظة، وثورة الأفكار، وتتجسد في تيار متدفق من العمل الراشد في كل مجالات الحياة العلمية والتطبيقية. ولا تتكامل حلقاتها إلا من خلال أداة الدولة (هي طريقة الفعل في الواقع).

4. الحضارة: وهي النتاج المادي الملموس في كل المجالات من عمارة وفن وفكر وتصنيع وغير ذلك. وهي تمثل النموذج المنشود (هي ثمرة الفعل).

بواعث النهضة: إن البواعث في أمتنا تتمثل في التحديات الكبرى التي تواجه الأمة وهي: التخلف، الاستعمار والتجزئة. وكاستجابة لهذه التحديات الثلاث نشأت ثلاثة حلول: النهضة مقابل التخلف، التحرير مقابل الاستعمار، الوحدة مقابل التجزئة.

من أين نبدأ؟؟: هل الاستعمار هو سبب نكساتنا؟ أو ليس التخلف هو السبب؟!، ولماذا نلقي بتبعات أعمالنا على الآخر دائماً؟ !. التخلف سبق الاستعمار ، ولكن الاستعمار يحرص على تعزيز التخلف في مجتمعاتنا، فكلما أرادت مجتمعاتنا أن تنطلق من عقال التخلف أعادته آليات الاستعمار إلى نقطة الصفر مرة أخرى. إذن ما نشتكي منه حالة تخلف تؤدي حالة الاستعمار إلى ديمومته واستمراره . لذا فإن نقطتي البدء لتحقيق نهضة الأمة يمكن إيجازهما في:

- ❖ معالجة حالة التخلف: وهي النقطة المعني بها مشروعنا.
- ❖ معالجة حالة الاستعمار : وهي النقطة التي تتطلب جهوداً ومشاريع أخرى موازية.. وعاقلة.. وراشدة.

ماذا تحتاج النهضة؟: لكي تشهد مجتمعاتنا مثل هذا العمل الجبار نحو النهضة تحتاج إلى عاملين:

1. كتلة حرجة كمية : وهي موجودة الآن – وليست بالقليلة – نشهدها في الشوارع. نشهدها في الجامعات . نشهدها عند صناديق الاقتراع في كثير من الأحيان عندما تتاح الفرصة للناس أن يعبروا عن آراءهم.
2. كتلة حرجة نوعية : وهي التي تستثمر و تحول الكتلة الكمية إلى قوة حقيقة فاعلة أي أن عليها المعول في إطلاق عملية التحول والانطلاق.

إلى من يتوجه المشروع؟: إننا حين نتحدث عن نهضة الأمة فإنما نريد بذلك أن تستعيد الأمة مكانتها الحضارية، وأن تحقق التنمية الحقيقية والنهضة المأمولة، وأن تصبح جماهير الأمة مواطنين من الدرجة الأولى في الأسرة العالمية. ولما كان واقع الأمة يمكن النظر إليه من زاوية النخب الفكرية وقوى المجتمعات الحية، كما يمكن النظر إليه من زاوية الدولة القطرية والحكومات والمؤسسات الرسمية، فإن التكامل بين دور المفكرين والدول يصبح ضرورة قصوى للنهضة، وعلى ذلك فالمشروع موجه لهذين العنصرين الحيويين في أي مجتمع.

من يقود المشروع؟: لا شك أن المشروع في بداياته سيحتاج إلى قيادة النخب الفكرية المؤثرة لينتظم بعد ذلك في المشروع كل جهد نافع لأي تيار أو حزب أو مؤسسة أو أفراد مستقلين، فمرحلة اليقظة وتنظيم الخارطة المعرفية هي دور أهل الفكر والنظر.

ونحن نؤمن بأن النهضة المرجوة لا تستطيع أن تقوم بها الشعوب منفردة؛ بل لا تكون إلا بمشروع تتبناه الحكومات فتحشد قوى الشعب من أجل النجاح في تحقيق النهضة ومواجهة التحديات على الصعيدين الداخلي والخارجي، تماماً مثلما فعلت اليابان وماليزيا. ومن ثم فإننا نرى أن قيادة الحكومات للمشروع تبدأ من المرحلة الانتقالية من اليقظة إلى النهضة وتستمر حتى صناعة الحضارة، لتنطلق به من الفكرة إلى التطبيق، ومن عالم الأفكار إلى عالمي العلاقات والأشياء، ومن الأحلام والخيال إلى أرض التنفيذ. فالحكومات هي القيادة الطبيعية لهذا المشروع الاحتشادي في عالم التطبيق، بينما تمثل النخب الفكرية القيادة الطبيعية لهذا المشروع في عالم الأفكار والتنظير والبعث والتنوير والتحضير.

أين نحن الآن؟: الناظر إلى أحوال الأمة – ممثلة في أقطارها المختلفة – يجد أنها في مجملها تمر الآن بنهاية مرحلة الصحوة، هذه المرحلة التي استوفت أهدافها، وآتت أكلها في شكل تيار جارف من الطاقات التي تبغي نهضة أمتها. والحاجة الآن ملحة

إلى الانتقال إلى مرحلة اليقظة، لاستثمار هذه الطاقات المباركة وفق رؤية استراتيجية لتتدفع الجهود كلها في مسار النهضة.

لقد تمثلت مرحلة الصحوة في حماس جارف وقلة رشد وجهود قد تبدو متضاربة أحياناً، ومرحلة اليقظة تتطلب زيا دة مساحة النظر والبحث لاستخدام وسائل جديدة وفق رؤية وشراكة استراتيجية تجمع كل الطامحين للنهضة.

مرحلة اليقظة: وهي المرحلة التي نسعى للانتقال إليها، لتوظيف الطاقات التي أفرزتها الصحوة في مشروع ورؤية واحدة، نحو أهداف واضحة . حيث يسود الرشد ويقل الاختلاف. فإن اختلفنا فسنجيد فن الاختلاف.

أهداف مرحلة اليقظة : نقل الأمة من طور الصحوة العاطفي (الحماس مع قلة الرشد وضبابية الرؤية) إلى مرحلة اليقظة الراشدة العاقلة حيث يتم تنظيم الجهود العملية وفق رؤية استراتيجية تجمع كل الطاقات.

العاملون في المشروع: يضم المشروع كل جهد نافع لأي تيار أو حزب أو مؤسسة أو حكومة أو أفراد مستقلين.

احتياجات مرحلة اليقظة: في اعتقادنا أن هذه المرحلة تحتاج إلى ثلاثة عوامل:

1. التحضير الفكري الشامل والمتواصل للأمة تحضيراً ينتشلها من اليأس، ويبعث فيها الأمل ويجيب على تساؤلاتها أو شكوكها، ويوضح الرؤية، و يرسم الطريق، ويفتح لها مسارات عمل جديدة تتلاءم مع طبيعة المرحلة.
2. التواصل مع النخب المؤثرة الحاكمة لبحث أفضل السبل لعودة الحياة الحضارية، والدخول في التنافس البشري حول الأولوية.

3. إيجاد مشاريع عمل مشتركة بين كل تيارات الأمة – الراغبة في النهضة – لتؤدي إلى النتيجة الحتمية في نهضة مجتمعاتنا.

سياسات مرحلة اليقظة : البعد عن الارتجال أو الاكتفاء بالاقتصار على استثارة العواطف. إذ أن المرحلة يجب أن تسير في كل حركاتها على أدق قواعد البحث العلمي.

أ - الانطلاق من القواسم المشتركة للعاملين من أجل نهضة الأمة.
ب - عدم التخندق تحت مدرسة مذهبية أو حزبية بعينها.
ت - عدم إقصاء أي جهد نافع يصب في نهضة الأمة. حيث أن هذا المشروع لا يستغني عن النخب المؤثرة والقيادات الرشيدة الفاضلة من كل التيارات والأحزاب والجماعات وكل المخلصين من الحكام والمحكومين، بالإضافة إلى الدعاة والأفراد المستقلين.

أولويات مرحلة اليقظة : لعل الكثير من المخلصين اليوم يرون بوضوح حجم الاضطراب الذي يسود الأمة في قاعدتها الفكرية الواسعة، مما أدى إلى خلل في الجانب التنفيذي. لذا فإن قائمة الأولويات في مرحلة اليقظة يتصدرها أمران في غاية الأهمية:

الأول: موضوع الفهم، فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وذلك لأن العمل بلا علم أمر فيه خلل كبير، فصواب العمل مقترن بصحة العلم الذي قاد إليه.
الأمر الثاني : والمرتبط بالموضوع الأول، هو ضرورة تنظيم الخارطة المعرفية الذهنية للعاملين في حقل النهضة . فكثير من المعارف والمعلومات التي يتلقاها الفرد الذي يهتم بشأن أمته تأتي من أطراف مختلفة، وفي غالب الأحيان تأتي أفكاراً متناقضة، ولا توجد خارطة معرفية منظمة مسبقة، بحيث يضع فيها الفرد العامل ما يتلقاه من معارف ومعلومات في مكانها الصحيح.

<u>مشروعات مرحلة اليقظة</u>: وهي مرحلة ذات طبيعة فكرية يلزم فيها:

أولاً: معالجة القضايا التي تثيرها قضية النهضة وتحديات العالم المعاصر في عالمنا الإسلامي:

- ❖ الدين والجهاد.
- ❖ الدين والمشاركة السياسية.
- ❖ الدين والتعايش.
- ❖ الدين والمرأة.
- ❖ الدين والسياسة الدولية.
- ❖ الدين والاقتصاد.
- ❖ الدين والتخطيط.
- ❖ القومية والتعددية العرقية.

ثانياً: وضع الأدوات المعرفية الضرورية ومن ذلك تم تقسيم الموضوع لأقسام أخذ كل كتاب حيزه ضمن هذه الأقسام، فضلاً عن معارف وعلوم أخرى تعضده:

- أولاً: نموذج لإطار عام وتعالجها أربعة كتب : استراتيجية الإدراك للحراك (من الصحوة إلى اليقظة). القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري (قوانين النهضة). الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ (فلسفة التاريخ). نحو وعي استراتيجي بالتاريخ (الذاكرة التاريخية).
- ثانياً: أدوات العلوم الإنسانية الضرورية : علم السياسة، التحليل السياسي ، الدعاية السياسية، الجيوبوليتك، علم الاجتماع، التفاوض الاجتماعي، المنطق، الاستراتيجية.

- ثالثاً: أدوات العلوم الإدارية: الإدارة العامة، كتابة الخطط الاستراتيجية، كتابة المشاريع، كتابة التقارير، الإلقاء، التفاوض، تنظيم الوقت، الاتصال الفعال، إدارة التغيير.

وبعد، هذا عرض سريع لبعض أبجديات مشروع النهضة. هذا المشروع الذي نتوجه به إلى كل المخلصين والمحبين لأمتهم والراغبين في نهضتها[1][2].

يقول الدكتور جاسم السلطان: (ونأمل أن تمثل هذه الوثيقة التعريفية بداية حوار فعال ومسئول على مستوى النخب الفكرية والحكومات والمهتمين بالشأن العام، حيث يمثل هذا الحوار بشأن مسلمات الماضي واحتياجات الحاضر ومتطلبات المستقبل الخطوة الأولى نحو انتقال الأمة من مرحلة الصحوة إلى مرحلة اليقظة).

ويقترح الدكتور نمطاً جمعياً مهماً للتعامل مع مفهوم الأمة وهو استحضار فكرة التيار الجامع للأمة، لا المنظمة الجامعة للأمة، ويمكن بلورتها عملياً كالتالي:

1. إيجاد خارطة المشاريع المبدئية الأساسية، لتبين أهم الاحتياجات والمساحات المطلوبة، وهي بالطبع ليست نهائية أو شاملة، ولكنها اجتهادية، ووظيفة هذه الخارطة أن تظهر مناطق الفعل المحتملة للشخص الباحث عن دور. وسنتطرق لهذه الخارطة لاحقاً.
2. أن ينفتح عالم العلاقات بين هذه المشاريع التي تستوعب طاقات الأمة الهائلة تحت قاعدتين أساسيتين: الأولى "وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" {المؤمنون: 52}، فالأمة هي الأصل والحركات

---

(1) صفحات مختلفة عن سلسلة كتب مشروع النهضة، سلسلة أدوات القادة- الكتاب الأول: من الصحوة إلى اليقظة/ الكتاب الثاني: قوانين النهضة/ الكتب الثالث: فلسفة التأريخ/ الكتاب الرابع: الذاكرة التأريخية/ الكتاب الخامس: التفكير الستراتيجي والخروج من المأزق الراهن، د . جاسم السلطان، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، ظ/1، 1427هـ - 2006م، توزيع دار القلائد، المملكة العربية السعودية، جدة.

(2) ملخص بحوث موقع مشروع النهضة للدكتور جاسم السلطان.

والمؤسسات هي أدواتها التي قد تستبدلها ليحل محلها غيرها، أما القاعدة الثانية فهي : "وتعاونوا على البر والتقوى " {المائدة: 2}. فلتتآزر هذه المشاريع ولتتعاضد في المساحات المشتركة.

وبالتالي يمكن المقاربة ضمن مساحات العمل المطلوب باستخدام ثلاثية مالك بن نبي مع تحويرها لتناسب البحث:

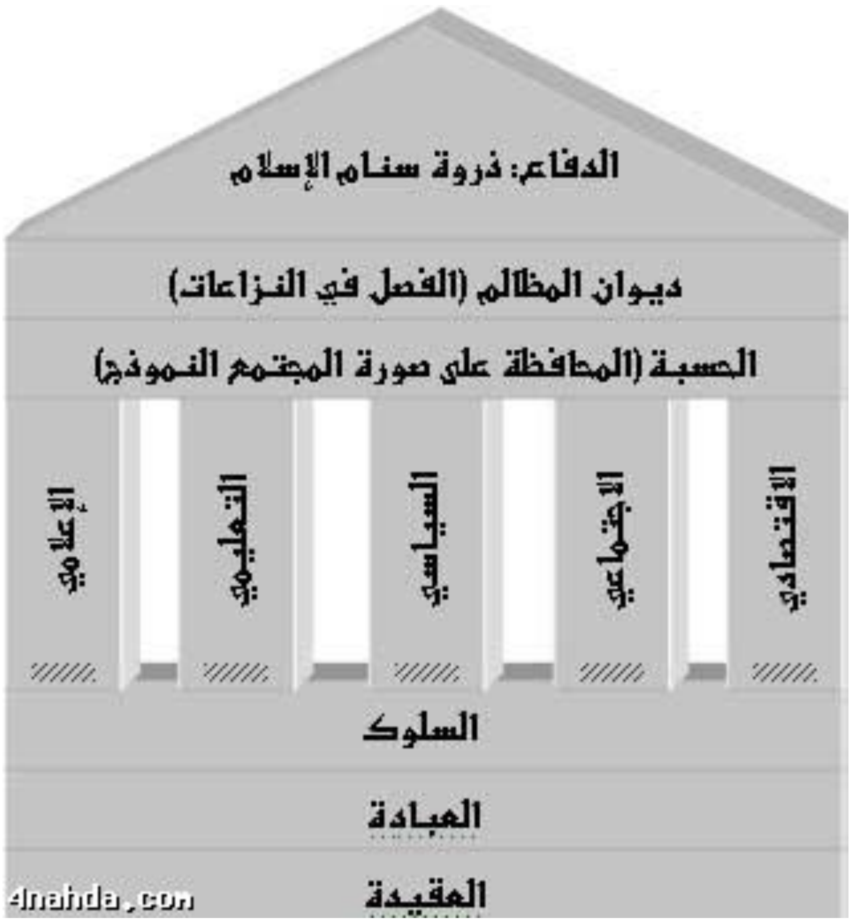
- عالم الأفكار: ونعني به إصلاح الفكر في الأمة في كل المستويات التي ستتضح لاحقاً في خارطة الم شاريع حيث ايضا تولد افكار عالم العلاقات وعالم المشاريع قبل ان تتبلور في واقع خارجي . واصلاح عالم الفكر له مشاريعه العملية.
- عالم العلاقات: ونعني به إصلاح العلاقات الداخلية بين أبناء المجتمع الواحد، وإصلاح عالم العلاقات الخارجية بين المجتمع والمجتمعات الخارجي سواء كانت مسلمة او غير مسلمة، وبلغة أخرى ممكن القول بإصلاح عالم العلاقات المحلية والإقليمية والعالمية وعالم العلاقات وترتيبها وتنظيمها علم له مشاريعه العملية.
- عالم المشاريع: ونعني به إصلاح المشاريع "المادية" للأمة، لكي تنعم بالرفاه، ثم تتمكن من منافسة الأ مم الأخرى في الميادين الحضارية بل ويمكن الحديث في عالم المشاريع عن جميع المشاريع التي تبدا من اصلاح الفكر إلى اصلاح العلاقات إلى اصلاح عالم المادة.

وهناك ثلاثة أطراف معنية بالفعل في هذا المشروع:

1. الحكومات: حيث أن هناك بعض الملفات التي لا يمكن التقدم فيها بجدية بدون قرار من الحكومات، مثل ايجاد المشروع الناظم للجهود، وبناء النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية وتوجيه البحث العلمي، وتوطين المعرفة النوعية...ألخ.

2. المؤسسات: ونعني بها مؤسسات المجتمع المدني والتنظيمات والأحزاب وكل الانشطة غير الممولة من الحكومات حيث تستطيع الاطلاع بدور مهم في عملية النهضة.
3. الأفراد: وهناك مشاريع قد يقوم بها الأفراد مثل مشاريع المفكرين والكتاب والروائيين، إذ بإمكانهم أن يعملوا باستقلالية عن أية مؤسسة او ينشئوا مؤسساتهم الخاصة.

ولغرض وضع خارطة للمشاريع اقترح الدكتور السلطان الهيكلية التالية المبينة في الشكل (م1 –1):



الشكل (م1 –1): هيكلية الاحتياجات الساسية للأمة

يشكل النموذج في الشكل (م1− 1) بناء الاحتياجات الأساسية للأمة، فهي تحتاج إلى: العقائد الصحيحة وما يصونها، وتحتاج العبادات الصحيحة وما يصونها، وتحتاج السلوك القويم وما يصونه ويعززه، وتحتاج لنظم عادلة في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم والاعلام والصحة ....، وتحتاج لنظام يشرف على هذا البناء الاجتماعي بحيث يقدم صورة بليغة للمجتمع النموذج وتحتاج لنظام يفصل في النزاعات وتحتاج لنظام دفاع يحمي المكتسبات. وهذه المساحات يسهم في بنائها الحكم والمؤسسة والفرد. ولكل منها ثلاث مساحات للعمل تحتاجها لتقوم ولنأخذ ثلاث مساحات من المنتظم على سبيل المثال مساحة العقيدة ومساحة النظم ومساحة الدفاع. لنبدأ بمجال العقيدة وكيف نخدمها عمليا وسنستخدم اداة العوالم الثلاثة التي ذكرناها سابقا.

خدمة مساحة العقيدة عملياً:

1 - عالم الأفكار: يتطلب تصحيح وتطوير عالم الأفكار المتعلق بها، بحيث تصبح العقيدة أداة عملية لربط الانسان بالله واستشعار مراقبته والرغبة والرهبة من ه، وليست دروساً فلسفية نظرية دخلت على الدين فشوهت نقاءه وبساطته، فتحولت العقيدة إلى مجموعة ألغاز لا تستقيم بها القلوب، بل تضطرب بها العقول وكل جهد نظري لتطوير كتب العقيدة وبلوغ اهدافها في العقل والوجدان فهو عمل مطلوب.

2 - عالم العلاقات :في المجتمعات الإسلامية نرى أحياناً خلطاً بين" تقرير الحقائق " و"تقرير الحقوق ،"وقد بني هذا الخلط في كثير من الأحيان جراء سوء فهم العقيدة ومقتضياتها، فتكفير المسلم على سبيل المثال لغير المسلم يدخل في باب "تقرير الحقائق" فالنصراني كافر بمعتقد المسلم، والمسلم كافر بمعتقد النصراني، إلا أن هذا التقرير لا يترتب عليه هضم لحقوق المخالف في الدين لأن تقريراتها موجودة في مجال الشريعة وهي تقوم على التعايش وفق قاعدة البر و القسط، بل شرع للمسلم أن يتزوج من نصرانية أو يهودية، وألا يحملها

على أن تترك دينها، ترى كيف يتسع بيت لمسلم متزوج من مسيحية، ولا يتسع مجتمع لعلاقة راقية تستوعب كل الأديان . بل أحياناً نجد اضطراب عالم العلاقات نتيجة المذاهب في الدين الواحد، فهذا سني وهذا شيعي، وتضطرب العلاقات في المجتمعات جراء هذا التقسيم، وكأنه لا حقوق للسني في بلد شيعي، ولا حقوق للشيعي في بلد سني، وكل هذا يدخل في إطار الظلم الذي حرمه الله. إن تصحيح عالم العلاقات بين الطوائف والمذاهب في مجتمعاتنا يتطلب تصحيحاً في عالم الأفكار يميز بين "تقرير الحقائق"، و"تقرير الحقوق" وهندسة العلاقات بحيث تصبح ممثلة للدين الجامع والموحد لا المفرق للأمة . وتظل القيم الحاكمة للمجتمع المسلم هي "التقوى، والعدل، والإحسان" فأي خرق لهذه القيم سيعود بالوبال على المجتمعات وكل عمل لتطوير عالم العلاقات بين المسلمين وبعضهم البعض والمسلمين ومخاليفهم في المعتقد هو عمل مبارك لخدمة مجال العقيدة.

3 - عالم المشاريع: وقد يتطلب تحويل عالم الأفكار والعلاقات في مجال العقيدة إلى مشاريع، سواء كانت مشاريع إعلامية أو ثقافية أو اجتماعية، فهي مشاريع تسعى لخلق عالم أفكار نام، وعلاقات ناضجة تقوي لحمة النسيج الاجتماعي وتزيد فعالية المجتمع وقوته.

خدمة مساحة النظم : ونعني بها النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الخ، فا لأمة في أمس الحاجة إلى تأسيس أو استكمال نظمها التي تشكل أركان بنائها، وسنأخذ مثلاً على ذلك النظام الاقتصادي، ونطبق فيه العوالم الثلاثة:

1 - عالم الأفكار: نشر الثقافة الاقتصادية وإيجاد حلول للإشكاليات الاقتصادية الكبرى مثل إيجاد نظرية عمل اقتصادية توضح كيف يمكن التخلص من هيمنة النظام الربوي، ومدى إمكانية ذلك، وتركيز فلسفة الاسلام بأن المال مال الله والانسان مستخلف فيه كجزء من الاختبار الذي تترتب عليه عملية الحساب والجزاء كل ذلك عمل وجهد مطلوب.

2 –عالم العلاقات : يقوم على منظومة قوانين تقيد الاحتكار والغش والاستئثار والغبن وتعطي لكل ذي حق حقه وكل عمل لتنظيم عالم العلاقات الاقتصادية هو عمل مطلوب.

3 –عالم المشاريع : يقوم على تنمية المال بالطرق المشروعة من خلال العمل التجاري وانشاء المؤسسات الممثلة للنظام والخادمة لثروة الامة.

وفي الثلاث مستويات هناك دور للأفراد ودور للمس تثمرين ودور للحكومة كما لايخفى.

<u>خدمة مساحة الدفاع والحقوق والحسبة:</u> نأتي إلى سقف بناء الدولة ويشمل نظم الدفاع، فالقوات المسلحة أو المقاومة الشعبية تحمي الدولة من العدوان الخارجي، ثم يأتي مستوى منع تغول الدولة على حقوق الأفراد، وهنا يأتي دور المحكمة الدستورية العليا، ومنظمات حقوق الإنسان، والأحزاب السياسية، ثم يأتي دور حماية وجه المجتمع الحضاري عبر ما كان يسمى قديماً "نظام الحسبة"، والذي يسمى اليوم ب"نظام الجودة في مجال بناء المجتمعات "، حيث توضع معايير للمحافظة على وجه المجتمع الحضاري سواء كان ذلك في الشارع أ و في المراكز التجارية أم في المؤسسات، وتتابع الحكومة ومنظمات المجتمع المدني هذه الرقابة الذاتية على المجتمع. فتحمي الناس من جورهم الأخلاقي، والسلوكي، والمهني.

وسنأخذ مثلاً عملياً على ذلك – في مجال الدفاع – عبر استصحابنا للعوالم الثلاثة:

1 –عالم الأفكار: ويهتم بنشر الفكر الذي يعلي من قيمة حماية الوطن من الاخطار الخارجية والداخلية، ويبني النظرية الجيواستراتيجية في العقل الجمعي للمجتمع.

2 –عالم العلاقات : بناء وتطوير العلاقات الخادمة لمشروع حماية الامة داخليا وخارجيا فترتيب علاقة التعليم بالبحث العلمي وعلاقة البحث العلمي بالصناعة و الاقتصاد وعلاقة كل ذلك بالصحة البدنية والنفسية والاجتماعية وعلاقة كل المنظومة بنظام الدفاع.

3 -عالم المشاريع: من خلال تأسيس جيش قوي وبنية علمية بحثية قوية لتطوير هذا الجيش، وذلك في حالة أن الدولة هي التي تتصدى للدفاع، أو تكوين مقاومة شعبية قوية كما هو في البلاد المحتلة.

وفي كل مساحة من هذه المساحات هناك دور للأفراد والمؤسسات والحكومات.

كانت هذه بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر، ويعتبر النموذج السابق من النماذج الأولية المساعدة في التفكير في خارطة المشاريع، وهو بالتأكيد نموذج يمكن الإضافة عليه، وهو يشكل في النهاية نسقاً للتفكير يمكن الاستفادة منه.

والفرد الذي يسعى لنهضة أمته أمامه ثلاثة خيارات عملية:

- إما أن يدعم مشروعاً قائماً بالفعل في إحدى هذه المساحات.
- أو يؤسس مشروعاً يغطي إحدى المساحات.
- أو يكون هو في ذاته مشروعاً وذلك مثل الداعية والعالم والمفكر، فهؤلاء قد يمثلون في أنفسهم مشاريع تتجمع حولها الأمة، وتستنير بأطروحاتهم.

ويبقى سؤال مطروح وهو ماذا أفعل كفرد؟

<u>أولا: التخصص</u>

إننا يجب أن نعيد تحديد دور الفرد بناء على تلك الخارطة السابقة، والتي تبين أن مشروع النهضة في حاجة إلى كل المجالات والتخصصات . فلقد سادت فكرة في مرحلة الصحوة تنظر إلى المهندس المتخصص والاقتصادي الناجح والطبيب الذي يفني وقته في عيادته بأنه مقصر في أمر أمته، فهو مشغول في عمله ولا يعطي لأمته إلا النزر اليسير.

إلا أننا في ضوء الخارطة السابقة نجد أن دور الفرد قد يكون بحكم الأولوية في صلب تخصصه، وتخيل أمة أضرب فيها الأطباء والمهندسون والعلماء والاقتصاديون عن عملهم، ترى كيف يتداوى الناس أو يتعاملون تجارياً أو يجدون شوارع ممهدة ومساكن مريحة. لذلك يجب إعادة الاعتبار إلى التخصص، والاعتراف بأن من يقضي

عمره في عمله متقناً إياه وأميناً عليه ومطوراً إياه، فهو يسهم بدرجة كبيرة في نهضة أمته، ولا بأس من أن يمنح فضول أوقاته في أي نشاط آخر، على عكس النظرة السائدة في مرحلة الصحوة، فهؤلاء المتخصصون لطالما نُعتوا بأنهم يعطون فضول أوقاتهم للدعوة وما علموا ان إحسان عملهم دعوة.

ثانياً: البحث عن دور

إلا أن هناك من هم ليسوا متخصصين بعد في مجال محدد، أو لديهم مساحة من الوقت يريدون أن يعطوها لعمل إضافي، أو يريدون ان يغيروا تخصصاتهم لكنهم لا يدرون ماذا يفعلون ولا إلى أين يتجهون، ولا يخفى على السائل ان تفصيل مشروع لكل شخص أمر متعذر لأنه يستدعي معرفة حال السائل و معارفه ومهاراته وظروفه والفرص المتاحة له، ولذلك فسؤال ماذا افعل يمكن الإجابة عليه إجمالا بما سبق .ولكن عند التفصيل فمعرفة حال السائل جزء من الإجابة . و في هذا السياق ندعو كل من يجد في نفسه القدرة على إنشاء مؤسسة تقوم بهذا الدور (تقويم القدرات والمهارات والتوجيه) أن يبادر ويسد هذه الثغرة بحيث يتوفر للشباب جهة تعينهم على توظيف طاقاتهم في ما يحبون[1][2].

وقد بين الدكتور السلطان سبعة دعائم للنهضة هي:

1 - روح مشبعة بالأمل.
2 - اعتزاز شديد بالذات.
3 - العلم الغزير.
4 - قوة واستعداد.
5 - منظومة قيمية صالحة.

---

(1) صفحات مختلفة عن سلسلة كتب مشروع النهضة، سلسلة أدوات القادة- الكتاب الأول: من الصحوة إلى اليقظة/ الكتاب الثاني: قوانين النهضة/ الكتب الثالث: فلسفة التأريخ/ الكتاب الرابع: الذاكرة التأريخية/ الكتاب الخامس: التفكير الستراتيجي والخروج من المأزق الراهن، د. جاسم السلطان، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، ظ/1، 1427هـ - 2006م، توزيع دار القلائد، المملكة العربية السعودية، جدة.

(2) ملخص بحوث موقع مشروع النهضة للدكتور جاسم السلطان.

6 -مال واقتصاد.

7 -أسس النظم

ومن ضمن قوانين النهضة التي شخصها الدكتور جاسم السلطان الجهد الجمعي : وهو أن الجميع يشارك في المشروع الاسلامي ، وكذلك ضرورة اغتنام الفرص فللأحداث العظيمة يصنعها اقتناص الفرص وتقييم التوازنات(1).

أما المتسلسلات العددية للنهضة فوضعها في:

- الأدوات الأربعة لتنمية التفكير.
- الآليات الخمس للتطوير.
- الوصايا السبع للستراتيجيين.

كما بين مقاربته لصناعة الستراتيجية في التحليل والبناء من تحليل البيئة الداخلية في نظام مكامن القوة والضعف وتحليل البيئة الخارجية في تحديد السوق ومؤثراته وتوصيف نظرية العمل المطلوبة وتشخيص المدرسة الستراتيجية المتبعة في التصميم والتخطيط والقيادة والتنفيذ وملائمتها للبيئة المدروسة واختيار استراتيجيات المنافسة ونظم المدخلات والمخرجات وعلاقتها بالمنتج والتحامه بالسوق والتوسع والنمو (2).

قوانين النجاح في الحياة ومشاريعها

(1) كتاب قوانين النهضة، مشروع النهضة، سلسلة أدوات القادة–الكتاب الثاني، د . جاسم السلطان، صفحات مختلفة، 115، 201، و236.. عن مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، ظ/1، 1427هـ - 2006م، توزيع دار القلائد، المملكة العربية السعودية، جدة.

(2) كتاب التفكير الستراتيجي والخروج من المأزق الراهن، مشروع النهضة، سلسلة أدوات القادة– الكتاب الخامس، د. جاسم السلطان، صفحات مختلفة، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، ظ /1، 1427هـ - 2006م، توزيع دار القلائد، المملكة العربية السعودية، جدة.

النجاح في الدنيا نيل الهدف، والنجاح الأعظم هو النجاح لنيل مرضاة الله تعالى في الدنيا والآخرة فخو الهدف الأسمى والأمنية الأغلى فهي النجاح في أعلى مراتبه أو الفلاح.وهناك قوانين للنجاح وضعها أهل العلم الشرعي وصدقته الأحداث والتجارب فثبته العلم الدنيوي في قوانين وقواعد لا تخطئ قاسمها المشترك ثلاث خصال:

(1) الإخلاص والاستخارة.

(2) الهمة والاستثارة.

(3) حسن التقدير والاستشارة.

ولا يزال التعب يأخذ منك كل مأخذ حتى لا يدع لك سعادة إلا فيه، وصدق الشاعر:

لا تحسبن المجد تمراً أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ومن الوصايا المهمة في نيل المقاص د وجني ثمرات النجاح واستحصال التأثير والتغيير على مستوى الأفراد والأمم كما بين ذلك أهل العلم:

1. لعل من أهم وصايا العلماء لغرض نيل النجاح الهمة والتنافس نحو الأهداف العظيمة وترك السفاسف: قال تعالى: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾، الآية. وروي عن عمرُ بنُ الخطابِ بعد أنْ طُعِن وثَجَّ دمُه، يرى شابّاً يجرُّ إزاره، فقال له عمرُ: ((يا ابن أخي، ارْفَعْ إزارك، فإنهُ أتقى لربِّك، وأنْقى لثوبك)). وهذا أمرٌ بالمعروفِ في سكراتِ الموتِ ﴿ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾. وإنَّ السعادة لا تحصلُ بالنومِ الطويلِ، والخلودِ إلى الدَّعةِ، وهَجْرِ المعالي، واطِّراحِ الفضائلِ. ﴿ وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾. إنَّ منطق أصحابِ الهممِ الدَّنيَّةِ والنفوسِ الهابطةِ يقولُ: ﴿ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ ﴾، ﴿ لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾. وقد نهي العبدُ بالوحي عن التَّأخرِ عنْ فِعلِ الخيرِ: ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ﴾، ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾، ﴿ وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْض ﴾، ﴿ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ ﴾، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾، ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ ﴾، ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى

الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى ﴾، ((اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من الكسلِ))، ((والكيُسُ منْ دان نفْسه وعمِل لما بعد الموتِ، والعاجزُ منْ أتْبَعَ نَفْسَه هواها، وتمنَّى على اللهِ الأماني)) [1]

2. الرفق والوسطية في جميع الأمور : فالوَسَطِيَّةُ نجاةٌ من الهلاك، وتمامُ السعادة مبنيٌّ على ثلاثةِ أشياء : اعتدالِ الغضبِ، اعتدالِ الشهوةِ، واعتدالِ العِلْمِ . فيحتاجُ أن يكون أمرُها متوسِّطاً، لئلاَّ تزيد قوةُ الشهوةِ، فتُخرِجه إلى الرُّخصِ فيهلِك، أو تزيدُ قوةُ الغضبِ، فيخرُج إلى الجموحِ فيهلك . ((وخيرُ الأمورِ أوسطُها)). فإذا توسَّطتِ القُوَّتانِ بإشارة قوَّةِ العِلْمِ، دلَّ على طريقِ الهدايةِ . وكذلك الغضبُ : إذا زاد، سهُل عليهِ الضرْبُ والقتلُ، وإذا نقص، ذهبتِ الغيرةُ والحميَّةُ في الدينِ والدنيا، وإذا توسَّط، كان الصبرُ والشجاعةُ والحِكْمةُ . وكذلك الشهوةُ : إذا زادتْ، كان الفِسْقُ والفجورُ، وإنْ نقصتْ، كان العَجْزُ والفتورُ، وإن توسَّطتْ، كانتِ العفةُ والقناعةُ وأمثالُ ذلك . وفي الحديثِ ((عليكم هدْياً قاصِداً))، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ [2] وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله عن الرفق: عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه).. الحديث رواه مسلم في صحيحه [جزء 4 - صفحة 2004 ، رقم 2594] عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

3. ومن التوصيات عدم انتظار الجوائز من البشر: فلا تنتظرْ شكراً من أحدٍ، فقد خلق اللهُ العباد ليذكروهُ ورزق اللهُ الخليقة ليشكروهُ، فعبد الكثيرُ غيره، وشكرَ الغالبُ سواه، لأنَّ طبيعة الجحودِ والنكرانِ والجفاءِ وكُفْرانِ النِّعم غالبةٌ على

---

(1) لا تحزن، د. عائض القرني، ص 302، مكتبة الصحابة- الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين- القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.

(2) لا تحزن، د. عائض القرني، ص 365، مكتبة الصحابة- الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين- القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.

النفوس، فلا تُصدَمْ إذا وجدت هؤلاءِ قد كفروا جميلك، وأحرقوا إ حسانك، ونسوا معروفك، بل ربما ناصبوك العِداءَ، ورموك بمنجنيق الحقدِ الدفين، لا لشيءٍ إلا لأنك أحسنت إليهمْ ﴿ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ وطالعْ سجلَّ العالمِ المشهود، فإذا في فصولِهِ قصةُ أبٍ ربَّى ابنهُ وغذّاهُ وكساهُ وأطعمهُ وسقاهُ، وأدَّبهُ، وعلَّمهُ، سهر لينام، وجاع ليشبع، وتعِب ليرتاح، فلمَّا طرَّ شاربُ هذا الابن وقوي ساعده، أصبح لوالدهِ كالكلبِ العقورِ، استخفافاً، ازدراءً، مقتاً، عقوقاً صارخاً، عذاباً وبيلاً. ألا فليهدأ الذين احترقت أوراقُ جميلِهِمْ عند منكوسي الفِطرِ، ومحطَّمي الإراداتِ، وليهنؤوا بعوضِ المثوبةِ عند من لا تنفدُ خزائنُه. إن هذا الخطاب الحارَّ لا يدعوك لتركِ الجميلِ، وعدمِ الإحسانِ للغير، وإنما يوطِّنُك على انتظار الجحودِ، والتنكرِ لهذا الجميلِ والإحسانِ، فلا تبتئس بما كانوا يصنعون. اعمل الخير لوجْهِ اللهِ ؛ لأنك الفائزُ على كل حالٍ، ثمَّ لا يضرك غمْطُ من غمطك، ولا جحودُ من جحدك، واحمدِ الله لأنك المحسنُ، واليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً ﴾ . وقد ذُهِل كثيرٌ من العقلاءِ من جبلَّةِ الجحودِ عند الغوْغاءِ، وكأنهمْ ما سمعوا الوحي الجليل وهو ينعي على الصنف عتوَّه وتمردهُ ﴿ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ لا تُفاجأ إذا أهديت بليداً قلماً فكتب به هجاءك، أو منحت جافياً عصاً يتوكأ عليها ويهشُّ بها على غنمهِ، فشجَّ بها رأسك، هذا هو الأصلُ عند هذهِ البشريةِ المحنّطةِ في كفنِ الجحودِ مع باريها جلَّ في علاه، فكيف بها معي ومعك ؟! (1)

4. الطلاقة والبشر : فإن توزيع البسماتِ المشرقةِ على فقراءِ الأخلاقِ صدقةٌ جاريةٌ في عالمِ القيمِ ((ولو أن تلقى أخاك بوجهِ طلْقٍ)) وإن عبوس الوجهِ

---

(1) لا تحزن، د. عائض القرني، ص 19–20، مكتبة الصحابة– الشارقة– الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين– القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.

إعلانُ حربٍ ضروسٍ على الآخرين لا يعلمُ قيامها إلا علاَّمٌ الغيوبِ [1]. وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا)[2].

5. ومن العوامل المهمة في النجاح اس تجمامٌ يُعين علىُ مُواصلةِ السَّيْرِ : فمن المعلومِ أنَّ في الشريعةِ سَعَةً وفُسحةً، تُعينُ العبد على الاستمرار في عبادتِه وعطائِه وعملِه الصالحِ، فرسولُنا صلى الله عليه وسلم كان يضحكُ ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾، وكان يمزحُ ولا يقولُ إلا حقّاً، و سابق عائشة رضي اللهُ عنها، وكان يتخوّلُ الصحابة بالموعظةِ، كراهِية السَّآمِة عليهم، وكان ينهى عن التَّعمُّق والتَّكلُّفِ والتشديدِ، ويُخبرُ أنه لن يُشادّ الدِّين أحدٌ، إلا غَلَبَهُ، وفي الحديثِ أنَّ الدين متينٌ، فأوغِلُوا فيه برفْقٍ . وفي الحديثِ أيضاً أنَّ لكل عابد شِرَّةً، وهي الشّدَّةُ والضَّراوةُ والاندِفاعُ . ولا يلبثُ المتكلِّفُ إلا أنْ ينقطع، لأنه نظر إلى الحالةِ الراهنةِ ونسي الطوارئ وطُول المُدَّة وملالة النَّفْس، وإلاَّ فالعاقلُ له حدٌّ أدنى في العملِ يُداومُ عليه، فإنْ نشط زاد، وإنْ ضعف بقي على أصلِه، وهذا معنى الأثر منْ كلامِ بعضِ الصحابة : إنَّ للنفوسِ إقبالاً وإدباراً، فاغتنموها عند إقبالها، وذرُوها عند إدبارِها . وما رأيتُ نفراً زادُوا في الكْيلِ، وأكثَرُوا من النوافل، وحاولوا أنْ يُغالوا، فانقطعُوا وعادُوا أضْعفَ ممَّا كانوا

---

(1) لا تحزن، د. عائض القرني، ص 20–21، مكتبة الصحابة– الشارقة– الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين– القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.

(2) الحديث في صحيح مسلم [جزء 3 – صفحة 1358 ، رقم 1732]، فعن أبي موسى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا).. قال أهل العلم: قوله عليه الصلاة والسلام :(بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا) إنما جمع في هذه الألفاظ بين الشيء وضده لأنه قد يفعلهما في وقتين فلو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات وعسر في معظم الحالات فإذا قال ولا تعسروا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلوب وكذا يقال في بشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء . وفي هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير.. انظر الحديث برقمه في المنهاج في شرح صحيح المسلم بن الحجاج.

قبْلَ البدايةِ. والدِّينُ أصلاً جاء للإسعاد ﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾. وقد لام اللهُ قوماً كلَّفُوا أنفُسهم فوق الطَّاقةِ، ثم انسحبوا منْ أرضِ الواقع ناكثِين ما ألزمُوا أنفسهم به ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَ اء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾. وميزةُ الإسلامِ على سائرِ الأديانُ أنه دينُ فطرةٍ، وأنه وَسَطٌ، وأنه للرُّوحِ والجسمِ، والدنيا والآخرةِ، وأنه ميسرٌ ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾. عن أبي سعيد الخُدْريّ قال : جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول اللهِ، أيُّ الناس خيْرٌ ؟ قال : ((مؤمِنٌ مجاهِدٌ بنفسِه ومالِه في سبيلِ اللهِ، ثم رجُلٌ معتزلٌ في شِعْبٍ من الشِّعابِ يعبُد ربَّه)). وفي روايةٍ : ((يتَّقي الله ويدع الناس من شرِّه))، وعنْ أبي سعيدٍ قال : سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقولُ : ((يُوشكُ أنْ يكون خير مالِ المسلم غنمٌ يتبعُ بها شعْفَ الجبالِ ومواقع القطْرِ، يفرُّ بدينِه من الفِتنِ)). رواه البخاريُّ. قال عمرُ : « خُذُوا حظَّكم من العُزلةِ ». وما أحْسنَ قول الجنيدِ : « مُكابدَةُ العزلةِ أيسرُ مْن مداراةِ الخلطةِ ». وقال الخطَّابيُّ : لو لم يكُنْ في العزلةِ إلا السلامةُ من الغيبةِ، ومنْ رؤيةِ المنكرِ الذي لا يقدرُ على إزالتهِ، لكان ذلك خيراً كثيراً . وفي هذا معنى ما أخرجهُ الحاكمُ، منْ حديث أبي ذرٍّ مرفوعاً، بلفظ : ((الوحدُة خيرٌ من جلِيسِ السُّوء)). وسنده حَسَنٌ. وذَكَر الخطَّابيُّ في « كتاب العزلة » أنَّ العزلة والاختلاط يختلفُ باختلافِ متعلقاتهما، فتُحمل الأدلَّةُ الوارِدةُ في الحضِّ على الاجتماعِ، على ما يتعلَّقُ بطاعةِ الأئمةِ وأمورِ الدينِ، وعكسُها في عكسِهِ، وأما الاجتماعُ والافتراقُ بالأبدانِ، فمنْ عَرَفَ الاكتفاء بنفسِه في حقِّ معاشِهِ ومحافظةِ دينهِ، فالأوْلى لهُ الانكفافُ منْ مخالطةِ الناسِ، بشرْطِ أنْ يُحافظَ على الجماعِةِ، والسَّلامِ والرَّدِّ، وحقوقِ المسلمين من العيادةِ وشهودِ الجنازةِ، ونحْوِ ذلك. والمطلوبُ إنما هو ترْكُ فضولِ الصُّحبةِ، لما ف ي ذلك منْ شغِلِ البالِ وتضييعِ الوقتِ عن المُهمَّاتِ، ويجعلُ الاجتماع بمنزلةِ الاحتياجِ إلى الغداءِ والعشاءِ، فيقتصرُ منه على ما لابدَّ له منه، فهو أرْوَحُ للبَدَنِ والقلبِ. واللهُ أعلمُ.

وقال القُشيريُّ في « الرسالة» : طريقُ من آثرَ العُزلةَ، أن يعتقد سلامة الناسِ منْ شرِّه، لا العكسُ، فإنَّ الأول : يُنتجهُ استصغارُه نفْسه، وهي صفةُ المتواضعِ، والثاني : شهودُه مزيةً له على غيرِه، وهذه صفةُ المتكبِّرِ . والناسُ في مسألةِ العُزلةِ والخلطةِ طرفانِ ووسطٌ . فالطرف الأوَّلُ : من اعتزل الناس حتى عن الجُمعِ والجماعاتِ والأعيادِ ومجامع الخيْرِ، وهؤلاءِ أخطؤُوا . والطرف الثاني : منْ خالط الناس حتى في مجالسِ اللَّهوِ واللَّغوِ والقيلِ والقالِ وتضييعِ الزَّمانِ، وهؤلاء أخطؤُوا . والوسط : منْ خالط الناس في العباداتِ التي لا تقوُم إلا باجتماعٍ، وشاركهم في ما فيه تعاونٌ على البرِّ والتقوى وأجرٌ ومثوبةٌ، واعتزال مناسباتِ الصَّدِّ والإعراضِ عن اللهِ وفضولِ المباحاتِ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾، الآية [1].

6. ومن التوصيات في نيل النجاح كذلك رَوْم القمم العالية والتسلح بالهمم الراقية والآمال السامية: فإن مسلماً نودي بالسير مع الهمم العالية، فانتفض، و أفلت من قيود الأرض، وحلق بجناح العزة : هو مسلم حري به أن يتم انتفاضته بخطوة تميز واضحة [2] فهذه الحياة، بجوانبها العديدة، و تبدلات المجتمعات التي تحياها، قد لايفهمها جيل المسلمين اليوم من دون الرجوع إلى نظرة واقعية لها، متسمة بالبساطة، مستقرئة للمحسوس المشاهَد منها. ولا ريب في أن تجاوز مجرد الاستقراء، وفهم الأمور معلَّلة مسبَّبة، هو الوضع الأمثل، المؤدي إلى الإيمان الأتم الأوفر، وهو لما يُظن أنه من ظواهر التناقض أوجب، و لذلك جاءت عقيدة الإسلام تُحلل وتُعلل، ليحيا مَن حَيَّ عن بينة . ولذلك أيضاً حاولت الفلسفات أن تفهم محركات الحياة، فقاربت كاقتراب سقراط من عقيدة التوحيد، أو أبعدت، كبعد جمهور

---

(1) لا تحزن، د. عائض القرني، ص 379-381، مكتبة الصحابة- الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين- القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.

(2) الوقائق، محمد أحمد الراشد، ص 109، مؤسسة الرسالة، ط/4، 1401 هـ - 1981م.

المحاولين[1]. ولئن جمع قادة الحروب جنودهم قبل كل معركة، و حــلــّقــوا بهم حلقة، ليرسموا لهم على الأرض خطة تعبئة لحصار عدوهم، فإن على قادة الحركة الإسلامية أن يرسموا قبل ذلك لحلقات الدعاة إلى الله خطة حصار الأجل للأماني الكواذب، يذكرونهم إياه، كما رسمه النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأصحابه على أرض المدينة، ففتحت لهم – لما وعوا خطوطه – المدن. و كان فيهم يومها : عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فوصف فقال : (خط النبي صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، و خط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط، من جانبه الذي في الوسط، وقال : هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به – أو : قد أحاط به – وهذا الذي هو خارج : أمله، وهذه الخطط الصغار : الأعراض، فإن أخطأه هذا : نهشه هذا، و إن أخطأه هذا : نهشه هذا)[2]. وكان فيهم أيضاً : أنس بن مالك رضي الله عنه، فوصف، فقال : (خطّ النبي صلى الله عليه وسلم خطوطاً، فقال : هذا الأمل، وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقــرب)[3]. وفي رواية : مثل ابن آدم جنبه تسع و تسعون مَنِيَّة، إن أخطأته : وقع في الهَرَم. و اكتملت بهذه الخطوط الشريفة لوحة من الفــن الرمزي التجريدي فريدة. إنه الإنسان الضعيف تغزوه الأعراض غزواً فيه إلحاح . عدوى، أو سرطان، أو حريق، أو غرق، أو زلق، أو سقوط، أو اصطدام، أو لدغة، أو تسمم بطعام، أو طلقة تائهة . فإذا نجا من كل ذلك : كان له في الهرم، و ضغــط الدم وارتــفاع نسبة السكر : تأديب أي تأديب. فإن أطال النــَفــَس : اقتص منه الموت { قل إن الموت الذي تــفرون منه فإنه ملاقيكم } تعددت

---

(1) الرقائق، محمد أحمد الراشد، ص 69، مؤسسة الرسالة، ط/4، 1401 هــ – 1981م.

2 صحيح البخاري 111/8

3 صحيح البخاري 111/8

الأسباب والموت واحد، يحاصر الأمل الشارد الذي يتوهم الإفلات حصاراً شديداً [1].

7. ومن توصيات أهل العلم للسائرين في درب العلم ممن يبتغون النجاح، الصدق: فكل صادق في إسلام وجهه لله تعالى، يدرك –مع أول خطوة– أنه مهاجر إلى الله وحده، فار إليه، فلا يزال متعجلا مشتاقًا . وهو مع أول فراره هذا، يدرك علو مدرجه، ويعلم أنه طبقات، فلا يزال مرتقيا صاعدًا، موقنا أن مرتبة الجنة العليا تقتضي علوا في نيته، وترفعا في مسلكه، عن الخلط والنقصان. فهو يريد استكمال عناصر الإيمان كلما علم أن هناك ثمة ثلمة، ويعزم لذلك عزمة، فإذا شرع في الاستكمال : أدرك ضرورة الصفاء فيه، وأن يرفأ ويرتق بجنس ما وهبه الله من خير آنفا، ألا يفضحه النشاز، فيعزم لذلك عزمة أخرى، فثالثة تستدعي رابعة، في نهضات متواليات، حتى يصيب مراده. وأما من خلط: فقد غلط، لا يستطيع تناوش الاستكمال من مقعد تخليط بعيد، ولا الإرتواء من كأس ممزجة مشوبة ليس فيها الصريح [2]. فأما الموفق فيمضي قدمًا، ملتذاً بتفرده هذا، ثابتا بتثبيت الله تعالى : (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) (الأنفال: من الآية12)، (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْ يَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (ابراهيم:27). وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه: (وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً) (الاسراء:74).. (فالخلق كلهم قسمان : موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت). وأما الراجف فيعلن برجفته للشيطان عن ضعفه فيأتيه ي صورة الأنيس، يحاوره، ويسارره، حتى يجد فرصة إلقاء كلمة التثبيط... إنها رجفة المتوغل الضعيف، توقف ولا تؤخر، والعاصم منها إنما

---

(1) الرقائق، محمد أحمد الراشد، ص 71–72، مؤسسة الرسالة، ط/4، 1401 هـ – 1981م.

(2) العوائق، محمد أحمد الراشد، ص 37–38، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الرابعة 1401 هـ – 1981م.

هو الصدق [1]. والمسلم الصادق يزيد على ذلك، فينظم نداء ا لفطرة بإرشاد القرآن، وتفزعه احتمالات النفس وزخارف تمنياتها، فيلجأ إلى الله رأسا وبلا إبطاء، يردد خلف تلميذ الثوري يوسف بن أسباط دعاءه : (اللهم عرفني نفس). فإن في النفس من الأسرار والخفايا ما لا يكشفه إلا عون الله لنا، حتى أستاذا في علم النفس مثل سهل بن عبد الله التستري الزاهد يجزم بأن: (معرفة النفس أخفى من معرفة العدو)، أي أن عيوبها تتستر وتموه أمرها كما يتستر العدو ويخادع، لكنه خفاء لا بد من اقتحامه واستجلائه إذا أردنا النفس الزكية، وتعيين مكان العلة يسبق مقص الجراح[2].

8. ومن التوصيات الحث على استمرار العمل الجاد في سبيل الله وعدم اليأس والركون للمثبطين وجماعة المسجد الضرار : فأنت هممت، ثم نطقت، ولم تسكت تتخارس، ودعوت إلى الله آمرًا بالمعروف، ناهياً عن المنكر . وكنت من الذين يعلمون الحق ويرحمون الخلق " كما يقول ابن تيمية [3]. ترحمهم بانتشالهم مما هم فيه من الضلال الذي أرهقهم وحرمهم الطمأنينة والسكينة . أرهق قلوبهم بالقلق، وعقولهم بالحيرة، وأبدانهم بالتعب والمرض . ولا يزال الأئمة ينادونك : (ألست تبغي القرب منه؟ فاشتغل بدلالة عباده عليه، فهي حالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . أما علمت أنهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد، لعلمهم أن ذلك آثر عند حبيبهم؟). ولا يزالون يتسألونك : (هل كان شغل الأنبياء إلا معاناة الخلق وحثهم على الخير ونهيهم عن الشر؟). ولا تزال أنت في استجابة من بعد استجابة، ونعمًا الذي تفعل . وخطواتك المباركة هذه قد أوصلتك إلى منتصف الطريق، فواصل الخطو : تصل[4]. وإن جماعة

---

(1) العوائق، محمد أحمد الراشد، ص 39–40، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الرابعة 1401 هـــ – 1981م.

(2) العوائق، محمد أحمد الراشد، ص 76–77، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الرابعة 1401 هـــ – 1981م.

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية 96/16.

(4) المنطلق، محمد أحمد الراشد، ص 111–112، مؤسسة الرسالة، ط/ 4، 1401 هـــ – 1981م.

تدعي الإسلام، ثم تترك المجتمع الماجن والمنكر المستشري، والشباب الضائع، وتتجه إلى المصلين والملتفين حول دعاة الإسلام تزين لهم الانتساب إليها، وتلح في تهوين أمر الدعاة الآخرين، ورميهم بالاستبداد والافتقار إلى الوعي، لهي أحرى الجماعات باسم مسجد الضرار. ومن ذا الذي في قلبه ذرة إيمان وألم على المصير الذي آل إليه أمر المسلمين ثم لا يفرح ويهش ويبش لأقوام يعالجون المرض ويستدركون الانفراط، وإن خالفوه في الاسم والأسلوب؟ (1)

9. عدم انتظار النتائج : ومن أهم توصيات أهل العلم لمريديهم شعار (ليس علينا غير البلاغ): فهذا التباين في شعور الداعية إلى الإيمان، عن شعور الداعية إلى الباطل: جعل دعاة الباطل في تعب دومًا، وفي تبديل لصور باطلهم حين لا تنطلي على الناس، ويسوغون ذلك بالتطور الفكري والديالكتيك، ويرون – بعقلية تجارية بحتة تضع حساب الأرباح والخسائر المادية فحسب – أن من يتكلم ويكتب لإشاعة فكرة معينة ولا يستجيب له الناس عليه أن يسارع إلى تبديلها بأخرى تجد لها تصريفا . أما الداعية المسلم فهو يعتقد بأن عليه تحري القول الصائب الموافق للشرع، واتباع الأسلوب الملائم حسب اجتهاده، ثم الله هو الذي يتولى ما بعد ذلك، فإن لم يستجب أحد فلحكمه ربانية، ولو شاء الله لهداهم، ولكن كره الله انبعاثهم مع الدعاة، ولا يسع الداعية المسلم إلا الثبات على ما يعتقد. وبهذا الوعي لهذه الحقيقة الإيمانية أجاب يوسف القرضاوي من اعترض عليه، فقال:

عجبت لهم قالوا: تماديت في المنى
وفي المثل العليا وفي المرتقى الصعب
فأقصر ولا تجهد يراعك إنما
ستبذر حبا في ثرى ليس بالخصب

(1) العوائق، محمد أحمد الراشد، ص 253، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الرابعة 1401 هـ – 1981م.

فقلت لهم: مهلا، فما اليأس شيمتي

سأبذر حبي والثمار من الرب

إذا أنا أبلغت الرسالة جاهدًا

ولم أجد السمع المجيب فما ذنبي؟

وهذا من قوانين الدعوة الإسلامية . فإننا إذا لم نصل إلى ما نبغي ونريد، فحسب عملنا أن يشجع الجيل اللاحق على مواصلة السير، فإن النجاح في الابتداء دليل على إمكان الانتهاء، أو كما يقول الرافعي : (البدء في تحقيق الشيء العسير: حسبه أن يثبت معنى الإمكان فيه). ووجود هذه النماذج الجيدة من دعاة الإسلام في كل مدينة من مدن الإسلام حسبه أن ي ثبت معنى إمكان تطبيق المثل العليا الإسلامية من خلال تجمع حركي في وسط مظلم قاتم . وهذا الإثبات هو منطلقنا لمواصلة السير، والإكثار، من تربية مثل هذه النماذج، حتى نصل حدا عدديا كافيا لهداية من حولنا. فإن لم يستطع الدعاة اليوم النصر فحسبهم أنهم كانوا أجراء عند الله، أينما وحيثما وكيفما أرادهم أن يعملوا : عملوا وقبضوا الأجر المعلوم ! وليس لهم ولا عليهم أن تتجه الدعوة أي مصير، فذلك شأن صاحب الأمر لا شأن الأجير [(1)].

10. ولعل من أهم توصيات العلماء لطلابهم التواضع، فإن أقواماً علت هممهم فحصّلوا علوم الشرع من القرآن والحدي ث والفقه والأدب وغير ذلك، فأتاهم إبليس بخفي التلبيس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم[(2)].

11. ومن عوامل النجاح اتخاذُ القرار بعد المشورة وعدم التردد : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ ﴾ . ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾. إن كثيراً منا يضطربُ عندما يريد أن يتخذ قراراً، فيصيبُه القلقُ والحيرةُ والإرباكُ والشكُّ، فيبقى في

---

(1) المنطلق، محمد أحمد الراشد، ص 186–187، مؤسسة الرسالة، ط/ 4، 1401 هـ – 1981م.

(2) تلبيس إبليس، الإمام ابن الجوزي، ص 124، تحقيق : محمد غبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط/1، 1423هـ ت 2003م.

ألمٍ مستمرٍ وفي صداعٍ دائمٍ . إن على العبدِ أن يشاور وأن يستخير اللهَ، وأن يتأمَّل قليلاً، فإذا غلب على ظنه الرأيُ الأصوبُ والمسلكُ الأحسنُ أقدم بلا إحجام، وانتهى وقتُ المشاورةِ والاستخارةِ، وَعَزَم وتوكَّل، وصمَّم وَجَزَم، لينهي حياة التردُّد والاضطرابِ . ولقد شاور صلى الله عليه وسلم الناس وهو على المنبر يوم أُحُد، فأشاروا بالخروجِ، فلبس لأمته وأخذ سيفه، قالوا : لعلَّنا أكرهناك يا رسول الله ؟ لو بقيت في المدينةِ . قال : ((ما كان لنبي إذا لبس لأمته أن ينزعها حتى يقضي اللهُ بينه وبين عدوِّهِ)). وَعَزَم صلى الله عليه وسلم على الخروجِ. إن المسألة لا تحتاجُ إلى ترددٍ، بل إلى مضاءٍ وتصميمٍ وعزمٍ أكيدٍ، فإن الشجاعة والبسالة والقيادة في اتخاذِ القرارِ . فقد تداول صلى الله عليه وسلم مع أصحابِه الرأي في بدرٍ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾، ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى ﴾، فأشارُوا عليه فَعَزَم صلى الله عليه وسلم وأقدم، ولم يلوِ على شيءٍ. وإن التردُّد فسادٌ في الرأيِ، وبرودٌ في الهمَّةِ، وَخَورٌ في التصميمِ وشَتاتٌ للجهدِ، وإخفاقٌ في السَّيْرِ. وهذا التردُّدُ مرضٌ لا دواء له إلا العزمُ والجزمُ والثباتُ. أعرفُ أناساً من سنواتٍ وهم يُقدِمون ويُحجمون في قراراتِ صغيرةٍ، وفي مسائل حقيرةٍ، وما أعرفُ عنهم إلا روح الشكِّ والاضطرابِ، في أنفسِهم وفي من حولهم . وإنهم سمحوا للإخفاقِ أن يصل إلى أرواحِهم فَوَصلَ، وسمحُوا للتشتُّتِ ليزور أذهانهم فزار . وإنه يجب عليك بعد أن تدرس الواقعة، وتتأمَّل المسألة، وتستشير أهل الرأي، وتستخير ربَّ السماواتِ والأرضِ، أن تُقدِم ولا تُحجِم، وأن تُنْفِذ ما ظهر لك عاجلاً غير آجلٍ . وقد وقف أبو بكر الصدِّيق يستشيرُ الناس في حروبِ الردةِ، فأشار الناسُ كلهم عليه بعدمِ القتالِ، لكنَّ هذا الخليفة الصدِّيق انشرح صدرُه للقتالِ، لأن هذا إعزازٌ للإسلامِ، وقطْعٌ لدابر الفتنةِ، وسحقٌ للفئاتِ الخارجةِ على قداسةِ الدينِ، ورأى بنورِ اللهِ أن القتال خيرٌ، فصمَّم على رأيه، وأقسم : والذي نفسي بيدِهِ، لأُقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاةِ والزكاةِ، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدُّونه لرسولِ الله

صلى الله عليه وسلم لقاتلتُهم عليه. قال عمر : فلما علمتُ أن الله شرح صدر أبي بكر، علمتُ أنه الحقُّ . ومضى وانتصر وكان رأيهُ الطيب المبارك، الصحيح الذي لا لُبْس فيه ولا عِوَجَ . فإلى متى نضطربُ ؟ وإلى متى نراوحُ في أماكنِنا ؟ وإلى متى نتردَّد في اتخاذِ القرارِ ؟

إذا كنت ذا رأي فكنْ ذا عزيمةٍ   فإنَّ فساد الرأي أنْ تتردَّدا

إنَّ منْ طبيعةِ المنافقين إفشال الخطَّةِ بكثرةِ تكرارِ القولِ، وإعادةِ النظرِ في الرأي : ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾، ﴿ الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. إنهم يصطحبون « لو » دائماً، ويحبون « ليت » ويعشقون « لعلَّ » فحياتُهم مبنيةٌ على التسويقِ، وعلى الإقدامِ والإحجامِ، وعلى التذبذبِ، ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء ﴾. مرةً معنا ومرةً معهم، مرةً هنا ومرةً هناك. وكما في الحديثِ : ((كالشاة العائرةِ بين القطيعين من الغنمِ)) وهو يقولون في أوقاتِ الأزماتِ : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ ﴾. وهم كاذبون على الله، كاذبون على أنفسهم، فهم يسرون وقت الأزمةِ، ويأتون وقت الرخاءِ وأحدُهم يقول : ﴿ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي ﴾. إنه لم يتخذ إلا قرار الإخفاقِ والإحباطِ . ويقولون في الأحزابِ : ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾. ولكنَّه التخلصُ من الواجبِ، والتملُّصُ من الحقِّ المبينِ [1]

12. ومن عوامل النجاح التخطيط وحسن التقدير : فإن التقديرات يجب ألا تعتمد على التخمين المجرد، لأن الخطأ فيه ينعكس على التنفيذ بنفس النسبة، بل الاعتماد يكون على أرقام صحيحة وإحصاء يقوم به المتواجدون في كل قطاع.

---

(1) لا تحزن، د. عائض القرني، ص 432-434، مكتبة الصحابة- الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين- القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.

فإن الأرقام وحدها تقدر أن تترجم نفسها إلى لغة تخطيط . والإحصاء مرة واحدة لا تتم به الدقة، بل لا بد من تك راره سنويا، لنستطيع رسم خط بياني نراه، إن كان نازلا يفضح التأخر، أو أفقيا يواري ضعفا وجمودًا، أو صاعدًا يحدث بالنعمة، وبدون ذلك لا تأمن الارتجال [1]. وإن العناصر الصالحة في المجتمع كثيرة، ولكننا ننسى أسماءها وصورها، للذي نحن فيه من زحمة الأحداث، والمظنون أن الإحصاء الدقيق لها وتسجيلها في قوائم يضمن نوعا من الصلة بها تساعد على الاستفادة منها وحشد طاقاتها لتنفيذ أهدافنا، ولا يجوز الاعتماد على المجرد على من نراهم حولنا فقط، أو من تأتي بهم الصدق إلينا[2].

13. ومن عوامل النجاح أيضاً الجدية التي هي حالة من التيقظ الم تواصل المستديم يتيح استغلالا وافرًا لطاقة مجموعة الدعاة في سد الحاجات واستثمار الفرص دون تعطيل شيء منها. وهذا الوصف يقتضي: تجاوز التعويل على المقادير الضئيلة للقابليات الفردية الذاتية إلى أنواع من التوجيه لها أو الجمع والتنسيق بينها، تكفل تنميتها وتطويرها . وشرط دوامها: أخذها بلا غلو، فإن الإفراط يؤدي إلى التعب السريع، ولذلك جعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خير الأعمال: أدومها وإن قل، وكان الرافعي يؤكد : (أن روح العمل الدائم تكون فيما يشق بعض المشقة، ولا يبلغ العسر والحرج، كما تكون فيما يسهل بعض السهولة، ولا يبلغ الكسل والإهمال). ولعل من أهم عوامل تنفيذ متطلبات الجدية: وضوح الفكرة الإسلامية في نفس الداعية، البرمجة الفردية والجماعية، التخصص وتوزيع الأعمال، الاستفادة من تجارب السفر والسياحة،

---

(1) المسار، محمد أحمد الراشد، ص 47، دار المنطلق، ط/3، دبي– الإمارات العربية المتحدة، 1412هـ – 1991م.

(2) المسار، محمد أحمد الراشد، ص 99، دار المنطلق، ط/3، دبي– الإمارات العربية المتحدة، 1412هـ – 1991م.

تهيئة الأوليات الممهدة والظروف المساعدة وزخم الاستدامة لكل عمل مهم أو مهم أو انعطاف خططي، ضبط الحقوق والواجبات فإن تناسي الحقوق ينشئ العقوق، اتخاذ الاحتياطات قيادية تدرأ الفتن، وفرة المال الكافي لتنفيذ الخطط، رؤية تزايد المخاطر الخارجية الحدقة بالدعوة فإن الأعداء كثرة، إشاعة أدب الحماسة والرقائق الوعظية[1].

14. ومن تلك العوامل: اتباع العمل المناسب للطاقات والإمكانات مع السعي لطلب تقويتها بالاجتهاد: فاحرصْ على العملِ الذي ترتاحُ لهُ .. يقولُ ابن تيمية : « ابتدأني مرضٌ، فقال لي الطبيبُ : إنَّ مطالعتك وكلامك في العلمِ يزيدُ المرض. فقلت له : لا أصبرُ على ذلك، لا أصبرُ على ذلك، وأنا أ حاكمُك إلى علمِك، أليستِ النَّفسُ إذا فرجتْ وسُرَّتْ قويتِ الطَّبيعةُ، فَدَفعتِ المرض ؟ فقال : بلى. فقلتُ له : فإن نفسي تُسرُّ بالعلمِ، فتقوى به الطبيعةُ، فأجدُ راحةً . فقال: هذا خارجٌ عن علاجِنا» ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [2]

15. ومن تلك العوامل أيضاً السعي لحيازة مراكز التأثير الفكري والتربوي، وأهمية التخطيط، وتكامل وتكافل وتجانس العلاقات وتناسق الأدوار في حياة الدعاة، التخطيط يفجر الطاقات، التكيف المرن وغيرها[3]. ولئن كان القول بوجوب التكيف قد أوحى إليك معنى من معاني الإبطاء ف إن الإطلالة على

---

(1) المسار، محمد أحمد الراشد، ص 163–165، بتصرف، دار المنطلق، ط/3، دبي– الإمارات العربية المتحدة، 1412هـ – 1991م.

(2) لا تحزن، د . عائض القرني، ص 396، مكتبة الصحابة– الشارقة– الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين– القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.

(3) المسار، محمد أحمد الراشد، ص 163–196 بإيجاز شديد، دار المنطلق، ط/3، دبي– الإمارات العربية المتحدة، 1412هـ – 1991م.

المستقبل وعلى المرحلة الأخيرة تمد أمام أنظارك أفقا فسيحا يخلب لبك جماله، فتنجذب إلى عرصاته مسرعًا[1].

16. الانضباط وعدم العشوائية: فلا تكن فوضوياً في حياتك(2).
17. ولا تصادر جهود الآخرين، واطرح المحاكاة المتكلفة[3].
18. ومن الحكم في ذلك بعض في احتياج ل بعض: السرور محتاجٌ إلى الأمنِ، والمالُ محتاجٌ إلى صدقةِ، والجاهُ محتاجٌ إلى الشفاعةِ، والسيادة محتاجةٌ إلى التواضعِ. ولا تنُال الراحةُ إلا بالتعبِ، ولا تدركُ الدَّعةُ إلا بالنَّصبِ، ولا يُحصلُ على الحبِّ إلا بالأدبِ. واعلم أن الأبناءُ أهمُّ من الثروةِ، والخُلُقُ أجلُّ من المَنْصِبِ، والهمةُ أعلى من الخِبرةِ، والتقوى أسمى من المجدِ [4]

يقول المختصون في علوم النفس والاجتماع والتنمية البشرية :

الأسرار الأربعة للبقاء هي الرضا الداخلي، التوافق الاجتماعي، الانجاز الملموس، نجاح تجاه الآخرة . وأما الإعداد المتم يز فمراحله أربعة هي : الاعتماد على النفس، الاعتماد على الآخرين، الاعتماد المتبادل، وآخرها مرحلياً ولكن أهمها واقعياً هو الاعتماد على الله تعالى[5]

---

(1) المسار، محمد أحمد الراشد، ص 235، دار المنطلق، ط/3، دبي- الإمارات العربية المتحدة، 1412هـ - 1991م.

(2) لا تحزن، د . عائض القرني، ص 461، مكتبة الصحابة- الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين- القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.

(3) لا تحزن، د . عائض القرني، ص 458، مكتبة الصحابة- الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين- القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.

(4) لا تحزن، د . عائض القرني، ص 490، مكتبة الصحابة- الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين- القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.

(5) صناعة النجاح، سلسلة كتب صناع المجد، الكتاب الأول، ص20، د. طارق السويدان، فيصل باشراحيل، دار ابن حزم، ط/ 6، 1424هـ - 2004م، بيروت- لبنان.

إن بطاقات الصعود والترقي للنجاح ثلاثة هي : الصدق، التوازن، زرع القيم والمبادئ الصحيحة. وقيل إن حقائب النجاح الأربعة: المعرفة، المهارة، الرغبة، العقيدة والفكر، وإن نجوم النجاح التسعة هي:

1 - حياتي بيدي
2 - قد سفينتك بنفسك
3 - الساعة البوصلة
4 - الناس هم الأساس
5 - لغة المشاعر
6 - فريق البنيان المرصوص
7 - عشق الابداع
8 - قيادة الحوار
9 - جدد حياتك[1].

إن أساس الصعود للنجاح أربعة أمور هي : التوازن في الأدوار، التوازن في حل المشكلات، التوازن الفعال المؤدي للاطمئنان والسكون وراحة البال، الضمير[2].

أما العادات السبعة للنجاح فهي:

الشعور بالمسؤولية

1 - التركيز على الأهداف والغايات
2 - تنظيم الوقت وضبط الأولويات
3 - قانون المنفعة المتبادلة (أربح وربح)

---

(1) صناعة النجاح، سلسلة كتب صناع المجد، الكتاب الأول، صفحات مختلفة، د . طارق السويدان، فيصل باشراحيل، دار ابن حزم، ط/ 6، 1424هـ - 2004م، بيروت- لبنان.

(2) صناعة النجاح، سلسلة كتب صناع المجد، الكتاب الأول، ص85، د. طارق السويدان، فيصل باشراحيل، دار ابن حزم، ط/ 6، 1424هـ - 2004م، بيروت- لبنان.

4 -قانون التواصل –التفلهم –الاتصال (كسب قلوب الناس- الإنصات العميق- الحوار الواعي)

5 -قانون التعاضد أو التعاون الإبداعي

6 -قانون التجديد وشحذ الهمم[1].

قوانين الإبداع والابتكار وهندسة التأثير والتغيير

تعريف الإبداع و التفكير الإبتكاري هو :" هو مزيج من الخيال و التفكير العلمي المرن، لتطوير فكرة قديمة أو لإيجاد فكرة جديدة، مهما كانت الفكرة صغيرة ن ينتج عنها إنتاج متميز غير مألوف، يمكن تطبيقه و استعماله . وهناك التعاريف السبعة الملازمة للإبداع و علاقتها بالإبداع و الفروقات بينهم، ومن هذه المصطلحات، الفكرة و الخاطرة و الاكتشاف و الاختراع و الإلهام و غير ذلك. ثم يتناول علاقة الإبداع باعملية حل المشكلات، حيث يثبت أنه ليس هناك ثمة علاقة بين هاتين العمليتين .

ومن أهم مواضيع الكتاب ما تناول فيه الكاتب مسألة التقليد الأعمى في العملية الإبداعية أو الإمعية.و يوضح الكاتب بأنها العدو اللدود للإبداع و هذا لا يعني أن لا يستفيد الإنسان من خبرات غيره و لكن التقليد المذموم هو التقليد الأعمى[2].

---

(1) .. صناعة النجاح، سلسلة كتب صناع المجد، الكتاب الأول-، د. طارق السويدان، فيصل باشراحيل، دار ابن حزم، ط/ 6، 1424هـ - 2004م، بيروت- لبنان.. العادت السبع الأكثر فعالية، ستيفن آر. كوفي، مكتبة جرير، ط/4، 2003م.. العادات السبع للإقدام على التغيير بشجاعة، ستيفن آر. كوفي، مكتبة جرير، 2003م، ط/1.. مفاتيح النجاح، هادي المدرسي، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، 2002م، ط/1.. وانظر هندسة الحياة وصناع التأثير، للدكتور علي الحمادي في موقع إسلام تايم.. حقنة الإبداع، علي الحمادي، دار ابن حزم، 1998م، ط/1.. سبع طرق لهندسة الحياة وصناعة التأثير، بأجزاءه الثلاث، الدكتور علي الحم ادي. عن إصدارات (قرأت .. سمعت.. شاهدت لك)، هندسة الحياة وصناع التأثير، للدكتور علي الحمادي في موقع إسلام تايم.. سلسلة قواعد وفنون التعامل مع الآخرين، علي الحمادي، دار ابن حزم، 1997م، ط/1.. شرارة الإبداع، علي الحمادي، دار ابن حزم، 1999م، ط/1.. صناعة الإبداع، علي الحمادي، دار ابن حزم، 1999م، ط/1.

(2) شرارة الإبداع، د. علي الحمادي، دار ابن حزم، ط/1، 1999م.

وإن هندسة الحياة وصناعة التأثير هي أن يكون لك دور ريادي في هذه الحياة، وأن تكون فاعلاً في حركة الحياة وقيادة المستقبل، وأن تكون شيئاً نافعاً في دن يا الناس، وأن تضيف شيئاً جديداً إلى هذه الحياة، إذ من لم يزد شيئاً على هذه الحياة فهو زائد عليها.

وهناك 15 وصية يمكن بها النهوض بهمتك والسمو بها، وهي:

(1) الاستعانة بالله والتوكل عليه وكثرة الدعاء والطلب من الله تعالى.

(2) استشعار الأجر والثواب عند الله تعالى، والتطلّع إلى الجنان التي أعدَّها الله تعالى للمجتهدين.

(3) مراجعة برنامجك اليومي وتحديد أعمالك بوضوح.

(4) الابتعاد عن سفاسف الأمور ودناياها.

(5) مراعاة الأولويات بعد تحديدها.

(6) قراءة سِيَر أهل الجد والاجتهاد والهمة العالية.

(7) الابتعاد عن الانغماس في الكماليات والأمور الثانوية.

(8) التأمل في المكانة السامية وفي إعزاز النفس الذي تتسبب به الهمة العالية.

(9) محادثة النفس وإقناعها بأهمية الهمة العالية وضرورتها.

(10) مجاهدة النفس ومخالفتها وعدم الاستسلام لها.

(11) منافسة القمم، ورفع الرأس إلى السماء، وقبول التحديات.

(12) التفاؤل لا التشاؤم واليأس.

(13) تجنب الإفراط في المباحات، كما قال القائل:

(14) من هجر اللذات نال المنى ومن ارتكب على اللذات عض على اليد.

(15) الحذر من التسويف.

(16) تجنب الاستجابة السريعة للصوارف الأسرية والملهيات الاجتماعية.

ومن ضمن عوامل نجاح صناعة التأثير محاولة اجتياز العوائق العشرين المانعة لذلك عن طريق:

1. طلب التوفيق من الله تعالى لاجتياز عائق عدم التوفيق.
2. كسر حاجز التردد وعدم الحزم.
3. الانتصار على الخوف من المجهول.
4. الاقتناع بضرورة التغيير وصناعة التأثير.
5. تقوية الهمة وتنشيط الطموح.
6. عدم الخجل من مزاحمة المؤثرين.
7. عدم الشعور بالنقص والدونية.
8. عدم الاستسلام للفشل وانعدام التحدي وقلة المثابرة.
9. ترك القناعات المزيفة جانباً.
10. عدم اليأس والإحباط والاستسلام لضغط الواقع.
11. ترك مجالسة الكسالى والاتكاليين.
12. المحاولة والتجريب.
13. نبذ الإمعية والتبعية.
14. مقاومة القهر والاستبداد وكتم الأنفاس.
15. نبذ الجهل واللهث وراء تطوير الذات.
16. الجدية والتعامل مع الحياة بهزلية وميوعة أي عدم وجود رسالة سامية في الحياة.
17. ترك الاهتمام بالصغائر واللهث وراء عظائم الأمور.
18. عدم الاستعجال في قطف الثمرة.
19. نبذ التربية الخاطئة وضيق الصدر.

20. ترك الحماقة وقلة العقل [1].

(1) 7 طرق لهندسة الحياة وصناعة التأثير، بأجزاءه الثلاث، الدكتور علي الحمادي.. إصدارات (قرأت .. سمعت.. شاهدت لك)، هندسة الحياة وصناع التأثير، للدكتور علي الحمادي في موقع إسلام تايم .. حقنة الإبداع، علي الحمادي، دار ابن حزم، 1998م، ط/1.. سبع طرق لهندسة الحياة وصناعة التأثير، بأجزاءه الثلاث، الدكتور علي الحمادي. عن إصدارات (قرأت .. سمعت.. شاهدت لك)، هندسة الحياة وصناع التأثير، للدكتور علي الحمادي في موقع إسلام تايم.. سلسلة قواعد وفنون التعامل مع الآخرين، علي الحمادي، دار ابن حزم، 1997م، ط/1.. شرارة الإبداع، علي الحمادي، دار ابن حزم، 1999م، ط/1.. صناعة الإبداع، علي الحمادي، دار ابن حزم، 1999م، ط/1.. صناعة النجاح، سلسلة كتب صناع المجد، الكتاب الأول- ، د. طارق السويدان، فيصل باشراحيل، دار ابن حزم، ط/ 6، 1424هـ - 2004م، بيروت- لبنان.. العادت السبع الأكثر فعالية، ستيفن آر. كوفي، مكتبة جرير، ط/4، 2003م.. العادات السبع للإقدام على التغيير بشجاعة، ستيفن آر. كوفي، مكتبة جرير، 2003م، ط/1.. مفاتيح النجاح، هادي المدرسي، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، 2002م، ط/1

الملحق – ب –

الأزمة المالية العالمية وتبيان روعة النظام الاقتصادي الإسلامي كبديل ناجح للنظام الرأسمالي الجشع المتطرف أو على أقل تقدير محاولة المزاوجة بينهما كمرحلة أولى أخذاً بمبدأ مرحلية وتدرج التغيير

وفيه:

مختصر نظام الوقف في الإسلام

مختصر نظام الحسبة في الإسلام

الدعوة العصرية بالعلم في تحليل الأزمة المالية العالمية وتبيان روعة النظام الاقتصادي الإسلامي كبديل ناجح للنظام الرأسمالي الجشع المتطرف أو على أقل تقدير محاولة المزاوجة بين هما كمرحلة أولى أخذاً بمبدأ مرحلية وتدرج التغيير

لاشك إن النظام المالي والاقتصادي هو أحد الأركان الركينة للإدارة والصناعة والهندسة والتجارة وكل مرافق الحياة، فالمشاريع المختلفة لا تقوم إلا بمراعاة ثلاثة مقومات رئيسة هي : الكفاءة والمتانة، الديمومة، والاقتصاد كما بين ا في فصل التطبيقات والمشاريع.

لذلك نبين في هذا المبحث مسألة على درجة عظيمة من الخطورة والأهمية بل هي أحد أهم الأسباب المعول عليها لصعود أمتنا اليوم، وتمثل مفترق طرق بين نصرة الله لها من عدمه، ألا وهو النظام الاقتصادي الذي يجب أن تقوم عليه تلك النهضة الصناعية والهندسية والتقنية بل وفي كل المجالات.

ولعل مسألة الدخول في تفاصيل النظام المالي في الإسلام يحتاج منا لمجلدات فقد ألفت فيه العديد من الكتب ونشرت فيه العديد من البحوث والمقالات والدراسات بدءً من نظام بيت المال وحتى أدق تفاصيل المعاملات المالية التي جاءت في كتاب الله تعالى وسنة الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبينها فقهاء الأمة وعلماءها عبر حقب التاريخ الإسلامي المختلفة[1]، والأمر نفسه بالنسبة للفكر والنظام المالي الغربي أو بمعنى أشمل وأحدث وأكثر هولاً ورعباً النظام العالمي العولمي الجديد.

فالنظام الإسلامي ليست مصارف إسلامية منتشرة في العالم هنا أو هناك بل نقول أن نظام المصارف أصلاً ليس نظاماً مالياً إسلامياً بل هو استيراد غربي، فالنظام الإسلامي في المال والاقتصاد والسوق فيه تفاصيل تختلف اختلافاً كلياً عن النظام

(1) انظر كتاب (المنهج التنموي البديل في الإقتصاد الإسلامي – دراسة للمفاهيم والأهداف والأولويات وتحليل الأركان والسياسات والمؤسسات)، صالح الصالحي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط/1، 2006م.. وكذلك كتاب (الرقابة الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية)، خولة عيسى صالح، بيت الحكمة، ط/1، 2001م.

الرأسمالي المقابل له من حيث الفكرة والجوهر والتفاصيل، فهو نظام أخلاقي متوازن بين التعامل المادي والتعامل الخلقي وفق توازن المنظومة الثلاثية في الإسلام (الخالق – الإنسان – البيئة) وليس كما يتعامل النظام الرأسمالي الذي لا يبالي إلا بكمية المال المكتسبة دون النظر لطرفي المعادلة الأخرى.

كما إن النظام الاقتصادي الإسلامي شأنه شأن أي نظام اقتصادي آخر لا يمكن له أن يقوم دون أن يكون هناك نظام سياسي يحمي هذا الاقتصاد. فهناك توافق بين النظام السياسي والنظام الاقتصادي، وهذا طبيعي، إذ لا بد من وجود حرية، والإسلام ينادي بالحرية، فالنظام الاقتصادي الإسلامي إذا قام وليس هناك قوة شعبية تحميه وليس هناك دولة تسنده فلن يستطيع أن يقوم، هناك التكامل بين الأنظمة وبعضها. كما إن النظام المصرفي لوحده لا يقوم من دون نظام اقتصادي إسلامي متكامل بمنظومة متناغمة، وهذا الاقتصاد الإسلامي لا بد له من النظام الإسلامي العام، نظام الإسلام في الحياة، منهج الإسلام الأخلاقي، هذه كلها يتكامل بعضها مع بعض.

ولا نريد هنا أن نكون نمطيين واعظين دون أن نبين حقائق فعلية لا مجرد ادعاءات أو تقولات يمكن أن تدحضها تلك البهرجة والزخرفة التي أملتها علينا الطفرة الحضارية بأنوارها وأضوائها وفضائياتها وإعلامها والقائمة تطول.

دعونا نتأمل بشكل سريع بعض تفاصيل النظام الإسلامي في الاقتصاد لنعلم كم كان الإسلام عظيماً بتحريمه لجرائم تنتهك باسم الحضارة وهي في الحقيقة مأساة عظيمة بحق البشر والبيئة والميزان بأجمعه الذي أمرنا تعالى أن نراعيه فهو ميزان للكون مربوط بميزان للأرض التي نحيا عليها وهذا قائم على ميزان العدل الاقتصادي الذي يدق أسفين نهايته إذا ما قام الأمر على الربا: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)) [الرحمن: 7-9].

ولأن الله تعالى خالقنا جميعاً فهو يحنو علينا ويريد لنا جميعاً الخير دون استثناء ودون احتكار وتفضيل لمجموعة على أخرى فقد حرم الربا تحريماً مغلظاً في جميع الأديان

وليس في شريعة الإسلام حسب كما تبين الآيات الكريمات التي نذكر بعضها أدناه، وأعلن الحرب على كل من يمارسه، وبينت الأحاديث كذلك خ طورة ذلك الأمر مما نراه اليوم شائعاً فينا من مظالم وكوارث.

إن الله تعالى يريد للبشرية أن تحيا سيدة لنفسها قائمة بعبوديتها لربها مقيمة للخلافة التي ارتضاها الله تعالى في الأرض دون أن يأكل القوي الضعيف أو يفترس الغني الفقير، بل الفقراء عيال الله لو جاعوا فكان حقاً على خالقهم أن يكبَّ وجوه أغنياءهم في نار جهنم . لذلك كان النظام الاقتصادي الإسلامي مبني على الإحساس بالآخر والتكافل بين الناس ومساعدة الغني الفقير فشرع الزكاة وحث على الصدقات حتى إنها تطفؤ غضب الرب وتبعد المكروه وتصارع القدر وتقي مصارع السوء وتعدل ق يام وصيام سنوات وسنوات . فكان النظام الاقتصادي الاسلامي بكل جوانبه الصناعية والإدارية والتجارية ينظم حق وواجب كل فرد وأمة كي تحيا البشرية في رفاهية عامة دون تمييز لصنف أو جنس أو لون أو مجموعة على أخرى.

لكن الأنانية والفردية والاحتكار تمكنت من مجموعة لا تعد و نسبتها جزء من الآلاف من نسبة البشر بحيث لا تريد أن يكون للناس نصيب من السعادة وتريد أن يكون العالم كله يعاني كي تبقى هي متمتعة متحكمة في البشرية ومقدراتها، يقول تعالى واصفاً حالنا مع أوامره وحال من يمنعنا من تنفيذها : (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً (28) [النساء: 27-28].

بل إن الله تعالى عذب أقواماً بعذاب غليظ مدمر بسبب فسادهم الاقتصادي كما كان حال الين يخسروا الميزان من قوم شعيب – عليه السلام- من أهل مدين فقال القرآن الكريم فيهم: (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [الأعراف: 85]، (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَ شْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)

[هود: 85]، (وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [الشعراء: 183]. يقول تعالى مبيناً تلك الحقيقة التأريخية والقانون الحضاري العالمي المهم : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) [القصص: 58]، (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَ كَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) [النحل:112]، (لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16)) [سبأ: 15–16]. كما توعد الله تعالى الذين يفعلون ذلك بـالويل والثبور في الدنيا والآخرة، يقول جل وعلا : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6)) [المطففين : 1–6].

كما يحدثنا التأريخ عن أمم أفنيت بسبب فسادها الاقتصادي وفق منهجية البحث القرآنية (سيروا– فانظروا)، كما حصل لجزيرة أطلانطا الإغريقية القديمة وحضارتها العطيمة التي ابتلعها زلزال وتشقق أر ضي هائل ابتلعها وجعلها تحت مياه البحر المتوسط وكذلك مدينة بومبي الرومانية بجنوب إيطاليا التي دمرها بركان فيزوفيوس المرعب عام 79 ميلادية بسبب تعذيبها لأهل الديانة النصرانية من جهة وبذخها وبطرها وفسادها الاقتصادي من جهة أخرى، وأقوام بين ذلك كثيراً[1]

إن الاقتصاد في الاسلام يمنع ركيزتي التدمير الرأسمالية الجشعة : المطرقة المتمثلة بالربا من جهة والسندان المتمثل بالبخل والشح والاحتكار والغش والاحتيال والتلبيس وغيرها. أي أنه اقتصاد أخلاق ورقابة ذاتية لأن الله تعالى يعلمنا أن الإنسان على نفسه رقيباً حسيباً : (بَلِ الْأِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15))

(1) يراجع كتابنا (القوانين القرآنية للحضارات)، عن دار الكتب العلمية ببيروت، وكذلك كتابنا (لسنا بمامن)، عن دار الكتب العلمية ببيروت.

(القيامة). وكل ما يرتبط بتلك الحقيقة من تبعيات، قال تعالى : (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) (الأنعام:70)، (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (غافر:17)، (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (المدثر:38)، (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) (الاسراء:14)، (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النور:24).

فأما المطرقة وهي الربا، فإن له مضار كبيرة جداً على الفرد والمجتمع والأمم جميعها ومن أجل ذلك جاء تحريمه، فهو يستعبد الناس جميعاً ويذلهم ويدمر حياتهم من أجل مجموعة من الأغنياء الذين صار المال دولة بينهم دون خلق الله الذين سخر لهم الله كل خيرات أرضه وكونه وأمر بتوزيعها عليهم عدلاً وقسطاً. ولقد بينت آيات الله تعالى في كتابه الكريم أن هذا الداء العضال لم يبق أمة إلا وأحدث فيها من الآفات والهلاكات ما لا يعد ولا يحصى حتى وصل الأمر بالتهديد لمن يستخدمه بالمحق والحرب من الله ورسوله، يقول تعالى:

1. (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّ با وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (279) [البقرة: 275- 279].

2. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (131) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) [آل عمران: 130-134].
3. (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (161) [النساء: 160- 161].
4. (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) [الروم: 39].

وأما السندان المتمثل بالبخل والشح والاحتكار والاكتناز والغش وأكل اموال الناس بالباطل فإن الآيات جاءت به كثيرة والتهديد عظيماً، يقول تعالى مبيناً أنه قد جعل لكم أيها الناس في أرضكم كل ما من شأنه أن يجعلكم تعيشون مرفهين إن قمتم بتوزيع تلك الثروات والكنوز بينكم بالعدل والإنصاف دون تمييز ودون احتكار : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [الحج: 65]، وقال تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة: من الآية 29]. وقال أيضاً: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الجاثـــية: 13].

فقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ ...) في الآية الأولى وقوله جل وعلا: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ..) في الأخرى هي دعوة لك أخي الكريم أن تعلم وتتدبر في تلك الكنوز التي جعلها الله لك التي تدخل ضمن قوله جل وعلا: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى) [طـــه: 6]،

مما بيناه في كتاب (هندسة المواد) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية). والتسخير في الآيات يقصد به جميع المخاطبين من بني البشر، والله تعالى أعلم.

ولقد جاء التحذير القرآني من تلك الأدوات الفتاكة المشكلة لسندان الهدم الاقتصادي على مر التاريخ شديداً رعيداً كما في سورة المطففين [الآيات: 1- 6] سابقة الذكر، وقال جل وعلا أيضاً في نفس المجال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [التوبة: 34]، (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر: من الآية 9]، (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [التغابن: 16]، (هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [محمد: 38]، (وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11)) [الليل: 8-11]، (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) [الهمزة: 3]، (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة: 245]، (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) [الحديد: 11].

وقد حذرنا النبي عليه الصلاة والسلام من عظم وخطورة الأمر في الدنيا والآخرة . وهنالك عدة أحاديث تبين الخطر الكبير على الفرد والمجتمع جراء تلك المعاول الهدامة المطرقة المتمثلة بالربا والسندان المتمثل بالاحتكار والغش والبخل، نذكر منها:

1. عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اجتنبوا السبع الموبقات)، قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : (الشرك بالله والسحر وقتل

النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)[1].

2. عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال : لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغي ولعن المصورين[2].وعن علقمة عن عبدالله قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله قال قلت وكاتبه وشاهديه ؟ قال إنما نحدث بما سمعنا[3].

3. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره . وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع) [4].

---

(1) صحيح البخاري [جزء 3 – صفحة 1017، رقم : 2615 ، وكذلك أرقام: 5431 ، 6465]، وأخرجه مسلم في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها رقم 9 . قال الشراح كما في الفتح : (اجتنبوا) ابتعدوا. (الموبقات) المهلكات . (السحر) هو في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه وبمعنى صرف الشيء عن وجهه ويستعمل بمعنى الخداع . والمراد هنا ما يفعله المشعوذون من تخييلات وتمويه تأخذ أبصار المشاهدين وتوهمهم الإتيان بحقيقة أو تغييرها . (بالحق) كالقتل قصاصاً. (التولي يوم الزحف) الفرار عن القتال يوم ملاقاة الكفار والزحف في الأصل الجماعة الذين يزحفون إلى العدو أي يمشون إليهم بمشقة مأخوذ من زحف الصبي إذا مشى على مقعدته . (قذف) هو الاتهام والرمي بالزنا . (المحصنات) جمع محصنة وهي العفيفة التي حفظت فرجها وصانها الله من الزنا . (الغافلات) البريئات اللواتي لا يفطن إلى ما رمين به من الفجور.

(2) صحيح البخاري [جزء 5 – صفحة 2045 ، 2123، وكذلك 1980].. ومعنى (كسب البغي) ما تكسبه الزانية وتأخذه بسبب زناها.

(3) صحيح مسلم [جزء 3 – صفحة 1218 ، رقم 1597].

(4) صحيح البخاري [جزء 2 – صفحة 523 ، رقم 1375، وكذلك أرقام: 2760، 4993، 5461]، وتابعه الحسن بن مسلم عن طاوس في الجبتين . وقال حنظلة عن طاوس جنتان. وقال الليث حدثني جعفر عن ابن هرمز سمعت أبا هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم جنتان. وأخرجه مسلم في الزكاة باب مثل المنفق والبخيل رقم 1021. ومعنى مفردات الحديث كما في الفتح : (ثديهما) جمع ثدي . (تراقيهما) جمع ترقوة وهي العظم البارز أعلى الصدر من رأس الكتف إلى ثغرة العنق . (سبغت) امتدت وغطت . (وفرت) كملت ونمت . (بنانه) أصابعه . (تعفو أثره) تمحو أثر مشيه . (لزقت كل حلقة مكانها) التصقت وضاقت عليه . والمعنى أن الجود الكريم إذا هم بالنفقة انشرح لذلك صدره وطاوعته يداه فامتدتا

4. عن أبي العلاء بن الشخير عن بن الأحمس قال لقيت أبا ذر فقلت له بلغني عنك انك تحدث حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أما إنه لا تخالني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما سمعته منه فما الذي بلغك عنى قلت بلغني انك تقول ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله عز وجل قال قلت وسمعته قلت فمن هؤلاء الذين يحب الله قال الرجل يلقى العدو في الفئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا ان يمسوا الأرض فينزلون فيتنحى أحدهم فيصلى حتى يوقظهم لرحيلهم والرجل يكون له الجار يؤذيه جواره فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن قلت ومن هؤلاء الذين يشنؤهم الله قال التاجر الحلاف أو قال البائع الحلاف والبخيل المنان والفقير المختال [1]. و عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله : يحب رجلا كان في قوم فأتاهم سائل فسألهم بوجه الله لا يسألهم لقرابة بينهم وبينه فبخلوا فخلفهم بأعقابه حيث لا يراه إلا الله ومن أعطاه ورجل كان في كتيبة فانكشفوا فكبر فقاتل حتى يفتح الله عليه أو يقتل ورجل كان في قوم فأدلجوا فطالت دلجتهم فنزلوا والنوم إليهم مما يعدل

بالعطاء وأما البخيل فإذا حدث نفسه بالصدقة ضاق صدره وانقبضت يده . (جنتان) درعان. قال القاضي عياض في شرح هذا الحديث الذي جاء في صحيح مسلم [جزء 2 – صفحة 708، رقم 1021]. وقع في هذا الحديث أوهام كثيرة من الرواة وتصحيف وتحريف وتقديم وتأخير ويعرف صوابه من الأحاديث التي بعده فمنها مثل المنفق والمتصدق وصوابه مثل المنفق والبخيل ومنها كمثل رجل وصوابه كمثل رجلين عليهما جنتان ومنها قوله جبتان أو جنتان وصوابه جنتان بالنون بلا شك والجنة الدرع ويدل عليه الحديث نفسه أي قوله فأخذت كل حلقة موضعها وقوله في الحديث الآخر جنتان من حديد (سبغت عليه) أي كملت واتسعت (أو مرت) قيل إن صوابه مدت بالدال بمعنى سبغت كما قال في الحديث الآخر انبسطت لكنه قد يصح مرت على نحو هذا المعنى والسابغ الكامل (حتى تجن بنانه وتعفو أثره) في هذا الكلام اختلال كثير لأن قوله تجن بنانه وتعفو أثره إنما جاء في المتصدق لا في البخيل وهو على ضد ما هو وصف البخيل من قوله قلصت كل حلقة موضعها وقوله يوسعها فلا تتسع وهذا من وصف البخيل فأدخله في وصف المتصدق فاختل الكلام وتناقض ومعنى يعفو أثره أي يمحي أثر مشيه بسبوغها وكمالها وهو تمثيل لنماء المال بالصدقة والإنفاق والبخل بضد ذلك.. انظر شرح الحديث في (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج).

(1) مسند أحمد بن حنبل [جزء 5 – صفحة 151، 21378].. تعليق شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف.

به فناموا وقام يتلو آياتي ويتملقني ويبغض الشيخ الزاني والبخيل المتكبر) وذكر الثالث[1].

كما لا ننسى فعل الزكاة والصدقات والتكافل والحسبة في حياة الأمة وكيف أنها لعبت دورًا كبيرًا في التناغم الاجتماعي وكيف أنه تقلص في عصرنا الحديث لنجد أنفسنا منغمسين في النظام الاقتصادي والاجتماعي العولمي وما سيجرنا له من كوارث أكثر مما نحن غرقى فيه أصلاً.

للكن قبل أن نبين العلاجات الإسلامية وفق نظام إسلامي اقتصادي متكامل يضع البشرية على طريق الخير والفلاح نود أن نبين حقيقة النظام العالمي وتأريخ تشريعاته التي جلبت للعالم الظلم والهوان بل ولنغوص أكثر في اعترافات الساسة الذين شرعوا لهذه القيود المذلة للبشر ومن بع دها نحاول فهم أبعاد المسألة الاقتصادية العالمية بأزمتها الحالية بل قل بأزمتها الأزلية إن لم ترعو.

نريد هنا فقط أن ننقل لكم الصورة الحقيقية التي يتخفى وراءها ذلك الغول المرعب المسمى بالنظام الاقتصادي الرأسمالي العولمي، بل ذلك الأخطبوط بأفرعه الجهنمية الخانقة، صندوق النقد الدولي، منظمة التجارة العالمية، ومسميات أخرى عديدة.

سنعود لنعرف المبدأ الذي أنشأ عليه النظام المالي الغربي وتحديداً الأمريكي باعتباره الأقوى والأضخم والذي كانت له اليد الطولى بعد السيطرة المطلقة للولايات المتحدة الأمريكية على مسرح الصراع العالمي بعد الحرب العالمية الثانية سواء في المجال الصناعي أو العسكري أو المعدني وبالتأكيد الاقتصادي بشكل عام.

سننطلق من دراساتنا من مصادر غربية وبحوث نشرتها جهات أمريكية وطيدة الصلة بأصحاب القرار في الدولة أو الامبراطورية الأكثر نفوذاً في التأريخ البشري، وهم المشرعون الأمريكيون وأعني بهم شيوخ المجلس أو مجلس الشيوخ الأمريكي – الكونغرس– الذي يحوي المجموعة الأكثر نفاذاً وتأثيراً على مصائر شعوب وأمم وليس أفراد بعينهم.

---

(1) صحيح ابن حبان [جزء 8 – صفحة 138 ، رقم 3350]

حقيقة بداية العمل الربوي تعود لأزمنة سحيقة عندما ظل بعض العوائل من التجار اليهود مسيطرين على تجارات معينة عند كل حضارة تقوم، فتراهم يحزمون حقائبهم ليذهبوا عند تلك الحضارة ويقيموا عندها فيسيطروا على أعمال معينة، وظل ذلك متوارثاً كابراً عن كابر ولم تستثنى منه حتى الحضارة الإسلامية التي سيطر على بعض حلقاتها تجار يهود، بل إنك تجد أن بعض القائمين على الدواوين والعملات إبان الدولة الأموية كانوا يهوداً قبل أن يقدم سيدنا عمر بن عبد العزيز على تحرير الأمة من تلك القيود فخفف ذلك الأمر من سيطرتهم.

ثم استمر الأمر هكذا مع كل شمس حضارة تشرق وحضارة تأفل، حتى جاءت الثورات الصناعية وبدأ العالم يتحول إلى عالم جديد أكث ر ظلماً وانتهازاً وعبودية للناس فكان ما كان من أمر الصناعات الجديدة وسيطرة تلك العوائل التجارية بتوارثها العجيب على أهم تلك الحلقات ومن ثم انتقالها عبر أوربا ومن بعدها الولايات المتحدة بعد انتصارها في الحرب العالمية الثانية والبدء الرسمي لإعلان قيام الامبر اطورية الصناعية والرأسمالية الأعظم في التاريخ.

بعد ذلك بدأت الإجراءات المالية وبناء السياسة المالية التي تحفظ سيطرة تلك الامبراطورية على مقدرات العالم بغض النظر عن معاناة البشرية، وكانت تلك العبودية المبطنة التي تحكم سيطرة مجموعة من الشركات العملاقة ومالكي ها على مقدرات الاقتصاد العالمي وليس الأمريكي فقط، وكل ما يجري من معاملات تجارية ومالية في العالم في كل لحظة يدور في فلك هؤلاء. والأمر بسيط جداً وهو ببساطة عملية يطلق عليها اسم (صناعة المال) تقتضي ببساطة سيطرة مطلقة لبنوك ربية خاصة معينة على كل الإجراءات ال مالية والشؤون التجارية والاقتصادية الفردية والجماعية والمؤسساتية والوطنية والأممية والعالمية بدون استثناء والتي نظمت بموجب الاتفاقية الاتحادية لتنظيم شؤون الحجز والتسعير والائتمان المصرفي (1913 Federal Reserve Act) التي وقعها الرئيس الأمريكي ويدرو ويلسون (Woodrow Wilson) عام 1913م رغم تحذيرات العديد من الرؤساء السابقين

واللاحقين والشيوخ الأكثر اعتدالاً وحسبما سنبين لاحقاً. تلك الاتفاقية تعني ببساطة ودون الدخول بالتفاصيل جعل تلك البنوك ومالها هو السيد والناس جميعها عبيداً له بينما المفروض أن يكون العكس تماماً.

لا نريد أن نطيل الإحصاءات والجداول فهذه دراسات عميقة طويلة كتب ويكتب فيها الكثير ولكن سنسرد فقط أقوال لرؤساء ووجهاء وسيناتورية – شيوخ- أمريكان كانوا قد حذروا دولتهم قبل البشرية من مخاطر النظام المالي الرأسمالي الربوي المدمر قبل وبعد توقيع ويدرو ويلسون (Woodrow Wilson) عام 1913م على الاتفاقية الاتحادية لتنظيم شؤون الحجز والتسعير والائتمان المصرفي (1913 Federal Reserve Act).

بل وإن آندرو نفسه أعلن أنه قد خان وخرب بلده بيديه كما يبين الجدول (م2–1) والشكل (م2–1) أدناه اللذان يختصران لنا أقوال لكبار مسؤولين ورؤوساء امريكان عاصروا فترة تنظير وتنظيم العمل المالي الربوي الأمريكي الذي يسيطر عليه كبار تجار الصناعات والأسلحة والمعادن والزراعة في العالم.

يمكن القول بل والجزم إن أغلب مآسي العالم اليوم من حروب وويلات ومجاعات وظلم بل وحتى كوارث الاحتباس الحراري والتلوثات المدمرة والأمراض جراء نظام اسمه الاتفاقية الاتحادية لتنظيم شؤون الحجز والتسعير والائتمان المصرفي (1913 Federal Reserve Act) التي وقعها الرئيس الأمريكي ويدرو ويلسون (Woodrow Wilson) عام 1913م التي تقوم على أساس استفادة مجموعة من المتحكمين الصناعيين والتجار الكبار بمقدرات العالم والقائمة على أساس الفائدة الربوية.

الجدول (م2–1) مع الشكل (م2–1) يكفيان لكل ذي لب من أن يعرف حقيقة ما تحيا به البشرية اليوم من ظلم وظلمات ومظالم رغم كل مظاهر البذخ الزائف الذي يأخذ بألباب الكثيرين ممن لم يغوصوا ويطلعوا على حقيقة المأساة[1][2].

الجدول (م2–1): نصائح واعترافات الرؤساء الأمريكان وأصحاب القرار حول النظام المالي الربوي المدمر[3]

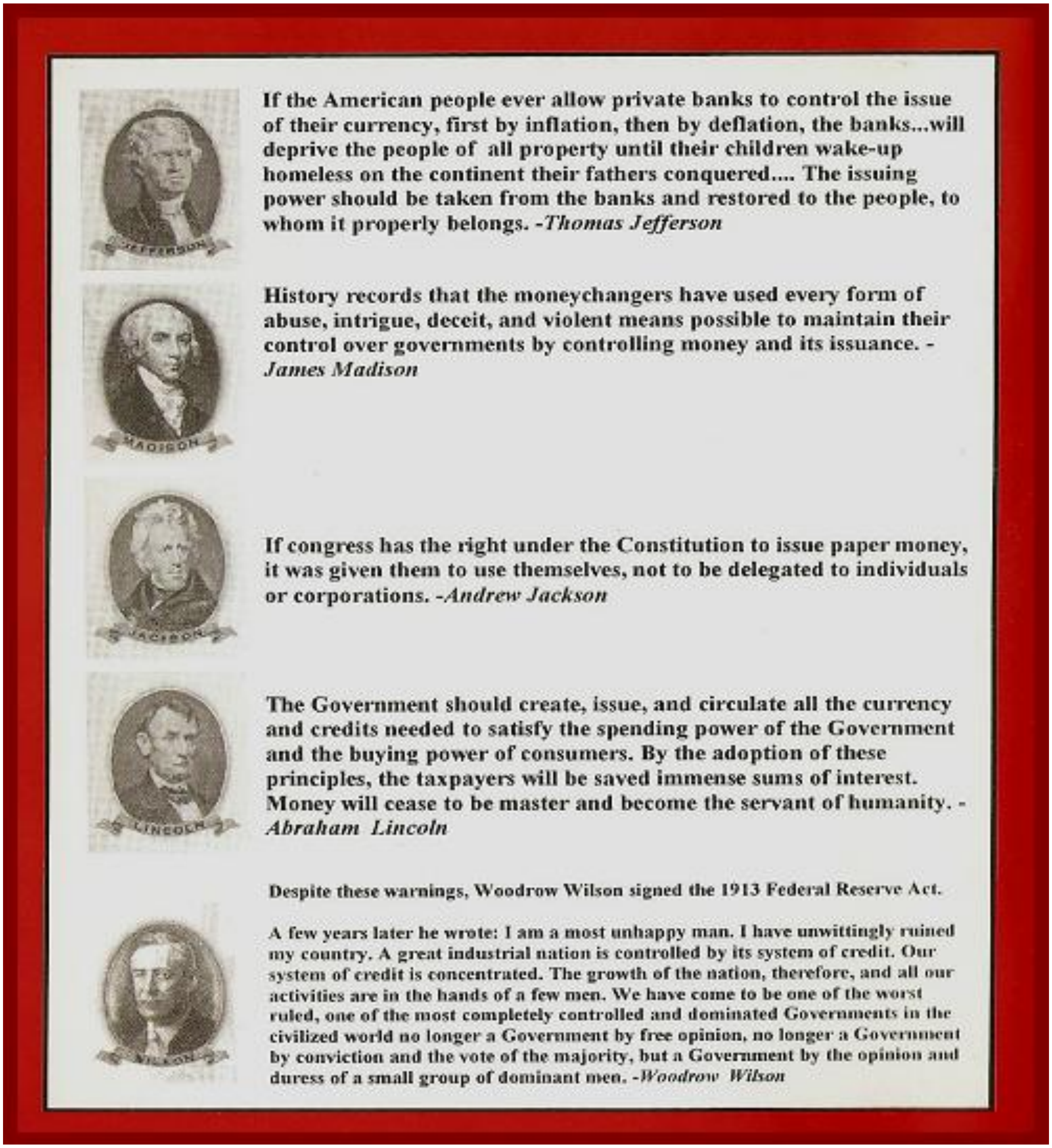
ت	الشخصية	المقالة
1	توماس جيفرسون (Thomas Jefferson)	إذا ما قبل الشعب الأمريكي بأن البنوك الربوية الخاصة بالتحكم بموضوع العملة وتداولها بواسطة التضخم أولاً ثم بالانكماش فإن تلك البنوك ستخنق الناس وتحرمهم من كل مدخراتهم وممتلكاتهم حتى إن أولادهم لا يمكنهم الفكاك إلا على كابوس حقيقته هي عدم امتلاكهم لدار يؤيهم مشردين في قارتهم التي احتلها آبائهم.. إن عملية صناعة المال يجب أن تؤخذ من البنوك الخاصة وتعود لأصحابها الحقيقيين، الشعب حيث منبعها وأصلها وأحقيتها.
2	جيمس ماديسون (James Madison)	سيسجل التاريخ أن متصرفي المال استخدموا أقذر الوسائل الممكنة من الغش والخداع والخيانة والطعن واللعن والعنف والإرهاب والقسوة والتهديد والتعذيب ليحكموا سيطرتهم على الحكومات بسيطرتهم على المال وتداوله وصناعته

(1) Money Facts, 169 Question & Answers On Money- A Supplement To A Primer On Money, With Index: " Subcommittee On Domestic Finance- Committee On Banking & Currency", House Of Representatves, 88th. Congress, 2nd. Session. September, 21th. 1964.

(2) عن مقالة في موقعنا على الشبكة بعنوان: النظام المالي الإسلامي العادل والنظام المالي العولمي المدمر (The Islamic Just Financial System & The Destructive Globalization Financial System).. وانظر كتابنا (الهندسة الصناعية والإدارية في القرآن والسن ة النبوية) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الذي يصدر عن جائزة دبي للقرآن الكريم.

(3) نفس المصادر السابقة كتاب (Money Facts) و(كتابنا (الهندسة الصناعية والإدارية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية).

إذا كان مجلس الشيوخ – الكونغرس– له الحق وفق الدستور في استصدار الورق المالي وصناعة المال فقد قام بتفويض واستخدام نفسه بطريقة شخصية وضيعة تخدم أفراداً ولا تخدم الأمة ولا تعين على التعاون والفائدة العامة.	آندرو جاكسون (Andrew Jackson)	3
الحكومة يجب أن تقوم باستصدار وتدوير كل الائتمانات المصرفية والإقراضات والتداول اللازمة لتأمين احتياجات قوة الأمة والدولة والحكومة ورفاهية الشعب وزيادة قدرته الشرائية والاستهلاكية، بهذه المفاهيم والأسس نستطيع أن نحجم دور المصارف الربوية وتحكمها بمقدراتنا ونمنع المال وربائبه أن يكونوا هم السادة بل يكونا خدماً وعبيداً للناس أجمعين	إبراهام لينكولن (Abraham Lincoln)	4
أنا أتعس رجل بالعالم، فلقد قمت بتخريب بلدي وأمتي، تلك الأمة الصناعية العظيمة، بتوقيعي على اتفاقية الائتمانات المصرفية التي أعلنت بموجبها ربط رقبة هذه الأمة بهذا النظام الظالم، فقد أصبح تطورنا وتطور مجتمعنا مرهون بيد ثلة من الناس تتحكم بنا كيف تشاء إن شاءت رفعتنا وإن شاءت وضعتنا. هذا القانون هو الأسوأ قذارة والأكثر خسة حيث أصبحت حكومتنا الأكثر ارتهاناً في عالمنا المتحضر اليوم بمصالح أفراد ولم تعد لها القابلية على أن تكون مستقلة بقراراتها ولم تعد تمثل رأي الشعب وتحكم وفق مبدأ المصلحة العامة الغالبة بل هي أسيرة رأي مجموعة محتكرة متسيدة من الناس لا تعرف سوى مصالحها فقط.	ويدرو ويلسون (Woodrow Wilson) بعد أن لم يستمع لنصائح غيره واستمر بالتوقيع على تلك الاتفاقية الاخطبوطية المرعبة، قال بعد عدة سنوات قولته الشهيرة التي هي:	5



If the American people ever allow private banks to control the issue of their currency, first by inflation, then by deflation, the banks...will deprive the people of all property until their children wake-up homeless on the continent their fathers conquered.... The issuing power should be taken from the banks and restored to the people, to whom it properly belongs. -*Thomas Jefferson*

History records that the moneychangers have used every form of abuse, intrigue, deceit, and violent means possible to maintain their control over governments by controlling money and its issuance. -*James Madison*

If congress has the right under the Constitution to issue paper money, it was given them to use themselves, not to be delegated to individuals or corporations. -*Andrew Jackson*

The Government should create, issue, and circulate all the currency and credits needed to satisfy the spending power of the Government and the buying power of consumers. By the adoption of these principles, the taxpayers will be saved immense sums of interest. Money will cease to be master and become the servant of humanity. -*Abraham Lincoln*

Despite these warnings, Woodrow Wilson signed the 1913 Federal Reserve Act.

A few years later he wrote: I am a most unhappy man. I have unwittingly ruined my country. A great industrial nation is controlled by its system of credit. Our system of credit is concentrated. The growth of the nation, therefore, and all our activities are in the hands of a few men. We have come to be one of the worst ruled, one of the most completely controlled and dominated Governments in the civilized world no longer a Government by free opinion, no longer a Government by conviction and the vote of the majority, but a Government by the opinion and duress of a small group of dominant men. -*Woodrow Wilson*

الشكل (م2−1): نسخة صفحة أقوال واعترافات الرؤساء الأمريكان حول سيطرة البنوك الربوية على مقدرات بلدهم وفعلها المدمر للولايات المتحدة على المدى الطويل وعبودية العالم له(1)

(1) نفس المصدر السابق كتاب (Money Facts).. وانظر كتابنا (الهندسة الصناعية والإدارية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية).

تلك الاعترافات جاءت من ساسة وقادة وسادة القوم ممن اطلعوا على خفايا اللعبة بل وممن شاركوا في صياغتها ليعلنوا دمار البشرية وخنق وموت كل خلق سام وكل تكافل جميل وكل رفع وسمو روحي مبني على أساس أحقية الناس جم يعهم بالعيش والتمتع بم خلقه الله تعالى لهم.

وهنا لا أزعم أني أول من حذر وتوقع بدء اقتراب انحدار وسقوط النفوذ المطلق لامبراطورية العم سام رغم ذكري لذلك في كتابين قبل حوالي 5 سنوات خلت، الأول كتاب (القوانين القرآنية للحضارات) الصادر عن دار الكتب العلمية ببيروت عام 2004م والثاني كتاب (لسنا بمأمن) عن نفس الدار عام 2007م. ولم أكن لأنطلق في ذلك من عواطف جوفاء أو خطابات إنشائية رنانة لم تعد في عالم اليوم لتغني أو تسمن من جوع، ولكني استشرفت ذلك وفق دراسات وبحوث علمية رصينة عديدة قام بها كبار المتخصصين في الشؤون منها طبيعية فلكية وجيولوجية تتعلق بالكوارث المنتظرة في تلك القارة، ومنها بشرية اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية. وقبل هذا وذاك فإن قانون الله تعالى الخالد في كتابه الكريم قد بين ذلك دون لبس : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) (لأعراف:34)، (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) (يونس: من الآية49)، (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) (النحل: من الآية61)، (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً) (فاطر:45) [1].

وقد كان من بعض تلك الدراسات والبحوث التي اعتمدناها في كتبنا بحوث لمتخصصين في الشؤون الستراتيجية السياسية والاجتماعية والاقتصادية مثل بول كينيدي صاحب كتاب صعود الحضارات الذي تنبأ قبل حوالي 20 عاماً ببدء الانحدار مع انتهاء العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

---

(1) راجع مقال (تداعيات الأزمة العالمية وبدء العد التنازلي لانتهاء الامبراطورية)، د. خالد العبيدي، موقع الدكتور على الشبكة.

ولئن كان ابن خلدون المؤرخ المسلم المشهور قد ذكر أن أول الحضارات تكون االضرائب قليلة والجباية كثيرة وعند اقتراب أجلها أي في نهاية الحضارة يحصل العكس فتزيد نفقات الدولة للحروب وبالتالي بتزيد الضرائب وفي نفس الوقت تقل العوائد، تلك نظرية الحضارات النظرية الثابتة والعظيمة التي شخصها هذا الرجل منذ مئات السنين طبقت ولا تزال تطبق بدقة متناهية كأنها الساعة الإلكترونية، فإن العديدمن المحللين والمفكرين والمنظرين توقعوا في الأمس القريب والبعيد بداية نهاية السيطرة الاقتصادية الأمريكية على العالم لتكون الشرارة الأولى التي ستشعل فتيل الحريق المؤذن بنهاية هذه الامبراطورية وانحسار دورها الظالم في العالم رغم كل ما قيل من قبل البعض أنها ولدت لتبقى كما قالها الكثير من قبلهم في أمم خلت منذ عهد بداية الحضارات ولغاية انتهاء الحضارات الخمس في القرن العشرين – العثماينة، الألمانية البريطانية، الفرنسية، الشيوعية– وقروناً بين ذلك كثيراً.

والمعروف أن الاقتصاد هو العصب الأخطر والشريان الأبهر في جسم الامبراطوريات، فكم قصمت حضارات بسبب الاقتصاد لعل آخرها كانت الامبراطورية الشيوعية التي أخلت بفطرة الإنسان فجردته من كل شيء يمتلكه، بينما أخلت نقيضتها الرأسمالية بالتوازن من الجهة الأخرى لتعطي الإنسان حرية مطلقة في التملك دون رقيب ليتبين لاحقاً أن الأمر كله لا يتعدى حقيقة مفادها: (تملك مطلق لأقل من 2% من سكان الأرض يتملكون 80% من ثروات الأرض التي خلقها الله تعالى مقابل 18% يتملكون على الورق فقط و80% يتضورون جوعاً يدورون في فلك تلك القلة لتتعطف عليهم بما يسد رمقهم فإن أبت لاقوا مصيرهم المحتوم، والله المستعان) [1].

بدأ الأمر مع صرخات تعلوا من عدة مفكرين ومحللين اقتصاديين واستراتيجيين غربيين وشرقيين بأن الأمر سيستفحل حتى يبلغ حالة الانهيار الذي لا يمكن ايقافه

---

(1) راجع مقال (تداعيات الأزمة العالمية وبدء العد التنازلي لانتهاء الامبراطورية)، د. خالد العبيدي، موقع الدكتور على الشبكة.

ككرة الجليد المتدحرجة. لكن لم يأبه أحد من أهل الجشع والطمع لتلك الرأسمالية الغول بل استمروا في غيهم معتقدين أن الأمر كله تحت السيطرة حتى جاءت الضربة الأخيرة التي أفاقوا عليها سكارى وما هم بسكارى ولكن عقاب الله عظيم.

لقد بدأت مؤشرات الأزمة العالمية الأخيرة قبل أكثر من سنة من اليوم – وليس كما يظن البعض قبيل بضعة أسابيع– لكن القوم حاولوا التدارك بصمت دون ضوضاء، فنجحوا في وقف النزيف آنياً لكن الأفق كان يشير لكوارث مرعبة مقبلة، بدءاً من موجة الغلاء وارتفاع أسعار النفط والتضخم العقاري وصولاً للانفجار الكبير والزلزال العظيم الذي حصل مؤخراً فلم يبق في الأمر منزع.

ربما يكون للتكبر والعجرفة والتعالي عند علية الأقوام عبر الحضارات المتلاحقة على البشرية سبباً رئيساً في دمار القرى والأمم في الماضي والحاضر، والعجيب أن البشر لا يتعضون وصدق الله تعالى بقوله: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) (الإسراء:16). فتلك الصفات عند أصحاب القرار في الدول العظمى اليوم كان سبباً حقيقياً في أن تعمى أبصارهم عن مراقبة الزلزال القادم رغم وجود أجهزة التحسس والمراقبة التي أشرت الخلل منذ يوم أعلنت الولايات المتحدة فك الارتباط بين الدولار والذهب عام 1974م فكان المسمار الأول في نعش حضارة الرأسمالية الزائف.

وتلك القصة بدأت عام 1944 عندما اجتمـــع وزراء مالية 44 دولـــــــة في مصيف "بريتـــــــــون وودز (Bretton Woods) "الأمريكي وقرروا ربط عملائهم بالدولار الأمريكي، وربط الدولار بالذهب بقيمة 35 دولاراً لكل أوقية ذهب، ولقد أدى ذلك لازدهار التجارة العالمية، حيث إن تثبيت الدولار بالذهب كان يعني أن العملات المتداولة لها قيمة تقابلها من الذهب، ونتج عن ذلك طمأنينة العالم للتعامل بالدولار لإمكانية تحويله لذهب متى شاء، وهاجرت مليارات الدولارات لخارج أمريكا بفعل النفوذ الأمريكي، حتى فاضت عن حاجة العالم.. ولقد أدى تجمع مليارات الدولارات خارج أمريكا لاحتمال حدوث أزمة خطيرة لو أصر أصحاب

الدولارات على تقديمها للخزانة الأمريكية ليستبدل الذهب بها، ولقد أقلقت هذه الظاهرة البنوك المركزية التي كانت تمتلئ خزائنها بالدولارات، فأعلن البنك المركزي الألماني رفضه قبول أية دولارات إضافية مفضياً إلى أزمة أغلقت خلالها الأسواق المالية بكل من ألمانيا وهولندا وبلجيكا وسويسرا والنمسا في يوم 6 مايو 1971، واستشعاراً بخطورة الموقف، سارعت إدارة الرئيس نيكسون إلى فك الارتباط بين الدولار والذهب في شهر أغسطس 1971، أو إلغاء اتفاقية "بريتون وودز" لتبدأ بعدها الأمور تنحو منحى جديداً انتهى بما نراه اليوم طبع لورق اسمه الدولار تدور حوله كل اقتصادات العالم دون غطاء من العملة الصعبة كالذهب أو غيره.

والأزمة التي تجتاح العالم اليوم حتى وإن تم إخماد جزء من حريقها لكن التآكل سيظل ينخر بالنظام بأسره حتى يقضي عليه نهائياً، فالمسألة ليست كما حصل من كساد في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي بل هي أخطر بكثير - كما يقول العديد من المختصون ممن نستعرض آراءهم أدناه- تتعلق بلب ومركز النظام الرأسمالي. فالأزمة المصرفية هي أزمة النهج الرأسمالي بامتياز مطلق، وقد أدت لخروج شركات أميركية تعمل بالقروض العقارية من قطاع الأعمال، لقد جمعت الأزمة المالية الحالية كل هذه العناصر لتصبح شبحًا يهدد الاقتصاد الأميركي الذي يمثل نحو 40% من اقتصادات العالم ويقذف إلى الذاكرة الكساد الكبير الذي عصف بالولايات المتحدة نهاية عشرينيات القرن الماضي.

فدعونا نتأمل في بعض تلك التحليلات الاقتصادية المهمة:

- اعترف وزير الخزانة الأميركي هنري بولسون بمسؤولية بلاده عن الأزمة المالية التي تعصف بالاقتصاد، وأعرب عن أسفه لوقوع عدد من الأخطاء التي قادت إلى أكبر هزة مالية يتعرض لها العالم في سبعة عقود، لكنه شدد على أن واشنطن تسعى بجهد حثيث لتصحيح الأخطاء. وكتبت صحية كريستيان ساينس مونيتور في افتتاحيتها يوم الجمعة 2008/10/17م أن على

الولايات المتحدة أن تغير نهجها لخلق نظام عالمي تنضم إليه دول أخرى لتجديد القوانين المالية من أجل الرخاء المتبادل.

- ❖ كما أبدت منظمات دولية قلقها جراء زيادة عدد الفقراء بالعالم في ظل الأزمة المالية العالمية الراهنة، وذلك بمناسبة اليوم العالمي للغذاء الذي يوافق السادس عشر من أكتوبر/ تشرين الأول سنويا. ويلقى 25 ألف إنسان يوميًا مصرعهم نتيجة سوء التغذية، نصفهم من الأطفال. وتتزايد المخاوف من تحول الأزمة المالية لركود وأزمة اقتصادية عبر انتقالها من القطاع المالي إلى قطاعات الاقتصاد الحقيقي، وتشير تقديرات النمو والبطالة وبيانات اقتصادية أخرى إلى اقتراب الركود من عدد من البلدان.
- ❖ بل وصل الحد لوصف الحالة بأنه ميئوس منه وأن الأمر جد خطير ما لم يتم تداركه بإجراءات علاجية جذرية حاسمة وليست إبر تخدير موضعي. فمئات المقالات والتحليلات العالمية تشير لاستحالة وضع حد آني سريع لما يحصل، فالصحف الأميركية تكون لديها شبه إجماع أن كل محاولات الإنقاذ فاشلة وأن قرن الهيمنة الأميركية مضى إلى غير رجعة وأن الأزمة المالية ستفقد أميركا وأوروبا تأثيرهما الدولي، خصوصاً بعد خطة الإنقاذ الأخيرة التي لم يتضح منها أي تصور للإصلاح الحقيقي. بينما الصحف البريطانية تقول: لا مجال لأنصاف الحلول في الأزمة المالية.
- ❖ وهذا فيلسوف بريطاني هو جون غراي يقول في مقال في الأوبزيرفر أثار ردوداً وجدلاً قال : إن ما يحدث ليس أزمة مالية ولكنها لحظة تحول جيوسياسي تاريخية تؤذن بتبدل القوى في العالم"، و"إن عصر الهيمنة الأميركية قد ولى إلى غير رجعة"، و"إن الزلزال الذي ضرب أسواق المال الأميركية هو إعلان نهاية الإمبراطورية". ويرى غراي أن الولايات المتحدة تترنح تحت وطأة الأزمة المالية العالمية في مشهد يذكر بما كان عليه الاتحاد السوفياتي عشية انهيار جدار برلين.

- ❖ فرنسوا فيون رئيس وزراء فرنسا قال في تصريحات نشرت الجمعة 2008/10/10م: "إن العالم يقف على حافة الهاوية إذ تطبق عليه أزمة مالية عالمية تهدد الصناعة والتجارة والوظائف في أنحاء العالم".. وهذا رئيس الحكومة الكندية ستيفان هاربر قال في ندوة تلفزيونية بثت يوم الجمعة 2008/10/10م أيضاً: "إن الوضع الاقتصادي للولايات المتحدة كارثي".
- ❖ وذاك الأستاذ الستراتيجي الاقتصادي والسياسي في كلية الدراسات الدولية العليا بجامعة جونز هوبكنز فرانسيس فوكوياما يقول في مقال في النيوزويك متسائلاً: كيف يمكن بعد أن سقطت بعض مفاهيم الرأسمالية مع انهيار كبرى الشركات في وول ستريت أن نستعيد الثقة في نموذج أميركا؟ كيف لنا وقد أفلست العديد من المؤسسات المالية والاقتصادية الغربية ومنيت كبار البنوك الاستثمارية الأميركية مثل ميريل لينش ومجموعة سيتي غروب بخسائر فادحة بلغت مليارات الدولارات، متأثرين بالأزمة المالية الراهنة لا سيما في مجال الائتمان أن نقبل بإمكانية وضع علاج ودواء لنظامنا الاقتصادي المتهالك.
- ❖ كاتب آخر يدعو إسرائيل إلى تشكيل وإعداد خطط طوارئ لتجاوز الأزمة المالية التي تهدد بركود عالمي، في حين رأى كاتب آخر أن الأزمة المالية تستوجب من إسرائيل إعادة النظر في انجرارها وراء ما أسماها "عبادة السوق".
- ❖ يقول إبراهيم عويس (أستاذ وخبير الاقتصاد السياسي الدولي) : (إن ما يحدث في أسواق العالم هو عبارة عن نتيجة حتمية لسياسة خاطئة في الولايات المتحدة على مدى الثماني سنوات الماضية وهي سنوات إدارة الرئيس بوش. وأن مسألة إشعال الحروب هذه أمر غير وارد، لأن رئيس الولايات المتحدة ليس عنده حق إشعال حروب أخرى إلا بموافقة الكونغرس، وأصابع الولايات المتحدة احترقت في تجربة غير قانونية دولياً في العراق. وأن العالم سيشهد نقصًا عامًا في السيولة لفترة السنتين القادمتين لأن الشرخ الكبير الذي حدث

في عدم توفر السيولة سيكون له تداعيات لا يمكن إصلاحها إلا بعد فترة. فمن ناحية نجد أنه لم يكن هناك التزام بسياسة حكيمة بالنسبة للإنفاق الأميركي في الوقت الذي دخلت فيه الولايات المتحدة حربًا غير مشروعة قانونيًا ضد العراق، وقد أنفق على هذه الحرب المبالغ الطائلة لدرجة أنه تصل تكلفة التمويل لتلك الحرب كل ثلاث دقائق إلى مليون دولار حسب دراسة لمجلة فورن بولوسي الأميركية، بينما الفورن بولوسي في عدد مارس/ أبريل 2007 عن مكتب إدارة خدمات البحث بالكونغرس بينت أن في العام 2001 كانت ميزانية البنتاغون وزارة الدفاع الأميركية 319 بليون دولار، وفي العام 2002 ارتفعت إلى 345 بليون، وفي العام 2003 وصلت إلى 438 بليون، ثم في العام 2004 بلغت 448 بليون، وفي 2005 بلغت 507 بليون، وفي 2006 وصلت إلى 536 بليون، وفي العام 2007 ارتفعت لحد 611 بليون دولار).. ويضيف: (بالتالي فقد أخِذت كل تلك المبالغ المفزعة والكبيرة جدًا من وعاء السيولة العالمية. ولكي تسد الولايات المتحدة هذا العجز لا بد أن تدخل مقترضة أيضًا. فالمؤسسات المالية وجدت أن عملية الإقراض بتلك السهولة التي حدثت على خلال السنوات الماضية جعلت تلك المؤسسات أن تعطي قروضًا ليس لها ضمانات كافية).. ويكمل الدكتور عويس بقوله: (الواقع أنها لها أثرا كبيرًا جدًا في هيكلة الاقتصاد الأميركي كله، الرئيس كلينتون قال لي في مقابلة خاصة في سنة 2005 إن الإدارة الحالية الأميركية لا تعرف أو لا تقدر أن الإنفاق العسكري أو الاعتماد على الحل العسكري ليس بسياسة سليمة).. ثم يقول: (معنى ذلك أن أصلاً أي بنك حينما يعطي قرضاً لا بد أن يدرس الأصول الثابتة للشخص الذي يقترض، فإذا كانت الأصول الثابتة تكفي لتغطية تلك القروض تعطى القروض وإلا لا تعطى، ونجد أنهم في وجود عدد كبير جدًا من المؤسسات المالية وتشعبها فإن الأمر يبدو غير قابل للسيطرة والتحكم حتى وإن أظهر عكس

ذلك. فأزمة الرهن العقاري بينت أن عددًا كبيرًا من المؤسسات المالية بدأت تعطي قروضًا لتمويل العقار لتمويل المُلك العقاري للمواطنين العاديين. بينما الذي حدث أن الاستعانة بما كان يحدث في الماضي من أن الدراسة لأصول المقترض لم تحدث لدرجة أنه كانت هناك قروض تعطي 105% يعني 100% زائد 5%، أي تبقى قيمة القرض مائة ألف وفائدة 105 آلاف تعطى لشخص ليس لديه القدرة أن يدفع أصلاً، وهذا حدث لملايين الأميركيين، فجأة وجدوا أنفسهم عاجزين عن دفع الأقساط).. وبناء على ما تقدم فلا بد أنه لهذه الفقاعة أن تنفجر يوماً ما.. والآن البنوك المتخصصة في الإقراض العقاري أصبحت عاجزة عن جمع الأقساط من المواطنين والمواطنون عاجزون عن الدفع فتم الاستيلاء على البيوت[1]

هناك سوق ضخمة جدًا في الولايات المتحدة اسمها سوق الإقراض الطلابي، فهناك مؤسسات تقرض الطلاب للدراسة، تشير الدراسات إلى أن عدد الطلاب في الجامعات الأميركية ارتفع منذ العام 1990 بنسبة 30%، ميزانية سوق الإقراض تصل لــ 85 بليون دولار، بدأت شركات الإقراض الطلابي مثل سالي ماي تحقق خسائر بالمليارات. سوق أخرى أيضًا فيها كارثة بدأت تتفاقم وهي سوق قروض السيارات، هناك أيضًا شركات كثيرة متخصصة في إقراض السيارات وهؤلاء أصبحوا يعانون الآن في دفع الأقساط، وهذه السوق أيضًا سوق كبيرة جدا بالمليارات، فشركة (جي. إم. إيه. سي) وهي من أكبر الشركات المتخصصة في الإقراض للسيارات أخذت تعاني في جمع الأقساط من المدانين بالنسبة لها، هذا السوق أيضًا يعني ربما يكشف عن أشياء جديدة في المرحلة القادمة. مستقبل القضية قد يكون غامضاً للبعض لأنه

---

(1) المعلومات الاقتصادية من كتب وبحوث وتقارير ومقالات ومقابلات منشورة ورقياً وإلكترونياً قسم كبير منها منشور على مواقع كبريات الصحف العالمية ووكالات الأنباء الكبرى فضلاً عن مواقع القنوات الفضائية (BBC)، (ABC)، (CNN)، (الجزيرة)، (العربية) وغيرها.. كذلك اعتمدت نصوص من حلقة برنامج (بلا حدود) من قناة الجزيرة الفضائية بعنوان (انعكاسات الأزمة المالية على العرب والعالم)، مقدم الحلقة: أحمد منصور، ضيف الحلقة: إبراهيم عويس/ أستاذ وخبير الاقتصاد السياسي الدولي، تاريخ الحلقة: 2008/10/8.

ليس هناك تقدير واضح الآن، فالمسألة عبارة عن تقديرات ورقية وليست على أساس ثابت لأنه من الممكن جداً أن تزيد أسعار السندات وأسعار الأسهم في الفترات القادمة وبالتالي القيمة هي القيمة الورقية التي تتأثر فليس هناك معلومات واضحة.

ولتبسيط مفهوم الانهيار المرتقب للولايات المتحدة اقتصادياً يقول الدكتور عويس: (إن الركود معناه بقاء الاقتصاد دون نمو بينما نجد أن هناك قوى عديدة صاعدة بقوة من الناحية الاقتصادية، فنجد هناك عوامل صاعدة مثلما يحدث في الصين والهند وعدد كبير من الدول الأخرى في ارتفاع مستمر، الصين بالذات معدلات الإنتاج فيها والزيادة الإنتاجية والنمو الاقتصادي يقرب حوالي 10% في الوقت). وبالتالي سوف تضيق الهوة بين اقتصاديات تلك القوى مع الاقتصاد الأمريكي وبالتالي تتغير المعادلة الجيوسياسية المتحكمة بالعالم ليصبح عالم متعدد القوى هذا بأقل تقدير أي لو كنا معتبرين لأقل الخسائر بينما لو قدرنا الأمر على أقصاه فالمسألة بالتأكيد ستكون تراجع حاد للهيمنة الأمريكية لتتحول لدولة على المستوى الثالث او الرابع عالمياً خصوصاً مع المناداة الدائمة للأوربيين بفك الارتباط مع واشنطن[1].

هذا في باب المقالات والتحليلات اليومية في الصحف التي قد يقول البعض أنها كتبت على عجالة وأن الأمر يستلزم تأني في البحث والرصد كي نكون علميين وموضوعيين.

نقول صدقتم، فتعالوا إلى مؤلفين وبلحثين ألفوا كتباً في الأنظمة الاقتصادية العالمية وحللوا الأمر بوجهة نظر موضوعية متأنية ليصلوا لحقائق مفزعة:

- ❖ فهذا صاحب كتاب "ما الذي سيبقى من الغرب؟"، المؤلف يان روس يتحدث عن الغرب باعتبار انتمائه إليه، وانطلاقًا من وصف واقعه الراهن كما يعبر عنه العنوان الثلني على غلاف الكتاب "نهاية سيطرة الغرب عالميا". وتحت

---

(1) نصوص من حلقة برنامج (بلا حدود) من قناة الجزيرة الفضائية بعنوان (انعكاسات الأزمة المالية على العرب والعالم)، مقدم الحلقة: أحمد منصور، ضيف الحلقة: إبراهيم عويس/ أستاذ وخبير الاقتصاد السياسي الدولي، تاريخ الحلقة: 2008/10/8.

عنوان "الإمبراطورية ترد الضربة.. أوهام النصر بعد 1989".. يتناول المؤلف في الفصل الثالث أخطاء الحملة الأميركية الجديدة للهيمنة، ويتعمد تأريخها بما بعد العام 1989، أي تاريخ سقوط المعسكر الشرقي، وليس العام 2001 كما شاع الحديث بتأثير سياسة بوش الابن عقب تفجيرات نيويورك وواشنطن. فالبداية الحقيقية هي في تبسيط كل ما في العالم من أوبئة معقدة وطرح دواء "نشر الديمقراطية" لها، والمؤلف يتبنى أصل هذه الفكرة ويرفض الوسيلة، فنشر الرؤية الحضارية الغربية مطلوب ولكن لا يتحقق في صيغة "إنسانية مسلحة"، كما يجسدها حديث بلير عن "حرب كوسوفو" باعتبارها "حربًا إنسانية ضد الاستبداد". ويقول بالحرف: (بوش الابن سيدخل كتب التاريخ كشخصية مأساوية، مضى إلى أقصى الحدود بالعمل على فرض الزعامة الأميركية وهي في أوج قوتها، فأسقطها في الحضيض)[1].

- يعتبر كتاب (تحليل النظريات الاقتصادية) الذي ألفه مدرس العلوم الاقتصادية في جامعة برينستون الأميركية بول كروغمان، أحد أكثر الكتب المشوقة المترجمة حديثًا إلى اللغة العربية. وخبرة كروغمان في التدريس وعلمه الغزير ورغبته في تسهيل فهم الأفكار الاقتصادية للعامة هي ما دفعته إلى تحويل هذا العلم من علم كئيب إلى تحليل سهل وميسر في متناول الكافة[2].
- وفي كتاب (العولمة والنمو والفقر.. بناء اقتصاد عالمي شامل) يبحث الكتاب، وهو مجموعة من الدراسات، في تأثير التكامل الاقتصادي على الدول النامية، وبخاصة الشعوب الفقيرة التي تعيش في تلك الدول، ويعيش خمس سكان العالم على أقل من دولار واحد يوميا، وهو أمر غير مقبول في عالم ينعم بقدر هائل

---

(1) ما الذي سيبقى من الغرب؟، يان روس، 228، الناشر: روفولت، برلين، الطبعة: الأولى 2008.

(2) تحليل النظريات الاقتصادية، بول كروغمان، ترجمة: رانيا محمد عبد اللطيف، الصفحات: 270، الناشر: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، الطبعة: الأولى/2007م.

من الوفرة. ويناقش أساسًا مقولة كيف يمكن للاقتصاد العالمي أن يدعم خفض الفقر إن كان ذلك ممكناً[1].

- ❖ وفي كتابه (استشراف المستقبل.. تفكك الإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية) يحاول ماثياس شانغ الذي كان المستشار السياسي لرئيس الوزراء الماليزي السابق محاضر محمد من خلال استقرائه للمعطيات السياسية والأدلة التاريخية أن يستشرف المستقبل فيرى قرب تفكك وانهيار الإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية القائمة على اقتصاد الحرب ونهب الشعوب رغم كل مظاهر القوة العسكرية والاقتصادية التي تبدو عليها حاليًا. ومع أن الإمبراطورية الأميركية ما زالت قوية ولم تسقط بعد، فإنها ستسقط في يوم من الأيام حتى لو كانت تمتلك السلاح النووي لأنها ليست سوى نمر من ورق. ويخلص الكاتب في نهاية كتابه إلى القول بأن خريطة العالم في القرن الحادي والعشرين سوف تتغير بشكل جذري، بسبب الحروب التي ستقوم بها الإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية من أجل السيطرة على الموارد الطبيعية في العالم في محاولتها التعويض عن الانهيار الاقتصادي الذي تعانيه. ويحلل الكاتب بعد ذلك الرابط بين الصهيونية والولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا، فيرى أنها أضلاع لمثلث واحد. فبرأيه إن الولايات المتحدة ذات الاقتصاد القائم على الحرب بحاجة إلى إشعال الحروب والتوسع للبقاء على قيد الحياة، في حين أن بريطانيا ما زالت تحمل أطماعا استعمارية توسعية خاصة بعد انحسار رقعة الدول التي كانت تستعمرها، وبالتالي فإن أطماعها هذه تدفعها إلى التحالف مع أميركا لتحقيق ما تصبو إليه، في حين أن الصهيونية تصبو بدورها إلى بناء إمبراطوريتها في العالم. ويرى أن أضلاع المثلث

---

(1) العولمة والنمو والفقر: بناء اقتصاد عالمي شامل، تقرير البنك الدولي عن بحوث السياسات، ترجمة: هشام عبد الله، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عدد الصفحات: 217 ، الطبعة: الأولى 2003م.

الثلاثة تحكمها الصهيونية، فالصهيونية الأمريكية هي العضلة أو ذراع التنفيذ، في حين أن الكيان الصهيوني هو المحرك، فيما ترفد بريطانيا المثلث بالمال وتشكل عقله المدبر. ويتعمق الكاتب في شرح كيفية تكون هذا المثلث، متحدثا عن الأوجه العقدية والعسكرية لهذا البناء المحكم، وهنا يغرق في استشهادات تاريخية طويلة لم يأت فيها بجديد، فجاء هذا الجزء من الكتاب مستطردا استطرادا مملا بسبب كون المعلومات متوفرة في الكثير من المصادر السياسية والتاريخية والأيديولوجية وغيرها. ومن ناحية أخرى يتطرق الكاتب إلى الدعاية التي تقرع بها الإمبراطورية المذكورة طبول الحرب، فيرى أنها مبنية على اعتبار الديمقراطية عدوة التبعية الاستعمارية، وأن التعبئة الاستعمارية لا تمكن متابعتها إلا من خلال الحرب الاقتصادية، وأن القيم والشعارات النبيلة ستستخدم دائما كذريعة لتبرير الحروب. ويخلص الكاتب في نهاية كتابه إلى القول بأن خريطة العالم في القرن الحادي والعشرين سوف تتغير بشكل جذري، بسبب الحروب التي ستقوم بها الإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية من أجل السيطرة على الموارد الطبيعية في العالم في محاولتها التعويض عن الانهيار الاقتصادي الذي تعانيه[1].

❖ أما الكتاب الأسود للرأسمالية الذي يقدم مجموعة كبيرة من الدراسات في نقد الرأسمالية (30 دراسة) لمفكرين وفلاسفة من شتى أنحاء العالم، مثل موريس كوري، وجان سوريه، وفيليب باربر، وروجيه بوردييه، فيعرض مجموعة من فظائع الرأسمالية على مدى القرون الخمسة الماضية، مثل جرائم الرق، وإبادة الشعوب، واستنزاف الثروات والموارد حول العالم وحرمان أصحابها منها. معظم الباحثين المشاركين في الكتاب يقررون أن الرأسمالية هي المسؤولة عن المجازر والكوارث في أفريقيا، فالفقر وضعف الخدمات والبطالة هي النصيب

---

(1) استشراف المستقبل.. تفكك الإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية، ماثياس شانغ، الناشر: تنكرز ليبراري، عدد الصفحات: 360، الطبعة: الثانية/2005م.

المشترك لغالبية الدول الخاضعة لقانون الإصلاح الهيكلي. ويبين الباحثون في الكتاب حقيقة أن النظام الرأسمالي مستمر في صنع عذاب مليارات البشر وفي نهبهم بإبقائه ثلث البشرية في مستوى حياة القرون الوسطى الأوروبية، ذلك أن قانون الربح يبقى مليارين من الرجال والأطفال في مستوى العام 1000 ونصفهم لا يعلمون حتى ما إذا كانوا سيأكلون غداً[1].

- ويعبر كتاب "هل الرأسمالية أخلاقية؟" عن وجهه نظر النخبة الفرنسية تجاه مجريات العالم المادي والروحي. وهو يرى أنها ليست إبداعًا فرديًا ولا مجتمعيًا، بل هي مسار تاريخي تشارك فيه الإنسانية. ويحذر الكتاب من الرأسمالية غير الأخلاقية لأنها وصفة لانهيار الحضارة، فقد فقدت خصمها القوي الشيوعية الذي كان يوفر لها التبرير السلبي لوجودها. ويبين المؤلف أن عولمة الرأسمالية هي قبل كل شيء عولمة الإفلاس الأخلاقي، ولم تكن في الحقيقة سوى إعادة للبشرية إلى مصاف الحيوانات التي تلتهم بعضها بعضاً، أو تتجمع حول فريستها. ولأن المجتمعات الرأسمالية لا تحتمل الفراغ فإنها تبحث عن "عدو" يشكل نقيضا لها، وقد تراءى للبعض أن هذا العدو قد يكون المسلمين[2].

- ويجادل هورست أفهيلد صاحب كتاب (اقتصاد يغدق فقرًا) في هذا الكتاب في جدوى النظام الاقتصادي الليبرالي السائد اليوم، وفي بحثه عن آثاره وتداعياته على المجتمعات والإنتاج يجد أن النمو الاقتصادي العالمي لم يحقق رفاهية للناس والمجتمعات. بل كانت النتيجة زيادة الفجوة بين الأغنياء والفقراء وتفشي البطالة والفقر وتراجع أنظمة التكافل والرعاية الصحية والاجتماعية وانخفاض الأجور وانتهاك حقوق العاملين بأجر الذين يشكلون أغلبية الناس.

---

(1) الكتاب الأسود للرأسمالية، تأليف عدد من الباحثين، ترجمة: أنطون حمصي، عدد الصفحات: 440 ، الناشر: دار الطليعة الجديدة, دمشق، الطبعة: الأولى/2006م.

(2) هل الرأسمالية أخلاقية؟، المؤلف: أندريه كونت سبونفيل، المترجم: بسام حجار، عدد الصفحات: 198، الناشر: دار الساقي، بيروت، الطبعة: الأولى/2005م.

ويضيف : (إن الاقتصاد الوطني صار يلتهم حصصًا أكبر مما يجري إنتاجه، وبفعل تزايد عمليات الإنتاج تعقيدًا أمسى من الصعوبة بمكان تحديد ماهية التكاليف الممكن الاستغناء عنها والتكاليف التي لا يمكن الاستغناء عنها). ويخلص إلى أن التاريخ الاقتصادي يكشف أن ما هو لصالح اقتصاد معين في فترة محددة، يمكن أن يكون كارثة بالنسبة إلى اقتصاديات أخرى، وفي كل الحالات التي أوشك فيها الاقتصاد على تحقيق أبعد مدى ممكن في تحرير التجارة الخارجية، كانت الخاتمة كارثة اقتصادية[1].

قد يقول البعض من المدافعين عن النظام الرأسمالي وهم كثر ولهم وجهة نظر محترمة: (كما إن هناك من ذم الرأسمالية فإن هناك من المحللين من مدحها ومجدها، فلماذا تنظرون للنصف الفارغ أي المساوئ ولا تنظرون للنصف الممتلئ أي المحاسن؟)، فنقول: نعم هناك الكثير ممن مدح الراسمالية ولكن ألم تجد كل تلك الصيحات والتحذيرات السابقة واللاحقة بل وهذا الزلزال المدوي عندكم اي صدى وأثر، فلماذا لا تنتصحون وتستمعون لقول من لا يجد في هذا النظام المخرج مما تعانيه البشرية اليوم؟.

طيب ما يهما بعد كل التحليلات هو حالنا وواقعنا الاقتصادي، يقول الدكتور عويس صاحب مصطلحي (البترودولار) و(رأس المال الحديث): (إنما أنا خرجت بهذا المصطلح البترودولار لأنه في سنة 1974 هاجت الدنيا وماجت حينما زادت أسعار النفط إلى ثلاثة أضعاف وكان هناك رجل اسمه وولتر ليفي الذي نصب نفسه هو المستشار للرئيس في ذلك الوقت وقال إن البلاد العربية تبتز أموال الغرب وستغرق العالم لأنه ستحصل على أموال الغرب). ولعل مصطلح البترو دولار الذي وضعه البروفيسور عويس وضعه كي يبين أن هذه الأموال التي تحصل عليها البلاد العربية ستنفق على مشاريع إنشائية ستستفيد منها الولايات المتحدة، وكان تقديره سليما. كما

---

(1)اقتصاد يغدق فقرا، هورست أفهيلد، ترجمة: عدنان عباس علي، عدد الصفحات: 359 ، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت، الطبعة: الأولى/ 2007م.

وضع عويس مصطلح آخر هو رأس المال الحديث وقد توصل له في سنة 1974 حتى يحذر من أن بلدًا صغيرًا تستثمر في بلد كبير وحينما يحدث شرخ في العلاقات السياسية ما بين البلدين من الممكن أن البلد الكبير أن يجمّد كما حصل لبعض الدول كالعراق وإيران[1].

أما من ناحية أن هذا عقوبة من الله تعالى بما يدخل في مفهوم الحرب من الله ورسوله، فيقول الدكتور يوسف القرضاوي: (لا شك أن هناك قدرا من العقاب الإلهي لأن النظام الذي يقوم على الربا وعلى الاحتكار وعلى افتراس القوي للضعيف، النظام الرأسمالي بطبيعته هو نظام توحشي يعني بعضهم قال الليبرالية المتوحشة وهي الرأسمالية أيضا المتوحشة إذا تركت دون أن تقلم أظفارها، يعني هم الغربيون في خلال مسيرتهم كثيرا ما قلموا من أظفار الرأسمالية ليست هي الرأسمالية التي نادى بها آدم سميث وتترك الأشياء على طبيعتها "دعه يعمل دعه يمر" والطبيعة نفسها هي التي حتصلح الأشياء وتضبط الأمور، لا هذا ليس هذا يعني مجرد حلم لأنه فعلا البشر حينما يقتدرون، في مثل يقول، القادر فاجر، وكما قال أبو الطيب:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

والله تعالى يقول عن الإنسان {..إنه كان ظلوما جهولا} [الأحزاب:72] فإذا تركت الإنسان دون أن توجهه هداية إلهية، دون أن يكون عنده ضمير حي صنعه إيمان بالله والدار الآخرة يمكن يحدث ما يحدث. فالنظام الرأسمالي الربوي ممكن أن تحدث له مثل هذه الأشياء ويجب على الناس في هذه الحالة أن تأخذ العظة وأن تعتبر فيما جرى لها وهذا هو الواجب في كل ما ينزل بالإنسان من بلاء، يفكر لماذا نزل به هذا البلاء؟. فالله تعالى يقول: {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس..} [الروم:41]، وهذا يعني أن الفساد والاضطراب والغلاء والبلاء والأمراض وغيرها

(1) نصوص من حلقة برنامج (بلا حدود) من قناة الجزيرة الفضائية بعنوان (انعكاسات الأزمة المالية على العرب والعالم)، مقدم الحلقة: أحمد منصور، ضيف الحلقة: إبراهيم عويس/ أستاذ وخبير الاقتصاد السياسي الدولي، تاريخ الحلقة: 2008/10/8.

مما يحصل في عالمنا المضطرب اليوم إنما حصل بما كسبت أيدي الناس، ثم عقب بقوله جل وعلا: {..ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون} [الروم:41]، أي ليحاسبهم الله وليعاقبهم لكل ما عملوا. والقرآن يبين لنا حقيقة تأخير العقاب بأجل معلوم: {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى..} [النحل:61] فيؤاخذهم ببعض ما عملوا، ولماذا يذيقهم بعض ما عملوا؟ قال لعلهم يرجعون. حتى يراجعوا أنفسهم ويثوبوا إلى رشدهم ويعودوا إلى الله ويعرفوا حق الله عليهم وهذه فرصة أن الناس تتطهر وتتوب وتتعامل بإنسانية وبقيم أخلاقية بدل أن يكونوا كالسباع في الغابة يفترس القوي الضعيف أو كالأسماك في البحر يأكل الكبير الصغير).. انتهى تعقيب الدكتورالقرضاوي(1).

وبعد أن بينا تلك الحقائق المتعلقة بالنظام الاقتصادي للسوق أو النظام الرأسمالي الحر كما يطلقون عليه دعونا نبين هذه الحقائق عن نظامنا الإسلامي المستلة مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام كما بدأناه في بداية المبحث.

بين الدكتور القرضاوي مقدمة مهمة في قضية علاقة التعاملات المالية الإسلامية بنظيرتها الغربية المتماسية مع النظام الرأسمالي قائلاً: (في وقت من الأوقات كان العالم العربي والعالم الإسلامي يرى أنه لا نجاة له ولا نهضة له ولا قوة له إلا إذا سار وراء الحضارة الغربية شبرا بشبر وذراعا بذراع وأخذ هذه الحضارة كما قال أحدهم بخيرها وشرها وحلوها ومرها، ما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب ومن ظن غير ذلك فهو خادع أو مخدوع. وقت من الأوقات تبعية مطلقة للحضارة الغربية، ثم بعد ذلك جاءت مرحلة يعني أفضل من هذه وقالوا نأخذ بالحضارة الإسلامية ولكن يعني أن نطور فيها ونعدل فيها بحيث لا تصطدم بالحضارة الغربية، يعني مرحلة التبرير أننا نريد أن نبرر ما نحن فيه ليتفق مع الحضارة الغربية وهذا في هذا الوقت الذي أراد من أراد فيه أن يعني نبيح الربا

(1) مقتطفات من حديث الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي ضمن حلقة الشريعة والحياة من قناة الجزيرة الفضائية بعنوان (النظام المصرفي الإسلامي) بتاريخ 2008/10/19م.

ونسوغ الربا بمسوغات شتى، بعضهم قال إن ربا الجاهلية غير الربا الحالي الآن، ربا القروض الإنتاجية غير ربا الاستهلاك وبعضهم قال إن الضرورة تبيح لنا أن نتعامل بالفوائد الربوية وهكذا واعتمدوا على مثل قوله تعالى {.. لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة..} [آل عمران:130]، ورد عليهم من رد من علمائنا الكبار. ثم جاءت مرحلة أخرى قالوا يعني نريد أن نعتمد على أنفسنا وعلى نظمنا الطبيعية والشرعية في الاقتصاد والاجتماع والسياسة وفي كل شيء نأخذ بالنظام الإسلامي بالمنهج الإسلامي، ثم تطور هذا إلى أن يصبح بدل مجرد ما هو فكرة نظرية يصبح شيئا عمليا، تعاون رجال الفكر مع رجال العمل، مع الاقتصاديين، مع رجال الشريعة، الاقتصاديون المؤمنون بالإسلام مع رجال الشريعة الذين يفهمون بالاقتصاد مع رجال المال الأعمال وتكون أول بنك إسلامي تجاري في دبي في أوائل السبعينيات ثم صارت، الآن نحن بعد أن أقمنا بدائل إسلامية للبنوك الربوية القائمة وكان بعضهم يقول هذا مستحيل لا تحلموا أن تقيموا بنكا بغير فائدة، لا حياة بغير اقتصاد ولا اقتصاد بغير بنوك ولا بنوك بغير فوائد ربوية، وبعدين استطاع الحمد لله المد الإسلامي والصحوة الإسلامية أن تقيم بنوكا بلا فوائد. نحن الآن في مرحلة تطوير هذه المؤسسات الإسلامية، تطويرها، لأنه في التطوير حدثت أخطاء وحدثت أشياء بعضها نظرية وبعضها عملية أكثرها عملي في التطبيق، الآن نحن نحاول أن نحسن ونطور هذه البدائل والمؤسسات الإسلامية مصارف وشركات، تأمين وتكافل وغيرها حتى تستطيع أن تقوم بالدور المطلوب منها للنهضة بالأمة الإسلامية) (1).

لقد تأسس النظام المصرفي الإسلامي عام 1970، وهو نظام يستهدف تطوير النشاطات المصرفية والمواد المالية مع مراعاة أحكام الشريعة الإسلامية ويشير بعض الخبراء إلى وجود تصاعد في الطلب على التمويل الإسلامي في أوروبا كما يشيرون إلى أن هناك أسبابًا تقف وراء هذه اليقظة والطلب الجديد مثل نمو الثورة لدى الطبقة

---

(1) مقتطفات من حديث الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي حلقة الشريعة والحياة من قناة الجزيرة الفضائية بعنوان (النظام المصرفي الإسلامي) بتاريخ 2008/10/19م.

المتوسطة الإسلامية وتزايد الطلب على التمويل المالي الذي يحمل صفة الحلال حتى بين غير المسلمين، وحدوث تغير أو تحول في سياسات الحكومات تجاه هذا النوع من التمويل وكون التمويل الإسلامي يمثل فرصة عمل وكسب مربح.

لقد أدت الموجة العالمية التي حصلت عام 2008م إلى ارتفاع الصيحات الكثيرة بتغيير النظام العالمي لنظام أكثر عدلاً وأقل ضرراً للجميع وكان من بين تلك الصيحات من نادى بتبني النظام الإسلامي في الصيرفة والاستثمار والتعاملات التجارية والاقتصادية كما حصل في مقالات وتحليلات نشرت نيويورك وباريس ولندن وروما وبرلين وغيرها من مدن العالم الكبرى. ففي ظل التداعيات الكبيرة للأزمة المالية العالمية هذه ارتفعت أصوات غربية تطالب بدراسة النظام المصرفي الإسلامي نظرا إلى نجاته من الضربة الأولى للأزمة كما تحدثت افتتاحية مجلة تشالنجير الفرنسية ومجلس الشيوخ الفرنسي. فلماذا نجت هذه البنوك وكيف حدثت الأزمة أصلا؟ البنوك الاستثمارية وشركات التمويل العقاري الأميركية وبفضل تخفيض الفائدة قامت بمنح قروض كبيرة لأشخاص ولكي تمول هذه الديون حولتها إلى سندات وباعت الدين إلى مستثمرين، هذه السندات ضمنتها شركات تأمين عملاقة لكن ارتفاع نسبة الفائدة إلى 5% لاحقا أدى إلى عدم قدرة العديد على سداد الدفعات الشهرية والتي بدأت تتراكم بفضل مضاعفة الفائدة، انهار المقترض فانهارت البنوك ولجأ أصحاب السندات إلى شركات التأمين فأفلست، هذا الجشع المضاعف والمركب لدى هذه البنوك ساندته رأسمالية مطلقة ومهيمنة تؤمن بقدرة السوق على فعل المستحيل. البعض يجادل بأن وجها من أوجه الرأسمالية انهار وهو الوجه المؤمن بحرية الأسواق المطلقة وأن الرأسمالية لم تنهر بعد، بينما يرى آخرون أن الرأسمالية تضررت على أي حال من هذه الهزة.

على كل حال فالمصارف الإسلامية خرجت من الإعصار املالي عام 2008م سليمة وأظهرت أرقامها المعلنة نموا في أرباحها وإن كان ذلك لا يعني بالمطلق أنها في مأمن من تداعيات الأزمة باعتبارها جزءا من منظومة مالية عالمية، وربما كان

ينظر للبنوك الإسلامية في بادئ الأمر باعتبارها الأقل تأثرا لكن مع استمرار هذه الإضطرابات وبدء انتشار المرحلة الثانية من أثرها في المنطقة إما على شكل نقص في السيولة أو تراجع لأسعار الأسهم فإن ذلك يبقيها عرضة للخطر. بنك الاستثمار الإسلامي الأوروبي تحدث عن تباطؤ في نمو القطاع المصرفي الإسلامي في أوروبا قادته الصكوك أو السندات الإسلامية بسبب ضعف الطلب عليها في ظل أزمة الائتمان، لكن احتمال تعرض الصيرفة الإسلامية لهزات وهي التي تدير أصولا تبلغ قيمتها نحو ترليون دولار أرجعه البعض إلى عوامل عديدة بينها عدم تمتعها بالمرونة التي تميز البنوك التقليدية في إدارة مخاطر كشوف الحسابات وتركز مخاطر القطاع المصرفي الإسلامي في قطاع العقارات المتقلب، رؤية متشائمة تقابلها أخرى متفائلة تقول إن البنوك الإسلامية محمية من الأزمة المالية لطبيعتها الخاصة والتي لا تتعامل بالفائدة إضافة إلى أن استثماراتها بعيدة عن مخاطر الرهن العقاري ولديها قيود انضباط صارمة تفرضها على تعاملاتها.

تشير التقارير الرصدية والبحوث أن الأزمة المالية العالمية عام 2008م جاءت لتضيف عاملا جديدا للإقبال على التمويل الإسلامي فقد ظهرت بالفعل دعوات لاعتماد النظام المصرفي الإسلامي كان من بينها دعوة مجلس الشيوخ الفرنسي مؤخرا إلى ضم النظام المصرفي الإسلامي إلى النظام المصرفي في فرنسا وقال إن النظام الإسلامي المالي الذي يعتمد على قواعد مستمدة من الشريعة الإسلامية مريح للجميع مسلمين وغير مسلمين مشيرا في الوقت ذاته إلى أنه يعيش ازدهارا وهو قابل للتطبيق في فرنسا. وكانت بريطانيا قد أصدرت نصوصا تشريعية وضريبية بشأنها أن تشجع النظام الإسلامي المالي وفتح بها أول مصرف إسلامي عام 2004. حقق النظام المصرفي الإسلامي معدل نمو سنوي يتراوح بين 10% و15% وبلغ حجم أنشطة المصارف ومؤسسات التأمين الإسلامية نحو خمسمائة مليار دولار حتى نهاية عام 2007 بينما بلغت قيمة الأصول المتداولة التي تراعي أحكام الشريعة الإسلامية نحو سبعمائة مليار دولار في الوقت الراهن.

العديد من الباحثين والاقتصاديين والمحللين يرون أن الاقتصاد الإسلامي يعتبر بديلا اقتصاديا ناجزا وناجحا ففيه ضوابط صارمة تحميه ولا يتطلب إلا تطبيقه حتى تحل هذه المشكلة[1]. وما حمل على هذا الحماس بعض ما جاء في الصحف الدولية منها صحيفة تشالنجز الاقتصادية حيث كتب رئيس تحرير هذه المجلة بوفي سفانسون يقول في الحادي عشر من سبتمبر "البابا أو القرآن" تساءل في كتابته عن أخلاقية الرأسمالية ودور الكنيسة في تكريس هذا المنزع وتساهلها في تبرير الفائدة قائلا "لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن لما حل بنا ما حل من كوارث لأن النقود لا تلد النقود". فهناك قيم أخلاقية تحمي التعاملات الاقتصادية، وفق هذه المبادئ والضوابط والقواعد.

كما إن موضوع الفساد الإداري له دور كبير في تهالك المنظومة الاقتصادية في أي بلد، فالباحثة الإيطالية لوريتا نابليوني اعتبرت في كتابها الصادر مؤخرا بعنوان "اقتصاد ابن آوى" أن مسؤولية الوضع الطارئ في الاقتصاد العالمي ناتج عن الفساد المستشري والمضاربات التي تتحكم بالسوق وأن التمويل الإسلامي يحقق التوازن في الأسواق. ولعل من الأشياء التي ذكرها المحللون كأسباب لهذه الأزمة قالوها إنه في عملية خداع كبرى خدع بها المستثمرون العالميون الذين اشتروا السندات وهذه الأشياء نتيجة التوريق الذي عملوه، تسنيد هذه الأشياء وهي أشياء ليس لها من الأصول ما يقويها ويسندها، فدخل الناس على أن هذه الأشياء ناجحة ومربحة وهي في الحقيقة ليست كذلك، فاكتشفوا أن هناك عملية خداع كبرى، بدأوا يحققون في خيوطها وحقائق ملابساتها[2].

---

(1) انظر كتاب (المنهج التنموي البديل في الإقتصاد الإسلامي – دراسة للمفاهيم والأهداف والأولويات وتحليل الأركان والسياسات والمؤسسات)، صالح الصالحي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط/1، 2006م.

(2) المعلومات الاقتصادية من كتب وبحوث وتقارير ومقالات ومقابلات منشورة ورقياً وإلكترونياً. كذلك اعتمدت نصوص من حلقة الشريعة والحياة من قناة الجزيرة الفضائية بعنوان (النظام المصرفي الإسلامي) بتاريخ 2008/10/19م، مقدم الحلقة: عثمان عثمان، ضيف الحلقة: يوسف القرضاوي/ داعية ومفكر إسلامي.

الأستاذ رفيق المصري باحث في مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي بجدة: يقول: (عقلاء النظام الرأسمالي أنفسهم يعترفون بضلال الفكر الاقتصادي الرأسمالي ولا سيما في مجال البنوك والبورصات وفي مجال التكاليف المالية، طبعا في البنوك يعني كما سمعنا مرات عديدة هناك توسع في الائتمان وإصدار النقود وخلق النقود من قبل البنوك والتوسع في الديون وبطاقات الائتمان وتشجيع الاستهلاك، المهم هنا أن المطبق في النظام الرأسمالي في عالمنا اليوم هو النسخة المتطرفة منه، المطبق نظام رأسمالي متطرف والذي ساعد على هذا التطرف هو سقوط النظام الاشتراكي، كان النظام الاشتراكي يفعل فعله بمثابة معارضة على الصعيد العالمي للنظام الرأسمالي، هذا في مجال البنوك، في مجال البورصات، البورصات يعني لها جانب لا شك طيب تساعد على التمويل وتساعد على التسييل أو ما يسمى بالفقه الإسلامي بالتنضيد يعني تحويل الأوراق بسرعة إلى نقود ولكن المشكلة في البورصات أيضا أن هناك مضاربة على الأسعار هناك قمار هناك خداع من خلال بعض العمليات التي أنا بنظري تحتاج إلى فحص مثل مثلا يعني صناع السوق، ما يسمى بـــ market makers أيضا المطلعون على بواطن الأمور هؤلاء الذين يستأثرون بالمعلومات ويسبقون إلى المعلومات ويخدعون الصغار من المضاربين ومن المستثمرين. أيضا نقطة أخرى هناك العالم اليوم يشيع الفساد الإداري والتسيب الإداري أو الإهمال الإداري وهذا طبعا موضع تحقيق الآن في أميركا ونرجو أن يكشف عنه النقاب في الوقت القريب. النظام الرأسمالي بطبيعته أيضا يعني حتى في نسخه المعتدلة يقوم على الأزمات والدورات واليوم الآن بعد هذه الصدمة يتم البحث عن تخفيف غلواء هذا النظام بالاستمداد من النظم الأخرى، قد يكون النظام الاشتراكي قد يكون النظام الرأسمالي إلى آخره. أنا أود أن أقول إن الغرب مهتم بالبنوك الإسلامية والصكوك الإسلامية والأسواق المالية الإسلامية لكي يحصل كل بلد غربي على حصته من الكعكة).. انتهى كلام الأستاذ رفيق المصري[1].

---

(1) مقتطفات من حديث الأستاذ رفيق المصري خلال مشاركته في حلقة الشريعة والحياة من قناة الجزيرة

النظام الإسلامي يقوم على أسس هامة جدا تخالف تماما النظام الرأسمالي وهي تحريم الربا والاحتكار وغيرها كما أسلفنا في بداية المبحث.

فنظامنا الإسلامي بما فيه من ضمانات وما فيه من احتياطات، لأنه يقوم على أسس هامة جدا تخالف تماما النظام الرأسمالي وما يقوم عليه، فمثلاً:

- ❖ عندنا الأسس التي يقوم عليها النظام المصرفي الإسلامي أولا تحريم الربا والاحتكار، والربا والاحتكار هما الساقان اللتان تقوم عليهما الرأسمالية الغربية الأساسية.
- ❖ تحريم الغش والتدليس والخداع.
- ❖ تحريم الظلم والغبن.
- ❖ تحريم الغرر والمقامرة والميسر.
- ❖ التقاسم في الربح والخسارة.
- ❖ اشتراط التقابض في المصارفة.
- ❖ بيع النقود بالنقود، ويكون الأمر يبدا بيد، وهذه نقطة مهمة للغاية كما يشير الدكتور القرضاوي، فمثلاً في المجامع الفقهية الإسلامية وهيئات الرقابة الشرعية الإسلامية يعتبرون الشيك المقبول للدفع في حدود الأيام التي يتفق عليها فمثلاً إذا كان في آخر الأسبوع يكون مقبولاً لثلاثة أيام أو أربعة أيام، بينما في وسط الأسبوع ليومين وهكذا حسب قواعد معينة.
- ❖ أيضا تحريم بيع الديون إلا بشروط وقيود معينة: فمعظم البلاء الذي حل النظام الرأسمالي في أميركا وغيرها قائم على أساس بيع الديون وعلى أساس الغرق في هذه الأشياء.

إذن، فالنظام الإسلامي يعتمد هذه الضوابط فضلا عن أن النظام الإسلامي يقوم على شيء اسمه الأخلاق، الاقتصاد الإسلامي من خصائصه أنه:

1. اقتصاد وسطي، أي اقتصاد غير مسرف ولا مقتر.

الفضائية بعنوان (النظام المصرفي الإسلامي) بتاريخ 2008/10/19م.

2. اقتصاد تعاوني يعتمد التكافل في كل شيء.

3. اقتصاد إنساني يراعي الآخر حتى وإن كان عدو.

4. .اقتصاد أخلاقي، يقوم على الأخلاق.

العالم الغربي يفصل بين الاقتصاد والأخلاق، فهم يعتقدون أن الاقتصاد يأتي بالربح قبل كل شيء دون النظر للكيفية، المهم الربح، المهم أكبر كمية من النقود، ولا علاقة له بالجانب الأخلاقي، إنما نحن الجانب الأخلاقي الذي نراعي في الإنتاج، لا تنتج شيئا يضر الناس ويؤثر على صحتهم أو حياتهم، في الاستهلاك أيضا لا تستهلك استهلاكا يضر بالبشر، وحديث (لا تسرف في الماء وإن كنت على نهر جار) أنصع دليل على ذلك، في الاستهلاك في التوزيع في التداول في.. اقتصاد أخلاقي بكل معاييره ونظمه وتعاملاته[1].

ولعل ما حصل في الأزمة المالية العالمية عام 2008م هذا يؤكد لنا ما قاله لنا الله تعالى: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق..} [فصلت:53] القرآن حرم الربا وآذن مرتكبيه بحرب من الله ورسوله، ولعن النبي صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وجعله النبي صلى الله عليه وسلم من الموبقات السبع، المهلكات للفرد وللجماعة لأن الربا ضد الفطرة، ولقد قال الفيلسوف الإغريقي الشهير أرسطو: (إن النقود لا تلد النقود)، أي أن المال في ذاته لا يلد المال، النقود إنما تنمو بالعمل، ولذلك هذا ما جاء به بعد ذلك كينز الفيلسوف الاقتصادي الشهير وقال: (إن العالم لا يمكن أن يتقدم إلا إذا صارت الفائدة صفرا)، وكذلك أحد الاقتصاديين الفرنسيين الذين حصلوا على جائزة نوبل قال هذا، وأضاف :(لابد أن تخفض الضرائب لتكون 2%)، لذلك يقول البعض من الإسلاميين: كأن القوم عنوا بما عنوه الزكاة عندنا التي هي الزكاة 5،2% دون أن ينتبهوا.

---

(1) مقتطفات من حديث الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي حلقة الشريعة والحياة من قناة الجزيرة الفضائية بعنوان (النظام المصرفي الإسلامي) بتاريخ 2008/10/19م. وانظر كتاب (الاقتصاد الإسلامي بين الفكر والتطبيق)، حسين حسين شحاته، سلسلة الفكر الاقتصادي الإسلامي، دار النشر للجامعات، ط /1، 1429هـ - 2008م.

قبل أن ندخل في تفاصيل العلاجات التي بينها الإسلام العظيم نريد هنا أن نبين باختصار نظامين عظيمين من نظم الاقتصاد والإدارة والرقابة في الشرع الحنيف ألا وهما نظامي الحسبة والوقف الرائعين لما لهما من أثر مهم في وضع الحلول في نظام عالمي بديل ليس فقط في موضوع الأزمة المالية بل في الأزمة البيئية كذلك التي نتحدث عنها في الملحق اللاحق.

أولاً: مختصر نظام الحسبة في الإسلام : نظام الحسبة ذلك النظام الإداري والرقابي العظيم يعتبر من أهم النظم الإدارية التي استحدثها المسلمون؛ وذلك لحفظ الأمن واستقرار النظام بين الناس في المهن المختلفة حتى لا يحدث غش في البيوع أو الصناعات، وكان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقوم بدور المحتسب في صدر الإسلام وفي أثناء مروره على الأسواق ذات يوم وجد رجلاً يبيع طعامًا قد أصاب البللُ جزءًا منه فقال له: "أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا"، الحديث، وبعد فتح مكة استعمل الرسول- صلى الله عليه وسلم- سعد بن العاص على سوق مكة وسيدنا عمر بن الخطاب على سوق المدينة، واستمرَّ هذا الأمر معمولاً به في عهد الخلفاء الراشدين حتى إن سيدنا عمر كان يتجول في الأسواق ويضرب على أيدي المارقين على النظام والمغتصبين لحقوق الأبرياء . واستمرَّ نظام الحسبة معمولاً به في العصر الأموي، ولكن هذه الوظيفة تبلورت معالمها في العصر العباسي؛ وذلك لظهور المذاهب الفقهية واتساع رقعة الدولة وازدهار التجارة والصناعة، وظهور الحاجة إلى مراقبة الأسواق بما فيها من صناع وتجار ومختلف المتعاملين فيها، ومع ذلك فقد اختلف المؤرخون بشأن الخليفة الذي استقرت الحسبة في عهده فجعلها البعض أيام المهدي أو الهادي أو الرشيد أو المأمون.

كما عرفت الأمصار المختلفة هذا النظام في أوقات مختلفة، فمثلاً عرفت مصر الحسبة منذ القرن 3هـ/ 9م، وكانت أعمالها موزعة بين القاضي وصاحب الخراج وصاحب الشرطة وصاحب المظالم والوالي أحيانًا أخرى، واستمرَّت الحسبة في العصر الإخشيدي، والفاطمي أيضًا جرت العادة أن يصدر ديوان الإنشاء سجلاً بتعيين

المحتسب ويقرأ على منبر جامع عمرو ويُطاف به في موكب بالطبول والبنود، وكان المحتسب يجلس بجامع القاهرة والفسطاط يومًا بعد يومٍ ويطوف نوابه على أرباب المعايش. وأصبحت الحسبة منصبًا مستقلاً منذ نهاية العصر الطولوني وفي الفترة السابقة على استقلال الإخشيديين بها، فقد وردت إشارات في المصادر تنم عن ذلك، وانتقلت الحسبة إلى العصر الأيوبي ومنه إلى العصر المملوكي حتى إن القلقشندي قد صنفَّها ضمن الوظائف الدينية ذات المنزلة العالية في الدولة؛ حيث جعل ترتيبها الخامس ضمن الوظائف الديني ة، ولكن الحسبة فسدت في ذلك العصر لانتشار الرشاوى، وأيضًا لم تعد قاصرةً على رجال الدين من العلماء والفقهاء، بل شاركهم فيها الطبقة العسكرية منذ أن عهد بها السلطان المؤيد شيخ ولأول مرة إلى الأمير علاء الدين منكلي بغا عام 816هـ / 1413م[1].

شروط الوظيفة : اشترط الفقهاء فيمَن يتولى الحسبة أن يكون فطنًا، يقظًا عارفًا بأصناف المعايش والمهن المختلفة وله خبرة في الموازين والمكاييل، حتى يتوصل إلى حيل الباعة في الغش والتدليس، ويميز بين الصحيح وغير الصحيح، وأن يكون عفيفًا عن أموال الناس، متورعًا عن قبول الهدية من أرباب الصناعات فذلك رشوة، وقال الرسول – صلى الله عليه وسلم– :" لعن الله الراشي والمرتشي" ،وأن يكون لين القول طلق الوجه، سهل الأخلاق، حتى يكون أبلغ في استمالة القلوب وحصول المقصود، وأن يكون خالص النية، بعيدًا عن الرياء، حتى يكون له في القلوب مهابة

---

(1) المصادر المتعلقة بنطام الحسبة في الإسلام بتطبيقاته وضوابطه مثل: الحسبة في الحضارة الإسلامية دراسة تاريخية– فقهية في الرقابة على الجودة الشاملة، هاشم يحيى الملاح، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ط/1، 2007م.. نظام الحسبة في الإسلام بين التنظير والتطبيق، موسى راضي نصار، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، مجلدين، 2002م.. معالم القربة في أحكام الحسبة، ضياء الدين محمد بن القرشي، تحقيق : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط/1، 2001م.. الحسبة، ابن تيمية، ترجمة وتحقيق : صالح عثمان اللحام، دار ابن حزم، ط/1، 2004م.. الحسبة، عبد الحميد فايد، دار الحداثةللطباعة والنشر، ط/1.. دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب، وزارة التعليم العالي، ط/1، 1988م.. وانظر الرقابة الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية، خولة عيسى صالح، بيت الحكمة، ط/1، 2001م.

وجلالة، ومبادرة إلى السمع والطاعة، وأن يكون عدلاً ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، عارفًا بأحكام الشريعة، عالمًا بالمنكرات الظاهرة، لا يخالف قوله فعله.

الجهاز المعاون : وقد كان للمحتسب معاونون من أهل الحرف والصناعات، وكان يتخذ رسلاً وغلمانًا وأعوانًا بين يديه بقدر الحاجة، ويشترط فيهم الفقه والصيانة والنهضة والشهامة، وكان يؤدبهم ويهذبهم ويعرفهم كيف يتصرفون بين يديه وكيف يخرجون في طلب الغرماء، وكان يعين لكل طائفةٍ من الصناع عريفًا، وفي ذلك يذكر المقريزي "كان في كل سوق من أسواق مصر على أرباب كل صنعة من الصنائع عريف يتولى أمورهم"، وكان هذا العريف مشهود له بالثقة والأمانة، ويشترط فيه أن يكون على درايةٍ تامة بأمور الحرفة التي يشرف عليها، وكانت وظيفته تتمثل في إطلاع المحتسب على أخبار أهل صنعته ويدله على مواضع الغش والتدليس الذي يلجأ إليه أحيانًا أصحاب الحرفة، كما كان للمحتسب نوابًا في بالقاهرة وسائر المدن والأقاليم التابعة له يتولون أعمال الحسبة فيها، وكان له سلطة تنفيذية مفوضة وهو ما عرف بالتعذير، كالردع بالقضاء والتوبيخ بالقول أو الضرب بالسوط أو الدرة والتشهير أو التجريس بأن يلبس المشهر به طرطورًا منقوشًا بالخرق الملونة، ومكبلاً بالودع والأجراس، وكان يُطاف به في الشوارع وهو راكبًا جملاً ويدق الجرس وهو يقول: "قد كذبت وها أنا أُعاقب، وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب"[1].

الدور الرقابي : وظيفة المحتسب من الوظائف التي كان لها شأنٌ كبيرٌ في المجتمع، وكان عمل المحتسب الأساسي هو الإشراف على السلع المعروضة في الأسواق

---

(1) انظر بحث: (نظام الحسبة.. نيابة ورقابة إدارية ومباحث تم وين)، عماد عجوة ماجستير آثار إسلامية.. مع المراجع: سهام مصطفى أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986م.. الماوردي (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري البغدادي) ت450هـ/1058م، الأ حكام السلطانية والولايات الدينية، الطبعة الأولى، مطبعة الحلبي بمصر1960م.. السيد الباز العريني، الحسبة والمحتسب، مقال بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد 3، 1950م.. ابن الأخوة، معالم القربة، ص 59 ؛ الشيرزي، نهاية الرتبة.. عبد الحميد محمد منظور، نظام الحسبة في الإسلام المحتسب ضبط الأسواق في الماضي ... فهل يضبطها في الحاضر، مجلة تراث العدد 35،أكتوبر 2001م.. السقطي (أبي عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي) في آداب الحسبة، باريس1930م.

والنظر في الموازين والمكاييل وصحتها ونسبها ومراقبة الأسعار، ومراقبة طوائف أصحاب الحرف على اختلافهم، كما تضمَّنت الحسبة كل ما يتعلق بالمعنى الديني والأخلاقي، كصلاة الجمعة والمحافظة على صلاة الجماعة، وأداء الزكاة وردع أهل البدع، والمحافظة على الأخلاق العامة، والمنع من المضايقة في الطرقات كمنع تعرض الرجال للنساء، ومراقبة الخانات وشاربي الخمر وتبرج النساء والدعارة، ومن اختصاصه أيضًا ما يتعلق بالغش والتدليس في المعايش وفي المكاييل والموازين، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة.

وارتبطت وظيفة المحتسب بالسلطة القضائية لدرجة أنه كان يتولى أمرهما أحياناً شخص واحد، وكان عمل المحتسب يلزمه السرعة في الإنجاز والبت في المخالفات التي تتعلق بالآداب العامة والأسواق والمعاملات التجارية وآداب الطريق، حتى لا تتوقف مصالح الناس وتضيع أمورهم ويتعطل سير الأعمال العامة، وكان ينبغي عليه أن يكون ملازمًا للأسواق يركب إليها في كل وقتٍ ويدور على السوقة والباعة ويكشف الدكاكين والطرقات ويتفقد الموازين والأرطال ويتفقد معايشهم وأطعمتهم وما يغشونه ويفعل ذلك في النهار والليل وفي أوقات مختلفة؛ وذلك على غفلةٍ منهم ويختم في الليل حوانيت من لا يتمكن من الكشف عليها بالنهار، ويكون معه أمين عارف يعتمد على قوله، ومع ذلك فكان لا يعتمد إلا على ما يظهر له ويباشره بنفسه ولا يهمل كشف الأسواق.

رقابة على الأسواق: كان للإشراف الدائم للمحتسب على الأسواق بمراقبة الأفران وباعة الحليب وشوائي السمك والجزارين وغيرهم من المنتجات الغذائية دور كبير في ضبط حركة السوق، كما كان يقوم إبعاد الأسواق التي يُباع فيها العطارة مثلاً عن الأسواق التي يستخدم فيها نار بكثرة حتى لا تفسد العطارة وفي ذلك يذكر الشيرزي: "ومَن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار كالخباز والطباخ والحداد فعلى المحتسب أن يبعد حوانيتهم عن العطارين والبزازين، لعدم المجانسة بينهم وحصول الضرر، كما كان المحتسب يمنع دخول الأسواق كل ذي رائحةٍ كريهةٍ حتى لا يضر بصحة الناس،

ولتجنب التسمم وانتشار الأوبئة، كما كان يقوم بمراقبة عملية البيع والشراء داخلها لضبط الحياة التجارية ومنع التجار من التلاعب بالأسعار ضماناً لحفظ الأمن وحماية السوق من كل أشكال العبث والفوضى والتكتل الذي يُراد به إرغام المشتري على الشراء بالسعر المفروض[1].

كما كان يراقب أصحاب المهن مهما كان نوع المهنة، واستخدامه أساليب بارعة في كشف ومعرفة طرق الغش التي يلجأ بعض أصحاب المتاجر والصناعات إليها، وكان المحتسب يقر المعلم والطبيب والمهندس، كل منهم في عمله، إذا حسنت طريقته، ويمنع إذا قصَّر أو أساء، ويعاقب التجار المخالفين، ومَن أهم أدواره في ضبط حركة الأسواق.

مراقبة الموازين والمكاييل: كان المحتسب يراقب الموازين والمكاييل والأذرع حتى لا تضر بالمشتري، كما كان يأمر أصحاب الموازين بمسحها وتنظيفها من الأدهان والأوساخ في كل ساعةٍ فإنها ربما تحمل شيئًا في ثقبها فيضر بها، وربما يجمد فيها قطرًا من الدهن فيظهر في الوزن؛ لذلك وجب على الباعة مسحها وتنظيفها، كما كان يجدد النظر في المكاييل ويراعي ما يطففون به المكاييل، فللتجار حيل يحصل بها التطفيف، فكان المحتسب يدس صبي أو جارية ليشتري من التاجر الذي يشك في ميزانه أو مكياله ثم يختبر الوزن، فإن وجد نقصًا قاس على ذلك حاله مع الناس وإن لم يتب بعد الضرب و التجريس نُفي من البلد. وكان المحتسب ومعاونوه يقومون على تنظيم أسواق الحبوب والسيطرة على الأسعار في أوقات الأزمات، فكان يحرم على

---

(1) انظر بحث: (نظام الحسبة.. نيابة ورقابة إدارية ومباحث تموين)، عماد عجوة ماجستير آثار إسلامية.. مع المراجع: سهام مصطفى أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986م.. الماوردي (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري البغدادي) ت450هـ/1058م، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الطبعة الأولى، مطبعة الحلبي بمصر1960م.. السيد الباز العريني، الحسبة والمحتسب، مقال بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد 3، 1950م.. ابن الأخوة، معالم القربة، ص 59 ؛ الشيرزي، نهاية الرتبة.. عبد الحميد محمد منظور، نظام الحسبة في الإسلام المحتسب ضبط الأسواق في الماضي ... فهل يضبطها في الحاضر، مجلة تراث العدد 35،أكتوبر 2001م.. السقطي (أبي عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي) في آداب الحسبة، باريس1930م.

العلافين والطحانين احتكار الغلة، أو خلط رديء الغلة بجيدها ولا قديمها بجديدها، فإنه تدليس على الناس، وإذا دعت الحاجة إلى غسل الغلة جففت بعد غسلها تجفيفًا بليغًا ثم بيعت منفردة، وكان يلزم الطحانين بغربلة الغلة من التراب وتنقيتها من الطين وتنظيفها من الغبار قبل طحنها، وكان يراقب مناخل الدقيق في كل ثلاثة أشهر أو أقل ويختبر الدقيق فإنهم ربما خلطوا فيه دقيق الحمص أو الفول حتى يزيده زهره وهذا غش.

كما كان المحتسب يراقب أيضًا أصحاب السفن والمراكب ويمنع أربابها من تحميلها فوق العادة؛ خوفًا من غرقها، وكذلك يمنعهم من السير في هبوب الرياح واشتدادها وإذا حملوا معهم الرجال والنساء حجزوا بينهم بحائل، وإذا اتسعت السفن نُصب للنساء مخارج للبراز لئلا يتبرجن عند الحاجة.

رقابة على الخبز: وكان المحتسب يلزم القائمين على صناعة الخبز بمراعاة النظافة العامة، وإذا ما عثُر المحتسب على خبزٍ ناقص الوزن أو لطيف الصنعة قليل الطبخ أو به اعوجاج أو أثر حرق أو غير ذلك من أوجه الفساد، فكان يأمر بالخبز أن يُكسَر ويقوم برمي الشيء الفاسد، وكان المحتسب يمنع الخبازين أن يغشوا الخبز بالكركم والزعفران وما يجري مجراهما فإنهما يوردان وجه الخبز ومنهم مَن يغشه بالحمص والفول، ويلزمهم ألا يخبزوه حتى يخمر فإن الفطير يثقل في الميزان والمَعِدة، وألا يخرجوا من بيت النار حتى ينضج نضجًا جيدًا، وأن ينشر على وجهه الكمون الأبيض والكمون الأسود والسمسم والينسون، وكان يأمر كل صاحب مخبز أن يصنع لنفسه ختم ينقش فيه اسمه ويطبع على خبزه ليتميز خبز كل واحد بطابعه حتى يستطيع المحتسب أن يُقيم الحجةَ على الفاسد منهم. وكان يلزم القائمين على صناعة الخبز بغسلِ معاجنهم كل يومٍ وألا يعملوا قبل الفجر لما في هذا الوقت من قلةِ التحفظ لحدثان القيام من النوم وعليهم الاغتسال في أكثر الأوقات وغسل رؤوسهم ولاسيما في فصل الصيف، وكذلك أواني مائهم، كما يأمرهم المحتسب أن لا يعجن العجان بقدميه ولا بركبته ولا بمرفقيه لأنه ربما قطر في العجين شيء من عرق إبطيه وبدنه،

ولا يعجن إلا وعليه عباءة ضيقة الأكمام، ويكون مُلثمًا أيضًا لأنه ربما عطس، أو تكلمَّ فقطَّر شيئًا من بُصاقه أو مخاطه في العجين، ويشد لئلا يسقط منه شيء في العجين، وإذا عجن في النهار فليكن عنده إنسان معه مذبة يطرد عنه الذباب، كذلك فقد حذَّر المحتسب من استخدام المياه المالحة أثناء عجن الدقيق لأن هذه المياه تجعل الخبز ذا مرارة، أما الماء الصالح للعجين فهو الماء العذب. كما كان المحتسب يتفقد الأفران آخر النهار ولا يُمكِّن أحدًا من صُناع الخبز من المبيت في ملابس العجين، ولا مكان فرش العجين، ويأمرهم بنشرها على الحبال بعد نفضها وغسلها في كل وقت، كما يأمرهم بكنس بيت النار ومسحه من الداخل بخرقةٍ نظيفةٍ، وخاصة في الأفران التي كان أصحابها يستخدمونها لشواء أنواع الأسماك المختلفة إلى جانب استخدامها في الخبز، كما كان يأمر القائمين على صناعة الخبز بتفريغ الماء المتبقي في الأواني بعد العجن؛ لأنه لو بقي تغيرت رائحته ثم يغسلها من الغد، كما يأمرهم المحتسب برفع سقائف أفرانهم ويجعل في سقوفها منافس واسعة للدخان وإصلاح المداخن ولم يقتصر دوره الرقابي على الأفران العامة بل كان يراقب الأفران بالمنازل.

مراقبة الجزارين والطباخين واللبانين: ومن أدوار المحتسب الرقابية مراقبة الجزارين وعدم تمكينهم من الذبح أمام دكاكينهم حتى لا يؤذوا المارة، ولكن إذا كانت دكاكينهم متسعة فيمكنهم من الذبح بداخلها، وإن لم يتوفر ذلك فعليهم الذبح في المجازر خارج البلد ثم تنقل إلى دكاكينهم بعد عرضها عليه، ليفحصها ويُسلَّم بطاقة مكتوبًا عليها السعر الذي يجب أن يُباع به اللحم ويلزم الجزار أن يلصق هذه البطاقة على اللحم بحيث يتمكَّن الجميع من رؤيتها وقراءتها، وكان يحذر عليهم ذبح البهائم المريضة، وإذا تغيَّر لون اللحم ألا يبيعونه مع اللحم الجديد، كما يلزمهم المحتسب بعدم ذبح البهائم الجربة حتى تُعالج مما أصابها والحوامل، وعليهم ألا ينفخوا ذبيحتهم عند سلخها لئلا ينفخ فيها من به بخر فيتغير طيب اللحم، وعلى الجزارين إذا فرغوا من البيع أن يأخذوا ملحًا مسحوقًا وينثر على القرمة التي يُقطَّع اللحم عليها لئلا يدود في

زمن الحر ويأمره بأن يغطيها ببرش وفوقه أبلوحة فارغة مثقلة بالحجارة لئلا يلحسها الكلاب أو يدب عليها شيء من هوام الأرض (مثل الحيات وكل ذي سم يقتل) أو الحشرات، وكان المحتسب إذا شكَّ في الحيوان هل هو ميتة أو مذبوح كان يختبره بالماء فإن طفح فهو ميتة وإن رسب فهو حلال، وكذلك يختبر البيض والعصافير . وكان المحتسب يأمر الطباخين بتغطية أوانيهم وحفظها من الذباب وهوام الأرض بعد غسلها بالماء الحار، كما يلزم اللبانين بتغطية أوانيهم أيضًا، وأن يكون المكان مبيضًا مبلطًا، وأن يجعل ليفة في فم المحلب حتى يمنع الوسخ ويلزمهم في كل يوم بغسل المواعين بالليف الجديد والماء النظيف لئلا يسارع إليه الفساد في زمن الحر، ولا يستعمل إلا اللبن الحليب الدسم بخيره، ولا يكون مكشوطًا، فإنه لا طعم له.

وفي مطاعم الأسماك كان يأمر المحتسب قلائي السمك بغسل قفافيهم وأطباقهم التي يحملون فيها السمك كل يوم، وينثرون فيها الملح المسحوق في كل ليلة بعد الغسل، وكذلك يفعلون بموازينهم الخوص؛ لأنهم إذا غفلوا عن غسلها فاح نتنها وكثُر وسخها وإذا وضع فيها السمك الطري تغيَّر ريحه وفسد طعمه، ويبالغون في غسل السمك بعد شقه وتنظيفه وتنقيته من جلده وقشوره، ثم ينثرون عليه الملح المصحون في زمن الحر ولا يخلطون السمك البايت بالسمك الطازج، وكان المحتسب يتفقد السمك المقلي كل ساعة لئلا يقلوه بدهن الشحم المستخرج من بطون السمك، ويخلطون هذا الدهن بالزيت عند قليه، ولا يمكنهم أن يقلوه إلا بزيتٍ طيب، ولا يخرجوا ا لسمك المقلي حتى ينتهي نضجه من غير سلق ولا إحراق، أما السمك المشوي فيلزمهم أن يعملوا حوائجه بحضرة مَن يثق إليه على ما جرت به العادة بعد غسله وتنظيفه وأن لا يخرجوه من الفرن إلا بعد تمام نضجه، وأما السمك الذي يحمل من البلاد البعيدة أو يكسر في المخازن فلا يقشر حتى يؤلف بالملح ولا سيما رؤوسه وخياشيمه، فإن الدود أول ما يتولد فيها، ومتى فسد السمك المجلوب أو المخزن رمي به على المزابل خارج البلد.

رقابة على الشوائين : كما يأمر المحتسب الشوائين بألا يطينوا تنانيرهم إلا بطينٍ طاهر قد عجن بماء طاهر، فإنهم يأخذون الطين م ن أراضي حوانيتهم، وهو مختلط بالدم والروث وذلك نجس، وربما انتشر على الشواء منه عند فتح التنور فينجس، كما يأمر بائعي الشواء أن ينثروا الملح على قرمهم بعد الانتهاء من البيع وأرادوا الانصراف ويغطوها بأبلوجة فارغة خشيةً من هوام الأرض، كما كان يراقب صلاحية الماء المملح الناتج من شواء اللحوم على التنور، فيفرق بعضه على المشترين ومنه ما يفسد إذا بات في ليالي الصيف، فيمزجه البائع بالليمون لينقي رائحته وطعمه وبهذا يغش المشتري، كما كان المحتسب يراقب الشوائين ويحذرهم أن يشوا اللحم إلا بعد تطهير جميع أجزاؤه من الروث والدم ولا يمكنهم أن يلونوه إلا بالزعفران ولا يمكنهم تلوينه بالألوان والأصباغ فيظن الرأي أنه نضجت وهي غير ذلك.

رقابة على الصيادلة والأطباء: كان المحتسب يخوف الصيادلة وينذرهم بالعقوبة والتعذير، ويشرف عقاقيرهم، وكان يشترط عليهم ألا يطبخوا الأشربة إلا من السكر الطيب النقي المصري، وأن يقرر عليهم ما هو دستور الطب، كما يحذر الصيادلة وخاصة الذين يفترشون في الرحاب وأفواه الطرق ومجتمعات العوام والأسواق من أن يخلطوا عقارًا بعقار إلا بوجود الأمين عليهم فيذهبون إليه وكل دواء على انفراد فيخلطونه أمامه، ويحلفهم ألا يزيدونه بغيره وألا يعجنوه إلا بالعسل الطيب، كما يتفقد الأشربة عليهم، كما كان المحتسب لا يُمكِّن أحدًا من بيع العقاقير وأصناف العطر إلا من له خبرة ومعرفة وتجربة، ومع ذلك يكون ثقةً أمينًا في دينه وعنده خوف من ربه، فإن العقاقير إنما تشترى من العطارين مفردة ثم تركب غالبًا لأنه قد يشتري الجاهل عقارًا معتمدًا على أنه الدواء الذي يريده، ثم يشتريه منه جاهل آخر فيستعمله في الدواء متيقنًا منفعته، فيحدث له عكس مطلوبه ويتضرر به، وهي أضر على الناس من غيرها؛ لأن العقاقير مختلفة الطبائع والأدوية على قدر أمزجتها فإذا أضيفت إليها غيرها أحرقها فحينئذ يعتبر المحتسب على العطارين ما يغشونه من العقاقير، وأدى

غش الصيادلة إلى إخضاعهم في كثير من الأحيان إلى إشراف الدولة التي كانت تقوم بامتحانهم ومنح الصالح منهم تصريحًا بمزاولة المهنة ونفي الآخرين.

كما كان الأطباء في العالم الإسلامي يخضعون لرقابة الدولة، وفقًا للائحة خاصة تنظم أسلوب تعاملهم مع الناس، وكان على المحتسب مراقبة الأطباء والمعلمين لأن للطبيب إقدامًا على النفوس يفضي التقصير فيه إلى تلف أو سقم، كما أن للمعلمين من الطرائق التي ينشأ عليها الصغار ويصعب نقلهم عنها بعد الكبر، فيقر المحتسب منهم من توفَّر علمه وحسنت طريقته، ويمنع من قصر وأساء من التصدي لما يفسد به النفوس. وبالنسبة لأطباء العيون كان المحتسب يمتحنهم بكتاب حنين بن إسحاق، فقد ألف عشرة مقالات في العين، فمَن وجده قيمًا فيما امتحنه به عارفًا بتشريح طبقات العين، وما يُصيبها من أمراض، وكان خبيرًا بتركيب الأكحال وأمزجة العقاقير أذن له المحتسب بالتصدي لمداواة أعين الناس، أما كحالوا الطرقات فلا يُوثق بأكثرهم إذ لا دينَ لهم، ويصدهم عن التهجم على أعين الناس ولا ينبغي لأحد أن يركن إليهم في معالجة عينيه، ولا يثق بـأكحالهم، فيحلفهم المحتسب ألا يغشوا في أدويتهم إذ لا يمكنه منعهم من الجلوس لمعالجة أعين الناس . أما الجراحين فكان المحتسب يمتحنهم بكتاب جالينوس في الجراحات والمراهم، ويشترط معرفتهم بالتشريح وأعضاء الإنسان، وما فيه من العضل والعروق والشرايين والأعصاب، كما كان يمتحن الفصادين والحجامين، وهل هم يعرفون العروق المفصودة وما جاورها من العضل والشرايين أم لا. والمجبرون (أطباء العظام) فكان المحتسب لا يجيز لأحد منهم أن يتصدى للجبر إلا بعد أن يعرف المقالة الساسة في كتاب قوانين الجبر وأن يعلم عدد عظام الآدمي، وهي مائتا عظم ة وثمانية وأربعون، وصورة كل عظم منها وشكلها وقدره حتى إذا انكسر منها شيء أو انخلع رده إلى موضعه على هيئته التي كان عليها فيمتحنهم المحتسب على ذلك.

هذه بعض الأدوار الهامة التي كان يقوم بها جهاز الحسبة في الدولة الإسلامية، وما أحوجنا لتطبيق هذا النظام الإسلامي في حياتنا اليوم بعد ما انتشر الفساد في البر

والبحر، تحت بصر واعين الجهاز الإداري والتنفيذي في الدولة .. لكِ الله يا مصر، ويا مَن تنتظرون علاوة شهر يوليو فلتهتفوا بأعلى أصواتكم.. وا محتسباه[1][2].

ثانياً: مختصر نظام الوقف في الإسلام : إن الحديث عن نظام عظيم لا تعرف له البشرية مثيلاً، إنه متشعب الجوانب متعدد الأبحاث، لا يمكن الإحاطة به في مختصر مثل هذا [3]، لكن نجمل مواطن البحث فيه وهي كثيرة بما يلي:

---

(1) انظر بحث: (نظام الحسبة.. نيابة ورقابة إدارية ومباحث تموين)، عماد عجوة ماجستير آثار إسلامية.. مع المراجع: سهام مصطفى أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986م.. الماوردي (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري البغدادي) ت450هـ/1058م، الأحكام السلطانية والولايات الد ينية، الطبعة الأولى، مطبعة الحلبي بمصر1960م.. السيد الباز العريني، الحسبة والمحتسب، مقال بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد 3، 1950م.. ابن الأخوة، معالم القربة، ص 59 ؛ الشيرزي، نهاية الرتبة.. عبد الحميد محمد منظور، نظام الحسبة في الإسلام المحتسب ضبط الأسواق في الماضي ... فهل يضبطها في الحاضر، مجلة تراث العدد 35،أكتوبر 2001م.. السقطي (أبي عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي) في آداب الحسبة، باريس1930م.

(2) انظر المصادر المتعلقة بنطام الحسبة في الإسلام تطبيقاته وضوابطه مثل : الحسبة في الحضارة الإسلامية دراسة تاريخية– فقهية في الرقابة على الجودة الشاملة، هاشم يحيى الملاح، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ط/1، 2007م.. نظام الحسبة في الإسلام بين التنظير والتطبيق، موسى راضي نصار، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، مجلدين، 2002م.. معالم القربة في أحكام الحسبة، ضياء الدين محمد بن القرشي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط/1، 2001م.. الحسبة، ابن تيمية، ترجمة وتحقيق : صالح عثمان اللحام، دار ابن حزم، ط/1، 2004م.. الحسبة، عبد الحميد فايد، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط/1.. دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب، وزارة التعليم العالي، ط /1، 1988م.. الرقابة الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية، خولة عيسى صالح، بيت الحكمة، ط/1، 2001م.

(3) انظر المصادر المتعلقة بنطام الوقف الإسلامي وتاريخه وضوابطه وتطبيقاته العصرية مثل : دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، أحمد عبد العظيم الجمل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ط/1.. الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، سليم هاني منصور، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، 2004م.. نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي، تأليف: مجموعة مؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية تاريخ، ط/1، 2003م.. الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، منذر خلف، دار الفكر المعاصر، ط /1، 2004م.. دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، أحمد عبد العظيم الجمل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ط/1.. كتاب: تأصيل فقه الأولويات؛ دراسة مقاصدية تحليلية، محمد همام عبد الرحيم ملحم، تقديم : محمد نعيم ياسين، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط /1، 2007م. وكتاب (في فقه الأولويات)، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط /1، 2000م.. انظر كتاب (المنهج التنموي البديل في الإقتصاد الإسلامي – دراسة للمفاهيم والأهداف والأولويات وتحليل الأركان والسياسات والمؤسسات)، صالح الصالحي، دار الفجر للنشر

أولاً: الجانب الفقهي.

ثانياً: الجانب الاجتماعي الإيماني الحضاري.

ثالثاً: الجانب التاريخي.

رابعاً: الجانب الإصلاحي[1].

الوقف الإسلامي ويسمى في الشريعة الإسلامية بنظام الاحباس ودليل مشروعيته مستمد من الكتاب اي القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة ومن إجماع الفقهاء. وإذا رجعنا إلى الأصول الشرعية للوقف وجدنا أن الفقهاء قد استندوا في تأصيلهم له إلى أدلة كثيرة من ا لقران الكريم والسنة النبوية والإجماع، وهذه الأدلة وإن كانت لا تدل على موضوع الوقف بصفة مباشرة فإنها تحث على أعمال البر والخير.

مفهوم الوقف لغة واصطلاحا : الوقف لغة يدل على الحبس والمنع يقال : وقف فلان داره على كذا : إذا حبسها ويجمع على وقوف .. عرف الفقهاء الو قف بأنه: (إعطاء عين لمن يستوفي منافعها والانتفاع بها، أو الانتفاع بها فقط على وجه التأبيد، وقد يكون على وجه التوقيت). كما عرفه ابن عرفة المالكي بأنه "إعطاء منفعة شيء مدة وجوده، لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا". فقوام الوقف إذن : هو منع التصرف في رقبة العين التي يدوم الانتفاع بها ، فلا يجوز بعد وقفها وجعلها على حكم ملك الله تعالى أن تباع ، أو ترهن ، أو توهب ،أو تورث ، أما منفعتها فتصرف على وجوه الخير والمنفعة العامة تبعا للشروط التي يحددها الواقف بمعنى أن الوقف تعطى منفعته لا أصله.

والتوزيع، ط/1، 2006م. وكذلك كتاب (الاقتصاد الإسلامي بين الفكر والتطبيق)، حسين حسين شحاته، سلسلة الفكر الاقتصادي الإسلامي، دار النشر للجامعات، ط/1، 1429هـ - 2008م.

(1) نظام الوقف في الإسلام .. بين الماضي والحاضر ، محاضرة للشيخ عبد القادر الخطيب الحسني، محاضرة ألقيت في المركز الثقافي بداريا شعبان 1426 هـ، 2005/9/24.

أصل مشروعية الوقف: إذا رجعنا إلى الأصول الشرعية للوقف وجدنا أن الفقهاء قد استندوا في تأصيلهم له إلى أدلة كثيرة من القران الكريم والسنة النبوية والإجماع، وهذه الأدلة وإن كانت لا تدل على موضوع الوقف بصفة مباشرة فإنها تحث على أعمال البر والخير.

الأدلة من القرآن الكريم : آيات كثيرة تحث على عمل الخير وإعطاء الصدقات التي يتقرب بها إلى الله عز وجل كقوله تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)، الآية، وقوله تعالى: (وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون)، الآية، وقوله عز وجل (وما تفعلوا من خير، فلن تكفروه)، الآية، وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) وقوله عز وجل : (لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون). كما قال تعالى في موضع آخر :(وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون)، الآية.

إن الوظيفة الرئيسة ل لمال في الإسلام هو تسخيرة لعمارة الأرض وتطبيق مبدأ الاستخلاف. يقول تعالى في سورة الحديد : (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)، الآية، وهذه الآية صريحة في أن المال في حقيقته ملك لله تعالى كشأن جميع ما في هذا الوجود وأن الإنسان مُسْتَخْلَفٌ فيه، مأمور منهي مبتلىً محاسب. ويقول تعالى في سورة البقرة في وصف المتقين: (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)، الآية، وهذه الآية تدل على شمول النفقة في الإسلام للأنواع المختلفة الواجبة كالزكاة ونفقة العيال، وغير الواجبة كصدقة التطوع ووجوه الخير المختلفة ومنها الوقف. ويقول تعالى في سورة آل عمران : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)، الآية، وهذه الآية تدل على أن الإنفاق في وجوه الخير قربة إلى الله لا تنال إلا بطيب المال. ويقول تعالى في سورة النساء : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً)، الآية، وفي هذه الآية ينهى الله تعالى الأمة عن دفع أموال السفهاء إليهم، مع أنها أموالهم، بل ونسبها إلى الأمة جميعاً فقال تعالى : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم)، الآية، ثم أتبع ذلك ببيان حقيقة المال

وأنه قِوام الأمة، به تقوم المصالح ويعمر الكون وتتحقق الأهداف وتقام شريعة الله في الأرض، وإن السفيه الذي لا يحسن التصرف في المال صغيراً كان أم كبيراً لأهل لأن تكفّ يده عنه ويحجر عليه بل وأن يحرم من نسبة المال إليه حتى يثبت رشده. ويقول تعالى في سورة آل عمران : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعانوا على الإثم والعدوان)، الآية، وفي هذه الآية دليل على وجوب التكافل بين المؤمنين في المجتمع وأن يمد بعضهم يد العون لبعض. كما إن الأمر بالجهاد بالمال جاء مقترناً مع الأمر بالجهاد بالنفس في آيات كثيرة في كتاب الله تعالى.

ويتخلص من هذا كله أن المال له وظيفة مقصودة في الإسلام، وأن الإنفاق لتحقيق أي مقصد من المقاصد التي حضَّ عليها الإسلام قربة من أعظم القرب التي تنال بها مرضاة الله سبحانه وتعالى، سواء أكانت هذه النفقة تمليكاً منجّزاً أم وقفاً تصرف منافعه وفوائده على جهة من جهات الخير، وقد تحقق الرعيل الأول في الإسلام بهذه المعاني كلها، بدءاً من الصدّيق أبي بكر رضي الله عنه، فكانت أموالهم مسخرة لخدمة عقيدتهم والتكافل مع إخوانهم في الدين[1].

أما الأدلة من السنة النبوية فهي كثيرة، فقد أثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث تشير إلى مدى أهمية الوقف . وقد فسر بعض العلماء الصدقة الجارية بأنها الوقف لأن غيره من الصدقات لا يكون جاريا : أي مستمرا على الدوام.

تاريخ الوقف الإسلامي

1. الوقف في العصر الأول (عهد الصحابة): كانت أوائل الوقفيات في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم : ونذكر منها التالي وقف النبي صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء عند قدومه مهاجراً إلى المدينة ،

---

(1) نظام الوقف في الإسلام .. بين الماضي والحاضر، محاضرة للشيخ عبد القادر الخطيب الحسني، محاضرة ألقيت في المركز الثقافي بداريا شعبان 1426 هـ، 2005/9/24.

وقف النبي صلى الله عليه وسلم لسبع حوائط (بساتين) بالمدينة كانت لرجل يهودي، وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأرضه التي بخيبر، وقف عثمان رضي الله عنه لبئر رومه ، وقف أبو طلحة رضي الله عنه لبستانه (بيرحاء)، ثم توالت بعد ذلك أوقاف الصحابة رضي الله عنهم.

2. الوقف في العصر الأموي : كثرت الأوقاف نظراً لاتساع الفتوحات الإسلامية التي بلغت مشارف الصين شرقاً، وحدود فرنسا غرباً . وأنشئت إدارة خاصة للإشراف على الاوقاف في زمن هشام بن عبدالملك. وخضعت إدارة الأوقاف لإشراف السلطة القضائية مباشرة، وكانت مستقلة عن السلطة التنفيذية.

3. الوقف في العصر العباسي : ازداد التوسع في إنشاء الأوقاف، وكان يتولى ديوانها من يطلق عليه (صدر الوقف)، وظل ديوان الوقف مؤسسة أهلية مستقلة عن الدواوين السلطانية. وتوسعت مصارف ريع الوقف لتشمل الأوقاف الحضارية المدنية كالمستشفيات والمكتبات ودور الترجمة ومعاهد التعليم وغيرها. وشملت مصارف ريع الأوقاف مختلف جوانب الحياة حتى كان منها أوقاف على رعاية البهائم وإصلاح الأواني ونحو ذلك من الأمور العجيبة.

4. الوقف في عصر المماليك : اتسعت الأوقاف في عهد المماليك وكثرت كثرة ملحوظة واتسع نطاقها. وأنشئت ثلاثة دواوين للإدارة والإشراف على الاوقاف هي ديوان لأحباس المساجد ، ديوان لأحباس الحرمين الشريفين وجهات البر المختلفة وديوان للأوقاف الأهلية.

5. الوقف في العصر العثماني : اعتنى سلاطين العثمانيين بالأوقاف بدرجة ملحوظة وخاصة عند نساء بني عثمان. وتوسعت مصارف ريع الوقف لتشمل كليات الطب والخدمات الطبية لمستشفيات قائمة، مواكبة للتطور والتقدم العلمي في العصور الحديثة [1]

---

(1) انظر المصادر المتعلقة بنطام الوقف الإسلامي وتاريخه وضوابطه وتطبيقاته العصرية مثل : دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، أحمد عبد العظيم الجمل، دار السلام للطباعة والنشر

وابتداءً من العهد الأموي ظهرت علاقة مباشرة بين الوقف وصوم رمضان في الممارسة الاجتماعية؛ إذ أخذ الواقفون يهتمون بتخصيص جزء من ريع وقفياتهم أو للإنفاق من هذا الريع لتمكين غير القادرين على صوم الشهر الكريم، بما في ذلك من توفير لطعام الفطور أو السحور . إلا أن هذا الشكل قد اتخذ مظاهر متعددة في العصور التالية للعصر الأموي. وبمرور الزمن، ومع اتساع رقعة المدنية الإسلامية، واستقرار قواعدها وازدهار عمرانها، ومع حدوث تمايز نسبي بين مؤسساتها ومرافقها العامة من النواحي الوظيفية والرمزية، أضحت هناك علاقة مباشرة بين الوقف ورمضان، وبالتأمل في وقائع هذه العلاقة يتضح أن الوقف كان – دوماً – في خدمة الشهر الكريم، ورافداً أساسياً من روافـد تمويل معظم مظاهر الاحتفاء به وإقامة شعائره والتمكين من صيامه؛ عبر مختلف العصور . ولقد أخذ المسلمون يحيطون ممارستهم لفريضة صوم رمضان بكثير من مظاهر الإجلال والاحتفاء والتعظيم، وارتبطت بهذه المظاهر سلوكيات خاصة، وحاجات اجتماعية متجددة، واستلزمت – هذه وتلك – وجود أدوات ووسائل ملائمة لتحقيقها، ومن ثم مصادر لتمويلها والإنفاق عليها؛ دورياً في رمضان من كل عام، وباستمرار على مر الزمن. ومن هنا جاء التوظيف الاجتماعي للوقف ليكون – كما قلنا – في خـدمة صوم شهر رمضان وما يحف به من مظاهر التكريم، وكذلك للإسهام في التمكين من أدائه، وهو إحدى فرائض الإسلام وركن من أركانه.

وعلى أية حال فإنه يمكن تصنيف صيغ التوظيف الاجتماعي للوقف في رمضان في ثلاثة أنماط رئيسية هي كالآتي:

والتوزيع والترجمة، 2007م، ط/1.. الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، سليم هاني منصور، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، 2004م.. نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي، تأليف: مجموعة مؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية تاريخ، ط/1، 2003م.. الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، منذر خلف، دار الفكر المعاصر، ط /1، 2004م.. دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، أحمد عبد العظيم الجمل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ط/1.

1. نمط التحويلات النقدية: وهو أن ينص الواقف على تخصيص مبالغ نقدية من ريع وقفه لإنفاقها خلال شهر رمضان المبارك؛ على الفقراء والمساكين وذوي الخصاصة، ومثال ذلك ما نص عليه محمد باشا سليمان أبو النجا في حجة وقفيته – بمصر – التي يرجع تاريخها إلى سنة 1369 هـ / 1950م – وهو أن يصرف للفقراء والمساكين من ريع الوقف 7 جنيهات (يومياً) على مدار أيام شهر رمضان و 90 جنيهاً في آخر يوم من رمضان سنوياً .. والتخصيص الوارد في هذا المثال – وأمثلته كثيرة – هو عبارة عن عطاء نقدي لتلك الفئات بلا مقابل، ودون تكليفهم بأداء أية خدمة، وهدفه هو إعانتهم ليتمكنوا بأنفسهم من تدبير بعض ضرورياتهم خلال الشهر الكريم.
2. نمط المساعدات العينية : وهو أن ينص الواقف على الصرف من ريع وقفه لشراء بعض السلع والحاجات – كالأطعمة والأشربة والملابس – وتوزيعها خلال شهر رمضان على فئات متنوعة من عامة الناس، مع إعطاء أولوية الاستحقاق لكبار السن والعاجزين عن الكسب والضعفاء والأيتام ومقيمي الشعائر في المساجد والتكايا والرباطات، والمشايخ الملازمين للمساجد، وللمساكين، وحتى للسجناء.
3. نمط الدعم العيني للمؤسسات المدنية : وفي مقدمتها المدارس ومكاتب السبيل، والأربطة، والخنقاوات، والتكايا والملاجئ[1].

ومن أهم المرافق التي كانت تغطيها الأوقاف عبر العصور الإسلامية المشرقة:

1. المساجد
2. المدارس والمعاهد.
3. دور القرآن.

---

(1) تقاليد نظام الوقف في رمضان، علاقة "المندوب" بالواجب في الممارسة الاجتماعية، بحث د. ابراهيم البيومي غانم، نشر بتاريخ 24–10–2005م.

4. دور الحديث
5. دور مشتركة للقرآن والحديث.
6. الخوانق والرُّبُط، ومفرد الأولى خانقاه، والثانية رباط، وهي منشآت موقوفة على العبّاد والزهّاد، وقد تجري فيها بعض الدروس.
7. الفنادق والخانات
8. البيمارستانات، وهي المشافي.
9. التكايا، وفيها يوزع الطعام مجاناً على الفقراء.
10. السّقايات والحياض والآبار .
11. ومن الأوقاف الأوقاف الخاصة للرباط في الثغور لمواجهة الأعداء وللجهاد وآلاته والخيول وما يتعلق بها واستنقاذ الأسرى .
12. ومنها ما كان موقوفاً لإصلاح الطرقات والجسور والقناطر .
13. ومنها المقابر والتّرب، وبعضها كان يقوم بمهمة علمية تتبع له، ويتبع ذلك الوقف لشراء أكفان الموتى، وسد ديون من مات وعليه دين .
14. أما المؤسسات الخيرية لإقامة التكافل الاجتماعي بين الناس فكانت من أعجب العجب، فمنها مؤسسات للّقطاء واليتامى وللمقعدين والعميان والعجزة وللمساجين وتغذيتهم، ولتزويج الشباب وتقديم المهور، ومنها لإمداد الأمها ت بالحليب والسكر .
15. أوقاف التي خصصت لنزهة الفقراء والمساكين، كالوقف الذي أقامه السلطان نور الدين الشهيد قرب ربوة دمشق[1].

ومن النماذج والمفاخر في الوقف الإسلامي في مجال التعليم مثلاً:

---

(1) نظام الوقف في الإسلام .. بين الماضي والحاضر ، محاضرة للشيخ عبد القادر الخطيب الحسني، محاضرة ألقيت في المركز الثقافي بداريا شعبان 1426 هـ، 2005/9/24.

- ❖ المدرسة النظامية التي أنشأت سنة 459هـ ببغداد ، وعين لها خزان ومشرفون ، وأقام فيها مكتبة ، وقد أوقف عليها نظام الملك الأموال الكثيرة لتدريس الطلاب ، ولشراء نفائس الكتب من موارد هذه الأوقاف.
- ❖ المدرسة المستنصرية ببغداد ، أنشأت سنة 623هـ وكملت سنة 631هـ ، أنشأها الخليفة المتنصر بالله العباسي ، قال ابن كثير : (لم تبن مدرسة في الدنيا مثلها ، وقفت على المذاهب الاربعة ، وفيها شيخ طب ، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب ، ومكتب للأيتام ، ووقف عليها أوقافا عظيمة ، حتى قيل إن ثمن التبن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها ، ووقف فيها كتباً نفيسة ليس في الدنيا لها نظير ، فكانت هذه المدرسة جمالاً لبغداد وسائر البلاد) انتهى مختصراً.
- ❖ مكتبة المدرسة البشيرية التي أنشأتها زوجة الخليفة المستعصم بالله العباسي والتي افتتحت سنة ٦٥٤هـ فأوقفت عليها الكتب والأموال وكانت كتبها تعار خارج أسوار الجامعة لقاء رهن للحفاظ على الكتب وضمان إعادتها مثلما جرى عليه العمل في المكتبات الخاصة بالمدارس الأخرى.
- ❖ المدرسة الظاهرية التي أنشأها الظاهر بيبرس في دمشق سنة 662هـ ، وأوقف عليها الأوقاف ، وأغدق عليها الأموال ، وخصص لها مكتبة ضخمة تحوي سائر العلوم.
- ❖ المدرسة المنصورية في مصر أنشأها المنصور بن قلاوون سنة ٦٨٣هـ وتخصصت في تدريس الطب بالدرجة الأولى، وأوقف عليها وعلى القبة المنصورية التي هي مرصد فلكي أوقافاً واسعة من الحوانيت والأطيان.

- ❖ المدرسة الدنيسرية ، أنشأها الطبيب عماد الدين محمد بن عباس الربعي الدنيسري سنة 686هـ وأوقفها لتعليم الطب وتخريج الأطباء.
- ❖ مدرسة السلطان قايتباي بمكة المكرمة التي افتتحت سنة ٨٨٤هـ احتوت على ٧٢ غرفة أو قاعة تدريس، إذ أوقف عليها الكثير من الوقوف، وممن تولى إدارتها قطب الدين الحنفي صاحب كتاب : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام[1].

هذا كلّه غيضٌ من فيض، وقطرة من بحر مما كانت تحياه أمتنا يوماً من الأيام، وحسبنا أن نعلم أن الإمام النووي المتوفى سنة (676 هـ) لم يكن يأكل من فواكه دمشق وخضرواتها لأن أكثر أراضيها وقف، وهو الإمام الورع الذي يخشى أن يكون خرج الموقوف عن الوقف بغير استحقاق. وبهذا نعلم أن نظام الوقف في الإسلام كان يقوم بما تحمل أعباءه عدة وزارات مجتمعة كوزارات الشؤون الاجتماعية والعمل والصحة والتربية والتعليم العالي والإنشاء والتعمير والإسكان والدفاع والري، فضلاً عن وزارة الأوقاف[2].

وقد فشا التعامل بالإجارتين في العهد العثماني لترميم المباني، وتعورفت أنواع أخرى قياساً عليها ورد تعريفها وما يتعلق بها من أحكام في كتب فقهاء الحنفية، منها :

---

(1) انظر المصادر المتعلقة بنظام الوقف الإسلامي وتاريخه وضوابطه وتطبيقاته العصرية مثل : دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، أحمد عبد العظيم الجمل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ط/1.. الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، سليم هاني منصور، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، 2004م.. نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي، تأليف: مجموعة مؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية تاريخ، ط/1، 2003م.. الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، منذر خلف، دار الفكر المعاصر، ط /1، 2004م.. دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، أحمد عبد العظيم الجمل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ط/1.

(2) نظام الوقف في الإسلام .. بين الماضي والحاضر ، محاضرة للشيخ عبد القادر الخطيب الحسني، محاضرة ألقيت في المركز الثقافي بداريا شعبان 1426 هـ، 2005/9/24.

- المُرْصَدُ :وفيه يترتب دين على الوقف لترميمه، جعل به للدائن حق القرار إلى أن يتمكن الوقف من الوفاء .
- الكَدَك: وفيه يضع المستأجر في الدكان الموقوف المأجور له بعض أدوات الصنعة وما يلزم المحل من الخزائن والرفوف ويصبح له حق القرار الدائم ما دام يدفع الأجرة .
- القميص: وهو يشبه الكدك لكن في المطاحن .
- الاحترام :وهو في الأراضي المزروعة كالحكر في الأراضي المبني عليها .
- الخلو: ويسمّى حق السكنى .
- مشد المسكة، أو الكردار : وهو ما يصرفه مستأجر الأرض الموقوفة في إصلاحها كالفلاحة والتسميد والخدمة، ويصبح له بذلك الأرجحيّة في استئجار تلك الأراضي.

وهكذا صارت حقوق القرار هذه بمختلف أنواعها أغلالاً في عنق الأوقاف، مما جعل القوانين تتجه إلى عدم جواز إنشاء هذه الحقوق وفتح الباب لتصفيتها لقاء نسبة محددة للوقف من قيمة العقار الذي يصبح ملكاً حراً لصاحب اليد[1].

وقد كانت الأمم المحاربة للإسلام والمسلمين حريصة على إضعاف الأوقاف الإسلامية، لما تعلم من أهمية الوقف في حياة المسلمين، وقد ذكر العلامة الكوثري : أن بعض سفراء فرنسا لدى الدولة العثمانية ألف كتاباً في تاريخ الإصلاحات العثمانية يحتوي على وثائق لا يمكن للجمهور الاطلاع عليها، وكان مما جاء فيه الاقتراح على الدولة العلية إلغاء وجعل الأعيان والأراضي الموقوفة في عداد أملاك الأمة[2].

---

(1) نظام الوقف في الإسلام .. بين الماضي والحاضر ، محاضرة للشيخ عبد القادر الخطيب الحسني، محاضرة ألقيت في المركز الثقافي بداريا شعبان 1426 هـ، 2005/9/24.

(2) نفس المصدر السابق.

وإذا تأملنا في مسار العلاقة بين الوقف كمندوب والممارسات الاجتماعية سابقاً وما آلت إليه في ظل الدول الحديثة – في معظم بلدان العالم الإسلامي – سنجد أن قوة هذه العلاقة قد وهنت، وأن وظيفتها السابق شرحها قد انتقلت من حيزها الاجتماعي إلى الحيز السلطوي الحكومي، وذلك ضمن السياق العام الذي سيطرت فيه الدولة على نظام الوقف برمته، وفككت روابطه بالتكوينات الاجتماعية الأصيلة والموروثة وفـــي مقدمتها الأسرة، والطائفة المهنية أو الحرفية، والطريقة الصوفية، والعلماء، وكثير من المؤسسات المدنية والدينية في آن واحد. وقد نخلص إلى القول بأن تقويض الممارسة الاجتماعية للمندوب الشرعي، وعزله عن روافده التلقائية، وضبطه سلطوياً بعيداً عـــن مجاله في خدمة فرائض الإسلام، كل ذلك قد أسهم في حدوث خلل في مقومات التوازن الاجتماعي، وأدى إلى ضعضعة مصادر قوة المجتمع في علاقته مع سلطة الدولة [1][2].

وبعد أن تطرقنا لنبذة مبسطة موجزة عن مبدأين مهمين ونشاطين فاعلين في المنظومة الاقتصادية – البيئية المهمة بما ينفعنا ف ي مبحثينا قيد الدراسة (الأزمة المالية والأزمة البيئية) نعود لرؤية العلماء والمختصين بموضوع النظام الاقتصادي الإسلامي العام.

يقول الدكتور القرضاوي: (والبديل الإسلامي لا يكمن في المصارف الإسلامية لأن المصارف نفسها فكرة غربية، فالنظام المصرفي لوحده لا يكفي إنما الاقتصاد

(1) تقاليد نظام الوقف في رمضان، علاقة "المندوب" بالواجب في الممارسة الاجتماعية، بحث د. ابراهيم البيومي غانم، نشر بتاريخ 24–10–2005م.

(2) انظر المصادر المتعلقة بنطام الوقف الإسلامي وتاريخه وضوابطه وتطبيقاته العصرية مثل : دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، أحمد عبد العظيم الجمل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ط/1.. الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، سليم هاني منصور، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، 2004م.. نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي، تأليف: مجموعة مؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية تاريخ، ط/1، 2003م.. الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، منذر خلف، دار الفكر المعاصر، ط /1، 2004م.. دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، أحمد عبد العظيم الجمل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ط/1.

الإسلامي مقرون بالنظام الإسلامي والمنهج الإسلامي للحياة، وجمع بين الأمرين كما يجمع القرآن دائما بين تحريم الربا وبين الصدقات، {يمحق الله الربا ويربي الصدقات} [البقرة:276]، {وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله..}[الروم:39] يعني لا يربوا في الحقيقة لأنه عمره المائة ما تجيب عشرة لوحدها كده، {..وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون}[الروم:39]. لذلك نحن نقول إنه عندنا البديل الإسلامي، ولكن البديل ليس في مجرد المصارف الإسلامية لأن المصارف نفسها فكرة غربية يعني هي غربية الأصل وغربية الطابع، فالنظام المصرفي لوحده لا يكفي إنما نقول الاقتصاد الإسلامي مقرونا بالنظام الإسلامي والمنهج الإسلامي للحياة) [1].

ويضرب أمثلة في ذلك بقوله: (الإسلام لا يرغب الناس في أن يستدينوا، بل ينفر الناس من الاستدانة، العكس، أصل الأزمة الاقتصادية التي أثرت في أميركا ما أثرت هو الازدياد في القروض والازدياد في الديون، بمعنى افتح الباب على مصراعيه، كل الناس يقرضوا، كل أسرة أميركية بمعدل 13 بطاقة ائتمان تأخذ منها من البنوك ومن المحلات ومن كذا، إغراق الناس. بينما الإسلام يقول لك لا، أنت اقتصد، قال تعالى: {..وكلوا واشربوا ولا تسرفوا..} [الأعراف:31]، {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط..} [الإسراء:29]، فلا تستدن بقدر الإمكان. والنبي عليه الصلاة والسلام كان يستعيذ بالله من ضلع الدين، يعني من قوة الدين ومن غلبته، واحد من الصحابة قال له أصابتني هموم وديون فعلمه أن يدعو الله فيقول: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)، الحديث. وكان يستعيذ بالله من المأثم يعني المعصية ومن المغرم، من الاستدانة، فقالوا يا رسول الله ما أكثر ما تستعيذ من المغرم! قال: (إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف)، الحديث، فهذا دليل على

---

(1) مقتطفات من حديث الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي حلقة الشريعة والحياة من قناة الجزيرة الفضائية بعنوان (النظام المصرفي الإسلامي) بتاريخ 2008/10/19م.

أن الاقتصاد له يعني تأثير في الأخلاق، وهذا نتفق مع كارل ماركس في هذه القضية ولكن ليس هو المؤثر الوحيد، فإن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف، والدين هم في الليل ومذلة في النهار.

ولذلك الإسلام يريد من المسلم أن لا يستدين إلا لضرورة أو حاجة، إنما إذا استطاع أن يعيش ولا دين عليه يبقى يقول الحمد لله، ومع هذا إذا ابتلي بالدين فإن الإسلام يحاول أن يخرجه من أسر هذا الدين، جعل في مصارف الزكاة مصرفا اسمه والغارمين، الغارمين المدينين، يأخذ من الزكاة ما يخرج به عن دينه، لا ندعه يشهر إفلاسه ويغلق محله وتبور تجارته لأنه أغرقته الديون، الإسلام يقول له لا، ننتشلك من هذا الأمر. النبي عليه الصلاة والسلام كان في أول أمره حينما هاجر إلى المدينة إذا جاء ميت يصلون عليه يسأل أصحابه هل عليه دين؟ فإن قالوا لا، صلى عليه، وإن قالوا نعم، قال هل ترك وفاء؟ يعني ترك في تركته ما يقضي هذا الدين ما يسد هذا الدين، إن قالوا نعم، صلى عليه، وإن قالوا لا يقول صلوا على صاحبكم. وذات مرة لما قالوا لميت عليه دين، قال أحدهم أنا يا رسول الله أفي بدينه، أي أنا أتكفل بدينه، فصلى. فكان حريص إلى هذا الحد أن ينفر الناس من أن يموت أحدهم وعليه دين. ولما فتح الله عليه وجاءت الغنائم واتسع بيت مال المسلمين يقول من ترك مالا فلورثته ومن ترك دينا أو ضياعا يعني عيال صغار ضائعين فإليّ وعَلَيَّ، الحديث، أي هو الذي كان يتكفل بسداد ديون الغارمين.

فهذا النظام الإسلامي، نظام تربوي يواري النظام الاقتصادي يجعل المسلم لا يتورط في الدين على خلاف النظام الذي يحاول أن يجعل الناس تدخل في قروض وتدخل في ديون وترهق نفسها وبعدين تضطر إلى أن ترهن بيوتها والرهن تضطر تدخله في مسائل أخرى ديون أخرى على حد ما قال الشاعر العربي:

إذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن   قضاء ولكن كان غرما على غرم

معظم الأزمة الاقتصادية الأميركية من هذا تقضي الدين بالدين، تدخل الناس، تدخلهم من متاهة، تخرجهم من متاهة تدخلهم في متاهة أخرى).... انتهى كلام الأستاذ الفاضل(1).

أما كيف يحقق التمويل الإسلامي التوازن؟ فالضوابط التي يضعها النظام الاقتصادي الإسلامي سواء كانت ضوابط تشريعية أو ضوابط إيمانية وأخلاقية، هذه الضوابط من شأنها أنها تعمل توازنا بين المستهلك والمنتج، بين العامل ورب العمل، بين المالك والمستأجر يعني لا تجور على طائفة لحساب طائفة أخرى لأن هذا النظام لم يضعه أرباب المال حتى يجوروا على العمال أو الملاك حتى يجوروا على المستأجرين، ولكن وضعه رب الناس للناس فهو يمثل العدالة المطلقة إذا أحسن فهمه وأحسن تطبيقه أيضا، فقد لا نحسن فهمه للأسف ونقع في الأخطاء ونتصورالأمور على غير حقيقتها، وقد نقع في التطبيق أي في سوء التطبيق وهذا ما يقع فيه كثير من المصارف الإسلامية لأنها لا تطبق الاقتصاد الإسلامي كما ينبغي. فمثلاً نقول بيع المرابحة بشروط كذا وكذا وعند التطبيق لا تتوفر هذه الشروط فهذا ليس عيب التشريع الإسلامي ولا الحكم الفقهي إنما عيب التطبيق... وهكذا.

إن الأزمة المالية العالمية التي هزت العالم في أواخر عام 2008م ودخول الاقتصاد الإسلامي ليكون أحد أهم البدائل أو منافسا لها، يحتم على المصارف الإسلامية أو النظم الإسلامية القائمة أعادة تقييم أدءها وإبداء بعض المرونة في تطوير الآليات ومنهجيات التعامل بما يتيح للآخر الانتباه إلى عظمة هذ النظام وشموليته وعدله. فالتطوير مطلوب دائما والإسلام يأمرنا دائما أن نحسن الأشياء، يعني دائما الإسلام يطالب بالأحسن :(ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن)، (ادفع بالتي هي أحسن)، (وجادلهم بالتي هي أحسن)، الآيات. بمعنى إذا كانت هناك طريقتان، طريقة حسنة جيدة وطريقة أحسن منها وأجود فالمسلم مطالب أن يسلك الطريق الأحسن

---

(1) مقتطفات من حديث الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي حلقة الشريعة والحياة من قناة الجزيرة الفضائية بعنوان (النظام المصرفي الإسلامي) بتاريخ 2008/10/19م.

والأجود والأمثل، نحن المفروض أن نأخذ من العالم أحسن ما عنده يعني نحن المفروض نحن المسلمين، هذا النظام المصرفي لسنا الذين أسسناه والذي أسسه غيرنا. نحاول أن نأخذ منهم أفضل ما عندهم ونجتنب أسوأ ما عندهم وهذا شأن الإنسان المسلم في كل شيء، لا يقف الإسلام حجر عثرة ولا يبني قيوداً ، كما يظن البعض، لا بل، هو قيود أخلاقية، قيود تردع الإنسان يفكر في الشر أو يسير في طريقه أو يطمع في الدنيا أو يستغل الآخرين، والمسلم يمنعه إيمانه من ذلك وهذا يجعل معاملاته ترقى وترقى. أما عن التطوير خصوصا تطوير الآليات والمناهج والتطبيقات والمشاريع ضمن الإطار الإسلامي وضوابطه وأحكامه وهي دائمًا قابلة للتحسين والتطوير نحو الأحسن فهذا مطلوب دائما[1].

أما القول بأننا لا يمكننا الفكاك من النظام الرأسمالي ولا يمكننا الاستقلال فهذا ضرب من التطرف والإذعان المسبق دون دليل، ففقد أثبتت دراسات علمية عكس هذا التوجه. فهناك دراسات حديثة تبين إمكانية تأسيس بيت مال إسلامي وفق النمط الحديث للتعاملات المالية دون الأخلال بالجوهر وهو مختلف عن نظام المصارف الرأسمالية تماماً. فقد بينت دراسة تدعو إلى إنشاء بيت مال إسلامي أجريت في جامعة الأزهر بمصر.

ودعت دراسة للدكتورة سوسن سالم الشيخ الاستاذ بكلية التجارة جامعة الأزهر بعنوان «التنظيم الاداري لمؤسسة الزكاة» الى انشاء بيت مال اسلامي أو مؤسسة معاصرة تتولى تحصيل الزكاة وتوزيعها، مشيرة إلى إمكانية ان تخضع هذه المؤسسة للأزهر أو لأية مؤسسة اسلامية كبرى تتمتع بثقة المسلمين واحترامهم، وان يرأس مجلس ادارتها عالم في الشريعة وأن يتكون مجلس الادارة من عدد من العلماء يقومون بوضع الخطط والسياسات والتنسيق والمتابعة والمراقبة، وان تكون هناك ادارات لتلك

---

(1) انظر كتاب (المنهج التنموي البديل في الإقتصاد الإسلامي – دراسة للمفاهيم والأهداف والأولويات وتحليل الأركان والسياسات والمؤسسات)، صالح الصالحي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط/1، 2006م. وكذلك كتاب (الرقابة الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية)، خولة عيسى صالح، بيت الحكمة، ط/1، 2001م.

المؤسسة في المدن والقرى لتحدد وعاء الزكاة والأموال التي تجب فيها وتتابع التنفيذ لتصحيح الانحرافات. وأوضحت الدراسة ان نجاح مؤسسة الزكاة مرهون بالشورى والعدل من جانب العاملين فيها، مؤكدة ان الزكاة اذا نظمت وكانت لها مؤسسة تقوم على شؤونها فإن ذلك يؤدي الى زيادة انتاج الفقراء نتيجة تحسن مستواهم الصحي والغذائي وزيادة نسبة التعليم والادخار والدافع للاستثمار بينهم، بالاضافة الى ان الزكاة تؤدي الى انتفاع الفقراء والمساكين بزيادة دخلهم وقضاء حوائجهم الضرورية وتساعد الغارمين على استرداد بعض أموالهم وتوجد وظائف للعاملين عليها وهي تكفي أبناء السبيل باعطائهم ما يكفيهم للرجوع الى ذويهم وتكفي أيضا المشردين واللاجئين واللقطاء فتحميهم من التشرد والضياع وتجعل منهم مواطنين صالحين نافعين لوطنهم، ويمكن ان تساهم الزكاة أيضا في نشر الاسلام عن طريق طبع الكتب والنشرات وبث البرامج في وسائل الاعلام وعلى شبكة الانترنت وتساهم أيضا في بناء الدولة عسكريا وحمايتها من الأعداء ومساعدة الدول الاسلامية الضعيفة والفقيرة في حالة زيادة الزكاة عن حاجتها.

وأشارت الدكتورة سوسن إلى أنه في عصر الرسالة كان ال نبي صلى الله عليه وسلم يختار من يقومون بجمع الزكاة ويشرف عليهم آخرون ويحاسبونهم، يطلق عليهم «المستوفون» ثم يجمع المال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد استمر هذا النظام في عصر الخلافة الراشدة وما بعدها، وفي عصر عمر بن الخطاب زادت أموال الزكاة فأنشأ لها ديوانا ونظمه ووظف العاملين فيه، وفي عصر عثمان وعلي رضي الله عنهما استمر عمل هذا الديوان، وفي عهد عمر بن عبد العزيز فاض المال نتيجة جمعه وصرفه حسب قواعد الشريعة ولم تحتج إليه الخزنة لمدة عامين ولذلك أرسل الى عماله يأمرهم بدفع ديون الرعية وتزويج الشباب من أموال الزكاة.

وأكدت انه مع تغير الظروف التي كانت موجودة في عصر الرسالة فانه من الطبيعي ان تختلف مؤسسة الزكاة لمواكبة تلك التغيرات خاصة مع تزايد أعداد المسلمين

وانتشار الجهل والأمية الدينية واستحداث الضرائب وظهور آراء تقول بأنها تغني عن الزكاة، بالاضافة الى عدم وجود رقيق في العصر الحاضر، وبالتالي توزع الزكاة على سبعة أصناف فقط كما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حينما وزعها على سبعة أصناف ولم يعط المؤلفة قلوبهم منها لعزة الاسلام وقوته في عصره، كما ان تحديد أموال الزكاة قد يختلف الآن عما كان عليه في الماضي، فالمحاصيل الزراعية مختلفة، وهناك أصناف لم تكن موجودة بجانب أن تحديد الوعاء لم يعد سهلا خاصة بالنسبة لعروض التجارة وكذلك اختلاف الفقراء والمساكين بسبب ارتفاع مستوى المعيشة فقد يكون الفقير موظفا يسكن في شقة جيدة ويذهب أبناؤه الى المدارس والجامعات، بالاضافة الى ضرورة إعادة النظر في تحديد من هم ابناء السبيل هل هم الذين تركوا ديارهم وهم أغنياء ثم احتاجوا حتى يمكنهم الرجوع الى بلادهم مع الأخذ في الاعتبار تطور وسائل الاتصال التي تمكن هؤلاء من الاتصال بذويهم، وبالتالي عدم الحاجة الى الزكاة.

وأجملت الدراسة بعض الصعوبات التي قد تواجه مؤسسة الزكاة أو بيت مال المسلمين في حال انشائه حيث ترى ان التكوين الاداري لتلك المؤسسة سيواجه عدة مشكلات منها تحديد وعاء الزكاة وتحديد المستحقين وكيفية ايصال المال إليهم بالاضافة الى عدم وجود نماذج لمؤسسات زكاة قائمة يمكن الاستفادة من تجاربها وخبرات العاملين فيها. وأكدت امكانية توزيع أموال الزكاة عن طريق شركات مساهمة لتشغيل الفئات المستحقة للزكاة من خلال المساهمة بنصيبها في الزكاة أو انشاء مشروعات صغيرة وتمليكها لهم، مشيرة الى ان أموال الزكاة يجب ان تنفق على مستحقيها لكن عندما تزيد على حاجة المستحقين يمكن ان تدفع لغيرهم من ذوي الحاجات، ونضرب مثالا برسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أعطى للرجل فأساً صغيراً وقال له اذهب واحتطب، فأصبح غير محتاج فقد ملكه أدوات الانتاج، أيضا عندما كان يوزع الصدقات من الأنعام كان الفقير يأخذ ناقة مثلا يستفيد بلبنها في عمل

منتجات الألبان ومن وبرها في عمل الفرش والأغطية ويستفيد بها في تنقلاته بالاضافة الى انها تتوالد فهي استثمار طويل الأجل. وخلصت الدكتورة سوسن الى توضيح بعض المجالات الحديثة التي يمكن ان تسهم فيها الزكاة بدور كبير وأساسي، فيمكن بأموال الزكاة اقامة فنادق بسيطة على مشارف المدن لاستضافة أبناء السبيل واعطائهم ما يعينهم على الانتقال، والتكفل باللاجئين السياسيين ويمكن من سهم المؤلفة قلوبهم التعريف بالاسلام والرد على الشبهات التي تثار ضده، ومن سهم في سبيل الله شراء السلاح لتقوية الجيش وتدريبه ومساعدة الدول الاسلامية التي تجاهد الأعداء، مشيرة الى ان اقامة مشروعات من أموال الزكاة تدعم الاقتصاد القومي وترفع مستوى المعيشة والتعليم وتزيد المدخرات وتطالب بسن تشريعات لمعاقبة الممتنعين عن أداء الزكاة(1).

لقد شهدت السنوات الأخيرة صحوة فى مجال الاقتصاد الإسلامي وأظهر التنقيب فى التراث عن تفوق المبادئ والأسس الاقتصادية الإسلامية على ما يقابلها فى النظم الاقتصادية الوضعية سواء أكانت شريقية أو غربية وذلك من الناحية الفكرية والتطبيقية، بل ويرى فريق من علماء الاقتصاد الوضعي بأن النظام الاقتصادي الإسلامي هو النظام الوحيد الذى يصلح لعلاج المشكلات الاقتصادية التى تعاني منها البشرية إذا ما طبقت أحكامه ومبادئه تطبيقاً حقيقياً وشاملاً، فالمستقبل للاقتصاد الإسلامي. ولقد وضع علماء وفقهاء الاقتصاد الإسلامي مجموعة من المعايير اللازمة لضبط الجوابن التطبيقية والمستنبطة من فقه المعاملات من أهمها المعايير الإيمانية

(1) دراسة للدكتورة سوسن سالم الشيخ الاستاذ بكلية التجارة جامعة الأزهر بعنوان «التنظيم الاداري لمؤسسة الزكاة»، (1423هـ – 2003م)، منشور مختصرها في صحيفة الشرق الأوسط/آفاق إسلامية/العدد 8855/ يوم الثلاثاء 25 ذو الحجة 1423 هـ 25 فبراير 2003. منشورة على موقع الصحيفة (http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=17&article=154782&issueno=8855).

والمعايير الأخلاقية والمعايير الشرعية والمعايير الاقتصادية .. وغيرها، والتى تمثل جميعا الإطار العام للدستور الاقتصادي الإسلامي(1).

كما أثبتت دراسة معمقة أخرى إمكانية تطبيق نظام الوقف الإسلامي بشكل عصري وبتطبيقات رائعة تعين على إحداث تغيير جوهري في نظم الاقتصاد الإسلامي المعاصرة(2).

دعونا هنا نعمل مقاربة سريعة بشكل نقاط لأسباب الأزمة المالية الربوية وعلاجاتها الإسلامية(3):

1. سعر الفائدة الذي يبنى عليه أصل النظام المالي في العالم الغربي وفي التمويل الغربي له آلية معينة، فحينما يكون هناك كساد يسعون لخفضه لتخفيف العبء على المستثمرين وحينما يريدون جمع مدخرات في حالة الرواج يرفعون سعره ليزيدونه. بينما نحن في الاقتصاد الإسلامي يعني لنا توجه آخر يعني نحن ننطلق من مسألة أن الفائدة هي الربا وأن الربا محرم وفي أي حالة من الحالات نحن لا نتعامل ب الفائدة، فهي الحقيقة أن هناك يعني آلية معينة يتحكمون بها في سعر الفائدة فينخفض في مثل هذه الأوقات ويرتفع، أما توجههم بعد ذلك إلى الاعتقاد بأن سعر الفائدة يكون صفراً فهذه مسألة طرقها بعض الاقتصاديين من قبل مثل كينزمان، فقد رأى أن استخدام الأموال بأقل حد من سعر الفائدة حتى يصل للصفر هو أفضل استخدام للموارد المتاحة، زجاء بعده موريس آليه وآخرون . إن معظم الأزمات المالية أو الأزمات الاقتصادية دورية تحدث نتيجة إفراط البنوك في منح الائتمان للمشروعات

---

(1) الاقتصاد الإسلامي بين الفكر والتطبيق، حسين حسين شحاته، سلسلة الفكر الاقتصادي الإسلامي، دار النشر للجامعات، ط/1، 1429هـ - 2008م.

(2) دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، أحمد عبد العظيم الجمل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ط/1.

(3) مقتطفات من برنامج الشريعة والحياة، قناة الجزيرة الفضائية، عنوان الحلقة (البديل الإسلامي للأزمة المالية)، مقدم الحلقة: عثمان عثمان، ضيفا الحلقة : عبد الرحمن يسري / أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الإسكندرية، ومنذر قحف/ خبير في التمويل الإسلامي، تاريخ الحلقة: 2008/11/2م.

وتبقى دورة الرواج في البداية ، حيث تجعل المشروعات تقترض من البنوك وهي مطمئنة إلى أنها تستطيع السداد ثم تأتي بعد ذلك مرحلة أخرى قد لا تستطيع فيها المشروعات المقترضة أن تسدد الفوائد وتبدأ مرحلة أخرى في الانقلاب نحو الكساد، هذه دورة عادية وقد تطرق إليها اقتصاديون غربيون في نظرية مثلا قديمة نظرية هوتري منذ فترة طويلة. هذه النظرية تقول أن سبب الأزمة يكون دورياً، ففي حالة أزمة 1929 –1933م وهي كانت أول أزمة تصيب الاقتصاد الرأسمالي لأنهم لم يكونوا متوقعين أزمة من هذا النوع، إنما وضعت سياسات في ذلك الوقت أنه حينما تحدث أزمة من هذا النوع تتجه الحكومة إلى الإنفاق العام فتعوض النقص في الإنفاق الخاص. لكن الوضع الحالي قد يكون أشد بالنسبة للبلد التي بدأ منها الكساد وهي الولايات المتحدة الأميركية لأن الاقتصاد الأميركي كان يعاني من أشياء أخرى مثل حرب العراق وحروب أخرى. وفي بعض الدول هناك توجهات إلى تخفيض سعر الفائدة وفي حالة مثل اليابان وصلت إلى ما يقرب من الصفر ، وهذا يدل على أن الدول بدأت تعترف لحقيقة خطورة الربا ولو بشكل مبطن.

لعل البعض يقول أن مفهوم الربا ربما اختلف بشكل أو بآخر عما كان في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، وأنه في ذلك الوقت كان الإنسان محتاجاً إلى المال ومن ثم يقترض مالاً بفلئدة معينة أو بربا، أما الآن من يقترض من البنوك يقترض ليستثمر هذا المال وبالتالي اختلف شكل الفائدة بشكل أو بآخر . والحقيقة إن الربا هو زيادة في دين وهذه الزيادة ليست لها حقيقة، لم تنشأ عن قيمة مضافة، هذا يتعلق بالاستثمار أكثر مما يتعلق بالمستهلك الذي يريد أ ن يأكل لأنه جائع لأن ذاك لا ينتج قيمة مضافة على كل حال، فعدم إنتاج القيمة المضافة هي من طبيعة الدين فإذا استثمرنا استثمارا حقيقيا نتوزع القيمة المضافة أما إذا لم نستثمر استثمارا حقيقيا فقد قمنا فقط بالإدانة أو الإقراض، وهذا الإقراض لا ينتج قيمة مضافة وبالت الي ليس هو بنفسه ليس عملية

استثمارية لأنه لا يؤدي إلى زيادة في الإنتاج لا السلع ولا الخدمات إذاً أين تأتي حصة المقرض الذي سيفرض نسبة معينة من رأس ماله أو مقدارا معينا؟ لا يمكن أن تأتي إلا من أموال الآخرين، ليس لها مصدر آخر . كما أن الخطاب القرآني وضح الفرق بين الربا والبيع في كل حال في قوله تعالى : (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة:275).

2. إن أحد مبادئ النظام الرأسمالي يعتمد مبدأ النقد يولد النقد، وهذا المبدأ تخلخل في ظل الأزمة المالية التي عصفت بالعالم في نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وسيتخلخل عند كل أزمة تحدث للمجتمع الرأسمالي لأنه معروف في العالم جميعاً وفي أي كلية ومعهد لتعليم نظم الاقتصاد والمحاسبة والنقود والبنوك money and banking أن أساس إدارة النقود في المجتمع وإدارة الاقتصاد هو سعر الفائدة، وهذا أول ما يدرس لهم وأن النقود لها قيمة على مدى الزمن وأن هذه القيمة تؤخذ في شكل صورة الفائدة. فحينما نأتي بعد ذلك إلى هذا الموقف أو إلى ما يماثله لنكتشف أنهم لا يعتمدون على شيء يعول عليه، لأن الفوائد لم تحل إلا في أواخر العصور الوسطى ولم تقر قانونا في الدول الغربية كلها إلا في القرن الخامس عشر والسادس عشر تقريبا، وحتى حينما أقرت لم تقر الربا. فالربا عندهم هو الفائدة الفاحشة، وبالتالي الفائدة إذا كانت في حدود 4% فهي ليست ربا إنما ما يزيد عن ذلك فهو ربا.

في حالة الاقتصاد الإسلامي فإ ن ما كان كثيره حرام فقليله حرام وأنه يحرم على الإنسان أن يتعامل بالديون الربوية ويفضل ترك الدين بالكلية . والحقيقة فإن كلمة ربا وكلمة فائدة كانت موجودة من قديم الزمان، فحينما سئل أرسطو

هل الفائدة مثل الربا؟ يعني الكلمتان كانتا موجودتين في القاموس اللاتيني والقاموس الإغريقي القديم والربا كان مبلغا يقتطعه الدائن من أصل الدين قبل أن يعطيه، أما الفائدة فكانت تعويضا يعطيه المدين للدائن حينما يسدد . فحينما سألوه قال مثلها لأن النقود عقيمة لا تلد، بمعنى النقود في حد ذاتها لا تلد شيئا لا بد أن يكون معها مجهود إنتاجي.

3. سبب آخر ل لأزمة المالية ه و التجاوزات التي وقعت في الرهن العقاري ومضاعفات هذه التجاوزات . فنحن ينبغي أن نميز بين الرهن العقاري أو تمويل العقارات من جهة وبين التجاوزات التي حصلت في المرحلة الأخيرة من سنة 2002م إلى 2007م، التمييز ضروري جداً لأن الرهن العقاري، تمويل العقارات يمكن أن يتم بطريقة إما المرابحة، البيع بثمن آجل أو بثمن مقسط أو بالإجارة وهذا البيع يمكن أن يؤكد برهن عقاري لأنه لا بد من ضمان تمويل الممول، لا تسطيع أن تطالب إنسانًا أن يمول آخر دون أن يضمن لحقوقه التي مع المدين. لكن الذي حصل في أميركا حصلت تجاوزات متعددة ثم تراكمات هي التي أدت إلى الأزمة، التجاوزات : أولاً إعطاء تمويلات عقارية أكثر بكثير مما يستطيع أن يفي به المستهلك المشتري .. ثانياً الاعتماد على أن الأسعار تتزايد وكانت تتزايد فعلا لكن هذا التزايد لا يمكن أن يستمر، فالاعتماد على أن الأسعار تتزايد فكانوا يزيدون دائما في مقدار التمويل العقاري، ولو لاحظنا أن هذا التمويل قائم على الفائدة ويخلق ديوناً.. الشيء الثالث أيضاً أن هذه الديون كانت تعطى أو هذه القروض للتمويل العقاري كانت تعطى بتسهيلات ببعض الأحيان مغرية وتفوق قدرة الناس المستهلكين، مغرية بمعنى أن لا تدفع أية أقساط خلال السنة الأولى أو تدفع فقط الفائدة خلال فترة سنتين أو ثلاث أو تأخذها بفائدة قليلة جدا ثم بعد ثلاث سنوات هذه الفائدة ستتزايد وترتفع بحيث لا يستطيع أن يدفعها بعد ذلك، فالمراهنة على أن السعر سيزداد كانت قائمة بصورة مستمرة . الأمر الثاني،

الوسطاء الماليون الذين يقدمون الديون العقارية، تمويل العقارات على أساس الفائدة كانوا يعتمدون على أن هذه الديون ستنتقل فورا مجرد إعطائها إلى تجار الجملة أو شركات التمويل بنصف الجملة مثل فانيميه وفريدي ماك هذا الانتقال المباشر جعلهم يتساهلون ولا يتحملون أعباءها، هم يأخذون عمولتهم ويمضون فلا يتحملون أعباء هذه القروض بعد أن يعطوها، الذي يتحملها هو الشركات الكبرى هذه أو المتوسطة الحجم اللي تتحمل هذه الديون . ثم توريق هذه الديون بمعنى أن نحول هذه الديون إلى مجموعات من الأموال المالية المحضة ثم نبيع هذه المجموعات في الأسواق للبنوك وللمستثمرين وللناس في السوق المالية كسندات قرض أو ما يشبه ذلك مجموعات من سندات . فهذه الديون تراكمت لهذه الأسباب ، وهذا التراكم راكم من عجز البعض من المالكين والمستخدمين. ولم تكن تلك النسبة كبيرة، فللحقيقة أن مليونين من بين ستين مليوناً من مالكي العقارات في أميركا، وهذه ليست نسبة هائلة، لما وقع هؤلاء أثرت تأثير فعل ما يشبه أحجار الدومينو فانتقلت من دائن إلى آخر، فهذه التجاوزات أدت إلى الأزمة.

البديل الإسلامي في التطبيق المصرفي الإسلامي الحديث وهو الإجارة المنتهية بالتمليك، أي هو عقد إجارة يأخذ بموجبه المتعاقد مع البنك يعني يستلم الوحدة السكنية ويدفع قسط إيجار بالإضافة إلى ربح البنك وعادة ما يحسب هذا القسط على أساس جزء من ثمن المسكن بحيث أنه بعد فترة من السنوات يصبح هذا المسكن ملكه تقريباً بعد أن القيمة بالكامل وخلال تلك الفترة يمكن للشخص المستفيد الاستمتاع بالبقاء بالمنزل بضمان استمرار التسديد . ومشكلة المديونية التي تحدث في البنوك الربوية نتيجة أن الفوائد على هذه الديون ترتفع ثم تباع هذه الديون إلى مستثمرين في أوراق تجارية ثم هؤلاء يعطونها لشركات تأمين ليأخذوا حقها فتتراكم الفوائد ويتحملها المستثمر الأساسي، لا تحدث في البنوك الإسلامية لأن البنك الإسلامي لا يحدث هذا. وهناك مسألة أخرى أن المستأجر

بهذه الطريقة في البنك الإسلامي المسماة بالإجارة المنتهية بالتمليك، إذا عجز عن الإيجار تعطيه الشريعة الحق في أن يؤجر المسكن من الباطن، يعني لا ينزع منه المسكن، بل يستطيع أن يكون هناك عقد إيجار يؤجره لشخص يدفع عنه إلى أن يستطيع هو أن يصل إلى المرحلة النهائية في التملك. لكن في الحقيقة أن هناك مآخذ على الإجارة المنتهية بالتمليك مآخذ شرعية إنما كل ما نرجوه أنه هو تطور هذه العقود مستقبلا بما يزيح عنها أية مثالب وعيوب.

4. كذلك هناك سبب آخر حدث في أزمة الرهن العقاري وهو أن العقار نفسه كان يتم رهنه لمصدرين أو ثلاثة مصادر ومن ثم تتم مضاعفة الأموال وبالتالي يعجز عن سداد أي شيء من هذا . والحقيقة أن أغلب الناس كانوا يشترون هذه المساكن على أمل الاستثمار أيضا لأنه لو كان هناك ارتفاع في أثمان هذه المساكن في السوق حتى لو عجز في الوسط ممكن أن يصفي حسابه مع بيت الرهونات هذا وحتى يمكن يأخذ عليه ربحا بسيطا، إنما في حالة تأزم الأمور وبقاء أسعار المساكن ثابتة أو في هبوط، فالذي يحصل هو أن الشخص من البداية يعلم أن أسعار الفائدة المفروضة عليه من البنك قد تتغير مع تغير الفائدة في البنك المركزي، ثم إن البنك يريد تحصيل أمواله ولا يبقى دائنا لهذا الشخص بالذات أو هذه المؤسسات فيبيعها في شكل أوراق تجارية، والبيع في أوراق تجارية يستجلب فوائد لهؤلاء المشترين ثم هؤلاء يضعونها في يد شركات التأمين، تتراكم الفوائد مرة بعد مرة، هذا عبارة عن بيع ديون وبيع الديون غير مسموح به في الإسلام إلا في حالات خاصة جدا كما بين الفقهاء . لكن لما تحدث المسألة على مستوى تنظيمي كلي وتصبح عملية بيع الديون هذه عملية ممارسة في المجتمع فتتراكم الديون وتتراكم عليها الفوائد، هنا هذه هي المشكلة الحقيقة . كما أن بيع الديون يمكن أن يتم عن طريق الحوالة بقيمتها الاسمية، أي لو أن إنساناً مدين لآخر بدين يستحق بعد ثلاثة أشهر وهذا الدين مقداره ألف يمكن للدائن أن يحول هذا الدين إلى شخص

آخر لمصلحة ما عنده بنفس مقدار ألف وليس بغير الألف، بغير الألف لا يجوز، هذا اسمه حوالة الدين. كذلك فهناك بيع آخر للديون، وهو دائماً ما يثير لبساً في بعض الأذهان، هناك شيء اسمه بيع الديون شريطة أن لا يؤدي إلى الربا وهي الدين المستحقة، الديون التي استحقت ولم تدفع، لسبب من الأسباب المدين لم يدفعها سواء بعجز أو بغير عجز، هذه الديون يمكن بيعها لشخص آخر وهذا البيع معناه حقيقة هو التحصيل، كأنه رسم تحصيل، فيمكن عند ذلك بيعها بغير قيمتها الاسمية لأنها ديون تتجنب الربا لأنها مستحقة، ليست ديونا آجلة والربا هو عامله عامل زمن فليس فيها ربا.

5. سبب آخر من أسباب وجوانب الأزمة المالية هو ما يعرف بالمشتقات المالية والمضاربات في النظام الرأسمالي . وهذه المشتقات هي أحد أبرز صور الأزمة المالية العالمية، بل إنها تكاد تكون الأبرز . فللأزمة المالية تستند إلى أمرين، المشتقات والتوريق، المعروف بالـــ (securitization) بشكل خاص للديون العقارية. والمشتقات منها ما ارتبط بالديون العقارية ومنها ما لم يرتبط بالديون العقارية، الذي ارتبط بالديون العقارية هو التأمين على الديون العقارية ثم عقود مبادلة الديون العقارية ثم مبادلة هذه العقود نفسها عقود التأمين على الديون العقارية وعقود مبادلة الديون العقارية وغيرها، فتراكمت تراكمات عديدة صارت هي نفسها تتبادل في الأسواق دون النظر إلى أصول هذه الديون. النوع الثاني من المشتقات الذي يعرف بها يؤدي إلى مجموع صفري، أي أن مجموع المعاملة فيها يكون صفراً ، بمعنى واحد يربح و الآخر يخسر، فلا توجد قيمة مضافة في المجتمع ولم ينتج شيء جديد، فمن أين يأتي الربح؟ سيأتي من خسارة الآخر، ليس له أي مصدر آخر . وهذه المعاملات، المضاربات في أسواق المستقبليات، البيوع العقود التي لا حقيقة لها، مثل عقود المؤشرات، مثل عقود الفروق مثل أيضا عقود الاختيارات الـــ options التبايع بها الكثير وفي الحقيقة هو فقط مضاربة على السعر ليس إلا، ينتهي

بخاسر وكاسب دون زيادة إنتاج في المجتمع من أي نوع، بل حتى إنتاج خدمي لا يوجد ؟ وبالتالي هذه الأمور ضخمت المعاملات المالية كثيرا إلى أضعاف متعددة، أضعاف مضاعفة للتمويل، للإنتاج الحقيقي بحيث نصل إلى مسألة الهرم المقلوب الذي تحدث عنها موريس آليه وغيره من الاقتصاديين ، ومعناه أن حجم الإنتاج الفعلي للسلع والخدمات بمقدار ما، وحجم التمويل بطبقاته العديدة من التمويل البحت ينفصل عن الواقع الحقيقي للإنتاج والتداول للسلع والخدمات، وهذا التمويل يصبح بطبقات متعددة بسبب التراكمات وبسبب التوريق وبسبب المعاملات التي لا حقيقة لها، فالمعاملات التي تنتج مجموعا صفريا لأن فيها خا سر وكاسب فقط فكل هذه خلقت طبقات متعددة كل منها أكبر من التي تحتها فشكلنا هرما مقلوبا بالنسبة للاقتصاد بكامه وهذا الهرم يجعله سريع التأثر جدا، وهذه الطبقات خاصة الطبقات العليا التي تبتعد عن الاقتصاد الحقيقي الإنتاجي والخدمي تكاد تكون نوعا من الهباء المنثور.

6. في العالم الرأسمالي هناك ما يسمى بالسوق الحر لأن المعاملات النقدية أي النقود مقابل النقود دون أن يكون هناك إنتاج حقيقي قد فاقت كل تصور . ففي بعض الإحصائيات المنشورة تحت اسم (speculative money) والنقود المضاربة أو (hot money) فإن ما يتداوله العالم كله نحو 530 ترليون دولار في العالم ، تتراوح بين تجارة حقيقية وتجارة نقدية محضة ، لكن فقط 5% من هذا المقدار هو الذي يمكن اعتباره أشياء حقيقية، وبقية الـــ 95% معاملات نقدية محضة . وهذا ما جعل الكثير من العلماء والمحللين في العالم الغربي قبل الأزمة بسنة أو سنتين يكتبون مقالات كثيرة شبهوا ما نعيش فيه من اقتصاد كحال نادي قمار عالمي ضخم في لاس فيغاس (big Las Vegas club)، فالناس تتعامل في نقود مقابل النقود ولكن هل ليس هناك أية قيمة مضافة أو إنتاج حقيقي، وهذا خلاف المضاربة الشرعية الإسلامية.

فللمضاربة الشرعية، مشتقة من الضرب في الأرض وهو السير في الأرض أو السفر في الأرض وهو صفة التجار في القديم كما قال تعالى: (...عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ...) (المزمل: من الآية 20). فالمضاربة الشرعية تتضمن أن ه ناك طرفين في البداية وهو العقد التقليدي للمضاربة، فهناك طرفان طرف منهما يملك رأس المال ويسمى رب المال وطرف آخر هو المضارب أو العامل كمان يأخذ هذا المال منه على سبيل الأمانة ويستثمرها، هذا هو عقد المضاربة. يتفق هذان الطرفان على نسبة شائعة من الربح المحقق كأن تكون خمسين بالمئة لكليهما أو أربعين بالمئة لطرف وستين بالمئة للطرف الآخر، وهكذا، حسب الاتفاق. ولا يأخذ المضارب أي أجر أو أي شيء سوى المشاركة في الربح، فالمضاربة هنا كما يقول الفقهاء هي شركة في الربح تشترك فيها في الربح والخسارة على حد سواء، لكن على العموم التطبيقات الحديثة لتلك المضاربات اختلفت واتسعت. أما في حال حدوث خسارة وهي احتمالات ضعيفة جداً فإن البنك يستثمر أمواله في العديد من المشروعات ولو خسر أحد هذه المشروعات مشروعات أخرى تربح إلا إذا عمت الخسارة في الكل . ولكن عقد المضاربة في الواقع إلى الآن لم يفعل من جانب أن المصرف الإسلامي أو البنك الإسلامي يعطي ماله لطرف آخر يستثمره عن طريق المضاربة لأنه ما زالت البنوك الإسلامية حذرة من جهة استخدام الأموال عن طريق هذا العقد إنما هي تستثمره مباشرة بطرق كثيرة. وعقد المضاربة طور لأن عقد المضاربة في البداية كان عقدا بين طرفين، أصبح البنك بصفته وسيطا فأصبح هناك مئات بل آلاف من الناس يضعون أموالهم على سبيل الأمانة لكي يستثمرها البنك الإسلامي، كل هذه الحسابات التي تفتح في البنك الإسلامي على أنها حسابات استثمار أو حسابات تسمى بأسماء أخرى هذه تفتح على أساس عقد المضاربة

فعقد المضاربة يعني نحن نأتمن البنك على هذه الأموال يستثمرها لنا وبمقابل نسبة شائعة مما يتحقق من ربح للبنك.

7. النظام الرأسمالي نظام يجدد نفسه بطريقة تلقائية لأنه نظام عملي يعني، لأن أول من تكلم عنه هو سميث واعتقد أنه يسير نفسه بذاته وأن الحكومة يجب أن لا يكون لها دور إلا في الأمن الداخلي والخارجي بل واعتقد أن عمل الحكومة غير ذلك غير واجب لكن لما بدأت الأزمة الرأسمالية في 1929، 1933م، واعتقد العالم الإشتراكي حينذاك أن النظام الرأسمالي سينهار جاء كينز بنظريته وأوجد تدخل الحكومة، لما انتعش النظام الرأسمالي في الستينات ثم السبعينات جاءت مارغريت تاتشر في بريطانيا وطالبت بإعادة ما كان قد أمم إلى القطاع الخاص . وعندما نتحدث عن تدخل الحكومات في الأزمة ، ففي النظام الإسلامي الحكومة لها دور في رعاية مصالح الناس وهذه نقطة مهمة، بالنسبة للنظام الإسلامي التمويلي أنا أعتقد أن المصارف الإسلامية فعلا تقدم بديلا ولكن تجربتها ما زالت في بدايتها، لا ننسى أن هناك عوائق كثيرة في المناخ الذي يسمح لهذه البنوك أن تنطلق في معظم الدول الإسلامية يعني فقط المنطقة الخليجية فقط هي التي فيها تجربة أكثر نضجا من المناطق الأخرى ومع ذلك البنوك الإ سلامية يعني تستحوذ على نحو 15% فقط إلى 20% والباقي للبنوك الأخرى إنما في بعض البلدان الإسلامية ما زالت إلى الآن لا تقر بها أو لا تسمح لها، فهنا لدينا مشكلة إنما هي الآن نظام ناجح وفي إطار ما يسمح لها بالمناخ العالمي إنما هي التجربة في بدايتها . فالحقيقة لا يطعن بأساس النظام الرأسمالي لأنه حقيقة الأمر أن النظام الرأسمالي لم يكن يعني في وقت من الأوقات نظاما مثاليا من حيث عدم تدخل الدولة بمعنى أن الدولة كانت تتدخل في كل مراحله ولم يحصل في وقت من الأوقات بل إن الوقت الذي سبب الأزمة هو أكثر الأوقات تبنيا لمبدأ دعه يدخل ودعه يعمل ما يشاء. قبل ذلك في الثلاثينات في الأربعينات في الخمسينات بعد الحرب العالمية

الثانية إلى التسعينات تدخل الدولة وخاصة في القطاع المصرفي والمالي كان كبيرا جدا وما زال كبيرا . وقد صدرت عدة قوانين بما يسمونه تحرير المعاملات المالية والمصرفية أدخلت تساهلا كثيرا في الأسواق المالية وحقيقة أيضا أتاحت الفرصة لاجتهادات من القانونيين والماليين كثيرة خلقوا فيها هذه العقود الوهمية التي صار يضارب الناس بها ليس بمعنى لمضاربة الشرعية بل بمعنى المضاربة على تغيرات الأسعار فقط أي (speculation)، فهذا الذي حصل نتيجة تفريط الدولة، الآن الدولة تعود لتمسك الزمام كما كانت في الستينات أو السبعينات ولن يكون أكثر من ذلك بالنتيجة.

8. في الآونة الأخيرة أخذ البعض يتحدث وبقوة وبعنفوان عن بداية سقوط النظام والفكر الاقتصادي الرأسمالي ، فهل يمكننا تطبيق النظام التمويلي الإسلامي ويؤدي إلى نتائج أقل متاعبا؟ فالجواب: نعم وبكل تأكيد، لأن المتاعب في هذه الأزمة بشكل خاص تأتي من إباحة الفائدة، وتأتي من إباحة بيع الديون وبيع الديون يقوم على الفائدة، تأتي من إباحة العقود الوهمية، تأتي من إباحة العقود اللي فيها تساهلا كثيرا بحيث تصل إلى فقط مضاربة على الأسعار بدلا من أن تكون عقود تداول حقيقي. وكل هذا الشريعة تقف ضده. هناك عامل آخر أيضا بالنظام المالي الإسلامي هو العامل الأخلاقي الذي يأتي من جهتين، الجهة الأولى أن هناك بعض ما يسمونه بالسلع، هي في الحقيقة ليست طيبات، أشياء ضارة ويتداولها الناس ولو سمح بها القانون ومن الخطأ أن يسمح بها القانون مثل الخمور مثلا مثل أي سلعة ضارة، السجائر مثلها أيضا، فحتى لو سمح لها القانون وينبغي أن لا يسمح فتمويل هذه السلعة يؤدي إلى نتيجة سلبية وليست إيجابية في حياة الناس، إذاً أيضا الجانب الأخلاقي في عدم تمويل سلع لا تخدم مصلحة الإنسان أو تضر به، الإنسان والبيئة معا . النقطة الثانية في الأخلاق هي في العقود نفسها أنه ينبغي أن تكون العقود منضبطة بحيث تراعي المبادئ الأخلاقية، انضباط العقود هذا شيء مهم الشريعة نفسها تحدد معالمه ، وليس

متروكا لرغبات الناس فقط فعندما نحدد معالم الأمر من خلال القانون يؤدي ذلك إلى منع نشوء معاملات ليست فيها مراعاة للمبادئ الأخلاقية بطبيعة النظام. فالنظام التمويلي الإسلامي يقدم بديلا قابلا للحياة وقابلا للنجاح بل أن تجربته الصغيرة في البنوك الإسلامية والمؤسسات التمويلية الإسلامية بينت هذا النجاح، قابل للنجاح وقابل للحياة وهو يشكل بديل حقيقي هو ليس إلغاء لفكرة الملكية الفردية والحرية بل هو إثبات وتأكيد لها، هو إلغاء للتجاوزات فلذلك نحن في هذا نلتقي مع المبدأ العام للنظام الرأسمالي الذي هو الملكية الفردية وحرية الأشخاص.

9. البنوك الإسلامية قد توجه لها انتقادات كبيرة وحادة باعتبار أن المرابحة فيها أكثر بكثير مما في البنوك والمصارف التقليدية الربوية . لكن في الحقيقة العقد هو الحكم . فالعقد بين طرفين كأن يشتري أحدهما سلعة ويضع لنفسه ربحا فوق هذه السلعة لكي يتم الحد من أثر الثمن الآجل، فهناك فرق بين هذا وبين وضع دين على أحد الطرفين ويفرض عليه زيادة وهي الفائدة، قد يتساويان في النهاية أو شكلا ولكن الحقيقة أن هذا عقد شرعي وهذا الآخر عقد غير شرعي، وهذه النقطة يجب أن نفطن إليها. فالمضمون الشرعي هو قوله تعالى: : {..أحل الله البيع وحرم الربا..} [البقرة: 275]، وهناك ممارسات كانت خطأ في المرابحة، فمثلاً المحكمة الشرعية في باكستان استمعت إلى شهود ما يزيد عن مائتي شاهد وأصدرت كتيبا وحكمت في النهاية أن المرابحة كما تمارسها البنوك الإسلامية تتساوى مع الفائدة لأنه كان الشخص يأتي إلى البنك يقول مثلا أنا أريد أن أشتري كذ ا، يقول له إذاً دعنا نطلع على فواتيرك ويعطونه النقود وعليك زيادة هي كذا، هذا يأخذ، يعني يدينه بنقود ويأخذ منه نقودا، إنما في الممارسات الأخرى لم تكن بهذا الشكل ونحن نريد من البنوك الإسلامية أن تكون الطرق الأخرى للاستثمار يعني تأخذ محلها محل المرابحة التي أخذت أكثر من اللازم . والحقيقة أن المرابحة بطبيعتها تخلق قيمة مضافة لأنها بيع

والبيع الآجل يخلق قيمة مضافة، وهذا أمر معروف في الاقتصاد أنك لو أضفت سلعة إلى ما تملك من أشياء ستستعد أن تدفع ثمنا أكثر لو كان هذا الثمن آجلا، وقد عرف هذا الأمر فقهاؤنا القدماء عندما قالوا : (إن للزمن نصيبا من الثمن)، فالمسألة إذاً المرابحة بيع ويخلق قيمة مضافة، ولا مشكلة في هذا. النقطة الثانية أن رأي المحكمة الشرعية في باكستان كان يتعلق بممارسات عملتها البنوك في باكستان وليست ما تفعله البنوك في كل البقاع الأخرى، المرابحة في البقاع الأخرى كلها لا تقم شكلية، هي مرابحة حقيقية سلعة تشترى وتباع آجلا وليس في باكستان.

10. لعل تأثر البنوك والمصارف الإسلامية بالأزمة المالية العالمية ربما كان تأثرا قليلا ولكن لو أردنا أن نخلص إلى استفادة من هذه الأزمة، نقول: هو أقل لأنها لم تشتر ديونا، لم تقم بتج ارة الديون وهذا أهم ما جعلها في معزل يعني محصنة. والدروس التي نأخذها أن نقتنع في البنوك الإسلامية بأنه ينبغي أن لا نقوم بأية معاملة لا تنتج قيمة مضافة حقيقية، فمثلا معاملات التورق، التورق غير التوريق، التورق هي معاملة وهمية ربا مال حال بمال آجل يقوم على الشراء من الأسواق العالمية، الأسواق السلعية العالمية وهي لا تخلق، والسلعة الواحدة في السوق العالمية يمكن أن تقوم عليها عاملات عديدة، أن نبتعد عن التورق وأن نبتعد أيضا عن بيع الديون الذي تمارسه بعض البنوك في جنوب شرق آسيا.

لكن ما الحل مع أناس لا تهمهم إلا منفعتهم الشخصية وهم يذهبون لحد إفناء البشرية بكاملها لو قفت بطريقهم، ما الحل ونحن أمام ذلك الغول المرعب، مخنوقون ومكبلون بهذا الاخطبوط الفتاك؟!.

الحل ببساطة يقوم على أسس:

1. الاعتراف بأننا يجب أن نخرج من هذه الدوامة المميتة لنا ولأمتنا والجالبة لغضب ربنا بما يعني أننا للدنيا والآخرة معاً . الحل بإعلان التوبة إلى الله تعالى ملك الملوك المتصرف والمتحكم بكل قوى الكون وهو من يتكفل بهؤلاء وأمثالهم وينزل عليهم ما يستحقون من دمار : (..وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (4) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً (5)) [الطلاق: من الآية 4 والآية 5].
2. التخطيط للعمل من أجل وضع نظام اقتصادي إسلامي متكامل يستفيد من أسس وركائز التعليمات القرآنية والنبوية كالتوازن والوسطية في ال مصاريف والاقتصاد في النفقات وترشيد الاستهلاك والتكافل واتباع نظام الحسبة والمراقبة الذاتية وفق منظومة النظام الإداري الشامل في الإسلام[1]، وكذلك تطبيق مرتكزات بيت المال والزكاة والصدقات وتطوير نظام العمل الخيري والتطوعي والوقفي [2] والرقابي [3]وغير ذلك مما ذكر آنفًا[4]. وليبدأ ذلك أولاً

(1) يراجع كتاب (الرقابة الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية)، خولة عيسى صالح، بيت الحكمة، ط/1، 2001م.

(2) تراجع المصادر المتعلقة بنظام الوقف الإسلامي وتاريخه وضوابطه وتطبيقاته العصرية مثل : دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة ، أحمد عبد العظيم الجمل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ط/1.. الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، سليم هاني منصور، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، 2004م.. نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي، تأليف: مجموعة مؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية تاريخ، ط/1، 2003م.. الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، منذر خلف، دار الفكر المعاصر، ط/1، 2004م.

(3) تراجع المصادر المتعلقة بنظام الحسبة في الإسلام تطبيقاته وضوابطه مثل : الحسبة في الحضارة الإسلامية دراسة تاريخية- فقهية في الرقابة على الجودة الشاملة، هاشم يحيى الملاح، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ط/1، 2007م.. نظام الحسبة في الإسلام بين التنظير والتطبيق، موسى راضي نصار، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، مجلدين، 2002م.. معالم القربة في أحكام الحسبة، ضياء الدين محمد بن القرشي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط /1، 2001م.. الحسبة، ابن تيمية، ترجمة وتحقيق: صالح عثمان اللحام، دار ابن حزم، ط /1، 2004م.. الحسبة، عبد الحميد فايد، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط/1.. دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب، وزارة التعليم العالي، ط/1، 1988م.

(4) انظر كتاب (المنهج التنموي البديل في الإقتصاد الإسلامي - دراسة للمفاهيم والأهداف والأولويات وتحليل الأركان والسياسات والمؤسسات)، صالح الصالحي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط /1، 2006م. وكذلك كتاب

بشكل صياغة تبدأ بمؤتمرات ودراسات ومن ثم تصاغ تراكمياً وتطور دورياً حتى تصل لمنهجية متكاملة فكل شيء يبدأ صغيراً حتى يبلغ مداه وفق تخطيط مدروس[1]. وليكن ذلك عبر تضحيات وإن خسرنا بسببه بعض الأرباح هنا أو هناك أو تحملنا جراءه بعض المصاعب كما فعلت دول أخرى منها غير إسلامية وهي اليوم تغزو العالم باقصادها كالصين مثلاً.

3. دعونا نقوم بدراسة تجارب دول أخرى كماليزيا والصين والهند واليابان وغيرها، ونضع تجارب تلك الدول ومؤسساتها تحت المجهر لنلاقح الأفكار ونخرج بصيغ يمكنها أن تجعلنا بمنأى عن غضب الله وسخطه في الدنيا والآخرة ومن ذلك تحكم الغرب بنا اقتصادياً وسياسياً.
4. لا بأس أن تكون البداية بمشاريع بسيطة نجلب بها أموال المستثمرين ضمن الشروط والمواصفات الإسلامية للتعامل المالي الذي تطرقنا لبعض مفاصله آنفاً [2][3]

فيا بني قومي أليس كل تلك الأدلة البحثية من قبل مختصين اقتصاديين، مع أدلة ما حصل من زلزال اقتصادي ومالي عالمي يكفي كي نعيد النظر في الكثير من علاقاتنا وارتباطاتنا وسياساتنا الاقتصادية والمالية؟!

ثم أليس حريٌ بنا بعد هذه الحقائق المفزعة أن تحرك باتجاهين:

(الاقتصاد الإسلامي بين الفكر والتطبيق)، حسين حسين شحاته، سلسلة الفكر الاقتصادي الإسلامي، دار النشر للجامعات، ط/1، 1429هـ - 2008م.

(1) تراجع مصادر الملحق : أ المتعلقة بقوانين النهضة والنجاح والإبداع على التوالي. وكذلك كتاب: تأصيل فقه الأولويات؛ دراسة مقاصدية تحليلية، محمد همام عبد الرحيم ملحم، تقديم: محمد نعيم ياسين، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط/1، 2007م. وكتاب (في فقه الأولويات)، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط /1، 2000م.

(2) كما يراجع كتابنا (الهندسة الصناعية والإدارية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية)، الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم.

(3) تراجع مصادر الملحق : أ المتعلقة بقوانين النهضة والنجاح والإبداع على التوالي.

1. اتجاه يبعدنا عن الارتباط غير المبرر بهذا النظام العولمي الرأسمالي الظالم ويعيد لنا بريق النظام الإسلامي العادل في دولنا بعد أن نجمع قوانا العلمية والاقتصادية تحت مظلة القرآن والسنة ففيها النجاة من غرق الدنيا وخسران الآخرة وفيها كل الخير والفلاح والنجاح.
2. اتجاه يذهب بنا لعواصم العالم لنشرح لهم ما لدينا من حل جذري لمعاناة البشرية بكل أممها كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم وفي هذا نصرة لديننا ونشر لتعاليم قرآننا وسنة حبيبنا بل وفيها الدفاع عن كل قيمنا ووجودان حاضراً ومستقبلاً. فسبحان الله العظيم القائل نحن أصحاب الكتاب العظيم الذي قال فيه ربنا جل وعلا: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (البقرة:276)، ألا نتمكن من توضيح هذا المفهوم للغرب وفق منطق عصري كي يعلموا أن الإسلام لم يأت بشيء إلا وفيه جلب مصلحة ودفع مضرة لبني البشر مسلمهم وكافرهم؟!

فالسؤال المطروح: أين هم اقتصاديونا، واين دورهم في تبيان عظمة الانظام الاقتصادي الإسلامي وروعته وعدله والأمان الذي يوفره، أين الدراسات والتحليلات والندوات التي توجه للغرب كي يعلم عظمة هذا الدين وعظمة النظام الذي جاء به من جميع النواحي: (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك:14).

ألا يحتاج ذلك منا إلى عقد قمة اقتصادية للدول الإسلامية لتتحد كلمتها لتوجيه وفود تخصصية تعمل دورات تعريفية تشرح فيها النظام الاقتصادي الإسلامي للعالم كيتتبناه الدول والمؤسسات الدولية والإقليمية والمحلية في العالم الغربي والشرقي.

هل يا ترى الاقتصاد في الإسلام مجرد تعويض التعامل الربوي بما يعرف بالمرابحات والودائع؟ هل حصر النظام الاقتصادي الإسلامي الرائع بتلك التعريفات والتعاملات البسيطة وترك ذلك الكم الهائل من التراث الاقتصادي الإسلامي في الزكاة والصدقات والتكافل والحسبة والجباية وغيرها الكثير لنركن لنظريات وتطبيقات يثبت

الزمن يوماً بعد يوم فشلها وظلمها الكبير وخسرانها المبين في الدنيا والآخرة، فه تبعية وذل في دنيا وحسرات وظلمات يوم القيامة.

لنبدأ على بركة الله بالحركة على جميع تلك الاتجاهات بعد أن نعلن براءتنا م ن هذا النظام الظالم المجحف المدمر ونعود لنظامنا الإسلامي العادل الكريم الجميل السامي كي نحوز جميعاً برضا ربنا فنفوز في الدارين ونسعد في العالمين.

أليست تلك الدعوة الموجهة لمختصينا ومحللينا الاقتصاديين هي دعوة عصرية لديننا وفق منطق علمي اقتصادي تحليلي رقمي إحصائي؟!

الملحق –جـ –

مثال الدعوة العصرية بالعلم في تحليل المشكلة البيئية العالمية وتبيان عظمة النظام الإسلامي المتوازن في البيئة وعدم الهدر للطاقات والعدالة في توزيع الثروات واستخدام الطاقات النظيفة الصديقة للبيئة والتكافل الاجتماعي وغير ذلك، بل وتقديم النموذج في ذلك

الدعوة العصرية بالعلم في تحليل المشكلة البيئية العالمية وتبيان عظمة النظام الإسلامي المتوازن في البيئة وعدم الهدر للطاقات والعدالة في توزيع الثروات واستخدام الطاقات النظيفة الصديقة للبيئة والتكافل الاجتماعي وغير ذلك، بل وتقديم النموذج في ذلك

لعل مشكلة التلوث البيئي وما نجم عنها من استنفاذ موارد الأرض والاحتباس الحراري والجفاف والمجاعات وتغير المناخ باتت تنذر بعواقب كارثية وفق الدراسات الحديثة الرصينة حتى وصل الأمر بالبعض لاعتبار ما يحصل هو الانقراض السادس الشامل والكبير كما تعارف عليه أهل البيئة وعلوم الحياة والآثار[1].

ولا نريد هنا أن نستعرض تلك البحوث لكن حقيقتها أصبحت شاخصة واضحة لكل ذي لب وما المؤتمرات التي تعقد لغرض الحد من تأثير ذلك ومقرراته مثل مؤتمر كيوتو باليابان وغيره إلا دليل حقيقي على عظم تلك الأزمة التي لا تبتعد كثيراً بالأزمة الاقتصادية العالمية بل إنهما متداخلتان مع بعضهما البعض وقاسمهما المشترك الطمع والجشع وحب الاستئثار والتحكم والسيطرة والاحتكار على مستوى بعض الأفراد القلائل الذين يتحكمون بـــأكثر من 80% من الثروة العالمية وكذلك الحكومات التي تقف وراؤهم من الدول الصناعية السبع بق يادة كبيرهم الذي علمهم السحر الولايات المتحدة الأمريكية.

ملخص تلك الأزمة أن الأرض تستنفذ بشكل سريع وأن تنامي السكان ومتطلبات نمط الحياة الحديثة وعمارتها المعقدة وخدماتها المستلزمة للطاقة جعلت من كنوز الأرض وخيراتها في السطح والجوف غير كافية لتحقيق التنمية بل وإنها مهددة بالنفاذ فضلاً عن أن حرقها بهذه السرعة أدة إلى اختلال دورة المناخ على الأرض بما جعل من نظام مناخها وطقسها يتطرف لحد ارتفاع نسب التصحر وذوبان الجليد والجفاف

---

(1) للتعرف على تفاصيل تلك البحوث وما تم التوصل له يراجع كتابنا (لسنا بمأمن) عن دار الكتب العلمية ببيروت.

والمجاعات من جهة والفيضانات والهيجانات والأعاصير من جهة أخرى وما زيادة هجمات ظواهر الطقس المتطرفة المجنونة كالنينو إلا دليل على هذا[1].

كلمة البيئة بالعربية تعني الوسط أو المحيط، ومعناها بالإنكليزية (Environment) جاءت من اشتقاق الكلمة الإنكليزية (Environ) وتعني يطوق ويحيط ويكتنف وهذا معناه أن المصطلح (بيئة) تعني علمياً كل ما يتعلق بما يحيط الإنسان من أشياء على الأرض، أو ما حوله من أكوان.

يمكن تعريف البيئة كمصطلح بأنها هي الوسط، يعني فعندما تقول أنا أعيش في وسط كذا، فأنت تعرف أو تهيئ لمفهوم البيئة. بعض العلماء يقولون: أن البيئة هي طبقات. يعني مثلا تقول: أنا أعيش في وسط صحراوي ، فهي في بيئة صحراوية. أنا أعيش في وسط بحري، بمعنى أنه أنت على ساحل البحر . البيئة البحرية وما فيها من مخلوقات وكنوز وكذا، هذه كلها تعرف لك موضوع البيئة، وتبين لك البيئة المباشرة. وبكلام مختصر كل ما يحيط بك فهو بيئة، وبالتالي هي طبقات فعلاً، يعني أنت تعيش في بيئة كذا، لكن كل هذه البيئة الصحراوية وبيئة الجبل وبيئة البحر ، هي ضمن بيئة الأرض، وبيئة الأرض هي ضمن بيئة المجموعة الشمسية، وبيئة المجموعة الشمسية هي ضمن بيئة الأكبر وهكذا. وبعض العلماء يقول: هي كل كون بيئة، ولكن بطبقات ودرجات.

وكل طبقة من تلك الطبقات لها خصوصيتها، فبيئة الأرض هي تخصنا، باعتبارها أن الأرض هي السفينة التي نعيش عليها، والتي هذه الحركات العظيمة التي فيها، والتي نعيش عليها بدون أن نحس بها لعظمة هذا الخالق الكبير العظيم، وهو الله سبحانه وتعالى، وهناك أنماط من البيئة وأنواع من البيئة متداخلة بعضها مع بعض الآخر، ومؤثرة بعضها مع البعض الآخر . فبيئتنا التي نعيش بها التي هي البيئة الأتموسفير، هو تلك الطبقة الهوائية الجميلة التي تمكننا من العيش بنشاطات كثيرة وبتناغم يتداخل مع بيئة البحر، وبيئة البحر هذه تؤثر مع الجبال.. وهكذا.

---

(1) كل هذه الأمور وتفاصيلها تجدها عزيزي القارئ في كتابنا (لسنا بمأمن) عن دار الكتب العلمية ببيروت.

والبيئة تؤثر على المناخ بل إن المناخ هو جزء من تعريف البيئة الشامل، فأنواع الرياح والأمطار ودورة الأمطار والضغط الجوي وغير ذلك من مفردات علم المناخ يدخل في مفهوم البيئة الشامل، لأنها متداخلة ومترابطة مع الطبوغرافية الأرضية وتوزيع الجبال والبحار ودوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ودوران القمر وفق منظومات معقدة ومرتبة بعضها فوق بعض، وهكذا فالبيئة متداخلة بعضها مع بعض، ولكن كلها ضمن بيئة الأرض، وضمن الغلاف الجوي الذي يحيط بنا، والذي هو ضمن البيئة الأكبر التي هي بيئة المجموعة الشمسية وهكذا.. وكل مؤثر بعضه مع البعض الآخر. الذي يهمنا هو بيئة الإنسان، معيشة الإنسان لأنه عندما نقول قضية علم البيئة ما يخص بالإنسان.

كذلك يدخل ضمن التعريف الإنسان ومحيطه، والمخلوقات التي معه، والجمادات التي معه والظواهر التي معه، والتي بعضها غير مرئي كالأطياف غير المرئية والصوت وغيرها، فالصوت غير مرئي لكن ه مسموع، فبعضها م حسوس وبعضها غير محسوس. فنحن نعيش في وسط أو في بيئة نحس في بعضه ولا نحس بالبعض الآخر، ولكنه مؤثر بنا. وباختصار مصطلح البيئة هو كل ما يحيط بك[1]

وعلاقة الإنسان بالبيئة تتلخص في حقيقة هي : أن الإنسان دائماً وأبداً يسعى إلى استغلال موارد بيئته بطريقة أو بأخرى لإشباع حاجاته الأساسية والثانوية عن طريق الوسائل التكنولوجية. ويترجم هذا الاستغلال في صورة العلاقة المتبادلة وإن كانت الاستفادة للإنسان أكثر بكثير، لذا فقد انشغل العديد من العلماء بهذه القضية والتي أطلقوا عليها قضية "العلاقة الإنسانية– البيئية". وتعددت النظريات التي تحدد أنواع العلاقات المتغايرة:

---

(1) جانب من لقاء مع الدكتور خالد العبيدي في برنامج (شخصية وملف) عرضته قناة بغداد الفضائية في يوم السبت الموافق 16/رجب/1429هـ – 19/يوليو/2008 م تمام الساعة الثامنة مساء بتوقيت مكة المكرمة. عنوان الحلقة هو (البيئة والتلوث) بشكل عام، حقائقه الراهنة ومعالجاته.. موجود على رابط القناة : http://www.baghdadch.tv/shaksea18.htm ، ومعلن عنه في موقع الدكتور على الشبكة العالمية.

❖ نظرية الحتمية البيئية (Determinism): ويقر أصحاب هذه النظرية أن الإنسان يخضع بكل ما فيه للبيئة فهي التي تسيطر عليه وليس العكس كما يتردد ويشيع . فالبيئة بما فيها من مناخ معين وغطاء نباتي وحياة حيوانية تؤثر على الإنسان من مختلف الجوانب ومثال على ذلك :تأثير البيئة على عظام الإنسان، فإذا كان الإنسان يعيش في بيئة جبلية يكون تأثيرها بالإيجاب على تقوية عضلات الأرجل .. أما إذا كانت بحرية فهي تقوي عضلات اليدين . وقد أدى هذا التأثير المتباين والتناقض الواضح بين الشعوب وخاصة بين الآسيويين والأوربيين والذي استرعى انتباه الفلاسفة منذ القدم إلى ظهور نظرية الحتمية لتفسير هذا التناقض . والأمثلة في هذا المجال عديدة مثل ما بينه ابن خلدون (1400 م) الذي اختص في تفسير علاقة الإنسان ببيئته عن أثر المناخ في طبائع الشعوب وتأثير الهواء على ألوان البشر. ومن قبله كان أرسطو (284–322 ق.م) الذي تناول في كتابه عن السياسة الفرق بين سكان المناطق الباردة في أوروبا وسكان آسيا، فسكان أوروبا بالنسبة له يتميزون بالشجاعة التي كانت أساس حريتهم لكنهم غير ماهرين في الإدارة والفهم والتنظيم وبالتالي يفتقدون إمكانية السيطرة أو الإمساك بزمام الأمور.. أما سكان آسيا فلديهم الفكر والمهارة الفنية لكنهم يفتقرون إلى الجرأة مما جعلهم محكومين بغيرهم، أما الإغريق في ذلك الوقت كانوا يعيشون في منطقة وسط بين الآسيويين والأوروبيين مما جعلهم يجمعون بين مميزات المجموعتين.
أما هيبوقراط (420 ق.م) فقد كانت الإيماءة في كتابه "الجو والماء والأقاليم"، أن سكان الجبال المعرضين للأمطار والرياح يتصفون بالشجاعة وطول القامة والطباع الحميدة أما سكان الأقاليم المكشوفة الجافة يتصفون بنحافة القامة وحب التحكم. وبالنسبة لمونتسكييه فقد تحدث عن آرائه ا لغريبة نسبياً في كتاب "روح القانون" عن أثر المناخ والتربة في حياة الإنسان، فقسم المناخ إلى المناخ البارد الذي يعطي الشجاعة والنقاء النفسي والقوة الجسدية، بينما المناخ الحار فيعطي الجبن والمكر والضعف. وبالنسبة لتأثير التربة فقد يصل تأثيرها حسب رأيه إلى

الحد السياسي ونوع الحكومات فقصم ذلك إلى أن التربة الخصبة تعني نظاماً ملكياً وديكتاتورية، والتربة الفقيرة تعطي نظاماً جمهورياً وديمقراطية، بينما سكان الجزر يحفلون بالاستقلالية والاستقرار.

وأما تشارلز دارون صاحب نظرية أصل الأنواع فقد أرجع بنظرية النشوء والارتقاء التي تبناها فيها نشأة الإنسان وتطوره إلى البيئة الطبيعية، أدت إلى دفع نظرية الحتمية البيئية إلى الأمام أكثر وأكثر، حيث ظهر بعدها العديد من العلماء التي تؤيد نظرية الحتمية ومنهما بكل (Buckle) الذي استند في برهانه على ثلاثة عوامل تتصل بالبيئة من : مناخ وغذاء وتربة، وهى عوامل مؤثرة على الحضارات الإنسانية المختلفة التي وجدت منذ قديم الأزل. ثم جاء فيكتور كزن (cousin Victor)، وتتلخص استنتاجاته في العبارات التالية التي تعبر عن وجهة نظره في العلاقة البيئية – الإنسانية: (أعطني خريطة لدولة ما .. معلومات وافية عن موقعها ومناخها ومائها ومظاهرها الطبيعية الأخرى ومواردها وبإمكاني في ضوء ذلك أن أحدد لك أي نوع من الإنسان يمكن أن يعيش في هذه الأرض، وأي دولة يمكن أن تنشأ على هذه الأرض، وأي دور يمكن أن تمثله هذه الدولة في التاريخ).

ولقد تم نقد نظرية الحتمية البيئية في ثلاث نق اط رئيسة وهي: عدم المنطقية في كون أن البيئة ليست العامل الوحيد أو المنفرد فهناك العديد من العوامل الأخرى التي يخضع لها الإنسان في حياته سواء أكانت عوامل اجتماعية، تاريخية، أو حتى بيئية بمفهومها الأعم والأشمل . النقد الثاني تمثل في دور التطور التكنولوجي، إذ يلعب دوراً أساسياً في الحد من العوائق البيئية فمثلاً بعض البلدان التي يفرض موقعها عليها العزلة مثل اليابان فبفضل التقدم التكنولوجي الهائل الذي وصلت إليه أصبحت غير معزولة بتقدم وسائل المواصلات والاتصال . والنقد الثالث تمثل في أهمية دور التاريخ والحضارة اللذان يحدان من سيطرة البيئة على الإنسان حيث توجد بعض الدول تتشابه في ظروفها البيئية ولكن تاريخها

وحضاراتها لهما دور أساسي يختلف تماماً عن الدول المتشابهة معها في ظروفها البيئية.

- ❖ النظرية الاختيارية: وهى عكس النظرية الحتمية حيث تقر بإيجابية الإنسان لأنها تملكه إرادة فعالة مؤثرة ليس فيما يتخذه من قرارات فى كل مجالات حياته وإنما له قوة كبيرة على بيئته أيضاً، فترى أن الإنسان مخير . ومن مؤيديههذ النظرية الاختيارية التى تفسر علاقة الإسان بالبيئة : فيدال دى لا بلاش (V.Dela blache): وهو من مؤسسى المدرسة الإمكانية ويرى م ن خلال نظريته هذه أن للإنسان دور كبير فى تعديل بيئته وتهيئتها وفقاً لمتطلباته واحتياجاته . ويصف البيئة بأنها إنسانية (Cultusel) وليست طبيعية (Physical)، ينبغى دراستها على أساس تاريخى من خلال تحليل جهود الإنسان فى علاقاته مع البيئة عبر التاريخ. ويرى التنوع فـى عناصرها حيث يختار ما يتلائم منها حسب مهاراته الآلية واليدوية، فالعامل الحاسم هنا هو قدرات الإنسان وإمكانياته التى ظهرت فى إقامة الجسور والسدود وشق الأنفاق الجبلية وغيرها، وخير مثال على هذه القدرات الإنسانية الحضارة المصرية القديمة من خلال إقامة الجسور وم شروعات الرى وبناء السد العالى وغيرها من الحضارات الإنسانية الأخرى فى بلاد السودان والحبشة.

وكذلك هناك لوسيان فيفر (L.Febver) وإسحق بومان (I.Boman) حيث يرى العالمان أن مظاهر البيئة هى من فعل الإنسان مثل حقول والشعير ومزارع الأرز والقطن وقصب السكر وغيرها .. وهو الذى نظم الحقول وأقام القناطر والسدود وشق الترع والمصارف .. اخترع أساليب وأدوات زراعية جديدة لزيادة رقعة الأرض التى يزرعها . ولا يقتصر الأمر على الزراعة وإنما يمتد للصناعة التى ترتبط إلى حد كبير بتوفير المادة الخام فى بيئتها والتى بدورها تتطلب توفير المهارات وسبل المواصلات والمال والأسواق التى هى واقع الأمر تعتمد على مقومات بشرية أكثر من مقومات بيئية حيث أن المهارة والتكنولوجيا تتصل

بالتواجد البشرى. وعن مواقع المدن واختيار مواقعها كانت من الأدلة التى استند إليها أصحاب هذه النظرية لتأييد نظرية الاختيارية وتحكم الإنسان فى البيئة وليس لمجرد تواجدها الطبيعى فالمدن الدينية والحربية سواء من أجل عوامل ثقافية كالتدين أو عوامل أمنية كالحماية. كما أن التوزيع السكانى لأى مدينة فى العالم يرجع إلى عوامل اجتماعية وثقافية وبشرية إلى جانب العوامل الطبيعية، ويصل هذا التأثير إلى الحيوان فنجد عدم وجود بعض الحيوانات فى بعض البلدان وتوفرها بكثرة فى بعض البلدان الأخرى مثل البقرة فى الهند التى يحرموا ذبحها لتقديسها.

ولقد تم نقد هذه النظرية الاختيارية كذلك، فاتهمت بالمغالاة فى أهمية دور الإنسان الذى يصل فيه إلى السيادة والديكتاتورية للتحكم فى بيئته وهو صاحب الكلمة العليا مما نتج عنه مشاكل عديدة بفعل هذه السيادة شبه المطلقة مثل مشكلات التلوث وطبقة الأوزون والتصحر التي تندرج تحت جملة عامة "مشكلات عدم الاتزان البيئى".

❖ النظرية الاحتمالية (Probabilism): وتقوم هذه النظرية بدور الوساطة بين كل من أنصار الحتمية والاختيارية الإمكانية للصراع الذي دار بينهما وكان لابد من ظهور نظرية ثالثة جديدة تحاول التوفيق بين الآراء المختلفة لذا فيطلق عليها اسم "النظرية التوافقية" أيضاً .وهذه النظرية لا تؤمن بالحتمية المطلقة أو الإمكانية المطلقة وإنما تؤمن بدور الإنسان والبيئة وتأثير كل منهما على الآخر بشكل متغير فتغلب على بعض البيئات تعاظم تأثير الطبيعة وسلبية تأثير الإنسان عليها ويكون العكس في بعض البيئات الأخرى. واعتمد أصحاب هذه النظرية في تفسيرها على تصنيف نوعية البيئة من ناحية ونوعية الإنسان من الناحية الأخرى حيث يتفاعلان الاثنين سوياً ليشكلان جوهر العلاقة بين الإنسان والبيئة . فبين أصحاب هذه النظرية أن هناك تفصيل لطرفي العلاقة (الإنسان- البيئة) فهناك بيئة صعبة وبيئة سهلة وإنسان سلبي وآخر إيجابي، وأن ناتج تلاقحهما يعطي احتمالات .

ومن ثم فإن هذه النظرية أكث ر واقعية لأنها توضح أشكال عديدة للعلاقة بين الإنسان وبيئته دون أن تميز إحدى أطراف هذه العلاقة دون غيره، وتتمثل هذه العلاقة في التنوع الذي يتضح بالشكل التالي:

بيئة صعبة + إنسان سلبي = حتمية بيئية

بيئة سهلة + إنسان سلبي = إمكانية

بيئة صعبة + إنسان إيجابي = توافقية

بيئة سهلة + إنسان سلبي = توافقية

وقد اقترب فكر المؤرخ الإنجليزي "أرنولد توينبى" من هذه النظرية والتي تحدد علاقة الإنسان والبيئة في أربع استجابات مختلفة: استجابة سلبية تفضي لتخلف الإنسان علمياً وحضارياً مما يجعله غير قادر على الاستفادة من بيئته أو أن يؤثر بشكل فعال عليها. واستجابة التأقلم أو التكيف تكون البيئة هي المسيطرة عليه في هذه الاستجابة مع توافر بعض المهارات للإنسان التي تمكنه من التأقلم نسبياً مع ظروفها الطبيعية . وكذلك استجابة إيجابية تفضي لنجاح الإنسان في تطويع البيئة بما يتناسب مع رغباته واحتياجاته، ويستطيع من خلال مهاراته الإيجابية هذه أن يتغلب على أية معوقات وإن كانت بيئة صعبة . وأخيراً استجابة إبداعية وهي أرقى أنواع الاستجابات على الإطلاق، فلا يقف الأمر على كون الإنسان إيجابياً وإنما مبدعاً يعرف كيف يستفيد من بيئته ليس بالتغلب على الصعوبة و حلها وإنما بابتكار أشياء تفيده في مجالات أخرى عديدة[1]

---

(1) Environmemtal Science – Managing Physical Resources, Vol. III, Morgan. Morgan. Wiersma, WCB, USA, 1993.. Environmental Chemistry, Eighth Edition, Stanley E Manahan University of Missouri, Columbia, Missouri, USA.. CRC Handbook of Chemistry and Physics, Student Edition. 84th Edition, David R Lide National Institute of Standards & Technology, USA.. Introduction To Environmental Engineering, P. Aarne Vesilind & Susan M. Morgan, Thomsom Brooks/Cole, 2nd. Edition, Belmont-USA, 2004.

أما العلم الذي سمي بعلم البيئة، ولماذا سمي بعلم البيئة؟، فهذا في الحقيقة برز بعد حصول التلوثات والفساد البيئي، وبعد حصول الفساد في منظومات بيئية كثيرة، كالبحر والهواء والتربية وغيرها. وبدأت الأمراض تؤ ثر في الإنسان، يعني يبحثون في علم البيئة ويحولونه إلى علم متكامل، وله أسس وله منطلقات وله مواصفات . وأيضا انطلق من عنده هندسة البيئة، كيف نهندس البيئة لكي نحصل على بيئة مثالية وهكذا. فهذه من تاريخ ليس من تاريخ بداية التلوث الذي هو عكس النظام، التلوث هو عكس النظام.. من بداياته حصلت تأثيرات كبيرة على الإنسان، لكن لم تستشعر، بعد فترة بدأت تؤثر على صحة الإنسان على عمر الإنسان، على طاقة الإنسان وقابليته الذهنية والجسدية، بدءوا يضعون هذا الموضوع بعد أن فهموا أنه البيئة له أثر في الموضوع هذا. فبرز هذا العلم ووضعت له الأسس، والحقيقة هو بدأ في أمريكا، وانتقل إلى أوروبا بعدين، ثم جاءت بعد ذلك هندسة البيئة، في بداية القرن العشرين بدأت تبرز بقوة[1].

ويختلف علماء البيئة والمناخ في تعريف دقيق ومحدد للمفهوم العلمي للتلوث البيئي، وأياً كان التعريف فإن المفهوم العلمي للتلوث البيئي مرتبط بالدرجة الأولى بالنظام الإيكولوجي حيث إن كفاءة هذا النظام تقل بدرجة كبيرة وتصاب بشلل تام عند حدوث تغير في الحركة التوافقية بين العناصر المختلفة فالتغير الكمي أو النوعي الذي يطرأ على تركيب عناصر هذا النظام يؤدي إلى الخلل في هذا النظام، ومن هنا نجد أن التلوث البيئي يعمل على إضافة عنصر غير موجود في النظام البيئي أو أنه يزيد أو يقلل وجود أحد عناصره بشكل يؤدي إلى عدم استطاعة النظام البيئي على قبول هذا الأمر الذي يؤدي إلى أحداث خلل في هذا النظام[2][1].

---

(1) جانب من لقاء مع الدكتور خالد العبيدي في برنامج (شخصية وملف) عرضيته قناة بغداد الفضائية في يوم السبت الموافق 16/رجب/1429هـ – 19/يوليو/2008 م تمام الساعة الثامنة مساء بتوقيت مكة المكرمة . عنوان الحلقة هو (البيئة والتلوث) بشكل عام، حقائقه الراهنة ومعالجاته .. موجود على رابط القناة : http://www.baghdadch.tv/shaksea18.htm ، ومعلن عنه في موقع الدكتور على الشبكة العالمية.

(2) عن كتابنا (لسنا بمأمن)، طبع دار الكتب العلمية ببيروت .. وانظر موقع الخط الأخضر على شبكة الإنترنت/بحوث وتقارير. (www.greenline.com).

وعموماً يقصد بـالتّلوث، كل فساد يحصل في بيئةِ الأرضِ وصحة الأحياء ومنها الإنسان، بل حتى في فكره وأسلوب حياته وخلقه بسبب نمط الحياةِ ونوعية الموادِ التي تَدخل في الصناعات المختلفة فتؤثر على دورات حياة الأحياء وسلوكهم والظواهر المشكلة لمصادر العيش الطبيعية (ecosystems). ولو أن بعض التّلوثِ البيئيِ هو نتيجةُ الأسبابِ الطّبيعيةِ مثل الانفجاراتِ البركانيةِ، إلا أن أكثر نشاطات التلوث من فعل البشر خصوصاً بعدما أصبح الإنسان قادراً على التأثير أكثر بفعل التقنيات الحديثة. ومن المهم الإشارة إلى أن التلوث إذا ما حصل فإنه من الصعب بمكان أو قد يكون من المستحيل إزالته من البيئة.

والتلوث هو فساد للنظام الذي تقوم عليه حياة الكائنات وما تحتاجه للبقاء من هواء وماء وغذاء وتوابعها ومكوناتها ومسبباتها .. إن التلوث البيئي هو وجود أي مادة من المواد الملوثة فى البيئة بكميات تؤدى بطريق مباشر أو غير مباشر وبمفردها أو بالتفاعل مع غيرها إلى الإضرار بالصحة، أو تسبب فى تعطيل الأنظمة البيئية حيث قد تتوقف تلك الأنظمة عن أداء دورها الطبيعي على سطح الكرة الأرضية. وتعتبر التربة ملوثة بلحتوائها على مادة أو مواد بكميات أو تركيزات مسببة خطراً على صحة الإنسان أو الحيوان أو على النبات، أو المنشآت الهندسية أو المياه السطحية أو الجوفية. ويعتبر التلوث ظاهرة بيئية من الظواهر التي أخذت قسطاً كبيراً من اهتمام حكومات دول العالم منذ النصف الثاني من القرن العشرين. وتعتبر مشكلة التلوث أحد أهم المشاكل البيئية الملحة التي بدأت تأخذ أبعاداً بيئيةً واقتصاديةً واجتماعيةً خطيرةً، خصوصًا بعد الثورة الصناعية في أوروبا والتوسع الصناعي الهائل والمدعوم بالتكنولوجيا الحديثة، وأخذت الصناعات في الآونة الأخيرة اتجاهات خطيرة متمثلة في التنوع الكبير وظهور بعض الصناعات المعقدة التي يصاحبها في

(1)See: Environmemtal Science – Managing Physical Resources, Vol. III, Morgan. Morgan. Wiersma, WCB, USA, 1993.

كثير من الأحيان تلوث خطير يؤدي عادة إلى تدهور المحيط الحيوي والقضاء على تنظيم البيئة العالمية(1).

والمفهوم المعاصر للفساد، يتسع ليطال كل مناحي الحياة بتمثلات جديدة وتمظهرات ومسميات وليدة هذا الزمان، فنجد الفساد في التصور، والفساد في الممارسة والسلوك، والإفساد في المحيط وفي الأنظمة الإيكولوجية أو ما يسمى اصطلاحًا بالتلوث البيئي، كما نجد أيضاً الفساد أو التلوث الأخلاقي، والفساد الإيديولوجي، والفساد في الكلمات والمفاهيم والمصطلحات. حيث الفساد موجود بوجود الفعل الإنساني، حتى أصبح لسان حالنا يدعو لتخليق الممارسات ومجالات الحياة المهنية والمجالات البيئية ليعود الاعتبار بذلك للضوابط والقواعد الأخلاقية والشرعية (2)

والتلوث باختصار هو عبارة عن عكس النظام، يعني هذه المنظومة الجميلة التي وضعها الله ــ تبارك وتعالى ــ وركبت وبنيت لملاي ين السنين، نأتي نحن ونخرب مدخراتها وتركيباتها في زمن قليل فما خزن من ط اقة في جوفها وجوها لملايين السنين يحرق في أشهر قليلة فيحصل الاختلال والهيجان البيئي لأن نواميس البيئة لم تخلق وفق هذا النمط . يكفي أن نعلم ان الدراسات بينت أن ما قام به الإنسان من تغيير في جو الأرض بسبب التلوث في بضعة عقود من الزمن يعادل ما حصل من تغيير في نفس الجو عبر ملايين السنين.

كمثل نضربه: عندما تأتي لتأخذ قدرا وتضع فيه بعض الفواكه أو بعض الخضروات أو اللحوم التي تطبخها، حتى تحولها من حالتها الطبيعية إلى الحالة التي أنت تريدها، عليك أن تصرف طاقة جسدية وعقلية من عندك وطاقة ذهنية للتفكير، و الأهم طاقة حرارية أو طاقة إشعاعية للطهي، كي تحول هذه المواد من حالة إلى حالة ،

---

(1) انظر كتابنا (علوم البيئة وهندستها في القرآن والسنة) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم.

(2) عن بحث (ظهر الفساد بما كسبت أيدي الناس)، أ.د الحسين زايد وأ.د عبد الكبير بلاوشـــو. المقدم للمؤتمر السابع للإعجاز العلمي بدبي.

فلستمرارية العمل في هذا القدر وفق هذا المنوال لزمن طويل وبشكل مستمر ، سوف يؤدي بعد زمن معين لتلف القدر وكذلك نفاذ الطاقة . فالقضية هنا مشابهة بفكرة مبسطة لقضية التلوث البيئي والاضطراب المناخي الناشي عنه، فكوكب الأرض فيه مواد كثيرة، وفيها طاقات كثيرة جدًا، تراكمت وتكونت وفق نظم لملايين السنين، فعندما تأتي في زمن مختصر تريد أن تحول هذا المعدن، أو هذه التركيبة المعدنية من صخرة معينة المكونة عبر ملايين السنين فتحولها إلى حالة صناعية، فأنت تصرف طاقة حتى تحول هذه التركيبة المادية إلى مادة أنت تريدها وفق تصميم معين، ثم بعد ذلك تأتي هذه الطاقة سوف تؤخذ من المادة الموجودة في باطن الأرض في الصخرة أو في الجبل، تطرح في الجو . ومع استمرار العمل باضطراد وتصاعد هكذا سوف يؤدي هذا إلى خلل في المنظومة العامة الموجودة وغير المهيئة أصلاً لهكذا تحولات سريعة. فإذن التلوث هو خرق لهذه المنظومة وفساد لهذه المنظومة المتناسقة[1].

إن منظومة الحياة ومنظومة الكون موضوع معقد بشكل كبير جدًا، رغم كل تقدمنا العلمي ولا نزال نحبوا محاولين ومؤملين النفس أن نحصل على فهم ولو بسيط لهذه المنظومة المعقدة. الحقيقة الله ــ تبارك وتعالى ــ وضع لنا نواميس، ووضع النظم التي تحكم الكون بشكل عام، وتحكم بيئة الأرض وغلافها الجوي بشكل خاص، لأنه هي السفينة التي تحمل هذا الإنسان الذي كُرِّم من الله ــ تبارك وتعالى ــ، إضافة إلى المخلوقات الأخرى، نمط الحياة الأخرى. فالمنظومة معقدة جدا. كل ما يتقدمون بالعلم، كل ما يدرسون ويبحثون يجدون أن هذه المنظومة معقدة لدرجة صعب أن تحكم بقوانين بسيطة، وإنما هي في غاية التعقيد، وهي تتعلق بالزمن وتتعلق بالحركة. وتتحرك بعدد لا نهائي من المتغيرات، وبالتالي السيطرة عليها صعب. فمعلوم في علم الرياضيات عندما تكون لدي دالة أو علاقة لمتغيرين أو ثلاثة، يمكن وضع لها معادلة، أما إذا عندي معادلة لا نهائي من المتغيرات من الصعوبة أن أضع لها

(1) نفس المصدر السابق.

معادلة، ومن الصعوبة أن أحلها ، وبالتالي حل والسيطرة والتحكم بهذا الموضوع من الصعوبة بمكان[1].

وهذا العلم أو علم البيئة له علاقة مباشرة بحياة الإنسان اليومية وطبيعة هذه الحياة .. فلابد له من نظام يحفظ له توازنه، يعني عندما نقول البيئة وعلم البيئة هناك نظام يحفظ توازن هذه البيئة.

وتعرف حماية البيئة بأنها حماية الأحياء البرية والمائية، وحماية النظم الطبيعة واستغلالها بشكل يضمن استمرارها في العمل وفق نظام طبيعي متزن . أدت أنشطة الإنسان الصناعية وطموحاته الاقتصادية إلى إحداث اختلال في التوازن البيئي، وانقراض كثير من الكائنات الحية . وما زالت تهدد أعداداً أخرى كثيرة بالانقراض، مما يسبب في النهاية ضرراً كبيراً للإنسان نفسه، لذلك بدأت دول العالم في التفكير في حماية البيئة وعناصرها[2].

أما الهندسة البيئية فتعني كل تقنية تعمل على الحفاظ على البيئة الطبيعية من جو وتضاريس وثروات ومخلوقات وغيرها مما يتعلق بطبيعة الأرض وما يؤثر مباشرة على الإنسان والمخلوقات، كما تُعنى بمنع أي عملية تضر بالقوانين الطبيعية التي تسير عليها أرضنا بكل ما عليها والمسخرة بأمر الله تعالى وتشمل هذه الأضرار الصناعية والبشرية وغيرها.. وللإنسان أكبر أثر في البيئة من بين الأنواع الأخرى جميعاً، إذ تهدد بعض نشاطاتنا المآلف وتنوع الأحياء في هذا الكون، ومن هذه النشاطات والفعاليات صيد الحيوانات والأسماك المفرط وقطع الأشجار بصورة كبيرة جداً مما يفسد التوازن في الطبيعة. كذلك نقوم بتخريب البيئة بتلويث الأرض، الهواء

---

(1) جانب من لقاء مع الدكتور خالد العبيدي في برنامج (شخصية وملف) عرضته قناة بغداد الفضائية في يوم السبت الموافق 16/رجب/1429هـ - 19/يوليو/2008 م تمام الساعة الثامنة مساء بتوقيت مكة المكرمة . عنوان الحلقة هو (البيئة والتلوث) بشكل عام، حقائقه الراهنة ومعالجاته .. موجود على رابط القناة : http://www.baghdadch.tv/shaksea18.htm ، ومعلن عنه في موقع الدكتور على الشبكة العالمية.

(2) عن بحث (ظهر الفساد بما كسبت أيدي الناس)، أ.د الحسين زايد وأ.د عبد الكبير بلاوشـــو . المقدم للمؤتمر السابع للإعجاز العلمي بدبي.

(الجو)، المحيطات، الأنهار والبحيرات. ولا شك أن أحد أسباب كثرة فعاليات الإنسان زيادة عدد سكان العالم ، حيث يزداد هذا المقدار من التلوث .. ثم إن تدخل البشر الصارخ هذا أدى بنا اليوم لأكبر تلوث عام غيَّر من أنظمة التناغم البيئي بسبب تنوع أنواع التلوثات ومحاصرتها لنا من جميع الجهات كما سنتبين من فصول هذا الكتاب، فلا تتلف أكثر النفايات بمختلف أنواعها بسهولة لذلك تتكدس فيما حولنا إما على شكل مقالب ضخمة أو في المياه الصافية لتحولها لمياه آسنة أو مالحة أو في التربة الخصبة لتحيلها بوراً، ولا شك أن تأثير البيوت الخضراء ونضوب المآلف وظاهرة الاحتباس الحراري يعظم المشكلة فيغير المناخ ويصحر الحقول ويثير المجاعات والهلاكا ت والأمراض في كل مكان[1].

أما عن أنوع التلوث فهي كثيرة ولكن أغلبها غائب عن أذهان الكثيرين من الناس، عندما يذكر موضوع التلوث، أول ما يتبادر إلى الأذهان هو قضية التلوثات الهوائية، أو الأدخنة والأبخرة الموجودة. هذا التلوث هو أحد أنواع التلوث البيئي ، وإن كان بعض العلماء يفسرون أن التلوث البيئي هو الإطار العام، ويمكن أن نقسمه إلى أجزاء أخرى.

1. التلوث الهوائي: كانت بدايته مع بدايات الثورة الصناعية، وهذا الموضوع لم يكن ليحس أو يستشعر لولا بداية الثورة الصناعية ، فقبل حوالي ثلاثة قرون أو أقل بقليل بدأ الإنسان بتحويل الصناعة بواقعها الانطلاقي الكبير في أوروبا في البداية ، ثم انطلقت بعد ذلك وبقية دول العالم بدأت المداخن والمصانع تحول المادة هذه المواد إلى مواد صناعية، وتصرف هذه الطاقة وتبدأ تقذف على شكل أبخره وعلي شكل أدخنة إل ى الجو، وبدأ هذا يؤثر في الغلاف الجوي ال ذي ه‍و عبارة عن منظومة متناسقة جدا . الغلاف

---

(1) موسوعة الراصد (العلمية)، أقراص مدمجة، إنتاج شركة لاليه العالمية للبرامجيات، دورلينك كيندرسلي (© 1994-1995 Dorling Kinderesley Mutimedia & © 1996 Laleh Computer .1995 Institute)، البيئة، بتصرف.

الجوي حقيقة يعني مجموعة من الطبقات ، كل طبقة لها خاصة الحفاظ ومنظومة حفظ ومنظومة رجع ذاتية . وعندما تأتي هذه الأبخرة والأدخنة بشكل مكثف في زمن قصير ، هذه المنظومة التي بنيت في سنين بدأت تخترق، وبدأ يؤثر على المناخ وبدأ يؤ ثر على الصحة ، وبدأ يؤثر على البيئات البحرية، وبيئات الهواء، وبيئات التربة، وهكذا.. إلى أن بدأت تؤثر على صحة الإنسان ، بل حتى على نفسية الإنسان. وهذه البحوث الحديثة تقول لك : أن كثير من أمراض الكآبة، وكثير من الأمراض النفسية في المدن المتحضرة بسبب التلوث ، لذلك تجد أن الأمراض النفسية تكون قليلة جدا في المناطق البعيدة عن التلوث، المناطق الريفية المناطق الزراعية المناطق البيئية الجميلة ذات الخضرة والأشجار. وحقيقة أن هذا الموضوع بدأ مع بداية الثورة الصناعية أصبحت مثبتة بالتجربة الحقلية والبحث الرصين وليس الحدس وال تكهنات.. فعندما درسوا الأرض ولاحظوا أن المناخات تتغير في الأرض بدورات معينة كل مائة ألف عام أو أكثر أو أقل، دورات صعود حرارة ونزول حرارة ، ودورات الحالة الجليدية والأزمة الجليدية ... لاحظوا أنه الفترة التي نحن نعيش بها الآن ليست ضمن فترات الصعود والنزول، فعندما ربطوها مع تاريخ الثورة الصناعية وتوصلوا إلى حقيقة علمية أنه صعود الحرارة في الأرض بدأ مع الثورة الصناعية، وبالتالي التلوث المناخي والاحتباس الحراري الذي هو ناتج من زيادة ثاني أكسيد الكربون وبخار الماء من الصناعات الثقيلة والكيمائية والبتروكيميائية، كلها جاءت بعد هذا الزمن صعودا إلى أن وصلنا إلى الحالة الخطرة التي نعيش بها، التي بعض العلماء وصلها إلى قرب الانقراض السادس أو دورة الانقراض الثالث . والحقيقة أن العلماء في البداية حاولوا أن يدرسوا هذا التأثير بشكل موضوعي، لكن توصلوا بشكل علمي ورصين وموثق علميا أنه بداية الثورة الصناعية وصعود الأبخرة

والأدخنة إلى الغلاف الجوي الأرضي واختراقه وازديادها ، وعددها كمها في العالم حوالي 200 عام إلى اليوم، هو الذي أدى إلى سبب هذا، وليست الدورات الطبيعية التي قلنا عليها صعودا ونزولا في الحرارة والبرودة. ومن أنواع التلوث الهوائي ما هو مباشر مع حياة الإنسان ، وبعضها غير محسوس، ولكن هو خطره لا يقل عن خطر النوع المباشر الذي يمس حياة الإنسان. فذكرنا أن أنواع التلوثات الهوائية ال تي الأدخنة والأبخرة من المصانع ومن عوادم السيارات وحتى من السجائر ، و هناك الآن بحوث كثيرة جدا تدل على أن السجائر لها دور ليست فقط على المدخن، وإنما على البيئة التي حوله، وهو ما يسمى بالتدخين السلبي ، وبالتالي دخلت السجائر وكذلك الشيشة وما شابه ذلك في الملوثات، فبالتالي هي ليست حرية شخصية، وإنما هي تؤثر على الآخرين[1]

2. .التلوث الترابي والمائي : باستمرار نمو المدن وانتشار الصناعات وتغير نمط الحياة اتسعت المسألة لتشمل المخلفات الصناعية التي تقذف أو تطرح في الأنهار وفي التربة فتسبب تلوثها، كذلك الحال مع الأوساخ والقاذورات والأزبال التي ترمى تسبب تلوث في التربة والمياه الجوفية لأنها عندما تتحلل كيميائيا تنزل مركباتها السامة إلى الجوف فتتسبب في فساد التربة والمياه الجوفية، وبالتالي عندما تزرع التربة سيكون بعض تلك المركبات مفيد لكن بعضها يكون ضار. كذلك لدينا المبيدات وآثارها التدميرية على التربة والمياه الجوفية والسطحية. وبالتالي كل تلك الأضرار مجتمعة عندما تتحول إلى النبات، وتتحول إلى الحيوان الذي يأكل النبات ، وإلى الإنسان الذي يأكل الحيوان أو النبات، وبمرور الزمن وبالتأثيرات الجينية تبدأ تكون

---

(1) انظر التفاصيل في كتابنا (قصة التدخين الكاملة) عن دار الكتب العلمية ببيروت، وكذلك كتابنا (لسنا بمأمن) عن دار الكتب العلمية ببيروت . وانظر بعض التفاصيل في كتابنا (علوم الهندسة البيئية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم.

عوامل تدمير بيولوجي . فبعض العلماء يقول لك : اللحمة التي تأكلها من هذه البقرة أو تلك عليك أن ترجع لتاريخها وتاريخ العائلة التي جاءت منها، هل هذه البقرة أكلت مواداً سامةً أو التهمت أموراً مضرةً تشكلت في جيناتها لاحقاً كي تدخل بجيناتك أنت ، ومن ثم أنت سوف تؤثرها في الأجيال اللاحقة، وهكذا فالقضية تراكمية معقدة إلى درجة كبيره جدا حتى أننا لا نشتسعر خطورتها حتى يصيبنا المرض الفلاني . فمثلاً م ا يطرح اليوم من سموم من المصانع أو من حاملات البترول في البحار ، وعندما تغرق حاملات البترول أو كذا آثار الحروب على البحار والأنهار .. كل هذه الأمور تؤدي إلى أن هذا النهر الصافي الجميل الذي هو به ماء زلال جميل، يعني يروى الإنسان ويروى النبات ويروى الأرض .. هذا يتحول إلى مواد سامة حتى وإن تم تصفيتها لكن في بعض التركيبات الكيميا ئية يبقى تأثيرها كيميائيا في داخلك، ويؤثر عليك لاحقا.

المياه الجوفية تؤثر في التلوث الترابي والمائي معاً، كما أنها تتأثر بالتلوث الهوائي أيضاً عن طريق ما يعرف ب الأمطار الحامضية التي بدأت مع بدايات الثورة الصناعية كما أسلفنا . ففي بدايات الثورة الصناعية لاحظوا أن هناك أمطاراً تحصل بلون معين وبأثر معين تؤدي إلى أضرارٍ كبيرةٍ على المزروعات والغابات، فعندما درسوها عرفوا أنها تسمى أمطار حامضية، سببها هذه الأدخنة التي تصعد إلى الجو، تلتقي بالغ يوم وتسبب تلاقح مع الهواء، تنزل مع المطر وتؤدي إلى أثر في الماء وفي التربة، فهي عملية متداخلة . كذلك هنالك حاملات النفط وغرقها في البحار، الحروب وأثرها على المياه، أيضا الفضلات الصناعية التي ترمى في البحر، أو التي ترمى في النهر، وبالتالي في البحر كل هذه مع بعضها تشكل تلوثاً أو فساد للبحر وتدميراً في المنظومة البحرية أو البيئة البحرية.

3. التلوث الطيفي والكرومغناطيسي: هناك أنواع من التلوثات غير محسوسة، مثل التلوث الضوئي، فهناك صور بالأقمار الصناعية لبعض المدن الكبيرة يتبين لنا مدى التلوث الضوئي الناجم عن الإضاءة في المدن الكبيرة، و هذا شيء ممكن أن تحسه عندما تنظر إلى السماء في المدينة لا تجد نجوم إلا القليل، سببها التلوث الضوئي. لكن عند ذهابك إلى البادية أو إلى الريف تجد السماء صافية وجميلة جدًا لأن ليس هناك ضوء كثيف، وبالتالي ما يمنع عليك هذه الرؤية هو التلوث الضوئي الذي يشكل حاجز كالسحابة غير المرئية التي عندما تنظر إلى السماء فإن الإشعاعات النجمية لا تخترق هذه الكثافة من السحابة الطيفية. والتلوث الضوئي قد يسبب أضرار قد تؤثر على عين البشر و على أجسامهم. لدينا أيضاً التلوث الكهرومغناطيسي الذي هو أعم من التلوث الضوئي، لأن الضوء هو جزء من الطيف الكهرومغناطيسي ، والتلوث الكهرومغناطيسي وبعد الثورة الرقمية والثورة الإلكترونية الهائلة والاتصالات والأقمار الصناعية والموبايل وغيرها، فنحن نعيش في بحر متلاطم الأمواج من الإشعاعات غير المرئية التي تخترق أجسامنا، وتؤثر فيها وتؤذيها. يعني كمثل بسيط الموبايل هناك، بحوث حديثة جدًا تبين أن تأثير الموبايل على الجهة اليسرى أفضل بكثير من وضعه في الأذن اليمنى، فاختراق الإشعاع أو التردد الخارج من الموبايل للدماغ في الأذن اليسرى أقل من اختراقه لو وضعته على الجزء الأيمن لذلك الأفضل أن تضعه على الأذن اليسرى عند التحدث به. والأفضل أن تضع سلك في الأذن، لأن في هذا أمان أكثر من خطورة اختراق الدماغ من قبل تلك الإشعاعات الكهرومغناطيسية الخطيرة التي لها ترددات خطيرة على الجسم البشري ، وبمرور الزمن بعضهم توصل إلى أنه له علاقة بسرطان الدماغ وبسرطان الجلد وبسرطان الأذن، وبأمور كثيرة جدا. فالحقيقة نحن نعيش يعني وفق وعبر بحر أو محيط

متلاطم الأمواج من الإشعاعات الكهرومغناطيسية، بالأقمار الصناعية وبالأجهزة الرقمية والالكترونية تؤثر على أجسامنا.

4. التلوث الصوتي : المتمثل بالضوضاء والطنين والناجم عن الأصوات الهائلة التي تتميز بها المدن الكبيرة والناجمة عن حركة السيارات والمحركات والساحبات والناقلات والقاطرات والبواخر والطائرات وأجهزة الطرق والمعامل وغير ذلك بما يسبب حسب بحوث حديثة لأمراض كثيرة بدءً من أمراض الأذن المباشرة وحتى أمراض القلب والجلطات والسرطان والأمراض النفسية وصولاً للموت في بعض الأحيان كما هو الحال من جراء أصوات التفجيرات الضخمة الحاصلة خلال الحروب.
5. التلوث الجيني والخَلقي : الناجم من التلاعب الجيني في النبات والحيوان والبشر من جهة وكذلك استخدام أسلحة التدمير الشامل من جهة أخرى.
6. التلوث الفكري والعقائدي والأخلاقي: وهذا أخطر الأنواع لأنه الذي يسمح بالبقية فعدم وجود رادع عقائدي أو خلقي يدفع لعمل كل شيء تحت تعبير هو ف يالحقيقة كلمة حق يراد بها باطل وهي حرية التفكير وحرية العلم وحرية الرأي التي طالما أسيئت استخداماتها لنصل إلى ما وصلنا له اليوم . ولعل من المؤ سف أن الكثير من ا لعلماء لا يعترفون بتلك التصنيفات المتعلق بالتلوث الفكري والعقائدي والأخلاقي، لكن هي ضمن التصنيفات، فمثلاً تشريع قانون الشذوذ الجنسي مثلا في بعض الدول وتشريع زواج المثلين أو تقنين اللوطيين والشاذات واعتبار الدعارة مهنة معترف بها قانوناً والاعتراف بحرية شخصين بالعيش في بيت من خلال علاقة غرامية لمجرد التلذذ الجنسي ماذا يؤدي كل ذلك؟ يؤدي إلى أن الإنسان يصبح مُطلق اليدين في تصرفاته ، وهذه ليست لها علاقة بالحرية الشخصية لأن تعريف الحرية الشخصية أن تتصرف بحرية دون أن تؤثر على حرية الآخرين، وحيث أن ت لك التصرفات تؤدي لتدمير الأسر ومنع الزواج

المفضي للتناسل الصحيح والأمراض الجسدية والنفسية والاجتماعية والتفسخ وشيوع الجريمة وزيادة الطلاق وزيادة اللقائط وعدم معرفة آباء اللقطاء فكل ذلك يحد من حريات الآخرين، وعليه خرج تعريف تلك النشاطات عن تعريف الحرية الشخ صية. لذلك الآن هناك حقيقة جرس خطر كبير دق أمريكا وأوروبا ، هو خطر انقراض الجنس الأبيض، سموه هكذا لأنه الأسرة دمرت وهذا يعني ببساطة أن ليس هناك أجيال تتلاحق. والأمر كذلك له علاقة بموضوع الديمقراطية والأمور السياسية ، عندما يصبح الإنسان مطلق الحرية يعمل ما يشا ء، لا يعترف بأن هناك قانون يضبطه هنا ويضبطه هناك ، حتى وإن كان هذا القانون مشرع وموضوع ، عندما تصبح هناك خلفية أو استعداد نفسي مفادها أنني مطلق الحرية أعمل ما أشاء، فسوف أفسد سوف أؤذي البيئة، سوف أؤذي جاري، سوف أؤذي من معي في العمل، سوف أؤذي أسرتي وزوجتي، وأدمر أولادي، الأسرة تلك التي هي منظومة البناء الحقيق ي في المجتمع ، ويكون ذلك سواء بالتدخين سواء بالكلام، سواء بالنظرة، سواء بتصرفات معينة، أو سلوك معين. كلها تدخل ضمن منظومة كبيره معقدة من السلوك والأعمال الإرادية أو اللا إرادية تؤدي إلى خرق هذا التوازن[1].

أما العلاجات فتحتاج لتفاصيل، لكن باختصار هناك علاجات بعيدة المدى ، وهناك علاجات قريبة. بالنسبة للعالم هناك ما يعرف بكيفية استخدام الطاقات البديلة النظيفة، الطاقة المستخدمة الآن هي طاقة البترول ، هذه الطاقة تحرق طاقات تستخدم في

---

(1) عن كتبنا (قصة التدخين الكاملة)، (لسنا بمأمن) عن دار الكتب العلمية ببيروت، (علوم الهندسة البيئية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم.. وبعض ما جاء من نصوص من لقاء مع الدكتور خالد العبيدي في برنامج (شخصية وملف) عرضته قناة بغداد الفضائية في يوم السبت الموافق 16/رجب/1429هـ - 19/يوليو/2008 م تمام الساعة الثامنة مساء بتوقيت مكة المكرمة. عنوان الحلقة هو (البيئة والتلوث) بشكل عام، حقائقه الراهنة ومعالجاته.. موجود على رابط القناة : http://www.baghdadch.tv/shaksea18.htm ، ومعلن عنه في موقع الدكتور على الشبكة العالمية.

المصانع في السيارات في الطائرا ت في كل شيء، طاقة موجودة في باطن الأرض استخرجت وحرقت أدى حرقها ــ كما ذكرت لك في البداية ــ تكونت في ملايين السنين وتحرقها في زمن بسيط تخرج على شكل غازات إلى الجو ، تلوث الجو وتؤدي إلى ما أدت إليه من تدمير بيئي وتحطيم للمنظومة البيئية. هذا الذي يحاولون الآن يقللون من انبعاث تلك الغازات المؤذية من جهة ، ومن جهة ثانية يحاولون أن يتوجهوا إلى الطاقات البديلة مثل طاقة الشمس، طاقة الرياح، طاقة المياه، الطاقة الهيدروجينية التي تؤخذ من البحر بفصله عن الأوكسجين ، يعني استخراج الهيدروجين واستخدامه كسائل في السيارات والطائرات، وفي المحروقات بشكل عام. المشكلة في عدم التوجه لها أنها أولا يعني محدودية الاستخدام، وغلاء السعر في تنفيذ منظوماتها رغم أنها كطاقة أنظف وأكثر اقتصادية من النفط وهي صديقة للبيئة . وهذا يعني غلاء ثمن تكوين أجهزة تعمل بها وانتشارها بشكل عام للعالم ، وعندما تقارن تلك التكلفة مع تكلفة استخراج البترول ، تكون استخراج البترول أقل، وبالتالي هو متوفر الآن، ولكن عندما يبدأ بالنفاذ أو يكون قريب من النفاذ سيضطر الإنسان إلى أن يلجأ إلى تلك الحالات البديلة، فالطاقات البديلة هذه مهمة جدا، ليس فقط لمنع استنفاذ موارد الأرض، ليس فقط لمنع تدهور المناخ بشكل عام، ليس فقط لمنع تدهور الإنسان.. بل أيضا للحفاظ على المنظومة البيئية بشكل عام ، وبالتالي الحفاظ على حياته [1].

ولقد عقدت عدة مؤتمرات لمحاولة إيجاد الحلول لمشكلة التلوث البيئي وتداعياته الخطيرة منذ النصف الأول من القرن العشرين الميلادي. فخلال وقبل الحرب العالمية الثانية قامت عصبة الأمم المتحدة بالتعاون مع الحكومات الغربية لإبرام اتفاقية للحد من التلوث البيئي في البيئة البحرية بواسطة السفن . وفي بداية الأربعينيات

([1]) لقاء مع الدكتور خالد العبيدي في برنامج (شخصية وملف) عرضته قناة بغداد الفضائية في يوم السبت الموافق 16/رجب/1429هـ - 19/يوليو/2008 م تمام الساعة الثامنة مساء بتوقيت مكة المكرمة . عنوان الحلقة هو (البيئة والتلوث) بشكل عام، حقائقه الراهنة ومعالجاته .. موجود على رابط القناة : http://www.baghdadch.tv/shaksea18.htm ، ومعلن عنه في موقع الدكتور على الشبكة العالمية.

والخمسينيات أيضا أبرمت عدة اتفاقات دولية للمحافظة على الأحياء المائية والحياة البرية، ولكنها لم تحظى بأي فاعلية نتيجة عدم التصديق عليها. هناك كذلك اتفاقيات دولية لتنظيم صيد الحيتان كما حصل في عام 46، وفي عام 72 عقدت في مدينة استكهولم بالسويد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية، كذلك عقد مؤتمر دولي عام 77 في الاتحاد السوفيتي السابق، وأيضا أنشأت منظمة الصليب الدولي في جنيف لتحمل بالتعاون مع الأمم المتحدة على حماية البيئة . ومؤتمرات كثيرة عقدت فلا تكاد تمر سنة إذا ما في مؤتمر أو مؤتمر ان أو ثلاثة كبيرة دعك عن المؤتمرات والندوات الصغيرة هنا أو هناك كلها تتكلم عن خطر التلوث البيئي بشكل عام، والتلوث المناخي والهيجان المناخي بشكل خاص . فلأثر التلوث البيئي على الهيجان المناخي ، وذوبان الجليد وصعود مستوى البحار وما إلى ذلك من أمور الحقيقة ، كل هذه الأمور تدرس وتبحث وتوضع لها ميزانيتها ، ومنها ما ألزمته به الدول الصناعية الكبرى نفسها في مؤتمر كيوتو باليابان بقضية تقليل انبعاث ثاني أكسيد الكربون وغازات الكبريت وبخار الماء وغيرها من الصناعات قدر الإمكان ، لأنها تؤثر على طبقات الجو العليا وتؤدي إلى الاحتباس الحراري وأمور كثيرة [1].

ولعل أحد أهم أسباب التلوث والتدمير البيئي نمط الحياة الحديثة التي تتطلب استهلاك سريع للموارد وحرق واستنفاذ كبيرين لموارد الأرض مما سبب كل تلك الاختلالات والاضطرابات، ومن ذلك وعلى رأسه العمارة الحديثة وشبكات خدماتها المعقدة.

هذا الأمر دفع العديد من علماء العمارة والهندسة والزراعة والبيئة والبيولوجيا والطب وغيرها من التخصصات للتنادي وإطلاق صرخات الاستغاثة من هول ما ينتظرنا من

---

(1) جانب من لقاء مع الدكتور خالد العبيدي في برنامج (شخصية وملف) عرضته قناة بغداد الفضائية في يوم السبت الموافق 16/رجب/1429هـ – 19/يوليو/2008 م تمام الساعة الثامنة مساء بتوقيت مكة المكرمة. عنوان الحلقة هو (البيئة والتلوث) بشكل عام، حقائقه الراهنة ومعالجاته.. موجود على رابط القناة: http://www.baghdadch.tv/shaksea18.htm ، ومعلن عنه في موقع الدكتور على الشبكة العالمية.

مآسي إن لم نجد حلولاً سريعة [1]. وكان مما طالبوا به ضرورة التغيير نحو نمط معيشي وعمراني جديد أطلقوا عليه العمارة البيئية (Environmental Architecture) أو العمارة المستدامة (Sustainable Architecture) وأحياناً العمارة الخضراء (Green Architecture) وبالمجمل العمارة البيئية المستدامة (Environmental Sustainable Architecture)، والتي صفتها الرئيسة أنها غير مدمرة للبيئة بل هي عمارة صديقة للبيئة ومحافظة على استمرارية قوانينها ونواميسها المتوازنة.

تعتبر العمارة الخضراء أو المباني و المدن الصديقة للبيئة، أحد الاتجاهات الحديثة في الفكر المعماري و الذي يهتم بالعلاقة بين المباني والبيئة، وهناك العديد من المفاهيم والتعريفات التي وضعت في هذا المجال، فالمعماري كين يانج (Ken Yeang) يرى أن العمارة الخضراء أو المستديمة يجب أن تقابل احتياجات الحاضر دون إغفال حق الأجيال القادمة لمقابلة احتياجاتهم أيضاً. ويرى المعماري وليام ريد (William Reed) أن المباني الخضراء ما هي إلا مباني تصمم و تنفذ و تتم إدارتها بأسلوب يضع البيئة في اعتباره، ويرى أيضا أن أحد اهتمامات المباني الخضراء يظهر في تقليل تأثير المبنى على البيئة إلى جانب تقليل تكاليف إنشائه و تشغيله. أما المعماري ستانلي أبركرومبي (Stanley Abercrombie) فيرى أنه توجد علاقة مؤثرة بين المبنى والأرض. أما سوزان ماكسمان (Susan Maxman) فترى أنها العمارة التي تناسب ما يحيط بها وبصورة ما متوافقة مع معيشة الناس ومع جميع القوى المحركة للمجتمع. وقد وضع أيان مشارج (Ian Macharg) أن مشكلة الإنسان مع الطبيعة تتجلى في ضرورة إعطاء الطبيعة صفة الاستمرارية بكفاءة كمية المصدر للحياة.

---

(1) انظر التفاصيل في كتابنا (علوم الهندسة البيئية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم. وانظر كذلك كتابنا (لسنا بمأمن) عن دار الكتب العلمية ببيروت.

وفي وجهة نظر البعض فإن العمارة الخضراء هي منظومة عالية الكفاءة تتوافق مع محيطها الحيوي بأقل أضرار جانبية، فهي دعوة إلى التعامل مع البيئة بشكل أفضل يتكامل مع محدداتها، تسد أوجه نقصها أو تصلح عيبها أو تستفيد من ظواهر هذا المحيط البيئي و مصادره. ومن هنا جاء وصف هذه العمارة بأنها (خضراء) مثلها كالنبات الذي يحقق النجاح في مكانه حيث أنه يستفيد استفادة كاملة من المحيط المتواجد فيه للحصول على متطلباته الغذائية، فالنبات كلما ازداد عمرا ازداد طولا فهو لم يخلق مكتملا منذ بدايته حتى يصل إلى مرحلة الاستقرار، ومن هذه الناحية بالذات اقترن اسم العمارة الخضراء بمرادف آخر و هو التصميم المستدام(Sustainable Design).

وعلى ذلك يمكن تعريف العمارة الخضراء من مجمل الآراء السابقة بأنها : عملية تصميم المباني بأسلوب يحترم البيئة مع الأخذ في الاعتبار تقليل استهلاك الطاقة والموارد مع تقليل تأثيرات الإنشاء والاستعمال على البيئة مع تعظيم الانسجام مع الطبيعة. فللعمارة البيئية الخضراء (Environmental Sustainable Architecture) هي عمارة صحية متناغمة مع المحيط وصديقة للبيئة واقتصادية وسهلة التصميم والتنفيذ.

جاء في تقرير تضمن حقيقة المشكلة العمرانية في العالم بسبب النظام العولمي التقني: (إن مساكننا تأن من الآلام الإجتماعية والثقافية والإقتصادية وغيرها. مساكننا تفتقر الى مقومات التوافق والمحيط حولها - Context – ، وانكشاف للخارج وانكشاف للشمس وفقدان للهوية. بمعنى أن مساكننا اصبحت منفصلة عن البيئة حولها، وأوجاعها تأن منها منذ سنين أو منذ بدأت التنميات العمران ية الحديثة. إن مساكننا تحتاج أن ينظر اليها من قبل العلماء بمختلف تخصصاتهم والمعماريون والمهندسون ولكن على صفحة بيضاء، إذ تكاد مساكننا نسخاً لنموذج واحد مكرر مكرس لتدميرنا وتدمير بيئتنا، ولم يعد هذا المسكن ملاذاً آمناً كما كان يظن سابقاً، ف نحن في أمس الحاجة إلى نظرة بيئية لمساكننا تتمحور على مفهوم العمارة البيئية).

تتصف المباني والمدن المريضة بثلاث صفات رئيسية: الأولى استنزاف في الطاقة والموارد، والثانية تلويث البيئة بما يخرج منها من انبعاثات غازية وأدخنة أو فضلات سائلة وصلبة، والثالثة التأثير السلبي على صحة مستعملي المباني نتيجة استخدام مواد كيماوية التشطيبات أو ملوثات أخرى مختلفة.

وبناءا على هذه السلبيات قامت مبادئ العمارة الخضراء حاملة أفكار وأطروحات قادرة على التغلب على السلبيات السابقة، ومن ذلك وعلى رأسه الحفاظ على الطاقة ومواردها (conserving energy) من جهة وصحة الإنسان والمخلوقات الحية من جهة أخرى. ان أهم أهداف هذه العمارة ببساطة هو مأوى جميل مريح ويمكن تحمله (Affordable) ولايضر بالأرض في د ورته التصنيعية والإستخدامية. وإن من أهم الطرق المؤدية الى هذه المفاهيم البيئية هو التحول في مفاهيمنا في بناء مسا كننا من العداء للبيئة إلى الصداقة والبيئة والابتعاد عن التصادم معها . فللدورة التصنيعية مثلاً يلزم أن تحدد مواد البناء المناسبة فتبحث عن زيادة استخدام المواد المتجددة (Renewable Materials) ما أمكن والحد من المواد الناضبة (Non-renewable) فيستعاض مثلاً عن المواد العازلة المصنعة في المباني بفراغ هوائي بين جدارين. وكذلك البحث عن الطاقات الطبيعية بدل الصناعية أو الناضبة. فالمسكن في حاجة للتوجه نحو استخدام الإضاءة والتبريد والتهوية الطيعية بدل الميكانيكية أو الصناعية بنسب كبيرة. نحن في حاجة أن يميل المسكن الى النواحي الطبيعية عموماً. والدورة الإستخدامية لاتقل أهمية عن التصنيعية.

ولقد أوصت العديد من المؤتمرات العالمية والإقليمية بضرورة الاعتراف لعلم وهندسة العامرة البيئية ووضعت العديد من التوصيات في تشجيع ذلك كما هو الحال مثلاً في الملتقى العربي الثاني للعمارة والبيئة المنعقد بالدوحة العاصمة القطرية في مارس 2008م الذي أصدر دليلاً حول العمارة والبيئة بالتعاون مع المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (اسيسكو).

بعد كل ما ذكرناه من تفاصيل اعترف بها العالم ليشخص المشكلة، دعونا نبدأ بذكر بعض مقومات التعامل الإسلامي مع البيئة وروعة تفصيله في تلك العلاقات المتداخلة وكل ما حذر منه ووجدناه اليوم شاخصاً أمامنا ولو بشكل مختصر لأن الأمر يحتاج لتفاصيل كثيرة لعلنا تطرقنا لها بشيء من الإسهاب في كتب أخرى يمكن للقارئ الكريم العودة لها وما سيوضح لاحقاً مستل بإيجاز من بعض فقراتها[1]

قلنا آنفاً أن الإسلام يبني كل مرتكزاته على العلاقة الثلاثية الرئيسة:

(الخالق– الإنسان – البيئة)، وكل ما في الإسلام من تشريعات في العقائد والعبادات والمعاملات والسلوك والأخلاق مبني لضبط إيقاعات ومنظومات هذه العلاقة الرئيسة. والنظرة الإسلامية للبيئة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك المعادلة بل هي أحد أطراف مثلثها والهندسة الإسلامية للبيئة تحكم الترابطات بين أطراف تلك العلاقة الثلاثية . فتجد أن القرآن والسنة وضعتا قوانين الحفظ والتوازن البيئي في القرآن الكريم، وبينتا أنواع الفساد الذي يعتري منظومة الحياة بدءً من الأمر بالتوازن وعدم الإخلال بالتوازنات البيئية في الكون، الفساد الاقتصادي، الفساد المتأتي من الحروب والفتن التي تفسد كل شيء جميل، الظلم وارتباطه بالفساد الاجتماعي والبيئي، الفساد البيئي وارتباطه بالفساد العقائدي والفكري، الفساد والتلوث جراء الدخان، الفساد الخُلُقي والاجتماعي، الفساد الخَلقي والجيني، والفساد العقائدي . كما بينت هندسة الإسلام للبيئة وكيفية التعامل معـــهـــا منزلة الإنسان في الإسلام وأن كل شيء مسخر لخدمة الإنسان ووضعت واجبات الإنسان تجاه البيئة المسخرة له[2].

وقد ذكرت البيئة في القرآن الكريم بمصطلحات عديدة منها ما يتعلق بالمكان مثل البلد، الأرض، والبعد المكاني في القرآن الكريم، ومنها ما هو حياتي مثل الحيوان والنبات التي تعيش مع البشر في محيطهم، ومنها ما هو جماد كالجبال والصخور

---

(1) انظر التفاصيل في كتابنا (علوم الهندسة البيئية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم. وانظر كذلك كتابنا (لسنا بمأمن) عن دار الكتب العلمية ببيروت.

(2) نفس المصادر السابقة.

والتراب والماء والأنهار والبحار وغير ذلك من تفاصيل تزخر بها آيات الله تعالى.
وكذلك ذكر الفساد بكل أنواعه الذي هو كل خلل في البيئة والنظام البيئي.
الفساد كمصطلح قرآني ينقسم تعريفه إلى اللغوي والاصطلاحي، فالتعريف اللغوي يعني أن الفساد نقيض الصلاح ومنه قوله تعالى: ﴿...وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا...﴾، الآية، وقوله عز وجل: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾، الآية، ويقال أفسد فلان المال يفسده إفساداً وفساداً، وقوله تعالى: ﴿..وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾، الآية، وفسد الشيء إذا أباره [1]. وأما التعريف الاصطلاحي: الفساد في دلالة القرآن والسنة وفق تفسير الجلالين هو الخروج عن حد الاعتدال بالكفر والشرك والتعويق عن الإيمان وبالمعاصي وإهلاك الحرث والنسل وقتل النفس بغير حق والسعي إلى قطع الطريق، والنهب والبغي والتخريب والعثو والعودة إلى حياة الجاهلية بكل مظاهرها . تلكم الفساد و الإفساد والقائمون عليه مفسدون. وقد سيقت كلمة الفساد ومشتقاتها في 50 آية قرآنية بصيغ مختلفة نذكر منها: لفسدت – لفسدتا – أفسدوها – لتفسدن – تفسدوا – لنفسد – يفسد – ليفسدوا – يفسدون – الفساد – فسادًا – المفسد – المفسدون – مفسدين – المفسدين[2].
لقد اهتم الدين الإسلامي بالبيئة بمفهومها الواسع ومواردها المختلفة الحية وغير الحية، وأظهر أسس التعامل معها بحيث يمكن حمايتها والحفاظ عليها . ونهى الإسلام عن الإسراف بكل أشكاله السلبية سواء في المأكل والمشرب وغير ذلك من الموارد الطبيعية الأخرى، وهذا ما تؤكده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

---

(1) لسان العرب (ج: 3 ص: 335–336.)، ابن منظور، تحقيق: عامر أحمد حيدر – عبد المنعم خليل إبراهيم، 15 جزء دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2003م.

(2) عن بحث (ظهر الفساد بما كسبت أيدي الناس)، أ.د الحسين زايد وأ.د عبد الكبير بلاوشـــو. المقدم للمؤتمر السابع للإعجاز العلمي بدبي.

والتوازن البيئي في القرآن الكريم جاء ليؤكد أن جميع المخلوقات في الكون خلقت بقدر وميزان معلوم وبدون إفراط أو تفريط وهنا تتجلى حكمة وإبداع الخالق . فللإشعاع الشمسي الذي يصل إلى الأرض يصل بقدر معين، حيث يقوم الغلاف الجوي بتنظيم درجة الحرارة على كوكبنا، وكذلك الهواء والماء والغازات والنباتات والطيور والحشرات محددة نسبها . قال الله تعالى: ﴿..وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2]، ﴿..قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 3].

إن الكون كله يسير وفق حسبان ن ظام محسوب بدقة: الشمس والكواكب والقمر والنجوم، قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾ [الرحمن: 5]. أما الماء فيجعله الله سبحانه وتعالى أصل كل كائن حي، كما خلقه بقدر محدد . قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝١٨﴾ [المؤمنون: 18][1].

إن العلم والفكر اللذين لايعمر بهما الكون، ولاتصلح بهما البيئة، ولا ترقي بهما الحياة في جانبيها الروحي والمادي معاً ، هما علم وفكر قاصران وضررهما أكثر من نفعهما. ولعل الواقع المعاش يؤكد هذه النظرة بعد أن رأينا تخلي الحضارة المعاصرة عن الجانب الروحي، وشاهدنا انغماسها في سباق التقدم العلمي والتقني، بمعزل عن القيم الإيمانية الهادية، وتمسكها بالمذاهب النفعية لتحقيق مصالح خاصة، وها نحن نري المتقدم الذي يمتاز بصناعة الأفكار ، وهو في صناعتها يحتكر المادة الخام، ويمتلك الآليات، ويسيطر عل ى السوق المفتوحة لنشر بضاعته من الفكر وثماره الحضارية، نراه قد فشل فشلاً ذريعًا في إدارة حضارته إلى الحد الذي اصبحت فيه هذه الحضارة نفسها مصدرتهديد لحياته، قد يفضي إلى فنائه، كما لم تحقق دراساته

---

(1) «البيئة من منظور إسلامي»، الدكتور صالح محمود وهبي، بإيجاز عن صفحات مختلفة.

المستقبلية النجاح المطلوب في تقدير التحديات التي يملي مواجهتها ذلك الفكر المادي ، ويشترطها ازدهار حضارته المزعومة ، وقد تجلي هذا الفشل في أثناء وبعد مؤتمري القمة العالمية قمة الأرض في ريو عام 1992 م وجوهانسبرج عام 2002م.

أما البيئة الصحيحة التي يتصالح فيها الفكر مع الواقع في كنف الإيمان فهي الأقدر على بناء صرح الحضارة المتوازنة وفق قيم وتشريعات حكيمة تنظم الحياة في كل جوانبها ومرافقها ، وفي إطار التصور الإسلامي لقضايا الوجود الكبري نجد أن المنهج الإسلامي الرشيد يوفر للمجتمع الإنساني أهم مقومات النظر السليم في التعمل مع البيئة المسخرة لهم من قبل الله سبحانه وتعالى، دون أدني تناقض بين الفكر والواقع. وذلك لأن منطلق التقويم في علاقة الإنسان بالبيئة يعتبر الأساس العقدي لشرح الوجود الكوني وبيان الغاية من الوجود الإنساني.

ولقد رتب القرآن الكريم العلاقة الصحيحة بين الإنسان والكون البيئة في معرض الحث على النظر فيهما، وصولاً إلى الحق المطلق الذي هو في النهاية غاية كل إنسان عاقل، وذلك في قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: 53].

ولعل من يتأمل هذه الآية الكريمة يجدها تلفت النظر أولاً إلى الكون والبيئة الذي هو أول مايبصره الإنسان حين يفتح عينيه، فهو الينبوع الأول للإيمان ، وهو المسرح الأول للفكر، والذهول عنه سقوط إنساني ذريع، وحجاب عن الله غليظ، وعجز عن وصايا القرآن التي تكررت في عشرات السور لتبصرة العقول بالدلائل الموجودة في كل شئ، تدل على الله وتشرح أوصافه الجلية ، ثم ثني الترتيب القرآني المعجز بالإنسان المنوط بعملية التفكير فلسفياً وعلميًا في قضايا الوجود الكبرى، والمكلف بتحقيق أمانة الاستخلاف في الأرض ب إعمارها وترقية تنمية الحياة عليها، وانتهى الترتيب القرآني في الآية الكريمة بقضية الألوهية التي عرفت قديمًا بالفلسفة الأولي

أو العلم الأعلى. ومادام الإنسان هو محور هذه القضايا الثلاث الرئيسة، فالواجب عليه أن يعرف حقيقة مكانه في هذا الوجود، وعلاقته بالكون ومن فيه وعلاقته بخالق الكون والحياة الذي حمله أمانة الاستخلاف بتطبيق أوامره ونواهيه على مسرح الأرض، وهو في الحقيقة مسرح البيئة بمستوياتها المختلفة أو مسرح الكون بأكمله ولعل التعبير عنه بالأرض في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً.. ﴾ [البقرة: من الآية 30] مبعثه أن الإنسان ألصق بها من غيرها. فيكون الكون بذلك في مقام الوسيلة التي يحقق به الإنسان غاية وجوده، وهي غاية الاستخلاف القائم على التوحيد الخالص، بتعمير الأرض وتزجية معاش الناس فيها، وتحقيق تمام التمكين عليها والانتفاع بخيراتها، وحسن التعامل مع المسخرات وبناء علاقة سلام معها لأنها مخلوقات تسبح بحمد الله أو رزق لابد من حفظه وصيانته، وكذلك بإقامة علاقة مع بني الإنسان في كل مكان، أساسها الأخوة والألفة وحب الخير والدعوة إلى كل مايحقق سعادة الدنيا والآخرة.

ولقد صور القرآن الكريم في كثير من آياته حقيقة هذه العلاقة الحميمة بين الإنسان باعتباره أحد مكونات البيئة وعناصرها، بل هو المؤهل للإفادة من بقية المكونات والعناصر بما منحه الله من خصائص وملكات ومميزات تجعله الكائن الحضاري الوحيد على حد علمنا، وبين البيئة باعتبارها الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ولايستغني عنه لاستمرار حياته، و أخبرت هذه الآيات الكريمة بأن كل مكونات البيئة في هذ الكون الفسيح قد أعدها الخالق اللطيف لتكون على أعلى درجة من الصلاحية لاستقبال الحياة ولكفالة الأحياء. فأقوات الأرض مقدرة في تربتها وجوفها وأجوائها منذ خلقها الله سبحانه وتعالى وأعمل فيها حكمته حتى أصبحت مهيأة لاحتضان الأحياء و إقامتهم، ولايزال البشر عيالاً على هذه المدخرات يكتشفون منها كل يوم جديداً بإذن الله، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا

فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ [لقمان:20].

كما أن السنة النبوية المطهرة تزخر بما يؤكد هذا التصور الإسلامي لعلاقة المودة الصافية بين الإنسان وماتحتويه بيئته من موجودات حية وغير حية ، وإليكم بعض الأمثلة الحية عن تلك العلاقة التناغمية الرائعة:

1. لعل أهم ما يذكر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجال تبيان حال الاختلالات المتوقع حصولها في حال عدم تطبيق شرع الله هو حديث السفينة. فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا)[1].. ومعنى (القائم على حدود الله) أي المستقيم مع أوامر الله تعالى ولا يتجاوز ما منع الله تعالى منه والآمر بالمعروف الناهي عن المنكر وأما (الواقع فيها) فهو التارك للمعروف المرتكب للمنكر . وكلا الصنفين يدخلان ضمن أصل العلاقة الإسلامية برؤوسها الثلاث (الخالق- الإنسان- البيئة). (استهموا) أي اقترعوا ليأخذ كل منهم سهمًا أي نصيبًا. (أخذوا على أيديهم) منعوهم من خرق السفينة [2]. والحديث في تشبيهه العظيم لهو أعظم تمثيل لحال بيئتنا اليوم دون أدنى شك، فسفينتنا الأرض نحن شركاء فيها إن لم نعين بعضنا البعض على اجتناب خرقها هلكنا جميعاً.

---

(1) صحيح البخاري [جزء 2 – صفحة 882 ، رقم 2361، وجاء برقم 2540 كذلك]

(2) انظر معنى الحديث برقمه في الفتح.

2. كان الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم– يرى الهلال فيستقبله بفرح وهو يقول (ربي وربك الله)[1].

3. كان يقول عن جبل أحد وهو يدلــله تدليل الصديق: (هذا جبيل يحبنا ونحبه)[2] فيخلع عليه الحياة ويشعر بالحب منه كما يشعر بالحب له.

4. وقال أيضًا في النخل: (أكرموا عمتكم النخلة)[3].

5. وكان – عليه الصلاة والسلام– رحيماً بكل شيء حوله حتى بالحيوان والحشرات بل حتى بالجماد . فعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال : كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة (الحمره طائر) معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش (أي ترفرف) فجاء النبي – صلى الله عليه وسلم– فقال " من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها " ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال " من حرق هذه ؟ " قلنا

---

(1) الحديث في سنن الترمذي [جزء 5 – صفحة 504]، (عن طلحة بن عبيد الله : أن النبي – صلى الله عليه وسلم– كان إذا رأى الهلال قال اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله)). قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب ، سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، أبو عيسى محمد الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1994م.. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(2) صحيح البخاري [جزء 2 – صفحة 539]. وأخرجه مسلم في الحج باب أحد جبل يحبنا ونحبه . وفي الفضائل باب في معجزات النبي – صلى الله عليه وسلم– رقم 1392.. انظر المصادر.

(3) الحديث في مسند أبي يعلى [جزء 1 – صفحة 353]، (عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجر يلقح غيرها. وقال : رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : (أطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فالتمر وليس من الشجر أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران)، مسند أبي يعلى الموصلي مع الفهارس، أبي يعلى الموصلي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1998م.. قال حسين سليم أسد : إسناده ضعيف. ولئن كان الضعف في السند فإن المتن يصدقه خلقه – عليه الصلاة والسلام– وسعة قلبه الشريف – صلى الله عليه وسلم–.

نحن قال " إنه لاينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار "[1]. وعن عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– يقول: (كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل فكان النبي – صلى الله عليه وسلم– إذا خطب يقوم إلى جذ ع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار حتى جاء النبي – صلى الله عليه وسلم– فوضع يده عليها فسكنت)[2].

فذلك منه تعبير عن وشائج الألفة بين الإنسان وعناصرالبيئة، ألفة نبتت جذورها من الوحدة المتعددة المظاهر بين الإنسان والكون با عتبارهما معلولين للوجود الالهي الأزلي الأبدي، وأثراً من آثاره، ومن البين أن هذا الشعور بالقربى يلقي في النفس بعداً إيمانياً يزيد من انفساحها للكون والإ قبال على التعامل معه بكل الطاقات الإبداعية.

من ناحية أخر ى يدعونا كتاب الإسلام الخالد إلى تأمل كتاب الكون الجميل الصفات العجيب التكوين والتلوين يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [فاطر: 27]. وإن دعوة العلماء إلى تأمل الجمال الكوني هي في حقيقتها دعوة إلى التفوق في مجال البحث العلمي النافع بدراسة ظواهر الكون والحياة للإفادة منها في تطوير حياة البشر وفهم أسرار الوجود.

ومن المنطقي أن هذا الجمال الكوني المقصود قصداً في خلق الكائنات بعد يقابله بعد جمالي في العلاقة بين الإنسان والبيئة . فالمتأمل في السماء ومايدور فيها من كواكب

---

(1) سنن أبي داود [جزء 2 – صفحة 61]، قال الشيخ الألباني : صحيح.. وانظر مختصر سنن أبي داود ومعه معالم السنن وتهذيب ابن القيم، زكي الدين عبد العظيم المنذري، تحقيق مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2001م..

(2) صحيح البخاري [جزء 3 – صفحة 1314]، أبو عبد الله بن اسماعيل البخاري الجعفي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2001م..

وماينشر فيها من أفلاك يجب ألا يغفل عن زينتها التي نبه إليها الحق في قوله تعال ى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحجر: 16].

وعند النظر إلى الأنعام من زاوية فوائدها المادية وقيمتها كثروة حيوانية يجب أن نحافظ على الصورة الجمالية التي عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [النحل: 5-6]. ويذهب بعض العلماء إلى الحد الذي يجدون فيه أن النظر البليد إلى الأرض والسماء دون إحساس بالجمال هو نوع من المعصية ينبغي ان نتوب عنه.

ولما كان الجمال مقصود اً قصداً في خلقة الكون، وكان البعد الجمالي ضرورياً في علاقة الإنسان بالبيئة، فإن مايحدث في عصرنا من أشكال التلوث البيئي المختلفة يجب النظر إليها على أنه اعتداء أثيم على توازن البيئة المحكم وتشويه متعمد لشكلها الجمالي، ومن ثم يكون العمل على حماية البيئة من مختلف أشكال التلوث، وإلابق اء على الجمال في صفحات الكون مطلباً اسلامياً عزيزاً تستثار لأجله الهمم.

وهكذا نر ى أن البيئة ــ من المنظور الإسلامي ــ مرتبطة بتحمل الإنسان ــ دون غيره من المخلوقات لأمانة الخلافة في الأرض وترقية الحياة عليها حتى يستكمل حكمة الله من خلقه وخلقها، بعد أن يسخر ل ه كل مافي الكون من نعم ظاهرة وباطنة لينتفع بها ويمجد بانتفاعها رب العالمين، ولايكون الإنسان جديرًا بحمل الأمانة إذا أساء استعمال النعم المسخرة له ، أو تصرف فيها على نحو غير مشروع، جرياً وراء منفعة خاصة أو استسلاماً لأنانية مقيتة فالأرض بخيراتها وثرواتها مسخرة لخير الناس أجمعين وهي تحوي من الكنوز ما يكفي البشرية منذ ظهورها وحتى زوالها ولكن طمع البشر وبخلهم وأنانيتهم هي المانع الأول والأخير لتوزيع خير الله على عباده دون تمييز، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرحمن:

10]، وقال تعالى: ﴿... كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡ ..﴾ [الحشر: من الآية 7].

والإنسان مطالب بالعمل على إظهار عظمة الخالق عن طريق إلانتفاع ا لإيجابي بكل المسخرات، قال تعالى: ﴿..... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾ [هود: من الآية 61]، أي جعلكم عماراً تعمرونها وتسكنون بها، وهذا لا يتأتي ــ بحكم الإسلام ــ إلا بأمرين أولهما أن تبقي الصالح على صلاحه ولاتفسده ، والثاني أن تصلح مايفسد وتزيد اصلاحه ولاشك أن في الأ مرين خير ضمان لحماية البيئة وسلامتها، وتحقيق التنمية واستدامتها.

إن افتقار البشرية لهذا البعد الإيماني والشعور النفسي القائم على المعرفة الصحيحة لطبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة ، كما يعرضها المنهج الإسلامي المتفرد، ه و الذي يدلنا على طبيعة الحرب التي شنه ا الإنسان على نفسه في غمرة انشغاله بثورة العلم والتقنية دون أن يفطن إلى آثارهما السلبية، فهي حرب ضد الحياة والتنمية على كوكب الأرض، والإنسان المتورط فيها هو ذاته الذي يسعي جاهدًا لأن يكسبها، ولكن هيهات هيهات ﴿..إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب: من الآية 72][1].

أما الأمر بالتوازن وعدم الإخلال بالتوازنات البيئية في الكون فلقد كان للٍإلام فيه أمراً عجباً. يقول تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩﴾ [الرحمن:

---

(1) عن بحث (البعد الإيماني لعلاقة الإنسان بالبيئة)، د أحمد فؤاد باشا، نائب رئيس جامعة القاهرة، نشر في جريدة ا لاهرام السنة-126 العدد 42437، بتاريخ الخميس12 من ذى الحجة 1423 هــ، الموافق 13 فبراير2003م، بتصرف.

7-9]. الميزان الأول هو ميزان وقوانين الكون والميزان الثانية هو ميزان وقوانين الأرض وبيئتها والميزان الثالثة هو الميزان الاقتصادي ، فهنا إشارة إلى التوازن الذي خلقه الله تعالى للكون والأرض ومنه ما يطلق عليه علمياً بالتوازن البيئي.

يقول المفسرون في هذه الآية الكريمة: ﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ أي العدل، عن مجاهد وقتادة والسدي أي وضع في الأرض العدل الذي أمر به يقال وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا أي ألقاه . وقيل على هذا الميزان القرآن لأن فيه بيان ما يحتاج إليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن وقتادة أيضاً . وقال الضحاك هو الميزان ذو اللسان الذي يوزن به لينتصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الأمر بالعدل يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ..﴾ والقسط العدل. وقيل هو الحكم وقيل أراد وضع الميزان في الآخرة لوزن الأعمال وأصل ميزان موازن . ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾ موضع أن يجوز أن يكون نصباً على تقدير حذف حرف الجر كأنه قال لئلا تطغوا كقوله تعالى : ﴿..يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ..﴾، الآية، ويجوز ألا يكون لـ أن موضع من الإعراب فتكون بمعنى أي وتطغوا على هذا التقدير مجزومًا كقوله تعالى : ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ﴾، الآية، أي امشوا والطغيان مجاوزة الحد ، فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ، ومن قال إنه الميزان الذي يوزن به قال طغيانه البخس . قال ابن عباس أي لا تخونوا من وزنتم له وعنه أنه قال يا معشر الموالي وليتم أمرين بهما هلك الناس المكان والميزان ، ومن قال إنه الحكم قال طغيانه التحريف ، وقيل فيه إضمار أي وضع الميزان وأمركم ألا تطغوا فيه . وأقيموا الوزن بالقسط أي افعلوه مستقيًا بالعدل ، وقال أبو الدرداء – رضي الله عنه – أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل ، وقال ابن عيينة الإقامة باليد والقسط بالقلب. وقال مجاهد القسط العدل بالرومية ، وقيل هو كقولك أقام الصلاة أي

أتى بها في وقتها وأقام الناس أسواقهم أي أتوها لوقتها أي لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل. ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ ولا تنقصوا الميزان ولا تبخسوا الكيل والوزن وهذا كقوله جل وعلا: ﴿..وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ ...﴾، الآية، وقال قتادة في هذه الآية اعدل يابن آدم كما تحب أن يعدل لك وأوف كما تحب أن يوفى لك فإن العدل صلاح الناس، وقيل المعنى ولا تخسروا ميزان حسناتكم يوم القيامة فيكون ذلك حسرة عليكم. وكرر الميزان لحال رءوس الآي وقيل التكرير للأمر بإيفاء الوزن ورعاية العدل فيه. وقراءة العامة تخسروا بضم التاء وكسر السين. وقرأ بلال بن أبي بردة وأبان بن عثمان تخسروا بفتح التاء والسين وهما لغتان يقال أخسرت الميزان وخسرته كأجبرته وجبرته وقيل تخسروا بفتح التاء والسين محمول على تقدير حذف حرف الجر والمعنى ولا تخسروا في الميزان)[1].

فكانت الميزان الأولى ميزان السماوات أي قوانينها ونظمها فقد ارتبطت برفع السماوات ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا..﴾، والميزان الثانية تتعلق ببيئة الأرض ونواميسها وقوانينها فالمخاطبون هم أهلها من الجن والإنس فأمروا بعدم الطغيان والفساد في هذه البيئة: ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾ ومن ذلك إقامة العدل والقسط وغير ذلك، وجاءت الميزان الثالثة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ لتبين أهمية التعامل الاقتصادي والميزان التجاري للأفراد والمجتمعات ليتبين لنا اهتمام الاسلام بالاقتصاد ودوره الشمولي والحيوي في إقامة الدول والمجتمعات ورفعها لخيري الدنيا والآخرة أو انحطاطها وتخلفها، فشملت الآية كل أنواع التوازنات، والله تعالى أعلم.

---

(1) تفسير القرطبي (ج: 17 ص: 154–155).. تفسير الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله ابن فرج الأنصاري القرطبي، 11 مجلد، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2005م.

ولعل المتدبر لما يحصل اليوم يجد أن تلك الآيات الكريمات من سورة الرحمن تعطينا حقيقة هذا الترابط الوثيق بين الفساد العام في الكون وبيئة الأرض بشكل عام وبين الفساد الاقتصادي الذي كان محور حديثنا عنه في الفقرة السابقة وما يعضده كذلك تلك الآيات الكريمات من قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: 41] والكسب كل عمل ونشاط أدى لذلك الفساد سواء أكان عقائدياً أو فكرياً أو أو أخلاقياً أو اقتصادياً بما يدخله جميعاً في منظومة الإسلام العامة آنفة الذكر (الخالق – الإنسان– البيئة).

فنفس الآيات السابقة من سورة الرحمن: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرحمن: 7–9]، التي تقسم الميزان إلى أنوا عه التي بيناها، تؤكد على أن الطغيان والفساد والتلوث في الميزان الاقتصادي هو سبب كل طامة وكارثة تحصل لبني البشر. والتاريخ يحدثنا بأن أغلب الكوارث والحروب والدمار الذي حصل لأمم الأرض عبر التاريخ كان بسبب عدم التوزيع العادل للثروات التي منحها الله تعالى للبشرية من كنوز ومعادن وثروات وخيرات ومياه وزروع وغير ذلك، فنشبت الحروب جراء أطماع أو فقر وحاجة وما إلى ذلك من أسباب أغلبها اقتصادي.

لذلك عبرت الآيات الكريمات من سورة الرحمن أن الميزان الاقتصادي هو سبب العدل والرحمة والتعاون بين الشعوب والأمم، وعكسه الطغيان في هذا الميزان هو سبب لكل كارثة . والطغيان في الميزان هنا هو التلوث الاقتصادي أو الفساد الاقتصادي الذي تعضده آيات أخرى منها ما جاء في سورة المطففين، وهم ثلة من التجار يبخسون في الميزان بالزيادة والنقصان حسب أهوائهم ورغباتهم ومصالحهم . فقد وصفتهم الآيات في بداية السورة بأنهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ

يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾﴾ [المطففين: 2-4]. فجاءهم التحذير والوعيد مسبقاً بقوله تعالى في بداية السورة : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾ [المطففين: 1]. وقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾، الآية، وهو نهاية في ذمهم . ومعناه : ألا يكون منهم ظن لذلك تنبيها أن أمارات البعث ظاهرة [1].

(قال النسائي وابن ماجه عن ابن عباس قال : لما قدم النبي – صلى الله عليه وسلم– المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ﴾ فحسنوا الكيل بعد ذلك. وقال ابن أبي حاتم : عن هلال بن طلق قال : بينما أنا أسير مع ابن عمر فقلت : من أحسن الناس هيئةً وأوفاهم كيلاً أهل مكة أو أهل المدينة قال : حق لهم أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ﴾. وقال ابن جرير : عن عبد الله قال : قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل قال : وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المطففين: 1-6]، والمراد بالتطفيف ههنا البخس في المكيال والميزان إما بالإزدياد إن اقتضى من الناس وإما بالنقصان إن قضاهم ولهذا فسر

(1) مفردات القرآن { جزء 1 – صفحة 935 }.. مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2007م.

تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ..﴾ أي من الناس، ﴿.. يَسۡتَوۡفُونَ ﴾ أي يأخذون حقهم بالوافي والزائد، ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾ أي ينقصون والأحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعديًا ويكون هم في محل نصب ومنهم من يجعلها ضميرًا مؤكدًا للمستتر في قوله كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه وكلاهما متقارب .

وقد أمر الله تعا لى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾، الآية، وقال تعالى : ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ ﴾، الآية، وقال تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا.﴾، الآية، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴾، الآية.

وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال ثم قال تعالى: متوعدًا لهم : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ ﴾ أي ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب من خسر فيه أدخل نارًا حامية ؟ وقوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ أي يقومون حفاةً عراةً غرلاً في موقف

صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه)[1].

ومن هنا جاء التحذير القرآني لأمة الإسلام أن توزع خيراتها بين أهلها كي لا تكون دولة بين أغنياءها: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: 7]. كما شرع الزكاة فريضة تؤخذ من أغنياء الأمة لترد إلى فقراءها كنظام اقتصادي فعال لو طبقه العالم اليوم لارتاح الناس من الضرائب التي قصمت ظهورهم تحت حجج شتى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: 60]. وحارب الإسلام الربا الذي أثبتت الأيام أن كل شقاء الدنيا من جراء تطبيقه ليزداد الغني غنى ويزداد الفقير فقراً، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ

(1) تفسير ابن كثير { جزء 4 – صفحة 622}.. تفسير القرآن العظيم، ابو الفداء ابن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2004م.

وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ
ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ
وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٍ
مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا
تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ ﴾ [البقرة: 275–279].

ولو طالعنا التاريخ الإنساني بشكل عام ومنه التاريخ الإسلامي لوجدنا أن نفس المشكلة الاقتصادية تتكرر في كل وقت وحين وهي حب المال والأطماع والجشع وحب السيطرة على الثروات والحكم والنفوذ، ولعلها من أهم أسباب التصارعات بين الأمم عبر التأريخ ومنهم المسلمين . بينما كلما كان توزيع الثروات عادلاً كانت الألفة والمحبة والتكاتف هو السائد وهو ما فعله سيدنا عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه– عندما أعاد توزيع الثروات وعدل في الميزان الاقتصادي فأعاد للأمة تلاحمها ومحبتها رغم فترة حكمه القصيرة.

والله تعالى يبين لنا أنه جعل لنا في الأرض من الخيرات والثروات ما يك في الناس ولكن المشكلة تكمن في طمع الناس وأنانيتهم كما بينا في الفقرة السابقة المتعلقة بالنظام المالي العالمي . وعلى ذلك الجزم من خلال تتبع حلقات التأريخ وصراعات الأمم أن الفساد الاقتصادي يعتبر أحد أهم صنوف الفساد في الأرض ومنه يتأتى كل شر وظلم وعدوان ورذيلة ، والحل يكمن في اتباع وصايا الإسلام في العدل الاقتصادي والسياسة الاقتصادية التي أرادها الله تعالى والابتعاد عما نهى عنه.

وللدخول في تفاصيل العلاجات والبدائل الإسلامية لموضوع التلوث البيئي وسوء استخدام الطاقة نبين أدناه بعض المقترحات العامة والأطر التنفيذية الشاملة تاركين تفصيل بعض التطبيقات والمشاريع إلى فصل لاحق من هذا الكتاب.

القواعد الإسلامية في هندسة استخدام البيئة والحفاظ عليها، قيم ومقترحات بيئية إسلامية

يبرز أمامنا عدداً من الوقائع التاريخية في الاهتمام الإسلامي بالبيئة، منها وجود مؤسسات لرعايتها في بعض الفترات، حيث إنها لم تترك لضمير الفرد فقط، ومن هذه المؤسسات مؤسسة الحسبة التي كانت تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع[1]. ومن الكتب التي صدرت في هذا الأمر كتاب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" للشيزري، ومما ذكره هذا الكتاب في شأن المراقبة على الخبازين ما ملخصه: (ضرورة رفع أسقف الحوانيت وأن يصمم فيها منافذ لتسريب الدخان حتى لا يتضرر الناس، وأن يقوم الخباز بمسح الفرن بخرقة نظيفة قبل وضع العجين فيه، وأن تنظف أوعية العجين جيدًا بالماء، وألا يعجن العجان برجليه الدقيق لأن في ذلك مهانة للطعام، وأن يضع العجان على فمه كمامة حتى لا يعطس في العجين، وأن يشد على جبينه عصابة حتى لا يسقط عرقه أثناء العجين، وأن يُخصص له شخص بمنشّة حتى يطرد عنه الذباب إذا كان يعجن بالنهار)[2].

ولقد كانت الرقابة على البناء ونوعيته لدى التجمعات السكانية في المدن من اختصاص موظف يسمى (المحتسب)، وكان عمله يشمل عدداً كبيراً من المهام، فهو

(1) بينا موضوع الحسبة في الملحق –ب–، وتراجع كتب مهمة في نظام الحسبة الإسلامي تطبيقاته وضوابطه مثل: الحسبة في الحضارة الإسلامية دراسة تاريخية– فقهية في الرقابة على الجودة الشاملة، هاشم يحيى الملاح، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ط/1، 2007م.. نظام الحسبة في الإسلام بين التنظير والتطبيق، موسى راضي نصار، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، مجلدين، 2002م.. معالم القربة في أحكام الحسبة، ضياء الدين محمد بن القرشي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط/1، 2001م.. الحسبة، ابن تيمية، ترجمة وتحقيق: صالح عثمان اللحام، دار ابن حزم، ط/1، 2004م.. الحسبة، عبد الحميد فايد، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط/1.. دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب، وزارة التعليم العالي، ط/1، 1988م.

(2) عن كتاب "رعاية البيئة في شريعة الإسلام" للدكتور يوسف القرضاوي، الفصل الأخير.

معين من قبل الحاكم لمراقبة شؤون السوق بما في ذلك الحفاظ على القواعد الأخلاقية والدينية، وكذلك مراقبة نوعية السلع والمنتجات، والسهر على النظافة في الشوارع، وتوزيع المياه، والرقابة على صناعة مواد البناء وجودته. وفي هذا الميدان الأخير تقدم لنا (الحسبة)، وهي مجموعة من الكتب الموضوعة لإرشاد المحتسب، العديد من المعلومات كعرض الحائط وقياسات العارضات بواسطة نماذج خشبية للتحقق من أن هذه القياسات لا تقع تحت الحد الأدنى المسموح به[1].

ذكر صاحب قصة الحضارة مسائل عديدة في تبيان مدى الروعة والتنظيم والنظافة التي كانت عليها بلاد المسلمين عندما كانت طرقاتهم وأسواقهم نظيفة تفوح بالمسك والعبير في الوقت التي كانت بريطانيا لا تعرف النظافة. وكذلك ما كان من قصة الرسول الذي أرسله شارلمان ملك الفرنجة إلى هارون الرشيد، وعند مجيئه تعجب لرؤية أمر غريب لم يعهده عندهم وهي الحمامات، فتعجب لنظافة هؤلاء القوم في وقت كانت رائحته الكريهة تفوح في قصر الرشيد فتزكم الأنوف. وأما عن النظافة في المستشفيات والاعتناء بالمرضى فحدث ولا حرج[2].

وأما عن نظافة العامة أنفسهم فتبرز لنا قصة أخرى ذكرها بعض المستشرقين وهي ذلك الرجل المستشرق الذي أتى إلى مدن الشرق المسلم في وقت انحطاط وتدهور حضاري، وإذا به يفاجأ أن قمامته التي يضعها في باب بيته يومياً تزال فتعجب من الأمر، وأراد أن يراقب الحال. وفي ليلة وهو كذلك قرر أن لا ينام وراقب الأمر فإذا بجاره يأتي بعيد صلاة الفجر ليأخذ قمامته فيرميها، فتعجب وسأل جاره عن السبب الذي دفعه لفعل هذا، فأجابه بإن الدين أمره بالجار وأنه يخاف الصراط يوم القيامة، فسأله وما الصراط فبين له القصة، فكتب لصاحب له متساءلاً : (هل استطاعت كل فلسفاتنا أن تعطينا وازعاً ذاتياً يقيم سلوكنا كما عند المسلمين من أمر الصراط؟!.).

---

(1) موسوعة تاريخ لعلوم العربية، الجزء الثالث، الهندسة المدنية، ص 978-981، بإيجاز وتصرف.

(2) راجع موسوعة تاريخ لعلوم العربية، الجزء الثالث، الطب.

ولقد بينا في كتب سلسلتنا (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم – كتاب هندسة العمارة وكتاب الهندسة المدنية وكتاب هندسة المياه والري وكتاب هندسة التربة والهندسة الزراعية- الشيء الكثير عن أهمية تنظيم المرافق العامة مما أسهم في بناء بيئة نظيفة في زمن الخلافة الإسلامية وفي دول عدة . فقد استخدم المسلمون وسائل الاستفادة من الطاقات المائية والهوائية كالطواحين والمضخات الميكانيكية التي فصلنا أمرها في كتاب الهندسة الميكانيكية، وهي أساليب نظ يفة لا تلوث البيئة وتعطي نتائج طيبة تفي بأغراض المعيشة دون المساس بعذرية البيئة أو طمس معالمها كما نفعل اليوم، فياليتنا نعود لتلك الوسائل الفعالة بإدخال تطويرات لا تلوث البيئة وتؤدي عملها بكفاءة ويسر ودقة.

ومن يراجع تاريخ الإسلام في جميع عصوره وكذلك تفاصيل التشريع الإسلامي في جميع مجالات الحياة يجد روائع من القصص عن ترتيب ونظافة هذه المجتمعات على عكس ما صارت إليه مجتمعاتنا من تردٍ وعدم وعي بيئي بعد عصور التخلف والانحطاط الحضاري[1].

إن نظام المراقبة وتطبيقات التعليمات والأنظمة والمواصفات في الدولة الإسلامية كان متواجداً وفاعلاً من خلال ما عرف بالحسبة الذي عرف لأول مرة في العصر العباسي وهو تطوير لفكرة والي السوق التي عرفت في العصرين النبوي والراشدي ومن ثم الأموي . فللسوق كوسط اجتماعي تلتقي فيه جماعات وفئات متغايرة تتأثر بالفكر الإسلامي في النواحي الاقتصادية والا جتماعية والدينية . ووظيفة المحتسب الرئيسة هي الأشراف على الأسواق والطرق وتنظيمها، وإزالة المعوقات عن الأعمال التجارية، والحفاظ على أمن وسلامة طرق المدينة وأسواقها ونظافتها، ومراقبة

---

(1) راجع صفحات مختلفة من كتب (تاريخ الإسلام) –4أجزاء–، د.حسن ابراهيم حسن، دار الجيل. (المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية)، د. عبد الكريم زيدان، 11جزء، مؤسسة الرسالة. موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، خديجة النبراوي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2006م، ط/1.. موسوعة تاريخ العلوم العربية– 3 أجزاء – ، إشراف رشدي راشد و ريجيس مورلون، صادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان ، بيروت – لبنان، 1997م.

الأسعار والمكاييل والموازين والإشراف الصحي على المطاعم، وباعة السمك والدجاج، ومنع الغش والتدليس، وعدم السماح لكل أمر يؤدي إلى الأضرار بمصلحة الفرد والجماعة حسب القاعدة الإسلامية: (لا ضرر ولا ضرار) فالسوق يتأثر بالخلقيّة الدينية والإطار الثقافي للمجتمع[1].

يشير الدكتور يوسف القرضاوي إلى أن المحافظة على البيئة داخلة في مقاصد الشريعة الخمسة وهي حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال، فإفساد البيئة إضاعة لمقاصد الشريعة الإسلامية. وقد تناول فضيلته في كتاب (رعاية البيئة في شريعة الإسلام) ركائز أساسية لرعاية البيئة منها:

1. التشجير والتخضير : فهناك آيات وأحاديث كثيرة تحض على الغرس والزرع، يقول النبي – صلى الله عليه وسلم– "من نصب شجرة، فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر، فإن له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل" (رواه أحمد).
2. العمارة والتثمير: ويأتي في مقدمتها إحياء الأرض الموات وتثمير الثروات وتنمية الموارد، ولذا اعتبر الإمام الرا غب الأصفهاني في كتابه "الذريعة إلى مكارم الشريعة" أن عمارة الأرض أحد مقاصد خلق الإنسان، ولذا كان الحديث النبوي "من أحيا أرضاً ميتة فهي له " (رواه أبو داود)، حتى إن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – انتزع أرضاً كانت مقطوعة إلى رجل يسمى "بلال بن الحارث المزني" لأنه لم يستطع أن يعمرها كلها.
3. النظافة والتطهير: على اعتبار أن الطهارة من شروط بعض العبادات خاصة الصلاة، ولذا شاعت بين المسلمين مقولة "النظافة من الإيمان" وأوردت السنة النبوية آداباً كثيرة في النظافة والاغتسال والتطيب وحسن

(1) فضلاً عما بيناه في الملحق –ب– يمكن للقارئ الكريم العودة لمصادر مهمة في الحسبة مبينة في المصادر.. كذلك تراجع كتب: تأصيل فقه الأولويات؛ دراسة مقاصدية تحليلية، محمد همام عبد الرحيم ملحم، تقديم: محمد نعيم ياسين، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط /1، 2007م. وكتاب (في فقه الأولويات)، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط/1، 2000م

الهندام خاصة في المناسبات العامة كصلاة الجمعة والعيدين، وحثت على إماطة الأذى عن الطريق.

4. المحافظة على الموارد: يقول تعالى: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف : 56]، والإفساد يكون بالإتلاف وتفويت المنافع أو التلويث والإسراف، أو بإشاعة الظلم والباطل والشر، ولذا نهى النبي – صلى الله عليه وسلم– رجلاً أن يذبح له شاة حلوباً . وفي السنة إنذار لمن يقتل طيراً أو حيواناً بغير منفعة أو يتخذ شيئاً فيه روح هدفاً للتصويب عليه، كما أن بها حثاً على الاستفادة بجلد الميتة.

5. الحفاظ على صحة الإنسان: وهناك حشد كبير من النصوص الإسلامية من قرآن وسنة يدعو إلى الحفاظ على الصحة بدءً من الدعاء بطلب العافية ومروراً بالوسائل التي تجلب العافية وتحافظ على سلامة البدن وحتى التعامل الإيجابي مع المرض في حالة وقوعه والمحافظة على البيئة حتى لا تنتقل عدوى المرض إلى الآخرين.

6. الإحسان إلى البيئة: والإحسان كلمة تتضمن الإتقان والشفقة والإكرام، فقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم– يُميل للقطة الإناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها، وكان بعض الخلفاء مثل عمر بن عبد العزيز يكتب إلى عماله ألا يُحمّلوا الإبل فوق ما لا تطيق وألا يضربوها بالحديد. ومن روائع حديث فقهاء المسلمين في الإحسان إلى الطير ما كتبه العلامة المغربي "أبو علي بن رحال" من ضرورة أن يتفقد الإنسان الطير الذي يحبسه كما يتفقد أولاده، وأن يضع لهذا الطير خشبة ليركب عليها الطائر حتى لا يضر

الوقوف على الأرض بالطائر (لاحظ هنا مراعاة البعد النفسي والبيئي للطائر في شريعة الإسلام).

7. المحافظة على البيئة من الإتلاف : ونهى الإسلام عن الإتلاف البيئي للأحياء والنباتات والعمران سواء كان ذلك بدافع القسوة أو الغضب أو العبث أو الإهمال أو في العمليات الحربية؛ لذا كان المؤرخ الفرنسي "جوستاف لوبون" يقول: "ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب" ومن يتابع الجرائم الأمريكية في فيتنام والعراق يتأكد من رحمة المسلمين بغيرهم وبالبيئة أثناء العمليات العسكرية والحروب.

ولو أردنا وضع أهم القواعد التشريعية الإسلامية التي يمكن أن تبنى عليها جميع الاجراءات والتدابير لحماية البيئة والمحافظة عليها فيمكن أن نوجزها بالنقاط أدناه[1]:

1. إن الحفاظ على البيئة واجب ديني على كل فرد كما أنه واجب اجتماعي عام يقوم به كل مسؤول في مؤسسته.
2. من الضروري التوعية الدينية الإسلامية لضمان حماية البيئة.
3. يجب أن تشمل التوعية الدينية الإسلامية جميع أفراد المجتمع على مختلف مستوياتهم من خلال الدعوة إلى عدم التبذير في استهلاك الموارد واتلافها دون وجه مشروع، وحماية البيئة من التلوث.
4. إن العناصر البيئية ملك بين أفراد الجماعة المسلمة ومن حق ك ل فرد الانتفاع منها بقدر حاجته دون الاضرار بحق الآخرين، وتقدر الحاجة هنا بقدرها كماً وكيفاً.
5. من واجب الحاكم درء المفاسد لتحقيق المصالح العامة للمجتمع.
6. مصلحة الجماعة والأمة فوق مصلحة الفرد.

---

(1) بإيجاز عن بحوث عدة منها كتاب (رعاية البيئة في شريعة الإسلام) للدكتور يوسف القرضاوي. كتاب (البيئة من منظور إسلامي)،د. صالح محمود وهبي .. (النظام الزراعي في القرآن والسنة ومظاهر إعجازه)، بقلم المهندس الزراعي محمد عبد الهادي الشيخ، صفحات مختلفة.

7. للدولة الحق في اجراء جميع ما تراه مناسباً لمنع الضرر أو تقليله قبل حدوثه مع قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) أو سدّ الذرائع المؤدية إلى الفساد.
8. إن حماية البيئة مسؤولية كل إنسان فهو مسؤول أمام الله عن نفسه وعن أسرته ومجتمعه. يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وقال أيضاً – صلى الله عليه وسلم–: «النظافة شطر الإيمان»، الأحاديث.
9. تطبيق قوانين حماية البيئة ومنع كل الجهات من إلقاء الملوثات دون معالجة في البيئة المحيطة.
10. استخدام المكافحة الحيوية المتكاملة، وعدم استخدام المبيدات إلا في الحالات الضرورية.
11. مراقبة جميع المواد الضارة المؤدية للتلوث ومعرفة كميتها في التربة.
12. اتباع الدورات الزراعية بشكل علمي ومدروس.
13. معالجة المياه العادمة قبل استخدامها في الري.
14. المحافظة على النظام البيئي الطبيعي والغطاء النباتي.
15. ترشيد استخدام الاسمدة الكيميائية، مع التركيز على استخدام الاسمدة العضوية.
16. ان موقف الدين ا لإسلامي من تعاطي الخمور والمخدرات والتمسك بالقيم والمبادئ الإسلامية من الأ مور المساعدة على تقليل تعاطي الخمور والمخدرات، كما أكد الأطباء أن العلاج بالإيحاء الديني يساعد المدمن على التخلي عن المخدرات إذ تبين أن 83% من المدمنين المعالجين يفضلون الجلسات وربما يرجع ذلك إلى أن أهم سمة تميز شخصية المدمن هي قابليته للإيحاء. ويساعد الوازع الديني في تقوية الإرادة وتقبل العلاج وردع من عندهم الرغبة في الرجوع إلى المخدر، ومن توجيهات الإسلام

في موضوع تنشئة الأطفال التي تتفق مع مبادئ الإسلام ومقاصده وتكتسب أهمية بالغة في حمايتي صحتهم وسلوكهم من الأضرار والانحراف.

أ – وجوب معرفة الأبوين تعاليم الإسلام في موضوع تكوين الاسرة الصالحة وتربية الأولاد.

ب – التركيز على الجو الديني الإسلامي داخل الاسرة، والحرص على تشبع الطفل به، عاطفة وفكراً وممارسة، ويتم ذلك بتعويده على اداء الشعائر الدينية التعبدية، وبخاصة الصلاة، وعلى التأدب بآداب الإسلام وقيمه وفضائله.

ت – خلق جو من الاستقرار العائلي، والاطمئنان النفسي داخل الاسرة.

ث – تخصيص الوقت الكافي للعناية بالطفل، وإشعاره بالحب والعطف، وتلبية حاجاته المختلفة، والاجابة عن اسئلته.

ج – متابعة الحياة الاجتماعية والدراسية للأولاد.

17. الكف عن التمادي في التلاعب بالجينات والمورثات الجينية للمخلوقات وتقنين ذلك للضرورة القصوى.

18. تربية النشء على الوعي البيئي، وتبصيره بحقيقة الموقف الإسلامي الأصيل من البيئة ورعايتها، وتثقيف الجماهير عبر وسائل التثقيف المختلفة، وإيقاظ الضمير الديني في رعاية البيئة.

19. ضرورة إتاحة الفرصة أمام الضمير الاجتماعي المتمثل في الرأي العام ليمارس دوره في هذا الشأن، مع سن بعض القوانين والتشريعات التي تحافظ على البيئة من عبث العابثين، بالإضافة إلى إيجاد قنوات من التعاون الفعال مع المؤسسات الدولية والإقليمية المهتمة بالبيئة . إذ أن واجب الخلافة يقتضي أن نحافظ على البيئة دون تدمير أو استنزاف لنورثها للأجيال القادمة بيئة نظيفة سليمة قادرة على العطاء بدون تلوث. فلابد من

حسن استغلال البيئة فذلك عبادة والمحافظه عليها وصيانتها لتستمر إلى ما شاء الله تنتفع بها ا لبشرية كافة حتى يرث الله الأرض وم ن عليها، ومن ذلك :

- ❖ عدم استخدام المبيدات الحشرية بدرجة كثافة عالية
- ❖ الدعوة إلى الزراعة وحماية البيئة الحيوية وذلك بزراعة الحدائق والأشجار التي تنقي الهواء مما يعلق به من شوائب.
- ❖ تأصيل وتعميق التربية البيئية الإسلامية في كل ما يخص البيئة ومشكلاتها وكيفية المحافظة عليها على مستوي المناهج الدراسية في المدارس والجامعات وأيضاً تقوم بعض المدارس بعمل جماعة للبيئة ضمن جماعات النشاط المتواجده وأيضاً على مستوي وسائل الإعلام وكل ذلك لخلق جيل قادر على التعامل مع البيئة
- ❖ حظر استخدام مركبات الكلوروفلوركربون ويستخدم بدلاً منها مواد نافعة أخري مثل خليط من البيوتان والماء ويطلق عليه أسم أكواصول ولا تحتوي على الكلور والفلور
- ❖ استخدام مصادر الطاقة بشكل متوازن معتدل
- ❖ استخدام بنزين خالي من الرصاص
- ❖ اصدار قانون للعقوبات لحماية البيئة من التلوث.

20. وفي تقرير بعض النواحي التشريعية للنظام الزراعي في الإسلام، يقول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعۡرُوشَـٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ

حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرۡشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الآيات: 141– 142]. لقد بين تعالى أنه هو الذي أنشأ هذه الجنات والبساتين، إذن فهو الصانع الحقيقي، والصانع أدرى بصنعته وأحكامها وتشريعاتها. بعد هذا التذكير، شرّع الله بعض الأحكام التي تتماشى مع هذا النظام الزراعي التي من شأنها أن تحفظه من الهلاك والاضمحلال وتضمن نجاحه وديموميته وفاعليته. فبعد هذا النداء ولفت الانتباه، أمر الله عباده بخمسة أوامر تشريعية فيها من البلاغة والإعجاز ما يدعو للتبصر والاعتبار.

- ﴿.. كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ....﴾: أي أن الأكل لا يكون إلا عند تمام النضج والإثمار، فقد أثبت العلم الحديث أن القيمة الغذائية للثمرة لا تكون متوازنة إلا عند اكتمال النضج . فهناك من التفاعلات الكيميائية والإفرازات والتحولات الأنزيمية من لا تتم إلا بتمام النضج نذكر منها بالأخص زيادة نسبة السكريات عند تمام النضج. كما أن في هذا التشريع صيانة للمحصول من الغش والاحتكار من طرف التجار لأن الثمار في أول وقته يكون ثمنه أغلى.

- ﴿..وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ..﴾: حقه يعني زكاته كي يبارك الله لنا في هذه النعم ويحفظها من الزوال وتزيد وتنمو . وفي هذه الزكاة فوائد اجتماعية واقتصادية يطول شرحها وفي قصة أصحاب الجنة في سورة (ن) عبرة كبيرة لمانعي الزكاة. ودعني أتوقف هنا قليلاً عند "يوم حصاده" لأن الثمار سريعًا ما تتلف خاصة التي تحتوي منها على نسبة

عالية من الماء . وهناك العديد من العمليات والتفاعلات البيوكيميائية التي تحدث في الثمرة التي من شأنها أن تنقص من قيمتها الغذائية أو تقود إلى اتلافها بالعديد من الحشرات أو الفطريات . فكي تكون زكاة طيبة أمرنا أن نسرع بإخراجها قبل إتلافها . وفي هذا الإسراع أيضاً إشارة إلى توفير تكاليف الخزن، ففي يومنا الحاضر صار هذا النشاط ذو أهميّة اقتصادية كتقنيات التبريد والتكييف والتعبئة واللف وغيرها . وهناك عدة عوامل تتحكم في عملية الخزن : كالحرارة والرطوبة والتهوئة وصارت هذه التقنيات علمًا قائمًا بذاته.

❖ ﴿..وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ ..﴾: هناك من المفسرين من قال في الأكل وهناك من قال إن الأمر عام في كل شيء وهذا أقرب للصواب. ولنذكر في هذا السياق بعض مظاهر الإسراف في النظام الزراعي:

أ –الإسراف في الأكل: وما ينجر عنه من أمراض وتبلد الطبع.

ب – الإسراف في الأسمدة واستعمالها : لأن ذلك يحدث اضطرابات فسيولوجية للنبتة ويتسبب في تلوث البيئة والمياه مثل مادة النيترات التي أصبحت تـــهدد المياه الباطنية والسطحية.

ت – الإسراف في استعمال الأدوية والمبيدات: تسبب في تلوث التربة والمياه والهواء بهذه السموم القاتلة . كما أن الثمار صارت مسمومة بهذه المواد مما أدى إلى ظهور العديد من العوارض والأمراض نتيجة هذا الاستعمال المفرط للمبيدات. كما إن ا لإسراف في استعمال هذه المواد أدى إلى نقص المناعة الذاتية للنبات واكتساب الحشرات الضارة مناعة قوية ضد بعض المبيدات مما يستوجب استعمال مبيد آخر أكثر سميةً وأغلى ثــمناً ومن ثم الدخول في حلقة مفرغة تنهك المزارع من حيث المجهود والإنفاق :

مبيد◄مناعة◄ مبيد آخر◄ مناعة أقوى، وهكذا. كما أن الاستعمال المفرط للمبيدات يؤدي إلى إبادة كلية للحشرة الضارة وبالتالي إلى إبادة الحشرة المفترسة فيختل التوازن البيئي بين هذه الكائنات . لذا فإن الاستراتيجية العلمية الحديثة لمكافحة الحشرات تعتمد على الحد من المداوات الكيميائية وتعويضها بالمكافحة المندمجة حيث تلعب المكافحة البيولوجية دوراً هاماً . وفي هذا المجال ظهرت مدارس بأكملها متخصصة فيما يسمى بالزراعة البيولوجية للحصول على منتوج طبيعي غير ملوث بالمبيدات والأسمدة.

ث – الإسراف في السقي : يؤدي إلى تعفن الجذور والتربة وتؤخر موعد النضج وانتشار الأوبئة والحشرات الضارة . وهنا أشير إلى تطور وسائل الري التي تمكن من الاقتصاد في المياه مثل الري قطرة قطرة الذي يوفر نصف كمية المياه المستعملة للري.

ج الإسراف في استعمال الآلات الميكانيكية والآليات الثقيلة: لأن ذلك يسبب ضغط التربة خاصة عندما تكون مبللة . ونذكر أيضاً أن كثرة الحرث والإسراف فيه يؤثر على قوام التربة ويعرضها لكثر الانجراف ويكوّن طبقة من التربة غير نافذة للماء تؤثر سلباً على نمو النبات.

ح الإسراف في الاهتمام بكمية الإنتاج على حساب نوعية المنتوج : وأقصد هنا المحاصيل المعدّلة جينياً وما يمكن أن تسببه من كوارث بيئية وصحية. فقد ثبت في علم الجينات أن تطوير الجين المسؤول على كمية الانتاج يؤثر سلباً على جينات المقاومة للحشرات أو نقص المياه أو الملوحة.

إذن في هذه الدعوة من المشرّع لعدم الإسراف رؤية جديدة لزراعة متطورة ومتوازنة في نفس الوقت.

❖ ﴿..كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ..﴾: كرر الله سبحانه دعوته عباده للأكل بعد أن ذكر الأنعام وأن منها ما يركب ومنها ما يفرش للذبح كما أورده المفسرون في قوله تعالى: ﴿ حَمُولَةً وَفَرۡشًاۚ ﴾ داحضاً بذلك مزاعم من حرّموا أكل اللحوم. وتجديد النداء للأكل هنا ليس من باب الصدفة أو العبث حاشا لله، إنما فيه إعجاز من نوع جديد وهو الإعجاز الغذائي. فقد دعانا أولاً إلى أكل النبات، وثانياً إلى عدم الإسراف وثالثاً إلى أكل الحيوانات. وبهذا يكون القرآن الكريم قد أسس لعلم التغذية الذي يشهد تطورًا ملحوظًا هذه الأيام وما نراه من أمراض وآفات جراء سوء التغذية. فخلاصة التغذية السليمة في القرآن تعتمد على التوازن بين الاستهلاك النباتي والحيواني وعدم الإسراف. وهذا ما توصلت إليه الأبحاث الأخيرة في علم الطب . فالجسم بحاجة إلى كلا الجنسين من الأطعمة النباتية والحيوانية لأن كليهما يختص بأنواع محددة من الحوامض الأمينية والحوامض الدهنية الأساسية، والفيتامينات والمعادن وغيرها.

❖ وأيضاً في تحريم بعض الأطعمة مثل الميتة والدم ولحم الخنزير فوائد صحية وغذائية جد هامة، لذا قال الله" مما رزقكم الله" فما لم يحله الله في الأكل فهو يضر بصحة الإنسان مثل الخمور أيضاً.

❖ ﴿...وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾: وللشيطان لعنه الله أبواب كثيرة وخطوات كثيرة في المجال الزراعي لابد من الابتعاد عنها كي ينجح النظام الزراعي ويستمر، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

أ -تربية الخنزير.

ب – زراعة المخدرات والدخان وعنب الخمور وما ينجر عنها من كوارث صحية واجتماعية وأخلاقية.

ت – التعامل بالربا لتمويل المشاريع الزراعية. وهذه الطامة الكبرى التي دخلت مجتمعاتنا الإسلامية وقضت على الأخضر واليابس من اقتصادنا. الكثير من السياسات الزراعية في أوطاننا قد أخفقت إخفاقاً مشيناً بسبب هذه القروض الربوية . وهي خطوة خبيثة من الشيطان لفتح باب الحرب مع الله ورسوله : ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ... ﴾ [البقرة: 279]. فالحذر، الحذر من هذه الآفة الخطيرة وبهذه المناسبة أدعو الميسورين من هذه الأمة وأصحاب الأموال الطائلة إلى غلق هذا الباب الشيطاني وفتح باب من أبواب الله وهو القرض الحسن، لتشجيع الشبان والمحتاجين للاستصلاح الزراعي في إطار شرعي بعيداً عن الربا وعن خطوات الشيطان.

ث – تغيير خلق الله: كما قال تعالى على لسان الشيطان في سورة النساء: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ ..﴾ [النساء: من الآية 119]. مثل قضية الاستنساخ الحيواني والبذور المعدلة جينياً وما فيها من آثار سلبية على التنوع البيولوجي والتوازن البيئي. فالعديد من الحيوانات والنباتات باتت مهددة بالانقراض بسبب الانجراف الجيني.

تطبيق النموذج الإسلامي للبيئة

لعل مراجعة مستفيضة لما يجري لنا اليوم من تخبط وعشوائية من جهة وتدمير منظم للبيئة من جهة أخرى بحجج التنمية المستدامة والخطط التطويرية والتنموية تجعلنا نصل لحقيقة واحدة مفادها وببساطة أن الثروة الحيوانية والنباتية والبيئة البحرية وكذلك الإنسان كلها في خطر عظيم.

كما أن التلوث الناتج عن طريق رمي النفايات الصلبة والسائلة واستعمال المبيدات والأسمدة والمواد المشعة قد يلحق أضرارًا بالأوساط التي تعيش فيه ا هذه الكائنات المسخرة لخدمتنا. وقد نشر برنامج الأمم المتحدة للبيئة (PNUE) تقريره الثالث سنة 2002 حول المستقبل البيئي في العالم يتحدث فيه عن هشاشة الوضع بسبب تردي نوعية الهواء وتقلص الموارد المائية وتراجع التنوع البيولوجي. ويخلص بان الإنسانية تعيش حقبة حرج ة لأن الخيارات التي ستلجأ إليها ستحدد مصير الغابات والمحيطات والأنهار والجبال والنبات والحيوان وكل الأنظمة الحيوية بالنسبة للأجيال الحاضرة والمستقبلية[1].

لذلك فإنه من واجب المختصين التنبيه المستمر واستنباط الحلول الملائمة لمكافحة هذا التدمير الذي يحصل واعتباره أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وإلا فنحن أمام غرق لسفينتنا الأرضية لهوة سحيقة لا قيام بعدها كما بين لنا حديث السفينة الذي تنبأ به رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وبيناه آنفاً.

لعل من أبرز هذه الحلول مثلاً بناء نماذج بيئية مستقلة تحكمها نظم بيئية غير مدمرة بعيدة عن الاستخدام المتهور للسموم كاستخدام النموذج الإسلامي للبيئة وخصوصاً ما جاد به علماؤنا الكرام من مقترحات قيمة بيناها آنفاً لنبين للعالم الفارق بين بيئة رائعة خالية من السموم والتدمير وبين بيئة العالم المتحضر المتهور بتعريف اليوم.

---

(1) عن بحث (ظهر الفساد بما كسبت أيدي الناس)، أ.د الحسين زايد وأ.د عبد الكبير بلاوشـــــو. المقدم للمؤتمر السابع للإعجاز العلمي بدبي، بتصرف.

ومن ذلك أيضاً تقنين استخدام التكنلوجيا وتشريع قوانين بذلك، وكذلك تبسيط نمط العيش كما بينت البحوث الحديثة(1)، وهو ما متبع ليس في الدول الفقيرة حسب بل في بعض مناطق الدول المتقدمة . فإنك ترى في بعض جزر هذه الدول أو في بعض مقاطعاتها لا يسمح بمرور سيارة أو تشغيل محرك بل الاع تماد على الأنماط غير الملوثة للبيئة في كل شيء، وهي أمور اتبعتها دول مثل اليابان وفرنسا وسويسرا وتركيا وأثبتت نجاحاً طيباً.

فمثلاً يمكننا أن نستخدم طاقات نظيفة صديقة للبيئة تشغل المحركات والسيارات وغير ذلك مثل طاقة الهيدروجين أو طاقة الماء ضمن مبدأ قرآني يس تمد فكرته من آيات كتاب الله تعالى، وهو ما يسعى له المؤلف مع أخوة آخرين لتطبيق وتحقيق هذا المشروع مع مشاريع أخرى عديدة يتمنى أن تمد له يد العون لتحقيق حلم القرية الإسلامية للبيئة النظيفة ضمن مشروع متكامل لعصرية الدعوة تبناها المؤلف منذ وقت طويل ويسعى لاستقط اب المؤيدين لها . فمثلاً نقول أن في منطقتنا الإسلامية مناطق يمكن أن تجمع من الطاقة الشمسية في المتر المربع الواحد ما يمكن أن يشغل مولدات كهربائية ضخمة أكبر بعشرات المرات مما يمكن الحصول عليه خلال نفس المدة من مفاعل نووي ينتج الطاقة الكهربائية.

كما يمكننا مثلاً استخدام تلك الوسائل الرائعة التي استخدمها المسلمون في نقل الطاقة كالمضخات المائية والطواحين المائية والهوائية التي سنفصلها في كتاب الهندسة الميكانيكية ضمن سلسلة (لمحات هندسية) كبدائل ناجحة غير ملوثة للبيئة عن تلك التي نستخدمها اليوم لتسهيل حياتنا ولكنها في نفس الوقت تدمر بيئتنا وتنشر الأمراض وتقصر الطريق لانقراض أجيالنا ونحن لا ندري.

---

(1) انظر التفاصيل في كتابنا (علوم الهندسة البيئية في القرآن والسنة النبوية) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم. وانظر كذلك كتابنا (لسنا بمأمن) عن دار الكتب العلمية ببيروت.

هذا فضلاً عن تشجيع الأنماط الزراعية بشكلها الطبيعي دون استخدام نظم ري مؤذية للبيئة أو سمادات ومبيدات كيميائية، وكذلك محاربة التصحر لتوسيع رقعة الأراضي الزراعية مما يزيد الا نتاج ولا يدفع للبحث عن أنماط غريبة في الهندسة الوراثية تورثنا أمراضاً لم تكن في سابقنا بحجة هندسة الجينات واستخدام الأغذية المعاملة وراثياً كنمط حضاري متطور وكأن تعريف الحضارة القبول بكل ما يستجد دون تمحيص تحت شعار (لنجرب ثورة التقنيات الحديثة) لنصير دون أ ن نشعر حقلاً لتجارب يصب به كل جشع الإنسان وجهله وغروره.

ولقد أوصينا في كتابنا (علوم وهندسة البيئة في القرآن والسنة) ضمن سلسلة (لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية) الصادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم بضرورة تطبيق التوصيات الإسلامية في البيئة ومن أهم محاوره ا:

- ❖ الابتعاد عن الفساد الاقتصادي وسوء توزيع الثروات ومن ذلك الانتهاء عن الربا بكافة مسمياته وأصنافه واتباع طريق البيع الحلال الذي بينته شريعة الإسلام ولو على سبيل التجربة كبداية ليعلم العالم عظمة وعدل هذا النظام الرائع.
- ❖ الانتهاء عن التلاعب بالخلق والمخلوقا ت بحجة حل مشكلة الغذاء والعمل على استغلال الثروات الهائلة الموجودة طبيعياً لأنها كافية لو احسن الاستغلال والتوزيع وصدقت النوايا.
- ❖ الابتعاد عن المتاجرة بعقول الناس وأخلاقهم إعلامياً وفنياً وتقنياً لأن ذلك يؤدي إلى المزيد من التدمير والإفساد الاجتماعي والاقتصادي. ومن ذلك وعلى رأسه الابتعاد عن المتاجرة بالشهوات والملذات مثل عرض المرأة وجسدها أو تدمير عقول الأطفال بحقن الحقد والضغينة في رؤوسهم جراء ما يبث من سفاسف وأحقاد سواء في أفلام الدمى المتحركة أو الأفلام الأخرى والتركيز بدلاً من ذلك لكل ما يرقى بالعقل البشري ويسمو بروحه.
- ❖ حسن توزيع الأيادي العاملة وإيجاد حل لمشاكل البطالة.

- ❖ تعميم سياسة الفكر المتسامح المتعايش بين الأمم والأفراد بدل تعميم الفكر الإقصاءي الحاقد كما هو متبع في الفكر اليهودي الصهيوني الذي يعلم أبناءه كيف يقتلون الآخرين أو الفكر المتصهين الذي تتبناه حكومة المحافظين الجدد في الولايات المتحدة التي رفع شعار من ليس معنا فهو ضدنا، وبطبيعة الحال الفكر التكفيري أينما كان وأينما وجد.
- ❖ العمل على إيجاد حلول للطاقة تكون صديقة للبيئة وغير ملوثه لها.
- ❖ الحث على النظافة والنظام في كل مجال وحقل ومضمار.

ولقد تطرقنا لمشاريع وتطبيقات في فصل المشاريع والتطبيقات تتعلق بنظم البيئة والعمارة البيئية مستمدة من القرآن والسنة وتراث الأمة العظيم يمكن تطبيقها كواقع عملي.

المصادر والمراجع

والسيرة الذاتية للمؤلف

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الكتب

1. الإتصالات والإعلام، مايكل رايت، موكول باتل، ترجمة، تحقيق : مركز التعريب والبرمجة، الناشر الأصلي :Marshall Publishing ، سلسلة التطورات العلمية في القرن 21، الدار العربية للعلوم، ط/ 1، 2002م.
2. إتقان البرهان في علوم القرآن. د . فضل حسن عباس ط: الأولى. مطبعة دار الفرقان بعمان.
3. الإتقان في علوم القرآن–2 جزء–، الشيخ العلامة أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911 هــجرية رحمه الله تعالى، دار الكتب العلمية، ط/1، بيروت – لبنان، 1407هــ، 1987م.
4. الإحصاء الهندسي، د. ناجي توفيق والأستاذ رشيد عبد الرزاق الصالحي، مطبعة جامعة بغداد، ط/1، رمضان 1399هــ – 1979م.
5. إدارة الاولويات الاهم اول، ستيفن آر. كوفي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 1998م، ط/1.
6. الاستطاعة وعصرية الدعوة – الاستطاعة والتحفيز الذاتي في خدمة الدعوة، بحث الدكتور خالد العبيدي، مقدم إلى ندوة الحج الكبرى / ذي الحجة 1429هــ الموافق ديسمبر 2008م.
7. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر، 2006م.
8. أسد الغابة في معرفة الصحابة مع الفهارس، ابن الأثير الجزري، تحقيق علي معوض، عادل عبد الموجود، 8 مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1994م.

9. أسس نظريات فن التمثيل، عقيل مهدي يوسف، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط/1، 2000م.
10. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق علي محمد البجاوي، 8 أجزاء، دار الجيل – بيروت، ط/1، 1412هـ.
11. الأحاديث المائة المختارة من أحاديث الأحكام والآداب والحكم وجوامع الكلم، سليم بن أحمد محمد المصري، دار إقرأ للطباعة والنشر والتوزيع، ط /1، 2004م.
12. الاحتمالية (Probability)، سلسلة شوم، مطبعة McGraw Hill، 1968.
13. استشراف المستقبل.. تفكك الإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية، ماثياس شانغ، الناشر : ثنكرز ليبراري، عدد الصفحات : 360، الطبعة : الثانية/2005م.
14. أسرار الكون، سلسلة الثقافة العلمية (99)، العدد (3) لعام 2000، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
15. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (تأريخه وضوابطه)، عبد الله بن عبد العزيز المصلح، ط /1، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة، 1417هـ.
16. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط/3، 2003م.
17. الإعلام التربوي " مفهومه ، مجالاته ، أنشطته وفنونه " ، عبد الله أحمد الذيفاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط/1، 2008م.
18. الإعلام الدبلوماسي والسياسي، أمجد الهاشمي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.

19. الإعلام الجديد؛ المفاهيم والوسائل والتطبيقات، عباس مصطفى صادق، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.
20. الإعلام السياسي في القرآن الكريم، سالم الصفار، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.
21. الإعلام السياسي والإخباري في الفضائيات، هيثم هادي الهيتي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.
22. الاعلام العربى والعولمة الاعلامية والثقافية والسياسية، صابر حارص، سلسلة دراسات في الإعلام، العربي للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.
23. الإعلام والطفل، هادي نعمان العيتي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط /1، 2008م.
24. اقتصاد يغدق فقرا، هورست أفهيلد، ترجمة: عدنان عباس علي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط/1، 2007م.
25. الاقتصاد الإسلامي بين الفكر والتطبيق، حسين حسين شحاته، سلسلة الفكر الاقتصادي الإسلامي، دار النشر للجامعات، ط/1، 1429هـ - 2008م
26. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، 14 جزء، مكتبة المعارف – بيروت.
27. البرهان في علوم القرآن –4 أجزاء–، الإمام العلامة بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة 794 هـجرية رحمه الله تعالى، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت – لبنان، 1408هـ - 1988م.
28. البعد الإيماني لعلاقة الإنسان بالبيئة، بحث د . أحمد فؤاد باشا، نائب رئيس جامعة القاهرة، نشر في جريدة الاهرام السنة-126 العدد 42437، بتاريخ الخميس12 من ذى الحجة 1423 هـ، الموافق 13 فبراير 2003م.
29. بغداد مدينة السلام: مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد 1990م.

30. البيئة من منظور إسلامي، د. صالح محمود وهبي، دار الفكر ــ دمشق ــ 2004، صفحات مختلفة.
31. تاج العروس، الزبيدي، 25 مجلد، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.
32. تاريخ ابن خلدون مع الفهارس، عبد الرحمن ابن خلدون، 5 مجلدات، دار الكتب العلمية،ط/1، بيروت–لبنان، 2006م.
33. تاريخ الإسلام –4أجزاء–، د.حسن ابراهيم حسن، دار الجيل ببيروت، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ط/15، 1422هــ–2001م.
34. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، 5 أجزاء، دار الكتب العلمية – بيروت–لبنان، ط/1، 1407هــ.
35. تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية – بيروت، عدد الأجزاء : 14.
36. تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر، ط/1، 1371هــ – 1952م.
37.
38. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، دار الجيل، بيروت–لبنان، 3 أجزاء.
39. تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً، د. محمد إلياس عبد الغني، مطبعة الرشيد، ط/1، 1422هــ – 2001م، المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية.
40. تأصيل فقه الأولويات؛ دراسة مقاصدية تحليلية، محمد همام عبد الرحيم ملحم، تقديم: محمد نعيم ياسين، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2007م، ط/1
41. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، تحقيق علي محمد البجاوى، 2 جزء، دار إحياء الكتب العربية.

42. التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد، تحقيق ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، 2003م.
43. تجربة بنك الفقراء، محمد سعيد بالإشتراك مع : إسلام أون لاين.نت، ط /1، الدار العربية للعلوم–بيروت– لبنان، 2007م.
44. تحرير تقريب التهذيب، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الر سالة، بيروت–لبنان، ط/1، 2000م.
45. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، 10 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1997م.
46. تحليل النظريات الاقتصادية، بول كروغمان، ترجمة: رانيا محمد عبد اللطيف، الصفحات: 270، الناشر: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، الطبعة: الأولى/2007م.
47. الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، 2005م.
48. تفسير أبي السعود، أبو السعود محمد بن العمادي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1999م.
49. تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2003م.
50. تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، 30 مجلد، ط/1، 2000م.
51. تفسير الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله ابن فرج الأنصاري القرطبي، 11 مجلد، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2005م.
52. تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبي جعفر الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1997م.

53. تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1978م.
54. تفسير القرآن العظيم، ابو الفداء ابن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2004م.
55. تفسير الكشاف، أبو القاسم جار الله الزمخشري، ترجمة وتحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، 4 مجلدات، ط/3، بيروت–لبنان، 2003م.
56. التفسير الكبير للأمام الفخر الرازي، ط/2، دار الكتب العلمية، طهران.
57. تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد، د . خالد العبيدي، ط /1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1425هـ– 2004م.
58. التفكير الستراتيجي والخروج من المأزق الراهن، مشروع النهضة، سلسلة أدوات القادة–الكتاب الخامس، د. جاسم السلطان، صفحات مختلفة، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، ظ/1، 1427هـ – 2006م، توزيع دار القلا ئد، المملكة العربية السعودية، جدة.
59. تقاليد نظام الوقف في رمضان، علاقة "المندوب" بالواجب في الممارسة الاجتماعية، بحث د. ابراهيم البيومي غانم، نشر بتاريخ 24–10–2005م.
60. تلبيس إبليس، الإمام ابن الجوزي، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط/1، 1423هـ ت 2003م.
61. التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني المتوفى سنة 739هـ، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1418هـ –1997م.
62. ثورة الصورة: المشهد الإعلامي وفضاء الواقع، مجموعة من الباحثين، سلسلة كتاب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط/1، 2008م.
63. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان، عدد الأجزاء : 4.

64. الجواهر في تفسير القرآن، الأستاذ الشيخ طنطاوي جوهري، 26 جزء، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1350هـ.
65. الحسبة، ابن تيمية، ترجمة وتحقيق: صالح عثمان اللحام، دار ابن حزم، 2004م، ط/1
66. الحسبة، عبد الحميد فايد، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط/1
67. الحسبة في الحضارة الإسلامية دراسة تاريخية- فقهية في الرقابة على الجودة الشاملة، هاشم يحيى الملاح، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2007م، ط/1
68. حقنة الإبداع، علي الحمادي، دار ابن حزم، 1998م، ط/1.
69. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، 10 أجزاء، دار الكتاب العربي – بيروت–لبنان، ط/4، 1405هـ.
70. حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، ط/2، 2005م.
71. الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل، صفاء جبارة، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.
72. خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام MEDIA SEXPLOITATION، ويلسون براين كي، ترجمة، تحقيق : محمد الواكد، صفحات للدراسات والنشر، ط/2، 2008م.
73. دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب، وزارة التعليم العالي، 1988م، ط/1.
74. الدر المنثور في تفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2000م.
75. دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، أحمد عبد العظيم الجمل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ط/1.

76. الذاكرة التأريخية، مشروع النهضة، سلسلة أدوات القادة- الكتاب الرابع، د. جاسم السلطان، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، ظ /1، 1427هـ - 2006م، توزيع دار القلائد، المملكة العربية السعودية، جدة.
77. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ط/1، دار العلوم، عمان- الأردن، 1423هـ - 2002م.
78. الرسول والعلم، الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي، دار الصحوة.
79. رعاية البيئة في شريعة الإسلام، الدكتور يوسف القرضاوي.
80. الرقائق، محمد أحمد الراشد، ص 109، مؤسسة الرسالة، ط/4، 1401 هـ - 1981م.
81. الرقابة الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية، خولة عيسى صالح، بيت الحكمة، 2001م، ط/1
82. روائع البيان في معاني القرآن، دار الأرقم، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، 1997م.
83. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي – بيروت تلبنان، عدد الأجزاء : 30.
84. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي، تحقيق مجدي منصور سيد الشورى، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1997م.
85. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق أحمد شمس الدين، 4 مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2001م.
86. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2002م.

87. سبع طرق لهندسة الحياة وصناعة التأثير، بأجزاءه الثلاث، الدكتور علي الحمادي. عن إصدارات (قرأت .. سمعت.. شاهدت لك)، هندسة الحياة وصناع التأثير، للدكتور علي الحمادي في موقع إسلام تايم.
88. السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، 7 أجزاء، مكتبة المعارف – الرياض.
89. السلسلة الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، 11 جزء، مكتبة المعارف – الرياض.
90. سلسلة قواعد وفنون التعامل مع الآخرين، علي الحمادي، دار ابن حزم، 1997م، ط/1
91. سلسلة ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية، 15 كتاباً، د. خالد العبيدي، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1425هـ– 2004م.
92. سلسلة لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية، 20 كتاباً في كل حقول التخصصات الهندسية المختلفة، د . خالد العبيدي، ط/1، جائزة دبي للقرآن الكريم، دبي– الإمارات العربية المتحدة.
93. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2002م.
94. سنن أبي داود، أبي داود سليمان السجستاني، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2002م.
95. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، أبو عيسى محمد الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1994م.
96. سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله الدارمي، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1996م.

97. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، 11 مجلد، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1994م.
98. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2002م.
99. السيرة النبوية، ابن حبان، دار ابن خلدون، ط/1، 1998م.
100. السيرة النبوية، ابن هشام الأنصاري، عبد الله يوسف، تحقيق فؤاد علي حافظ، 4 أجزاء بمجلدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1999م.
101. السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، دار ابن كثير الثانية، ط/12، دمشق–سوريا، 1421هـ – 2000م.
102. السيرة النبوية لابن كثير، ابو الفداء ابن كثير الدمشقي، تحقيق محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2005م.
103. السيرة النبوية الصحيحة، جزأين، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، 1998م.
104. شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد بن محمد الحملاوي المتوفى سنة 1315م، ط/4، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1422هـ–2001م.
105. شرارة الإبداع، علي الحمادي، دار ابن حزم، 1999م، ط/1
106. شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، شرح الإمام ابن دقيق العيد، دار ابن حزم، ط/1، بيروت –لبنان، 1422هـ –2001م.
107. الشريعة الإسلامية ومكانة المصلحة فيها، القاضي فاضل دولان، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، العراق، 1423هـ–2002م.
108. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، أبي الطيب بن علي الفاسي المكي المالكي، ترجمة وتحقيق: لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العلمية ببيروت، 2 مجلد، ط/1 ، 2001م.

109. شمس العرب تسطع على الغرب، المستشرقة الألمانية، زيغريد هونكه، نقله عن الألمانية، فاروق بيضون و كمال دسوقي، وراجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، دار صادر، ط/10، بيروت –لبنان، 1423هـ–2002م.
110. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن بلبان الفارسي، 18 جزء، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع.
111. صحيح الإمام البخاري، أبو عبد الله بن اسماعيل البخاري الجعفي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2001م.
112. صحيح الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2003م.
113. صحيح أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق زهير الشاويش، 3 اجزاء، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، 1990م.
114. صحيح ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق زهير الشاويش، جزأين، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، 1990م.
115. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، ط/ 5، 3 أجزاء.
116. صحيح الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، 1990م.
117. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
118. صفوة البيان، محمد حسين مخلوف، الطبعة الثالثة، 1402هـ – 1986م.
119. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، 3 أجزاء، دار القرآن الكريم، ط2، بيروت، 1401هـ – 1981م.
120. صناعة الإبداع، علي الحمادي، دار ابن حزم، 1999م، ط/1

121. صناعة النجاح، سلسلة كتب صناع المجد، الكتاب الأول–، د. طارق السويدان، فيصل باشراحيل، دار ابن حزم، ط / 6، 1424هـ – 2004م، بيروت– لبنان.
122. ظهر الفساد بما كسبت أيدي الناس، بحث أ.د الحسين زايد وأ .د عبد الكبير بلاوشـــو. المقدم للمؤتمر السابع للإعجاز العلمي بدبي.
123. العادت السبع الأكثر فعالية، ستيفن آر . كوفي، مكتبة جرير، ط/4، 2003م.
124. العادات السبع للإقدام على التغيير بشرجاعة، ستيفن آر . كوفي، مكتبة جرير، 2003م، ط/1
125. العقيدة والإنتاج المعرفي (بحث في العلاقة ما بين العقيدة العربية والإنتاج المعرفي العربي منذ القدم إلى 2500 قبل الميلاد)، صادق أنعام الخواجا، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.
126. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، ابن الجوزي، تحقيق خليل الميس،، 2 مجلد، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1983م.
127. علوم الحديث، د.عبد الكريم زيدان/عبد القهار داود عبد الله، مطبعة عصام، بغداد، ط/2، 1409هـ– 1988م.
128. علوم القرآن الكريم، الأستاذ الشيخ عبد الرحيم فرغل البليني، تحقيق الدكتور رشيد نعمان التكريتي، طبع دار الرشد، بغداد، 1423هـ، 2002م.
129. عمارة الفقراء أم عمارة الأغنياء، محمد عبد السلام العمري، ط/1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م.
130. عمارة الفقراء أم عمارة الأغنياء؛ رؤية موضوعية لعمارة حسن فتحي ، محمد عبد السلام العمري، ط/1، مكتبة مدبولي، 2004م.
131. عمارة الفقراء أم عمارة الأغنياء، محمد عبد السلام العمري، ط/1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م.

132. العوائق، محمد أحمد الراشد، ص 37–38، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة 1401 هـ – 1981م.
133. العولمة والنمو والفقر: بناء اقتصاد عالمي شامل، تقرير البنك الدولي عن بحوث السياسات، ترجمة: هشام عبد الله، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عدد الصفحات: 217 ، الطبعة: الأولى 2003م.
134. عون المعبود شرح سنن أبي داود، شنس الدين الحق آبادي، تحقيق خالد عبد الفتاح شبل، 9 مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1998م.
135. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، 18 مجلد، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1997م.
136. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق أحمد عبد السلام، 6 مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.
137. الفضائيات العربية ومتغيرات العصر، منى سعيد الحديد ي، الدار المصرية اللبنانية، ط/1، 2005م.
138. الفضائيات العربية ودورها الإعلامي، فارس عطوان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.
139. فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي، محمود يوسف السماسيري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط/1، 2008م.
140. فلسفة التأريخ، مشروع النهضة، سلسلة أدوات القادة–الكتاب الثالث، د. جاسم السلطان، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، ظ /1، 1427هـ – 2006م، توزيع دار القلائد، المملكة العربية السعودية، جدة.
141. فن التمثيل الآفاق والأعماق، إدوين ديور، ترجمة وتحقيق: مركز اللغات والترجمة، سامي صلاح، أكاديمية الفنون، مجلدان.
142. فن التمثيل عند العرب، محمد حسين الأعرجي، إصدار صحيفة السفير اللبنانية، سلسلة "الكتاب للجميع"، 2005م.

143. فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن ، ابن الجوزي، ت رجمة وتحقيق صلاح بن فتحي هلل، مؤسسة الكتب الثقافية، ط/1، 2001م.
144. في ظلال القرآن، سيد قطب، 6 أجزاء، دار الشروق، بيروت-لبنان.
145. في فقه الأولويات، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، 2000م، ط/1
146. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، أبو اسحق ابراهيم، تحقيق أبو الوفا نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، 2004م.
147. قاموس المورد إنكليزي – عربي، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1967.
148. القرآن منهل العلوم، د.خالد العبيدي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، طبعة مزيدة ومنقحة، 1428 هـ – 2007م.
149. قوانين النهضة، مشروع النهضة، سلسلة أدوات القادة- الكتاب الثاني، د. جاسم السلطان، مؤسسة أم القرى للترجم ة والتوزيع، ظ /1، 1427هـ – 2006م، توزيع دار القلائد، المملكة العربية السعودية، جدة.
150. القيم الأخلاقية بين الفكرين الإسلامي والغربي في عصر العولمة، موزة أحمد راشد العبار، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م.
151. الكامل في التاريخ تاريخ ابن الأثير، ابن الأثير، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ط/1، 2005م.
152. الكتاب الأسود للرأسمالية، تأليف عدد من الباحثين، ترجمة : أنطون حمصي، عدد الصفحات: 440 ، الناشر: دار الطليعة الجديدة ، دمشق، الطبعة: الأولى/2006م.
153. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألس نة الناس، اسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق :محمد عبد العزيز الخالدي، مجلدان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1997م.

154. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، تحقيق محمد عمر الدمياطي، 8 مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1998م.
155. لا تحزن، د. عائض القرني، ص 252–253، مكتبة الصحابة– الشارقة– الإمارات العربية المتحدة، مكتبة التابعين– القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط/ 3 المصححة، 1423هـ ت 2003م.
156. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عامر أحمد حيدر – عبد المنعم خليل إبراهيم، 15 جزء دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2003م.
157. ما الذي سيبقى من الغرب؟، يان روس، 228، الناشر: روفولت، برلين، الطبعة: الأولى 2008م.
158. ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة القويمة البرهان، محمود شكري الآلوسي، تحقيق ناصر الدين الألباني، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، 1997م.
159. محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، محمد رضا، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبلنان، 2006م.
160. مختصر سنن أبي داود ومعه معالم السنن وتهذيب ابن القيم، زكي الدين عبد العظيم المنذري، تحقيق مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2001م.
161. مختصر سيرة الرسول، محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، دار الفيحاء بدمشق – دار السلام بالرياض، رقم الطبعة : غير متوفر، السنة: غير متوفر.
162. مختصر شعب الإيمان، البيهقي القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1983م.
163. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، المكتبة ا لحديثة للطباعة والنشر، 2002م.

164. مختصر تفسير ابن كثير، د. محمد علي الصابوني، 3 أجزاء، دار وكتبة الهلال، ط/1، 2006م.
165. المسار، محمد أحمد الراشد، ص 47، دار المنطلق، ط /3، دبي- الإمارات العربية المتحدة، 1412هـ - 1991م.
166. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1998م.
167. المستفاد من قصص القرآن، جزأين، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت.
168. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة، 6 أجزاء.
169. مسند الشهاب، القضاعي، 2 مجلد، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع.
170. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، 7 أجزاء، تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض ، ط/1، 1409هـ.
171. مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، 11 جزء، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط/2، 1403هـ.
172. معالم القربة في أحكام الحسبة، ضياء الدين محمد بن القرشي، ترجمة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 2001م،ط/1
173. معاني القرآن، أبو زكريا بن زياد الفراء، تحقيق محمد علي النجار، أحمد يوسف نجاتي، 3 مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1996.
174. معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم- ألف معجزة من معجزات الرسول، الدكتور مصطفى مراد، دار الفجر للتراث، ، القاهرة – ج م ع، ط/2، 1428هـ - 2007م.

175. معجم تفسير كلمات القرآن، محمد عدنان سالم ومحمد وهبي سليمان، دار الفكر المعاصر، ط/2، بيروت، لبنان، 1421هـ–2000م.
176. المعجم الأوسط، الحافظ أبي القاسم الطبراني، تحقيق محمد حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1999م.
177. المعجم الكبير، الإمام الطبراني، دار الفكر العربي، 1998م.
178. معجم اللغة العربية، مختار الصحاح، الإمام محمد أبو بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة النهضة، بغداد – 1983.
179. معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية، أحمد شفيق الطيب، مكتبة لبنان.
180. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط2، بيروت، 1401هـ – 1981م.
181. المعجم الوجيز، طبعة دار التحرير، 1989م.
182. مفاتيح النجاح، هادي المدرسي، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، 2002م، ط/1.
183. مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط/1، 2007م.
184. مفردات القرآن (نظرات جديدة في تفسير الألفاظ القرآنية)، عبد ال حميد الفراهي، تحقيق محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، 2002م.
185. مقدمة ابن خلدون، دار الشرق العربي، بيروت، طبعة جديدة ومنقحة، 1425هـ – 2004م.
186. الملل والنحل، أبي الفتح محمد الشهرستاني، ترجمة وتحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط/1، 2000م.

187. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 2003م.
188. من الصحوة إلى اليقظة، مشروع النهضة، سلسلة أدوات القادة –الكتاب الثاني، د. جاسم السلطان، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، ظ/1، 1427هـ - 2006م، توزيع دار القلائد، المملكة العربية السعودية، جدة.
189. من موضوعات سور القرآن الكريم، عبد الحميد طهماز، ط/1، دار القلم-دمشق/الدار الشامية-بيروت، 1419هـ، 1998م.
190. المنطلق، محمد أحمد الراشد، ص 111-112، مؤسسة الرسالة، ط / 4، 1401 هـ - 1981م.
191. المنظار الهندسي للقرآن الكريم، د. خالد العبيدي، ط 1، دار المسيرة، عمان، 1422هـ- 2001م.
192. المنظار الهندسي للقرآن الكريم، د. خالد العبيدي، ط 3، دار المسيرة، عمان، طبعة مزيدة ومنقحة، 1426هـ- 2005م.
193. منهجية التربية الدعوية، محمد أحمد الراشد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع تاريخ النشر، ط/1، 2005.
194. المنهج التنموي البديل في الإقتصاد الإسلامي – دراسة للمفاهيم والأهداف والأولويات وتحليل الأركان والسياسات والمؤسسات، صالح الصالحي، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2006م، ط/1.
195. موسوعة تاريخ العلوم العربية- 3 أجزاء - ، إشراف رشدي را شد و ريجيس مورلون، صادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان ، بيروت – لبنان، 1997م.
196. موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، خديجة النبرواوي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2006م، ط/1.

197. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد ع بد الباقي، عادل خضر، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 2004م.
198. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، أبي جعفر النحاس المتوفى سنة 338هـ، رواية أبي بكر محمد بن علي بن أحمد الأدفوي النحوي، المكتبة العصرية، ط/1، 1424هـ-2003م.
199. نظام الحسبة في الإسلام بين التنظير والتطبيق ، موسى راضي نصار، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م، ط/1، مجلدين.
200. النظام الزراعي في القرآن والسنة ومظاهر إعجازه ، بحث المهندس الزراعي محمد عبد الهادي الشيخ.
201. نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي، مجموعة مؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003م، ط/1.
202. انظام الحسبة.. نيابة ورقابة إدارية ومباحث تموين، بحث عماد عجوة ماجستير آثار إسلامية.
203. نظام الوقف في الإسلام.. بين الماضي والحاضر، محاضرة للشيخ عبد القادر الخطيب الحسني، محاضرة ألقيت في المركز الثقافي بداريا شعبان 1426 هـ، 2005/9/24).
204. نظرات في تفسير القرآن الكريم، الدكتور محسن عبد الحميد، ط2، شركة الرشد للطباعة والنشر، بغداد العراق، 1421هـ-2000م.
205. هل الرأسمالية أخلاقية؟، المؤلف: أندريه كونت سبونفيل، المترجم: بسام حجار، عدد الصفحات: 198، الناشر : دار الساقي، بيروت، الطبعة : الأولى/2005م.
206. وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، المكتبه العصرية، رقم الطبعة : غير متوفر، 2002م.

207. وسائل الإعلام والاتصالات، ريتشارد بلات، الناشر الأصلي Marshall : Publishing، بالإشتراك مع :Discovery Channel ، سلسلة ملف المعلوامت العامة، الدار العربية للعلوم، ط/1، 2001م.
208. الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، منذر قحف، دار الفكر المعاصر، 2000م، ط/1
209. الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، سليم هاني منصور، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، التوزيع 2004م، ط/1.

المراجع الأجنبية (Bibliography)

210. 1001 Inventions: Muslim Heritage in Our World, Foundation for Sceince Technology and Civilisation, Salim T S Al-Hassani; Chief Editor, Elizabeth Wodcook & Rabah Saoud; Co-Editor, 2nd. Edition, 2005, Mega Basim, Istanbul-Turkey.
211. Al-Kidi: The origins of cryptology; The Arab contributions, Ibraham A. Crypto logia, vol. 16. no. 2, April 1992.
212. Chemical Engineering Volume 1&2 (Chemical Engineering), J F Richardson, J H Harker, and John Backhurst, 5th. Edition, USA, 2002.
213. CRC Handbook of Chemistry and Physics, Student Edition. 84th Edition, David R Lide National Institute of Standards & Technology, USA.

214. Develop Your NLP Skills, Andrew Brandbury, publisher: Kogan Page; 3rd edition, 2006.

215. Encyclopedia Britanica, Inc. 1969, Chicago; William Benton.

216. Environmemtal Science – Managing Physical Resources, Vol. III, Morgan. Morgan. Wiersma, WCB, USA, 1993.

217. Environmental Chemistry, Eighth Edition, Stanley E Manahan University of Missouri, Columbia, Missouri, USA.

218. Introduction To Environmental Engineering, P. Aarne Vesilind & Susan M. Morgan, Thomsom Brooks/Cole, 2nd. Edition, Belmont-USA, 2004.

219. Money Facts, 169 Question & Answers On Money- A Supplement To A Primer On Money, With Index: " Subcommittee On Domestic Finance- Committee On Banking & Currency", House Of Representatves, 88th. Congress, 2nd. Session. September, 21th. 1964.

220. NLP: The New Technology of Achievement, NLP Comprehensive, Steve Andreas & Charles Faulkner, publisher: Harper Paperbacks 1st. edition, 1996.

221. The Code Book, The Secrete History of Codes and Codes Breaking, Simon Singh, 1999

222. The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy, John J. Mearsheimer & Stephen M. Walt., Publisher: Farrar, Straus and Giroux; 1st edition (September 2, 2008), 496 pages.

223. Water Quality & Treatment Handbook, American Water Works Association, McGraw-Hill Professional; 5th. Edition, 1999.

برامج الحاسوب

224. برنامج القرآن الكريم على الحاسبة الإلكترونية، نسخة تحتوي تفاسير ابن كثير والقرطبي والجلالين، قرص مدمج، إصدار شركة صخر لبرامج الحاسوب، الإصدار السادس، 1991−1996م.
225. برنامج القرآن الكريم (سلسبيل)، قرص مرن (3.5 انج)، نسخة تحتوي على تراجم إنكليزية وفرنسية وإحصاءات حول القرآن الكريم.
226. برنامج المكتبة الألفية للسنة النبوية، نسخة تحوي على 1000 مجلد من كتب الحديث الشريف، قرص مدمج، دار التراث، الاصدار الأول.
227. برنامج مكتبة الحديث الشريف على الحاسبة الإلكترونية يحتوي على 450 كتاب من كتب الحديث الشريف، قرص مدمج، شركة العريس للكومبيوتر وأنظمة الحواسيب.
228. برنامج موسوعة الحديث الشريف على الحاسبة الإلكترونية، نسخة تحتوي على الكتب التسعة ومتونها، قرص مدمج، شركة صخر لبرامج الحاسوب.
229. برنامج الموسوعة الذهبية للحديث الشريف وعلومه، قرص مدمج، يحوي كل معاجم وشروح والمجلدات المعنية بعلوم الحديث الشريف، دار التراث، الإصدار الأول، 1418هـ−1997م.
230. الموسوعة الذهبية للحديث الشريف وعلومه، قرص مدمج، يحوي كل معاجم وشروح والمجلدات المعنية بعلوم الحديث الشريف، دار التراث، الإصدار الثاني، 1422هـ−2001م.
231. الموسوعة الميسرة في علوم القرآن، قرص مدمج.

232. برنامج المكتبة الشاملة، الإصدار الأول، برنامج يحوي كتب التفاسير، المتون، المعاجم، الفقه، الشروح، وكل ما يحتاجه الباحث في أمور الشريعة.
233. موسوعة طارق السويدان، قرص مدمج، آية سوفت، القاهرة، مصر، 2000م.
234. برنامج المعجزة الخالدة، الجزء الأول، يحوي على مادة علمية تتعلق بالإعجاز العلمي في القرآن معد من أساتذة متخصصين من أمثال د. كارم غنيم، د. محمد أحمد علي كلول، مصطفى أبو زيد بدران، والشيخ خالد سليمان، الأساتذة في جامعة الأزهر. وتحوي على حوالي 40 مصدراً من أمهات مصادر كتب الإعجاز والتفسير، قرص مدمج، 1998م.
235. برنامج القرآن الكريم على الحاسبة الإلكترونية، نسخة تحتوي تفاسير ابن كثير والقرطبي والجلالين، قرص مدمج، إصدار شركة صخر لبرامج الحاسوب، الإصدار السادس، 1991-1996م.
236. برنامج مصحف النور للنشر المكتبي، قرص 3,5 إنج، إصدار شركة سيمافور للبرامجيات، الإصدار الثاني.
237. برنامج مكتبة التفسير وعلوم القرآن، قرص مدمج يحوي أكثر من 400 مجلد من أمهات كتب ومراجع التفسير وعلوم القرآن المختلفة، إصدار دار التراث، عمان، الأردن.
238. برنامج مكتبة الحديث الشريف على الحاسبة الإلكترونية يحتوي على 450 كتاب من كتب الحديث الشريف، قرص مدمج، شركة العريس للكومبيوتر وأنظمة الحواسيب.
239. موسوعة لسان العرب، قرص مدمج عدد 3، يحوي كل ما يحتاجه متعلم اللغة العربية من نحو، صرف، بلاغة، إملاء ومعاجم، إنتاج الجامعة العربية لعام 1998م.

240. برنامج المترجم الوافي (ترجمة عربي – إنكليزي وبالعكس)، ATA Software، الإصدار/2.
241. برنامج موسوعة إنكارتا Microsoft Encarta Encyclopedia لسنين مختلفة: 2000، 2002، 2003، 2004م، مجموعة من أقراص مدمجة لأحدث وأكبر الموسوعات العلمية العالمية .
242. برنامج الموسوعة البريطانية – بريتانيكا Britanica ، لسنين مختلفة:1999، 2000، 2002، 2003م، مجموعة من أقراص مدمجة لأحدث وأكبر الموسوعات العلمية العالمية .
243. الموسوعة الطبية موسبي، قرص مدمج Mosby's Medical Encyclopedia. Copyright (c) 1994-5, 1996, 1997 The Learning Company Inc.
244. موسوعة الفلك ريد شفت –Red Shift – 4 ، قرص مدمج لأكبر الموسوعات الفلكية الحديثة.
245. موسوعة البيئة – Encyclopedia to the Environment Biosphere–، قرص مدمج عن بيئة الأرض المائية والهوائية.
246. موسوعة الراصد (العلمية، الطبيعية، الفلكية، الطبية، التاريخية)، قرص مدمج، إنتاج شركة لاليه العالمية للبرامجيات، دورلينك كيندرسلي 1995. ©) 1994-1995 Dorling Kinderesley Mutimedia & © 1996 Laleh Computer Institute).

مواقع الشبكة العالمية

247. موقع الإعجاز العددي في القرآن الكريم والسنة المطهرة.
248. موقع الأرقام www.alargam.com.

249. موقع الدكتور خالد العبيدي على شبكة الإنترنت (http://khalid-alubaidy.com/).
250. الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة- رابطة العالم الإسلامي http://www.nooran.org/index.htm.
251. موسوعة الإعجاز في القرآن والسنّة (http://www.islamiyyat.com/encyclopedia.htm).
252. موسوعة الإعجاز في القرآن والسنّة (http://www.55a.net/firas/arabic/index.php).
253. موقع الإرث الإسلامي (http://muslimheritage.com/topics/default.cfm?ArticleID=466).
254. موقع الأستاذ هارون يحيى (http://www.harunyahya.com/arabic/index.php).
255. موقع الدكتور زغلول النجار (http://www.elnaggarzr.com/Test_fre/main.asp)
256. موقع الأستاذ حسن فتحي: حسن فتحي وعمارة الفقراء (Hassan Fathy Architecture For The Poor) (http://www.geocities.com/arc.hassanfathy/)
257. موقع الشيخ أحمد ديدات (http://www.ahmed-deedat.co.za/frameset.asp)
258. موقع الدكتور ذاكر نايك (http://www.drzakirnaik.com/).
259. موقع يوسف إسلام (http://www.catstevens.com/)..
260. موقع الدكتور طارق السويدان (www.suwaidan.com)
261. موقع عمرو خالد (www.amrkhaled.net)..
262. موقع الشيخ العفاسي (www.alafasy.com)

263. موقع معهد الزيتونة (http://www.zaytuna.org/)
264. موقع الجمعية العربية للعمارة والتصميم ومجلة بناة.
265. موقع مشروع النهضة للدكتور جاسم السلطان.
266. موقع الإسلام أون–لاين.
267. موقع قناة الجزيرة العلمي.
268. موقع شبكة المسلم /http://www.muslm.net.
269. موقع (بي بي سي) العلمي (news.bbc.co.uk, 30 June, 2000.)، (BBC News Online).
270. موقع موسوعة ويكيبيديا الشاملة (http://en.wikipedia.org/).
271. موقع الموسوعة البريطانية بريتانيكا.(http://www.britannica.com/).
272. مواقع قناة ديسكوفري العلمية (http://discoverychannel.ca)، و (http://www.discoverychannel.co.uk).
273. موقع وكالة الفضاء الأمريكية ناسا (www.nasa.gov).
274. الموقع قناة أي بي سي الأمريكية العلمي : http://www.abc.net.au/science/k2/moments/gmis9808.htm.
275.موقع منظمة الصحة العالمية التابعة للأمم المتحدة (http://www.who.int/ar/index.html).

السيرة الذاتية

والإنجازات

السيرة الذاتية



- الدكتور المهندس خالد فائق صديق العبيدي.
- مواليد بغداد 1964م.
- حاصل على شهادة البكولوريوس في الهندسة المدنية من كلية الهندسة- جامعة بغداد عام 1985م.
- حاصل على شهادة الماجستير في الهندسة الإنشائية / منشآت حديدية- من قسم هندسة البناء والإنشاءات- الجامعة التكنلوجية ببغداد عام 1990م.
- حاصل على شهادة الدكتوراه في الهندسة الإنشائية / منشآت معلقة- من قسم هندسة البناء والإنشاءات- الجامعة التكنلوجية ببغداد عام 1997م.
- أستاذ مساعد في قسم هندسة البناء والإنشاءات- الجامعة التكنلوجية ببغداد، ومحاضر سابق في قسم الهندسة المدنية وقسم هندسة البيئة في كلية الهندسة –الجامعة المستنصرية ببغداد.
- عضو المؤتمر العام لنقابة المهندسين العراقيين- الدورة 25-.
- عضو جمعية المهندسين العراقيين بدرجة استشاري.
- عضو جمعية المهندسين الإماراتيين.
- عضو مجلس العمل العراقي في دولة الإمارات العربية المتحدة.
- له عدة شهادات تأهيلية في تقنيات وتطبيقات هندسية متطورة، ومقيَّم من بلدية دبي بدرجة استشاري منشآت غير محددة الطوابق.
- خبير هندسة إنشائية ومهندس رئيس في عدة شركات هندسية استشارية عالمية.

- مصمم واستشاري لأكثر من 24 عاماً في مشاريع مختلفة في العراق ودولة الإمارات العربية المتحدة ودولة قطر.
- له 10 بحوث في مجال الاختصاص منشورة في مجلات مرموقة داخل العراق وخارجه.
- مشترك في عدة مؤتمرات في مجال الاختصاص داخل العراق والإمارات وإيطاليا.
- عضو الهيئة الاستشارية لمركز الإعجا ز العلمي في القرآن والسنة في الجامعة الإسلامية ببغداد.
- عضو الهيئة الاستشارية لبرنامج خدمة علوم القرآن في جائزة دبي للقرآن الكريم.
- عضو اللجنة الاستشارية في الهيئة المغربية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بالرباط.
- عضو الاتحاد العالمي للشركات الإسلامية ومركز الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ومقره بلجيكا.
- له 44 كتاب في مجال الإعجاز القرآني وعلوم القرآن منشورة داخل العراق وخارجه وأخرى قيد النشر.
- له 3 مؤلفات في المختبرات الهندسية، شبكات الخدمات المائية والصحية، شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).
- محاضر في الإعجاز الهندسي والعلمي في عدة معاهد تنمية بشرية في بغداد.
- مشترك في عدة مؤتمرات وندوات ومحاضرات في مجال الإعجاز القرآني داخل العراق وخارجه . وله عدة محاضرات وبحوث ومقالات في مجال الإعجاز القرآني منشورة في مجلات وصحف مرموقة داخل العراق وخارجه.

- له أكثر من 120 حلقة مرئية تتعلق بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم عرضت في محطات تلفازية فضائية عربية مختلفة.
- مكتشف منظومة الثوابت الهندسية في القرآن الكريم.
- له اختراعات وابتكارات من القرآن والسنة تبنت بعضها شركات عالمية.
- له موقع على الشبكة العالمية بعنوان : (مشروع لعصرية الدعوة)، http://khalid-alubaidy.com/.
- حاصل على عدة كتب شكر من وزارات وهيئات ومؤسسات علمية مهمة في العراق ودولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة المغربية والمملكة العربية السعودية وغيرها.
- متزوج ولله عنده ذرية.

أعمال منجزة

أ:الكتب والبحوث

1. كتاب **(المنظار الهندسي للقرآن الكريم)**، دار المسيرة، عمان- الأردن، ط / 1، 1422هـ - 2001م.
2. كتاب **(المنظار الهندسي للقرآن الكريم)**، دار المسيرة، عمان - الأردن، ط / 2، 1426هـ - 2005م.
3. كتاب **(أنت والانترنت- جلّ ما تحتاجه من خدمات الشبكة العالمية-)**، دار الرشد، ط/1، 1422هـ- 2001م.
4. كتاب **(القرآن منهل العلوم)**، طبع الجامعة الإسلامية، بغداد، ط/1، 1423هـ- 2002م.
5. كراس **(مواصفات الفحوص المختبرية لأعمال الهندسة المدنية)**، مع مجموعة من المختصين،1423هـ- 2002م.
6. كتاب **(القوانين القرآنية للحضارات -النسخة المختصرة-)**، طبع ببغداد عام 1424هـ - 2003م.
7. سلسلة كتب **(ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية- 15 جزءاً-)**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1425هـ- 2004م.

أ. التأريخ والآثار.

ب.المادة والطاقة.

ت.الفلك.

ث.الأرض.

ج.الرياح والسحب.

ح.المياه والبحار.

خ.النبات والإنبات.

د.الحيوانات والحشرات.

ذ. الطب.

ر. الوراثة والاستنساخ.

ز. الصيدلة والأمراض.

س. الجملة العصبية والطب النفسي.

ش. الأحلام والباراسايكولوجي.

ص. الاقتصاد والاجتماع.

ض. آخر الزمان.

8. كتاب (**القوانين القرآنية للحضارات - النسخة المفصلة-**)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1425هـ- 2004م.
9. كتاب (**تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد**)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1425هـ- 2004م.
10. كتاب (**القصة الكاملة للتدخين**)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1428هـ- 2007م.
11. كتاب (**لسنا بمأمن-لله جنود السماوات والأرض-**)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1428هـ- 2007م.
12. كتاب (**القرآن منهل العلوم**)، ط/2، طبعة منقحة ومزيدة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1428هـ- 2007م.
13. سلسلة كتب (**لمحات هندسية من القرآن والسنة النبوية**)، 20 كتاب لكل اختصاصات الهندسة وعلومها، صادر عن جائزة دبي للقرآن الكريم.
14. كتاب (**رياضيات التوحيد**)، جهد مشترك مع باحث آخر، جاهز للنشر.
15. كراس تصاميم شبكات الخدمات المائية والصحية، طبع شخصي.

16. عدة بحوث في مجال الهندسة المدنية منشورة في مجلات ومؤتمرات هندسية مرموقة داخل العراق وخارجه.
17. عدة بحوث ومقالات في مجال الإعجاز القرآني منشورة في صحف ومجلات ومؤتمرات مرموقة داخل العراق.

ب- مشاريع كتب

1. كتاب **(عصرية الدعوة)**، قيد التأليف والإعداد.
2. كتاب **(الإرساء في حقوق النساء)**، قيد التأليف والإعداد.
3. كتاب **(استنباط الحلول من أسباب النزول)**، قيد التأليف والإعداد.
4. كتاب جامعي عن المواد الهندسية، قيد التأليف الإعداد.
5. كتاب جامعي عن الحديد والتصاميم الحديدية، قيد التأليف.

جـ - المرئيات

مشارك بعدة حلقات تلفازية في محطات محلية وفضائية مثل:

1- **(آيات وحوار-30 حلقة)** عرضت عام 2001م من على مجموعة شبكة قنوات (ART) قناة إقرأ، الأوائل، عين الأوائل، والعالمية التابعة للـ (ART)، وأعيدت 3 مرات. لا تزال تعرض من على قناة الديار العراقية مع نخبة من المختصين مثل الأستاذ الدكتور أنيس مالك الراوي والأستاذ رعد الخزرجي والدكتور أحمد عبد الغفور السامرائي.

2- برنامج **(العلم في القرآن – 30 حلقة)** عام 2003 م عرضت على قناة العراق الفضائية . وأعيدت على فضائية العراقية عام 2004م وعام 2005 م، مع الأستاذ الدكتور أنيس الراوي.

3- حلقات **(سر الحديد – 30 حلقة)** إنتاج شركة كوديا للإنتاج الفني، عرضت من على شاشات قنوات مؤسسة دبي للإعلام في رمضان

عام 1426هـ، الموافق عام 2005م وأعيدت 4 مرات. وعرضتها عدة قنوات أخرى مثل النجاح، الأمة، العراقية، بغداد وغيرها.

4 - حلقات **(آيات وعلوم-20 حلقة)** عرضت من على شاشة قناة السياحة العربية رمضان عام 1426هـ، الموافق عام 2005م.

5 - برنامج **(الهندسة في القرآن- ج1- 8 حلقات):** عرضتها قناة الشارقة الفضائية في رمضان عام 1428هـ، الموافق عام 2007م.

6 - برنامج **(عصرية الدعوة- ج1- 8 حلقات):** عرضتها قناة بغداد الفضائية في رمضان عام 1429هـ، الموافق عام 2008م.

7 - لقاءات تلفازية عدة مع محطة الشارقة الفضائية في مناسبات عدة مثل عام 2004م على هامش معرض الكتاب الدولي وكذلك في عام 2007م على هامش تداعيات إعصار جونو.

8 - لقاء تلفازي مع قناة الجزيرة مباشر في برنامج (مباشر مع) يوم 23-7-2009م حول منجزات واكتشافات الإعجاز الهندسي وعصرية الدعوة.

9 - لقاءات تلفازية مع قناة الجزيرة الفضائية وقناة المغربية على هامش المؤتمر الدولي الأول للإعجاز العددي في القرآن الكريم الذي عقد بالرباط بين 6-9 نوفمبر 2008م.

10 - لقاءات تلفازية عدة مع محطات التلفزة والإذاعة السعودية الأولى والثانية والإخبارية على هامش ندوة الحج الكبرى لعام 1429هـ-2008م.

11 - لقاءات تلفازية أخرى متنوعة مع قنوات أخرى مثل العراقية، الفرقان، بغداد وغيرها.

12 - حوارات عديدة في صحف ومحطات تلفاز و مذياع محلية وعربية.

د – المحاضرات: له عدة محاضرات في موضوعات الدعوة إلى الله تعالى بأسلوب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ومواضيع ذي صلة قام بها في مساجد ووزارات ومؤسسات وجامعات ومراكز ومؤتمرات داخل العراق وخارجه منذ العام 1415هـ الموافق 1995م.

	عنوان المحاضرة	مدة العرض
1	**أهوال القيامة**	**3 ساعة**
2	**آخر الزمان**	**3 ساعة**
3	**خلق الكون**	**3 ساعة**
4	**القوانين القرآنية للحضارات**	**3 ساعة**
5	**ان ربك لبالمرصاد**	**3 ساعة**
6	**ليس الذكر كالأنثى**	**3 ساعة**
7	**استنساخ بشري ام استنزاف فكري؟!**	**3 ساعة**
8	**سر الحديد**	**3 ساعة**
9	**بيوت من زخرف وسقف من فضة**	**3 ساعة**
10	**النفخ في الصور وظاهرة الرنين**	**2 ساعة**
11	**هندسة الزمن**	**3 ساعة**

العناوين: يمكن الاتصال على العناوين التالية :

أ- الإمارات (العمل الحالي)

1. عنوان العمل: دبي- دولة الإمارات العربية المتحدة.
2. الهاتف النقال(Mobile): **00971 - 50 - 6780153**
3. هاتف المنزل في الشارقة **00971-6- 5732027**

4. صندوق البريد: الشارقة (64854).

5. الموقع على الشبكة العالمية /http://khalid-alubaidy.com.

6. البريد الإلكتروني الخاص: drkhfaldy@yahoo.com.

ب-العراق (العمل السابق)

عنوان العمل: أستاذ جامعي بدرجة أستاذ مساعد . العراق- بغداد- الجامعة التكنلوجية، قسم هندسة البناء والإنشاءات.